

مطبوعات جامعة بيروت الاميركية

دائرة الابحاث الاجتماعية

﴿ مراجع ما نشر بعد الحرب العظمى عن بلدان الانتداب في الشرق الادنى ﴾ لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٩ ثمانية اجزاء اثنان منها يتضمنان بيان ما نشر في الكتب والنشرات الدورية باللغة العربية والستة الباقية تتضمن ما نشر في اللغات الاجنبية ثمن كلّ من الجزءين العربيين مجلداً بورق ٤٠ غ . م . مجلداً بقماش ٥٥ غ. م.

﴿ النظام النقدي والصرافي في سوريا ﴾ للاستاذ سعيد حماده استاذ الاقتصاد العملي في الجامعة يصف جهاز النظام النقدي والصرافي وكيفية سيره مع تقدير حسناته وسيئاته في القيام بوظائفه الاقتصادية في البلاد واقتراح اصلاح عامّ على ضوء النظريات الاقتصادية الحديثة والحوادث الواقعة

صدر بالانكليزية والعربية . ثمن كل من الطبعتين : بورق ٤٠ غ. م. بقماش ٥٥ غ. م.

﴿ النظام الاقتصادي في سوريا ﴾ يبحث بحثاً عامًّا شاملاً في الاركان التي يقوم عليها كيان سوريا الاقتصادي بما فيه سكان البلاد ومرافقها الطبيعية وزراعتها وصناعتها وتجارتها وانظمتها المالية . اشترك في تأليفه عدد من اساتذة الجامعة مع محرّره الاستاذ سعيد حمادة استاذ الاقتصاد العملي

صدر بالانكليزية في فبراير : ثمنهُ مجلداً بورق ٦٠ غ . م : بقماش ٧٥ غ . م .
وستصدر قريباً طبعة عربية منهُ

﴿ مؤهلات الاستقلال ﴾ للاستاذ ولتر هومز رتشر استاذ العلوم السياسية في الجامعة يتضمن بحثاً دقيقاً في مؤهلات الشعوب للحكم الذاتي

صدر بالانكليزية وثمنهُ مجلداً بورق ٤٠ غ .م. بقماش ٥٥ غ . م .
وستصدر قريباً طبعة عربية منهُ

تطلب هذه الكتب من الجامعة الاميركية . بيروت . لبنان او من
Oxford University Press

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها «ادارة المطبعة العصرية» بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

٣٥ القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠ « « « (طبعة ثالثة)
٧٠ « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥ « المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ « « عربي انكليزي فقط
١٥ « « انكليزي عربي فقط
٧٠ «سقراط سبيرو عربي انكليزي (بالالفاظ)
٥٠ « « انكليزي عربي (بالالفاظ)
١٠٠ « « « « « « وبالعكس
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (بالالفاظ)
١٠ الفكاهة الالماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠ عشرة ايام في السودان « « «
١٢ مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥ روح السياسة « «
١٠ الآراء والمعتقدات « «
١٠ اصول الحقوق الدستورية « «
٨ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥ حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠ الحركة الاشتراكية (لرمسي مكدونالد)
١٥ ماقي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨ اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠ مختارات « « «
٨ نظرية التطور وأصل الانسان « «
٢٠ اناتول فرانس في مباذله ، للامير شكيب ارسلان
١٥ الدنيا في اميركا (للاستاذ امين بقطر)
١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبد الله حسين)
١٠ جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥ المرأة بين الماضي والحاضر
٥ مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥ حصاد الهشيم (للاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني)
١٠ قبض الريح « « « « « «
٨ نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠ رسائل غرام جديدة (سليم عبد الواحد)
١٠ الغربال في الادب العصري (ميخائيل نعيمة)
٥ حكايات للاطفال ، اول (مصور بالالوان)
٥ « « ثان « «
٥ « « ثالث « «
٥ تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥ جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)
٦ مراقي النجاح (الارشمندريت بشير)
٥٠ مريم المجدلية (موريس ميترلنك)

١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥ خواطر حمار (الاستاذ الجمل)
٥ التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكرا وانثى خلقهم « « «
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران) « «
١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات « «
٢٠ الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠ تاييس « « « «
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠ « فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨ « الانتقام العذب (اسعد خليل داغر)
٥ « فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢ « باريزينا ، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ « غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥ « روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥ « ام روكامبول ، ٥ اجزاء «
٢٠ « باردليان ، ٣ اجزاء «
٢٠ « الملكة ايزابو ٤ اجزاء «
٢٠ « الاميرة فوستا ، جزآن «
٢٠ « عشاق فنيسيا ، جزآن «
١٦ « الساحر المعظم ٤ اجزاء «
١٦ « كابيتان ، جزآن «
١٦ « الوصية الحمراء ، جزآن «
١٦ « بائعة الخبز «
١٢ « المبرج ، جزآن «
١٠ « فارس الملك «
١٠ « ضحايا الانتقام «
٨ « المرأة المفترسة «
٥ « المتنكرة الحسناء «
٥ « مروضة الاسود «
٥ « شهداء الاخلاص «
١٦ « دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ « فرنسوا الاول « «
١٠ « الجنون فنون « «
٨ « حورية « «
٨ « الغلامان الطريدان « «
١٢ يسوع ابن الانسان (جبران خليل جبران)
٥ النبي « « « «
٥ آلهة الارض « « « «

جائزة اسعد باسيلي باشا

لذكرى الدكتور يعقوب صروف

مائة جنيه مصري

الجائزة الاولى — خمسون جنيهاً

الجائزة الثانية — ثلاثون جنيهاً

الجائزة الثالثة — عشرون جنيهاً

الموضوع المقترح

العشرة المقدمون

في تاريخ الفكر العربي

اذا وهب واهب سخي مبلغاً كبيراً من المال لتشيد به صرحاً فخماً يضم بين جدرانه كل ما خلفه عشرة من الرجال، كانوا مقدمي رجال الفكر العربي في تاريخه المجيد، وتتصل به مدرسة لدراسة آثارهم خاصة، فمن تضع فيه ؟

١ — الموضوع يقتصر على الادباء والفلاسفة والعلماء

٢ — لا يجوز ادخال رجال الدين ولا رجال السياسة والحرب

٣ — لا يجوز الاختيار من الذين على قيد الحياة

لقد اجمع كلّ من عني بدراسة الحضارة العربية على انها حفظت مصباح المعرفة منيراً في اشد العصور ظلمة، واضاف اقطابها الى كنوز المعرفة كنوزاً جديدة لا تقوَّم بمال، وقد ظلّ اثر بعضهم حيًّا في معاهد اوربا الى مطلع العصر الحديث تدرَّس مؤلفاتهم فيها بعد نقلها الى لغات الافرنج، ولا يزال اثرهم موضوع مباحث مستفيضة يقف عليها اقطاب العلماء في الشرق والغرب جل وقتهم وجهدهم

فمن هم مقدموهم إبداعاً وأثراً ؟ سواء منهم المسلمون والمسيحيون ، والفساطرة واليهود ، والفرس والعرب والمغاربة . فكل فيلسوف وكل عالم كتب باللغة العربية يجوز اختياره لهذا المسرح ، وطبعاً كل اديب ؟

والحكم يكون على إحسان الاختيار من جهة ، وإحسان اقامة الدليل على وجوب هذا الاختيار من جهة اخرى . فاختيار عشرة من الرجال وسرد تاريخهم لا يكفي بل يكون الاعتماد على تبين الميزة في الرجل المختار ، واثره في ناحية من نواحي ارتقاء الفكر العربي

وقد نشرنا في هذا العدد مقالاً لكاتب اميركي في «اعظم المفكرين في التاريخ» نحسبهُ نموذجاً صالحاً لما نقصد

شروط المباراة

١ — لا يتجاوز طول الرسالة ست عشرة صفحة من المقتطف

٢ — آخر موعد لقبول الرسائل يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٧

٣ — كل رسالة توقع باسم مستعار اوبرقم ويوضع الاسم الكامل مع العنوان داخل ظرف صغير مختوم . وادارة المقتطف تتعهد بان لا تفتح هذه الظروف الا بعد صدور الحكم وفي اجتماع لجنة المحكمين

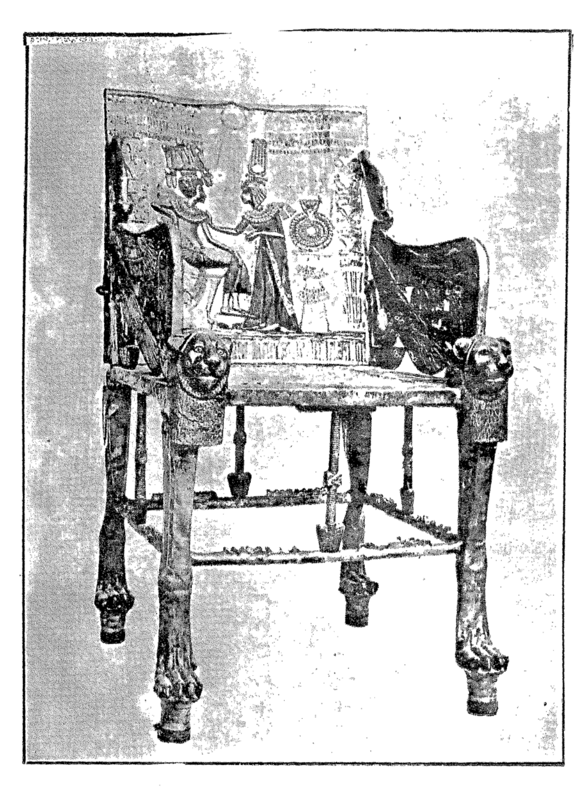
٤ — تعلن اسماء اعضاء اللجنة المعيّنة للحكم في المقتطف الصادر في اول نوفمبر سنة ١٩٣٧ وقرارها نهائي

٥ — يحق للمقتطف نشر الرسائل التي تدخل المسابقة اما على صفحاته وإما في كتاب على حدة

٦ — يستشار اصحاب الرسائل التي لا تفوز باحدى الجوائز من حيث رغبتهم في اظهار اسمائهم أو الاكتفاء باسماء مستعارة عند النشر

٧ — جميع الرسائل يجب ان تكتب واضحة بالحبر او بالآلة الكاتبة وعلى صفحة واحدة من الورق وان ترسل مسجلة باسم

فؤاد صرُّوف : رئيس تحرير المقتطف



عرش توت عنخ امون

[انظر مقالة « العرش في التاريخ » ص ١٠٥]

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الحادي والتسعين

١ يونيو سنة ١٩٣٧ — ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٥٦

قبل البردى ... بعد الحرير

نلبسهُ ونقيم في بيوت مصنوعة منهُ وندوّن انباءنا عليهِ وأدبنا كذلك . بل اننا نزدرده طعاماً ونستقلّهُ مطايا وندهن بهِ سياراتنا ونقذف بهِ قنابلنا ? فما هو ? ان الجواب عن هذا السؤال اسم مادة طالما احدثت وجوهاً من الانقلاب في شؤون الانسان خلال ارتقائهِ الطويل من الهمجية الى الحضارة. وهي مادة ليس ثمة ما يفوقها كثرة في عالم النبات بل ليس ثمة ما يفوقها اثراً وفائدة بين المواد التي استندت اليها الانسانية خلال ارتقائها . هي آناً قطن وآناً كتان ، آناً خشب وآناً ورق ، بل هي ايضاً حرير صناعي متين برّاق

ومع ذلك فان كلمة السلولوس ، وهي المادة الاساسية في القطن والكتان والخشب والورق والحرير الصناعي وغيرها ، ليست من الكلمات المألوفة ، ولكنها لا بدّ ان تذيع بين المثقفين لانها مادة اساسية في العمران . كانت كذلك في الماضي ، ولا بدّ ان يزداد شأنها في المستقبل ، لانها الآن عماد طائفة من الصناعات العظيمة

ولما كانت مادة السلولوس قوام كل نبات وشجر ، فالحصول عليها ميسور حيث يكون النبات ، وهي تتصف علاوة على ذلك بصفة النمو والتكاثر ، فلا يمكن ان تنفد ، ومن المعقول ان تميل الصناعات الحديثة الى الاعتماد عليها ما كان ذلك في وسعها

اما وهذا مبلغ انتشار السلولوس في الطبيعة ، فقد كان من الطبيعي ان يكون لهُ شأن عظيم في تاريخ البشر من فجر التاريخ الى عصرنا هذا

فالحضارة في عرف علماء الآثار والتاريخ بدأت حقيقة ، عندما اخترعت بعض الشعوب اساليب للكتابة من نحو عشرة آلاف سنة . ولكن الكتابة كانت على الصلصال المجفف والحجر ، لا على الورق بل ولا على البردي . ولكن لما صنع الانسان الورق ، اصبحت مادة السلولوس ، ناقلة للكلمات المكتوبة اولاً فالكلمات المطبوعة ثانياً ، فكانت من القوى التي وجّهت العمران ، لانها مكنت الناس من تدوين المعارف وحفظها ونشرها

وحوالي العهد الذي انتقلت فيه صناعة الورق الى اوربا ، شرع بعضهم يجرب استعمال السلولوس في وجوهٍ شتى كان لها اعظم تأثير في الحضارة . ففي القرن الثالث عشر وصف روجر بايكون « البارود الاسود » . فلما استعمل هذا البارود في البندقيات والمدافع في القرن الرابع عشر ، أتاح للعامة قوةً ، كانت من العوامل الاساسية ، في تغيير النظام الاجتماعي . واحدى المواد الاساسية في البارود الاسود ، مادة السلولوس المحروق ، حتى في عصرنا هذا يفضل صانعو البارود ، استعمال الفحم المصنوع من الصفصاف والشربين بالحرق

وقد أجمع المؤرخون الفلاسفة ، على ان البارود من ناحية ، والورق من ناحية أخرى ، كانا من عوامل المساواة في الحضارة الحديثة ، فالبارود أرغم امراء الاقطاعات في القرون الوسطى ، على منح العامة بعض الحقوق ، لان البارود في أيدي هؤلاء ، جعل المعاقل والحصون غير منيعة الجانب على الجموع المهاجمة . والورق رفع من شأن العامة الذهني بنشر ما ينطوي عليه من المعارف المدوّنة فيه . واذا كان استعمال الورق في تلك العصور قد اقتصر على التدوين ، فانه أصبح شائع الاستعمال في عصرنا حتى بتنا لا نستطيع ان نتصوّر حياتنا اليوم ، من دون ورق نقرأ فيه أنباءنا ونعلم به أبناءنا ونلف به أشياءنا . فقد نلف به حذاءً قديماً او ندوّن فيه رسالة تحدث انقلاباً . وقد نطويه على كتاب هيام وشكوى ، او اعلان حرية واستقلال . وقد يكون قطعة من الورق نشعل بها النار في الموقد ، او معاهدة نمزقها فنشعل بها نار حرب

عرف الورق في الصين بضعة قرون قبل التاريخ الميلادي ، ولكن استعماله لم يشع في أوربا الاّ في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر . وقد كان للعرب اكبر شأن في ذلك . فقد قيل ان الصينيين هاجموا العرب في سمرقند في اواسط القرن الثامن فردّ العرب أعداءهم على اعقابهم ولكنهم أسروا في من أسروا بعض الصينيين الذين يجيدون صناعة الورق فأخذوا عنهم سرّها . فانتشرت الوراقة في بلاد العرب اي انتشار ، يدل على ذلك المخطوطات العربية المحفوظة الى عهدنا هذا وأقدمها يرتدّ الى سنة ٨٦٦ ميلادية . ويلوح لبعض المؤرخين ان أساليب صناعة الورق اتصلت باليونان عن طريق الاتجار مع آسيا . ولكن العرب أنشأوا صناعته في إسبانيا في اواسط القرن الثاني عشر . ومنها انتشرت الى ايطاليا والمانيا وفرنسا فما انتصف القرن

الرابع عشر ، حتى كانت صناعة الورق قد رسخت في غرب اوربا وشاع استعمالهُ فحل محل الرقوق

ان انواع الورق المستعملة الآن لاتحصى ولكنها جميعها مصنوعة من سلولوس على درجات متفاوتة من النقاء . وكان الورق يصنع اولاً من القطن وخرق الكتان ولكن الخشب حل محلّها في القرن الاخير ، وذلك بعد استنباط الوسائل الكيميائية لفصل السلولوس عن سائر المواد الداخلة في تركيب الخشب . ففي سنة ١٩٣٢ استهلكت الولايات المتحدة الاميركية وحدها اربعة ملايين طن من رب الخشب المستخرجة من تسعة ملايين طن من الخشب

وليس ثمة ريب في ان استهلاك هذا القدر الكبير ، من مادة توجد في الطبيعة ، حملت البعض على التفكير في نفاد مصدرها الطبيعي . والرأي عند بعضهم ان الحكومات والشركات الكبيرة يجب ان تعنى بالتحريج ، وعند البعض الآخر بالامتناع عن قطع الاشجار لاستعمال خشبها الا اذا كانت فوق ارتفاع معين . وقد ثبت بالبحث والاحصاء انهُ اذا حقق الرأيان معاً امكن الاعتماد على كفاية الشجر لصناعة الورق اذا جعلت مدى الدورة بين الغرس والقطع عشرين سنةً

وهناك فريق ثالث يعتقد انهُ اذا عجزت اشجار المناطق المعتدلة عن كفاية ما تتطلبهُ صناعة الورق ، امكن الاعتماد على اشجار المناطق الاستوائية ، فالخيزران في الهند ، يستعمل لصناعة الورق الآن ، والتجارب تجرب في اصناف مختلفة من الاشجار الافريقية وينتظر ان يكون ما يستخرج من السلولوس من فدان منها في السنة مثل ما يستخرج في المناطق المعتدلة او اكثر قليلاً

***

ولما كان السلولوس قوام النبات اطلاقاً والحاجة اليه تتزايد ، بتنوع وجوه استعماله ، فقد اتجهت الانظار الى المحاصيل الزراعية المنوعة لاستخراج ما يمكن استخراجهُ منها من السلولوس . فقد اقترح بعضهم استعمال جذوع الذرة لصناعة الورق من نحو مائة سنة ، وحققت الاساليب الكيماوية لذلك من عهد غير قريب . ولكن حل المشكلة من الناحية الاقتصادية ، لم يتمّ الا في السنوات الاخيرة . ثم ان قصب السكر كان موضوع بحث وافٍ في هذا الصدد ، وقد صنعت من سلولوسه اصناف مختلفة من الورق

ومما يدلك على الثروة الكامنة في هذه النفايات الزراعية ، ان وزن جذوع الذرة مجردة من الورق والقوالح يبلغ في الولايات المتحدة كلّ سنة نحو ٣١ مليوناً من الاطنان ، ويمكن ان يستخرج منها ما يكفي لصنع مقدارٍ من الورق والواح الورق وزنهُ ٩ ملايين من الاطنان ، وهو اكثر قليلاً مما استعمل من الورق والواح الورق في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٢

فمقدار السلولوس الذي يمكن استخراجهُ من جذوع الذرة وقصب السكر كبير جدًّا ، واذا فرضنا ان استخراج السلولوس منها حُل على اوفى وجه من الناحيتين العلمية والاقتصادية ،

فالمصلحة المالية تقتضي ان تستنبط ابواب لاستعمال هذا السلولوس ، حتى يصبح جمع جذوع الذرة وقصب السكر عملاً مجدياً

وقد كان للسلولوس شأن كبير في وسائل الانتقال من اقدم العصور . ان الزوارق الاولى التي صنعها الانسان ، صنعها من جذوع الاشجار ، وكذلك مجاذيفها . ثم ان المراكب الشراعية صنعت ولا تزال تصنع من الخشب ، ولم يعدل عنه الى المعدن الا حديثاً في بعض المراكب الخاصة بالسباق ، حتى سفن البحار الفخمة ، لا تستغني عن السلولوس ، في قدد من الخشب تغطى بهِ ظهورها ، وفي ما تحتاج اليهِ من ملاءات ومناشف واغطية للموائد وعشرات من الاغراض الاخرى

ولا تقل وسائل الانتقال والنقل في البر حاجة الى السلولوس عن وسائل الانتقال في البحر . فالعربات الاولى صنعت من الخشب ولا يزال جانب كبير من القطارات الحديثة يصنع منهُ . مع انها في بعض البلدان تصنع من الصلب على الاكثر . بل ان الخطوط التي تسير عليها القطارات كانت خشباً من نحو مائة سنة في بعض البلدان . اما السيارات فقلما يدخل الخشب في صنعها ، ولكن اطارات عجلاتها لا تستغني عن السلولوس ، فيستعمل فيها قطناً طويل الشعرة

ومن غريب امر الانسان انهُ وقد اعتمد على السلولوس في اشكاله المتباينة من الوف السنين ظل يستعملهُ كما يجده في الطبيعة ، من دون ان يعمد الى صنع مواد جديدة منهُ الا في العهد الاخير ، اذا استثنينا فحم الخشب والورق . ولكن ارتقاء الصناعات الكيمياوية كان كفيلاً بتوجيه العناية الى استنباط مواد جديدة من السلولوس . الا ان تقدمه في هذا الميدان كان بطيئاً والغالب ان ذلك يرتدُّ لعجز الانسان عن معرفة تركيبه معرفة دقيقة . ومع ما كشفهُ العلماء من الحقائق عن تركيب جزيء السلولوس ووزنهِ وترتيب الذرات فيهِ ، لا يزال الموضوع في حاجة كبيرة الى الايضاح

كانت المادة الاولى المصنوعة من السلولوس التي فازت بشأن كبير في العالم الحديث مادة النترات . فانك اذا اخذت سلولوساً نقيًّا وعالجتهُ بمزيج من الحمض النتريك، والحمض الكبريتيك، تولدت مركبات جديدة . فما كان منها محتوياً على ١١ في المائة من النتروجين يستعمل لصنع المعجونات الملتهبة (بيروكسيلين : هذا هو اسمها العلمي وهو مركب من لفظين معناها نار وخشب) كالسلولويد الذي تصنع منهُ شرائط الصور المتحركة . وما كان منها محتوياً على ١٢ في المائة من النتروجين يستعمل لصنع الادهان الزجاجية اللامعة (الورنيش) التي تدهن بها السيارات والجلود وغيرها . وما كان منها محتوياً على اكثر من ١٢ في المائة من النتروجين يستعمل لصنع البارود الذي لا دخان لهُ . وغني عن البيان ما لهذه المواد جميعاً من الشأن في الحضارة

ومما تستعمل لهُ المعجونات الملتهبة التي تصنع منها شرائط الصور المتحركة ، الزجاج الذي لا يتشظى وهو من حسنات الصناعة الحديثة التي نفحت بهِ صناعة السيارات خاصةً . فاذا أُخذ لوحان من الزجاج ولصقا معاً بطبقة من هذا المعجون ، امكن استعمالهُ لصنع واجهات الزجاج التي توضع في السيارات امام السائق فاذا حدث اصطدام تشقق هذا الزجاج ولكنهُ لا يتشظى ولا تتطاير كسره ، وليس ثمة ريب في ان هذا يحول دون اصابات كثيرة في حوادث السيارات منشؤها الشظايا المتطايرة . ثم ان بعضهم صنع زجاجاً من هذا القبيل لايخترقه رصاص البندقيات ، بوضع لوح زجاجي كثافتهُ ثلاثة ارباع البوصة في الوسط ، ثم اصق اربعة الواح بهِ ، لوحين من كل جانب بواسطة طبقات من هذه المعجونات . ومن اهم وجوه استعمالهِ الآن السيارات المصفحة وواجهات الصرّافين في البنوك

وللسلولوس خواص غريبة ومتناقضة احياناً . فقد استعمل قديماً في بناء الدور والأكواخ لما يتصف بهِ من قدرة على مقاومة تقلب الجوّ . ولكنهُ يتحد بالاكسجين وينحلّ اذا ارتفعت حرارته الى ما دون حرارة الغليان قليلاً . ثم انهُ يستعمل قطناً في نسج الملابس لانهُ يقاوم عملية الغسيل وفعل بعض المواد الكيمياوية ، ولكن اذا غلي في الماء المقطر ساعتين ثم جفف تغيرت خواصهُ الكيمياوية ولذلك نشأت صناعات جديدة اساسها هذه الخواص الكيمياوية المتغيرة في السلولوس . فانك اذا اخذت خيطاً من القطن وعالجتهُ بمحلول من الصودا الكاوية (١٨ في المائة) في مكان بارد ثم جففتهُ وهو مشدود اصبح لامعاً فيستعمل في نسج الاقطان الحريرية المظهر المعروفة باسم القطن « المصقول »

واذا عولج الورق بالحمض الكبريتيك (٧٠ في المائة) ثم غسل الحمض اصبح الورق شبيهاً بالرق ويعرف باسم «الرق النباتي». ولما كان الماء يبلهُ ولا يبليه اصبح يستعمل بدلاً من المناشف في تجفيف الاطباق المغسولة . فاذا عولجت اصناف خاصة من الورق بالطريقة المتقدمة امكن استعمال الرق لعزل الادوات الكهربائية . واذا عولج بمحلولات مركّزة من كلوريد الزنك اصبح شبيهاً بالالياف المعالجة بالمطاط المقسّى

***

ولا يخفى ان السلولوس استعمل من قديم الزمان ، قطناً وكتاناً ، لنسج الملابس . وفي دار الآثار المصرية بالقاهرة بقايا من نسيج كتاني دقيق يرتدّ الى اقدم العصور. ولكن الحرير كان مفضلاً على الكتان لنعومة ملمسه ولمعانه ، فأقبل عليه النبلاء وخصّوهُ بإيثارهم

وكأن الانسان ناجى نفسهُ فقال ان السلولوس تأكلهُ الغنم فتحولهُ صوفاً ، وتأكل دودة الحرير سلولوس التوت فتحولهُ حريراً ، فلماذا لااسعى، وللحرير ما لهُ من المقام، الى كشف سر الدودة

ومع ان الانسان لم يكشف سر الدودة بعد الا ان العلماء توصلوا بعد بحث طويل الى صنع ألياف دقيقة من السلولوس تماثل الحرير في منظره وملمسه

كان غرض الباحثين الاول في هذا الميدان ان يصنعوا الحرير الطبيعي بأساليب صناعية. بل قيل ان اطلاق اسم « الحرير الصناعي » على هذه المادة الجديدة المصنوعة من السلولوس بالوسائل الكيمياوية، انما كان بقصد التمييز بين حريرين احدهما تصنعهُ الطبيعة والآخر يصنعهُ الانسان . ولكن من المعروف الآن ان اصناف الريون Rayon (وهو اسم «الحرير الصناعي») لا تشبه الحرير شبهاً ما من الناحية الكيمياوية . و« الريون » اربعة اصناف منها ثلاثة سلولوس اصيل وهي متشابهة مع ان اساليب صنعها من السلولوس متباينة . ولكن الصنف الرابع وهو أحدثها مركب كيمياوي من السلولوس والحمض الخليك ويعرف باسم « خلات السلولوس » وهو يختلف في خواصهِ عن السلولوس وعن اصناف الريون الاخرى

وتقسم الاساليب التي يعتمد عليها في صناعة «الحرير الصناعي» طائفتين ، وأساس الاختلاف بينهما ان الخيط في الواحدة سلولوس عولج معالجة كيمياوية خاصة ، والخيط في الثانية مركب من مركبات السلولوس كخلات السلولوس

وللطائفتين قواعد معينة مشتركة خلاصتها تحويل السلولوس الى محلول ، ثم دفع ذلك المحلول في ثقوب دقيقة الى وسط تتجمد فيهِ . وقد يكون هذا الوسط غازيًّا او سائلاً وذلك يختلف باختلاف المادة التي حلّ فيها السلولوس

ففي العهد الاول من صناعة «الحرير الصناعي» كان يحوّل السلولوس الى نترات السلولوس ثم يحل هذا المركب في مزيج الكحول والايثر ثم يصفى ويدفع في الثقوب الدقيقة الى حجرة فيها هواء حار فيتجمد الخيط فيها بتبخير المادتين التي استعملتا لحلّ النترات . وتستردُّ هاتان المادتان لتستعملا ثانية . اما الخيط فيعالج بطريقة خاصة لنقص قابليتهِ للالتهاب . ولكن هذه الطريقة لا تستعمل الآن الا في مصنع واحد في الولايات المتحدة الاميركية. فاذا حل السلولوس في مركب من النحاس والنشادر جمّد الخيط في محلول حامض او محلول قلوي

ولكن الاسلوب المستعمل في ٨٠ في المائة من مصانع « الحرير الصناعي » يقوم على معالجة السلولوس النقي بالصودا الكاوية ثم بعد فترة معينة يعالج بثاني سلفور الكربون فيتحول الى مركب سلولوسي يمكن حلّهُ في الحمض الكبريتيك المخفّف

في هذه الاساليب الثلاثة نجد ان المادة المعالجة هي السلولوس نفسهُ . ولكن الاسلوب الصناعي الجديد الآخذ في الانتشار الآن قوامهُ تحويل السلولوس الى خلاّت السلولوس ، والخيط الناتج عن هذه العملية هو خلاّت السلولوس نفسها وليس بسلولوس صرفٍ . ومن مميزات

هذه الطريقة ان الخيط بعد تجميده لا يحتاج الى معالجة جديدة باي مركب كيمياوي ، بل يكون جاهزاً لعملية « الفتل » التي تسبق الاستعمال

لما ظهر الحرير الصناعي في السوق اولاً كان خشن الملمس ولكن اتقان الاساليب الصناعية زاد الخيط متانة ونعومة ونقص ثخانتهُ . ومن اغرب ما ظهر في صناعة الحرير الصناعي زيادة الطلب على نقص لمعانهِ مع ان الاقبال عليهِ اولاً كان باعث هذا اللمعان . واغرب من ذلك انهُ لما ظهر الحرير الصناعي في السوق أُلفت لجنة في الولايات المتحدة الاميركية لدراستهِ فكتبت في بيانها انها لا تتوقع لهُ نجاحاً . ومع ذلك فقد استهلكت الولايات المتحدة الاميركية من «الريون» (الحرير الصناعي) مقداراً يفوق ستين في المائة مقدار ما استهلكتهُ من الحرير الطبيعي وقد زاد مقدار المصنوع منهُ في خلال ١٨ سنة (١٩١٠ — ١٩٢٨) من ١٠ ملايين رطل الى ١٠٠ مليون رطل وبلغ هذا المقدار ١٤٢ مليون رطل سنة ١٩٣١

ولا يخفى ان من حسنات الحرير الصناعي امكان نسجهِ مع القطن او الصوف فتصنع كذلك منسوجات منوعة غاية في المتانة والجمال . وقد صنع من عهد قريب نوع من الريون ينافس الحرير مظهراً ومتانةً حتى عند ما يكون الخيط مبلولاً ولكن استعماله لم يشع بعد لاسباب صناعية

***

وكما استعمل السلولوس قديماً في وسائل المواصلات استعمل حديثاً في احدث هذه الوسائل. ففي الطيارات الاولى كانت هياكل الطيارات ومراوحها Propellors تصنع من الخشب والاجنحة تغطّى بنسيج من القطن او الكتان يدهن بنترات السلولوس او بخلاته حتى يصبح مشدوداً ومهما يكن من مستقبل الطيارات المصنوعة من المعدن فان السلولوس كان ولا ريب ذا شأن في ارتقائها حتى الآن

وقد صنع من السلولوس ورق صفيق مقوّى تصنع منهُ علبٌ تستعمل في التجارة ، وورق رقيق شفاف يدعى « السلوفان » . وصناعة هذا الورق الاخير من الناحية الكيميائية لا تختلف عن صناعة الحرير الصناعي ولكن بدلاً من ان يدفع المحلول السلولوسي في ثقوب يدفع في شق ضيق جدًّا فيتحول ورقاً بدلاً من ان يتحول خيطاً

وقد استغني في صناعة الاحذية عن المسامير والخيط في صنع « الكعب » وخصف النعال باستعمال مادة سلولوسية شديدة اللصق فاذا بسطت بين « النعل » واسفل الحذاء التصقا في ٥٠ ثانية فيصبحان وكأنهما قطعة واحدة والآلة التي تستخدم لهذا الغرض تمكن العامل البارع من انجاز ١٥٨٠ حذاء في ثماني ساعات وربع ساعة من العمل

هذا والعلم لا يزال على عتبة عصر السلولوس :

العشرة المقدمون

في تاريخ الفكر الانساني

للكاتب ول دورانت

مؤلف «قصة الفلسفة» و «صروح الفلسفة»

أذعنا في مقتطف مايو الماضي نبأ الجائزة المالية التي جادت بها اريحية صاحب السعادة اسعد باسيلي باشا احتفاء بذكرى الدكتور يعقوب صروف العاشرة . واقترحنا على الكتّاب موضوعاً هو : «العشرة المقدمون في تاريخ الفكر العربي» . اقترحناه ونحن نعلم ان البحث في سيرة كل من هؤلاء الذين يقع عليهم الاختيار ، وتحليل اثره الباقي ، يقتضي مجلداً او اكثر ، ولكننا اقترحناه ونحن نعلم كذلك أن المتغلغل في تاريخ الفكر العربي ، المتعمق في فهم تياراته القوية ، يستطيع ان يستشرفها فيلم بمن يحسبهم اعلامها وبما ابدعوا وخلفوا من اثر وكيف وجهوا معاصريهم ومن اتى بعدهم في صفحات معدودات . ووعدنا ان ننشر في مقتطف يونيو مقالاً للكاتب الفلسفي الاميركي ول دورانت ، نحسبهُ نموذجاً صالحاً لما نقصده مع انهُ قصر اختياره على الفلاسفة والعلماء ونحن اضفنا اليهم رجال الادب . ولكنهُ حصر ميدان البحث في اصحاب الاثر الباقي منهم ناظراً الى ما استحدثوه من الآراء والمذاهب وما مدى تأثيرها في عصرها والعصور التي تلتها ، وهل كانت مبتكرة او منقولة ، وشاملة او منحصرة في فرع واحد من فروع الفكر ، وعويصة نفذ بها صاحبها الى جواهر الاشياء او سطحية رقراقة لم تمس الا سطحها

ومقال المستر دورانت ردٌّ على سؤال وجه اليه من قبل مجلة اميركية نصهُ : « من هم اعظم عشرة مفكرين في التاريخ » . قال بعد التوطئة : — « المحرر »

كنفوشيوس

اري القارىء يهم بالاعتراض قائلاً — كيف نختار كنفوشيوس ونغفل المسيح او بوذا ؟ ان السبب في ذلك ان كنفوشيوس كان فيلسوفاً ادبيًّا لا واعظاً يدعو الناس الى عقيدة دينية جديدة . وان دعوتهُ الناس الى الاخذ باسباب الحياة النبيلة كانت مبنية على بواعث زمنية لا على اعتبارات فوق الطبيعة . انهُ اقرب من المسيح الى سقراط وفلسفتهِ . ولد سنة ٥٥٢ قبل المسيح في عصر حلَّت فيهِ الفوضى في الصين محل مجدها القديم فتمزقت تلك البلاد دويلات دويلات يسودها النزاع والحرب فاخذ على عاتقهِ ان يعيد اليها النظام والوئام . وهاك فقرة من كتاباتهِ توضح لك آراءَهُ قال :

« ان الاقدمين الامجاد كانوا اذا ارادوا ان يوضحوا الفضائل السامية وينشروها في الناس ينظمون احوال ممالكهم . وقبل ان ينظموا احوال ممالكهم كانوا ينظمون احوال اسرهم . وقبل ان ينظموا احوال اسرهم كانوا يهذبون اخلاقهم . وقبل ان يهذبوا اخلاقهم كانوا ينقوا نفوسهم وقبل ان ينقوا نفوسهم كانوا يحاولون ان يكونوا صادقين ومخلصين في افكارهم وقبلما كانوا يحاولون ان يكونوا صادقين ومخلصين في افكارهم كانوا يوسعون معارفهم . وتوسيع المعرفة كان يجيء عن طريق البحث والمشاهدة . شاهدوا الاشياء فاكتملت معارفهم وحين اكتملت معارفهم خلصت افكارهم وحين خلصت افكارهم تهذبت اخلاقهم وحين تهذبت اخلاقهم تنقّت نفوسهم وانتظمت اسرهم . وحين انتظمت اسرهم انتظمت دولهم ، وحين انتظمت دولهم اصبحت الارض كلها تمرح في السعادة والوئام »

هذه فلسفة ادبية سياسية صحيحة في بضعة اسطر . نعم انها فلسفة محافظة ، تعلي كثيراً من شأن العادات الاجتماعية وتستخف بالدمقراطية ولكنها رغماً عما فيها من اقوال شبيهة بمبادىء المسيحية ، نراها اقرب الى فلسفة الرواقيين منها الى المعتقدات المسيحية . ويقال ان تلميذاً وجه سؤالاً الى كنفوشيوس قال فيهِ « انجازي الشر بالخير » فقال « كيف نجازي اللطف اذاً ؟ جازِ الخير بالخير ، وجازِ الشرّ بالعدل » . ولم يكن يعتقد ان الناس متساوون وان الذكاء هبة عامة لجميع الناس بل كان يعتقد ان اكبر حظ يصيبهُ شعب من الشعوب هو اقصاء الجهّال عن المناصب العالية واحلال الحكماء محلهم . فاختارتهُ مدينة كبيرة من مدن الصين تدعى شنغ تو حاكماً عليها « فحدث اصلاح عجيب على اثر توليتهِ ، في عادات الشعب واخلاقهِ . فوضع حدًّا للجرائم ولم يجرؤ الخبث والخداع ان يرفعا رأسهما واصبحت الامانة وحسن النية من مميزات الرجال ، والعفة واللطف من صفات النساء » . اني لا اكاد اصدق ما يقال انهُ حدث لبعدهِ عن طبائع الناس والراجح انهُ لم يدم زمناً طويلاً . ولكن اتباع كنفوشيوس ادركوا عظمة معلمهم حتى في حياتهِ

فدفنوه في احتفال مهوب وبنى جمهور كبير منهم اكواخاً قرب قبره واقاموا فيها ينوحون على فقده ثلاث سنوات وبقي احدهم واسمهُ تسي كنغ بعد ذلك ثلاث سنوات اخرى

نجيل الطرف في الحضارات المتعددة التي نشأت ودالت بعد زمن كنفوشيوس فلا نجد في احداها رجلاً ينهض بفكرهِ فوق بقية الرجال كما ينهض الجبل فوق الآكام التي حولهُ ، اننا لا نجد رجلاً نسمع في صوتهِ صوت الشعب الذي ينتمي اليهِ ، ولا في تعليمهِ ما اصلح حالهم او احدث فيهم انقلاباً ما . نحن نطوي الهند والعراق والشام وآسيا الصغرى ، فنقع فيها على بعض المشترعين الدينيين ، ولكننا لا نقع على عالِم عالمي ولا على فيلسوف عالمي . ثم نستعرض الدول المصرية فينبؤنا التاريخ عن مئات من الفراعنة وآثار خالدة من الفن ، ولكننا لا نجد اسم رجل جمع في عقله حكمة الماضي وطبع شعبهُ بطابعهِ الفكري الخاص . فنصرف النظر عن كل هؤلاءِ الشعوب ونتجهُ الى بلاد اليونان في عصرها الذهبي — عصر بركليس

افلاطون

اتصوَّر القارئ يهمُّ بالاعتراض ثانية ولسان حالهِ يقول كيف نختار افلاطون ونصرف النظر عن معلمهِ سقراط اب الفلسفة واعظم شهدائها . عسى ان لا يضطرب القارئ اذا قلت لهُ ان نصف ما يذكر عن سقراط حديث خرافة . فقد اثبت المسيو دوبريل احد كتاب فرنسا في كتاب دعاهُ «الخرافة السقراطية» ان سقراط من طبقة اخلس وأُديبوس ورومولس وغيرهم من الاشخاص الذين تحجب حقيقتهم الخرافات والاساطير . ولا ريب في ان جانباً كبيراً من شهرة سقراط عائد الى ذكاءِ تلميذه افلاطون وألمعيتهِ . ولا نعلم ما في كتابات افلاطون من آراء سقراط حقيقة وما فيها مما ابتكره افلاطون نفسه فليكن اسم افلاطون رمزاً لكليهما

من يداخلهُ اقل ريبة في اثر افلاطون . انظر الى الاكادمية التي انشأها ، اولى الجامعات في التاريخ واطولها عمراً . انظر الى الاهتمام العام بفلسفتهِ ، والتجديد الذي تمَّ غير مرَّة فيها كما ظهر اولاً في اصحاب الفلسفة الافلاطونية الجديدة في الاسكندرية ثم في اتباع افلاطون بكمبردج . انظر الى المقام الذي احرزه افلاطون في حضارة القرون الوسطى وما لفكره من الاثر في المباحث اللاهوتية الحديثة . واذكر ان مائة الف تلميذ او اكثر في جميع انحاء العالم المتمدن مكبون اليوم على «جمهوريتهِ» «ومحاوراته» يتلقون منها الحكمة . هذا هو خلود النفس يتلاشى امامهُ فناءُ الجسد . ان «محاوراته» لمن أثمن الآثار التي يقتنيها البشر ففيها اتخذت الفلسفة اولاً شكلاً معيناً ولما افاض عليها افلاطون من عواطف شبابه الزاخرة المتنوعة وصل بها الى قمة عليا من كمال الابداع

اذا شئت ان تصغي الى حديث سامٍ عن الحب والصداقة والبحث عن الجمال فاقرأ ليسس

وكارميدس وفيدرس . واذا شئت ان تعرف ما يناجي نفساً شريفة مما يتعلق بالحياة الاخرى فاقرأ «فيدو» . ان صفحاتها الاخيرة لمن اعلى القمم التي بلغها النثر في كل عصور التاريخ . واذا كانت تلذ لك مشاغل العقل واسرار المعرفة فاقرأ بارمنيدس وثيتيتس . واذا كانت تلذ لك كل المباحث على اختلافها بوجه عام فاقرأ « الجمهورية » ففيها تجد مباحث في ما وراء الطبيعة والآداب وفلسفة النفس واللاهوت والسياسة والفن . فيها تجد المبادىء التي تنشدها طالبات التحرّر من النساء ، وفيها تجد القواعد التي يدعو اليها علماء الحياة اليوم لتحديد النسل . فيها تقع على مبادىء الاشتراكية واليوجنية والارستقراطية والدمقراطية والتحليل النفسي والمذهب القائل بان الحياة مظهر من مظاهر التفاعل الكيماوي . فلا عجب ان يقول امرسن في هذا الكتاب « احرقوا كل الكتب ففي هذا الكتاب غنى عنها »

ارسطوطاليس

لا شك في ان جميع الباحثين يجمعون على اختيار ارسطوطاليس وضمه الى المجلس الذي نؤلفهُ من اعظم المفكرين . فأبناء القرون الوسطى دعوه « بالفيلسوف » (ودعاه العرب بالمعلم الاول) يريدون بهذه التسمية انهُ جمع في شخصه وفكره اسمى ما بلغتهُ الفلسفة من الغايات . على اننا لا نرى انفسنا مسوقين الى اختياره بدافع الاعجاب الذي يسوقنا الى اختيار افلاطون . لاننا حين نقبل على كتب ارسطوطاليس نحس بجفاف ما فيها من حقائق مجردة يمليها عقل خاضع لقوانين البحث المنطقي . ولكن يجب ألاّ نحكم عليه من مطالعة كتبه لانهُ قد ثبت ان معظمها كان خلاصات دوّنها هو او دونها تلاميذهُ لتذكر الخطب التي كان يلقيها عليهم ، وعليه فليس من الانصاف ان نقابل هذه الكتب بمحاورات افلاطون التي كانت ولا تزال اقوى ما يدفع الناس الى الاعجاب به اعجاباً يقرب من الحب

فاذا صرفنا النظر عما تقدم وجدنا ان عقل ارسطوطاليس كان من اعجب العقول في تاريخ الفكر مضاء سواء أنظرنا اليه من حيث سعة المباحث التي اشتغل بها ام من حيث تعمقهُ في كل منها . انهُ يطوّق الكرة بفكره فيبحث في كل موضوع من موضوعات العلم والفلسفة فيزيدهُ وضوحاً ويرى لكل مشكلة من مشكلاتها حلاً وتعليلاً معقولاً فكانهُ بث العيون والارصاد تجمع لهُ شتيت الحقائق والمعارف ثم تناولها بعقله فوحد بينها . انك تجد في كتبه التعاريف والالفاظ الفلسفية التي لا تزال تستعمل الى الآن . كذلك تقع فيها على حكمة تكاد تكون كاملة تشمل الحياة بأسرها . لقد كان ينشىء علوماً جديدة بسهولة تامة ففي مؤلفاته نقع على اول ذكر لعلم الحياة وعلم الاجنة والمنطق . لم يكن اول من فكر في هذه الموضوعات ولكنهُ كان اول من فكر فيها مقيداً تفكيرهُ بالملاحظة والبحث والاستقراء والامتحان واستنتاج النتائج من مقدماتها .

فاذا صرفنا النظر عن علم الهيئة وعلوم الطب فتاريخ العلم يبدأ من مباحث هذا الفيلسوف العظيم. ما من فيلسوف او عالم آخر كان لهُ من الاثر الواسع النطاق كآثار ارسطوطاليس الا كنفوشيوس. ان جميع دارسي التاريخ يعرفون ان علماء مدرسة الاسكندرية والباحثين في رومية في عهد الامبراطورية اتخذوا مؤلفات ارسطوطاليس قاعدة لمباحثهم العلمية وان فلسفتهُ التي نقلها العرب الى اوربا اصبحت القاعدة التي بنيت عليها الفلسفة المدرسية في عصور النهضة وان دانتي وضعهُ في المقام الاول بين رجال المعرفة فدعاه « معلم المعلمين » وان المعلمين البزنطيين بعد ما افتتح الاتراك القسطنطينية عنوة هجروا شرق اوربا الى اواسطها وغربها فنقلوا معهم بزور فلسفتهِ فكانت من اكبر العوامل في النهضة الاوربية بعد القرون المظلمة . وبقي ارسطوطاليس مسيطراً على سير الفكر البشري نحو الف سنة لم تنقض الا امام البحث العلمي الذي قال بهِ روجر باكون والفلسفة التي ابتكرها فرنسس باكون

***

تمرّ بنا اليونان ونستقبل رومية فنسأل من هم اعظم المفكرين فيها . ان لقريطيوس اولهم واعلاهم كعباً . على ان فلسفتهُ لم تكن من مبتكراتهِ ، بل اسندها بكل صراحة الى ابيقوروس، ولم يكن اثره الا اثراً متفرقاً . وعليهِ فلا نستطيع ان نختاره ليدخل مجمعنا . واما سنكا وابكتيتوس واوريليوس فلم يكونوا سوى اصداء تردد اقوال بعض فلاسفة اليونان كزينون وغيره يطبقونها على احوال رومية المتضعضعة . كانت الحضارة الرومانية في اواخر ايامها حين كتب هؤلاء الكتاب، قد هانت بعد العز، ودالت بعد القوة وحل الارقاء محل الاحرار وخضعت المدن العامرة القديمة لفرائض الجزية والطاعة . وانقسمت الطبقات السائدة طرائق طرائق ، واذا الحضارة القديمة قد دكت الى الحضيض وباتت الاطلال تنعى من بناها

ثم ما لبثت ان قامت الكنيسة المسيحية فوق الاطلال تجمع الاحزاب وتزيل الضغائن بفعل الكتب المقدسة . زال الامبراطرة وبقي البابوات . ورجعت كتائب الجيوش من ساحات الحروب وانطلقت مكانها فرق الرهبان ، جيوش المعتقد الجديد تنشيء نظاماً جديداً يستطيع الفكر ان يشمو فيهِ ويعيش . ما اطول ذلك العهد الذي اخذ العقل الاوربي فيهِ يتلمس طريقه الى النور

واتسعت المتاجر ، واصبحت القرى الصغيرة مدناً كبيرة ، والمدارس جامعات فتمكن بعض الافراد ان يتحرروا من مطالب الحياة الشديدة لينعموا في ظلال التفكير والدرس والبحث فهز ابلار نصف قارة اوربا ببلاغتهِ وادمج بوناڤنتوري وأنْسلم خلاصة الافكار الشائعة في فلسفة لاهوتية مجيدة ولما انقضى زمن الاستعداد انجبت اوربا ارسطوطاليساً آخر في شخص هو :

توما الاكويني

رجل كان يهتم بشتى مظاهر الكون والحياة ووصل باسلاك دقيقة من الفكر بين ضفتي الهوة القائمة بين العلم والاعتقاد . جمع معارف عصره وفسرها ووحدها ثم سددها الى مسائل الحياة والموت وعليهِ فيجب ان نختاره وان كان بعضنا لا يرتاح الى ذلك

ان قلبي لينفطر اذ أُجبر على اختيار توماس الاكويني ليشغل بين أعظم المفكرين محلاً كنت اود ان اشاهد فيهِ سبينوزا او ليوناردو دافنشي ، ولكن جرياً على الخطة التي رسمتها وهي التجرُّد عن الهوى في اختيار من نختار ، يجب ان نخضع اهواءنا لعقولنا . ان تفوق توما الاكويني في قرن حافل بالعظائم واثرهُ البعيد المدى في ملايين من الناس ، وآراءهُ التي لا تزال في عرف كثيرين اقوى دعامة من مبادىء العلوم الحديثة ، وفلسفتهُ التي لا تزال الركن الذي يقوم عليهِ اعظم مذهب مسيحي ، كل ذلك يحكم علينا باختياره

وفي القرن الخامس عشر ارتفع صوت من بولونيا يقول ان الارض وهي موطىء قدمي الله في عرف الاقدمين ليست سوى سيار صغير يدور حول شمس صغيرة . قول لا يثير فينا الآن دهشة ولا استغراباً لاننا تعلمناه في مدارسنا ونقرأهُ في الكتب والصحف ، ولكنهُ كان كفراً والحاداً في عصر كانت فلسفة ابنائهِ تقوم على قرب الناس من السماء لانهُ جاء ضربة قوية حطمت السلم الذي يصل بين البشر والملائكة

كوبرنيكس

ان كتاب « كوبرنيكس » الذي عنوانهُ « دوران الاجرام السموية » احدث ثورة فكرية بعيدة المدى . لما جلس يراقب الكواكب اللامعة الاخاذة لم يكن يدور في خلده ما قد يكون لقولهِ من الاثر في المعتقدات ، لانهُ كان قد اخذ بالبحث عن الحقيقة والحقيقة في عرفهِ تحرر الناس ، فقلب بسحر معارفهِ الرياضية رأيهم في الكون فبعد ما كانوا يعتقدون ان الكون وما فيهِ يدور حول الارض والانسان اضحوا يرون ان الكون نجوم وعوالم منتثرة في هذا الفضاء غير المحدود

لا نعلم مبلغ تقصي كوبرنيكس من العلوم الرياضية والفلكية على اننا نقيس مكانتهُ باثرهِ الذي لا يقاس . فبهِ بدأ العقل يثور على الخرافات والاقوال التي تقبل بالتسليم ومن ثم مضى في ثورتهِ عصراً بعد عصر ، يكشف حقائق الطبيعة ويسيطر على عناصرها حتى بلغ ما بلغهُ الآن

فالثورة التي اثارها كوبرنيكس اثبتت ان الفكر البشري بلغ اشده حينئذٍ ومنها سار في معارج النضوج والاكتمال

بلغ الفكر البشري اشدهُ في عصر كوبرنيكس ومن ثم اخذ يتقدم بخطوات ثابتة في كشف اسرار الطبيعة والسيطرة على عناصرها . فكان العصر الذي تلا عهد كوبرنيكس حافلاً برواد الفكر الشجعان الذين لم يقعدهم خوف او انتقاد عن الخوض في مختلف المباحث

من نختار ممثلاً لهذا العصر — عصر الاختمار ؟ انختار ليوناردو دافنشي المصوّر الموسيقي النحات البناء المستنبط المهندس الفيلسوف العالم بالتشريح والفسيولوجيا والطبيعيات والكيميا والجيولوجيا والزوولوجيا والنبات والجغرافيا والرياضيات؟ كلاّ ان التعريف الذي اطلقناهُ على رجال الفكر لا يشملهُ لانهُ كان رجل فنٍّ اكثر منهُ مفكراً او عالماً واثرهُ الباقي في الناس هو اثرهُ الفنيّ فاذا ذكرناهُ الآن نذكر صورتيهِ « الجيوكوندا » « والعشاء الاخير » لا رأيهُ في الآثار المتحجرة او دورة الدم

فرنسيس باكون

أنختار جيوردانو برونو صاحب النفس الباحثة وراء الغيوم عن الوحدة الالهية غير راضية عن المذاهب والطوائف واختلاف المعتقدات ؟ كلاَّ لاننا نجد في هذا العصر رجلاً اوسع فكراً وأبعد اثراً من برونو الذي أحرق في سبيل الفلسفة . نجد رجلاً دعا جميع الباحثين عن الحقيقة الى الترابط والتعاون في خدمة العلم واثبت ان الغاية من الفكر ليست المناقشة المدرسية والتكهن بالغيب بل الغاية منهُ السيطرة على الطبيعة سيطرة تمكن الانسان من القبض على ناصية الاحوال الطبيعية التي يعيش فيها . انهُ رجل بلغ من سعة نظره ان رسم خريطة لمجاهل العلم ودل الباحثين الى اصول العلوم التي انشأوها بعدُ ودربهم على كشف حقائقها وترتيب اصولها . هو الرجل الذي نفخ روح الحياة في الجمعية الملكية الانكليزية وجماعة الانسكلوبيذيين الفرنسيين وعلَّم الناس أن المعرفة للقوة والسيطرة . لا للتأمل والتخيل . هو الرجل الذي قضى على منطق ارسطو طاليس واقام الملاحظة والامتحان اساساً للفكر واتصف بكل الصفات التي يمتاز بها الفكر الحديث — هذا هو فرنسيس باكون

وحديث التقدم الفكري منذ ايام باكون الى الآن هو حديث الفلسفة الباكونية والاساليب الباكونية وانتصارها على الفلسفة والاساليب القديمة

***

ما اكثر الروّاد على هذه الطريق . ففي يدي ديكارت يتصارع النظام القديم مع النظام الجديد من غير ان يتم الفوز الاكمل للجديد . وفي عقل ليبنتز نشاهد ما للتقاليد القديمة المرعية الجانب من قوة ونفوذ لانها تحول الرياضي الممتاز الى لاهوتي متردد . وفي صوت عمانوئيل كانت

نسمع صوت المعتقدات القديمة يرتفع وسط اهازيج الريبة والشك التي اثارتها المباحث الجديدة والآراء الجديدة

على ان سبينوزا وفق توفيقاً غريباً في الجمع بين هذين المذهبين المذهب العلمي والمذهب اللاهوتي في النظر الى الطبيعة والكون . ومن هو سبينوزا ؟ رجل جعل التأمل في الله والطبيعة والحياة عمله . فسار به عقله المتفوق اشواطاً بعيدة في كشف الكثير من اسرارها . انظره يصنع بلوراته ، او يدوّن آراءه في ما وراء الطبيعة او يدرس الهندسة والميكانيكيات او يستشهد للفلسفة ترى في كل عمل من اعماله عظمة وجلالاً جعلت كل مفكر بعده يتأثر بفكره السامي وشخصيته القوية . ولكننا لا نستطيع ان ننتخبهُ واحداً من العشرة الذي نحاول اختيارهم . لان اثرهُ كان محدوداً ومحصوراً في افراد قلائل ولو كانوا من قادة الفكر في العصور التي تلت عهده

نيوتن

ولكن من يشك في مقام نيوتن ؟ إن تلاميذ المدارس يعرفون كثيراً من القصص التي تروى عنهُ وتدل على انصرافه عن سفاسف الحياة الى التأمل في اسرار الكون . ان قصتي التفاحة الساقطة والكلب الذي احرق لهُ كتاباً ثميناً اشهر من ان تذكر ولكن هل يعلم كثيرون ان كتابهُ « المبادىء » كان فاتحة عصر جديد تمت فيه سيطرة العلم على سير الفكر الحديث . وان نواميس الحركة التي كشفها اصبحت اساساً لعلم الميكانيكيات الحديث الذي بُني عليه كل تقدم عملي في عمراننا الحاضر وان اكتشافهُ لناموس الجاذبية حول الكون الى نظام دقيق تعرف ابعاد اجرامه واجرامها وحركاتها . قال فولتير « كنا نتحدث فسأل سائل اي الرجال التالية اسماؤهم يفوق الباقين عظمة — الاسكندر او قيصر او تيمورلنك — فاجاب احد الحضور لاشك ان نيوتن اعظم الجميع . فكان كلامهُ فصل الخطاب لان نيوتن يسيطر علينا بقوة العقل لا بالعنف البدني وعليه فنحن نحترمهُ » . فيظهر مما تقدم ان معاصري نيوتن ادركوا مقامهُ الفريد بين رجال الفكر ، وقد جاء الاحتفال بانقضاء مائتي عام على وفاته اقوى دليل على ذلك

فولتير

والى فولتير يعود الفخر والفضل في نقل مبادىء نيوتن الميكانيكية وفلسفة هُبس الى فرنسا فكان عملهُ مبدأ عصر النهضة والنور فيها وكان هو حامل مصباحه ورافع لوائه . قد يدهش بعض القراء ويحنق بعضهم حينما يرون فولتير قد زُج بين اعظم المفكرين في التاريخ ويعترضون بانهُ لم يكن مبتكراً في آرائه وانهُ كان فوق ذلك هداماً اكثر منهُ بنّاء ولكن من منا مبتكر لدى التحقيق واي رأي نتصورهُ الآن لم يذكر منذ القدم في صور مختلفة ؟ ان ابتكار الخطإ اسهل على الناس من

ابتكار الصواب. ألم يتناول سبينوزا — وهو من اكثر المفكرين تقصياً وتعمقاً — مبادىء آرائه وفلسفته من برونو وابن ميمون وديكارت ? ألم يتخذ احد العلماء موضوعاً لبحثه حين نال لقب الدكتوراه « ان كل ما كتبهُ ارسطوطاليس باطل لا يستثنى منهُ سوى ما نقله عن افلاطون » ألم ينقل افلاطون قديماً وشكسبير حديثاً كثيراً من مرويات الناس فحولاها بسحر خيالها وبلاغتها الى آيات خالدة من الفن والجمال ? فاذا سلمنا بأن فولتير وباكون انارا مصباحيهما من مصابيح الغير افلا يكفيهما فخراً وعظمة انهما اضاءا بهما العالم . اخذ فولتير من غيره آراء كانت مطموسة مطمورة في زوايا النسيان لصعوبة تناولها ، فبسطها وألبسها من سحر بلاغتهِ ثوباً خلاباً فاقبل عليها الناس اي اقبال

وهل كان فولتير هداماً كما يقال ? أنرفض الاعتراف بمقامهِ وقوة فكره لان آراءه تختلف عن آرائنا ? الم نتخل عن سبينوزا لان أثره كان محصوراً في نفر قليل من المفكرين مع ان بعضنا يقدس فلسفتهُ حتى يكاد يقسم بها ? وعليهِ فيجب ألاَّ نسأل هل تتفق آراء فولتير مع آرائنا بل هل قبلها الناس وهل كان لها اثر فعال في تلوين آرائهم وتوجيهها في عصره والعصور التالية ?

لا ريب في ذلك ! يقال ان الملك لويس السادس عشر التفت في سجنهِ فرأى مؤلفات فولتير وروسو فقال « هذان الرجلان قوضا دعائم فرنسا » . ولو وضع كلمة « الاستبداد » بدل فرنسا لكان اصاب كبد الحقيقة

على ان الملك لويس اسبغ على الفلسفة شرفاً لا تستحقهُ كلهُ . اذ لا شك ان الحالة الاقتصادية في فرنسا في العصر الذي سبق الثورة مهدت السبيل الى الثورة الفكرية التي كان فولتير زعيمها ورافع لوائها . لكن الالم في عضو من اعضاءِ الجسم لا يدفع الانسان الى معالجتهِ ان لم يشعر بهِ اولاً بما تنقلهُ الاعصاب من الاحساس بالالم الى الدماغ . وعلى ذلك قس حالة فرنسا . ان جهل العامة بفساد الحكم في ايام البوربون جعل استمرار الحالة مما لا مندوحة عنهُ الى ان يقضي على البلاد بتمزق شملها وهبوطها الى هوة سحيقة من الانحطاط والخذلان . لكن أقلام عشرات من الكتاب انطلقت من عقالها تصور للشعب فساد الحال فكان صريرها أوقع من صليل السيوف لانها دلت الشعب على مكامن الداءِ الفتاك فهبَّ يبحث عن الدواءِ . وفي هذا العمل العظيم كان فولتير القائد الاعلى انضمَّ تحت لوائهِ عشرات من الكتاب كلهم يعترف بقيادتهِ وينقاد الى اشارتهِ حتى فردريك الكبير حياهُ بقولهِ « انهُ أكبر نابغة أنجبتهُ العصور »

وكما ان قادة الفكر في ذلك العصر كانوا ينحنون امام فولتير احتراماً كذلك نراهم في العصور التالية يعتبرونهُ امام الحرية الفكرية ويلقبونهُ بصاحب الجلالة . فنيتشه الفيلسوف الالماني استقى كثيراً من نبعهِ وقدَّم اليهِ احد مؤلفاتهِ وأناتول فرانس تتلمذ لهُ ودرس عليهِ في مؤلفاتهِ التسعة

والتسعين وكيّف بها أسلوبهُ وفكره . وبراندس كبير الجنود في كثير من معارك الحرية الفكرية وقف ايامهُ الاخيرة على وضع سيرة لهُ كاد يرفعهُ فيها الى مصاف الآلهة . فاذا اغفلنا اكرام فولتير كنا غير جديرين بالحرية التي رفع منارها

على ان هناك وجهاً آخر للنزاع بين الايمان والشك ، بين الفلسفة القديمة والاساليب العلمية الحديثة . ذلك ان كثيراً من المعتقدات التي انهارت امام النزعة العلمية الحديثة كان لها كثير مما يشفع بها وفولتير نفسه بقي موحداً مؤمناً حتى انهُ اقام في بلدتهِ كنيسة للصلاة . على ان اتباعه تعدوا الحد الذي بلغهُ زعيمهم ولما مات كانت الفلسفة المادية قد طغت بتيارها وتغلبت على كل فلسفة أخرى تنازعها البقاء حينئذٍ

***

في أواخر القرن السابع عشر ظهر في انكلترا الفيلسوف الانكليزي جون لوك فكان الرأي الاساسي في فلسفتهِ ان الاختبار مصدر المعرفة وان الحواس سبيل الاختبار وان العقل لا يحتوي على أمر لم يصلهُ عن طريق الحواس . فكان قولهُ هذا سبيلاً الى الاستنتاج بأن الاجسام المادية تؤثر في العقل عن طريق الحواس دون غيرها . واننا لا نستطيع ان نعرف شيئاً الا اذا كان جسماً ماديًّا وعليهِ فالفلسفة المادية هي لباب الحق

فرد عليهِ المطران باركلي بقولهِ ان قول لوك يثبت من نفسهِ ان لا وجود مستقل للمادة وانما هي توجد لاننا نشعر بها بحواسنا فاذا انعدمت الحواس انعدمت المادة فقضى برده هذا على المادة والفلسفة المادية . ولم يلبث ان انبرى لها دافيد هيوم فكتب رسالته التي عنوانها « الطبيعة البشرية » جارى فيها باركلي في نفي وجود المادة المستقل وتعداهُ فأثبت بالطريقة نفسها ان العقل ليس لهُ وجود مستقل

كانت

تصور الحالة الفكرية في ذلك العصر وما أصيبت به من الاضطراب . استل باركلي سيفاً طعن بهِ المادية فجاء هيوم واستلَّ السيف نفسهُ وطعن بهِ العقل غير المادي والروح الخالدة وفي المعركتين فقد العلم كثيراً من مقامهِ وهيبتهِ . في ذلك الحين تناهت الى عمانوئيل الالماني ترجمة مؤلفات هيوم فقرأها ولما اتمها ناجى نفسهُ قائلاً « أنتخلى عن العلم والايمان لهذا النقادة الهدام ؟ ماذا يجب ان نفعل لانقاذهما ؟ »

وماذا فعل ؟ وضع كتابهُ « نقد العقل المحض » ووضع فلسفتهُ الكمالية التي رنع فيها

شأن التأمل كمصدر من مصادر المعرفة لانهُ قضى بان الاختبار لا يمكن ان يكون وحدهُ مصدر المعرفة فأصغى الناس الى صوتهِ فرحين لانهم سمعوا فيهِ صوت التقاليد والمعتقدات القديمة التي كانت مرعية الجانب لدى آبائهم واجدادهم ، ولانهم رأوا فيهِ منصرفاً عن العلم اليقيني المادي الذي اخذ ينتشر حينئذ

***

ومن يشك اقل الشك في اثر كانت ؟ انهُ انقذ العقل والنفس من قبضة المادة . ودفع بالمانيا كلها الى الاهتمام بالمباحث التي ما وراء الطبيعة فأقبل عليهِ شلر وغوته يتلقيان الحكمة والحق ونقل عنهُ بتهوفن قولهُ « ان عجيبتي الحياة هما القبة الزرقاء ترصعها الكواكب والناموس الادبي في نفس الانسان » وتابعهُ فيخت وشلنغ وهيجل وشوبنهور فوضع كل منهم نظاماً فلسفيًّا جديداً يقوم على نزعتهِ الكمالية . وكأن كتابهُ « نقد العقل المحض » كان تمهيداً لآراء شوبنهور ونيتشه وبرغسن ووليم جيمس . وحتى الآن لايزال نظامهُ الفلسفي قائماً لان العلم الحديث في اشخاص بيرسون وماخ وبوانكاري اثبت ان « الحقيقة » و « المادة » و « الطبيعة » و « نواميسها » كلها مما يستنبطهُ العقل ولا وجود لها الاَّ بوجوده فكأَن اكليل النصر عقد لكانت وفلسفتهِ ففازا على المادية والالحاد

ثم جاء دارون فثارت الحرب ثانية

داروين

اننا لا نعلم ما قد يكون اثر دارون النهائي في تاريخ البشر ولكن لا ريب في انهُ فاتحة عصر جديد في التقدم الفكري . فاذا ثبت انهُ على خطاءٍ فيما ذهب اليهِ اغفله الناس كما كادوا يغفلون ديموقريطس وانكساغورس . واذا ثبت انهُ على صواب تقدمت الاجيال المقبلة اليهِ بالتجلة والاعظام وجعلوا سنة ١٨٥٩ وهي السنة التي نشر فيها كتابهُ « اصل الانواع » حدًّا يبدأ عندهُ الفكر الحديث

وماذا فعل دارون ؟ رسم صورة للارض والحياة تختلف عن كل صورة قبلها ، واشار فيها اشارة دقيقة الى كل ما رآه من غير ان يتهجم على معتقد ما . واذا الطبيعة في هذه الصورة معركة حامية الوطيس ، فيها الولادة عَرَض والموت حقيقة ازلية . والحياة سداها ولحمتها الانتخاب الطبيعي القائم على تنازع البقاء وبقاء الاصلح . وسطح الارض مرتع للاحياء من منظورة وغير منظورة يأكل قويها ضعيفها ويفتكُ داهيتها بساذجها، وصار للافعال الطبيعية

على اختلافها من زمهرير وزلزال واعصار وطوفان ووباء وحريق وحرب شأن كبير في هذا الانتخاب ، تبيد بها أجيال وتبقى اجيال اخرى تعيش وتتكاثر الى ان يقضى عليها او يحل محلها ما هو اصلح منها للبقاء .هذا هو النشوء وهذه هي الطبيعة وهذه هي الحقيقة وهذه هي الارض — بحسب صورة دارون

جاء كوبرنيكس فأثبت ان الارض ذرة سابحة في الفضاء فقضى على المعتقد القديم القائل بانها مركز الكون وموطئ قدمي الله . وجاء دارون فأثبت ان الانسان حيوان يتنازع مع سائر الحيوانات السيطرة على الكرة الارضية فقضى ايضاً على المعتقد القديم القائل ان الانسان خلق خلقاً مُستقلاً وانهُ سيد كل المخلوقات

تصور تأثير هذه الفلسفة الجديدة في العقول التي نشأت على الفلسفة الكمالية والمعتقدات الدينية . افتعجب اذاً حين ترى رجال المعتقد القديم يثيرون حرباً ضروساً على الرأي الجديد حتى يبلغ العداء بين العلم والدين مبلغاً من الحدة والشدة لم يبلغهُ بعد غاليليو وبرونو ؟ ولكن ألا يقف المنتصرون في هذا المعترك على جثث ضحاياهم يأسفون لنصرهم المبين تواقين الى النظام القديم والمعتقد القديم الذي قوضوا اركانهُ !؟

***

امامك اذن الرجال العشرة الذين انتخبناهم

كنفوشيوس — افلاطون — ارسطوطاليس — توما اكيناس — كوبرنيكس — باكون — نيوتن — فولتير — كانت — دارون . والى جانبهم انداد لم يسعنا أن ندخلهم مجمعنا مع ان لهم مقاماً لا يقل عن مقام هؤلاء — ديمقريطس — ابيقوروس — مرقس اوريليوس — ابيلارد — غليليو — سبينوزا — ليبنتز — شوبنهور — سبنسر — ونيتشه

***

وقد حكم علينا ان لا نذكر احداً من المخترعين لان كثيراً من العقول اشتركت في اخراج مستنبط واحد من حيز الخيال الى حيز العمل والاتقان . واذا ذكرنا الحركات الاجتماعية الكبيرة في التاريخ وجدنا اننا ضربنا صفحاً عن كثيرين من زعماء الفكر البشري . اين الحركة النسائية وزعيماتها من ماري ولستنوكرافت الى سوزان انتوني . واين الحركة الاشتراكية من ديوجينس وزينون الى لاسال وماركس ؟ وهذا النقص لا سبيل الى تلافيه اذ اية قائمة تستطيع ان تستنفد كنوز الفكر البشري على اختلافها ؟ آه

ارتحال الصديق

مصطفى صادق الرافعي

لإسماعيل مظهر

لئن لم يكن في موت الرافعي من أثر الا أن تكون فجيعتنا فيه فجيعة العربية والعروبة، وفجيعة اللغة والادب والفن الاسلوبي الاسمى، بل وفجيعة الاسلام، لكفى بموته واعظاً يعظنا، وذكرى تساورنا عن تلك القرون الماضيات التي ارتحل فيها من امثاله أقلون امتازوا بما امتاز به من انصقال الطبع وحمية الروح وصفاء القلب ونقاء النفس. نعم أقلون هم اولئك الذين اتصفوا بما أضفت الطبيعة على الرافعي من صفات اليقظة الحقيقية. فقد كان رحمهُ الله يقظ النفس، يقظ الروح، يقظ الفؤاد. فأكسبتهُ يقظة نفسه قوة الايمان. واكسبتهُ يقظة روحه قوة العمل. واكسبتهُ يقظة فؤاده قوة الحرية والصراحة. فقد عاش رحمهُ الله مؤمناً عاملاً حراً مستقلاً ما اضناه حب الجاه الكاذب يوماً فأرغمهُ على أن يلوذ بأذيال عظيم او يداجي ابتغاء مرضاة انسان. بل عاش لنفسه ولايمانه ولحريته، فكان المثل الاعلى في زمان قلت فيه المُثُل وكثرت المثلات

لا يعنينا من أمر الرافعي وقد ارتحل عن هذا العالم الفاني، ان نصفهُ فنخرج منهُ صور نحاول ان نطبعها في عقول اهل هذا الزمان، فان ما بين الرافعي وبين الكثيرين من اهل هذا الزمان من فروق تجعل طبع صورة صحيحة من شخصيته في عقول الناس امراً عسيراً. فلا أحاول هذا اذن الآن بل أحاول أن أقضي حق صديق رحل، فأقول فيه ما اعتقد انهُ الحق، وان ألم بمجمل ما تركت صداقته في نفسي من آثار لعلي لا أخطىء اذا قلت انها آثار باقية، على قدر ما أشعر في قرارة نفسي من ثقة بأن للرافعي في نفسي آثاراً تتناول نواحي شتيتة. فلقد كان لذلك الراحل الكريم شخاصة تشيع آثارها في نفسك شيوع الكهرباء في المادة الجامدة فتكسبها معنىً جديداً هو معنى القوة تغمرك، ثم لا تتبدد

كنت أشعر بأني الى جانب الرافعي في رحابة صديق خالص الود زكي القلب، نقي السريرة، بعيد عن ان يفكر في ان يستغل صداقتك الا للصداقة، فان غضب فللصداقة وان عتب فللصداقة وان قطعك فللصداقة ايضاً. فكانت الصداقة عنده معنى يتمثله في شخصك راجياً ان يصدق حدسه فيك، فتكون الجدير بتمثيل هذا المعنى السامي الذي تحيّز في خياله حتى كاد يتجسّم،

وأكنّهُ في قلبهِ حتى كاد يضيق بهِ ، فان تنفس عن شيء فمن كل ما يزيدك ثقة بأنهُ صديق

كنت أستشم ريح الايمان الطاهر منبعثاً عن نفسه الطاهرة . ما كان يعنيني من أمر إيمانه من شيء الا انهُ ايمان . ايمان ثابت حتى في الاشياء التي كانت تخالف مذهبه في الادب أو مذهبه في الدين ، طالما اعتقد انك ان خالفته في شيء فانما تخالفه فيهِ عن ايمان يشبه ايمانه فيما يعتقد بهِ . ولعمري ان هذا لاسمى صور الايمان وأرقى مراتب الحرية الصحيحة

أهدي اليّ رحمهُ الله يوماً كتابه « اعجاز القرآن » وكنت أصدر « العصور » ، فعقدت فصلاً في معنى الاعجاز تعليقاً على رأيه فيهِ ذهبت فيهِ مذهباً لا يتفق في شيء مع رأيه ، بل ولا يلتقي بهِ في ناحية من النواحي ، بل اني لاذكر أني تشددت بعض الشيء ، وهاجمتهُ في مواطن . وكنت اذ ذاك حديث العلاقة بالرافعي ، وقد تبادر اليّ ان ما انشر انما يفقدني علاقتي برجل اعتقد انهُ عظيم . ولكن الصديق الراحل رحمهُ الله ، تلقي ما كتبت رحب الصدر راضي النفس ، وتلقاني بذلك البشر الطافح من أساريره الواضحة المعاني قائلاً : ان البئر التي انتزحت منها أفكارك في الاعجاز لن اشرب منها . ولكن حسبك انك انتزحت منها مؤمناً بصلاحية مائها . ومرّت الايام فلا القاه الاّ استعجلني ترجمة كتاب عن عَلَم من اعلام اوربا ، مختاراً في الاكثر الكتب التي تدعو الى حرية الفكر والى نشر المبادىء العلمية الحديثة كأنهُ كان يعتقد ان الايمان الصحيح لا ينبغي ان يقف عثرة في سبيل الفكر ايّاً كان متجهه ومرماه

كان للرافعي لون من الادب ، لا اختار ان احلل الصورة التي انطبعت منهُ في نفسي قبل ان أمهد لذلك بشهادة علم من اعلام زماننا هذا . فقد كتب استاذنا الكبير احمد لطفي السيد باشا فصلاً في الجريدة ، عندما اصدر الرافعي كتابهُ « تاريخ آداب العرب » سنة ١٩١٢ جاء فيهِ :

« قرأنا هذا الجزء . فأما نحوه فعليهِ طابع الباكورة في بابهِ . يدل على ان المؤلف قد مَلَك موضوعهُ ملكاً تامّاً ، واخذ بعد ذلك يتصرف فيهِ تصرفاً حسناً . وليس من السهل ان تجتمع لهُ الاغراض التي بسطها في هذا الجزء الاول ، الاّ بعد درس طويل وتعب مملّ ، لم يتأخر هو عن وصفه في مقدمة كتابهِ . واما اسلوب الرافعي في كتابتهِ فانهُ سليم من الشوائب الاعجمية التي تقع لنا في كتاباتنا نحن العرب المتأخرين . فكأني وانا أقرؤه أقرأ من قلم المبرّد في استعماله المساواة والباس المعاني الفاظاً سابغة مفصلة عليها لا طويلة تتعثر فيها ، ولا قصيرة عن مداها تودي ببعض اجزائها . وان هذا الجزء بل هذه المقدمة ، تدل على انّ المؤلف سيخرج لنا من تاريخ آداب العرب ما يجمع شملها بعد التشتت في كتب متعددة ، ويكون بذلك قد أدّى للأمة أعظم خدمة يؤديها اشد الادباء غيرة على الادب » . . . . اذن فقد لمح استاذنا الكبير في الرافعي ما لمح فيهِ كل عارفيهِ . لمح فيهِ سلامة الاسلوب من الشوائب الاعجمية ، ولمح فيهِ

ايمانه بآداب العرب، تلك التي ارصد نفسه لخدمتها، خدمة لن يؤديها الا أشد الادباء غيرة على الأدب

كان ذلك في عصر لم تغزنا فيه بعد الاساليب التي شابتها شوائب الأعجمية (لا رحمها الله) ولم يضعف ايماننا بآداب العرب ، ولم نتبدل من ثقافتنا التقليدية ثقافة دخيلة مترجرجة كالزئبق مرتجة كالجدار الذي يريد ان ينقضّ ، وكان الرافعي يحاول ان يقيمهُ

كان ذلك في عصر اعتقد فيه الادباء ان العربية وآدابها اصل تقليدي ، ما ينبغي الا ان يكون اساس الادب الحديث، وان الادب الغربي ليس الا لقاحاً يغذي ذلك الاصل . لم نكن قد اعتقدنا بعد ، عن خطإٍ واسراف ، ان أدب الغرب ينبغي ان يتخذ اساساً وان اللغة العربية ليست الا اداة التعبير عنه . ولم نكن قد اسمينا هذا الاسراف تجديداً ، ولم نكن أضفينا على الذين يحافظون على الاسلوب العربي الصميم ويحاذرون ان يشوب هذا الاسلوب شيء من شوائب الاعجمية ، لقب المقلدين (الكلاسيك) لا لنكرم فيهم هذه النزعة ، وانما لنتخذها سبباً للسخرية منهم والاستهزاء بهم ، ولم تكن نابتة الأدباء اذ ذاك قد ترددوا في «الاستغراب» حتى انبتَّت بهم الصلة او كادت ، بأدب أوائلهم وأساليبهم ، ولم نكن قد فتنَّا بعد ، وكفى بالفتنة صدعاً نخشى ان نعجز عن رأبهِ . كان ذلك في زمان قاد الادب فيه عقول رشيدة متزنة ، وكان الادب بمعزل عن السياسة وعن حب التظاهر الكاذب وعن حب المادة حبًّا أفقد الادب في عصرنا صفة الاستقلال عن الارضيات السُّفلى . كان ذلك في عصر مجَّد الرافعي لان الرافعي حاول ان يحيي موات الاساليب المنتقاة وان يجمع ما تشتت من آداب العرب . كان ذلك في عصر لم ير ادباؤه في احياء لفظة عربية غريبة الا انتصاراً للادب وللعربية . كان ذلك في عصر قال فيه استاذنا احمد لطفي السيد باشا مامعناه : لئن مجد الانجليز شكسبير لانه احيى من موات اللغة الانجليزية آلافاً من الالفاظ المهجورة فالأجدر بنا ونحن في مستهل حياة جديدة الا نكون أقل منهم تمجيداً لمن يحيي من موات لغتنا ما أمات الاغفال. هنالك في ذلك العهد عرف أدب الرافعي ومجّد . فلما أظلنا عصر الانتحال ، انتحال الاساليب الغربية وانتحال الآداب الغربية ، وطغت الفتنة ، كافح أدب الرافعي مدّ الفتنة الجديدة كفاحاً سوف نجد أثره في تاريخ عصرنا هذا . لهذا كان الرافعي صاحب مذهب في الادب هو من حيث الاسلوب والبيان المذهب الذي ينبغي ان يسترشد بهِ نابتة الادباء في هذا العصر ، ليكون أداتهم السليمة في التعبير عن ادبهم الجديد . ولا شك عندي في ان الادب الجديد ان اتخذ من الاساليب السليمة اداة للتعبير ، لاستطاع ان يؤدي رسالة جديدة للعربية ، ما يحول دون ادائها الآن الا عجمة الاساليب وقد خلت من جمال السبك وقوة البيان فشوهت من جمال ما نقلنا عن الغرب ، وصدت نفس الاديب عن تذوق ما فيها من جمال الفكر

أجدّد للرافعي وقد ارتحل ، بهذه الكلمات عهد الوفاء ، جزاء ماغمرنا بهِ في حياتهِ من صداقة خالصة وايمان ثابت وحب ما تزول ذكراه

كلمات للرافعي

— ١ —

« ولا يذهبنّ عنك الفرق بين رجل حافظ والكتاب احفظ منهُ وهو من الكتاب خرج والى الكتاب يرجع ، وبين رجل يكون ترجماناً من تراجمة العقل الانساني المعني بتأويل الكون وتفسيره والطائر بالالفاظ الانسانية على اجنحة العلوم والفنون والمخترعات والمعاني ، فان ذاك ينقل عن الواضع ثم لا يتعدى هذه المنزلة ولا يتجاوز متون الالفاظ وأما هذا فلا يزال يضطرب مع الالفاظ ومعانيها يجاذبها ويدافعها ثم لا يزال يضع يده في النسيج اللغوي يسدي ويلحم فهو مدفوع الى المسالك الدقيقة من مذاهب الوضع وطرقه وأساليب الاخذ والانتزاع ، وهو مقيد أبداً بخاص المعنى وخاص اللفظ على التعيين والتحديد لا يجد فسحة من ضيقين ، فان لم يكن مثل هذا في منزلة الواضع فهو في المنزلة بعدهُ ولا ريب »

[من مقالة «صروف اللغوي» في مقتطف يناير ١٩٢٨]

— ٢ —

« فتحنا القبر وانزلنا الميت العزيز الذي شفي من مرض الحياة ، ووقفتُ هناك بل وقف الترابُ المتكلم يعقل عن التراب الصامت ويعرف منهُ ان العمر على ما يمتد محدود بلحظة ، وإن القوة على ما تبلغ محدودة بخمود ، وان الغايات على ما تتسع محدودة بانقطاع ، وحتى القارات الخمس محدودة بقبر . . . . . يا عجباً ! القبور مأهولة بملء الدنيا وليس فيها أحد . أية ذرة من التراب هي التي كانت نعمةً ورغداً وايتها كانت بؤساً وشقاء وأيتها التي كانت حبّاً ورحمة وأيتها كانت بغضاً ومَوْجِدَة ؟

« سألت القبر اين المال والمتاع واين الجمال والسحر واين الصحة والقوة واين المرض والضعف واين القدرة والجبروت واين الخنوع والذلة ؟ قال كل هذه صور فكرية لا تجيء الى هنا لأنها لا تؤخذ من هنا . فلو انهم اخذوا هدوءَ القبر لدنياهم وسلامهُ لنزاعهم وسكونهُ لتعبهم لسخروا الموت فيما سخروه من نواميس الكون

« ان هؤلاء الاحياء يحملون في ذواتهم معانيهم الميتة وكان يجب أن تُدفن وتطهر

انفسهم منها فمعنى ما في الانسانية من شر هو معنى ما في الناس من تعفن الطباع والاخلاق
«يكذب بعضهم على اخيه فيعطيه جيفة حقيقة ميتة، ويكيد بعضهم لبعض فيتطاعمون من جيف الحوادث المسمومة، ويمكر الخائن فاذا جيفة عمل صالح قد مات، فكل مضغة تبتلعها من حق اخيك الحي كمضغة تقتلذها من لحمه وهو ميت لا تعطيك الا جيفة، ثم انت من بعدُ لست بها انساناً ولكنك وحش.... بل وحش دنيء ليست لهُ فضيلة الوحشية التي من قوة تأبى أن تمس لحوم الموتى»

[من مقالة : «في وحي الروح» مقتطف ديسمبر سنة ١٩٢٩]

— ٣ —

«سلاماً يا فاتح الجو المصري . لقد اجالت الايام قداحها فخرجت القرعة عليك وأوحى اليك الواجب آية : بسم الله مصعدها ومجراها

« وطرت فاذا انت عابر فوق الحاضر لتجيئنا من جانب المستقبل

« وهبطت علينا كأنك في بريد السماء كتاب مجد حي للوطنية الظافرة

« بل كتاب قصة رائعة الفتها العواصف من فنين ثورة الجو وثورة نفسك المصرية. وحكتها من صوتين زفيف الطيارة وصرخة ضميرك الوطني. وجعلتها فصلين: انت والمجهول

« ألا حسبك مجداً ان يحيا الشعب كله بضعة ايام في قصتك . . . .

« لقد انفلت من رذيلة الخوف وتركتها في التراب موطىء القدم . وقلت لها ويحك لقد آن للشباب المصري فهو مغامس في ماء الصواعق (كناية عن السحاب) متطوح في اللجة الازلية التي تغوص فيها الكواكب . يطير بروح الشرارة، ويهبط بروح الغيث، ويلجم الجو ويسرجهُ، ويتعلم كيف يشوي عدوهُ في عين الشمس

« وكنت بطلاً مغامراً تخطوت في طريق الملائكة بهذه الفضيلة، وحملك الجو ولو انك خفت وكنت على جناحي جبريل لا على طيارة، لخاف جبريل على جناحيه من حطمة هذا المعنى الترابي . . . .

« ولعلك رسول الغيم العابس لهذا الجو المصري الذي يضحك دائماً ضحكة الفيلسوف الساخر في حين اصبحت الحياة قوة لا فلسفة

« ولعلك تفسير مصحح لعقيدتنا المغلوطة في القضاء والقدر، ان القضاء ان تقدم بلا خوفٍ، وان القدر ان تثق بلا مبالاة

[من مقالة «فاتح الجو المصري» في مقتطف مارس ١٩٣٠]



المرأة في مصر

على مر العصور

من محاضرة للسيدة امي خير

نقلها عادل الغضبان

يخيل الي ان تاريخ المرأة المصرية هو من أجمل التواريخ التي وصلت الينا تفيض بشتى أسباب الشجاعة والثقة . ففي مصر لم تكن المرأة موضع استعباد منظم على نقيض ما كانت عليه في بعض بلاد هذا الشرق الجميل الذي كثيراً ما أتهم انهُ يسيم المرأة العبودية ولئن اضطهدت المرأة احياناً في مصر إنّ ذلك كان عرضاً بعثت عليه بواعث أجنبية

ليس تاريخ الامم الاّ مجموعة اخلاق كل أمة وعاداتها فالمصري ذكي بطبعه شريف في معاملته نشيط في عمله لا يحفل بما بين الرجل والمرأة من فوارق جسمانية ولا يتخذها ذريعة لاحتقار شريكة حياته وانهُ لعلى حق . ونحن ان شئنا معرفة هذه الفوارق فهاك ما تنص عليه الموسوعة العلمية قالت : الرجل عادة اطول قامة من المرأة وهيكله العظمي أثقل وزناً وقلبه أكبر حجماً ورئتاه أقدر عملاً ودماغه اغنى تلافيف ودمه يختلف عن دمها في مقداره وتركيبه وعلى الجملة فالرجل اقوى من المرأة . ونحن على اتفاق في هذا مع القواعد العلمية ولا اخالكنّ يا حضرات الآنسات الاّ موافقات على ان ما تصبو اليه المرأة والنادر لا يقاس عليه ليس التشبه بالرجل في ساحات النزال او حلقات الملاكمة او ميادين الفروسية وعلى ان الفوارق بينها وبين الرجل قد توجد بين الرجل والرجل دون ان يكون لها دلالة معلومة فكم رأينا من رجال ضعاف البنية مشوّهي الخلق هم في طليعة النوابغ العظام

لما سنّ الله شريعة هذا الكون لم يجعل هذه الفوارق بين الرجل والمرأة أداة فوضى بل أداة توازن طبيعي واجتماعي ولما كان الرجل والمرأة قد خلقا ليتمم الواحد الآخر فقد وجب ان يتوافرا على كل تعاون بينهما

اذا عرض الباحث لجميع حلقات التاريخ المصري وجد المرأة دائماً ابداً الى جانب زوجها تشاركه في حياته الى اوسع حدود هذه المشاركة ولقد كان للمرأة المصرية في الزمن القديم

شأن كبير كعامل اجتماعي حتى ان اولادها كانوا ينتسبون اليها وحتى كان لها في الاسر المالكة سلطة التحريم والتحليل وهل من شهادة اعظم أثراً وأقوى دلالة على مجد المرأة من تلك الصور البديعة التي نقشت على نواويس الفراعنة والتي تدل بجلاء ووضوح على الشرف الذي كانت تحف به . ففي معظم هذه النقوش مثلت المرأة جالسة الى جانب زوجها وقد زادتها جمالاً مجالي الزينة وأنواع الحلي وجلال الاكاليل وبريق الجواهر وضميمات الورد وهي تتقبل من اولادها ورعاياها شعائر الولاء وتشترك في تقديم الذبائح والقرابين للآلهة وتقوم بالطقوس الدينية التي ترفع للآلهات حتى اذا كانت الأسرة الرابعة قامت المرأة بالشعائر الدينية التي ترفع للآلهة . من منا ايتها الآنسات لم تسحرها صورة الملكة نفرتيتي فان سحرها في قسماتها وزينتها لا كفاء له وليست زوجة أمنيوفيس الرابع هي الوحيدة في ذلك السحر والتأثير فحوالي سنة ٢٤٧٠ قبل المسيح كانت نتيزوريس هي المالكة على مصر ثم ملكت في سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح سكيميوفريس مخلفة أخاها امنمحت الرابع ومنذ سنة ١٤٩٣ الى سنة ١٤٨٠ قبل المسيح كانت الحاكمة على مصر هتشبسوت يشاركها في الحكم تحوتميس الثالث زوجها وأخوها ومما يؤثر عن هذه الفرعونة الجميلة الزكية انها كانت تميل الى تشجيع المتفننين والعلماء فضلاً عما اخذت به نفسها من تحسين معايش رعاياها ويقال ان ملوكة بنت زبك هي التي ملكت مصر بعد تلك الحادثة المشهورة من غرق المصريين في البحر الاحمر وأعتقد انكنّ تتذكرن جميعاً فصول التوراة التي تخبرنا بان فرعون مصر ووزراءه وجيشه هلكوا في البحر وهم يطاردون العبرانيين .وقيل ان النساء اجتمعنَ وملكنَ عليهن من بلغت سنها ١٦٠ سنة فكانت ملوكة . واول عمل أتت به هذه العجوز انها أمرت بتشييد سور يمتد من شمال البلاد الى جنوبها اي من العريش الى اصوان تماشيه الأقنية وتقوم به مصانع للذخيرة وقد علقت أجراس الخطر تدق عند اول إشارة وماتت ملوكة بنت زبك بعد عشرين سنة من ملكها وقد اخذ الحزن على موتها من رعاياها كل مأخذ فبكوها مرّ البكاء

اما من تشرّفها الاساطير باسم بدور المصرية فيغلب على ظني انها لم تكن الا ساحرة اكتسبت نفوذها من صداقة المجوس لها . واما زوجة فوطيفار التي شغفت بيوسف فيعرفها مؤرخو العرب باسم زليخة وهي بنت ملك من ملوك الرعاة تزوجها كتفير جليس فرعون حتى كانت رميتوفريت زوجة الكاهن الاكبر بيلوزيريس وهو أعظم كهنة طود الخمسة شأناً وكلهم راقدون في مدافن هرمو بوليس وهو الذي وصف زوجته فقال : « حبيبته هي ملكة السحر عذبة اللفظ نافعة المشورة كل ما عرض على شفتيها يشبه اعمال « مات » هي المرأة الكاملة الوافرة النعم على بلدها المبسوطة اليد القائلة الخير المرددة ما يستحبّ الجانحة شفتاها عن المنكر الكبيرة في حبها ».

اما كليوبطرة فاذا لم يخني المقال فانها اول طبعة للمرأة المشئومة في التاريخ ، المرأة التي تمثلها خير تمثيل

على لوحة الخيالة جريتا جاربو ومارلين ديتريش وهي التي لا تترك لمن أحبها مخرجاً سوى الموت

على انهُ يجب أن لا نبخس الناس أشياءهم فلكة مصر اليونانية الرومانية كان يشغل قلبها حب وطنها وهو الحب الذي لم يعله أي حب آخر. وليس أحق من الأب دريتون أو سليم بك حسن أو سامي جبرة أولئك العلماء الاعلام في الآثار المصرية ان تدعونهم الى محاضر تكن عن أولئك النساء العجيبات اللواتي زخر بهن تاريخ مصر القديم ووصل الينا محبّباً عزيزاً ولقد هيّأت الى ازدهار حرية المرأة وشخصيتها قرون عدّة من الحضارة وأي حضارة فهي الآن منبهة الخاطر ترغب في حياة روحية كاملة تنتظرها وتستحقها وهي التي عبر عنها يسوع الناصري وفضلها على مشاغل الدنيا يوم زار مرتا ومريم زيارة حفتها البساطة ووسعت احتفال أعظم هيئة قدسية كانت فيها أخت مرتا المثل الحيّ على الحياة الروحية وتبعها في ذلك خليفات نفرتيتي وهتشبسوت وكليوبطرة فأجبنَ دعاء المسيح وملأن قفر الحياة قداسةً. وحسبنا أن نشير الى بعضهن من مثل القديسة كاترين الجميلة العالمة التي استشهدت حبًّا للدين الجديد والقديسة سانكليتيك الشهيدة والقديسة تليد رئيسة دير ينضم على ٦٠ راهبة في انطنيوه والقديسة بازيليس زوجة القديس جوليان والقديسة دوروني العذراء بالاسكندرية والقديسة كومتا الشهيدة والقديسة أبولوني والقديسة افروزين والقديسة أنسطاسي والقديسة افرازي والقديسة مريم المصرية والقديسة توماثيد الشهيدة والقديسة تيودورا والقديسة تيودوزي والقديسة مور زوجة القديس تيموتاؤس والقديسة دميانة التي دفنت مع الاربعين عذراء اللواتي حكم عليهن معها وضربت أعناقهن في ضواحي بلقاس وحيثما وجد الهدوء والسكينة شيدت الأديرة للرجال والنساء على السواء فازدهرت المسيحية في أرض الفراعنة وكان ازدهار الكنيسة فيها من أسباب مجدها حتى جاء الاسلام واعتنقهُ العرب ونقلوه الى مصر مشفوعاً بعاداتهم وتقاليدهم ومنها هذا الحجاب الذي أصبح للمرأة رمزاً على حياة منفردة منبتة عن حياة الرجل فأخذ المصريون عنهم لأول وهلة كل ما جاؤوا به شأنهم في ذلك شأن جميع البلاد التي فتحها المسلمون الا انهم كلما ازدادوا تعلقاً بروح الدين نبذوا التقاليد الاجنبية ورجعوا الى تقاليدهم التي ورثوها عن الاجداد

وهنا أيضاً تمتاز المرأة المصرية فهذه السيدة نفيسة التي حجّت الى مكة ثلاثين مرة ونيف وعاشت في تقشف وزهد كان مدعاة عجب معاصريها الألى عرفوا قداستها فجاؤوا اليها من كل حدب وصوب يلتمسون بركتها حتى ان الامام الشافعي نفسه زارها وطلب اليها وهو منصرف أن تصلي من أجله ولما أدركتهُ الوفاة دعيت السيدة نفيسة الى الصلاة على جثمانه والسيدة نفيسة دفنت في منزلها في درب السباع سنة ٢٠٨ هجرية أما ابنة أختها سكينة فقد طبعت على غرارها فضيلةً وهدًى حتى ان جماعة المؤمنين لما توفاها الله صمموا على أن يدفنوها بالقرب من خالتها وقد فعلوا

وهذه سُكينة المشغفة بالأدب الممتلئة دارها بالادباء والمتفننين في عصرها وهم الالى سحرهم دلالها وعفتها ونفخت فيهم روح الوحي والالهام فتسابقوا في مضمار البلاغة وكانت هي تستمع اليهم من وراء ستار

كذلك كانت عائشة النبوية بنت جعفر الصادق التي توفيت سنة ١٤٥ هجرية من قديسات الاسلام يحج الى قبرها في الجامع الذي شيد على اسمها في سفح القلعة كثير من الناس

وكانت ست الملك بنت العزيز بالله مشهورة بالذكاء والحكمة حتى ان الشعب المصري لما ثار في وجه اخيها الحاكم بأمر الله توجه اليها لانتخاب ملك آخر فأشارت بالملك الشاب علي ابن الحاكم وكان عمره اذ ذاك اربعة عشر عاماً فملّكته وحكمت باسمه مدة اربع سنوات استطاعت في خلالها ان تجري العدل في مجراه وان تكتسب بذلك حب مواطنيها وماتت سنة ٧١٥ هجرية

من هؤلاء النساء نعدّ كذلك حدقة الجارية في قصر الملك الناصر ابن قلاوون وكانت على جانب كبير من الذكاء وحب الخير فقد بنت عدداً كبيراً من التكايا والسبل والمدارس فضلاً عن جامع فم الخليج الذي دفنت فيه سنة ٧٣٧ هجرية. وبركة خاوند ام السلطان الاشرف وكانت تقية سخية يلجأ اليها كل بائس ويعتمد عليها كل عليل وقد بنت في سنة ٧٧٠ هجرية عند عودتها من الحج باب زويلة في سفح القلعة وهي المدرسة الكبيرة التي يزار فيها قبرها

اما شجرة الدر زوجة السلطان صلاح الدين فقد يلزمني محاضرة برأسها للتحدث عنها وعن ملكها على مصر الاسلامية مدة ثمانين يوماً فقد كانت سيدة جميلة الملامح ذكية الفؤاد سياسية ثاقبة النظر وطنية تقدح مجالي حسنها في القلوب الشرر الذي تقدحهُ في السماء الشهب الثاقبة

على اننا اذا وجهنا النظر الى القريب من العصور رأينا زينب هانم افندي أصغر بنات محمد علي تبني اكثر من ١٤ جامعاً وتنشىء للفقراء ولراقصي الذكر الأوقاف والتكايا وها هي عائشة التيمورية ابنة اسمعيل باشا تيمور الكاتبة الشاعرة التي عني والدها بان يهيء لها ثقافة عالية وتربية رفيعة فنشأت شاعرة مجيدة لها آثار حسان في العربية والفارسية والتركية وبينما كان العالم الادبي يترقب منها المزيد اذا بالقدر القاسي يختسها في ابنتها توحيدة ولما تبلغ الثامنة عشرة من عمرها فحزنت عليها امها حزناً شديداً مدة سبع سنوات تجردت في خلالها من كل شيء الاّ من بكائها ونواحها حتى قرحت اجفانها ودميت عيناها ولولا لطف الله والطب لذهب بصرها واول من قرظ ديوان عائشة شاعرة اخرى هي وردة اليازجي الشاعرة الرقيقة سليلة الاسرة اليازجية التي تعهدت اللغة العربية وعملت على نشرها وازدهارها

لئن ذكرت لكنّ طائفة من الاسماء يستحق كل واحد منها درساً مستفيضاً اني لم اقصد الآن اقنعكنّ ان مصر في كل عصر وفي كل حالة لم تخل من نساء شرفنَ بلادهن ولولا كثرتهن لسردت لكن اسماءهن فانهن ينشئن سلسلة بطلات متصلة الحلقات منذ فجر التاريخ قد جددت

فيها الحماسة القديمة التي نراها اليوم قد انبعثت في الالعاب الاولمبية الحديثة في اولئك العدائين الذين نقلوا اللهب الرمزي من آثينة الى برلين كما تناقلت المرأة في مختلف العصور رسالتها العالمية التي نتلقاها نحن اليوم متتبعات مبادئها القديمة ومعليات شأن أنوثتها الكاملة

المعروف ان الروح تتغلب دائماً على المادة فالقوة الوحشية ان تغلبت على القوى الادبية والفكرية فلوقت قصير والمرأة في هذا الميدان كفء للرجل فهل عليها ان تحذو حذو الرجل في توسيع مداركها والاهتمام بالثقافة والعمل ؟ قد يخشى في اوربا وامريكا ان يبعث نشاط المرأة الى تنافس الجنسين. اما علماء الاجتماع في مصر فلا نخالهم يعبأون بهذا الامر فان مناخ مصر مدعاة الى الكسل والى تجنب كل مجازفة او جهد وهذا ما على المرأة العصرية ان تحاربه وتتغلب عليه

النفس مخلوق حي يحتاج كالجسم الى التغذية والتمرين والنمو وليس الواجب مقتصراً على لزوم حالة راهنة بل على الترفع والتقدم. فعلى المرأة ان ترهف احساسها وتقوي ارادتها وتربي ذكاءها وتتعود المثابرة دون اخلال بأنوثتها. ان هذا العصر كثير المطالب فيجب ان تتفق مطامح المرأة وهذه المطالب وكل من لا تستسلم الا الى الدلال والكسل فبشرها بفشل ذريع فالمرأة العصرية يجب ان تأنف من ان تكون حيواناً او اداة عبث وهي التي تدعي بمساواتها بالرجل بل عليها ان تكون شريكة الرجل تشاركه في السراء والضراء وتطمح الى نفس الواجبات والحقوق المخولة له وهذا ما يشيد صرح سعادتها وليست سعادتها الا ان تعيش صحيحة الفكر والجسم ساعية قدماً في ميدان الحياة العقلية مدخرة ما استطاعت اليه من ثروة فكرية وأدبية

ليس بخاف عليكنّ يا حضرات الآنسات أثر السيادة التركية في مصر الحديثة وما كان للعلائق الودية بين كبار البلدين من توطيد ذلك الأثر حتى كانت العادة عند امرائنا واميراتنا ان يقضوا فصلاً طويلاً من السنة في بلاط الخليفة السلطان وهذا ما يفسر لنا لماذا قضت الاميرة ناظلي فاضل عهد شبابها الاول في القسطنطينية فتألق جمالها وسطع ذكاؤها حتى شغف بها الامير مراد ابن اخي السلطان عبد العزيز وودّ لو يتزوج منها لولا ان هذا الزواج كان مخالفاً لارادة الباب العالي فزوجها من خليل باشا شريف وارسله في بعثة خاصة الى اوربا فلفتت الاميرة اليها الانظار واختلف الى مجلسها كبار القوم المعجبين بها وكان من روّاد بهوها بسمارك ودزرائيلي ونابليون. ولما عادت الى مصر لتسكن بها سبقتها اليها شهرتها فأحاطها الخديو عباس حلمي ووزراؤه وممثلو الدول الاجنبية في مصر وكل عظيم في عالم الفكر والفن والسياسة بشتى مظاهر الاعجاب والاحترام. اما هي فكانت تغتبط بجماعة خاصة من اصدقائها الحميمين الذين وهبتهم ثقتها وقدروا فيها المرأة الوطنية وكان من بين هؤلاء المصلح الكبير الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وفتحي باشا زغلول الرجل القانوني والشيخ عبد الكريم سلمان وعلي

فخري بك المستشار بالاستئناف المختلط وفارس نمر باشا الذي أدلى اليّ باخبار الاميرة ناظلي وحسن حازم باشا كبير التشريفات في البلاط ولاسيما قاسم أمين وسعد زغلول ففي هذه الدائرة من الاصدقاء الذين احاطوا تلك السيدة العظيمة بشتي معارفهم نمت الفكرة النسوية وما عتمت ان آتت ثمارها فنشر قاسم امين كتابين «تحرير المرأة» و «المرأة الجديدة» وهما الكتابان اللذان عالج فيهما ترقي المرأة المصرية فلم يستقبلا بحماسة والغريب ان النساء انفسهن لم يكنّ اقلّ عداء للمؤلف من غيرهن ولكن امثال هؤلاء يجب ألا يُحفل بهن على ان هذين الكتابين ما لبثا ان عني بهما نخبة رجال مصر حتى ممن كان بادأها العداء من مثل طلعت حرب باشا

اما الاميرة ناظلي فقد استطاعت ان تذوق قبل وفاتها ثمر ما ساعدت على غرسه من انصاف المرأة في تلك الطبقة العالية التي بسطت فيها ظلال تلك الشجرة في تلك الطبقة التي كثيراً ما عنّفت الأميرة واطلقت عليها لقب الاميرة الغريبة الاطوار ومع ذلك فقد كانت حريتها مثالاً يؤثر فطرحت بنات مصطفى باشا فهمي الحجاب وحاولت ان تتأثر بهن زوجة سرهنك باشا وزوجة الدكتور محمود صدقي باشا ولكن الذي بعث على اعتناق هذه الحرية الحديثة هو سعد زغلول باشا لما دعا زوجته الى مشاطرته حياته السياسية فحصل ما كان في الحسبان وحف سعداً جماعة الاعوان والانصار فنفخوا في بوقه وافتتحت أبهاء الاسر ولا سيما بهو حرم محمود بك رياض وبهو حرم سلطان باشا وفيه شوهدت تلك الفتاة الجميلة ذات العينين السوداوين هدى سلطان التي كتب لها ان تضطلع بالارث الذي تركتهُ لها الاميرة ناظلي

ولعل السيدة هدى هانم شعراوي تنشر يوماً مذكراتها عن ذلك العهد عهد الشباب الذي هيأها لهذه المهمة العظيمة التي تضطلع بها اليوم والمعروف انها زفت في الثالثة عشرة من عمرها الى ذلك الرجل العظيم والوطني الهمام محمد شعراوي باشا. ومما لاشك فيه ان الحياة مع رجل ذكي حكيم قد صقلت نفسها فما لبثت ان ظهرت مواهبها دون الجنوح الى الزهو والخيلاء والانانية وهي السرية الثرية بل تطلعت دائماً الى المثال الاعلى الى المتع الفكرية فدرست وتثقفت وشغفت بالادب والفن ولسنا ندري أتعذبت هدى هانم من محيطها النسوي ام ان حنانها وعطفها على قضية المرأة لا يقدح شرره الاّ عند رؤيتها كآبة غيرها من النساء . فبعد موت زوجها تخصصت بتحرير المرأة فألفت لذلك لجنة اصلية هي الاتحاد النسائي وتفرع منهُ في السنوات الاخيرة لجنة فرعية باسم فتيات الاتحاد النسائي ثم شيدت مدرسة وافتتحت مشغلاً ومستوصفاً ومصنعاً للخزف واهتمت ان تزيد يوماً فيوماً عدد جيشها السلمي الذي يسعى جنوده الى ذلك المثال الاعلى ولسنا الآن أهلاً لان نحكم على ما قامت بهِ حرم شعراوي باشا في تاريخ المرأة المصرية فما يزال العهد حديثاً والدوائر التي أحاطت بأعمالها خفية عنا على ان المعروف المشهور هو فضل هذه السيدة الجليلة الذي يجل عن التعداد والحصر

ها هي المرأة في المعترك تعتنق كل ما تحدوها عليه أنوثتها فالمدارس قد غصت بالطالبات المتعطشات الى العلم والعمل وسنسمع يوماً صدى نجاح بعضهن يدوي في أذن الفضاء فحذار أن ننسى الاخريات اللواتي وان كان الدهر لم يسعفهن بنباهة الصيت الا انهن جديرات بالشكر لانهن الضحايا التي قدمت على مذبح سعادة اخواتهن . لقد اشتهرت المرأة المصرية بميلها الى الفنون وعدد من زاول صناعة الادب كبير جداً كالنجوم اللامعات في الافق وها نحن نذكر اشهرهن :

ملك ناصف. كانت في طليعة العدد القليل من الفتيات اللاتي قبلن في مدارس الحكومة فلمعت بين زميلاتها وتوسمت فيها آمال جسام ولكن الموت اختطفها زهرة نضرة بعد ان تزوجها عبد الستار بك الباسل ونشرت كتابها الذي وضعته باسم باحثة البادية . وأما اشهر من كتب باللغة العربية فهي النابغة مي زيادة التي خطت وكتبت بخمس لغات او ست ولكنها اجادت باللغة العربية وأشغلت ذكاءها النادر بالعلم والادب فأخرجت ثمانية كتب في موضوعات مختلفة واحد منها تناولت البحث فيه عن « ملك ناصف » فضلاً عما دبجته من مقالات في الجرائد السيارة وعما القته من محاضرات في الفلسفة والتاريخ والادب في اسلوب خاص بها هو الشعر المنثور . ومما لاشك فيه ان مي زيادة تعد في طليعة شهيرات الشرق فلقد جملها الله بذكاء متوقد استخدمته في مسائل مختلفة معاً وهي المتعطشة الى العلم والمعرفة الى ترفيع فكرها وعاطفتها وهي المعروفة كذلك بطيبة القلب وثقافتها النادرة. وهي وان كانت من اصل لبناني الا انها عاشت كل حياتها في مصر فهي تنسب الى مصر ولبنان على السواء . ولقد بهرت وهي في ريعان الصبا كل من حف حولها وما شرعت تكتب حتى اتتها الشهرة منقادة اليها فكثر زوارها وغص مجلسها الادبي الذي كان الحديث يتناول فيه بعدة لغات ولا ننسى ان مركز مصر الجغرافي يجعل منها بلداً مختلط السكان فلا عجب اذا رأينا كثيراً من المصريين والمصريات يجدن في التعبير بغير العربية او الفرنسية لغة السياسة التي هي اداة الرقة والاناقة[1]

ارجو اني توصلت الى اقناعكن ان المرأة المصرية بين نساء الشرق هي التي امتازت بالحكمة حتى في اشد ايامها حلكة وشقاء . ليس المقصود بالحكمة هذه التي اظهرتها بسماع هذه المحاضرة لم يخنكن الصبر فيها بل المقصود بها مناحي الحكمة الباصرة التي تولدها مداركنا مجتمعة فيقودها او يكبح جماحها العقل القوي الذي يجنبنا كل تفريط وافراط والذي يحدونا على ان لا نحتقر شرائط الطبيعة التي جعلت من المرأة شريكة للرجل تفيض بالدعة والايناس . وفي الختام نقدم لكل من بطلات التاريخ القديم والحديث فرائض اعجابنا واحترامنا فانهن جميعاً اشتركن في تحقيق سعادة المرأة المصرية في هذا العصر . انا بعثنا اليهن اعجاباً صادراً من اعماق القلب ولئن تحول الى شكر واعتراف بالجميل فما احقهن به

(١) المقتطف : بعد ذكر باحثة البادية ومي تبسطت مدام خير في ذكر طائفة كبيرة من المشتغلات بالآداب والفنون فاجتزأنا بما تقدم لضيق المقام

شاعر المنى !! ...

مَلَكْتَ دنيا المُنى والحسنَ يا شاعرْ !

كلُّ المفاتن تبغي الهائم الشاعرْ

فهو الوحيد لروح الحُسن بالسّابرْ (1)

يُبدي المفاتن لحناً للنُّهى آسِرْ

يصوّر الحسنَ حسٌّ ملهَمٌ ماهرْ

صدّاح للحُسن يُذكي نفحهُ العاطرْ

وأنت بالحسن تحيا أيُّها الشاعرْ

تقضي الليالي من فرط الجوى ساهرْ

تُنَسِّق القلبَ عِقداً دُرُّه باهرْ

وتُسمع الروض لحن البلبل الساحرْ !

يهفو لك الزهر يشكو حبَّهُ الثائرْ

مُستجدياً قبلةً من ثغرك الفاترْ !

وأنت تحنو بِرِفق المُدنف الآثرْ

مُقَبِّلاً منهُ خدًّا في اللّظى سادرْ

فأنتَ أنت المُنى للحُسن يا قادرْ

والحُسن مِنك مُناك المُلهِم الخاطرْ

مَلَكتَ دنيا المُنى والحسنَ يا شاعرْ !

القاهرة

محمد فهمي

(1) سبر غور الشيء اي عرف قراره والمراد هنا نفذ الى سره

الفيتامينات واثرها

في الصحة والمرض والنمو

أمراض يمنعها الفيتامين ويشفيها

بعد مكتشفات ماكولم التي تقدم ذكرها ، فتح باب مشكلة الفيتامينات على مصراعيهِ . وكانت اساليب البحث التي ابتدعها هذا الباحث الاميركي وأتقنها تبشر بمكتشفات جديدة في هذا الموضوع الخطير

وقاية العيون والبصر

فيتامين A

وقد كان الموضوع خطيراً حقًّا . ففي سنة ١٩٠٤ عني بحاثة ياباني بدراسة داء يصيب عيون الاطفال ببلادهِ (اسم هذا المرض كسيروفتلميا Xerophtalmia) فاتجه رأيهُ الى ان الباعث على هذا المرض نقص في الغذاء . وليس هذا المرض بجديد في علم الطب . بل كان معروفاً من قديم الزمان وكانت العمدة في علاجهِ من ايام ابقراط اضافة قليل من كبد الدجاج ودهن الانكليس الى الغذاء . وفي سنة ١٩١٣ لاحظ الباحثان اوسبورن ومندل ان الحيوانات التي يجربان فيها تجاربهما تصاب في عيونها بحالة تشبه مرض « الكسيروفتلميا » فشفياها منها باضافة قليل من الزبدة الى غذائها . وجاراهما ماكولم في هذا البحث الا ان انهُ عكسهُ اولاً اي انهُ ازال من غذاءِ هذه الحيوانات المواد التي تحتوي على فيتامين A فاصيبت بالمرض فأضاف الى هذا الغذاءِ الناقص مواد يكثر فيها هذا الفيتامين فشفيت منهُ . وشاهد رجل يدعى ولز وكان من رجال الصليب الاحمر الاميركي الوفاً من اطفال رومانيا مصابين بهِ فطلب مقادير كبيرة من «زيت السمك» وفيتامين A كثير فيهِ فشفاهم مما ألمّ بهم. وفي اثناءِ الحرب كانت بلاد الدنمارك تبيع كلّ ما يستخرج فيها من الزبدة لالمانيا ، وكان شعبها قد استبدل بالزبدة في غذائهِ زيت جوز النارجيل فأصيب اطفاله بهذا المرض في عيونهم فلما اعيدت الزبدة الى غذائهم تغلبوا عليهِ

وليس مرض « الكسيروفتلميا » بالمرض الوحيد الذي يصيب العيون لنقص في فيتامين A بل هناك العشو كذلك اي ضعف البصر في الليل. وهو حالة يصاب بها طوائف من الفلاحين الروس الذين لا يتناولون غذاءً كافياً ولاسيما في ايام الصوم الكبير عند ما يكتفون بغذاءٍ نباتي بحت. وقد اثبت البحث ان تناول « زيت السمك » يشفيهم منهُ

وعلاوة على ذلك ان نقص هذه المادة من الطعام يحدث اضطراباً في غدد اللعاب والدمع والهضم والتناسل، ويميل بعض الباحثين الى القول بان نقصهُ يضعف قدرة الجسم على مقاومة بعض الامراض المعدية ولاسيما الزكام والدرَن

***

كان ماكولم في السابعة والثلاثين من عمرهِ عندما أُخذ العلماء يحلّلون الرسائل التي نشرها في الفيتامين المحلّ الجدير بها من الاجلال . فدعتهُ جامعة جونز هبكنز الشهيرة الى تقلُّد منصب استاذ الكيمياء الحيوية فيها فقبل باشارة من صديقهِ مندل . فلما دخلت الولايات المتحدة الاميركية غمار الحرب سنة ١٩١٧ دعي الى وشنطن ليشترك مع غيره من العلماء في وضع برنامج غذائي للجيش الاميركي المسافر الى فرنسا ولبقية الامة الاميركية

مرض الكساح

فيتامين D

ما كاد يتقلد منصبهُ الجديد في جامعة جونز هبكنز حتى لاحظ ان طائفة من الجرذان التي يجرب تجاربهُ فيها ، تصاب بما يجعل عظمها ضعيفاً وصدورها مقوَّسة . فعرضها على استاذ امراض الاطفال في الجامعة فأيد لهُ ظنَّهُ بان هذه الاصابات هي كساح (rickets) فاشترك ماكولم مع قسم امراض الاطفال في الجامعة في دراسة الموضوع فكان هو ينوّع الطعام الذي تغذى بهِ الجرذان وغيرهُ يقوم بالفحص المجهري الدقيق . فتوصل بعد البحث الطويل الى تركيب غذاءٍ يحدث في الجرذان التي تتغذى بهِ حالة كساحٍ تامة الاعراض

وكان في الوقت نفسهِ رجل يدعى ملانبي Mellanby يشتغل في قسم الصيدلة بجامعة شفيلد بانكلترا ، وكان قد اتجه نظرهُ الى البحث في ما تصاب بهِ بعض الحيوانات من لين العظام عندما تغذّى بغذاءٍ ينقصهُ فيتامين A فقال ان الكساح مرض آخر من امراض التغذية الناقصة وان سببهُ نقص فيتامين A . وزعم انهُ يستطيع ان يشفي المصابين بالكساح باعطائهم غذاءً يحتوي على هذا الفيتامين

ولا يخفى ان الكساح داءٌ خطير عرف قديماً ولايزال حتى الآن متفشياً في كثيرٍ من البلدان

والاطفال المصابون بهِ تتقوّس سيقانهم ، ويعجز جسمهم عن ترسيب املاح الكلسيوم في عظامهم فتضعف عظام صدورهم ويصبحون معرضين لامراض الصدر تفتك بهم غالباً وكثيراً ما يكون سوء تغذية الام وهي حامل ، ثم سوء تغذية الوليد ، من البواعث على عجز اي غذاءٍ كامل عن شفاءِ المصاب

ولكن ملانبي اخطأ في معرفة سبب المرض لانهُ لم يكن ناشئاً عن نقص في فيتامين A فأجرى ماكولم تجارب اثبتت اثباتاً قاطعاً ان فيتامين A لا يفيد مطلقاً في منع الكساح مع ان زيت السمك ، من أفعل العقاقير في منعهِ . ولكن زيت السمك يحتوي على فيتامين A فهل يحتوي ايضاً على فيتامين آخر لهُ الفعل الحاسم في منع الكساح ؟ ولكن ما السبيل الى ازالة فيتامين A من زيت السمك لاجراء التجربة بهِ والبحث عن فيتامين آخر فيهِ ؟

كان هبكنز الانكليزي قد اكتشف انهُ من السهل «اكسدة» فيتامين A فيفقد فعلهُ الحيوي فاخذ ماكولم قدراً من زيت السمك وغلاهُ على درجة مائة بميزان سنتغراد ونفخ فيه غاز الاكسجين بوساطة جهاز خاص مدة اربع عشرة ساعة ، فاتحد الاكسجين بفيتامين A اي « تأكسد » الفيتامين وفقد فعلهُ واخذ زيت السمك بعد ذلك وامتحنهُ بجرذان مصابة بمرض العيون المعروف باسم «كسيروفثلميا» فلم يشفها فثبت ان فيتامين A قد أزيل منهُ ، لانهُ لو بقيت من هذا الفيتامين بقية يسيرة في الزيت لظهر اثرها في الجرذان المصابة

ولكنهُ لما اضاف هذا الزيت الى غذاء جرذان مصابة بالكساح شفيت مما ألمّ بها . فثبت ان في زيت السمك فيتاميناً غير فيتامين A مقاوماً للكساح ، فدعاه ماكولم في شهر اغسطس من سنة ١٩٢٢ « فيتامين D الذي يذوب في الدهن »

الفيتامين والتناسل

فيتامين E

وفي ٨ ديسمبر من السنة نفسها اذيع اكتشاف فيتامين آخر . ولاكتشافه قصة طريفة . ففي سنة ١٩١٥ لاحظ ماكولم ان الجرذان التي يجرب تجاربه فيها لا تتناسل في مواعيدها السوية فعزا ذلك الى سبب مجهول . وحالت المسائل التي كان يشتغل بها حينئذٍ دون متابعة البحث ولم يفطن احد من العلماءِ الى مشاهدتهِ هذه فطويت

ولكن باحثاً يدعى هربرت افانس Evans كان يبحث في دورة التناسل في الجرذان من حيث علاقتها بأنوار الغدد . الاّ انهُ لم يكن كيمياويًّا يعنى بالكيمياء من ناحيتها الزراعية او الحيوية وانما كان فسيولوجيًّا يهتم بالعوامل التي تؤثر في التناسل . وكان غذاء الجرذان من هذه العوامل . فغذى جرذانهُ بغذاءٍ يكثر فيه فيتامين A وفيتامين B . فلاحظ هو ومساعدتهُ ان

الجرذان تتزاوج وتحمل في مواعيدها السوية ، ولكنها لا تلد بل تسقط حملها . وفي كل حادثة من الحوادث التي شاهداها ، كان الجنين يموت قبل ميعاد الولادة . وعجز الفيتامينان اللذان تقدم ذكرهما عن منع هذه الحالة الشاذة

فشرعا يبحثان عن مواد غذائية تحتوي على عنصر غذائي مجهول ، من شأنهِ ان يساعد الجرذان على الحمل والولادة السويين . فوجدا ان ورق الخس فعّال وكذلك جنين الحنطة بل وجدا انهما اذا استقطرا زيتاً من أجنة الحنطة واضافا منهُ مقادير يسيرة جدًّا الى غذاءِ هذه الجرذان تمكنت الاناث من حمل الجنين مدة الحمل السوية ثم ولادته حيًّا . فلما استوثق افانس من ان نقص هذا العامل الغذائي المجهول يفضي الى عقم ذكور الجرذان والى موت الاجنة في أرحام الاناث اعلن اكتشافهُ فيتاميناً جديداً ووسمهُ بالحرف X ولكن الباحث بارنت شور Sure وسمهُ بالحرف E بعد ما حقق في السنة التالية النتائج التي وصل اليها افانس

وقد طبق اكتشاف افانس هذا على البقر اولاً ثم على النساءِ فأسفر التطبيق عن نجاح يفوق ماكان متوقعاً لهُ . ذلك ان افانس لم يزعم شأن الباحث العلمي الحذر ، ان ما يصحُّ على الجرذان يصح على البشر . ولكن الدكتور فوخت مولر الطبيب بمستشفى اورانس ببلاد الدنمارك عالج طائفة من البقر كان مشهوراً عنها اسقاط أجنتها فاضاف الى غذائها مواد تحتوي على فيتامين E فنجحت تجربتهُ نجاحاً طيباً . وفي ٢٥ يوليو سنة ١٩٣١ اذاع عن طريق مجلة «اللانست» الطبية نتائج هذا الاسلوب من العلاج في النساء المجهضات . في الحادثة الاولى كانت المرأة في الرابعة والعشرين من عمرها وكانت قد حملت اربع مرات وأسقطت الجنين في كل منها فناولها الزيت المستخرج من أجنة الحنطة عن طريق الفم . فكان حملها التالي سويًّا وولدت في الميعاد السوي طفلاً سليماً . وفي الحادثة الثانية كانت المرأة في التاسعة والعشرين من عمرها وكانت بعد وليدها الاول قد حملت اربع مرات واسقطت الجنين في كل منها . فأعطيت مقدار ملعقتي شاي كل اسبوع من زيت أجنة الحنطة فكانت النتيجة كنتيجة الحادثة الاولى

ومن الباحثين من يعتقد اعتقاد الدكتور فوخت مولر ان فيتامين E لاغنى عنهُ للبشر ولكن جماعة الاطباءِ بوجهٍ عام لاتزال تنتظر الحكم الفاصل في الموضوع . حتى افانس نفسهُ أذاع بياناً في سنة ١٩٣٥ حذّر فيهِ من عواقب استعمال هذا الفيتامين من دون تمييز لشفاءِ العقم في البشر لان العقم قد يكون ناشئاً عن اسباب اخرى

ثم وجد الاستاذ شرمن ان نقص فيتامين E يضعف الوظيفة التناسلية ، وأكد افانس ان هناك اربع مواد اخرى على الاقل لها فعل فيتامين E

ففيتامين E ليس فيتامين العقم ، ولكنهُ إحدى المواد الكيمياوية التي لاغنى عنها للتناسل السوي

فيتامين مرض الاسكربوط

فيتامين C

لعل اول مرض ادرك الانسان انهُ مرض ناشيء عن نقص في الغذاء هو مرض الاسكربوط. وقد كان المصابون بهِ يجيئون الى ابقراط وفي مفاصل سيقانهم أوجاع وآلام ، وفي لثاتهم تقيُّح وغنغرين . فكان لا يعرف كيف يعالجهم . ويروي مؤرخو الطب ان ألوفاً من الاوربيين الذين اشتركوا في الحروب الصليبية عانوا مرضاً بطيء الفعل كان يبدأ بتعب وشحوب اللون ونقص الوزن وضعف الشهية وتوتر الاعصاب . ثم كانت جدران الاوعية الشعرية تتلف فيحدث النزف ويصحب ذلك تضخم في الركب والمفاصل واعياء عام ينتهي بتشنج وهذيان فبالوفاة

وكان مرض الاسكربوط يعرف ايضاً باسم « مصيبة الملاح » لان كثيرين من الملاحين ، ولاسيما الذين كانوا يرحلون رحلات بحرية طويلة كانوا يموتون بهِ

ففي سنة ١٥٣٥ استعمل رجل يدعى كارتييه خلاصة حبوب الصنوبر لوقاية ملاحيهِ من هذا المرض . ويقال ان الكابتن كوك اضاف بعض الخضراوات الى طعام ملاحيه المؤلف من اللحم المملح فلم يصب احد من ملاحيه بالاسكربوط . وفي سنة ١٧٥٠ اشار رجل يدعى كولباتش باستعمال عصير البرتقال والليمون الحامض في علاج هذا المرض ، وفي اوائل القرن التاسع عشر اصدرت الاميرالية البريطانية امراً بجعل عصير «اللَيم» Lime جزءًا من ارزاق البحارة على جميع سفنها

ولكن سبب الاسكربوط الصحيح ظل غامضاً حتى انقضت عشر سنوات على بحث ايكمان في علاقة مرض البريبري بالرز المقشور . فشرع هولست وفرويلخ في تجربة التجارب في الارانب الهندية لمعرفة سبب الاسكربوط . ومن حسن طالعهما انهما اختارا الحيوان الصالح لهذه التجارب ، لان هذا المرض لا يصيب الجرذان ولا السنانير ولا الكلاب ولا الطيور

فغذيا الارانب الهندية بغذاء مؤلف من خبز وحبوب فأصيبت باعراض المرض . فأضافا الى غذائها ثماراً وخضراوات مختلفة ، وبعد بحث دام خمس سنوات أثبتا ان العنصر الخفي الذي يشفي من الاسكربوط ويمنعهُ ، كثير في الليمون الحامض والبرتقال واوراق الكرنب (الملفوف) والبزور المنتشة (النابتة) . اما الحبوب والبزور الجافة فلا تحتوي عليهِ

وقد اعتمد الاميرال برد الاميركي على هذا الاكتشاف في رحلتهِ الى المنطقة المتجمدة الجنوبية ، اذ اخذ معهُ حبوباً جافة ، يمكن بلها حتى تنتش فتستعمل في حالة الاصابة بالاسكربوط

ومن الغريب ان هولست صنع خلاصات يكثر فيها هذا العامل الغذائي المانع للاسكربوط والشافي منهُ ووصفهُ بانهُ مادة كيماوية تذوب في الماء ، قبل ان يكشف ماكولم فيتامين A

وفيتامين B ، ولكن العلماء لم يصدقوا حينئذٍ أن الاسكربوط يرجع الى نقص في الغذاء . وكان الغالب عليهم حينئذ الأخذ بان سبب الاسكربوط زيادة الحموضة في الطعام ، او نوع من السم كالسم الذي يعثر عليهِ احياناً في الاطعمة المحفوظة ، او زيادة الملح في الاطعمة المملحة وهي الاطعمة التي يعتمد عليها الملاحون . وظل الخلاف على الموضوع الى سنة ١٩١٨ عندما اثبت بالتجربة الدقيقة ان الاسكربوط سببهُ نقص فيتامين معين دعي فيتامين C

البلاجرا : مرض الفاقة

فيتامين G

ثم أضيف فيتامين آخر ، وكان مرجع الفضل فيهِ الى طبيب مقدام لا يخشى الموت حقيقة لا مجازاً ، يدعى الدكتور جولدبرجر ، وكان من نصيبهِ ان يتناول بالبحث مرضاً يصيب الناس دون الحيوان على ما يعلم ، فلم يتخذ جولدبرجر جرذاً ولا أرنباً ولا سنَّوراً يجري عليهِ التجارب ، بل جعل نفسهُ وامرأتهُ وبعض السجناء مردّ تجاربهِ

كان قد قضى اربع عشرة سنة في مصلحة الصحة العامة بالولايات المتحدة الاميركية ، أصيب في خلالها بحميات ثلاث التيفوس والصفراء والدنج . فلما أهلت سنة ١٩١٤ عهد اليهِ في مهمّة جديدة — مهمة مكافحة البلاجرا

والبلاجرا مرض حاصد ، كان قد انقضى عليهِ نحو قرنين من الزمان منذ عرفهُ الاطباء . فلما عهد الى جولدبرجر في مكافحتهِ ، كان متفشياً اي تفشٍّ في المناطق الجنوبية من الولايات المتحدة الاميركية ، وكان الشعب يتوسل الى الحكومة بأساليب مختلفة بان تسعى الى قهرهِ لشدة ما عانى منهُ . فقد كان الصغار والكبار في المناطق الجنوبية الفقيرة ، يعانون التهاباً في اللسان والفم ، وقروحاً في الجلد تبدو صغيرة خفيفة ثم تكلح وتكثف وتنشق ، وكان اكثرها على ظهر الكفين والقدمين والساعدين ، ويصحب ذلك سوء هضم واسهالٌ ودوار واضطراب عصبيٌّ ، وكثيراً ما كانت تفضي هذه الاصابات بصاحبها الى القبر

وكان الاطباء حينئذٍ يميلون الى الاعتقاد ان للبلاجرا سبباً ميكروبيًّا ، وأقوى سندٍ استندوا اليهِ في رأيهم هذا ان البلاجرا بدت مرضاً معدياً يتفشى خاصة في السجون وملاجىء الايتام والمناطق الفقيرة في البلاد التي يكثر فيها زرع الذرة . وعينت لجنة من قبل الحكومة لبحث الموضوع فقالت في بيانها ان المرض معدٍ وان ناقلة العدوى حشرة ماصة للدم . ومما عزز الثقة برأي اللجنة ، ما اصابهُ الطب من النجاح في مكافحة الملاريا والحمى الصفراء على هذا الاساس . ولكن جولدبرجر داخلهُ الريب في رأي اللجنة . ولم يتأثر بنجاح الكفاح ضد الملاريا والحمى الصفراء ، وكان يميل في قرارة نفسهِ الى الظن ان البلاجرا مرض من امراض العوز والفاقة

ذهب جولد برجر في زيارة الى مستشفى الحكومة في ولاية كارولينا الجنوبية . فلاحظ ان احداً من الاطباء والممرضات والمعاونين في المستشفى لم يصب بذلك المرض ، مع ان اكثر مرضاه أصيبوا به . وبعد ما جرب بعض التجارب بالاغذية التي يتناولونها ذهب الى ولاية جورجيا وفي مصحة الحكومة وجد كثيرين من المصابين به فجرَّب ان ينوّع غذاءهم علهُ يقع على ما ينير السبيل . ثم زار بضعة ملاجئ للاطفال في ولاية مسيسبي فوجد فيها اطفالاً مصابين به تتفاوت أعمارهم من ست سنوات الى اثنتي عشرة سنة ، ولاحظ انهم يتناولون قليلاً من اللبن في طعامهم . فبدا لهُ حينئذٍ ان طريقهُ أصبح واضحاً . فذهب الى حاكم ولاية مسيسبي وطلب اليه أن يعاونهُ في الفوز بمتطوعين لتجربة التجارب فيهم . فاختير لذلك اثنا عشر رجلاً من سجناء سجن رانكين المحكوم عليهم بالسجن مدى الحياة وهو سجن لم يصب أحد من رجاله ولا من سجنائه بالبلاجرا وقطع لهم عهد بأنهُ اذا نجوا من الموت بعد اجراء التجربة عليهم أطلق سراحهم . فغذاهم جولد برجر بغذاءٍ قوامهُ دقيق أبيض ورز مقشور ودقيق الذرة الخشن ودهن الخنزير وشراب قصب السكر . وكان لهم أن يأكلوا من هذا الغذاء أي قدر شاءوا ولكن ليس لهم أن يأكلوا شيئاً غيره . وبعد انقضاء عدة أسابيع بدأ احدهم يشكو من التهاب في لسانه وقروح مشققة في طرفي فمه ، وبعد انقضاء ستة أشهر أصيب أحدهم بطفح البلاجرا ثم أصيب خمسة آخرون . ولكن احداً غيرهم في ذلك السجن لم يصب بأي عرض من أعراض البلاجرا

عند ذلك أضاف جولد برجر الى غذائهم اللبن واللحم والخضراوات والثمار فاستعادوا صحتهم كاملة وأطلق سراحهم

وظنّ جولد برجر حينئذٍ انهُ أقام الدليل التجريبي على ان البلاجرا مرض من أمراض التغذية او سوئها ، ولكن غيره من الاطباء ظلوا مقتنعين بأن سبب المرض نوع من انواع الميكروبات

فلم يبق امام جولدبرجر في هذه الحالة الاّ خطوة واحدة . ومن بواعث مناقبه انهُ لم يحجم . وفي يوم ٢٥ ابريل سنة ١٩١٦ حقن في عروقه دماً من دم امرأة مصابة اصابة حادة بالبلاجرا ، وفي اليوم التالي تناول عن طريق الفم برازَ مصاب آخر ، ثم كحت بعض الطفح عن جلد مصاب ثالث وجففهُ وسحنهُ وتناولهُ هو وزوجه ولبث اسابيع ينتظر ان يصاب بالبلاجرا اذا كانت البلاجرا حقيقة مرضاً مكروبيًّا . ولكنهُ لم يصب لان هذا المرض لم يكن مرضاً مكروبيًّا

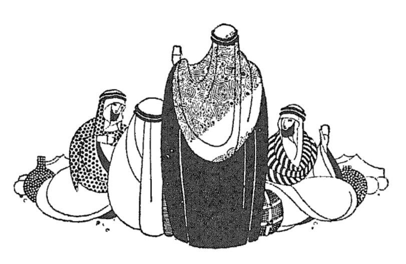
الاّ ان سرطان الكليتين قضى عليه سنة ١٩٢٩

ولكن جمعية الكيمياويين الحيويين الاميركيين قررت ان تبدل اسم الفيتامين المانع للبلاجرا وكان قد وسم بحرفي (P. P.) فتجعله فيتامين G وهو الحرف الاول من اسم جولدبرجر باللغة الانكليزية

جدول موجز

لانواع الفيتامين وخواصها

اسم الفيتامين	مكتشفه	الامراض التي يقي منها	بعض خواصه	المواد التي يكثر فيها
A	ماكولم ١٩١٢—١٩١٤	كسيرو فتلميا (مرض يصيب العين) . العشو . تأخر النمو . ضعف المقاومة للعدوى (؟)	يذوب في الدهن يفقد قوته عند التعرض للهواء لا تتلفه حرارة الطبخ العادي	زيت السمك ، الزبدة ، اللبن ، صفار البيض ، الجبن ، الجزر ، الخس ، الطماطم ، الكبد ، الاسبانخ
B	ماكولم ١٩١٥—١٩١٦	البريبري ، اصابة انساج الاعصاب وأعمال الهضم الهزال والضعف وفقد الشهية	يذوب في الماء يمكن احماؤه قليلا يتلف عند الدرجة ١٢٠ سنتغراد	الخميرة ، الرز ، صفار البيض ، الحمص ، قلب حبة الحنطة ، ردة الحنطة ، الشوفان ، الذرة ، عصير البرتقال ، الطماطم
C	هولست ١٩١٢	الاسكربوط تخلخل الاسنان وحفرها الهزال . انتفاخ المفاصل . ضعف المقاومة البدنية	يذوب في الماء يتأثر بالحرارة . يتأكسد بسرعة يذوب على الدرجة ١٨٩ سنتغراد	عصير البرتقال ، عصير الليمون ، الكرنب ، الكرفس ، الخس ، الليم ، الطماطم ، البصل ، الاسبانخ ، البزور المنقشة
D	ماكولم ١٩٢١	الكساح ، ضعف العضلات العام ضعف تمثيل الكلسيوم والصوديوم . حفر الاسنان رومآتزم	يذوب في الدهن لا يتأثر بالحرارة ولا يتأكسد يذوب عند الدرجة ١١٤ سنتغراد	زيوت أكباد السمك ، صفار البيض ، سمك السلمون ، الاطعمة التي عرضت للاشعة التي فوق البنفسجي ، البطارخ
E	افانس ١٩٢٢	العقم في ذكور الجرذان ، الاسقاط في اناث الجرذان	يذوب في الدهن ثابت على الحرارة يتحمل التعرض للاكسجين يذوب على الدرجة ١٥٨ سنتغراد	زيت أجنة الحنطة ، الخس ، الاسبانخ ، الحبوب ، زيت بزر القطن ، فول صويا ، الذرة الصفراء ، زيت الزيتون
G	جولد برجر ١٩١٦	بلاجرا الضعف العام اضطرابات الهضم	يذوب في الماء لا يتلف بالطبخ او الاحماء	الخميرة ، البيض ، الكبد ، الكليتان ، الطحال ، اللبن ، اللحم الاحمر ، الاسبانخ ، سمك السلمون ، اللفت ، البطاطس



عمر بن عبد الله

ابن ابي ربيعة

— ٣ —

لجبرائيل جبور
احد اساتذة الادب العربي
بجامعة بيروت الاميركية

«شعره» انقلاب كبير هز الجزيرة هزًا، وفتح عظيم حمل اليها مدنيات الفرس والروم، وتطور خطير في الخلق والنظم والعادات، وانتقال من شظف العيش الى سعته ومن فقره الى غناه، وأبواب للهو تتفتح امام مدن الحجاز وشباب اغنياء حيل بينهم وبين السياسة وحرموا ادارة الاعمال في دولة بني امية فعكفوا على لهوهم وفرغوا له، وكان بينهم شعراء صوروا بأشعارهم هذه الحياة اللينة في تلك المدن اصطلح الادباء على ان يسموهم بالشعراء الإباحيين. وشباب في البادية، حالتهم غير حالة أهل المدن، حُرموا السياسة وحُرموا المال، ولم يكونوا من القوة او الجاه والمكانة بحيث يحدثون الفتن او يُحسب لهم حساب فانقطعوا الى شيء من اليأس والانكسار وكان بينهم شعراء اصطلح الادباء على تسميتهم بالعذريين. وكانوا كأنما ضرب عليهم ان ينشدوا ألحان الحزن ويرجّعوا صدى اليأس والعفة في الحب وكان شعرهم بحقٍّ من ارقّ ما ترك العرب من الشعر الغزلي

وشعراء آخرون لم يتقيدوا في قطر واحد او فن واحد، لم يعرفوا العبث، ولم يعرفوا العفة ولم يعرفوا الحب نفسه، ولكنهم لم يخرجوا عن انهم شعراء يحسنون التصوير فصوروا وأسميهم بالشعراء الفنيين او الصناعيين او التقليديين تمييزاً لهم عن الاباحيين والعذريين. ولم يجعل هؤلاء الغزل غرضاً يقصد اليه بل استعانوا به كوسيلة الى غيره من الاغراض

واريد ان تلاحظوا شيئاً وهو ان الغزل الاباحي والعذري لم يُعرفا بوجه عام عند غير شعراء الحجاز. اما الغزل الفني فقد عرفتهُ شعراء الاقطار الاخرى وأجاد بعضهم فيه وكلكم يعلم ابيات جرير التي فيها

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيينَ قتلانا
يصرعنَ ذا اللب حتى لاحراك بهِ وهنّ اضعف خلق الله انسانا

واريد ان اقيد ملاحظاتي هذه في انهُ ليس من اللازم ان يكون كل شاعر أوتي الغنى وحرم السياسة وعاش في المدن اباحيًّا، ولا كل شاعر حرم المال والسياسة وبدا كان عذريًّا، ولا كل شاعر غير حجازي كان تقليديًّا. فقد كانت هناك احوال خاصة دفعت بعض الشعراء الى ان يشذوا عن هذه القاعدة . واذا سألني سائل ومن اي فريق كان عمر أجبته على الفور من كل من هؤلاء . ولكنهُ كان اباحيًّا قبل كل شيء وعذريًّا بعده وفنيًّا في الموضع الثالث . فقد احب وصدق وفتك حيناً واحب وصدق وعف حيناً آخر ولم يصدق ولم يحب ، بل لعله لم يعرف هذا المحبوب الذي وضع فيهِ شعره الفني حيناً ثالثاً . وشعره خير شاهد على ما اقول . ففيه قصائد اباحية يصرح فيها بفتكه وعبثه واخرى عذرية تمثل الحب البريء الصادق وان تكن رنة الشكوى والعذاب والحزن والاستسلام الى اليأس غير قوية كما هي في سائر الشعر العذري . وله قصائد لم ينظمها فيما أرى الاَّ لان المغنين او غيرهم قد ألحوا عليهِ في ان ينظم لهم فنظم

ولكن عمر كان يختلف عن غيره من الشعراء الذين عاصروه في انهُ الشاعر الوحيد الذي صور لنا حياة المدن الاجتماعية البهجة ولا سيما ذلك الجانب منها الذي يتعلق بالمرأة وصلة عمر بها فكان شعره من هذه الناحية سجلاً للحياة التي عاشها وصورة للعواطف التي اضطربت في نفسه. ونحن وان كنا نعلم انهُ ليس من اللازم ان تكون كل الحوادث التي ذكرها في شعره قد وقعت لهُ حقاً فاننا نرى ان تعبيره عن احساسه قد استمده من حياتهِ الخاصة . ونرى اشخاص شعره مخلوقات حساسةً محبوبةً بارزة تتكلم وتتحرك وتلعب دورها في الحياة

هوذا الحديث قد طال ولم اصل بالقارىء الى درس شعر عمر ودرس اثره في نفوس معاصريهِ وتابعيه . فلقد كان حقًّا يفتن شعر هذا الشاعر الذي استطاع ان ينال اعجاب اعظم فقهاء الحجاز فيصرفهم في كثير من الاحيان عن جد الحياة الى بهرجها . وليس لديّ متسع لاسرد خبر عمر ينشد رائيته طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري فما يزال هذا واقفاً شانقاً ناقته حتى تكتب لهُ القصيدة او خبر عمر مع عبد الله بن عباس وقد وفد على هذا رئيس الازارقة يسألهُ في الدين فينصرف عنهُ ويميل الى عمر يستمع الى شعره . فيقول ابن الازرق : الله يا ابن عباس انا نضرب اليك اكباد الابل من اقاصي البلاد ونسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا ويأتيك مترف من مترفي قريش فينشدك سفهاً وتستمع اليهِ ! فينكر ابن عباس ان في هذه القصيدة سفهاً ويقول انها من آل نعم وانا نستجيدها . أو أسرد خبر الامام سعيد بن المسيب يفاخر الناس بشعر عمر

وأي اثر قد تركه في نفوس النساء ذلك الشعر حتى صار الرجال يرون حرجاً عليهنّ ان يعرفنَ

شعر عمر فقالوا ما دخل على العواتق في خدورهن شيء أضر من شعر ابن ابي ربيعة . ورأى بعضهم جارية تدخل على أهله حاملة دفتراً فيه شعر عمر فقال لها . ويحك تدخلين على النساء بشعر ابن أبي ربيعة ! ان لشعره لموقعاً من القلوب . ومدخلاً لطيفاً ولو كان شعر يسحر لكان هو فارجعي. وقال بعض الرواة أدركتُ مشيخة من قريش لا يزنون بعمر ابن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النسيب . وكانوا يستحبون منهُ ما يستقبحونهُ من غيره وكأني أراه الآن قد غلب على قلوب القرشيين فمالت أهواؤهم اليهِ وملك عليهم نفوسهم فخضعوا لسحره حتى صار يقال اذا أعجزك أن تطرب القرشي فغنهِ بشعر ابن أبي ربيعة ولحن ابن سريج فانك ترقصهُ ترقيصاً

أما أثره في نفوس الشعراء من معاصريه فلم يكن قليلاً ولقد اجتمع اليهِ الفرزدق واستنشده من شعره فأنشده احدى قصائده فصاح الفرزدق : أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس ، لا تحسن والله الشعراء ان يقولوا مثل هذا النسيب ولا أن يرقوا مثل هذه الرقية . وسمع جرير بعض شعر عمر فقال : ان هذا الذي كنا ندور عليهِ فأخطأناه وأصابه هذا القرشي . أما جميل بن معمر زعيم العذريين فقد تعارض وعمر فلما أنشده عمر لاميتهُ قال جميل : هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالي ، والله ما خاطب النساء مخاطبتك أحد قط

ولم يفت النقاد أن يلتفتوا الى شعر عمر فأثنى أكثرهم عليهِ ولقد حفظ عن مصعب الزبيري نقد لشعر عمر تكاد كتب الادب لا تحفظ نقداً أطول منه لشعر شاعر

ولكن أحقاً كان عمر كل هذا ، أم ان هؤلاء القدماء قد عودونا أن يقولوا في كل شاعر مثل هذا ؟ الواقع هو أن للقدماء آراء في النقد هي في كثير من الاحيان قليلة القيمة بعيدة كل البعد عن شروط النقد الصحيح ، ولكن هذا الاجماع على الاعجاب بعمر نكاد لا نراه عندهم لغير عمر . ويفرض عمر نفسه على كثير من الادباء والنقاد والشعراء المتأخرين ويبقى أثره في الاجيال التي تلته بحيث لا نكاد نرى الآن كتاباً لأديب أو مؤرخ أو معجباً واسعاً الاّ وقد ضمن شيئاً من شعر عمر . حتى اذا جاز الادب العربي عصر الظلمات وانبثق فجر النهضة الحديثة لم يفت العلماء من عرب ومستعربين ان يلتفتوا الى عمر

ولعلّ أول من تنبه اليه مستشرق انكليزي باسم بلكريف فكتب رسالة عنهُ وترجم شيئاً من شعره قبل سنة ١٨٧٢ . وكان روكرت الالماني معجباً بعمر وقال عنهُ انهُ أعظم شاعر في الغزل عند العرب . وقد حاول جمع شعره ليترجمه الى الالمانية فمات قبل ان يتم لهُ ذلك فنهض بعض هذا الامر بعده بول شفارز الالماني وترجم خمس قصائد ونشرها سنة ١٨٩١ . ثم نشر كل ديوانه بين ١٩٠١ و ١٩٠٩ ولست مبالغاً اذا قلت انهُ قد نال شعر عمر من العناية على يديهِ ما لم ينله ديوان شاعر عربي حتى الآن

وانبرى المستشرقون يثنون على عمر فمدحه بركلن ونكلسن. ومما قاله الاخير: انا اذا استعرضنا شعراء الحجاز في عصر بني أمية فالزعامة لعمر وهو حامل لواء الشعر الغزلي . وقال عنهُ « جب » في بحثه عن نشأة الغزل : وان أعظم عامل بين هؤلاء الشعراء الغزلين وأولاهم ذكراً لعمر ابن أبي ربيعة دون جوان مكة وأوفيد العرب والشرق

واذا تركتم هؤلاء المستشرقين وانتقلتم الى أدبائنا العرب ترون عناية جلى والتفاتاً عظيماً وثناءً كبيراً فقد كتب الدكتور ضيف رسالة باللغة الفرنسية قدمها الى السربون وقابل فيها بين عمر والفرد دي موسيه . ووضع الدكتور زكي مبارك رسالة في حب ابن أبي ربيعة وخصص الدكتور طه حسين جانباً من أحاديثه الادبية لدرس عمر. وأكتفي بنقل عبارة كتبها الدكتور طه في عمر تقديراً لهُ : « فعمر اذن زعيم الغزلين الامويين لا نستثني منهم احداً ولا نفرق بين اهل البادية واهل الحاضرة بل نحن نذهب الى أبعد من هذا فنزعم ان عمر ابن ابي ربيعة زعيم الغزلين في الادب العربي كله على اختلاف ظروفه وتباين اطواره منذ كان الشعر العربي الى الآن »

وتقول بعد هذا : وما هو هذا الشعر الذي سحر القدماء وخلب ألباب المحدثين ؟ فارجو ان تمنحني شيئاً من الوقت احاول فيه درس بعض الظواهر في هذا السبيل

لعلك لاحظت من حديثنا عن عمر انه قصر شعره على وصف المرأة فهو من هذه الناحية شاعر كان من أسبق الناس الى التخصص — هذه الظاهرة القوية في نهضة العالم العلمية اليوم — وكان موضوع دراسته المرأة فهو لا يصف الا المرأة ولا يلتفت الى شيء اذا لم تكن فيه المرأة حتى الحج ومشاعره فانها لم تكن لتستوقف نظره اذا تغيبت عنها المرأة

ولقد لقيهُ سليمان بن عبد الملك فقال : ما يمنعك يا عمر من مدحنا ؟

قال : انا لا امدح الرجال انما امدح النساء . فكان كالطبيب المتخصص تسألهُ ان يعالجك من امر ليس من اختصاصه فيقول لك : ليس لي يد بهذا اذهب الى فلان انما اعنى انا بكذا وكذا من الامر

وبعد أوليس من الطبيعي ان يعنى الناس بقول هذا الذي تخصص في حب النساء ؟ نعم ! ومن هنا كان بعض تشوق الناس الى استماع شعره فيهن . وقد كان الامام ابن عباس يقول هل حدث هذا المغيري شيئاً بعدنا . وقد ادرك القدماء هذا في عمر فقال جرير وقد سأله بعض المدنيين ان ينشدهم من شعره : انكم يا اهل المدينة يعجبكم النسيب وان انسب الناس المخزومي. وقال آخر : ان عمر لزم مذهباً واحداً لم يجاوزه فأكثر فيه وأحسن . وفي تخصصه توصل الى استعراض امور دقيقة في الحب وحياة النساء لم يعرفها او لم يذكرها اسلافه ومعاصروه وشهر في هذا الامر بحيث صار اماماً لشعراء الغزل . وقد كان الغزل قبله وسيلة لغاية واستمر عند

بعض الشعراء هكذا حتى اليوم . اما عمر فقد جعله غاية تقصد وسن بذلك طريقاً للغزلين. وشعر عمر من هذه الناحية — في نظري — خير مصدر تاريخي لدرس المرأة الحجازية في ذلك العصر من حيث عاداتها واخلاقها ولبسها وحريتها ومكانتها وتفكيرها وربما بعض تعابيرها. ولقد يدهش بعض نساء هذا العصر اذا عرفن ان النساء زمن عمر كن يتجملن مثلهن فيرققن حواجبهن ويقوسنها ويصففن شعورهن على طريقة خاصة ويلبسن الرقيق الحريري من الثياب يشف عما تحته من ناعم الاجسام

شفَّ عنها مرَقٌ جَنَدِيٌّ   فهي كالشمس من خلال السحاب

والظاهرة الثانية هي قصة القصص في شعره ويتفرع عن هذا أمران — المحاورة بين اشخاص قصة ووحدة المعنى واللفظ في القصيد

ينعى بعض النقاد المحدثين على الشعر العربي القديم خلوه من القصة ولعلهم مخطئون اذ يجب ألا يتبادر الى اذهان الناس ان كل الشعر القديم قد خلا من القصة فقد حاول امرؤ القيس وغير امرىء القيس ان يسردوا اخبار حبهم في شعر قصصي ، وهم وان لم يوفقوا فقد طرقوا باب القصة . اما عمر فقد ابرز القصة في شعره للعيان بحيث لم يترك للشراح والمفسرين مجالاً للتعليق

وقد سرد عمر في هذا الشعر القصصي اكثر وقائع حبه ولعله وضع واختلق وقائع لم تجر له . وفي هذه المحاولة لسرد اخباره مع صاحباته انطق اشخاص قصته فبدت ذوات حية وتعرض لذكر الاحاديث والمحاورات التي كانت تدور بينه وبين بعض صواحبه او بين احداهن واخرى من اترابها وهي صعوبة في نظم الشعر لا يستطيع التغلب عليها الا المطبوعون على سرد القصص . وقد وفق عمر في هذا فادهشت هذه الظاهرة جميل بن معمر فقال لعمر والله ما خاطب النساء مخاطبتك احد قط . وقال بعض النقاد مقابلاً بين لامية لعمر واخرى لجميل « لو ان جميلاً خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لارتج عليه وعثر كلامه به »

وقد اضطر عمر بحكم هذه المحاورة والقصص الى جعل القصيدة وحدة كاملة والى وصل البيت الواحد بالبيت الآخر في بعض الاحيان بحيث تصبح الرابطة محكمة وبحيث يصبح من العسير ان تقدم او ان تحذف بيتاً من القصيد . لقد سمعنا من كثيرين ان الشعر العربي قبل ابن الرومي خلا من هذه الوحدة . وان الوحدة في الشعر العربي هي البيت . بينما هي في الشعر الافرنجي القصيد كله فليسمح لي القارئ ان انبه الى ان شعر عمر يخالف هذا الزعم ولعل عمر قد تعمد هذا الامر تعمداً ويطول بي المقام اذا جئت استعرض قصائد عمر المرتبطة الابيات معنى ولفظاً ولكني لا ارى بداً من ذكر قصيدة صغيرة هي في نظري من اضعف شعره ولكنها خير ما يمثل هذه الوحدة . واود اولاً ان استشهد بقطعة نثرية في موضوع الحب نفسه لاحدهم اقابلها

فيها : « قال : اما تعلم ان الحب داء ؟ أما والله لو حملت منه كما حملت من حب رخيم ، لما لمت على الحب ! فدعنى وما اطلب ، اني لست ادري بما قتلت ، الاّ اني بينما انا بباب القصر في بعض ما اطلب من قصرهم اذ رمى شبه غزال بسهام فما اخطأ سهماه ولكنما عيناه سهمان له كلما أراد قتلي بهما سلم »

هذه قطعة نثرية كما يرى تامة السبك ملتحمة النسج لا بأس بمتانتها لولا موضع او موضعان وقد يُريد القارىء ان اسرد له قصيدة لعمر في هذا الموضوع اقابلها بها ولعله يُدهش اذا زعمت له ان هذه القطعة من قصيدة لعمر . وسأسردها شعراً دون تغيير حرف واحد :

يا ذا الذي في الحب يلحى أما	تخشى عقاب الله فينا أما
تعلم ان الحب داء أما	والله لو حملت منهُ كما
حملت من حب رخيم لما	لمت على الحب ! فدعني وما
اطلب اني لست ادري بما	قتلت الا اني بينما
انا بباب القصر في بعض ما	اطلب من قصرهم اذ رمى
شبه غزال بسهام فما	اخطأ سهماه ولكنما
عيناه سهمان كلما	اراد قتلي بهما سلما

واريد ان تلاحظ ان عمر قد قيد نفسهُ فيها بالقافية الواحدة في صدور الابيات واعجازها ويكاد هذا وحده يشير الى ان عمر قد تعمد الامر تعمداً ليضع فنّاً جديداً . . . . .

ثم هناك امر آخر دعا الناس في نظري الى حب شعر عمر هو روح عمر وانا ادري ان لنفس الشاعر قبل كل شيء اثراً كبيراً في تقريبه الى الناس ، فكلما كانت هذه النفس محببة الى الناس كان الشعر موضع اعجابهم وحبهم ولعل الادباء يسلمون معي ان حافظاً لم يكن بمنزلة شوقي في الشعر ولكنهُ نال من حب الناس واعجاب النقاد مثل ما نال شوقي ان لم يكن اكثر وذلك لان نفس حافظ كانت اقرب الى هؤلاء الناس من نفس شوقي . وكانت نفس عمر رضية هنيئة وادعة على دلها مرحة جذابة حلوة فراق الناس اصطحاب هذه النفس وحبها حتى ان ابن عتيق قال لعمر : افٍّ على الدنيا بعدك يا أبا الخطاب

وكان عمر مع صاحباته خفيف الظل لطيف الروح حسن المعشر فكنّ يتشوقنَ الى لقياه وكان يطلعهنّ احياناً على اشعاره التي قالها فيهنّ . ولم يكن عمر من هؤلاء الاباحيين الذين اذا تم لهم عبثهم لم يعنهم من شأن صاحبتهم شيء بل تركوها مضغة في افواه الناس . كلا فقد اصطنع ألوان الكلام ليكني عن اسم حبيبته باسم آخر وكان يذكر في اكثر قصائده ان لهوه مع حبيبته لم ينقض بغير السمر البريء والحديث اللذيذ وهو حتى في مواقفه الاباحية الصريحة ، وهي قليلة

في الديوان لم يسمّ اسم واحدة بعينها ونحن الآن لا نعلم من هي نعم هذه التي شغلت قسماً كبيراً من ديوانه (والتي يقال انها نزلت على غدير وارتحلت فنزله عمر وظل يرد منهُ حتى نشف) وعمر عفيف في لفظهِ وفي تعابيره وليس هناك في كل الديوان كلمة واحدة بذيئة وعصره عصر الاحوص والعرجي والفرزدق وجرير

ولا اذكر هذه الناحية في عمر الآن وتبدو امامي صورة تعاكسها في بشار الذي كان اعجاب بعض الناس بشعره عن رهبة وتملق . فله موقف في قصيدة يظهر فيها بشكل لم ار أقبح منهُ في محب بعد عبثهِ مع صاحبتهِ التي أغواها وأغراها فقبلها وجرح شفتها يقول بلسانها :

كيف بأمي اذا رأت شفتي أم كيف ان شاع عنك ذا الخبر

فيجيب : قولي لها بقة لها ظفر ان كان في البق ما له ظفر

ارأيت سخرية بالحب وازدراء بالحبيب مثل هذا القول : قولي لامك ما تشائين فبشار السمج لا يعنيه امرك بل هو يسخر بك ويزدري حبك ويعبر عن هذا بقوله :

قولي لها بقة لها ظفر ان كان في البق ما له ظفر

وأين هذا من روح عمر وقول عمر الذي يحق له ان يدل :

لو كفي اليمنى ساءتك قطعتها ولذقت بعد رضاك عيش الاجذم

أو هنيئاً لاهل العامرية نشرها اللـذيذ ورياها الذي اتذكر

او ان اهوى العباد شخصاً الينا والذ العباد نغماً ودلا

للتي بالبلاط امست تشكي رمداً ليتهُ بعيني حلا

يقول وهل هذا كل ما في شعر عمر وأنا اقول لا وأنت تعلم ان في الشعر شيئاً لا يقاس بمقاييس مادية او روحية يعرفها الناس فأنتَ تعجب بشعر وتعجزُ عن ان تصلَ الى هذه المواطن فيهِ التي استثارت اعجابك او طربك . فليست العاطفة ولا الخيال ولا حسن التصوير ولا الابداع في الديباجة ولا رقة الشعر وموسيقاه ولطف روح صاحبه هي كل ما في الشعر ، بل هناك ما هو أعمق من هذا وأكثر تعقداً منهُ وأرجو ان يقنعك اذا سميت ذلك سحر الشعر

وأنت فوق هذا كله ترتاح الى شعر عمر لما فيهِ من تمثيل صحيح لنفس صاحبهِ ولنفس فتيات صاحبه ولروح هذه الجماعة التي عاش بينها وتطمئن الى شعر عمر لما فيهِ من صدق اللهجة وطيب القلب وجمال هذا الطبع الذي جمع بين سذاجة الحياة العربية الاولى ولينها وظرف الحضـارة الجديدة وطلاوتها . ويكفي ان اقول ان عمـر شعر وأحسّ فجرى لسانهُ بمـا احسّ وشعر

أنا وابني

لايليا ابو ماضي

قال لي ابني وهو حيـــران بما يحكى ويقرا
كيف كان الله ؟ اني قد وجدت الله سرّا
اسمع الناس يقولو ن بهِ خيراً وشرّا
فافدني . قلت : يا ابني انا مثل الناس طرّا
لي في الصحة آراء وفي العلة اخرى
كلما زحزحت ستراً خلتني أسدل سترا
لست ادرى منك بالامر ولا غيري ادرى

* * *

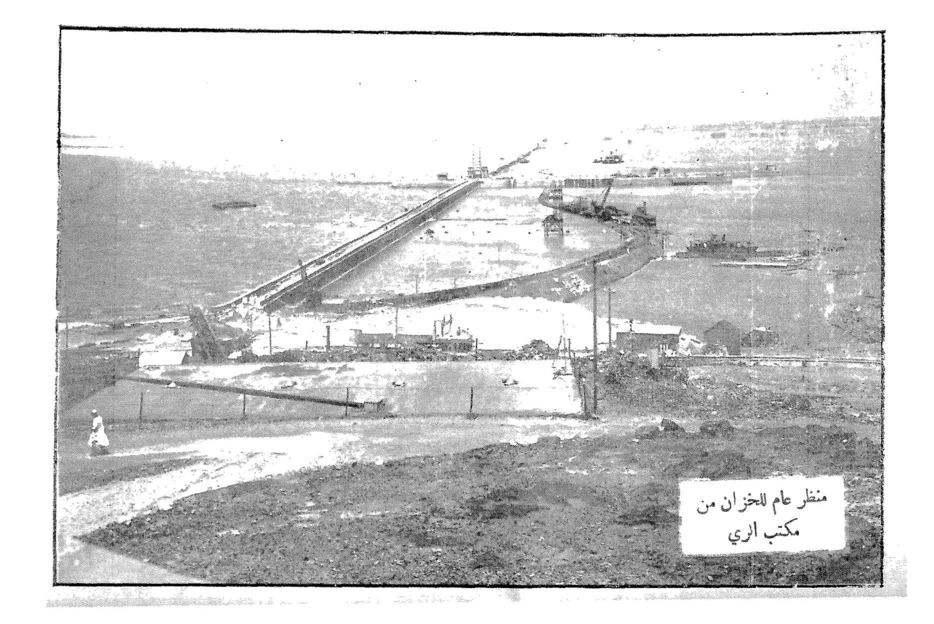
احسب الله الذي صاغ من الذرات صخرا
والذي شاء فصارت قطرات الماء بحرا
والذي شاء فضم البحر اصدافاً ودرا
وأراد الضوء اجراماً فصار الضوء زهرا
ان هذا الله لما شاء هذا كان ـ فكرا ـ

* * *

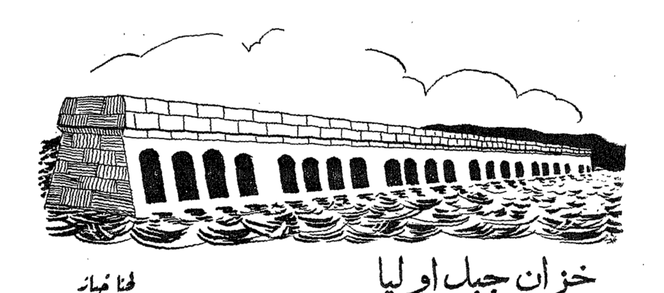
ثم لما نظم الالـــوان في الارض زهورا
ورأى ان يعلن الـــحب غناء وحبورا
فتمشى في حواشي الارض سحراً وعطورا
وتهادى في حواشي الافق أطيافاً ونورا
وترامى في الربى والماء صمتاً وخريرا
عند ما أوجد هذا كان ـ حسّا وشعورا ـ

* * *

من أحب الله جباراً وفتاكاً وقاهـــر
فأنا أهواه رساماً وفنـــاناً وساحر
وأراه في الندى والزهر والشهب السوافر
فاذا الانجم غارت وانطوت كل الازاهر
وتلاشى كل ما انشا وسوى من مناظر
لاح لي في حسنه الاكمل في ديوان شاعر



منظر عام للخزان من
مكتب الري



خزان جبل اوليا

لهنا صباغ

استخدام الانسان قوى الطبيعة في مصلحته عمل من أفضل ضروب النضال البشري على سطح هذا السيار . فأول ثمار الفلسفة استغلال الماء والهواء والتراب والنار ، والاستعانة بهذي الاشياء لتوفير القوة وتخفيف العناء . كان ذلك ديدن الانسان منذ العصور الخالية ، وسيظل كذلك وقد بلغ ذرى المدنية والعمران . بل ان الانسان ازداد في ذلك ما زاد اغراقاً في مناحي المدنية والارتقاء . فان تقدم العلوم ، وتزايد الاختبار ، يزيدان الانسان حولا في ميدان الطبيعة ، فيتمكن من كشف استارها ، وسبر اغوارها ، وحل رموزها ، واستخراج كنوزها . كان ذلك شأن المصريين في عهد الفراعين العظام ، فلا غرو اذا أعاد أحفادهم الكرة على مناهج السلف الكريم يوم كانت المدنية في مهدها ، يوم ترعرع في وادي النيل فنون الزراعة والري والمساحة والهندسة والبناء والارصاد الفلكية

تجلت لي هذه الحقيقة يوم جئت خزان جبل أولياء قبل سنتين ونصف من الزمان ، فوقعت العين على أبدع حركة ، وأقدس حركة ، رأيتها في الحياة ، ورأيت ما كان يجري تحت سماء النيل الابيض من آثار الهمة القعساء ، حركة انشائية لم يسبق لها نظير في هاتيك الديار منذ ذرّ فجر العمران . فكان في ميدان جبل أولياء ، على النيل الابيض خليط من انكليز والمان وايطاليان ويونان وأرمن وحبشان وسودان ومصريين وسوريين ، وغير هؤلاء من طوائف البشر وأسباطها ، وقد تسلحوا بأحدث مستنبطات العلم والفن والصناعة ، من محركات ، وناقلات ، ورافعات ، وماخرات ، وحافرات ، وحاطمات ، فحولوا بها البحر يبساً واليبس بحراً ، والغور جبلاً والجبل غوراً . وكانت المئات والالوف تعمل في حوض النهر تحت سطح الماء أمتاراً ، والمياه من حولهم كالجبال الشامخة تشكمها الحواجز والسدود الوقتية ، وقد هبطوا الى قاع النيل يحفرون وينقرون ويشيدون ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فبدت لي حينذاك سلطة الانسان على الطبيعة محسوسة ملموسة ، يستغل مقدراتها ناعم البال . مبلغ كهذا لم يدركه الفراعين العظام ، ولم يشهده وادي النيل في ما سلف من العصور . هذا هو خزان جبل أولياء وصحته « اولي » ولكنه كتب « اوليا » في البيانات الرسمية الاولى ولم يغير

للخزانات غرضان ، ثانوي وجوهري . فالغرض الثانوي هو وقاية البلاد من غوائل الفيضان ، ولا سيما في أوقات تجاوزه الحدود العادية وتهديده البلاد بالدمار . ومصلحة الري العمومية تنظر الى هذا الغرض بعين العناية كجزء جوهري من التزاماتها ، والغرض الجوهري هو تخزين مقدار وافر من المياه ، وحبسه أمام السد لاستخدامه في ري الاطيان الزراعية في أوقات انخفاض مستوى النهر وعجزه عن امداد المزروعات بالقدر الكافي من المياه

أنشىء أول عمل من هذا النوع على النيل في عهد محمد علي الكبير ، رأس الاسرة المالكة في مصر . أريد بذلك القناطر الخيرية ، في النصف الاول من القرن الماضي . وكانت القناطر الحلقة الاولى في سلسلة انشاءات الري . تلتها الحلقة الثانية في خزان أسوان في أوائل القرن الحالي ، ثم قناطر اسيوط ونجع حمادى وخزان مكوار . وأخيراً في خزان جبل أولياء هذا ، الواقع على النيل الابيض جنوبي مدينة الخرطوم نحو خمسين كيلو متراً أو أقل قليلاً

وأقسم الكلام فيه الى أربعة أقسام هي تاريخ هذا المسعى : الاعمال التمهيدية : أوصاف الخزان : مغازيه الروحية

١ — تاريخ هذا المسعى

قام السر وليم غارستن الشهير ، المستشار الفني في وزارة الاشغال المصرية العمومية ، برحلة كبيرة في وادي النيل ، في مستهل القرن العشرين ، وعلى اثر استرداد السودان واستقرار الحال فيه . فجاب من تلك الاصقاع ما دنا وما نأى . ورافق فروعه الى مصادرها في جبال الحبشة وبحيرة طانا مصدر النيل الازرق ، وفي البحيرات الاستوائية مصدر النيل الابيض . وصعد في بحر الجبل ، وبحر سوباط . وجاء الجزيرة جنوبي الخرطوم . وتخطاها شمالاً الى حدود اسوان . ووضع تقريراً مطولاً ضمنه آراءه في هذا الشأن ، وقد اسماه « الدليل في موارد اعالي النيل » . بسط فيه الكلام في انماء الثروة ، وتوافر دواعي طمأنة الانسان وتأمين حياته . تلك اول احلام الانسان العاقل وهي اول حوافز ارتقائه . واشار غارستن في ما اشار الى انشاء خزان على النيل الابيض عند جبل اولياء . ذلك اول فجر سطع على هذ المسعى في التاريخ . تلا ذلك انشاء الحكومة المصرية مصلحة الري في الخرطوم سنة ١٩٠٥ ، فجاء ذلك باعثاً على الاستزادة من المعلومات المختصة بالري وتخزين المياه ، واكتشاف كثير من الاقاليم المجهولة . فثبت لمصلحة الري ان خزان اسوان لا يسد حاجة القطر المصري ، فيلزم انشاء خزان على النيل الابيض عند جبل اولياء . وهذي كانت الخطوة الثانية في تاريخ هذا المسعى الجليل الشأن . وقد كان الباعث عليها نقص الفيضان سنة ١٩١٣ وانخفاض النيل سنة ١٩١٤ الى أوطأ ما عرف في القرنين الاخيرين ، فعجز النيل سنة ١٩١٤ عن سد مطالب الري الضرورية فعرج ذلك بهمم رجال الري الى التفكر

في انشاء هذا الخزان تداركاً للخطر قبل وقوعه . وعلى هذا الاساس عرض اسمعيل سري باشا ، وزيرالاشغال على مجلس الوزراء « مشروع خزان جبل اولياء » وذلك فيشهر مايو سنة ١٩١٤

﴿المعارضة﴾ لم يلق مسعى في الارض ما لقيه هذا المسعى من المعارضة والمضادة . وكانت تلك المعارضة سياسية في أساسها ، فنية في مستندها . وليس من اغراضي الدخول في الموضوع من ناحيته السياسية . فقد قال اسمعيل سري باشا رحمة الله عليه : « ان من سوء الحظ ادخال السياسة في مسعى كهذا » . ولما كانت المعارضة قد استندت الى تصريحات فاه بها السر وليم ولكوكس ، ومعلوم مالهذا الرجل من عظم الشأن والمكانة العالمية في هذا الباب ، بناء عليه الفت الحكومة البريطانية لجنة خاصة من بارزي المهندسين للنظر في تصريحاته . واعضاء تلك اللجنة هم : —

١ : السر موريس فتز موريس رئيس معهد المهندسين سابقاً
٢ : السر ر . بنتون مفتش عام الري في هندستان سابقاً
٣ : السر وليم غارستن مستشار وزارة الاشغال العمومية المصرية سابقاً
٤ : السر ارثر وب مستشار وزارة الاشغال العمومية المصرية سابقاً
٥ : الاستاذ كوثرن رئيس معهد المهندسين الملكيين ، وصاحب تأليف في الهيدروليكا والحياة
٦ : الكولونيل نيوتن المدير العام لمصلحة المساحة المصرية ، ونائب مدير مصلحة الارصاد الجوية سابقاً . واضافت الى هذه الهيئة القاضي بوث للنظر في الاتهامات من وجهة قضائية.

فكانت نتيجة بحث هذي اللجنة في مصلحة المسعى ودفع الاتهامات . ولما برزت المعارضة في وجه الحكومة المصرية عينت هي ايضاً لجنة دولية لدرس الموضوع وتقديم تقرير عنه ، واعضاؤها هم :

١ : المستر جي رئيساً — رشحته حكومة الهند
٢ : المستر كوري عضواً — رشحته حكومة الولايات المتحدة
٣ : الدكتور سمبسن عضواً — رشحته جامعة كمبريدج
٤ : السكرتير كايبس — استاذ في مدرسة الهندسة الملكية

قامت هذي اللجنة برحلة في اعالي النيل الابيض . ودرست الموضوع من كل جهاته . وقدمت عنه تقريراً ضافياً أسمته « تقرير لجنة مشروعات النيل » لخصه المستر داوسن مساعد المستشار المالي ، لتسهيل مراجعته . وذلك في دسمبر سنة ١٩٢٠ . وقد ايد ذلك التقرير انشاء خزان جبل اولياء

فشرعت الحكومة المصرية في العمل وشادت البيوت والعنابر في منطقة جبل اولياء لسكن المهندسين والمقاولين . وانفقت على تلك المباني ما يقرب من مليون جنيه . الا ان العمل توقف في وزارة عدلي يكن باشا في ٢٥ مايو سنة ١٩٢١ لاسباب مالية . وفي آخر ذلك العام ندبت الحكومة المصرية المستر ديبوى . مستشار وزارة الاشغال يومذاك ، مع جماعة من المهندسين ، في عدادهم عبد الحميد باشا سليمان والمستر برسي ، فقدمت تقريراً باسم « تقرير ديبوى »

طبع سنة ١٩٢٥ وزار المستر فتزموريس موقع جبل اولياء سنة ١٩٢٤ يصحبه مستر توتنهام وكيل وزارة الاشغال . وهو ايضاً نظم تقريراً في ٢٦ مارس سنة ١٩٢٤

وتألفت لجنة دولية للنظر في توزيع مياه النيل بين مصر والسودان . واعضاؤها هم : —
١ : المستر كنتر كرمر رئيساً — هولندي — ٢ : المستر ماكجريجور — عن الحكومة البريطانية ٣ : عبد الحميد باشا سليمان عن الحكومة المصرية

وأضافت الحكومة المصرية الى هذي اللجنة لجنة مساعدة مؤلفة من عبد المجيد باشا عمر وعبدالقوي بك احمد . وكانت هذي اللجنة خطوة كبيرة الى الامام في أمر هذا الخزان

وشكل اسمعيل سري باشا سنة ١٩٢٦ لجنة مؤلفة من أحد عشر عضواً برآسة صالح عنان باشا لفحص تقرير لجنة النيل ، وكان سكرتير هذي اللجنة عبد القوي بك أحمد

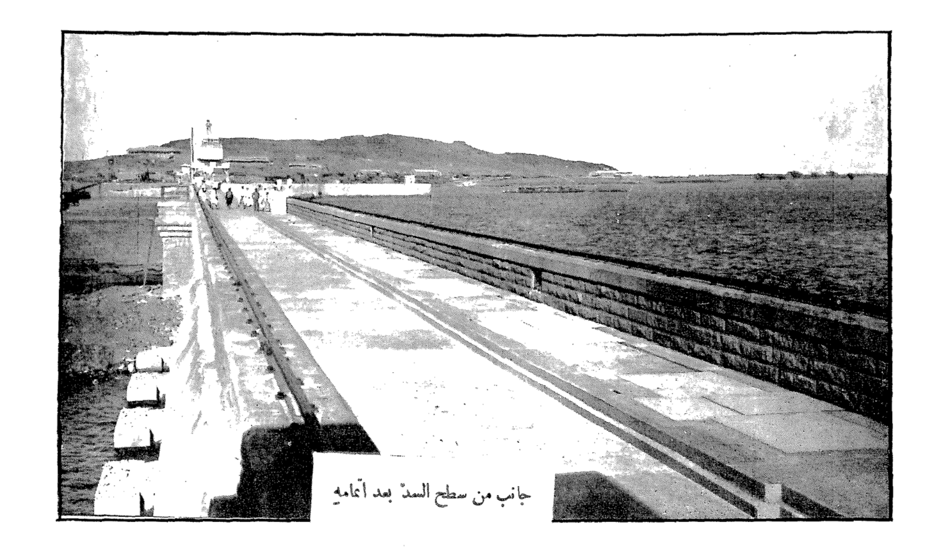
وبعد مراجعة هذه اللجنة التقرير رفع رئيسها بيانه الى عثمان محرم باشا خلف اسمعيل سري باشا في وزارة الاشغال . وقدم الوزير عثمان محرم باشا سنة ١٩٢٦ ، ثم خلفه ابرهيم فهمي باشا سنة ١٩٢٨ ذلك التقرير لمجلس الوزراء . وهو يرمي الى اعتبار تقرير لجنة النيل مرعيًّا في جميع مبادئه ، ثم طلب الى مجلس الري الأعلى سنة ١٩٢٩ ان يبدي رأيه في الامر فقرر ذلك المجلس « ان انشاء خزان عند جبل أولياء مسألة أساسية للتوسع الزراعي في مصر » . ومجلس الري الأعلى مؤلف من غالب عثمان بك رئيساً ، وهو مفتش عمومي الري في الوجه القبلي ، ومعه تسعة أعضاء ، خمسة منهم مصريون وأربعة انكليز

وفي ٧ مايو سنة ١٩٢٩ عقد اتفاق تقسيم مياه النيل بين مصر والسودان . وجاء في رد المفوض السامي اللورد جورج لويد على رئيس الوزارة المصرية ما نصه : —

« ان حكومة جلالة الملك سبق لها الاعتراف بحق مصر الطبيعي والتاريخي في مياه النيل واني أقرر انها تعتبر المحافظة على الحقوق مبدءاً اساسياً للسياسة البريطانية في الشرق »

وصدر قرار وزارة الاشغال سنة ١٩٢٩ مختوماً بهذي العبارة: « رأى المجلس ضرورة اقامة خزان جبل أولياء ، واتفق الجميع في وجوب التعجيل في انشائه » وفي ٣٠ يناير سنة ١٩٣٢ أحالت وزارة اسمعيل صدقي باشا الى مجلس النواب مرسوماً ملكيًّا بمشروع قانون باعتماد خزان جبل أولياء ، فألف المجلس لجنة خاصة لدرس الموضوع وتمحيصه ، واعطاء قرار بهذا الشأن . وكان اعضاء اللجنة البرلمانية سبعة عشر عضواً . فعقدت تلك اللجنة ١٧ جلسة لمناقشة الموضوع ، من أول مارس ١٩٣٢ الى ٩ مايو ، وكان مندوب الحكومة لدى اللجنة في كل تلك الجلسات عبد القوي بك احمد . فتلقى الاسئلة والاعتراضات في كل جلسة ، فأجاب عن هذي ، ورد تلك ، وقرع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان . وأخيراً استدعت اللجنة وزير الاشغال ورئيس الوزراء فحضرا جلسة ٢٤ مارس يصحبهما وزير المالية

وفي الختام رفعت اللجنة لمجلس النواب تقريراً بهذا الشأن يشغل ١٤ صفحة كبيرة فتناقش النواب في التقرير ثلاثة ايام . وختمت مناقشاتهم بخطبة مشجعة من رئيس الوزارة في ٢٣ مايو ، قال فيها « لا دخل للسياسة في انشاء هذا الخزان ولا خطر على مالية



جانب من سطح السدّ بعد اتمامه

الدولة بسبب النفقات المرصودة له » . وحينذاك اعلن رئيس البرلمان محمد توفيق رفعت باشا ان المناقشات قد ختمت وطلب التصويت ففاز المشروع باغلبية ١١٣ صوتاً ضد ١٦ صوتاً. عندئذ رفع الرئيس كتاباً بهذا الشأن الى مجلس الشيوخ بحسب الاصول البرلمانية . فحوّل مجلس الشيوخ الموضوع الى لجنة الاشغال في مجلس الشيوخ برآسة اسمعيل سري باشا ، واضاف المجلس الى تلك اللجنة الذوات الآتية اسماؤهم

(١) قليني باشا (٢) حبيب دوس بك (٣) محمود بك ابو النصر (٤) اللواء عبد المجيد فريد باشا (٥) عبد الرحمن رضا باشا (٦) اللواء محمود عزمي باشا (٧) اللواء صادق يحي باشا (٨) ادوار قصيري بك (٩) اللواء علي احمد باشا (١٠) محمد احمد عبود باشا

فبحثت اللجنة المزدوجة الموضوع بحثاً كافياً . ونظرت في كل نقاطه وفروعه من وجهاته العديدة ، وشغلت جلساتها اسبوعين من ٢٦ مايو الى ١١ يونيو سنة ١٩٣٢ ، حضر بعضها رئيس الوزراء مع وزير الاشغال العمومية . وختمت اعمالها باقرار القانون ، ورفعت تقريرها الى المجلس . فتناقش المجلس فيه من ١٤ يونيه الى ١٧ منه ، وأقره باكثرية ٧٤ صوتاً ضد ٤ اصوات فتكون اكثرية الاصوات في مجلس النواب بنسبة ٩ الى ١ وفي مجلس الشيوخ بنسبة ١٨ الى ١

وارى من واجبي كمؤرخ صادق ، يحرص على الحقيقة ، وعلى كرامة الدولة ونزاهة رجالها ، ارى ان اثبت هنا « ان خزان جبل اولياء مسعى مصري ، ايّدته فكرة مصرية غير مسخرة ، ولا مستهواة ، ولا واهمة ، وقد سارت أبحاثه سيراً برلمانيًّا حرًّا قانونيًّا ، بنور العلم والفن ، وصدق بالتصويت الحر حائزاً الاكثرية الساحقة وكانت للمعارضة الحرية التامة لايراد كل ما يمكن ايراده ضده . وقد ردت عليها الوزارة رداً علميًّا صحيحاً فلم يبق ثمة مجال للمراء » . هذا هو خزان جبل اولياء وصدر القانون باعتماده في ١٩ يونيو ونشر في «الوقائع المصرية» الصادرة في يونية سنة ١٩٣٢ وهذي صورته

القانون رقم ١٩ سنة ١٩٣٢ باعتماد انشاء خزان جبل الاولياء

نحن فؤاد الاول ملك مصر

قرر مجلس الشيوخ ومجلس النواب القانون الآتي نصه وقد صدقنا عليه

مادة ١ : يعتمد انشاء خزان جبل الأولياء في السودان على الوجه المبين بمذكرة وزارة الاشغال العمومية الى مجلس الوزراء في ٣ يناير سنة ١٩٣٢

مادة ٢ : على وزير الاشغال العمومية تنفيذ هذا القانون . نأمر بصبم هذا القانون بخاتم الدولة وان ينشر في الجريدة الرسمية

صدر في سراي القبة في ١٥ صفر سنة ١٣٥١ (١٩ يونيه سنة ١٩٣٢) وتنفذ كقانون من قوانين الدولة

فؤاد

بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك
رئيس مجلس الوزراء — اسمعيل صدقي

وزير الاشغال العمومية
ابرهيم فهمي كريم

بعد ذلك طرحت الوزارة انشاء الخزان للعطاءات . ولدى فحص ما تقدم اليها من تلك العطاءات — بحسب الاصول المرعية — قبلت عطاء المستر جبسن الانكليزي ، مشترطة عليه ان يعقد شركة مالية قديرة ، تضمن تحمل اعباء العمل . فعقدت شركة جبسن وبولن مساهمة وشرعت الشركة في انشاء الخزان في خريف سنة ١٩٣٣ على ان تتمه في خلال ٤ سنوات وتسلمه للدولة المصرية في يوليه سنة ١٩٣٧ . والمبلغ الذي تدفعه الدولة المصرية له هو ٢١٠٠٠٠٠ جنيه مصري

٢ — الاعمال التمهيدية

ان الاعمال التمهيدية التي يستلزمها انشاء خزان كهذا هي كبيرة متفرعة . ومن لم يرها قد لا يصدق ما يسمعه عنها . واليك لمحة مختصرة تكشف عن خطورة تلك الاعمال

﴿ ١ : المساكن للمتعهدين والموظفين وخلافهم ﴾ سلمت حكومة السودان للدولة المصرية شقة من الارض ، على ضفاف النيل الابيض ، حول جبل اولياء ، فسورتها الحكومة المصرية بالاسلاك ، ودعتها بالمستعمرة المصرية ، وللمستعمرة المصرية اربعة ابواب ، يقيم الخفر في كل باب ، ولا يؤذن بالدخول اليها الا لمن تجيزه الادارة من موظف وعامل وزائر ومقاول الخ

وقد شيدت ضمن السور مبانٍ عديدة ، من بيوت وعنابر وقطيات (حجر مستقلة) ومخازن للري ومكاتب ومستشفى ونحو ذلك ، لسكن موظفي الري ، ومهندسي الخزان من مصريين وغير مصريين ، ولسكن المتعهدين والمقاولين والملتزمين والملاحظين وغيرهم . فكان هنالك بلدة واسعة الجناب ، تفصل بين أبنيتها ساحات فسيحة ، وشوارع عريضة ، تنيرها الكهربائية ليلاً . وقد سوّرت بيوتها بأشجار التمر الهندي ، أو أشجار السيسبان بحيث لا يرى المارة ما ضمن تلك الاسوار الخضراء . وزينت البيوت بالحدائق والمروج ، والشوارع بالاشجار على الجانبين . وأقيمت على خدمة البيوت جماعات الفراشين والبستانيين . دام ذلك كل المدة منذ سنة ١٩٢٠ الى انتهاء بناء الخزان ، وقد أنفقت الدولة المصرية على ذلك ما لا يقل عن مليون جنيه . وقد شملت تلك المباني بالعناية الصحية التامة منعاً للامراض ، ولتولد البعوض الضار في الاقاليم الحارة

﴿ ٢ : المياه ﴾ وقد أمدت تلك المباني بجهازين من الماء . الاول لحمل ماء النيل كما هو الى البيوت لسقيا الحدائق وأعمال التنظيف . والثاني لأجل ماء الشرب ، بعد تصفيته وتطهيره بحسب القواعد الصحية ، وتحت المراقبة الطبية . وقد مدت أنابيب الماء الى كل بيت في المستعمرة وجهزت بالحنفيات والمصارف لحمل المياه القذرة الى الخارج ، بحيث لا يحتاج ساكنوها الى أي نفقة او عناء

﴿ ٣ : الكهربائية ﴾ وهي تراد لأمرين ، التنوير والمحركات لادارة الآلات . فأنشىء معمل كبير لتوليد الكهربائية ، فيه مكنات كبيرة ، يقوم على ادارتها واصلاحها خبراء اخصائيون وكان على القوة الكهربائية المعول في بناء الخزان علاوة على تنوير الشوارع والبيوت ، وكانت أعمال الكهربائية مستمرة بلا انقطاع ليلا ونهاراً كل مدة بناء الخزان

﴿ ٤ : الثلج ﴾ وكان من الضروري ، في وسط سوداني حار ، توفير الثلج للتبريد ، وللاعمال الصحية ، ولذا أنشىء أيضاً معمل للثلج ، بقوة الكهربائية ، كان يصدر يومياً ما لا يقل عن ٤٠٠ كيلو جرام من الجليد عدا ذلك كان عند كثيرين من كبار الموظفين ثلاجات كهربائية في البيوت

﴿ ٥ : المستشفى ﴾ والمستشفى الى يسار مدخل المستعمرة الرئيسي هو بلدة على حدة ، لا تقل مساحة أراضيه عن ٢٠٠٠٠٠ متر مربع . شيدت فيه الابنية لسكن الاطباء والممرضين وغرف للعمليات وحجر عديدة وكبيرة فيها مئات من الاسرة لحلول المرضى وقد قسمت تلك الاسرة الى ثلاث درجات ، درجة اولى ، ودرجة ثانية ، ودرجة ثالثة . وكان على المتعهد جبسن ان يدفع عن كل مريض في تلك الدرجات . فعمن في الدرجة الثالثة عشرة غروش في اليوم . وعمن في الدرجة الثانية ثلاثين غرشاً . وعمن في الدرجة الاولى خمسة وسبعين غرشا . ولكن الحكومة المصرية هي المسؤولة بنفقات المستشفى وقد قررت له في الميزانية اربعين الف جنيه للسنوات الاربع وكان في المستشفى ثلاثة اطباء ، وممرضتان ، عدا التمرجية والخدم . وكانت خدمة المستشفى من أجلّ وأقدس الاعمال الانسانية في ذلك المحيط . لانه لم يقتصر على خدمة الموظفين والعمال ، بل مد احسانه الى سكان المحيط ، فكانت تجري فيه معاينة مئات كل يوم ، عدا عمليات التوليد ، وعمليات الحوادث والآفات التي لا حصر لها . وقد جهزته الحكومة المصرية بكل ما يلزم من العلاجات والاجهزة اللازمة

﴿ ٦ : النقل ﴾ بحسب شروط التعهد بين جبسن والحكومة المصرية وجب ان يبنى السد المكون للخزان بحجارة من النوع المعروف بالجرانيت . وكان يلزم ان تؤخذ تلك الحجارة من محاجر جبل السليتات الواقع شمالي الخرطوم نحو اربعين كيلو متراً . وجبل اولياء جنوبي الخرطوم نحو خمسين كيلو متراً . فالمسافة بين محجر السليتات وبين الخزان نحو تسعين كيلو متراً . لذا مد خط حديدي من جبل اولياء الى الخرطوم يتصل بالخط المؤدي الى السليتات . وقد مدت هذا الخط الحكومة السودانية فانفقت عليه ١٢٠٠٠٠ جنيه وكانت تتقاضى متعهدي الخزان قدراً معيناً من المال عن كل طن ينقلونه على الخط من حجارة وحدائد ورمال وادوات

وبعد وصول الخط الى محطة جبل اولياء تفرعت منه خطوط عديدة الى موقع الخزان بعضها على جسر (كبري) موقت فوق الماء ، وبعضها على الضفة الشرقية ، والضفة الغربية ، وبعضها في حوض النهر حيث اعمال البناء . وهذا الفرع من الاعمال له خطورته وقد اقيم اخصائيون على خدمته وملاحظته وادارة شؤونه

﴿ ٧ : الجسر ﴾ هو جسر موقت ، مد فوق مياه النهر من الشرق الى الغرب ، على دعائم خشبية هائلة من امتن انواع الخشب ، مدت فوقها جسور خشبية وخطوط حديدية فكانت طريقاً مزدوجاً للبشر والنقل فالماشي الى الجانبين والخط الحديدي في الوسط . وهذا الجسر لا بد منه لانشاء الخزان . وكان العمل يجري عليه نهاراً وليلا بلا انقطاع

كل المدة من سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٣٧ . وعدا الجسر كان في النيل « معديات » للمهندسين والمتعهدين . ولنقل الاشياء الخاصة التي لا يمكن تسييرها على الكبري . فكانت المعديات تمخر عباب الماء في كل ساعات النهار من الصباح الى المساء

﴿ ٨ : مركز حكومة ﴾ وكان لا بد لضبط النظام والفصل في القضايا بين عشرات الالوف من الناس — كان لا بد — من انشاء مركز حكومة فيه مفتش قضائي ومأمور وحكمدار وهيئة بوليسية وسجون وكان البوليس على قدم العمل في الخزان وفي السوق وفي المستعمرة وكانت القضايا الجنائية التي تنشأ بين العمال ترد الى ذلك المركز

﴿ ٩ : البريد والبرق ﴾ كذلك كان من اللازم انشاء فرع للبريد والبرق ، لقضاء حاجات تلك الالوف . وقد قسمت تلك الادارة الى ثلاثة فروع : البريد : والتلغراف : والتلفون : فكان البريد يحمل الجرائد والمجلات بأكثر من خمس لغات — العربية والانكليزية والايطالية واليونانية والالمانية والفرنسية وغيرها . ويقوم بواجب ألوف من التحاويل المالية كل شهر . وكانت ادارة التلفون قائمة على العمل ليل نهار ، وكذلك ادارة التلغراف . وكان توزيع البريد والبرقيات بالدقة في وقته حذراً من تعطيل المصالح ، لان هنالك ادارة الري وادارة الخزان وكلتاهما من الخطر بمكان

﴿ ١٠ : السلك (Wire) ﴾ وهو من أهم الاعمال التمهيدية التي أذكرها هنا . وفي ظني انه أغربها وأعظمها وأبدعها . بل هو من أبدع آي الفن الميكانيكي والعلوم الطبيعية . يمتد السلك على أربع قوائم اثنتين على كل ضفة من ضفتي النيل علو القائمة الواحدة ستون متراً ، مؤلفة من جسور « وشرحات » من الحديد وبين القائمتين تماماً كان السد المؤلف الخزان فكان السلك فوق السد تماماً . والغرض منه نقل الحجارة من الضفة الشرقية الى موضع البناء في حوض النهر او على الضفة الغربية وهنالك محرك كهربائي (دينامو) كان يدير آلة متصلة باسلاك حديدية ، نيطت بها جرادل كبيرة . يسع الجردل الواحد من الحجارة ما يزن ثلاثة اطنان . فكان العمال يملأون هذي الجرادل بالحجارة الضخمة ، فيحملها السلك محركاً بالكهربائية الى فوق حتى تصل الى السلك العالي . وحينذاك تسير على بكرات بقوة الكهربائية الى حيث يلزم . وهنالك تهبط الجرادل بقوة الكهربائية الى الارض ، فيفرغها العمال ، ثم تعود فترتفع بقوة الكهربائية وتعود الى الضفة الشرقية لاعادة ملئها بالحجارة . كان هذا العمل مستمراً كل زمان البناء . ولولاه لكان نقل الحجارة من الضفة الى حوض النهر من اشق الاعمال . وهذا الجهاز اعظم واثمن آلة استخدمت في بناء الخزان

عدا ما ذكرت من الاعمال التمهيدية كان هنالك «الكراكات» ، العاملة في نقل الركام في وسط النهر من جانب الى جانب . وهنالك سيارات عديدة للركوب والنقل . ومعمل للتحليل الكيميائي . وآلات لطحن الحجارة وصنع الخراسانة والاسمنت ، ولكل من تلك الفروع ادارات واقلام واخصائيون فاكتفي بالاشارة لتصوير الحال

خزان جبل اوليا في دور البناء

٣ — السدّ الذي يكوّن الخزان

هنا نقطة دائرة المسعى ، وملتقى خطوطه ، ومتجه حركاته . كان العاملون في الخزان نحو عشرة الآف منهم الفان يعملون في تقطيع الحجارة واعدادها في السليتات يتبع هذي الالوف اكثر من عشرة آلاف آخرين من نساء الموظفين والعمال ، واولادهم ، وخدمهم ، والتجار والبقالين والخياطين والغسالين والخبازين والصباغين والمقاولين الصغار وغير هؤلاء من المتعلقين بالهيئة العاملة . يسكن هؤلاء في ثلاث حال (قرى) عدا الخيام، فهنالك مجموع من البشر لا يقل عن عشرين الف نفس ، محور جميعهم الخزان . تنظر الى السد من عل ، فتحت نظرك مشهد روائي غريب واني اراه اغرب من حكايات الف ليلة وليلة . فهنالك اولا اربعمائة وثلاثون معماريًّا أحنوا ظهورهم يبنون كل النهار ولكل من هؤلاء عمال ومناولون يقدمون له ما يلزمه من المواد . يلي هؤلاء «الحمالون» والحفارون والسقاؤون والملاحظون والمتعهدون والباعة المتجولون وكل هؤلاء تحت شمس السودان المحرقة بعضهم بالملابس الاوربية التامة وبعضهم نصف عراة او شبه عراة او عراة تقريباً ، حفاة الاقدام ، حاسرو الرؤوس والسواعد والصدور . هؤلاء يحملون على مناكبهم الحجارة الضخمة التي قد يعجز الحمار عن حملها . وهؤلاء يحملون «جرادل» الطين، او صفائح الماء ، او أكياس الرمال ، وآخرون يعملون في تفريغ العربات مما تحمل من المواد وآخرون يعملون في هندسة الحجارة بالمطارق الحاطمة ، وفي الوقت نفسه صفير القطار يصم الآذان ، وقعقعة السلك يحمل الجرادل ، واصوات «الكراكات» والادقال والحدائد والمطاحن والمطارق والكهربائية والسيارات . وترى العمال الوفاً يحيطون باربعمائة بناء يشيدون في بقعة واحدة ، وواعجباً مما ارى ان اولئك الالوف ، وقد احنوا للحمل مناكبهم ، وهم يسيرون صعوداً او نزولاً على سطح مائل في وسط الجلبة والضوضاء . مع ذلك لا يخطىء واحد منهم هدفه بل يسير الى المعمار الذي يتبعه هو ويناوله ما يحمل ولا يخطىء مع ان المعمارين متشابهون وهم مئات متجاورة — مع ذلك — يسير العمل بانتظام وهدوء وسكينة كأن معماراً واحداً في المكان

وترى الوفاً منهم مستريحين في فترة العمل يشربون الشاي . احصيت مرة على الهويس تحت نظري نحو عشرين جماعة منهم ، كل جماعة حول ابريق شاي وكل هؤلاء في بقعة صغيرة . فقس على ذلك سائر المحيط . اما حبلهم الجرار صباحاً حين يأتون الى العمل ، ومساء حين يعودون من العمل ، فحدث عنه ولا حرج . هنالك يوم الحشر والنشور ترى السيل الجارف من البشر من كل طبقات الخليقة وكل الوانها ، الصدر الى الظهر ، يدفع اللاحق السابق ، وقد اكتظت الاقدام على ذلك الجسر الغريب الاوصاف حتى انه يتعذر على المرء الانسحاب من وسط ذلك التيار البشري ويخيل اليك انه لو رفع قدميه عن الجسر لظل سائراً في وسط الحشد لان الضغط الى الجانبين يضمن بقاءه سائراً محمولاً

تنصرف تلك الالوف مساء الى مآويها بعضهم للطبخ والنفخ وبعضهم للتدخين وقراءة الجرائد والروايات وبعضهم للمقاهي والملاهي وبعضهم لسمع الراديو والفونغراف وينتشر مئات منهم في عرض الفلاة تحت سماء السودان يمتعون النفس بلطيف نسماته وبعضهم يغط غطيطاً عالياً تسمعه من بعيد وبعضهم يعاقر الدنان او يقامر وبعضهم يصلي ويرسل التسابيح. على هذي الحال يبيتون الى الصباح حتى اذا كانت الساعة الخامسة صباحاً وقد صفر الصافر فتبعث تلك الالوف من لحودها وتسير مواكبها متراصة الى الخزان كأنها سائرة الى المغانم. على هذي الحال استمر القوم أربع سنين

والآن أمامنا الخزان وقد تم بناؤه. فلننحدر عن الجبل، حيث بناية الري على ضفة النهر الشرقية. فأمامنا السد العظيم الفخم المتين مشيداً بحجارة الجرانيت، ممتدًّا في عرض النهر من الشرق الى الغرب نرى أوله ولا نرى آخره في أراضي غربي النهر. طوله ٥٠٠٠ متر وعلوه ١٨ متراً وعرضه ٥ ½ متر وسطحه ٣٧٩ متراً فوق سطح البحر وأعلى منسوب مائه ٣٧٧ متراً وأوطأه ٣٧٠ متراً وأعظم عرض المياه حين امتلائه ٧٢٥٠ متراً وأضيقه ٢٠٠٠ متر حين انخفاض المياه ومتوسطه ٤٠٠٠ متر وهي تغمر ٣١٤٠٠٠ فدان مربع من الارض أو نحو ١٣١٨ ميلا مربعاً. وفي السد ١٧٨٠٠٠ متر مكعب من الحجارة الرملية و ٩٩١٠٠ متر مكعب من حجارة الجرانيت منها ١٧٨٠٠ متر مكعب منحوتة و ١١٥٠٠٠ متر مكعب من الاسمنت وزنها ٨٠٠٠٠ طن و ٣٠٠٠٠٠ متر مكعب من التراب ومجسم البناء ١٠٠٠٠٠٠ متر مكعب والركام ٢٨٤٥٠٠ متر مكعب وستائر الحديد ٨٠٠٠ طن. ونسير الآن على السد ٤٥٣ متراً على الضفة الشرقية وبعدها ٤٦٤ متراً هي السد الصامت الى الهويس ثم الهويس وعرضه ٦٠ متراً فعيون الماء وهي ٦٠ عيناً منها ١٠ مقفلة و ٥٠ مفتوحة ومداها كلها ٦٦٢ متراً بعدها السد الصامت الغربي ٢٤٤٥ متراً بالستائر الحديدية و ٨٦٧ متراً بدون الستائر

والستائر الحديدية جسور طويلة متداخلة طولها ٩ أمتار تغرز الى جانبي السد في الارض فتكوّن سورين بينهما بناء السد. وقد رأيتهم يدقونها في الارض بالمطارق الكهربائية وهي من أدق وأضبط صنوف البناء. والهويس طويل عريض بديع في وسطه مجاز السفن طوله بين البوابتين الحديديتين ٨٠ متراً وعرض الماء فيه ٢٢ متراً ومساحته كله ٣٦٨٠ متراً مربعاً ويحجز الخزان من مياه النيل ٣١٠٠٠٠٠٠٠٠ متر مكعب ويتبخر منها قبلما تصل اسوان ٩٠٠٠٠٠٠٠٠ متر مكعب ويصل اسوان ٢٢٠٠٠٠٠٠٠٠ متر مكعب وهي تكفي ري ٥٥٠٠٠٠ فدان

***

وقد كمل بناء السد في اول ابريل الماضي يوم الخميس الساعة ١٢ ظهراً ولم يبق الا أعمال تكميلية جزئية تنتهي بوقت قصير. وقد انصرف جميع المعماريين وأكثر العمال ولم يبق الا عدد يسير منهم لانجاز ما تبقى وهو قليل

٤ — مغازي الخزان

رأينا ما هو الخزان . وعرفنا لماذا كان . وكم هي نفقاته . وعدد عماله . وأوصاف أقسامه فماذا يستفاد من كل ذلك ؟ ماذا ترى البصيرة وراء ما رأت الباصرة ؟ هذا هو البحث الجدير بشيخ مجلات العالم العربي . وأراني في الموقف القانوني اللائق بمؤرخ أقدس الجهود الانسانية . وأرى أمامي حقائق هي أجدر بالخلود من السدود والاهرام . ولا أراني أقوى على سردها كلها ، فأقتصر على الاشارة الى بعضها

أولا : ان هذا الخزان ظاهرة ارتقاء من الناحيتين العمرانية والاقتصادية . فلا تقوى أمة منحطة على ابرازه . وهو مجلى المبلغ السامي الذي أدركه الانسان في تطوره وارتقائه ومما يتجلى لنا فيه

(١) فن المعمار (٢) فن الهندسة (٣) فن الميكانيكا (٤) الفنون الطبيعية (٥) نواميس السائلات (٦) نواميس الكهربائية (٧) الري والمساحة وقواعد الاقتصاد (٨) الشركات التجارية (٩) المبادىء السياسية (١٠) الائتلاف الانساني والتعاون الاجتماعي

كل هذي المجالي على جلالة قدرها انما تصور لنا فرعاً واحداً من شجرة الروح الباسقة . تلك الشجرة المباركة اصلها ثابت وفرعها

***

ثانياً : ارى في هذا المسعى العظيم « حرص الانسان على كيانه » . بجول النشاط الانساني في المحيط الكوني الى أبعد الآفاق محاولا ايجاد وسيلة ، او استنباط حيلة لضمان كيانه . والحرص على الكيان اول الغرائز الانسانية واولاها بالاهتمام . ومن هذا الاصل الاول تتفرع نوازع جمة كالتمدين والعمران والاقتصاد والنظام والاجتماع والشرع والتدين والشرف والوفاء والتآلف والتحالف والنجدة والايثار الخ .

فاذا اعترض الجهد الانساني عقبة في سبيله ، تحول دون فوزه بالكيان مباشرة او مداورة ، عمد الى التغلب عليها ، اما بشقها شقًّا كما فعل بنفق سمبلون ، او بزحزحتها من السبيل ، او بالتفافه حولها والدوران بها بحيث يتسنى له استئناف سيره الاصلي كما تفعل الانهار في مجاريها . والحاجة ام الاختراع . وان حيلة الانسان احتفاظاً بكيانه تؤلف تسعة اعشار مساعيه العمرانية . وهذا الخزان احدى المحاولات الانسانية لضمان الكيان . هو استغلال الماء لاجل الحياة

وما استلزمه انشاء الخزان من علم وفن وصناعة وسياسة انما هو مقياس ما بلغ الانسان من المستوى العمراني والمدني

ثالثاً : يتجلى لنا في مسعى كالخزان « التضامن الانساني » والترابط الوثيق بين افراد

النوع ، ولاسيما بين السلف والخلف . مات بعض الذين كانوا يعملون في انشاء الخزان قبل انجازه . وسيموت اكثر الذين عملوا به دون ان يتناولوا شيئاً من ثمراته . والذين سيستغلونه ممن سيولدون هم اكثر جداً ممن يستفيدون منه الآن . فسيستغله مئات الملايين ممن سيولدون في وادي النيل في عشرات القرون . فسعي الالوف ، وبذل الملايين ، على عمل يستفيد منه الحفدة وحفدة الحفدة هو ما اسميه « التضامن الانساني » . فانا نبني ونغرس لمن بعدنا ، كما بنى وغرس لنا من كان قبلنا . هذا هو خط الارتقاء الصاعد ، مجلى النشوء البديع ، هو استمرار الطبيعة في مجراها لحفظ النوع وسلامة افراده من غوائل الفناء

سيغص وادي النيل بالذراري ، فتضيق بهم الارض على رحبها ، وتنضب الموارد على وفرتها ، فنرانا ملزمين باعداد المعدات وتوفير الوسائل الواقية والضامنة لمئات والوف السنين وهذي الجهود التعاونية لغز لا يفسر ، الا بانه « تضامن » . هذا هو الحل الصحيح لالغاز التعاون البشري ، منشؤه الفطرة ، ومندغمه المدنية والارتقاء

***

رابعاً : الخزان في جبل اولياء حجة تثبت حق مصر في السودان هو حجة عملية راهنة لا يقوى مراء على انكارها . هو صورة اعتراف انكلترا والحكومة السودانية بحق مصر في النيل وفي حوض النيل . والا استحال ان يؤذن لمصر ان تنشيء خزاناً كهذا في غير بلدها ، وهو خزان تنحصر فوائده في القطر المصري دون سواه من الاقطار . تحجز فيه المياه لمصر كما تحجز عربات السكة الحديدية لاصحابها . ولكن حجز المياه في خزان جبل اولياء ليس استئجاراً بل امتلاكا . فلم تستأجر مصر مياه النيل والمحيط حول جبل اولياء ، لاجلٍ مسمى . بل هي صاحبة الماء وصاحبة المحيط حول ذلك الخزان . وقد أثبتت ملكيتها ذلك الموضع لاجل غير مسمى . وقد برهنت ببنائها الخزان على انها صاحبة السودان ، او انها والسودان قطر واحد وبعبارة الجرائد ان السودان جزء لا يتجزأ من وادي النيل . فالذين عارضوا في بناء هذا الخزان على اساس سياسي كانوا يكونون مصيبين لو كان السودان بلداً اجنبيًّا . اما وقد اعترف الداني والقاصي بحقوق مصر « التاريخية والطبيعية » في السودان وفي النيل فقد فات اولئك المعارضين ان انشاء هذا الخزان هو كبصم الختم على الحجة من الطرفين . فلا يبقى ثمة مجال للمرء في ان السودان لمصر ومصر للسودان ، او انهما بلد واحد وهو افضل التعابير وأصدقها فليحرص على ذلك المصريون

***

خامساً : واخيراً : بقي ان هذا الخزان مجلى ما بلغ المصري من الارتقاء . الجرائد مجلى نفسية الامة وخلقها . ولكن الجرائد قد تكون مجلى غير طبيعي ، وقد تكون مجلى زائفاً او ملتبساً فلا يتمكن غير ثاقب النظر من ادراك الشأو الذي بلغته الامة بدليل جرائدها . اما الخزان فمجلى طبيعي لا زيف فيه ولا التباس . فقد بناه اربعمائة وثلاثون معماراً لم يكن

فيهم واحد غير مصري . وقد شيد باموال المصريين وادارتهم وحكمهم : فلم يبق ثمة ريب في علو كعب المصري . وكان المهندس المصري صاحب الكلمة في الخزان . فماذا تقول اذا عرفت ان هذا الخزان هو أمتن الخزانات بناء واقلها نفقة ؟ أولا ترى ان ذلك بينة ارتقاء المصري في اكثر من فرع واحد في شجرة العمران ؟

كان في جبل اولياء مئات من المصريين من مهندسين وملاحظين وكتاب وارباب ادارة وكان هؤلاء في احتكاك دائم بعضهم بالبعض الآخر وبالانكليز . والاحتكاك المستديم في دائرة العمل لا يترك مجالا للتصنع والزيف . فماذا كان من المصري ومن الادارة المصرية؟ هل حدث بين المصري والانكليزي خصام او جفاء ؟ وهل كان المصري دون اخيه الاوربي خلقاً ورجولة ؟ وهل كان في ادارة المصري شيء من التشويش والترطم ؟ لا وابيك . سل عنها خبيراً . فقد لاصقتهم سنين : ووقفت على امرهم في حالي رضاهم وبطشهم . فلم ار الا « ما يزين » . لم تكن هنالك ثغرة في سور الادارة المصرية . ولا نقص في خلقه ، ولا خلل في علاقاته . اربعة اعوام مرت ولم يحصل مشكل في الادارة او العلاقات ، لا بين المصري والمصري . ولا بينه وبين اخيه الاوربي . زد على ذلك انا لم نسمع ان احداً من اولئك المئات اتى امراً اداً . بل كانوا جميعاً مثلا في المحامد والاخلاق، من اكبر موظف الى اصغر تابع . وأتموا عملا من اجل الاعمال وأوفرها خطراً ، ولم يتركوا الا ما يستوجب الثناء والاعتبار ، من الاجنبي قبل الوطني

***

لقد طفت حول الكرة الارضية نحو خمسة اعوام ، ورأيت الشيء الكثير من بدائع المشاهد ومفاخر الامم ، في كل قطر وتحت كل سماء، على اني لا اذكر مشهداً ابدع منظراً وأشرف مخبراً من رؤيتي حلقة المهندسين في جبل اولياء حول زعيمهم المهندس المقيم عبدالقوي بك احمد . وسمعت اشياء كثيرة ترفع الرأس ولكني لم اسمع افضل من اجماعهم على حبه واحترامه وتأييده في كل اجراءاته . فهذا التفاهم بين الرئيس والمرؤوس ، وهذا الاجماع بين التابعين في شأن متبوعهم ، مجلى ارتقاء وتسام لا يمكن الزيف محاكاته

اما النزاهة التي تجلت في بناء هذا الخزان من جانب المهندس المصري مما يرفع الرأس كثيراً . هنا لا معارضة ولا اعتراض . ملايين من الجنيهات أنفقتها مصلحة الري في بناء هذا الخزان، وكل جنيه ذهب في محله . ولم يتسرب منها شيء الى الجيوب . ولو ان المجال يأذن لي بأكثر من ذلك لما تلكأت . ولكن اللبيب تكفيه الاشارة . فقد ضرب المصري الرقم الاعلى في النزاهة والاتقان في بناء هذا الخزان فلم يبق للمنصف الا احناء الهامة امام هذا المجلى البديع الذي لسان حاله يقول :

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

جبل اولياء

فيلسوف عربي يسبق سبينوزا

بين سبينوزا

وابن جبرول

لفليمون خوري

الفيلسوف الهولندي بنديكت سبينوزا علـم من اعلام الفلسفة الحديثة له المذهب الخاص في الفلسفة والآراء والنظريات الثاقبة التي لا تزال مرجعاً سامياً في الكثير من مباحث الفلسفة الى يومنا هذا حتى لا يكاد يخلو مقال فلسفي من الاشارة الى مذهبه او احدى نظرياته

ولد سبينوزا في امستردام من اعمال هولنده عام ١٦٣٢ وهو ابن احد التجار اليهود المثرين برتوغالي الاصل وكان قد قصد والده بتخريجه ان يكون يوماً مدرساً في اللاهوت بيد انهُ اذ لم يجد في تقاليد الآباء ومعتقداتهم الدينية ما يروي اوام نفسه الظامئة الى المباحث الحرة الواسعة ترك دين الاجداد وعكف على درس الفلسفة وخصوصاً فلسفة ديكارت فاضطهده لذلك رؤساء الدين وطردوه من مجامعهم فاضطر اخيراً الى هجر امستردام واخذ يتنقل في بعض مدن هولنده حتى استقر اخيراً في الهاي حيث جعل يتعاطى بعض الاعمال لكسب معاشه ولبث فيها الى آخر ايام حياته

اما مذهبهُ الفلسفي فهو المعروف بالحلول Pantheism اي ان الكون هو الله والله هو الكون. والذي يهمنا من مذهبه في هذا المقال هو اعتباره العقل والمادة واحداً او انهما وجهان او صورتان لمادة اصلية واحدة عامة . فالعقل والمادة متلازمان ابداً فلا عقل بلا مادة ولا مادة بلا عقل . انما المادة في ذاتها ليست عقلاً ولا مادة . وعنده ان جميع الاشياء والمخلوقات فيها شيء من العنصر العقلي او الروحي وهذا ما ذهب اليه اريسطو قديماً من وجود عنصر روحي في سائر الكائنات الحية وغير الحية انما يختلف وجود هذا العنصر قوةً وضعفاً في الموجودات فهو في الجماد غيره في النبات وفي هذا غيره في الحيوان والانسان

ان نظرية سبينوزا هذه مبنية على نظرية التقابل التي مرّ تفصيلها في المقال السابق الذي

نشر في العدد الاخير من المقتطف تحت عنوان « العقلي والمادي في الفلسفة الحديثة » وقد وضعت هذه النظرية على اثر نظرية الفيلسوف الفرنسي ديكارت من ان العقل والمادة شيئان مختلفان اختلافاً كليًّا وليس بينهما شيء مشترك البتة ولا يوجد اي علاقة سببية او تفاعل بينهما. ومؤدى نظرية التقابل هو ان المادي والعقلي كل في دائرته الخاصة على ان كل حركة او حادث يحدث في الدائرة الواحدة يحدث ما يقابله في الدائرة الاخرى وذلك على تمام الدقة والوفاق . وقد تناول سبينوزا هاتين النظريتين وتوصل منهما الى هذه النتيجة البينة وهي انهُ اذا لم يكن من تفاعل بين العقلي والمادي وليس من علاقة سببية بينهما واذا كان ما يحصل في احدهما يحصل ما يقابله في الآخر على ادق نظام واحكام اذاً لا بد من ان يكونا شيئاً واحداً او انهما خاصتان متقارنتان او صورتان متباينتان ظاهراً لا باطناً لمادة واحدة اصلية مطلقة عامة . ويؤخذ من ذلك انهُ حيث تكون المادة فهناك العقل ايضاً وحيث يكون العقل فهناك المادة لا محالة فهما اثنان في الظاهر واحد في الحقيقة . وهذه هي الفكرة الرئيسية في فلسفة سبينوزا وهي اساس مذهبه الذي جعل له هذه الشهرة الطائرة في عالم الفلسفة

وقد اتفق لي ان عثرت مؤخراً في بعض تراجم الاعلام على مختصر سيرة الفيلسوف العربي ابن جبرول وفيها خلاصة وجيزة لمذهبهِ وآرائهِ الفلسفية نقلاً عن كتابهِ « ينبوع الحياة » الذي يتضمن حقيقة مذهبهِ وكم كان اعجابي بالفيلسوف العربي حين وقفت في تلك الخلاصة على نفس هذه الفكرة في العقل والمادة التي تعزى الى سبينوزا فقط . فعجبت ان لا يكون للفيلسوف العربي ذكر بهذا المعنى وان ينسب الفضل فيها كلهُ الى الفيلسوف الهولندي بينما ان ابن جبرول سبقهُ اليها بما ينيف عن ستماية سنة . وابن جبرول كما ورد في ملخص سيرتهِ هو المعروف عند الافرنج باسم اويسبرون Avicebron العالم الفيلسوف اشتهر عند اهل القرون المتوسطة بكتاب سمّاه « ينبوع الحياة » ووثق بهِ بعضهم فأتوا من كلامه بشواهد وعدهُ آخرون كافراً وكانوا يجهلون حقيقة حالهِ ودينهِ فلا يعرفون هل كان يهوديًّا او نصرانيًّا او مسلماً وما برح مجهول الحال حتى عثر بعض الباحثين على نسخة عبرانية من كتاب « ينبوع الحياة » مترجمة من اصله العربي فعرف ان اويسبرون المذكور هو سليمان بن يهوذا بن جبرول المعروف عند العرب بأبي ايوب سليمان بن يحيي . وكان مولد ابن جبرول بمالقة في حدود سنة ١٠٢١ للميلاد وتوفي في سنة ١٠٧٠

وهذا هو نص العبارة التي تشف عن حقيقة مذهبهِ نقلاً عن ملخص الترجمة المشار اليها —
ان الجنسين الروحاني والجسداني ليسا سوى نوعين من جنس ارفع منهما وهو المادة الموجودة في كل منهما وان المادة الهيولية والمادة الروحانية ليستا سوى جزئين من المادة العامة والمراد

هنا بالمادة على مذهب الحكماء المشاة احدى علل الوجود وعنده ان مادة واحدة او جوهراً واحداً يكون قياماً للعالم الارضي والعالم العقلي وقد استند في ذلك الى دليل قاطع فقال « انهُ مما اجمعوا عليه (يريد فلاسفة اليونان وبالاخص زعماء الافلاطونية الجديدة) ان العالم العقلي هو علة العالم الحسي وكل معلول لا بد لهُ من بعض المشاركة لعلته في الطبيعة ولو لم تكن هذه المشاركة لامتنع حصول الفعل فان كان في كل شيء من هذا العالم مادة وصورة ولم تكن تلك المادة في العالم العلوي فكيف امكن تولدها وكيف يصح ان يقال ان علتها في العالم العلوي ولا يصح الاعتراض بأن الجواهر الروحانية بسيطة وما سواها مركب لان بساطتها انما هي بالنسبة الى ما كان من دونها من الجواهر ولكنها مركبة حقيقة بالنسبة الى وحدة الخالق المطلقة » . وبالجملة انهُ اعتبر وجود مادة واحدة عامة في كل موجود حاشا الخالق وان هذه المادة هي قيام عالم الارواح والاجساد . يتضح من هذه العبارة ان ابن جبرول كان يعتقد بوجود مادة واحدة عامة لا نوعين من المادة كما كان يظن فلاسفة عصره والذين تقدموهُ وهو عين ما ذهب اليه سبينوزا على انهُ وان يكن ابن جبرول قد توصل الى هذه النتيجة من غير الطريق والدليل الذي توصل منهُ سبينوزا فالنتيجة واحدة كما لا يخفى ولا عبرة بالطريقة الاستقرائية فلكل طريقتهُ الخاصة . ولقد رجعت بعد اطلاعي على مذهب ابن جبرول هذا في المادة الى مشهوري فلاسفة اليونان مثل افلاطون واريسطو وزعماء الافلاطونية الجديدة الذين اعلم ان فلاسفة العرب نقلوا عنهم الشيء الكثير علي اقف على اثر لهذه الفكرة في مذاهبهم وآرائهم فلم اقف على شيء من ذلك فأيقنت ان الفكرة هي من بنات افكار فيلسوفنا العربي الكبير وقلت انهُ من الظلم ان لا يذكر بالفضل ذووهُ . وليس من قصدي الحط من مأثرة الفيلسوف الهولندي الكبير ولكن ارى من الواجب انهُ اذا ذكر اسم سبينوزا بهذا الصدد ان يقرن الى ذكره اسم ابن جبرول . وليس اسم ابن جبرول بالمجهول عند فلاسفة الغرب فقد كان لهُ مناظرات ذات شأن مع اكبر فلاسفة الاجيال الوسطى اعني القديس توما والبرت الكبير (١) وغيرهم فليس بالمعقول ان يكون الغرب يجهل آراء ابن جبرول

***

اما خطر هذه الفكرة وقيمتها الفلسفية فهي انها جعلت المبدأ العقلي والمادي في مستوى واحد بعد ان كان العالم لا يفكر الا بالاشياء الحسية فأفسحت الفكرة مجالاً للمبدإ العقلي وأصبح بها حقيقة

(١) القديس توما هو الفيلسوف توما الاكويني الشهير وقد كان هو واستاذه البرت الكبير من اشد خصوم ابن جبرول غير ان روجر باكون الفيلسوف الانكليزي كان من انصاره وقد قبل آراء ابن جبرول بجملتها بعد ان عدل فيها قليلا ورد بحماسة على من ناقضه

ملموسة بعد ان كان يغشاها الشيء الكثير من الغموض والابهام . ولم يقف الامر عند هذا الحد فان متتبع الآراء الفلسفية في ادوارها المتسلسلة لا يلبث ان يلاحظ أن المبدأ العقلي اخذ بالتغلب رويداً رويداً على المبدأ المادي حتى كاد يلاشيه من عالم الوجود كما يظهر من فلسفة شلنغ وهيجل وفيختة وجميعهم من اعاظم الفلاسفة المحدثين . وقد تبين معنا في مقال « العقلي والمادي » ان الفيلسوف ليبنتز قال باجتماع العنصرين في الجوهر الفرد الا انه حكم بتغليب العنصر العقلي على المادي وتقدمه عليه . ثم ان الفيلسوف الالماني كانت جعل القوة الادبية او الضمير الانساني لباب الوجود . كما جعل نيتشه القوة . وشوبنهور الارادة . وسبنسر القوة المجهولة . وكل هذه من الامور المعنوية العقلية كما لا يخفى . اوليس ان في الرأي العلمي الحديث تنازع البقاء ما يشف عن معنى ارادة البقاء وحبه ؟ أليس هذا ايضاً من الامور المعنوية العقلية ؟

وللفيلسوف العربي ابن جبرول آراء وافكار غير هذه جديرة بكل اعجاب ولها قيمتها الفلسفية الخاصة . فقد ورد مثلاً في خلاصة مذهبه هذه العبارة : « ان المادة الطبيعية اي الجوهر المنتشر يتحرك ليتخذ صورة العناصر الاربعة (اي الهواء والماء الخ) ثم يرغب في اتخاذ صورة الجماد ثم النبات ثم الحيوان ثم يطمح الى الامتزاج بالعقل والارتفاع الى ذلك العقل العام الذي هو منتهى كل الارتقاء واليه تنتهي كل حركة » . أليس في عبارته هذه دلالة واضحة على مذهب الارتقاء من المادة الترابية الى جوهر العقل الانساني . أوليست هذه هي الفكرة الرئيسية في مذهب هيجل في مادة الكون والارتقاء الدائم ذلك المذهب الذي كانت لهُ السيادة التامة حتى أواخر القرن الماضي ولا يزال لهُ شأنهُ الكبير الى يومنا الحاضر ؟ ولا سيما ان ابن جبرول يذهب الى ان « المادة هي قوى روحانية عقلية الطبيعة غير حسية لا يتيسر ادراك كنهها بالتصور » فكأنهُ وضع بقوله هذا جرثومة المذهب الروحي الذي كان جوهر فلسفة الفلاسفة الالمان من عصر كانت الى هيجل وهارتمان وشوبنهور

***

هذا ما أردت بيانهُ اقراراً بفضل هذا الفيلسوف العربي الكبير ورغبةً في تعريفه الى أبناء العربية في مختلف الانحاء . وانهُ لمن دواعي الاسف الاّ يكون أبناء الضاد يعرفون من أمر نوابغهم أكثر مما يعرفون ولكن لا أقل من أن يحيا ذكر أولئك النوابغ العظام في أذهان أدباء العربيةِ وأبنائها المثقفين . أليس لارباب الفلسفة والحكمة المشرقية إسوةٌ بأرباب الشعر الذين نروي أشعارهم ونجلّ آثارهم

من الادب التركي

وكانت الذئاب تعوي

للكاتب التركي حسين جاهد

نقلها نقولا شكري

جرى ذلك في الغابة ، عند الهزيع الاخير من احدى ليالي الخريف اذ كانت الذئاب تعوي وكانت الاوراق الذاوية تنفصل عن الاشجار بتؤدة كما تتبدد احلام المرء اذا صحا من نشوته ، وتسقط على رؤوسنا بحفيف يشبه الزفرات القصيرة . فما أتعس نهاية احلامنا ؟

وكان ذلك الخريف حزيناً ، يبكي وينتحب في الظلام خلال الاغصان مع الحشرات الاخيرة التي كانت تأوي الى بعض الشقوق والثقوب فتموت هناك او تقضي تحت قشرة جافة نتأت من جذع الشجرة قليلاً

وكانت الذئاب تعوي

اما عواؤها فهو طوراً تهديد كأنهُ دوي عاصفة بعيدة ، وتارة شكوى الغضوب العاجز فينتشر فوق الاشجار الساجية هنيهة ، ثم تعود تلك الظلمات الى سكونها ، وينقطع دوي الحشرات، ويملك الليل نسماته فتتنفس بهدوء تنفس الخائف الحذر

النار تضطرم ولها زفير ، ولهبها المترجرج لم يكن لينير جذوع الاشجار المجاورة ، واضواؤها المضطربة تتفرس في الظلام الدامس المقنط كأنها عينا طفل مروع يحدق في السواد البعيد ليسبر غوره ، وليس لهُ جرأة على التقدم خوفاً من الظلام ورهبة للمجهول . والى جانب النار يضطجع احد رفيقي في ردائه الواسع وينام نوماً هادئاً ، وهو رجل جميل قوي لا يظهر منهُ في ذلك الرداء غير وجهه . والآخر شاب هزيل عصبي جلس ازائي واخذ يلقي في النار قطعاً من الخشب بدون انقطاع . وكان قد فرّ من سجنه حديثاً وعدنا الى حياة المغامرات في الحراج والوديان والجبال ، فنحن احياء ابداً وهاربون ابداً

طوق صديقي الشاب ركبتيهِ بذراعيهِ واخذ يلقي على النار نظرات حزينة من مقلة جامدة

كأنهُ يقرأ لغة اللهيب . وكان يتابع حركات النار حتى اذا تحول الوقود رماداً تناول غيرهُ والقاهُ في النار ، وعاد الى تطويق فخذيهِ بيديهِ وتأمل بعيني مفكر وبقنا صامتين . عوت الذئاب ايضاً عواءً شديداً محزناً حتى اعتقدنا ان ضوء نارنا يزعجها فهي حولنا مضطربة مضيقة حلقاتها

قال رفيقي : ما أقبح هذه الوحوش فأجبته : لقد خافت النار

قال : كلاّ . ولكن العالم ضيق حتى على الحيوانات فليكن ملعوناً

فشعرت ان ألماً عميقاً يهيج في صدره ، وكان وجهه مصفرًّا تقع عليهِ اضواء النار فيصبح كأنهُ شبح من الاشباح . ولاح لنا ان الكلام متعذر فاستولى السكوت ثانية . ثم عاد صديقي الى الكلام بعد هنيهة فقال وهيئته تدل على انفعاله : أتعلم اني تعب اود ان انام نوماً طويلاً عميقاً

فقلت لهُ : نم انت وانا اقوم على الحراسة

فتمتم قائلاً بلهجة التوبيخ : ايها الخبيث . انك لم تفهم مرامي . اريد ان اقول لك نوماً طويلاً بدون يقظة . نوماً ابديًّا

— ماذا أصابك ؟ — اني تعب . تعب جدًّا من الحياة . بعد السجن ؟ وفي الحرية ؟ نعم بعد السجن وفي الحرية . افٍّ لهذه الحرية !

— هل تعلم كيف فررت ؟ — اعلم انك حر وحسبي ذلك فلا اكترث للبقية

— ولكن البقية هي التي تهم ايها الرجل الساذج . انها هائلة . وهذه الحرية على ما ترى أضيق من السجن . أصغ اليَّ فسأقص عليك كيف نجوت من السجن ومتى وعيت كلامي فأصدر حكمك العادل وقل لي هل انا مجرم ام لا

وعوت الذئاب من جديد

هل سمعتها؟هذه الوحوش الضارية تقوم بجنازة حريتي وشكواها لا تتغير ابداً: العالم ضيق، ضيق، ضيق!

انك تعرف ان ولادتي كانت شؤماً على والدتي وان اللعنة لحقتني من المهد . أوقفت مرة لفراري من الجندية وكان عليهم ان يسوقوني بعد بضعة ايام مغلولاً الى مقرّ الحكومة لمحاكمتي . فيجب عليَّ ان افر اثناء الطريق واتخلص من الحراس الذين يرافقونني . وليس لي من سبيل آخر . ولكن كيف انجح ؟ هذا هو الفكر الذي ضعضع حواسي وجاشت لهُ نفسي كأنها عصفور في قفص يضطرب ويختلج . اما الحارس الذي كان معهوداً اليهِ في حراستي فهو صديقي وكان يبدي لي رقة وعطفاً فسألني بصوت منخفض : ألست نائماً ؟ — كلاّ

انك تفكر في والدتك دون شك . مسكينة تلك العجوز . ثم ابتعد عني وبعد برهة عاد اليَّ وكلمني عن والدته التي تعيش في بلاد نائية وما زالت منذ سنوات تتوقع عودته

قال : ولنكد الطالع ان اخي الاكبر في الجندية وقد دعي الى الخدمة هو اليوم في ساحة

القتال . اظن ان هذه الحرب المشؤومة لن تنتهي . كم قتل فيها حتى الآن ؟ وما هي الانباء التي تأتينا عنها ؟ ومن يعلم ماذا يحدث ؟ ثم ان لاخي زوجة هي أم مسكينة . امرأتان بدون رجال وبدون معونة ، فقيرتان لا تملكان ارضاً . الجميع عندنا فقراء . آه . ان فقرهم مدقع وليس لهم ارض زراعية . وهكذا كان يحدثني عن احواله وأحدثه عن والدي وكآبة سجني وقيودي، ويحدثني عن خدمته العسكرية واخيه واسرته البعيدة . وختم حديثه قائلاً : الحياة قاسية يا اخي

فأجبته : نعم قاسية جدًّا . ثم عاد الى تمشيه وعدت اعد خطواته ريثما يدركني النعاس . ولكن الفكر الوحيد الذي كان يدور في خلدي هو : أيطلق علي النار اذا هربت ام لا ؟ وكنت اتشوق لمعرفة الحقيقة فحدثت عندئذٍ حادثة غير منتظرة اتت كجواب على سؤآلي المتقدم . في احدى الليالي استولت الرهبة على السجن اذ اطلق الحراس طلقات عديدة فاجابهم الجنود في سائر الانحاء باطلاق قذائفهم بشدة وعنف وسمعنا عقب هذا الدوي ضجة ومحادثات وايماناً واوامر مخيفة وقعقعة سلاح وصرير ابواب وعويلاً . وفي اليوم التالي كبلوا بالحديد ارجل معظم الموقوفين وكنت انا من جملتهم وعلمت ان اثنين من السجناء حاولا الفرار بعد ان نقبا سقف غرفتهما ولكن مشروعهما حبط

ولكن على الرغم من ذلك كنت افكر في الفرار . ولا مندوحة عنه للخلاص . ولكن كيف ؟ هذا السؤال استغرق افكاري وبلبل خاطري وتمثل لي في الف شكل يباين بعضها بعضاً

وبينما انا افكر في كل هذا اقترب الحارس ثانية من بابي وسألني . ألم تنم ؟

كلاً — لم أستطع ذلك فالحر شديد وقد أقلقتني هذه الاحلام المشؤومة . فتمتم الحارس قائلاً بصوت متلجلج : الاحلام المشؤومة ... نعم يا اخي نعم ... آه . فلتكن الحياة ملعونة .. أفٍّ !

قال ذلك وفي صوته رنة ألم غير عادية فعرفت انه حزين باك يشرق بدموعه فسألتهُ : هل جاءتك انباء مشؤومة من اسرتك

لقد قتل اخي .. كتبت اليَّ امي بذلك .. ما اشد بؤسك ايتها العجوز ! نعم يا اخي نعم... ان الحياة مرة . . . . ولم يستطع ان يتم حديثه لانه أجهش بالبكاء فابتعد عن بابي في الرواق بخطاه المنتظمة ذات الوقع الحاد . وكان يحمل على منكبيه مع سلاحه حزناً لا يوصف فنسيت ألمي وشرعت افكر في حزن صديقي . انه يبكي ولكنني اذا هربت قتلني قبل ان يجفف دموعه لان حراستي موكولة اليه وعليه ان يسهر كي لا يشتد صريف سلاسلي ، وليبقى السجن ضريح التأثرات والعواطف والآمال . وقطع الحديث على صديقي سقوط أوراق من الشجرة كان لها حفيف شديد . وفي تلك اللحظة مرَّ بنا ذئبان يتقاتلان ويثبان فأمسك صديقي ببندقيته وسدَّدها وأطلق النار . فعوى الوحش المصاب عواء أليماً وصرخ صراخاً مزعجاً ثم صمت فاستيقظ رفيقنا

النائم ووضع يده على بندقيته فقال له رفيقه : ثم لا تجزع فاني قتلت ذئباً . فقلت : لقد قتل الذئب فان عواءه كان حشرجة الاحتضار وذلك خير له . ألم أقل لك ان العالم ضيق على الجميع

ثم ضحك ضحكاً غريباً وزج في النار وقوداً وأتم حديثه قائلاً : لم أستطع أن أجد وسيلة للفرار فتركت ذلك للاتفاق وفوضت الأمر للأقدار وما أخطأت في ذلك ففي ذات يوم سلمني صديقي الجندي كتاباً ففضضته واذا هو مكتوب فيه : سيقودونك غداً فحاول ان تجلس لتستريح على ضفة النهر في الحرج

مزقت الورقة ولكن الكلمات رسخت في دماغي كأنما طبعت بحديد محمى ولم انقطع عن ترديدها . ولكن من كتبها ؟ كنت أجهله . لم يتضح لي سوى شيء واحد وهو ان رفاقي في الخارج يفكرون في انقاذي وان جلوسي الى ضفة النهر في الحرج قد يكون له في خلاصي شأن خطير

وأخيراً قادوني من سجني الى الموت او الى الحياة يخفرني جنديان وخواطري المظلمة لا تفارقني . وكنت أسحب سلاسلي بخطى ثقيلة واتفق أن احد حارسيّ كان صديقي ذلك الرجل الاصهب الشعر الحزين الطلعة والآخر رجل طويل القامة مكفهرّ الوجه تبرهن كل حركة من حركاته ولا سيما نظراته القاسية على نفس ما عرفت الحنان فلم أحفل به واكتفيت بمقته دون ان أبدي له ما أحسّ به نحوه . وكان صديقي يشغل خاطري وبدلاً من أن أسرّ باصطحابه إياي شعرت عند نظري اليه بقشعريرة خفية عرتني . ولو أمكنني لناديته قائلاً : لا تصحبني يا صديقي . أضرع اليك ألاّ تصحبني . وكنت آنئذٍ أشبه جواداً أجفلته كتلة مشعثة سدت الطريق فهو يقفز ليجتاز من جانبها ولكن فارسه يرغمه ان يجتاز عليها . لقد روعني حضور ذلك الصديق لكن ربما كان لي في صحبته فوائد جلى . فهو يعطف عليّ ولا يهوي على منكبي بحديد بندقيته اذا تعبت وقصرت في السير . على انه أيًّا كان فهو حارسي ويطلق عليّ النار اذا حاولت الفرار . . . لقد خطر لي كل هذا ولكنني برغمي وددت لو انه لم يكن من حفاظي وأن يحل محله رجل مجهول لا أعرفه ولا بادلته حديثاً

وبعد ان سرنا كثيراً عدمت القوة فلم أستطع السير . وعندها سألني صديقي الجندي : هل تعبت ؟ فتمتمت بعسر قولي : نعم ان السير قد أنهك قواي وسكت لأني خشيت ان يفضحني صوتي المرتجف فقال وقد عرج عن الطريق الى احدى الاشجار الباسقة الضخمة : فلنسترح قليلاً

ومما لا ريب فيه ان صديقي كان تعباً جدًّا فجثا بجانبي بينما كان الآخر يتمشى امامي طولاً وعرضاً وبندقيته على منكبه فألقيت الى ماحولي نظراً خفيًّا وحاولت ان اخرق بنظراتي الاعشاب الملتفة لعلي اقع على امارة اهتدي بها فلم ابصر شيئاً . ثم أرهفت سمعي لعلي اسمع حسًّا او ركزاً فلم اسمع شيئاً فقلت : لم يكن الكتاب الا خدعة او ان المشروع حبط

وكان الجندي القائم بالحراسة يتطلع تارة الى ما حوله ويحدق بي طوراً ويصيخ بسمعهِ هنيهة ثم يعود الى مشيتهِ وبعد لحظة قال : فلنسرِ ، حسبنا راحة وعلينا ان نبذل الجهد لنصل في الموعد المعين . فقال الآخر : ايه فلنسترح . واضطجع على العشب آمناً . وفي تلك اللحظة ومض برق من الغابة ودوى الرصاص فأبصرت الجندي الواقف يختلج ثم صرخ صرخة ورمى البندقية التي كان يمسكها بيده وانقلب كجذع خاوٍ فارتجف المضطجع بجانبي وأمسك بندقيته وحاول ان ينهض فاندفعت عليهِ بعامل لا اعرفه وقبضت على عنقه بيدي . انا فوقه وهو تحتي والتففنا كانا أرقمان سامان يحاول كل منا ان يهلك الآخر . وعدت لا ابصر شيئاً . ولم اشعر في تلك اللحظة الاّ بشيء واحد وهو انهُ من الواجب عليّ ان اقتل الرجل الذي يختبط تحتي في حياته الموت والمشنقة والقضاء المشؤوم . وقد ضعف ساعدي عند سماع انينه وحشرجته غير اني كنت اعود الى نفسي فأزيد في الضغط وانشب غاضباً في عنقه مخالب حديدية

قارب النزاع الهائل نهايته وضعفت حشرجة خصمي . ثم فقدت ساعداه القوة فألقاها بجانبه وتدفق من فمه وانفه دم غزير لزج وجمدت عيناه وظللت اضغط على عنقه حتى شعرت برجل يجذبني من يدي فنهضت مرتعداً وسمعت صوتاً يقول لي : دعهُ فانهُ قد مات . وتطلعت فرأيت رجلاً واقفاً فوقي وهو الذي ترصد حراسي خلف جذع شجرة وقتل الاول بقذيفة من بندقيته فتأملته دون ان اعرفه فان ظلمات تراكمت في نفسي واظلمت عيناي فكنت ألهث ولا أفقه ما يجري ولم أبصر سوى الجثة الممتدة امام عيني . ولم أفهم كيف حدث كل ذلك . فقال منقذي : هلمّ بنا . مالك واقف متحجر وليس لنا وقت نضيعهُ . انهض لننطلق الى الغابة وعلينا ان نزيح الجثتين من الطريق .فلبثت منهوك القوى غارقاً في الاحلام وشعرت كأنني عدمت الحياة وانه ليس لي وجود بل تلاشيت وشاهدت منقذي يجر احدى الجثتين على التراب والاخرى من بعدها الى اعماق الحرج ثم عاد اليّ وقال : هيا بنا ايها الوحش الخامل ما ابلدك !

فأجبته : اقتلني فلست اقوى على الحياة . وعندئذٍ أدخل يديه القويتين تحت ابطي ورفعني. وبعد قليل كنا في الغابة قريبين من الموضع الذي دفنا فيه الجثتين . فركت بجانب جثة صديقي الجندي . لماذا ؟ هذا ما لا اعرفه . وحسبت في تلك الحال انني لا استطيع مبارحتها

وطرق سمعنا صوت جريء بعيد ثم استطعنا ان نرى من خلال الاشجار عربة يجرها اربعة من الجياد وفيها فتىً وفتاة ضاحكان سعيدان يتجاذبان اطراف الحديث والفتاة تمس وجه الفتى بغصن اخضر فيقهقهان . وكان الحوذي ايضاً متهللاً يستحث جياده ويقرع بسوطه . ولم يهج بي مرأى الحياة وافراحها قبلاً ما هاج بي من السخط والحنق آنئذٍ وشعرت انني قادر ان اخرج من مكمني وانقضّ عليهم فأهلكهم جميعاً وجيادهم المطهمة

ابتعدت العربة بسرعة واستولى الصمت على الغابة فمكثنا وحيدين ازاء ضحايانا وجريمتنا . وكان صديقي قد كسر قيودي قبيل ذلك ولكنني لم افكر في نزعها وأحسست كأنني مرتبط بالجثتين — ولاسيما باحداهما — فلن استطيع الفرار . وكنت احدق فيه وأفكر في تلك العجوز المسكينة التي تبكي ابنها الوحيد في بلدها النائي حيث الجميع اشقياء مكتئبون . انها تنتحب على ميت واحد وعليها الآن ان تضاعف عبراتها ولكنها لا تعلم شيئاً ولا تزال تجهل حادثته.وهذه العبرات..! وهذه الدماء كلها سفكت لاكون حرًّا ... ! لاشك في ان امي ستبتهج بفراري اما الام الاخرى المجهولة فعليها ان تبكي . وقد وجب ان يقتل ابنها تحت سماء غريبة لكي احيي انا، ويسر قلب والدتي . فما هذا التناقض في الحياة ! عند ما ينبغي هلاك واحد فهل تهمنا معرفته وعندما ينبغي لأم ان تذرف الدموع فلماذا يسألون من هي . . . هذه الارض ضيقة .ضيقة جدًّا على الحرية.. .وقد انقذتني الظلمات في الليل حيث حجبت عن عيني الجثتين . واستمر النهر في نحيبه جائشاً مزبداً منحدراً في المهواة ملاطماً الصخور بدون فترة لكي يكتسب شيئاً من الفسحة وشيئاً من الحرية التي لايستطيع نيلها الا بتدمير ضفتيه وطغيانه على الارض يحمل الدمار والموت.وكنت حيثما التفت أجد مشهداً واحداً مشؤوماً في الطبيعة : لا بد من التدمير والقتل لاحراز الحرية.وذكرني رفيقي انهُ يجب علينا الرحيل وعند ما تخلصت من سلاسلي شعرت ان حملي أثقل وأوجع مما كان وأنا مقيد مغلول

وكانت الذئاب تعوي كما تعوي اليوم

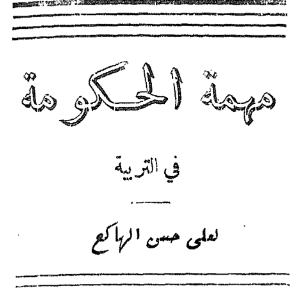
كنت حرًّا ولكنني لا اعلم ماذا اصنع بتلك الحرية المشؤومة وتراءى لي كأنني ضللت في الغابة زمناً طويلاً وسدرت في ظلمات الليل . الغابة والليل كلاهما ليس لهُ ابتداء ولا انتهاء كلاهما اسود كالحياة ، مملوء بالجنايات كالحياة

خشخش العشب الجاف ومرّ امامنا ارنب منهزم امام وحش ضار فتضجرت وقلت : المشهد ذاته.كل خليقة في العالم تنازع وتفترس خليقة اخرى

ثم سرت مترنحاً في الظلام فاصطدمت بالاشجار وكنت أسقط على الارض فأنهض لأسقط ثانية وما انفك النهر يدوي كهزيم الرعد ، والظلمات تستقر على منكبي كاعباء باهظة ، والذئاب وراءنا ما برحت تعوي.والآن يجب أن أسير وأتقدم في طريق الوجود الوعرة الشاقة فانني أصبحت حرًّا . .

وصمت الرجل عندئذ وشرع يقلب الرماد بقطعة من الخشب ثم قطع الدمع عليه الكلام فشهق بالبكاء . خمدت النار ولم يبق منها غير الرماد ، وخيمت الظلمات فوق رؤوسنا ، وكانت الاشجار تتناجى هامسة فبقيت صامتاً لانني لم اجد كلمات أعزي بها رفيقي

وكانت الذئاب تعوي ...



مهمة الحكومة

في التربية

لعلي حسن الراكع

— ٢ —

في الجزء الثاني من المحاضرة[1] عالج المحاضر مشكلة المركزية واثرها في التربية والتعليم علاجاً مفصلاً بعض التفصيل ورأيهُ في هذا الصدد ان عمل المدارس المصرية لم يكن تربية بالمعنى الصحيح بل كان اعداد الشبان اعداداً آليًّا للنهوض بمهام الوظائف الحكومية فنشأ عن ذلك حصر الجهد في حشو الذاكرة والاستظهار وسيطر على المدرسة ذلك المنهج العسكري الذي يحدّد كلّ ما يقال وكلّ ما يكتب وكلُ ما يحفظ علاوة على توحيده في جميع انحاء القطر على اختلاف الاحوال وتباين البيئات. ثم بيّن اثر ذلك في الطالب والمدرّس والناظر والمفتش

فالمدرسة اصبحت ديواناً لا حياة ، وضاعت شخصية المعلم والمدرسة في التماثل الآلي المفروض واصبح الناظر القدوة من يحفظ المنشورات والنشرات بالرقم والتاريخ وينفذ الاوامر الصادرة اليه مهما تتنافر مع احوال المدرسة التي يشرف عليها . قال :« ولن أنسى صديقاً وزميلاً حظي بتقدير الهيئة الرئيسية كان لا يصرف للمدرس نصف فرخ من الورق الا اذا كتب الطالب على نصف فرخ من الورق نفسه! . واعرف مفتشاً كان يهدر النهار كله في عدّ ورق النشاف واسنان الريش » . وغدا الطالب اشبه ما يكون بقارورة يصب فيها كل معلم ما اعدّهُ في جعبته من غير ارتباط بين الحقائق المختلفة والاساليب المتنافرة حتى رياض الاطفال . وبدلاً من ان تكون مدرسة القرية مزرعة فيها حقلها وحظيرته ومواشيها فاذا هي على ما شاهد بنفسه طائفة من التلاميذ اجتمع الذباب على اعينهم وهم يتلون عن ظهر قلب أحدث ما عرف من قواعد الصحة في النظافة واعراض الرمد ووسائل الوقاية منهُ واذا طائفة اخرى من الطلاب في فصل آخر يصغون الى محاضرة للمدرس في نبوليون !

---

(١) راجع الجانب الاول من هذه المحاضرة في مقتطف ابريل ١٩٣٧ صفحة ٤٣٨

والشأن الاول في التربية احكام الاتصال بالحياة ومن هنا وجوب العناية باعداد المربي للقرية ، فهو في القرية ليس مربيًّا للنشء فحسب بل ينبغي ان يمكن لهُ الاشتراك في انهاضها بتحسين حالتها الصحية والاجتماعية لانهُ ومدرستهُ مصباح الثقافة والرقي الذي يشع في القرية

وختم المحاضر محاضرته بما يلي :—

الخطة العملية للاصلاح

الآن وقد فرغت من بيان المشكلات ووجهات الاصلاح عامة اختم المحاضرة ببيان عملي للاصلاح يضم ما تناثر من البحث . وقد سبق ان بينت التردد والترقيع الذي اخذت به الوزارة في حركات الاصلاح الماضية . ولا زلت أخشى على النزعات الشريفة التي برزت اخيراً على لسان معالي الوزير ورجاله ان تنحدر بفعل الروح المتسلطة . وفعلاً لا ارى في آخر تصريح عن اللامركزية نشرتهُ الصحف الآن اصلاحاً محدوداً في سلطات الرؤساء لا يتصل باللامركزية في الامور الحيوية . فالمناهج المقدسة والخطط والمقررات هي هي بصولتها وقدسيتها

اما عن المؤتمر المنشود فأخشى ان يتمخض عن مجموعة طريفة من المحاضرات التي تعلن عن ملقيها وتنفس عن سامعيها ، تطبع في كتاب جميل تتصدره السلسلة المألوفة من الصور للشخصيات البارزة

واظنني في غنى بعد ما افضت فيه ، عن بيان خطر المشكلة وهي تشمل بناء الامة المقبلة وما يتطلبهُ من انقلاب اساسي . ان الامر لا يقتصر على وزارة المعارف واختصاصها ، بل ولا على الهيئات التربيبة المحلية التي سأذكرها وعلى رأسها المدرسة نفسها ، بل يجب ان يمتد العلاج بحكم ما للموضوع من الشأن الى خارج حدود وزارة المعارف كوزارة الصحة والادارة ونواحي الحياة الحرفية من زراعة وصناعة وتجارة ومال . واذا قال المستر مان في تقريره أن كل ما ينفق على التعليم الاولي انما ينفق في تحسين الصحة العامة فأني ازيد على ذلك بأن كل قرش ينفق على التربية الحقة انما ينفق على زيادة ثروة الامة . كما يجب نشر الوحدات الرياضية ومنتدياتها . وحبذا لو اخذت الحكومة بنظام ال Dopolavoro الايطالي

لذلك ارى ان يعقد مؤتمر بمرسوم. ويكون برآسة وزير المعارف، وقوامه بعض الوزراء ولاسيما وزراء المعارف السابقين ثم كبار رجال الأعمال ورجال التربية على ان تشكل لجان فرعية تقبل على البحث الفرعي ثم تعرض النتائج العامة على المؤتمر لتأخذ دورتها التشريعية

وتكون مهمته وضع السياسة الجديدة للتربية بعد ان تمتد الى آفاقها الجديدة . بل ان شئت

فقل وضع دستور جديد للتربية المصرية غير مقيد بنواحي الاصلاح الصغيرة التي شغلت الوزارة والتي تعالج الاعراض دون العلة الاساسية

وأرى ان توضع المبادىء الآتية أمامه كقواعد مبدئية للبحث . وهي أمور طالما ناديت بها عبثاً :

أولاً — تسمى وزارة المعارف « وزارة التربية »

ثانياً — ارجاع مجلس المعارف الأعلى ليحكم الاتصال بين الحياة وسياسة التربية على ان يسمى « مجلس التربية الأعلى » ايضاً . وقد كان هذا المجلس قائماً من قبل لانهُ من مقتضيات النظام الفرنسي نفسه

ثالثاً — توحيد التعليم العام بالقضاء على تصدعه بين الأولي والابتدائي ووصل مراحله بعضها ببعض ، وذلك بأن يبدأ التعليم العام لجميع الطبقات بالأولي بعد تعديله ، ومنهُ الى الثانوي الذي ينبغي ان يمتد في أوله حتى يتغذى هو والفني العادي والحرفي والديني من الأولي مباشرة. اما الخاصة الذين يرغبون لأولادهم في تعليم ممتاز ، فالى ان يحين الوقت الذي يرقى فيهِ التعليم الحر الى القيام بهذه المهمة على نفقة الخاصة انفسهم ، لا بأس في تخصيص مدارس لهم تغطي معظم نفقاتها بما يوفيهِ الطلاب

رابعاً — تقسيم التعليم العالي الى قسمين الثقافي المحض الذي لا يرمي الى حرفة معينة ويجب تيسيره تمكيناً للمساواة وتيسيراً للنبوغ الادبي مع تفهيم الرأي العام حقيقته من حيث بعده عن الاكتساب الحرفي المضمون . والقسم الآخر الحرفي ويجب ان يقيد انتاجه بما يزيد قليلاً عن الحاجة على ان يكون انتاجه الكامن أهلاً للزيادة الكبيرة عند الطوارىء ، على ان يضمن لمتخرجيهِ العمل بصفة عامة

خامساً — تنفيذ اللامركزية والاقليميــة على الوجه الآتي الذي يقرب في كثير منهُ من النظام الانجليزي وهو متوسط بين تطرف الولايات المتحدة في اللامركزية وفرنسا في المركزية

توضع غاية بعيدة نتدرج في الوصول اليها . هي نزع ادارة المعاهد كلها وبألوانها من وزارة التربية . وبذلك تتفرغ الوزارة الى توجيه التربية القومية والاشراف على الهيئات التربيبية المحلية وتغذيتها بالارشادات الفنية والاحصاءات والمعلومات . ويقسم القطر الى مناطق تربيبية تشمل كل منطقة وحدة او اكثر من الوحدات الادارية بعد ان تدخل القاهرة وسائر المحافظات بينها . وعلى رأس كل وحدة رئيس عام بادارة محلية في نفس الاقليم . على ان يشرف على التعليم العام المحلي بجميع انواعه من ثانوي وحرفي وأولي وعلى ان يترك للمعاهد المحلية اكبر قسط ممكن من الحرية في وضع خطتها ومنهجها ومقرراتها والتصرف في ميزانيتها وتوزيع

العمل فيها على ان يحكم اتصالها بالبيئة المحلية ، ويتحول التفتيش الى ارشاد وتعاون

سادساً — يخفف عبء القيود المالية عن الطلبة . واذا ادركنا ان التعليم العام بأنواعه في اميركا واليابان ومعظم بلاد اوربا اصبح مجانيًّا كان من التواضع ان يقصر في مصر على الاولي الجديد . وتقصر المجانية عامة على التفوق على ان يخصص للاحسان هيئات خاصة . ويؤخذ نظام ال Scholarships أي تسهيل سبيل التعلم من الناحية المالية للمتفوقين في امتحانات معينة

سابعاً — انشاء صلة تعاونية صريحة بنص القانون الجديد بين الصحة والادارة من جهة والوحدات التربيبة المحلية — ولا سيما في القرية — من جهة أخرى

ثامناً — انصاف التربية في مجموع الموارد المخصصة لها في ميزانية الدولة عامة

تاسعاً — العدول عن محاباة التعليم الثقافي النظري والاخذ بتشجيع العملي وخاصة فيما يتصل بالقضاء على الامية وسوء الحالة الصحية ومستوى الحياة المنخفضة للدهماء

عاشراً — العناية باعداد المعلمين وتوحيد انواع معاهد التربية ثم السماح بالتخصص بعد العام منهُ على ان يعنى بتوزيعه على الاقاليم واخذه بالناحية العملية

حادي عشر — انصاف طائفة المعلمين ماديًّا وادبيًّا

اثنا عشر — تشكيل نقابة للمعلمين تمثل الطائفة بصفة رسمية شأن المهن الراقية الاخرى

***

والآن سيداتي وسادتي ها قد فرغت بعد ما اثقلت عليكم في الاطالة . ولكن لي العذر والمشكلة لقدمها وتأصلها وتشعبها في الحياة بألوانها اصبحت تتطلب ثورة تكتسح هذا النظام البالي لتقيم بناءً جديداً لمصر في شخص نشأتها المقبلة . فهبنا قد بلغنا أعلى مكانة في الثروة ، وأقوى منعة في السلاح بأنواعه وأرفع منزلة في الثقافة والفن . بينما النفوس كلها خور وطراوة ، والقلوب ضحلة في الثبات والايمان ، والشباب عاجز عن خوض معمعان الحياة . فماذا نجني من القوة والثروة والامة مقبلة على هذا الفقر المعنوي ؟ ألا يكون ذلك اشبه شيء بالغني يخلف لابنه قناطير الاموال ، ولكن مع فقر في الخلق ، فلا يلبث الابن ان يمعن اسرافاً واتلافاً حتى يقضي على كل شيء

فالتربية هي كل شيء . بل هي اهم سلاح لا يتقى به العدو الخارجي فحسب ، بل العدو الداخلي وخاصة في اعماق النفس وشهواتها . فالى رجال الحكومة والمشرعين وقادة الرأي ألجأ وكلهم ينبض غيرة وحمية . والى المليك العظيم افزع وقد بدأ عصر حكمه الميمون مردد الآية الكريمة «ان أريد الاَّ الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الاَّ بالله عليه توكلت واليه انيب »

تدريس الكيمياء

في المدارس الثانوية

لمحمود خليل راشد
المدرس الاول للرياضة والعلوم بمدرسة حلوان
الثانوية للبنات

يرمي علماء التربية من اقرار الكيمياء في مناهج الدراسة الثانوية الى تربية ملكة الملاحظة الدقيقة في الطالب ، وتعويده دقة العمل وسداد الاستنباط . هذا فضلاً عن فائدة الكيمياء لذاتها ، واستخدامها في صناعة المنتجات التي تفيض بها الحياة اليومية

فالكيمياء في المدارس يقصد بها اولاً تحقيق مثل علمي سام ، ولهذا لا يكون للنفقات التي تقتضيها التجارب كبير اعتبار في نظر المعلم والطالب . ولنضرب مثلاً لذلك تحضير نموذج نقي من كلورور الصوديوم ، فان هذه العملية التي تستغرق نحو ثلاث ساعات تنتج بضعة جرامات من الملح يكفي ما انفق على انتاجها من وقت ومال لشراء مائة الف جرام من ملح الطعام

أما في الصناعة فان الاعتبار الاقتصادي مقدم على كل اعتبار آخر

لذا يكون من دواعي الدهشة والعجب ان ترى من بين رجال الكيمياء من لا يعنيه الا الجانب المالي فيما يقوم به الطلبة من التجارب ، جاهلاً او متجاهلاً ان السعي الى اقتصاد بضعة مليمات قد يدعو الى اضاعة وقت ثمين أو تحول دون الحصول على نتيجة مرضية ، وفي هذا من زعزعة عقيدة الطالب فيما يتلقاه من المبادىء والنظريات ، واضاعة ثقته بنفسه ما يكون له أسوأ الآثار وأخطرها في التعليم

واسوق مثلاً على هذا ان احدى التجارب تتطلب تعيين النسبة المئوية للمواد الغريبة في « عينة » من ملح النوشادر (كلورور الامونيوم) . والطريقة التي أوثرها لما تؤدي اليه من نتائج صحيحة في أقصر زمن ممكن ، هي أخذ مقدار صغير لا يتجاوز جراماً وثلث جرام من ملح النوشادر واجراء التجارب عليه . وتستلزم هذه التجارب استخدام نحو ثلث لتر من محلول الصودا الكاوية العشر العياري . ولما كان اللتر من المحلول العياري يحتوي على اربعين جراماً من الصودا الكاوية الجافة فان ثلث اللتر من المحلول العشر العياري يحتوي على جرام وثلث جرام من الصودا الكاوية ثمنها (اذا كانت من أنقى نوع) لا يزيد عن ثلث مليم

ومن العجيب اني اعرف من المشتغلين بتدريس الكيمياء من لا ترضيه هذه الطريقة لان فيها ، على ما يعتقد ، تبذيراً ! وهو يرى ان يذاب ملح النوشادر في ربع لتر من الماء ويؤخذ عشر المحلول الناتج ، وتجري عليه التجارب اللازمة لاستخراج النسبة المئوية للمواد الغريبة . وأنا اقر صاحب هذا الرأي ومن على شاكلته على ان هذه الطريقة أدعى الى الاقتصاد وكيف لا تكون كذلك وفيها نستخدم خمسين سنتيمتراً مكعباً فقط من محلول الصودا ، ومعنى هذا ان هذه الطريقة تتيح لنا فرصة اقتصاد مبلغ يربي قليلاً على ربع المليم !!!

ونحن نرى ان يكون الاقتصاد رائدنا في كل شيء لا من الوجهة المالية فقط . فالوقت كذلك له قيمته لا يعد المال بجانبها شيئاً مذكوراً . وليس من حسن التدبير اتلاف التجربة وتبديد الوقت في نظير اقتصاد بضعة مليمات . ونحن في التجربة السابقة نضمن بتضحيتنا ثلث مليم الوصول الى نتيجة مرضية في زمن وجيز لا يتعدى نصف ساعة . أما في الطريقة التي يسوّغ تفضيلها بالعامل الاقتصادي فان احتمال الخطأ فيها عشرة أمثاله في طريقتنا . واذا أضفنا الى هذا ان الطريقة الاخرى تستدعي اجراء التجربة اربع مرات تستغرق نحو ساعتين ونصف ساعة اذا اريد الوصول الى نتيجة معقولة (أو شبه معقولة) فان ثلث المليم الذي ضحينا من أجله بكل هذا يضيع كما ضاع الوقت الثمين نتيجة لرأى فطير . ولست بمحدثك عن خيبة الامل وسوء الاثر في نفس الطالب اذا كان الاخفاق حليفه بعد كل هذا العناء . واني أرى ان هذا كلهُ نتيجة حتمية لعبوديتنا العلمية وأعني بهذا اعتمادنا الأعمى على المصادر الاجنبية دون أن يكون لنا رأي حر في كل ما يصل الينا عن طريقها . فالطالب او غير الطالب اذا قرأ في كتاب وصفاً لطريقة اجراء تجربة من التجارب فانهُ لا يرى مندوحة عن نقلها بنصها وفصها دون أن يبحث الاحوال التي أجراها المؤلف فيها ، من حيث فسحة الزمن ودقة الاجهزة ونقاء المواد الخ . ففي استنباط التجارب التي نكلف التلاميذ اجراءها يجب علينا حتماً ان نراعي أموراً عدة من بينها :

(١) الوقت — فالتجربة الواردة في كتاب اجنبي قد يتطلب اجراؤها ثلاث ساعات أو أكثر ، فمن العبث أن نفكر في تدريس مثل هذه التجربة بالمدارس الثانوية

(٢) الاجهزة — يجب في تقرير التجارب العملية للمدارس الثانوية مراعاة الأجهزة التي بها أو التي تسمح الميزانية بشرائها . فليس من الصواب ان نكلف الطالب ايجاد الوزن المكافىء للمغنسيوم بطريقة التسخين باستخدام خمس جرام من المغنسيوم لان الزيادة في الوزن ضئيلة لا يمكن تقديرها بالدقة بوساطة الموازين التي في المدارس لاسباب كثيرة لامحل لسردها هنا

(٣) نقاء المواد — وهذه نقطة هامة جديرة بالعناية فمثلاً لا تستحسن محاولة اثبات ذوبان الراسب الذي يتكون باضافة كلورور الباريوم الى كبريت الصوديوم في الحمض الكلوريدريك اذا

لم نكن واثقين تماماً من نقائها ومن عدم احتوائها على كبريتات . وليس من المستحب كذلك ان نحاول ان نثبت عملياً ان الماء النقي لا يبيح مرور التيار الكهربائي فيه ، لان الماء ولو كان مقطراً يسمح بمرور التيار . فالماء « النقي » الذي يذكر في الكتب انهُ لا سبيل للتيار الى المرور فيهِ لا وجود له في مدارسنا الثانوية ولا في كليات الجامعة المصرية . ومن رأيي ان القاعدة التي مؤداها : «ان الماء لا يبيح مرور التيار الكهربائي الاّ اذا كان محتوياً على ملح او حمض» يجب ان تقلب رأساً على عقب وان توضع بالصورة الآتية «الماء يبيح مرور التيار الكهربائي الاَّ اذا كان نقيًا جدًّا » وهذه الصورة اقرب الى الواقع المحسوس اضف الى هذا ان القاعدة يجب ان تنطبق على الشائع لا على الشاذ

نحن في عصر تطور بليغ ،فواجب علينا ان نطلق عقولنا من عقالها ، وان نفكر دون ان نقنع بأن نلبث عالة على غيرنا في تفكيره . والاّ ففيم خلق الله لنا هذه العقول ؟ وما قيمتها اذا كنا لا نحسن استخدامها ؟ ان كرامة العلم الحق توجب علينا ان لا تحول ثقتنا بالعلماء والمؤلفين دون تمحيص ما نتلقاه عنهم . لهذا انظر نظر العجب الى كثير من التجارب التي تعطى في المدارس الثانوية على نهج واحد بغير تعديل او تنقيح . فاذا كان المدرس يرى ان للوقت قيمة لا تقل عن قيمة المال ، واذا كان يقدر لاثر التجربة في نفسية الطالب مالهُ من خطر ، فانهُ لا يجد بدًّا من تغيير عقيدته في التجارب التي ألف تدريسها

ومن التجارب التي تخطر ببالنا شاهداً على هذا تجربة ايجاد قابلية ذوبان ملح الطعام في الماء في درجة الحرارة المعتادة . والطريقة المألوفة ان يشبع مقدار من الماء بالملح ويرشح ثم يقدر وزن الملح المذاب فيه وطريقة تعيين وزن الملح ان يقدر حجم الراشح ثم يؤخذ مقدار صغير منهُ معلوم الحجم ويبخر ويعين وزن الملح الناتج ويعلم منهُ وزن الملح الذي ذاب في المحلول كله . وهذه الطريقة تتطلب ساعة وبعض ساعة ومن عيوبها صغر مقدار الملح الناتج بحيث ان الخطأ الصغير في وزنه (خطأ مطلق) يكون كبيراً بالقياس الى وزن هذا المقدار. أضف الى هذا ان هذا الخطأ يتضاعف تبعاً للنسبة بين حجم المحلول الكلي والحجم الذي بخر . ويمكن تلافي هذا العيب بتبخير مقدار كبير من المحلول، ولكن يعترض على هذا وهو اعتراض حق بأن التبخير في هذه الحالة يستغرق وقتاً طويلاً . ولعل هذا يبين لنا ضرورة التفكير العميق المستقل في التجارب التي انتشر الاعتماد عليها في التدريس. هذا واني اقترح اجراء هذه التجربة بالطريقة الآتية :

تؤخذ مائة جرام من الماء ويوضع فيها مقدار من الملح يزيد على ما يلزم لاشباعها . ويرج المحلول بضع دقائق ثم يرشح خلال ورقة ترشيح معلومة الوزن ويغسل الملح المتخلف عليها بقليل من الكحول ويجفف بالحرارة ثم يوزن . وبطرح وزنه من وزن الملح الكلي ينتج وزن الملح الذي شبع المائة جرام من الماء

أولاً — انها تستغرق أقل من نصف الوقت الذي تستغرقه الطريقة السابقة
ثانياً — ان احتمال الخطأ فيها أقل جداً من احتماله في الطريقة الاخرى
ثالثاً — في الطريقة الاخرى يفقد جزء لا يستهان به من الملح اثناء التبخير ، وهو كبير بالقياس الى وزن الملح
رابعاً — هذه الطريقة يفهمها حتى الاطفال لبساطتها وسهولة اجرائها

ومن النقط الجديرة بالاهتمام ان بعض الطلبة يعنون بدراسة اجزاء الاجهزة والاحتياطات الواجب اتخاذها في التجارب دون فهم الغرض منها فهماً صحيحاً . ومما أذكره بهذا الصدد ان احد المفتشين سأل طالبة بإحدى المدارس عن طريقة تحضير كبريتات النحاس . فشرحت جهاز تحضير ثاني اكسيد الكبريت بتأثير الحمض الكبريتيك المركز في النحاس ذا كرة انبوبة التوصيل والمخبار المعد لجمع الغاز، مع ان هذا الجزء من الجهاز لا فائدة فيه اذا كان غرضنا تحضير كبريتات النحاس دون الاهتمام بجمع ثاني اكسيد الكبريت الناتج في ذات التفاعل . ولكن الطالبة أبت الاّ ان تسرد ما حفظته عن ظهر قلب

وشاهدت استاذاً يشرف على تجربة لتعيين وزن كربونات الكالسيوم (Iceland Spar) الذي يذيبه مقدار معين من الحمض الكلوريدريك ، وكان يحتم تغطية الكأس المحتوية على الحمض والكربونات ، مع ان الغرض تقدير وزن الكربونات التي تبقى بدون ذوبان . ولعل الامر اختلط عليه فان هناك تجربة اخرى يقصد منها تعيين وزن ثاني اكسيد الكربون ، ويهم فيها الحيلولة دون انطلاق الرذاذ الناشىء عن التفاعل في الهواء حتى يمكن تقدير وزن ثاني اكسيد الكربون الصاعد تقديراً دقيقاً . اما في التجربة التي نتكلم عنها فان تغطية الكأس ليست فقط عديمة الجدوى بل انها فوق ذلك تعرقل التفاعل لانها تؤدي الى حجز الغاز المتكون فيحدث تركيز في المنطقة التي تعلو السائل . ومن التقاليد الحبيبة الى رجال الكيمياء ان الملح الذي يخرج من زجاجة لا يعود اليها ، لاحتمال تلوثه بأملاح اخرى. وهذا حق ، ولكني اقترح جمع متخلفات التجارب في زجاجات خاصة يكتب على كل منها اسم الملح الذي تحتويه وكلمة « متخلفات ». والاملاح التي هذا شأنها تصلح للتجارب التي لا تتطلب املاحاً نقية كتجارب قابلية الذوبان والتبلور والتبلور الجزئي وايجاد نسبة الملح الى الرمل في خليط منهما وما جرى مجراها

ومن اظرف وسائل الاقتصاد في بعض المعامل أن تشعل المواقد الغازية جميعها معاً في اول الدرس العملي ، ولو كانت الحاجة لا تدعو الى استخدامها الا في الشطر الاخير من الدرس . والغرض من هذا اقتصاد الكبريت اذ يكفي ثقاب واحد وقطعة صغيرة من الخشب او الشمع لاشعال المواقد جميعها. وبهذا الاقتصاد المعكوس تستنفد المدرسة في اليوم الواحد من غاز الاستصباح

ما يربي ثمنه على ثمن الكبريت الذي يكفي المدرسة شهراً . فاذا كانت المدارس تخشى الاسراف في استخدام الكبريت لغير الاغراض التعليمية أو تبغي اتقاء عبث الخدم به فلتطلب تزويد معاملها «بالولاعات» الكهربائية او الميكانيكية. ومما يجدر ايراده على ذكر الاقتصاد ان كتب الكيمياء تنص في شرح توليد الاكسجين من كلورات البوتاسيوم على استخدام ثاني اكسيد المنجنيز عاملاً وسيطاً. ولكن الثابت علميًّا ان هذا التفاعل تعجله أكاسيد اخرى عديدة غير ثاني اكسيد المنجنيز. وقد جربت انا لهذا الغرض بنجاح اكسيد النحاس ومسحوق الطوب الاحمر (وهو يحتوي على اكسيد الحديد) وجرب احد الاساتذة الرمل (اكسيد السليكون). وليس استخدام هذه العوامل من وسائل الاقتصاد فحسب، بل انهُ يوسع افق التفكير عند المتعلمين ويحدوهم الى فهم طبيعة مثل هذا التفاعل فهماً صحيحاً

واذا ما تحققنا ان الوقت لا يقل قيمة عن المال وجب ان نعنى بارشاد الطلبة الى الظروف المؤدية الى نجاح التجارب منعاً لاضاعة الوقت هباءً . ففي تحضير غاز النوشادر مثلاً تنص الكتب على تسخين خليط من احد أملاح الامونيوم والجير (المطفأ او الحي) . ولما كان النوشادر شديد القابلية للذوبان في الماء فانهُ يجمع فوق الزئبق أو بالازاحة العليا بعد تجفيفه بامراره في انبوبة محشوة بالجير الحي او الصودا الكاوية . وهذا التجفيف يوحي الى الذهن ضرورة استخدام خليط ملح الامونيوم والجير جافًّا . ولا ضير في هذا اذا خلط خلطاً جيداً ، ولكنهُ من البديهي ان الخلط مهما اجيد لا يبلغ مبلغ الاذابة ، فما ضر المؤلف او المدرس لو انهُ اشار باضافة قليل من الماء الى المخلوط ، فبذا نحصل على مقدار وافر من الغاز في وقت وجيز . ويستنبط من هذا طبعاً فضل الجير المطفأ على الجير الحي في هذه الحال

وتستخدم معامل الكيمياء في الصيدليات والمدارس للتمييز بين الاحماض والقلويات محلولاً اسمهُ صبغة عباد الشمس . وهذه التسمية خاطئة اذ لا علاقة بين هذه الصبغة والزهر المعروف بعباد الشمس على الاطلاق. وتستهلك المدارس والصيدليات من هذه الصبغة مقداراً لا يستهان به. وهذه الصبغة بنفسجية اللون فاذا اضيف اليها حمض احمرت واذا اضيف اليها قلوي تحولت زرقاء كما هو معلوم. وتأثير الاحماض في الصبغات النباتية يكاد يكون عامًّا ، الاَّ انهُ يكون بدرجات متفاوتة ، ومثل ذلك الشاي اذ يشحب لونهُ باضافة عصير الليمون (الحمض الليمونيك) اليه . وقد اهتديت الى صبغة رخيصة يسهل الحصول عليها تقوم مقام عباد الشمس ، وتفتح امام الفلاح باباً جديداً من ابواب الرزق . وهذه الصبغة هي صبغة الجزر . ولاستخلاصها يقطع الجزر البنفسجي اللون قطعاً صغيرة تغلى في الماء طويلاً ثم تنزع ويغمس في المحلول مع استمرار غليانه ورق ترشيح قطع قطعاً صغيرة مستطيلة حتى يتم اصطباغه . او يغلى المحلول على حمام رملي حتى يجف تماماً وتتحول الصبغة الى مسحوق يسهل ادخاره واذابته في الماء عند الحاجة اليه

حيوانات مشهورة

وصحة أسمائها

للمغربي الدكتور امين المعلوف

ولنذكر الآن حيوانات اخرى وصحة ترجمتها فابدأ بفصيلة السنانير

فصيلة السنانير — Felidae. The cats

وهي من اللواحم اي آكلات اللحوم سريعة الحركة مجدولة العضل . منها السنور وعناق الارض والوشق والاسد والنمر والببر وقد تقدم ذكر هذه الحيوانات في جزء مضى . وقد قلت السنانير ولم اقل الهررة او القطاط لان الهر والقط هو الاهلي فقط فالسنّور اكثر شمولاً

سِنّور . ذكرتهُ في ص ٥٢ وذكرت مرادفاته الكثيرة فلتراجع — Cat.

قِط . بَس . هِرّ . وهو السنور الاهلي ولا اعرف لهُ غير هذه الاسماء — Cat. domestic

قط انقرة . قط شيرازي . قط حلبي — Cat. Angora or Persian

نسبة الى حلب لانهُ يأتي منها . اما في بغداد فيسمونهُ شيراز او شيرازي نسبة الى شيراز . ولا يقال عجمي فالعجمي خلاف العربي والاحسن اجتناب هذه الكلمة

تُفَه وتُفَّة — Cat, jungle

سنور وحشي عظيم وعامة اهل مصر يقولون تِفاوة بكسر اوله . والتفة ايضاً عناق الارض وقد ذكر

ضَيْوَن . سنور البر . وهو اصل السنور الاهلي — Cat, wild

وجميع هذه السنانير من جنس واحد ولكنها مختلفة في النوع وبعض الاحيان في الصنف . قلت ولم اجد معجماً فرّق بين هذه السنانير او كتب اسماءها على صحتها

زباد وزبادة . سنور الزباد — Cat, Civet

حيوان لاحم ليس من فصيلة السنانير بل من فصيلة اخرى سميتها فصيلة الرَبّاح

رَبَاح . زُرَيقاء Genet

حيوان لاحم من فصيلة الرباح يشبه الزبادة يقال لهُ في المغرب « جَرْنَسِيط » ومنهُ اسمهُ الافرنجي والافضل اهماله لانهُ عامي او الاشارة الى عاميته

وقد سميت هذه الفصيلة بفصيلة الرباح لانها عشيرتان عشيرة النموس وعشيرة الزباد ولا بأس بتسميتها بفصيلة الزباديّات كما قال السيد اسمعيل مظهر في الاهرام لان الزباد واحد منها لكنني فضّلت الرباح لاسباب لا تخفى على الناقد البصير منها اننا نريد فصيلة تشمل النموس فالفصيلة والعشيرة مذكورتان في مطول وبستر وهما كما ذكرت . اما تسمية هذه الفصيلة بالسنانير او الهررة او الفيرّي عن احمد فارس فلا تصلح بتاتاً لان احمد فارس اراد بالفيرى الوحوش وقد ذكرتها في فصيلة السنانير وما فيرى الاّ تعريب كلمة لاتينية معناها الوحوش وهي واردة في تصنيف كوفيه الذي جرى عليهِ احمد فارس

ولننتقل الآن الى الخُلد وهو معروف عند العرب وفي بلادهم وهو من رتبة القضّام التي منها الفار ونحوه ومن فصيلة سميتها فصيلة المناجذ وهو جمع خلد من غير لفظه ذكرتها في ص ٢٣٢ فلما انتقل العرب الى اوربة رأوا خلداً آخر اعمى كالخلد الذي عندهم ولكنهُ من رتبة آكلات الحشرات ومن فصيلة الطوابين فلم يخف عليهم انهُ من رتبة تختلف تمام الاختلاف عن الرتبة التي منها خلدهم فاضطروا ان يعربوه بالطوبين كما يلي

طَوْبين جمعها طوابين . تَلبي . خلد اوربي Mole. Talpa europaca

حيوان من آكلات الحشرات لا وجود لهُ في البلاد العربية

كنت سميت هذا الحيوان بالتلبا اي باسمه اللاتيني لانهُ خلاف الخلد المعروف عند العرب . ثم عثرت اخيراً في معجم دوزي عن بطرس القلعي ان اسمهُ طوبين وهو تعريب اسمه بالاسبانية ففضلت التعريب القديم على ما ذكرتهُ سابقاً لانهُ لا بد من استعمال اسم لهذا الحيوان للتفريق بينهُ وبين الخلد المعروف بهذا الاسم في البلاد العربية . فالطوبين من آكلات الحشرات والخلد من القضّام

خُلد Mole rat. Syn. Blind rat. Spalax typhlus

حيوان من القضّام يعيش تحت الارض ليس له اذنان ولا عينان في الظاهر اسمه عند العامة في مصر ابو اعمى اما في الشام فيعرف بالخلد . وجمع الخلد خلدان ومناجذ من غير لفظهِ ومن اسمائه الفارة العمياء

غَرَير وغُسْرَيراء وغَرَيْرَة . زَبْزب . زبزب القبور Badger.

حيوان لاحم من فصيلة السراعيب بين الكلب والسنور اغبر اللون اسود القوائم قصيرها

ابيض الوجهِ وعلى جانبي وجههِ جُدّتان سوداوان . موطنهُ اوربة وجنوب آسية من الاناضول وسواحل الشام الى غرب ايران ولا وجود لهُ في افريقية وجزيرة العرب وهو الحيوان الذي يصنع من شعره شعريات للحلاقة من اجود الاصناف . وليس هذا الحيوان عناق الارض فعناق الارض حيوان آخر من فصيلة السنور

قلت ولم تذكر المعاجم هذا الحيوان على صحته وهو حيوان معروف في الشام والعراق فالاحسن ان تحذف عناق الارض وغيره من الاسماء التي ذكرت . وقد اوردت هذا الحيوان في ص ٢٣ وما يليها

ولنأت الآن الى الغربان وقد قلت في فصيلتها انها طيور من الجواثم تشمل الغربان على انواعها كالغراب الاسحم والغراب الاعصم والزاغ والغداف والعقعق. ذكرت هذه الفصيلة في ص ٧٤ وما يأتي انواعها

غراب . زاغ . قاق وغاق Crow

وهو انواع ذكرتها في ص ٧٤و٧٦ ولا ذكر لهذه الغربان على صحتها الا في معجم الياس انطون الياس وقد اورد انواعها اما سائر المعاجم فتخبطت فيها

غُراب . غراب حاتم . غراب اسحم. غراب نوحي نسبة الى النبي نوح Raven

ذكرته وذكرت انواعهُ في ص ٢٠١

غداف . غراب القيْظ Rook

وهو غراب اسود يلمع بخضرة وحمرة اسود المنقار . ذكرته في ص ٢٠٢

غراب اعصم . زُمّت Chough. Syn. Red-legged crow

غراب صغير احمر الرجلين والذي في لبنان وجبل الشيخ احمر الرجلين وأصفر المنقار والذي في اوربا واليمن والهند والحبشة احمر الرجلين والمنقار . قلت ولا ذكر للغراب الاعصم على صحتهِ الا في معجم الياس انطون الياس وانما فاتهُ الزمّت

غراب الزرع . غراب الزيتون Jackdaw

غراب صغير اسود المنقار والساقين سنجابي الرأس والعنق وسائره اسود يخالطهُ لمعان ارجواني اما عنقه في البلاد العربية فله لطخة بيضاء على كل من جانبيه . ذكرتهُ في ص ١٣٥

عَقْعَق . قُعْقُع . كُنْدُش . شَجَوجَى Magpie

غراب ابقع طويل الذنب سمّي بحكاية صوته . وزاد بعض المعاجم الفاظاً اخرى منها الشقراق وهو في هذا الجزء ومنها القرّاع الاخضر ذكرتهُ في هذا الجزء ومنها العَقاق وقد ذكرتهُ في مادة قيق الآتي ذكرها وهو الذي اراده جاياكار في حاشيته على هذا الطائر وهو الشقراق

الاخضر على ما جاء في معجم الياس انطون الياس وليس القراع الاخضر على ما جاء في غيره فالقراع الاخضر ليس في البلاد العربية وهو خطأ وقع فيه لاين صاحب المعجم المشهور كما سيجيء في مادة قرّاع

قيق . زِرْياب (فارسية معربة) ابو زُرَيق Jay. Garrulus

طائر كالغراب اصدأ اللون اسود الذنب مخطط الجناحين بزرقة وسواد وبياض كثير التصويت ومنهُ اسمه العلمي

ذكرتهُ في ص ١٣٥ وذكرتهُ بعض المعاجم على صحته وأخطأت في اسمهِ العلمي هذا . ثم ان هذا الطائر اورده جاياكار في حاشية لهُ على العقعق كما تقدم

شـقرّاق وفيه لغات . اَخيل ..ضُؤضُؤ Roller

طائر اصغر من الحمامة واعظم من القارية اي الوروار بين خضرة وحمرة وزرقة وسواد وعلى ان الخضرة غالبة فيه اسمه في الشام شُقرُّق وشقرّاق وفي مصر غراب زيتوني وفي العراق خُضّار على انهم يطلقون الخُضّار ايضاً على القارية اي الوروار . ذكرت هذا الطائر في ص ٢١٠ واسهبت فيه وقد اصابت المعاجم التي وقفت عليها بعض الاصابة وفاتها الضؤضؤ

قَرّاع . نقّار Woodpecker

طائر في عظم القارية اي الوروار يتسلق جذوع الاشجار وينقرها فيستخرج الدود منها اسمه في الشام والسودان نقار الخشب ونقار الشجر وفي الشام الناقوبة لانه ينقب الخشب . وقد اخطأ لاين صاحب المعجم المشهور في قوله انه يطلق ايضاً على الشقراق وتبعه في هذا الخطأ بادجر وجاياكار وغيرهما فالنقّار الاخضر موطنه اوربة وليس في البلاد العربية . هذه صفة هذا الطائر على ما ذكره ابن سيده وصاحب التاج ولكن هذا منقاره اعقف أما القراع او النقار على ما نعرفه في الشام فمنقاره مستقيم ولعل القراع الذي في جزيرة العرب اعقف المنقار . راجع معجم الحيوان ص ٣٦٥ ففيه نص ابن سيده في القراع . ولم يذكر اصحاب المعاجم هذا الطائر على صحته

قارية . خُضَيراء وخضّار . وَروار Bee eater

طائر قصير الرجلين طويل المنقار اسوده في قمة رأسهِ وتحت حنكه طوق الى الصفرة وسائره اخضر وفي وسط ذنبه ريشتان إطول من سائر ريش الذنب . اسمه في الشام والموصل وروار وهو حكاية صوته وفي بغداد خضّار وفي عُمَان خضيراء وفي مصر تارة خُضّير وتارة وروار . ثم ان الخُضّار في بغداد اسم للشقراق ايضاً كما تقدم في الشقراق . ذكرت هذا الطائر في ص ٣٢ واسهبت فيهِ وقد اعدت القارية الآن وكنت قد حذفتها مما كتبتهُ قبلاً في المقتطف لان الاب انستاس اعترض عليها لمشابهتها لكلمة يونانية واعدتها الآن لان العرب لا بد انهم

وضعوا كلمة خاصة لهذا الطائر لشهرته فالخضيراء والخُضّار للونه والوروار حكاية صوته واما واثق الآن انهُ القارية ولا اظن الاب المحترم يقول الآن انها يونانية بل عربية قحطانية عدنانية ولانها واردة في الحديث الشريف فايام اليونانية واللاتينية قد مضت ولم يبق الاّ لغتنا الضادية كما يقول واني اشكر لهُ اعتراضه عليّ وردّي الضعيف يومئذٍ والاّ كانت القارية اصيبت بما اصيب بهِ غيرها او جعلت لها حاصرة كما وقع للضُوَع المسكين وقد تقدم ذكره في شهر ابريل فاذا راجعت الصفحة ٣٢ من معجم الحيوان يتضح لك كل شيء وان القارية هي الوروار بلا اقل شبهة

وَقْوَاق طائر على قدر الحمامة يشبه الباشق كثير الصوت وقواق Cuckoo

وهو لا يحضن بيضه بل يلقيه خلسة في عش طائر آخر فاذا خرجت فراخهُ من البيض زقها الطائر الآخر صاحب العش اي انهُ يسرق تعب غيره

ومن اسماء هذا الطائر وَقْوَق ووقُّوق في مصر وقيقَب وقيقوبة في الشام وحمام قوّال في حلب وهذه عن الدكتور رسل . وطكوك وهذه بربرية عن بقطر وطاطوى عن بقطر وكوكو وهي حكاية صوته . وكَكَم عن الدميري وكَنكَر عن ياقوت الحموي وأسماء اخرى غيرها . والوقواق اوردها ابن سيده وقال طائر وليس بثبت ١٤٤:٨ فهو يشبه احد اسمائهِ المعروفة في مصر وفيهِ شبه من الفصاحة

اوردت هذا الطائر في ص ٧٧ وما يليها ولعل الوقواق خير هذه الاسماء لانهُ فصيح ويشبه احد الاسماء المعروفة في مصر

فصيلة الزرازير او السُودانيّات Sturnidae

طيور من رتبة الجواثم يغلب فيها السواد وفي البلاد العربية ثلاثة اجناس منها الزُرزور والسَمرمر والسَوادية [See Starling, & Grackle]

زُرْزور . وزُرزُر Starling

طائر من فصيلة السُودانيّات اكبر من البلبل طويل الذنب اسود اللون مرقط يتلون الواناً

سمرمر . طائر من السودانيات يأكل الجراد اكلاً ذريعاً Starling, rose coloured

سواديّة Grackle, Tristram's

طائر من السودانيات اسود اللون لا رقط فيهِ كالزرزور وهو يلمع بزرقة ولون ارجواني . موطنه شبه جزيرة سيناء وفلسطين من اريحا الى العقبة جنوباً والبادية الى الشرق من وادي موسى وهو آبد في الاماكن التي يألفها وليس من القواطع كالزرزور او السمرمر والكلمة فصيحة ذكرتها في ص ١١٨ ولم يذكرها احد من اصحاب المعاجم

— ١٨ —

الإسْفِنْدَان[1] السُّكَّرِيّ

ترتفع الشجرة منهُ في المناطق الباردة الى ٨٠ قدماً في الغالب والى ١٢٠ قدماً في النادر ويتفاوت محيط ساقها بين ثلاث اقدام وأربع . أوراقها غير دائمة الواحدة منها شبيهة بالقلب ذات خمسة فصوص كل منهـا حاد القمة وعلى وجهه السفليّ شعيرات بيض كامل الحافة تقريباً وأزهارها صفر مجتمعة في نورات مشطية متدلية تتفتق قبل الاوراق

اسمهُ العلمي (Acer saccharinum, Wangenh.) (آسر سكارينوم) أو (Acer saccharum, Marshall) (آسرسكاروم)[2] وفصيلته الإسْفِنْدَانية أو القَيْقَبِيَّة (Aceraceae) (آسراسية) وبالانجليزية (sugar-maple; rock-maple)

والفرنسية (érable á sucre ou du Canada; érable sucrier) وهو شعار بلاد كندا وشائع في امريقة الشمالية الى ولاية اريزونا كثير الشبه بالاسفندان الجبليّ أو الجُمَّيز الكاذب الذي سيأتي الكلام عليهِ ولاسيما في حال صغره والخشب منهُ قويٌّ متين صُلْب صفيق لونهُورديّ يدخل في صنع محاور العجلات وبَرَانيقها وعريش العربات والعمدان والاثاث وغُلُف آلات البيانو واخشاب السروج والقِصاع والنماذج وارضية الغرف وهو ليس عرضة للالتواء ولذا تصنع منهُ قوالب الاحذية . ومن شجره يتخذ اهل امريقة الشمالية نوعاً جيداً من السكر

---

(١) ويقال للاسفندان في عمومه (القيقب)

(٢) آسر (acer) كلمة لاتينية معناها قوي او حاد وسبب هذه التسمية ان خشب الاسفندان كان يستعمل قديماً في صنع رؤوس الحراب وغيرها من الاسلحة

يبزل الاشجار من اواخر فبراير الى أوائل ابريل حين يكون النهار دافئاً والليل شديد البرودة وذلك انهم يحزون في الشجرة حزاً بواسطة فأس أو مثقاب ثم يولجون فيه ميزاباً من خشب السماق أو البيلسان فيسيل منهُ اولاً سائل سكري مدة اربعة اسابيع أو ستة فيجتمع هذا السائل في حوض وينقلونهُ كل يوم الى حوض اكبر ومنهُ ينقل بعد تصفيته الى دست الغليان وعلى الاجمال يتبع فيه ما هو متبع في استخراج السكر من القصب في جزائر الهند الغربية

وينتج من كل شجرة في الموسم من ١٢ جالوناً الى ٢٤ من ذلك السائل فيحصل على رطل من السكر من كل ٣ جالونات الى ٦ من السائل المذكور وفيما ندر من الاحوال تنتج الشجرة ١٠٠ جالوناً أو اكثر

أما بزل الشجرة لاستخراج ذلك السائل فلا يبدأ به الاَّ اذا بلغت الشجرة ٢٠ سنة وربما استمر البزل ٤٠ سنة أو اكثر دون أن يلحق بالشجرة اي ضرر

وروى انهم قد حصلوا من الشجرة الواحدة على ٣٣ رطلاً من السكر في الموسم الواحد

وسكر الاسفندان غزير في البوتاسة ولذا يحصل منهُ في الولايات المتحدة الامريقية على كثير من مادة البوتاسة وقلف الشجرة مهم في عمل اصباغ امريقية عديدة وفي الولايات الشرقية من امريقة الشمالية تعتبر شجرة الاسفندان السكري افضل شجرة للاستظلال بها في الشوارع

الإسْفِنْدَان الأَسْوَد

ترتفع الشجرة منهُ الى ٤٠ قدماً أوراقها غير دائمة الواحدة منها شبيهة بالقاب ذات خمسة فصوص على وجهها السفلي شعيرات بيض . أزهارها خضر مجتمعة في نورات مشطية منحنية عديمة الاعناق (جالسة) وثمرتها ملساء

اسمهُ العلمي (Acer nigrum, Mich.) (آسر نيغروم)

أو (Acer saccharinum, var. nigrum, Mich.) (آسر سكارينوم نيغروم) من فصيلة سابقه وبالانجليزية (black maple) والفرنسية (érable noir)

وهو شائع في امريقة الشمالية ينتفع بخشبه

الإسْفِنْدَان الأَبْيَض

الشجرة منهُ جميلة المنظر جداً ساقها غليظة قد يبلغ محيطها تسع أقدام احياناً وترتفع الى ٥٠ قدماً وتجتمع اغصانها فتكون كتاج فاخر أوراقها غير دائمة الواحدة منها قلبية الشكل ملساء تضرب من وجهها السفلي الى البياض ذات خمسة فصوص كلٌّ منها حاد القمة مقطَّع الحافة مسنن وأزهارها خضر تضرب الى الصفرة مجتمعة في نورات كرية

اسمهُ العلمي (.Acer dasycarpum, Ehrh) (آسر داسيكاربوم)
أو (.Acer Eriocarpum, Mich) (آسر اريوكاربوم) من فصيلة سابقه

وبالانجليزية (Sir Charles Wager's maple; silver-leaved maple; white maple)

والفرنسية (érable blanc; érable à fruits cotonneux ; érable de Charles Wager)

وهو شائع في أمريقة الشمالية محبوب للغرس في الشوارع سريع النمو يجود على ضفاف الأنهار صافية الماء حصوية القاع فلا ينمو في أرض المستنقعات وهي التي ينمو مكانه فيها الاسفندان الأحمر الآتي ذكره . والخشب منهُ أصفر ليّن يكون أقل قوَّة ومقاومة من خشب أنواعه الأخرى الكثيرة ولكنهُ ينفع في صنع الفحم وقد يشق صفائح رقيقة جدًّا تستعمل في بطانة الجدران من الغرف وقد يحصل من هذا الشجر على سكر بمقدار اقل مما يحصل عليهِ من الاسفندان السكري السابق . واذا أكلت النحل منهُ ومن بعض انواعهِ الأخرى كان ذلك مما يؤدي الى التبكير في جني عسلها

الإِسْفِنْدَان الأحمر

ترتفع الشجرة منهُ الى ١٠٠ قدم ويبلغ محيط ساقها خمس أقدام . أوراقها غير دائمة الواحدة منها شبيهة بالقلب تقريباً ملساء تضرب الى الزرقة من وجهها السفليّ ذات خمسة فصوص كلٌّ منها حاد القمة مقطَّع الحافة مسنن ولها عنق طويل . وأزهارها حمر مجتمعة في نورات صيوانية كرية تنبثق في الربيع قبل الاوراق

اسمهُ العلمي (.Acer rubrum , L) (آسر روبروم) من فصيلة سابقه

وبالانجليزية (red or swamp maple) والفرنسية (érable rouge ou érable de Virginie)

وهو شائع في أمريقة الشمالية يجود نموه في ارض المستنقعات ولاسيا في بنسلفانيا اذ يستعمل اهلوها خشبه الجميل في جميع اصناف النجارة من اخشاب السروج ونير الجرّ (النَّاف) وفي الخراطة ومختلف الاثاث كما يستعملون قِلْفَ شجره في الصباغة للحصول على لون أزرق قاتم أو يصنعون منهُ مداداً أسود جيداً

ومن شجره يستخرج أهل كندا سكراً أو عسلاً كالاسفندان الأبيض بمقدار أقل مما يحصل عليهِ من الاسفندان السكري وقد يغرسونه في الشوارع

الإِسْفِنْدان الجَبَلي

ويقال لهُ (الجُمَّيْز الكاذب) ترتفع الشجرة منهُ الى ٨٠ قدماً ويبلغ محيط ساقها ٢ ١/٣ قدماً أوراقها كبار كأوراق الجميز أو أكبر منها غير دائمة الواحدة منها قلبية الشكل ملساء لامعة ذات خمسة فصوص كل منها حاد القمة مسنن الحافة على نوع ما وأزهارها خضر مجتمعة في نورات مشطية قائمة تقريباً

اسمهُ العلمي (Acer Platanoïdes, L.) (آسر پلاتانويدس) من فصيلة سابقه وبالانجليزية (Norway-maple) والفرنسية (érable plane ou faux sycomore; érable de Norwége)

وهو كثير الشيوع في جبال المقاطعات الشمالية من اوربا منتشراً في بعض الامكنة بالنرويج الى شاطىء البحر وفي شمال بولندا وليتوانيا والمانيا وسويسرا وسافوى وتبلغ الشجرة منهُ حجماً كبيراً في تربة الارض الخصبة فتكون من أحسن الاشجار لايواء السكان وخشبه أبيض أملس تصنع منهُ (كرانيف) البنادق ويستعمل في الخراطة والنجارة الدقيقة ويمكن الحصول على سكر منهُ في الشتاء وعلى العموم فان استعمالهُ كاستعمال شجر الجميز

الإِسْفِنْدَان الجُمَّيْزِي

ويقال لهُ (الدُّلْبُ الكاذب) و (الصِّنَّار الكاذب) ترتفع الشجرة منهُ الى ٥٠ قدماً ساقها معتدلة . أوراقها غير دائمة الواحدة منها قلبية الشكل ملساء تضرب الى الزرقة من وجهها السفليّ ذات خمسة فصوص كل منها مسنن الحافة بغير انتظام . أزهارها خضر مجتمعة في عناقيد متدلية وثمرتها ملساء

اسمه العلمي (Acer Pseudo-Platanus, L.) (آسر پسودوپلاتانوس) من فصيلة سابقه وبالانجليزية (sycamore - maple ; spurious plane)

والفرنسية (sycomore; érable sycomore; érable faux platane) وهو شائع في بريطانيا وينمو بريًّا في سويسرا والمانيا والنمسا وايطاليا يورق في ابريل وأوراقه عند انبثاقها تبدو خضراء نضرة جميلة وخشبه كان كثير الاستعمال في الخراطة قديماً وما زال يصنع منهُ اخشاب السروج والطواحين وبالحزّ في سوقه في الربيع أو الخريف يسيل منهُ عصير وافر يصنع منهُ نبيذ جيد أو يحصل منهُ بالتبخير على سكر

الإِسْفِنْدَان الملوَّن

ترتفع الشجرة منه الى ٢٠ قدماً ساقها رفيعة ذات قلف أملس مخطط بخطوط جميلة خضر وبيض وفروعها كذلك . أوراقها غير دائمة الواحدة منها قلبية الشكل ملساء ذات ثلاثة فصوص

كل منها حاد القمة مسنن الحافة وأزهارها خضر مجتمعة في عناقيد بسيطة طويلة متدلية

اسمهُ العلمي (Acer pensylvanicum, L.) (آسر بنسلفانيكوم)

أو (Acer striatum, Lamk.) (آسر استرياتوم) من فصيلة سابقه

وبالانجليزية (striped-barked maple; moosewood)

والفرنسية (érable jaspé ou strié; érable de Pensylvanie)

وهو شائع في امريقة الشمالية . في الشتاء تحمر اغصان الشجرة منه وتكون لامعة ويعتبر من اشجار الزينة نظراً لظل شجرته الوافر وجمال قلفها ومناعتها دون فتك الحشرات

الإِسْفِنْدان العاديّ

ترتفع الشجرة منه الى ٢٥ قدماً وتكون جميلة المنظر جدًّا في الخريف أوراقها غير دائمة ملساء لامعة من وجهها السفليّ الواحدة منها قلبية الشكل ذات خمسة فصوص كل منها غير حاد القمة كامل الحافة تقريباً . وأزهارها خضر مجتمعة في نورات مشطية قائمة وثمرتها ذات جناحين

اسمهُ العلمي (Acer campestre, L.) (آسر قامبستري) من فصيلة سابقه

وبالانجليزية (common maple) والفرنسية (èrable champêtre ou commun)

وهوشائع في بريطانيا والنرويج وجنوب اوربا ووسطها حتى شمال افريقة وانحاء كثيرة من آسيا قد يزرع سياجاً ويقال إن الخشب منه في الخراطة ارقى كثيراً من خشب الزان والجميز لكونه مندمجاً دقيقاً وهو مرغوب فيه لصنع الاثاث الفاخر والآلات الموسيقية ويستعيض به صانعو ادوات الحساب والهندسة في الغالب عن خشب شُمَّرابة الراعي والبَقْس

الإِسْفِنْدَان الشبيه بالدَّرْدَار في الأَوراق

قد ترتفع الشجرة منه الى ٥٠ قدماً . أوراقها غير دائمة الواحدة منها ثلاثية الفصوص أو ريشية فتتميز بذلك عن ورقة الانواع السابقة وكل فص مقطَّع الحافة منشاريّ . وأزهارها خضر نوعان الذكرية منها مجتمعة فينورات مشطيةوالأُنثوية في نورات عنقودية

اسمهُ العلمي (Negundium americanum, Dec.) (نيغونديوم امريقانوم)

أو (Negundo fraxinifolium, Nutt.) (نيغوندو فراقسينيفوليوم) أو (Acer Negundo, L.) (آسر نيغوندو) أو (Negundo aceroides, Moench) (نيغوندو آسرويدس) من فصيلة سابقه وبالانجليزية (box-elder; ash-leaved maple)

والفرنسية (érable à feuilles de frêne) وهو شائع في امريقة الشمالية جميل المنظر يغرس للزينة ويشتمل على عصير سكري وافر كالاسفندان السكري تقريباً وكثيراً ما يغرس في كليفورنيا للاستظلال به والخشب منه أصفر تتخلله عروق بنفسجية وأخرى وردية

حديقة المقتطف

مجنون الفيلسوف

عن فولتير

نقلها اسماعيل مظهر

أنا المشعال

لآرثر سيموتز

الرحيل الاول

للشاعر الفرنسي جان ريشپين

نقلها احمد ابو الخضر منسي

ممنون الفيلسوف

في مرآة الجنان ١٩٤٤ ص ١٦٥ ترجمة اخرى بقلم اسعد خليل داغر ، ونشرت في المقتطف يناير ١٩٢٨

عن ڤولتير

[نقلها اسماعيل مظهر]

ذات مرة تخيل « ممنون » ان في مقدوره ان يصبح فيلسوفاً عظيماً . فقال في نفسه : « من اجل ان اكون كامل السعادة تام الحظ ، ينبغي عليّ ان لا افعل من شيء اكثر من ان اجرد نفسي من كل الشهوات . وما من شيء في هذه الحياة اهون من هذا مطلباً ، او ايسر نوالاً ، على ما يعرف الناس جميعاً . وأول ما يجب عليّ ان انشد ، انما هو ان اظلّ بغير حُبٍّ . فاذا رأيت حسناء فاتنة ، كان اول ما احدث به نفسي في شأنها ان اهمس الى وجداني بأن هذين الخدين الاثيلين سوف يحولان فيما بعد نتوءين صفراوين تكسوهما التجاعيد وتشيع فيهما الاخاديد ، وهاتان العينان سوف يحيط بهما سواد الهرم ، وهذا الصدر البارز الجميل سوف يخسف ويزول جماله ، وهذه الرأس التي يزينها الشعر الجميل سوف يصيبها الصلع ، فتصبح اشبه بكرة من النحاس . ينبغي لي ان اتخيل الفاتنة التي يقع عليها نظري في حاضرها ، على ما سوف تكون في مقبل ايامها . وبذلك لن يستطيع وجه جميل او قوام رشيق ، ان يملك عليّ نفسي او يأخذ بعنان قلبي »

« ثم يجب عليّ بعد هذا ان الزم الاعتدال ، فلا يغويني المديح ، ولا يستهويني الكأس بلذائذه ، ولا اتطلع الى لهو المجتمع ، وما عليّ الا ان اصور لنفسي عواقب الافراط — من رأس مصدع ، ومعدة متخومة ، وامعاء مسدودة ، وصدر ضيق ، ونَفَس يعلو ويهبط . عليّ ان اتخيل ما في الافراط من ضياع العقل والصحة والوقت . وبذلك تكون صحتي على وتيرة واحدة فلا تتغير ، وتكون افكاري نقية كالغدير الساكن ، مضيئة كالنجم الثاقب . وكل هذا سهل هين ، لا يتطلب تنفيذه اعناتاً او ارهاقاً »

قال ممنون محدثاً نفسه — « غير انهُ ينبغي عليّ ان افكر قليلاً كيف ادبر امر مالي . ولكن لِمَ التفكير في هذا وأنا رجل محدود الحاجات ، وثروتي في حصانة رئيس

الخزينة في مدينة « نينوى » ؟ ما عليّ الاّ ان اعيش مستقلاً . وهذا أكبر النعم ونهاية الأرب . سوف لا أكون في حاجة الى ذرع الارض رواحاً وجيئة على ابواب اهل البلاط والحاكم . سوف لا احسد احداً ، وسوف لا يحسدني احد . وكل هذا سهل هين . سيكون لي اصدقاء ، ولسوف احافظ على صداقتهم ، بأن لا اجعل سبباً للاختلاف معهم على شيء . سوف لااوجه انتقاداً الى شيء يفعلونه او كلام يقولونه . وكذلك هم سوف يعاملونني. اية صعوبة في ان يلزم الانسان هذه الخطة ، وان ينهج هذا النهج » ؟

ولم يكد « ممنون » يرسم هذه الخريطة الجميلة في مخيلته ، حتى أطل من النافذة فرأى امرأتين تمشيان تحت أشجار الشارع بمقربة من بيته . وكانت احداهما عجوزاً تسير الهوينا بغير اكتراث ، أما الاخرى فكانت شابة في عنفوانها ، وعلى مظهرها ما ينم على كثير من الانفعال . فكانت ترسل التنهدات . وتجود بالدمع الهتون ، فكانت في حالها تلك ، في تنهدها ودموعها ، أكثر جمالاً منها في سكونها وهدوئها. غير ان الفيلسوف مُسَّ مسيساً ، لا بالمرأة ، فانهُ كان قد عاهد نفسه على ان لا يكون فريسة لمثل هذه الخيالات ، ولكن بحالة القنوط والهم التي بدت عليها . فانحدر من السلم وتقدم الى « النينوية » الجميلة ، على أمل ان يهدىء روعها بالحكمة ويكبح جماح انفعالها بالفلسفة . فقصت عليه ، بكل ما تتخيل من سذاجة وطيبة قلب، ما أصابها من المصائب على يد عمٍّ تخيلته تخيلاً ، وكيف حرمها من ثروة طائلة ما حلمت بها يوماً ، وروت لهُ ما كان من قسوته وما لقيت من جبروتهِ وهماً وكذباً ، وما كان لها من عم ، وما كان لها من ثروة ، وانما كان لها خيال خصب يصور الحوادث ، فيرويها لسان كان تحته هاروت ينفث فيه السحر الحلال

قالت « أتخيل أنك رجلاً أصاب من الحكمة وأفاد من الفلسفة . فلو أنك تفضلت وقدمت الى منزلي ، اذن تستطيع أن تنقذني من الورطة التي أجد نفسي فيها وتخلصني من المأزق الذي ترديت فيه »

فلم يتردد ممنون في ان يتبعها ، ليبحث امرها من وجهة فلسفية صرفة ، وان ينصح لها بأقوم سبيل يمكن ان تخطه الفلسفة

وهنالك في منزلها اقتادتهُ تلك الفاتنة الى حجرة ينبعث منها الطيب ويشيع في

جنباتها العطر ، وطلبت اليه في ادب واحتشام ان يجلس بجانبها على اريكة مقتبلة اياه بوجهها ، كما لو يكونون قد تأهبا لمعركة سلاحها الكلام والنقاش . فهي في شوق لان تقص قصتها ، وهو في شوق لان يسمع منها تلك القصة . ومضت السيدة تتكلم غاضّة من بصرها ، مشيحة بوجهها نحو الارض ، مرسلة بين آونة وأخرى بالدمعة في إثر الدمعة ، زافرة بالتنهدة في إثر التنهدة ، وكانت ترفع عينيها الى من تكلم حيناً بعد حين ، فلا تقعان الا على عيني « ممنون » الفيلسوف مركوزتين في عينيها . وكان حديثهما حديث الصديقين ملأ كل منهما الإشفاق والحب لصاحبه ، اما هذه الصداقة وذلك الحب فأخذا يزيدان شيئاً بعد شيء ، كلما التقى الناظران ، وتخاطبت العينان . ولقد اهتم « ممنون » بحديثها كل اهتمام ، وبدأ يشعر بأنه اكثر ميلاً الى الاخذ بيد هذه المخلوقة التي جمعت بين العفة والبؤس ، كلما مرّ الوقت على مجلسه وإياها ، كأن دقائق الزمن تدور في قلبه ، لا مع الأجرام

من ذا الذي يمكن ان يدخل الى الحجرة التي جلسا فيها يتباثان : هي بالشكوى وهو بالنصيحة ؟ من تتخيل ان يقتحم باب ذلك المنسك المقدس ؟ من تتصوّر سوى العمّ الذي كانت منه الشكوى . العمّ الذي هو سبب البلوى وأصل المصيبة . وكان مدججاً بالسلاح من فوق رأسه الى اخمص قدميه ، وقال اول ما قال انّ من حقه الآن ان يُضحّي بكليهما ، بالفيلسوف ممنون ، وبابنة اخيه . اما هي ففرت هاربة ، ملقية في روع الفيلسوف ان عمّها من شأنه العفو ، ومن خلاقه الغفران ، تلقاء بدرة من المال يعمر بها جيبه . فاضطر « ممنون » ان يشتري نفسهُ بكل ما كان بين يديه . وكان من حسنات تلك الأيام ان الناس كان في مقدورهم ، بمثل هذه الوسائل ان ينجوا بأنفسهم من المعاطب . ولم تكن اميركا في زمن هذا الفيلسوف قد اكتشفت بعد ، ولم يكن النساء المعطوبات ببلايا الزمن قد أصبحنَ مبعث خطر على الرجال كما هنّ الآن

وعاد « ممنون » إلى منزله خجلاً ، مكسور الجناح ، منكس الرأس . وهنالك وَجَدَ دَعوةً يدعوه بها مرسلها إلى مأدبة تضم بعض اصدقائه

قال : « اما اذا ظللت في البيت منفرداً بنفسي ، فسوف تساورني ذكريات هذا الحادث المشين ، فلا استطيع أن آكل كسرة ، وما يدريني ، فلعلي أمرض ، فمن حسن

التبصرة أن امضي الى اصدقائي الاعزاء ، فعلّـي أقضي في صحبتهم بعضاً من وقت الفراغ . سوف أنسى في عشرتهم الجميلة البريئة ، تلك الغواية التي وقعت فيها صبيحة اليوم »

وعلى هذه الفكرة ذهب ليحضر الوليمة . وسرعان ما بان لاصدقائه انهُ مهموم ، يريد ان يستقوى بالشرب على طرد هموم تساوره ، وذكريات لا تذهب الا لتعاوده

« ان قليلاً من الخمر يُحتَسَى بهوادة وتؤدة ، لَقَمينٌ بأن يذهب الهم من قلوب الآلهة ومن قلوب البشر » — ذلك ما قام في نفس ممنون الفيلسوف . واحتسى الخمر ، وامعن في احتسائها ، حتى سكر وغَلاَ في السكر . وبعد ذلك جاء دور اللّعب

— « ان قليلا من اللعب مع اصدقاء اوفياء مخلصين ، لمن اجمل الهيّات وقت الفراغ » — ولعب فخسر ، وخسر كل ما كان في كيسه ، وخسر اربعة اضعاف ما كان معهُ ، مقسماً بشرفهِ أغلظ الايمان انهُ سيدفع ما يخسر . وهنالك يقوم جدل على خطأ لا تجيزه شريعة القمار ، ويحمى وطيس الجدل ، وتقوم قيامة الكلام والأخذ والرد والجذب والدفع ، فيرميه احد اصدقائه الاوفياء المخلصين بعلبة من علب النّرد فتصيب رأسه ، وتفقأ إحدى عينيهِ . ويحمل « ممنون الفيلسوف » الى بيته سكران معدماً ، لا عقل في راسه ، ولا درهم في جيبه ، وبعين واحدة

حتى اذا قضى وقت خُمَارِه نائماً يغط غطيط البَكْر شد خناقه ، وبدأت سورة الخمر تتبخر من رأسه الحكيمة وذكر ما كان منه ، اسرع بخادمه فارسل به الى رئيس الخزينة في مدينة « نينوى » ليسعفهُ ببعض المال ، عساه يقضي دينه ، دين الشرف ، الى اصدقائه الاوفياء المخلصين . فاذا عاد الخادم اخبره ان رئيس الخزينة قد اعلن إفلاسه صبيحة ذلك اليوم وانه وضح لاهل الحكم أنه مختلس محتال ، وانه بذلك اصبحت مائة اسرة في اشد حالات الفقر والعوز . فما وسع « ممنون » الفيلسوف الا ان يحجب عينه المفقوءة بلفافة ، ويأخذ في جيبه عريضة دعوى ليتقدم بها الى الملك ، طالباً منه ان يقيم العدل بينه وبين المختلس المحتال . وما ان يدلف الى دار العدل في البلاط الملكي حتى يلفي عدداً من السيدات ، وقد ملكتهن هزة الفرح والسُّرور ، فرحنَ يدرنَ ممسكات بعضهنَ بأيدي بعض في حلقة ، وبأسرع ما يتصور العقل قفزاً ووثباً . وهنالك تتقدم اليه احداهنّ وكان له بها علاقة وتصيح في وجهه — « ما أبشع هذا المسخ المخيف » ! ثم تتلوها اخرى وكانت به اكثر

معرفة من صاحبتها الاولى فتقول له — « يالله — أيها الفيلسوف ممنون ! ارجو ان تكون بخير . وأسفاه ! كيف فقدت عينك يا ممنون » — ثم تلتفت برشاقة وتوليه ظهرها ، وتبتعد عنه في غير اكتراث

هنالك لم يسع ممنون الا ان ينتبذ بنفسه ركناً من الاركان ، بعيداً عن ان تأخذه فيه الاعين ، ويظل منتظراً ، حتى تتاح له فرصة يترامى فيها على قدمي الملك ولقد أزف الوقت واتيحت الفرصة : فقبل الارض ثلاث مرات ، وتقدم بكتابه في يده ، فتقبله الملك بقبول حسن ، وامر احد رجال حاشيته ان يتسلم منه الكتاب ، فما كان من ذلك الرجل الا أن انتحى بممنون ناحية وقال له بخشونة وبذاءة :

« اسمع يا هذا ! أنت يا اعور ! يا من لا يملك الا عيناً واحدة ! لاشكّ في أنك كلب نبّاح مُزور . ذلك بأنك تتقدّم الى الملك بكتابك ، في حين كان الواجب ان تتقدّم بهِ اليّ . أضف الى ذلك انك تطلب القصاص من مفلس امين شريف ، أحوطه بعنايتي وأظلله بحمايتي ، وهو فوق ذلك من اقرباء الوصيفة التي تقوم بخدمة حظيّتي . عليك ان لا تتقدم خطوة اخرى في هذا الامر ، ايها الصديق الطيب ، هذا اذا اردت ان تفوز بالعين الاخرى التي بقيت في وجهك »

هذا ممنون الفيلسوف . ممنون الذي تخيل بين جدران حجرتهِ الاربعة ان في مستطاعه ان يهجر النساء ، وان يقلع عن المائدة الخضراء وعن الشرب وعن الجدل والشجار ، واقسم فوق كل هذا ان لا يطرق للمحاكم باباً . ممنون هذا وفي رأسه كل هذه الاخيلة ، وفي فترة وجيزة ، لا تعدو اربع وعشرين ساعة استغوتهُ امرأة ، ثم سرقتهُ ، ومن بعد ذلك سكر ولعب القمار وتشاجر ، وفقئت عينه ودخل المحكمة ، حيث امتهن ، واهينت كرامته

ولقد اخذ ممنون العجب ، وملأ قلبه الهم والحزن ، فقفل الى بيته غضبان اسفاً . وما ان تأهب لدخول البيت ، حتى دوهم بعدد من رجال الشرطة شرعوا ينقلون اثاث بيته ليباع وفاء لمطلوبات دائنيه . وتأخذ بتلابيبه الهموم ، فيسقط إعياء تحت شجرة على رصيف الشارع ، وهنالك يقع بصره على تلك المرأة التي لقيها في صبيحة الأمس ، تمشي الهوينا مع عمها العزيز . وما ان رأياه حتى اغربا في الضحك ، واصبع العم مشيرة الى الضمادة التي تحجب عينه المفقوءة

واقبل الليل بويلاته ، فهيأ ممنون لنفسهِ فراشاً من القش والبوص بجوار جدار من جدار بيته ، وهوّم برأسه النعاس ، فأخذ يغط غطيطاً . وبينما هو في غفوته ، اذ تجلى لهُ ملكٌ من ملائكة السماء ، مجلل بالضياء محفوف بالبهاء ، مهياً بأجنحة ستةٍ ، ولكنهُ بلا رجلين وبلا رأس ، وما يشبههُ من شيء : — « من أنت » ؟

فاجابه الملك — « انا شيطانك الطيب »

— « اذن فردّ اليّ عيني وصحتي ومالي وعقلي »

ثم قصّ عليهِ ممنون كيف انهُ فقد كل هذه الاشياء بين صبيحة يوم ومسائه . !

فاجابهُ الملك : « هذه احداث لن يقع مثلها في عالمنا الذي نعيش فيهِ »

— « واي العوالم تسكن » ؟

— « ان مأهلي يبعد عن الشمس خمسمائة مليون ميل ، في نجم صغير الى جانب الشِّعْرى ، على انهُ يمكنك ان تراه من مكانك الذي انت فيهِ »

قال ممنون — « انهُ لموطن جميل الخاذ ! فاتن . ومما لاشك فيهِ انكم لاتعرفون فاتنات يأسرنَ المفتونين امثالي ، ولا اصدقاء اوفياء يسلبون ما في جيبهِ من المال ، ويفقأون احدى عينيهِ ، ولا مفلسين محتالين ، ولارجال حاشية يهزؤون بهِ عندما يتقدم اليهم طالباً العدل والانصاف »

فاجابهُ ساكن النجم — « كلاّ . لا نألف شيئاً من ذلك فاننا لن نفتن بالنساء ، لأنهنّ لايوجدن حيث نسكن . ولن نتشاجر على الموائد الخضراء ، لاننا لا نأكل ولا نشرب ، وليس عندنا مفلسون محتالون ، اذ ليس عندنا ذهب او فضة . وأعيننا لن تفقأ ، ذلك بان اجسامنا ليست كاجسامكم ورجال الحاشية لن يستطيعوا ان يسوموا نا خسفاً . ذلك بأننا جميعاً متساوون في عالمنا القصي البعيد »

قال ممنون — « أتوسل اليك يا سيدي ان تخبرني : كيف تقطعون الوقت وتقتلون الزمن ، بغير نساء وبغير اكل او شرب » ؟

— « انما نقطع الوقت في مراقبة العوالم الاخرى التي يعهد الينا في تدبير امورها وما اتيت الى عالمك هذا الاّ لاهدىء من روعك واسليك عما انت فيهِ من الغم »

فتأوّه ممنون وقال — « وأسفاه ! ولِمَ لم تأت يوم امس لتكفيني الوقوع في الكثير مما وقعت فيهِ من المخازي ، وتمنع عني ما ترديت فيهِ من الاخطاء » ؟

فاجابهُ الكائن السماوي — «كنت مع اخيك حسن ، فانهُ لأحقُّ بالشفقة منك . فان صاحب الجلالة ملك جزر الهند ، الذي كان لاخيك حظوة الخدمة في بلاطه ، قد امر بان تفقأ عيناه الاثنتان ، جزاء هنة هينة . وهو الآن في اعماق السجن ، وقد اثقلت يديهِ ورجليه الاصفاد »

— « انهُ لمن الصدف الحسنة ان يكون في اسرة من الاسر شيطان طيب مثلك . فيكون من أثره فيها ان يصبح احد الاخوين اعور ، والآخر اعمى . احدهما يتمطى على فراش من البوص والقش بجوار جدار ، والآخر يتلظى في غيابات السجن ! »

فاجابه الملك — « ان حظك سوف يتغير سريعاً . من الحق انك سوف لاتحظى بعينك مرة اخرى ، ولكنك سوف تكون سعيداً محظوظاً ، اذا لم يدر في رأسك مرة اخرى انهُ من الممكن ان تكون فيلسوفاً تام الفلسفة » . — « امستحيل ذلك إذن » ؟

— « نعم مستحيل . كما يستحيل عليك ان تكون تام العقل . تام القوة . تام القدرة . تام السعادة . اننا نحن بأنفسنا بعيدين عن ان نفكر في ان نكون كما اردت أنت ان تكون . ولكن هنالك عالم يمكن ان تتحقق فيهِ كل هذه الاشياء . ففي تلك العوالم العديدة التي يبلغ عددها مائة الف مليون عالم تخضع كل الأشياء لسنة التدرج . ففي العالم الثاني تجد ان الفلسفة والمتعة معاً ، اقل منهما في العالم الذي يسبقه في ترتيب التدرج . وهي اقل في الثالث منها في الثاني ، وهكذا ، حتى اذا بلغت العالم الاخير ، وجدت ان اهله جميعاً حمقى اغبياء »

قال ممنون — « اخشى ان تكون ارضنا هذه المكونة من طين وماء ، هي بذاتها مباءة المائة الف مليون من العوالم التي تشرفني فخامتك بالكلام عنها »

— « ليس الامر كما تقول تماماً ، وانما قولك قريب من الحق . ان كل شيء يجب ان يوضع حيث يجب ان يكون »

— « ولكني أسألك أمخطئون اولئك الشعراء والفلاسفة الذين يلقون في روعنا دائماً ان كل شيء حسن ، وعلى اتم ما يكون في النظام » ؟

قال الملك « — لا . ليسوا على حق تماماً ، وانما يكونون على حق اذا ما نظروا في الاشياء من ناحية صلتها بنظام التدرج الذي يشمل قانون الكون كلهُ »

قال ممنون — « كلا . لن أؤمن لك ، حتى استرد عيني المفقوءة »

انا المشعال

لآرثر سيمنز

انا المشعال وليس يعنيني ان الفراش يموت في ضوئي .
انا اللهب ، لهب الجمال ، احترق لكي يرى الجمالَ جميعُ الناس
لست اغتبط ولا اخجل ، بل اعيش بالضوء الباهر
ضوء النار المتأججة التي يرى فيها الرجال موت رغائبهم .

انا ايزولت وهيلانة ، لقد رأيت طروادة تحترق
وشاهدت أشد الفرسان حبًّا وهو مجندل . كانت الدنيا
مرآتي ، وكان الزمان نَفَسي على المرآة . وطالما همس الرجال
عصراً بعد عصر بكلمات الحب المسكينة امام شبحي فيها !

انا احيا لانني خالد ، في عينيَّ آلام العالم
وعلى شفتيَّ مباهج الحياة ، تمتزج فتمنحني الحكمة .
ولكن الكسوف حوّل يومي قتاماً . اين من يحيا للجمال ؟
ما زلت ذلك المشعال القديم ، ولكن أين الفراش الذي يجرؤ على الموت ؟

الرحيل الاول

للشاعر الفرنسي جان ريشبين

[نقلها احمد ابو الخضر منسي]

١ اذا عيون زهور اللؤلؤ البيض تَـفقَّـحت (١)
واذا البرعوم المتزلزل اهتزَّ في اطراف الغصون
واذا الارانب التي لا طاقة لها بالبرد همَّت في البُـكَـر (٢)
تخرج من مَـكْـوِها (٣) ترتع بين نَبت السعتر
واذا طلائع الطير غنت اغانيها وشدت
فأطلقت اصواتها في كبد السماء احلى شجواً وأصفى رنينا
واذا الدنيا اخذت زينتها من أُنُـف (٤) وجددت السنين
غادر السائلون الصغار مأواهم صاغرين

٢ يخرجون من خُـصهم الذي فيهِ ثووا طول الشتاء
كالمراميط (٥) لدى نار اوقدوها بالمَـدَر
بينما امهم تؤجج وقود النار ،
وتَـضْـفِـر وهي تغني سلالاً من خلاف (٦)

---

(١) تفقح تفتح واخرج زهره (٢) جمع بكرة الصباح الباكر (٣) جحر الارنب (٤) من جديد (٥) جمع مرموط تعريب العلامة احمد فارس الشدياق وهو حيوان قارض من جبال الالب ينام الشتاء اجمع (٦) غصون عدة انواع من شجر الصفصاف صفر لينة تصنع منها السلال

انما يكسب هؤلاءِ الصغار المساكين ذوو الطهر
قوتهم من بيع هذه « الشخاشيخ » ذوات المُعيّنات(١) الخضر

٣ مات ابوهم منذ شهور اربعة
فالبيت مرتفع الايجار وامهم
لذلك ستشتغل لدى الناس خادمة
فلا لقاء بينهم الاّ في الفصل المقبل
متى ربحوا هذا الصيف بعض الدراهم

٤ والى ان يحل ذلك الاجل كل له وجهة هو موليها
فالصغار يحملون كاراتهم(٢) فوق اكتافهم
ويحتذون قباقيبهم تغشى رؤوسها قطع الصاج
وإذ قبّلت الام في شهقات عويلها
آخر بنيها لآخر مرة
انطلقوا وايديهم بأيدي بعض في وقار
يُنغّم الاكبر لحناً ليبدو أربطهم جأشاً
ولكنهُ شعر بالدمع الغزير من مآقيه ينهمر
بيد أنهُ لا يبكي لانهُ هو أعلاهم سنّا
ولانهم ها هم يضربون في الارض ويسعون
وابن الاثني عشر حولاً قد صار رب بيت ورب هموم

(١) جمع معين الشكل الهندسي المعروف الذي تصنع على هيئته قطع « البقلاوة » (٢) جمع كارة اضمامة من ثياب تحمل ، كالصرة او « البقجة »

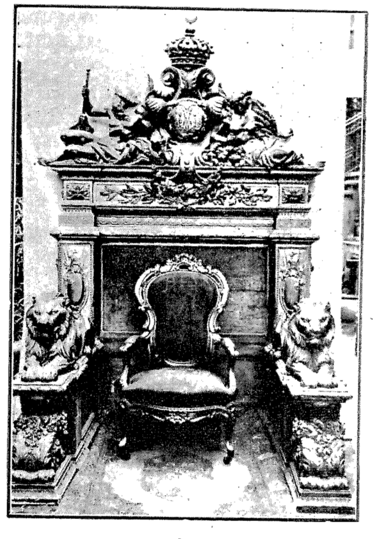
سير الزمان

حفلة تتويج
الملك جورج السادس

وما فيها من المغازي الدينية والروحية

العروش فى التاريخ

والعروش المصرية الثلاثة



عرش محمد علي رأس البيت المالك

حفلة تتويج الملك

جورج السادس

وما فيها من المغازي الدينية والروحية

لبس التيجان عادة قديمة جداً عرفت قبل زمن التاريخ كما يستدل من النقوش القديمة في مصر وبابل وبلاد اليونان . وقد تنوعت الآن فأبطل الملوك لبس تيجانهم الا نادراً وقد يقلعون عن لبسها بتاتاً في مستقبل الازمان اذا بقي للناس ملوك يملكون عليهم . والانكليز سبقوا غيرهم من امم هذا العصر الى الحكم الدستوري ونزع السلطة من ملوكهم واعطائها لنواب الامة ، ولكنهم لا يزالون متمسكين بكثير من عاداتهم القديمة كتتويج ملوكهم والباس قضاتهم الشعور العارية وحراسهم الثياب المقصبة التي كانت تلبس منذ مئات من السنين ونحو ذلك مما اقلعت عنهُ امم كثيرة تأخرت عنهم في اقتباس الحكم النيابي

الا ان احتفال البريطانيين بتتويج ملوكهم ، ينطوي على شعائر دينية من شأنها ان توجه النفس والعقل الى الفضائل السامية التي يجب ان يتصف بها الملوك كالايمان وحماية الدين وخدمة الشعب واجراء العدل والحكم بالرحمة . فالاحتفال يقام في كنيسة ويرأسهُ رئيس اساقفة كنتربري وتتخللهُ صلوات وابتهالات وترانيم روحية وتقرأ فصول من الانجيل . وحفلة التتويج تسير في فصول متسقة مترابطة المعنى والمغزى من المبايعة الى حلف اليمين الى مسح الملك بالزيت المقدس الى تسليم الملك ادوات الملك الى وضع التاج على رأسهِ فاجلاسهِ على العرش فتقبلهِ خضوع شعبه وولاءه

وفي كل هذا يشترك رجال الكنيسة مع اقطاب الشعب ، فليس للملك ان يقيم احد هذه الشعائر وحده ، فالتاج يلبسهُ اياه رئيس اساقفة كنتربري ، والعرش يصعد اليهِ وحده ولكنهُ عند ما يصل الى الدرجة العليا يرفعهُ اربعة من مقدمي اعيان المملكة الزمنيين والروحيين ويجلسونهُ عليهِ ، فالحفلة اعتراف من الناحية الدينية بما للدين من مقام في حياة الدولة ، ومن الناحية المدنية تجديد للتقاليد التي جرى عليها الامراء والاعيان في عهود الاقطاع في مبايعتهم الملك الجديد وتسليمهم اياهُ رموز السلطة والحكم

***

يتوج ملك الانكليز في الكنيسة القديمة المعروفة بكنيسة دير وستمنستر القائمة الى جانب دار البرلمان وهي كنيسة شيدها ادورد المعترف في القرن الحادي عشر ، ولا يعلم هل توّج فيها ولكن من الثابت ان وليم الفاتح توج فيها يوم عيد الميلاد سنة ١٠٦٦م

بدأت حفلة تتويج الملك جورج السادس بالمبايعة، فوقف رئيس اساقفة كنتربري وحوله اربعة من كبار اعيان المملكة ، ونادى الجمع المحتشد في الكنيسة قائلاً : ايها السادة اقدم اليكم الملك جورج ملككم الذي لا شبهة فيه وقد جئتم جميعاً لتقدموا لهُ الطاعة والخدمة فهل انتم راغبون في ذلك فهتف الجمهور « احفظ اللهمّ الملك جورج » وقد اعاد رئيس الاساقفة هذا النداء اربع مرات متجهاً كل مرة الى فريق من الجمهور المحتشد حول منبر الكنيسة ، فواجه الواقفين جنوبهُ أولاً ثم الواقفين غربهُ فشمالهُ فشرقهُ ، وفي كلّ مرَّة كان الجمهور يجيب احفظ اللهمّ الملك جورج . هذا والملك واقف قرب وسط المنبر بحيث يراهُ الجمهور . ثم نفخت الابواق

وهذا الجانب من حفلة التتويج يرتدُّ الى العصور القديمة، لأن للشعب الحق في معاينة الملك والموافقة عليهِ ، على الرغم من ان الملك وراثيٌّ ، وبنداء الشعب « اللهمّ احفظ الملك جورج » يعرب عن موافقتهِ ورغبتهِ في ان تمضي الكنيسة في حفلة التكريس الدينية

وبعد ذلك جلس الملك على كرسيه ، وقدمت أدوات الحكم أداة أداة الى رئيس الاساقفة دليلاً على ان الدولة قد تنازلت عن رموز الملك الزمني لوضعها في حفظ الكنيسة ، فيسلمها رئيس الكهنة للملك واحدة واحدة دليلاً على انها معطاة لهُ على سبيل الوديعة من قبل الرب . ولا يبقى في أيدي ممثلي الدولة الاَّ السيوف الاربعة وهذه تسلم للملك بعده

وعقب ذلك تلاوة قانون الايمان فتقدم رئيس الاساقفة الى الملك وقال لهُ هل أنت مستعدٌّ يا مولاي ان تقسم اليمين فقال الملك نعم واقسم ان يحكم البلدان التي تتألف منها الامبراطورية البريطانية وفقاً لعاداتها وتقاليدها وان يجري العدل. ولاول مرة في تاريخ بريطانيا ذكرت البلدان التي تتألف منها الامبراطورية ذكر كلٌّ منها على حدة لانها أصبحت منذ حفلة تتويج جورج الخامس في سنة ١٩١١ مستقلة ومتساوية وهي المملكة المتحدة وارلندة وكندا واستراليا وزيلندا الجديدة واتحاد جنوب افريقية وامبراطورية الهند . وتلا ذلك أسئلة وجهها رئيس الاساقفة الى الملك تدور حول احترام القانون واقامة العدل والحكم بالرحمة وحماية الدين وكلها مفرغة في قالب « هل تعد » و « هل تفعل » فأجاب الملك « كل هذا أعد بهِ » . ثم قبل الملك التوراة ووقع اليمين

ان المبايعة عمل دنيوي ، واليمين عمل ديني ، وبهما يرتبط الشعب بالكنيسة بقبول الملك وعند ذلك ترفع الحفلة من مستوى التعاقد بين الملك والشعب من جهة ، والكنيسة والملك من جهة ، الى مستوى التقديس . فابتهل رئيس الاساقفة الى الله ان يمنح « خادمهُ جورج ملكنا الحكمة » ثم قرأ اسقف لندن فصلاً من رسالة القديس بطرس ومن آياتها « أكرموا الجميع . أحبوا الاخوة . خافوا الله . أكرموا الملك »

ثم قرأ رئيس اساقفة يورك فصلاً من انجيل القديس متى ومن اقواله : « فقال لهم اعطوا

اذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . وهذا الجزء من الحفلة لا يزال كما كان سنة ٩٧٣ عندما توج الملك ادجار المسالم لم ينله اي تغيير

ثم وقف الجمع المحتشد وكذلك الملك والملكة وانشد الجميع قانون الايمان . ثم رنمت ترنيمة اخرى ركع الملك في خلالها

ثم نهض الملك وتقدم اليه كبير الامناء ونزع عنهُ ثوب المخمل القرمزي وجرّدهُ من جميع شارات المجد الارضي لكي يتقدّم بخضوع ووداعة الى المسح بالزيت المقدس، وهو مرتد قميصاً قرمزياً بسيطاً . ثم تقدم اربعة من كبار الاعيان ورفعوا فوق رأس الملك سرادقاً من النسيج المذهب . وقد كانت العادة ان يحجب هذا السرادق الملك عن الجمهور اثناء المسح بالزيت المقدّس لان هذا العمل سرٌّ من اسرار الكنيسة ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك في هذه الحفلة فشاهد الجمع كيف مسح رئيس اساقفة كنتربري راحتي الملك وصدرهُ وقمة رأسهِ بالزيت وهو يقول لتمسح راحتاك بالزيت المقدس . او ليمسح صدرك . ثم لما مسح رأسهُ قال ليمسح رأسك بالزيت المقدس كما مسح الملوك والكهنة والانبياء

وتلا ذلك تقديم المهماز والسيف وصلى رئيس الاساقفة ضارعاً الى الله ان لا يتقلد سيفهُ عبثاً بل يستعمله لخدمة الله بارهاب الاشرار وحماية الاخيار . ثم ناولهُ اياهُ قائلاً اجر بهذا السيف العدل واوقف نمو الشر واحمِ كنيسة الله وأعن الارامل والايتام وجدد ما عتق واحفظ ما تجدد واصلح الاثيم وايد الصالح حتى تنمو كل فضيلة . ثم ناول رئيس الاساقفة رداء الملك والكرة والصليب قائلاً تقبل هذا الرداء الامبراطوري والكرة وليحبك الله مع المعرفة والحكمة بالمجد والقوة من لدنهِ وليحطك بنعمتهِ من كل جانب وليلبسك الرب رداء الصلاح وثوب الخلاص . واذا رأيت هذه الكرة موضوعة تحت الصليب فتذكر ان العالم كلهُ خاضع لقوة المسيح فادينا

وبعد ذلك دفع الملك بالكرة الى « دين » دير وستمنستر ليضعهُ على المذبح

ثم ألبسهُ خاتم الملك وناوله الصولجان قائلاً تناول صولجان العدل والرحمة وليعنك الله في اجراء كل ما وهبك من السلطة وكن رحيماً ولكن لا تتناهَ في الحلم وعادلاً ولكن لا تنس الرحمة وعاقب الشرير واحم الصالح وقد شعبك في السبيل الذي يجب ان يسير فيهِ

ثم رفع رئيس الاساقفة التاج وهو واقف أمام المذبح وتضرع الى الله ليبارك الملك ويتوّجهُ بكل فضيلة ووضع التاج على رأسهِ قائلاً يتوجك الله بتاج المجد آمين . وللحال رفع الاعيان تيجانهم من تحت مقاعدهم ووضعوها على رؤوسهم وهتفوا للملك

ثم رفع « دين » وستمنستر الكتاب المقدّس عن المذبح ودفع بهِ الى رئيس الاساقفة فقدمهُ للملك

قائلاً نقدم لك هذا الكتاب اثمن ما في العالم . هنا الحكمة . هذا هو القانون الملكي . هنا ألسنة الله. فأخذهُ الملك من رئيس الاساقفة ثم اعادهُ اليهِ فاعطاهُ الى «دين» وستمنستر فيضعهُ على المذبح

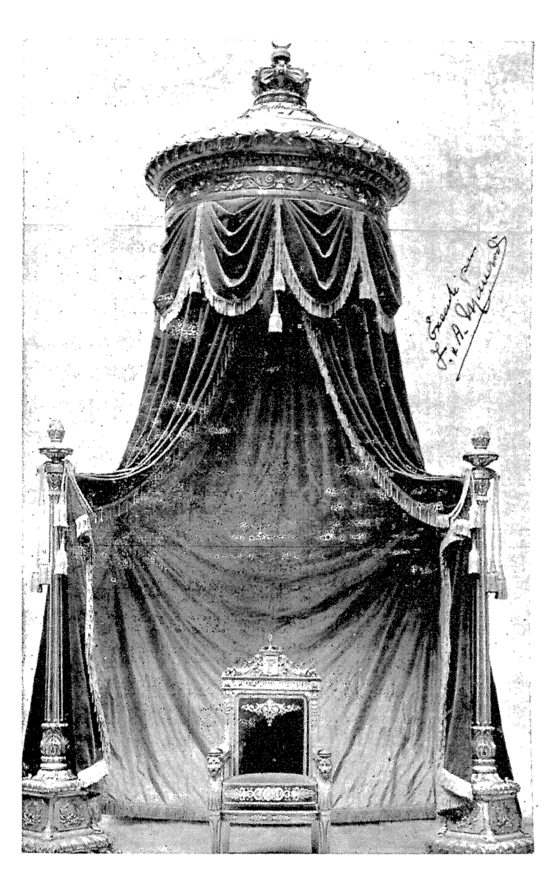
وكما ان المسح بالزيت المقدّس ذروة ما تبلغهُ حفلة التتويج من الناحية الدينية ، كذلك وضع التاج فرفع الملك الى العرش ذروة ما تبلغهُ الحفلة من الناحية الدنيوية . لقد وضع التاج ، وها هو هذا الملك يتقدم الى العرش ، القائم على منبر مرتفع قليلاً فيرتقي درجاتهِ الخمس فعندما بلغ اعلاها اتجه الى المذبح فتقدّم رئيس الاساقفة وبعض كبار الاعيان ووضعوا ايديهم تحت ذراعيهِ ورفعوهُ الى العرش رامزين بذلك الى ان سلطتي الكنيسة والشعب اشتركت في رفعهِ اليهِ فجلس الملك عليهِ وجعل رجال المملكة يمرون امامهُ يسجدون لهُ واولهم رئيس أساقفة كنتربري فسجد امامهُ وسجد الاساقفة الآخرون حيثهم واقفون ثم امراء البيت المالك فرفع كلٌّ منهم تاجهُ عن رأسهِ وركع امامهُ وقال اخدمك بحياتي واكون اميناً لك حتى الموت فليساعدني الله ثم لمس تاج الملك بيدهِ وقبله على خده الايسر . وفعل مثلهم رؤساء فرق الاعيان ، اما اعضاء تلك الفرق فكانوا راكعون في مجالسهم وهم حاسرو الرؤوس عند ما يركع مقدمهم امام الملك ثم احتفل بتتويج الملكة

ولهذا التتويج في نظر الانكليز وجهان وجه ديني ووجه سياسي فالاحتفال بهِ من الوجه الديني هو كما قال فيهِ بعض واصفيهِ اعظم احتفال ديني لهم . ولو أنعم الانسان نظرهُ في الصلوات والاقوال التي تقال فيهِ لوجد جوهرها التضرع من المخلوق الى الخالق والتقدُّم اليهِ بروح البساطة التي يتقدّم بها الولد الى أبيهِ ليطلب منهُ لهُ ولملكه ما يريده ويشتهيهِ

والاحتفال بهِ من الوجه السياسي اعظم احتفال دنيوي لهم . ولو انعم الانسان نظرهُ في الاقوال التي تقال فيهِ ايضاً لوجد انها تعظم قدر الملك وتعلي شأن وظيفتهِ الى اسمى الغايات وتذكرهُ في كل حركة وسكنة بما هو واجب عليهِ لشعبهِ وبالعهود التي يعاهد شعبهُ عليها وبكونهِ خادماً للقانون مؤيداً ومنفذاً لهُ

***

وقد يعترض البعض ان الملك لا يكون بعد التتويج اكثر صلاحاً وعدلاً منهُ قبل التتويج وانهُ اذا أجاب الله دعاء رئيس الاساقفة في حفلة مثل هذه فعلى مَ لا يجيب دعاءهُ من غير احتفال ولا انفاق اموال . ولكن تاريخ الانسان يدلُّ على ان الحفلات الدينية الوقورة تؤثر في نفسهِ تأثيراً شديداً حتى لقد تحملهُ على اصلاح سيرتهِ والتفاني في عمل ما يجب عليهِ اما فائدتها السياسية فما لا شبهة فيهِ



عرش المغفور لهُ جلالة الملك فؤاد الاول في البرلمان

العرش في التاريخ

والعروش المصرية الثلاثة

العرش قديم في نظام الاجتماع البشري قِدَم الملوك . والظاهر انهُ كان في أول عهده دكة يقف الملك أو يجلس عليها لـكي يكون فوق شعبهِ يراهم ويرونهُ فيشعرون بتفوقهِ عليهم بدليل ما في العربية وغيرها من اللغات من ألفاظ الصعود والارتقاء الى العرش . وشيءٌ يختص بالملوك ويرتبط بهِ مقامهم وجاههم لا بد من ان يعنوا بتنميقهِ وتعظيمهِ أو يعنى بذلك المتزلفون اليهم من رعاياهم . ولا مشاحة في ان المشارقة سبقوا أمم الارض في مبادىء الحضارة واتقان الفنون فلا عجب اذا سبقوهم ايضاً في صنع العروش لملوكهم والبلوغ بها الى أسمى ما بلغت اليهِ فنونهم كما ثبت من العرشين او الـكرسيين الذين وجدا في قبر الملك توت عنخ أمون فان احدهما وهو المرسوم في صدر هذا العدد مصنوع من الخشب على شكل بديع أفرغ الصناع فيهِ مهارتهم وجمعوا بين الدقة في تمثيل الطبيعة والابداع في التعبير عن العقائد الدينية . فرأسا الاسدين اللذان تنتهي بهما ذراعا الـكرسي والاخفاف الاربعة التي تنتهي بها قوائمهُ من أدق ما يكون . وعلى الظهر واليدين أمثلة وكتابات مما تنطوي عليهِ ديانة المصريين . ثم ان نوع الخشب وصفائح الذهب والمسامير الذهبية التي تربط اجزاء الـكرسي والاصباغ التي طلي الخشب بها كل ذلك جامع بين الابهة والبهاء وشاهد بتفوق الصناعة المصرية في ذلك العصر

وقد جاء في التوراة وصف عرش سليمان حيث قيل « وعمل الملك (سليمان) كرسيًّا عظيماً من عاج وغشاهُ بذهب ابريز . وللكرسي ست درجات ورأس مستدير من ورائهِ ويدان من هنا ومن هناك على مكان الجلوس وأسدان واقفان بجانب اليدين . واثنا عشر أسداً واقفة هناك على الدرجات الست من هنا ومن هناك لم يعمل مثله في جميع الممالك » (ملوك الاول ١٠ : ١٨) . وقد عثر المنقبون على بقايا عرش من صخر متبلور في انقاض قصر سنحاريب الملك الاشوري . وكان العرش الذي بناهُ شاه عباس ملك الفرس من الرخام . والظاهر ان هذا الملك كان مولعاً بالعروش الفخمة فأهدى الى قيصر روسيا سنة ١٦٠٥ عرشاً مصفحاً برقائق الذهب ومرصعاً باللآلىء والاحجار الـكريمة . وصنع القيصر فيودوروفتش جد بطرس الاكبر عرشاً من الذهب مرصعاً بثمانية آلاف حجر من الفيروز والف وخمسمائة حجر من الياقوت واربعة احجار كبيرة من الجمشت وحجرين كبيرين من الياقوت الاصفر . ومن مفاخر دهلي قبل ان افتتحها نادر شاه عرش الطاووس الذي قُدر ثمنهُ باثني عشر مليوناً من الجنيهات وكانت درجاتهُ من الفضة وقوائمهُ من الذهب المرصع بالحجارة الـكريمة . وسمي بعرش الطاووس لان فيهِ ذيلي طاووس منتشرين

ومرصعين بالالماس والياقوت ونحوها من الحجارة الكريمة . والظاهر انهُ صنع لشاه جاهان صنعهُ المهندس الفرنسي الذي رسم المدفن الشهير المعروف باسم تاز محال

ويقول المؤرخ المدقق السر يوحنا موديل ان الملك برستر يوحنا كان له عرش يُصعَد اليهِ بسبع درجات اولاها من الجزع والثانية من البلور والثالثة من اليصب الاخضر والرابعة من الجمشت والخامسة من الجزع العقيقي والسادسة من العقيق والسابعة من نوع من الزبرجد. وكانت هذه الدرجات مطوقة بالذهب ومرصعة بالجواهر والعرش نفسهُ كان من الذهب المرصع بالاحجار الكريمة . وكان لاحد امراء الهند المعروف برانجت سنج عرش من الخشب مصفح بالذهب وهو الآن عند الحكومة الانكليزية

أما العروش الاوربية فلم تبلغ من الابهة والفخامة ما بلغتهُ العروش الشرقية القديمة . على ان امبراطرة الروم كانوا قد أخذوا شيئاً من أبهة الشرق وحبهِ للبهارج فبنوا عرشهم المشهور الذي قيل انهُ يماثل عرش سليمان وعلى جانبيهِ أسدان صنعت لها آلة اذا تحركت وقف الاسدان وجعلا يزأران . ومن العروش المشهورة عرش داجوبير أحد ملوك فرنسا في أواخر القرن السادس للميلاد وأوائل القرن السابع . وأول ما يذكر عن هذا العرش ان نبوليون جلس فيهِ حين وزع اوسمة الشرف في معسكره ببولون . اما العرش الذي صنعهُ نبوليون فكان كرسيًا مغشًّى بالذهب وتكثر عليهِ الرسوم المصرية ورؤوس الاسود والنسور

وحينما يتوفى البابا وتجتمع الكرادلة لانتخاب خلف لهُ يجلس كل منهم في عرش والعروش كلها على مستوى واحد حتى اذا تم الانتخاب تخفض كل العروش الا عرش الكردينال المنتخب وعرش البابا كرسي من البرونز القديم قائم في كنيسة القديس بطرس وليس للملك الانكليز عرش خاص والكرسي الذي في دير وستمنستر ليس عرشاً لانهُ لايجلس عليهِ الا في جانب من حفلات التتويج والحقيقة ان العرش الانكليزي هو الكرسي الذي في مجلس اللوردات ويجلس عليهِ الملك حين افتتاح البرلمان وهو مصنوع من خشب السنديان

وصفنا في صدر هذه المقالة اقدم العروش المصرية التي وصلت الينا ونصف الآن أحدثها وهما عرش محمد علي رأس البيت المالك والعرش الذي صنع المغفور لهُ الملك فؤاد الاول

اما عرش محمد علي فقد صنع في باريس من خشب رزين وطلي بالذهب وأفرغ الصناع الفرنسيون مهارتهم في صنعهِ ويظهر من وطوء الاسدين اللذين على جانبيهِ انهُ صنع لتوضع فيهِ مرتبة يجلس عليها عزيز مصر كما كانت عادتهُ في جلوسهِ وهذا العرش محفوظ الآن في دار الفنون والصنائع المصرية . ولا ندري لماذا لاتبتاعهُ الحكومة وتحفظهُ في دار آثارها . والعرش المرسوم هنا أقيم في دار البرلمان وكان الملك فؤاد الاول يجلس عليهِ عند افتتاحهِ البرلمان

باب الأخبار العلمية

الكيمياء الصناعية

ما تم تركيبه وما يتوقعه العلماء من ثمارها

الباكليت

في العالم مواد شتى ، مألوفة ، مركبة تركيباً صناعيًّا . وهي ثمرة مزج مواد كيميائية — محللة او مذيبة لغيرها — بعضها مع بعض مزجاً مدققاً فيه . وسنفصل فيما يلي بعض ما تم تركيبه منها نقلاً عن كتاب « مائة السنة المقبلة » لمؤلفه الاستاذ فرناس ، الذي اشرنا اليه في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٣٦ ، وذلك تمهيداً للكلام على ما يرجى تركيبهُ في المستقبل : —

تبين لنا ان الخليقة قد قصرت بعض التقصير في خلق العجائن الكيمياوية . وثبت من قِدَم لعلماء الكيمياء ان هذه البلاد « يقصد المؤلف الولايات المتحدة ، وطنه » انما تعوزها مادة عجينية ، يتاح افراغها في كل قالب ، بحرارة غير مرتفعة . ثم تجميدها تجميداً حثيثاً ، على اشكال مختلفة تبقى الى الابد . على ان تكون العجينة المنشودة ، متينة ذات رواء ، تقاوم عوامل الصدإ والاحتكاك والذوبان والحرارة . ويفضل ان تكون رخيصة ولكن ما من شجرة من الاشجار تثمر ثمرة تتسم بتلك الصفات كافة . ولما توجد على وجه الغبراء مادة تحوي هذه الخصائص جمعاء . فلا يبعد ان يبتدعها في وقت ما احد السحّار او بالاحرى يولدها عالم كيمياوي في المخبار

ولقد نبغ فعلاً عالم كيمياويٌّ ألمانيٌّ وهو باير Baeyer ، وهذا كان مجهول الاسم في جُبلٍّ تراجم علماء الكيمياء اذ شرع في سنة ١٨٧٢ يعالج، غير عابئ، المواد التي تتولد من تكثيف الحامض الكاربوليك والفورمالدهيد . فاذا ما سُخّنت تانك المادتان المبتذلتان ، بعضهما مع بعض ، كونتا مادة عجينية راتينجية يتسنى صوغها . ومتى سلطت عليها الحرارة والضغط ، تصلبت فصارت كتلة برّاقة . فلم يسع باير الا بذل قصارى جهده في درس ذلك التفاعل الكيميائي ولكنهُ لم يحسّنهُ الى درجة صنع راتينج تجاري منهُ . وحذا حذوه بعض العلماء فجرّب تجارب شتى غير انهُ لم يتيسر لاحدهم صنع مادة جيدة تشبه كل الشبه الراتينج الطبيعي أي الكهرباء « الكهرمان » أو أرخص منهُ ثمناً . ولعلّ علماء الكيمياء العضوية الاقحاح[١] لم يرغبوا في قدح قرائحهم في مسألة تنحصر

---

(١) القح — وجمعه أقحاح — الخالص من كل شيء — يقال فلان كريم قح — واعرابي قح

فوائدها في التجارة. فوقفت أبحاثهم عند ذلك الحدّ وظلت أنواع الراتينج الصناعية غير موثوق بها، غالية ملآى بالعيوب

وكان اضطلاع باير بعمله ذلك، في السنة التالية لوقوف بسمارك في ردهة المرايا الفرنسية مملياً على فرنسا المقهورة وقتئذٍ، شروط الصلح المذلة مشفوعة بطلب غرامة حربية فادحة

ولم يتقدّم الراتينج الصناعي تقدماً محسوساً حتى ظهر في أوربا جيل جديد من «غذاء المدافع» وأوشك ذلك الجيل الذي لم ينس الخصام القديم، يتأهب للانفجار، وحينئذٍ جعل علمنا الوضعي والتطبيقي يتقدم تقدماً وئيداً فما حلت سنة ١٩٠٩ حتى نبغ كيمياوي أمريكي اسمهُ بايكلند Backland وهو عالم فاضل جداً (أصبح فيما بعد رئيساً للجمعية الاميركية الكيميائية) فتمّم طريقة باير وسمى المادة باكليت Bakelite فاشتهرت شهرة واسعة اذ تكاد تستعمل في كل تركيب يقتضي عزل الكهربائية. وتصنع من الباكليت الصواني والالواح والاقلام الخازنة للمداد «اقلام الحبر» وأغطية المناضد الاميركية، وقابض المظلات وعلب الجواهر والسجائر. ويدخل في صنع ادوات الطائرات وفي المناجم. ولا يبعد ان يكون مستعملاً في ادغال افريقية. وفي البلاد الاميركية في هذا الزمن مئات من انواع الراتينج الصناعي المختلفة. وقد بلغ عددها بحسب احدث الاحصاءات ١٢٠٠ نوع وكثير منها من نوع الدهيد فينول (phenol-aldehyde) حاصل من انحلال الالدهيد بفعل القلويات والهواء المشابه للباكليت، وغيرها من جوامد اليوريا. وبعضها مركب من الفرفرال الذي يستخرج من قوالح الذرة وقشور الزمير. واخرى مركبة من الجبنين الذي يربح الفلاحين من اللبن الزائد عندهم فينتفعون بهِ بهذه الوسيلة. ومنها راتينج الفنيل vinyl الذي يدخل في تركيبه الغاز الخلقي كمادة أولية. وبعضها يصنع من النفط. وغيرها من الجليسرين. والآخر قوامه الصمغ المرن (الكاوتشوك الطبيعي) فيتولد منهُ مادة اكثر رواجاً من كاوتشوك العصر الحالي الصلب

ومع ذلك فما من عجينة قد بلغت أوج الكمال، اذ جميعها أغلى مما يجب. لان المواد الاولية الداخلة في تركيبها ليست رخيصة. ونحن انما نحتاج الى مادة رخيصة يتسنى لنا بها تغطية حيطان الحمامات والمطابخ المتوسطة

***

وقد ذكرنا الباكليت في كتابنا (الصناعات والصناع) المطبوع في القاهرة في مارس ١٩٢٧ فقلنا في باب (منتجات الفحم الحجري) ما يأتي:

«ومن الفينول والكريزول والنفتالين وغيرها من منتجات قطران الفحم الحجري يحضر الكيميائيون في هذا العصر مواد كثيرة عجينية نافعة واعظمها الباكليت الذي سمّي باسم مستحدثهِ الاستاذ ل. ه. بيكلاند L. H. Backland الاستاذ السابق بجامعة غنت. والباكليت يستحضر من الحامض الكربوليك والفورمالدهيد. وباتحاد الباكليت

مع هاتيك المواد الراتينجية يسهل صوغه واحماؤه حتى يتصلب جداً بحيث يحتمل تأثير الحرارة والماء والغازات والاحماض والكهربائية. ولهذا السبب كثيراً ما يستعمل في صنع الآلات الكهربائية . ومن وجهة اخرى يتيسر تحويل الباكليت الى مادة شفافة تضارع الكهرباء الطبيعي (الكهرمان) . وقد تفضله متانة وطلاوة ولما كانت هذه المادة عديمة الرائحة والطعم غير قابلة للاشتعال ، استعملت بديلاً للكهرمان في صنع مباسم التدخين والخرز وما اليها من اشياء شتى ». وكثير من المركبات التي ركبت حديثاً ومنها ما ذكرناه آنفاً ، هي تحسينات للباكليت من جهة الثمن وقد جربت في صنع اطر النوافذ والابواب، فتبين انها لا تحتمل شدة الحرارة، اذ تلتوي في فصل الصيف . اذن لا توجد عجينة من عجائن الراتينج الصناعي بلغت المتانة التي نبغيها . فبعضها شفاف شفوفاً يذكر ، غير انهُ لا يصلح بديلاً للزجاج . وربما يحل احدها محله في مستقبل الزمن فتكون هي الزجاج المرن الذي تحدّث بشأنه الملأ منذ عهد حديث ولم يتمكنوا من اختراعه[1] وربما لا يوجد البتة عجينة راتينجية مركبة مستوفاة الشروط المبتغاة ولكن لا بدّ من ايجاد عجائن ، تكاد تستوعب مطالبنا .ومتى هبط الثمن وجاد الصنف ، دنونا خطوة من بيئة التركيب الكيميائي الكاملة التي تشمل كل شيء من شعارنا[2] الى السقوف التي نسقف بها بيوتنا . وهذا قد يصحبهُ بعض الانقلاب ، بيد انهُ ليس الانقلاب المنشود. ولا نستطيع معرفة مبلغهُ الا اذا جربناه

عوض جندي

مادة عجيبة

تحتم على متناولها الاقامة في الظلام

ان البحث عن طريقة لصنع مادة تشبه اليخضور (وهو اللفظ العربي المقترح لترجمة كلوروفل اسم المادة الخضراء التي في النبات) في تركيبها وفعلها افضى بالعلماء الى تركيب نحو سبعين مادة مختلفة لا تحقق الغرض ولكنها على كل حال متصفة بخواص غريبة جداً ومنها مادة حقن مقدار عشرة مليغرامات منها في حيوانات مختلفة فقضت على تلك الحيوانات ما زالت هذه المادة في دمها ان تلتزم الظلام وتبتعد عن الضوء فاذا اخرجت من الظلام وعرضت للضوء الباهر قضي عليها في بضع ساعات

ومن اغرب ما يذكر عن هذه المادة ان كيماوياً المانياً لم يحجم عن تجربتها في نفسه فأصيب بما اصيبت به الحيوانات التي جربت فيها من حيث اضطراره الى التزام الظلام فظل عشرة اشهر على هذه الحال اذا تعرض قليلاً للضوء تورم وجهه واصيب بألم شديد وسقط شعره ثم ضعف أثرها وأصبحت حياتهُ سوية

(١) صدر مؤلف الاستاذ فرناس (مائة السنة القادمة) قبل ظهور الزجاج المرن — أو الاين وقد وصفناه في مقالنا على الكيمياء الصناعية في مقتطف يناير سنة ١٩٣٧ (٢) الشعار — ما يمس الجسد من اللباس

علاقة عنصر البوتاسيوم بالحياة والنمو

أزل البوتاسيوم من مجرى الدم يقف القلب عن الخفقان

النظائر في علم الطبيعة لفظ يطلق على اشكال مختلفة من عنصر واحد تتشابه في خواصها وتختلف في وزنها الذري واذن تختلف في تركيب نواتها وهي ترجمة اللفظ الاعجمي Isotopes فالرصاص المألوف يشبه الرصاص الذي ينتهي اليه تحول الراديوم بالاشعاع ولكنهما يختلفان في وزنهما الذري فرصاص الراديوم يعرف بأنهُ « نظير الرصاص اى ايسوتوبه »

ولعنصر البوتاسيوم غير نظير واحد . وأحد هذه النظائر يعرف باسم بوتاسيوم ٤١ لهعلى ما يظهر من المباحث الكيمياوية والحيوية الجديدة صلة أية صلة بالحياة والنمو حتى لقد اثبت أحدهم انه اذا ازيل البوتاسيوم من مجرى الدم توقف القلب عن الخفقان

***

وعنصر البوتاسيوم من اعجب العناصر المعدنية التي لها صلة بالحياة ولا سيما بنمو انساج الاجنة الاَّ ان البوتاسيوم العضوي الذي يوجد في الجسم قوامهُ ثلاثة نظائر البوتاسيوم الموسومة بالارقام ٣٩ و ٤٠ و ٤١ . ومن المؤكد ان النظير ٤٠ ومن المرجح ان النظير ٤١ يقذفان « الكترونات » وهي اشعة بيتا و « جمات » او اشعة اكس

نعم ان الاشعاع الذي تقذفهُ ذرات هذين النظيرين يسير جدًّا ولكن ثبت ان في كل جرام من البوتاسيوم الذي في جسم الانسان يوجد ٢٢٥ ذرة تنحل بقذفها الاشعاعات المتقدمة الذكر

وهذا يعني انهُ لو حول ما يقذف من ذرات البوتاسيوم الذي في اوقية من لحم الجسم الى ضوء اخضر لكان اقوى خمسمائة ضعف من اضأل ضوء تستطيع ان تتبينهُ العين البشرية

اي انهُ لو تحول ما يطلق من بوتاسيوم الجسم من الاشعاعات الى ضوء أخضر لكنا نرى جسم الانسان وهو اشبه ما يكون بالهيكل المضيء . والذي لا يعلم حتى الآن هل لهذه الاشعاعات اية صلة بتأثير البوتاسيوم الحيوي

***

في الاجتماع الذي عقدتهُ الجمعية الكيمياوية الاميركية التي الدكتور كيث بروور Breuer احد علماء مكتب الكيمياء والتربية بوشنطن محاضرة في بحث جديد قام به هو واعوانه وغرضه معرفة وزن البوتاسيوم الذري في انساج الحيوانات لعل ذلك يفضي الى فهم صلة هذا العنصر بالحياة

كان العالم الالماني « زوارد ماكر » قد كشف انه اذا ازيل البوتاسيوم من مجرى الدم توقف القلب عن الخفقان . ثم وجد انه اذا وضع محل البوتاسيوم المزال من الدم مادة مشعة عاد القلب الى الخفقان . ثم وجد علاوة

على ذلك انه اذا عرض القلب لاشعاع مادة مشعة عاد الى الخفقان . ثم ايد الدكتور جاك لوب في معهد ركفلر الطبي هذه النتائج . ووجد في خلال بحثه ان وضع قدر من عنصر الكلزيوم في الدم بدل البوتاسيوم يعيد القلب الى الخفقان

***

بعد هذا اتجه التفكير الى التكهن . فقال الباحثون اذا كان للاشعاع هذا الشأن الكبير في خفقان القلب فلعل الشأن الاول فيما يخص البوتاسيوم انما هو لنظيره المشع أي للنظير ٤١

ومما عزز هذا الاتجاه تجارب جريت في مدينة براج عاصمة تشكوسلوفاكيا . فقد ثبت من هذه التجارب ان انتاش البزور يزداد باضافة نظير البوتاسيوم ٤١ الى المحلول الذي تروى بهِ . وانهُ اذا أُخذت مائة بذرة وظهر ان متوسط ما ينتش منها هو ٢٠ بذرة ثم أُضيف النظير ٤١ من البوتاسيوم او ذلك العدد زيادة كبيرة لا يسوغها الاحتمال الرياضي

ويؤخذ من مباحث الدكتور برور نفسه انهُ يلوح لهُ ان الجانب الاكبر من مقدار النظير ٤١ الذي في جسم مجتمع في انساج الجنين . وهو في إنخاع العظم اكثر منهُ في سائر انساج الجسم ويقل بتقدم سن الحيوان

ومما يستوقف النظر ان الحيوان اذا أُصيب بنوام سرطانية ظهر فيهِ مقدار من هذا النظير يزيد على المقدار السوي المألوف

سفن الهواء في المستقبل

رأي سيكورسكي

ايجر سيكورسكي روسي الاصل فرّ من روسيا عند وقوع الانقلاب البلشفي ورحل الى اميركا . وكان منذ صغره معنيًّا بصناعة الطيارات وصنع طائفة منها لحكومة روسيا القيصرية في اثناء الحرب الكبرى . ولكنهُ بعد كفاح عنيف في اميركا اصبح في مقدمة صانعي الطيارات في العالم وهو على ما نذكر اول من صنع الطيارة « الامفيبية » اي التي تستطيع ان تحط على الماء او اليابسة وقد دعيت بالامفيبية تشبيهاً لها بالحيوانات الامفيبية (البرئمية كما ترجمت في بيروت والقوازب كما يقترح الاب انستاس تسميتها) وهي التي تعيش جانباً من حياتها في الماء والجانب الآخر على اليابسة كالضفادع

وقد اعرب سيكورسكي عن رأيه حديثاً في مجلة مهندسي الطيران فقال انهُ يتوقع ان تكون طيارات الركاب سنة ١٩٥٠ ضخمة الحجم تزن الطيارة منها مليون رطل وتتسع لالف راكب . اما في السنوات الخمس المقبلة فينتظر ان تبلغ طيارات الركاب خمس الحجم الذي يتوقعهُ لها سنة ١٩٥٠ اي يبلغ وزن الطيارات نحو ٢٠٠ الف رطل وتبلغ سرعتها ٢٥٠ ميلاً في الساعة وهي تطير طيراناً متواصلاً على علو ٢٥ الف قدم فوق سطح الارض

العناصر في الشمس

بعد ما اكتشف العلماء المطياف تمكنوا بواسطته ان يعرفوا ما في الشمس من العناصر التي كشفت على الارض . وعدد العناصر الارضية كما هو معلوم اثنان وتسعون عنصراً . وقد كشف منها في مادة الشمس حتى الآن واحد وستون عنصراً هي كما يلي :

ايدروجين	منجنيس	انتيمون
هليوم	حديد	باريوم
ليثيوم	كوبلت	لانتالوم
بريليوم	نيكل	ساماريوم
بور	نحاس	برازيديليوم
كربون	خارصيني	نيوديليوم
نتروجين	جاليوم	سيريوم
اوكسجين فلور	جرمانيوم	اوربيوم
صوديوم	روبيديوم	جادلولينيوم
مغنيزيوم	سترنتيوم	دسبروزيوم
الومينيوم	كولومبيوم	اربيوم
سليكون	موليبدنيوم	توليوم
فصفور	روثينيوم	اتربيوم
كبريت	اتريوم	لوتيسيوم
بوتاسيوم	زركونيوم	هفنيوم
كلسيوم	روديوم	تنجستن
سكانديوم	بالاديوم	اوسميوم
تيتانيوم	فضة	اريديوم
فناديوم	كدميوم	بلاتين
كروم	انديوم	رصاص

طائرة « الريح الالهي »

من عجائب الطيران في العهد الأخير فوز الطائرة اليابانية المعروفة باسم « الريح الالهي » بالطيران من طوكيو الى لندن في ٩٥ ساعة والمسافة نحو عشرة آلاف ميل وهو من معجزات الطيران البعيد المدى . لانه يعني ان متوسط السرعة خلال أربعة أيام بلياليها بما فيها ساعات الوقوف زاد على مائة ميل في الساعة

*

هل تعلم

ان الفيلسوف ارسطوطاليس وصف مائة وسبعين طائراً في كتاباته العلمية

ان في جسم الطفل احدى عشرة عظمة أكثر مما تجده في جسم البالغ وذلك لان بعض العظام في الجمجمة والسلسلة الفقارية تكون منفصلة فيه ثم تلتحم

ان في جبال الالب نحو الفي نهر جليدي (ثلاجات)

ان ازدحام السكان في مصر كان في تعداد سنة ١٩٢٧ ألفاً وخمسة وأربعين نسمة في الميل المربع

ان على سواحل البحار المختلفة ٢٧٩ منارة لاسلكية ترشد السفن

ان الانسولين جرب في تخفيف حالة المصابين بالأزما فأفاد

ان الرومان القدماء كانوا يعتقدون ان الاكثار من أكل الكرنب يطرد المرض على نحو ما يعتقد الانكليز وغيرهم في هذا العصر من ان أكل تفاحة كل يوم يقصي الطبيب

الالوان واقبال الامم عليها

أو نفورها منها

جاء من مقال نشر في مجلة هاربرز الاميركية ان الامم تختلف في ميلها الى مختلف الالوان . فمن العبث ان يسعى البائع الى بيع سيارة في اليابان مدهونة باللون الاحمر لان ذلك مناف للذوق الياباني . وقلما نرى في انكلترا سيارة مدهونة باللون الاخضر لان العامة تتوهم ان سيارة بهذا اللون شؤم على صاحبها ومن يركبها . وفي الصين يعتبر اللون الابيض لون الحداد . وتروى رواية عن شركة لبيع البنزين في الصين جعلت لون محطاتها ابيض فأفلست

*

تسمم الدم

بعد حرق شديد

يؤخذ من بحث القاه الدكتور هدل روي روزنتال في مؤتمر جمعية علماء المناعة الاميركيين ان تسمم الدم الذي يحدث على اثر حرق شديد، يحدث في بعض الاحيان صدمة قوية قد تفضي الى الوفاة . وان هذا التسمم سببه تولد مادة سامة في الجسم على اثر الحرق وقد تمكن من عزلها في اجسام المحروقين ووجد كذلك في اجسام المصابين الذين شفوا مواد مضادة للتسمم بها

وفعل المادة السامة يأتي عن طريق تأثيرها في جدران الاوعية الدموية فتجعلها قابلة لاختراق سائل الدم لها فيتسرب من الاوعية الى خارجها فيبطىء انسياب الدم في الاوعية الدموية الدقيقة

غرائب الحمام الزاجل

٧٢٠٠ ميل في ٢٤ يوماً

في ١٥ اغسطس سنة ١٩٣١ اطلقت في أراس بشمال فرنسا حمامة من الحمام الزاجل وكان الغرض من اطلاقها امتحان قدرتها على الرجوع الى بلدة سايجون في بلاد الهند الصينية والمسافة بين أراس وسايجون ٧٢٠٠ ميل . فوصلت هذه الحمامة الى سايجون في ٩ سبتمبر سنة ١٩٣١ اي بعد انقضاء اربعة وعشرين يوماً على اطلاقها في آراس ففاقت بذلك كل ما عرف عن الحمام الزاجل من هذا القبيل . ذلك ان قصب السبق في هذا المضمار كان لحمامة اطلقت في بلدة كاراكاس بفنزويلا فعادت الى بروكلين بنيويورك والمسافة بينهما ٢٢٠٠ ميل . واطلقت حمامة اخرى من فالنسيبورو بولاية ماين الاميركية فعادت الى عشها في بلدة سانت انطونيو بولاية تكساس والمسافة بينهما ٢١٠٠ ميل

*

اختلاف مقاومة الجسم

للميكروبات بين الشتاء والصيف

قرىء تقرير في اجتماع جمعية الباثولوجيين والبكتريولوجيين الاميركيين وضعهُ الدكاترة للي درابر وارمسترونغ وباسترناك من اطباء المعهد القومي الصحي الاميركي جاء فيه انهُ ثبت لهم من تجارب جربوها في الفئران أن الجسم أنشط في مقاومة الميكروبات في فصل الشتاء منهُ في فصل الصيف

مصل للنزلة الرئوية

افعل من المصل المستعمل الآن وأرخص

وصف الدكتور روفوس كول احد اطباء المستشفى في معهد روكفلر الطبي بنيويورك في مؤتمر عقده القائمون على شؤون الصحة العامة في اميركا الشمالية طريقة جديدة لصنع مصل للنزلة الرئوية (النومونيا) أفعل من المصل المستعمل الآن وأرخص

ولباب هذه الطريقة استعمال الارانب بدلاً من الخيل لتوليد المصل في دمها

وعنده ان المصل الجديد المولد في دماء الارانب أفعل من المصل المولد في دماء الخيل لان جزيئات المواد الكيمياوية المعروفة باسم الاجسام المضادة أصغر في مصل الارانب منها في مصل الخيل. وهي بذلك اقدر على التغلغل في انساج الجسم ومكافحة ميكروبات النزلة الرئوية

ولا يخفى ان القدرة على مكافحة ميكروب النزلة الرئوية (نوموكوكوس) يتوقف على وصول مقدار كاف من هذه «الاجسام المضادة» الى الجسم لتمد بالمعونة «الاجسام المضادة» المتولدة في الجسم نفسه

*

تثليث الزوايا

اكد الرياضيون من اقدم الازمان ان تثليث الزوايا مستحيل. ومع ذلك عرضت طريقة على احد اساتذة الرياضيات بجامعة كولومبيا لتثليث الزاوية، وكان عارض هذا الحل فتىً في الحادية عشرة من العمر فاضطر الاستاذ ان يشتغل ثلاثة اسابيع قبل ان يتبين موقع الخطأ في الحل المعروض عليهِ

*

قياس سيل اللعاب

جربت تجارب من عهد قريب غرضها فهم البواعث التي تحمل غدد اللعاب على افراز لعابها. فصنع جهاز لقياس مقدار اللعاب الذي يفرز في احوال مختلفة، وتقدم احد المتطوعين لتجربة التجارب فيهِ. فلفظت امامه اولاً كلمة «كعكة» فسجل الجهاز افراز مقدار يسير من اللعاب. ثم عرضت عليهِ صورة فوتوغرافية سوداء وبيضاء لكعكة فزاد مقدار ما افرز من اللعاب. ثم عرضت عليهِ صورة فوتوغرافية ملونة لكعكة فزاد مقدار ما افرز من اللعاب على ما تقدم. ثم عرضت عليهِ كعكة حقيقية، فاذا الجهاز يسجل سيل مقدار كبير جداً من اللعاب في الفم

*

تعليم الزراعة بالقدوة

تجري الهند الآن على خطة رشيدة في تعليم الزراعة لجماهير الشعب وذلك باقطاع اراضٍ لخريجي الكليات الزراعية بها يحرثونها ويستغلونها فينشروا بالقدوة القواعد الزراعية العصرية بين طبقات الزراع الهنود



الثورة العرابية والاحتلال الانكليزي

تاليف الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

مطبعة النهضة : سنة ١٣٥٥ وسنة ١٩٣٧ : عدد الصفحات ٥٨٣

لعلّي احد الافراد القلائل الذين أتيح لهم استيعاب أغلب ما كتب عن الثورة العرابية . حتى لقد بلغ من فرط شغفي بذلك وشدة حرصي عليه أنني مرضت من بضع سنين مرضاً — ظُنّ انهُ مرض الموت — فكان آخر ما فكرت في أن أتزود بهِ بعد كتاب الله الكريم ، هو قراءة محاضر التحقيق مع الثوار للمرة الثانية قراءة تحقيق وتدقيق كأنها ستكون بعض سؤال الملكين

لقد كانت الثورة العرابية حركة قومية ونهضة وطنية — ما في ذلك أقل شك ولا أدنى ريب — ولعل قلب مصر لم يخفق في القرن التاسع عشر من عهد محمد علي الا عند ما بلغت تلك الثورة أشدها، واستوت على سوقها، وأوشكت ان تؤتي أكلها . فقد تنبهت الخواطر ، وازدهر الشعور الوطني . ونمت الحركة الفكرية . وسادت الحمية المصرية ، واستثيرت الهمم الفاترة ، واستحثت العزائم الخائرة . فتحركت النخوة في النفوس ، وذكت الحماسة في الصدور ، وعلم من لم يعلم أن مصر قد عرفت ما لها من الحقوق الى جانب ما عليها من الواجبات . وانها كادت تتبوأ مكانها اللائق بها بعد ان سلبتهُ مراراً بغياً وظلماً . فبعد ان كان السبب المباشر للثورة تذمر الضباط الوطنيين من سوء معاملة رؤسائهم من الشراكسة والاتراك ، وعدم مساواتهم بهم في الترقي الى المناصب الرئيسية تطورت الى المطالبة بتحسين حالة الجيش، وزيادة عدده، وتأليف مجلس نيابي على احدث النظم، ثم انقلبت الى شعور مرير من التدخل الاجنبي في شؤون البلاد، وضرورة وضع حد لذلك . ومن يدري ما كان يكون لو تحققت هذه الآمال ولم تقف انكلترا — بمؤازرة فرنسا وتردد تركيا وضعف الخديوي — حجر عثرة في سبيلها . فأغلب الظن انهم كانوا يطالبون بالانفصال عن تركيا وتحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان

ولو قيضت الاقدار النجاح لتلك الثورة ولم تتألب عليها جميع العوامل الداخلية والخارجية لبقي عرابي زعيم الزعماء الى أبد الآبدين — ولكننا اليوم بصدد الاحتفال بالعيد الذهبي لاقامة تماثيله في مختلف الانحاء — ولكنهُ أخفق ويا للاسف وأخفقت معهُ امانيه

والناسُ ، من يلقَ خيراً ، قائلون له ما يشتهي ، ولأُمّ المخطئ الهبلُ

ومن ثمّ اصبحت الثورة وبالاً على مصر وعلى السودان ، وعلى القومية والوطنية والاخلاق جميعاً . وكان وما زال المؤرخ المصري يتحرج من الكتابة عنها بشجاعة وحرية وصراحة لعدة اسباب ، ليس اقلها شأناً كونها تتعلق بأسلاف الكثيرين من كرام المواطنين — جلهم أعزة على المصريين — على ما سلف من آبائهم ، فحسبهم انهم في موقفهم يتشبهون الى حد ما بالخيرة من الصحابة الذين انحدروا من اصلاب أئمة الكفر

ولكن المؤرخ المحقق والوطني العامل الاستاذ الجليل عبد الرحمن بك الرافعي ، فرع الدوحة الرافعية النبيلة ورث فيما ورث عن جده الاكبر — عمر الفاروق — أنهُ لا يخشى في الحق لومة لائم — فوفق الى أبعد حدود التوفيق في تأريخ الحركة القومية بعد أن درسها درس العالم الخبير وألمّ بموضوعاتها الماماً ما انبغى لاحد من قبله — وبلغ الغاية في كتابه الاخير (الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي) حيث ابرزه في مجلد ضخم بلغت صفحاته نحو السمائة وضمنهُ مقدمة وتسعة عشر فصلاً هي خير ماأخرج للناس في موضوعها ، فقد احاط بمقدمات الثورة واسبابها واشخاصها ووقائعها ونتائجها ، بحيث اصبح سفره سجلاً تاريخيًّا وافياً لجميع الحوادث والاحداث التي نزلت بمصر من ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ الى يوم ٢ يناير سنة ١٨٨٣ ، وبعبارة أخرى من أول عهد الخديوي توفيق الى ان صدر آخر حكم على آخر من حوكم من الثوار

ولقد عني الاستاذ الكبير بترتيب الحوادث وتسلسل التواريخ وتنسيق الوقائع ، عناية من شأنها أن تيسر لاقل الناس ادراكاً تفهم هذا الدور الدقيق من تاريخ البلاد . فذكر أن عوامل الثورة ترجع الى اسباب خاصة وأخرى عامة . وقسم هذه الاخيرة الى سياسية واقتصادية واجتماعية — وهذه وتلك أصدق ما كتب في هذا الصدد — وأسهب في التكلم عن ميلاد الثورة وطفولتها وشبابها وشيخوختها ، ومختلف الوزارات التي عاصرتها ، وما قامت به كل منها من ضروب الاصلاح والافساد . مبيناً في انصاف المؤرخ ما لها وما عليها دون ان يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ احصاها . وتناول الكلام — اثناء ذلك — على دستور سنة ١٨٨٢ ، وتدخل الدولتين الانجليزية والفرنسية في شأنه وما ترتب على هذا التدخل . وشرح ما قام به مجلس النواب في دورته القصيرة — الاولى والاخيرة — من جلائل الاعمال . ثم ما تلا انفضاضه من ظهور الفتن ، وتتابع الاحداث من اغراء العداوة والبغضاء بين الخديوي والثوار ، الى (مذبحة ١١ يونيه) ، وعقد مؤتمر الاستانة ، وضرب الاسكندرية ، وانضمام الخديوي الى الانجليز ، وعزل عرابي ، واعلان هذا الاخير بدوره عزل الخديوي وعدم طاعة أوامره . والمعارك الحربية التي دارت من ذلك التاريخ حتى انهزام الجيش المصري في موقعة التل الكبير ،

وما كان من موقف الأمة من كل ذلك التاريخ بالتفصيل والايضاح . وتسليم العرابيين ومحاكمتهم والحكم عليهم وما عقب ذلك من الانحلال الخلقي الشائن المروع ، حيث ساد البلاد جو قاتم من الدس والسعاية والوشاية مما يعف القلم عن الخوض فيه . ثم تناول في أدب العظماء ودقة العلماء ولباقة الزعماء تحليل شخصيات زعماء الثورة ، وأنصفهم غاية الانصاف ، فلم يستشهد على رأيه فيهم الاّ بأقوال أصدقائهم . وهذا هو منتهى العدالة . وأخيراً تكلم عن اسباب اخفاق الثورة كلاماً أوتي فيه الحكمة وفصل الخطاب

والخلاصة ان الاستاذ المؤرخ قد افتنّ في بسط الاسباب ، واستخلاص النتائج ، وتحليل الشخصيات ، والتعليق على الحوادث ، وايراد أصدق الشواهد ، وأعدل المصادر وأنضج الآراء . كل هذا بأسلس عبارة وأبلغ بيان وأصدق برهان بحيث لم يدع محلاً لنقد الناقد أو زيادة لمستزيد

ومن عجب أنني حاولت أن أقتبس بعض ما أعجبت به من آرائه القيمة كتعليقه على موقف تركيا (ص ١٩٦ و ٣٢٤) ، ومؤامرة الضباط الشراكسة (ص ٦٦٢) ، وموقف الخديو (ص ٢٧٠) ، ومذبحة الاسكندرية (ص ٢٩٨) والوطنية المصرية (ص ٣٦٢) ، وجهل عرابي (ص ٤٣٢) ، وشرعت في ذلك بالفعل ولكن لم أجدها خيراً من باقي الكتاب والفيتني بعد مضطراً أن أنقل الكتاب كله للقراء ، والاّ فلن أستطيع أن أوفيه حقه ولا بعض حقه

وبعد فقد أحسن عبد الرحمن بك الرافعي الى الأمة والى التاريخ بتلك السلسلة الرائعة عن الحركة القومية وأخصها كتاب الثورة العرابية . ولا أدري هل يجدر بالمصري الذي لا يقتنيها باعتبارها أدق المواقف في ماضي بلاده القريب ، وأكثرها خطورة وحساسية ، أن يفاخر بمصريته !! ففي الحق انهُ من العار ان يعيش مصري مثقف في هذا العصر وهو يجهل المآسي التي مثلت على مسرح البلاد في القرن الماضي

وفي الحق ايضاً ان اطالب الاستاذ الجليل بأن يتفضل باعادة طبع تلك السلسلة الثمينة طبعة متواضعة لتكون في متناول ايدي المتوسطين والفقراء الذين يريدون ان يطلعوا على كل شيء وهم لا يكادون يملكون شيئاً

بقي انني لم اعرف الاّ من هذا الكتاب ان رفات شهدائنا في موقعة التل الكبير لم تضمها مقبرة ظاهرة حتى اليوم ، في حين ان الانجليز قد كرموا قتلاهم بها . وذكرني ذلك بما علمته وأنا بكردفان بالسودان أن رفات شهدائنا في مذبحة هكس باشا لا تزال أكداساً مكدسة في شبه تلول لم يعنَ بدفنها احد للآن . وأظن انهُ قد آن الاوان لان تعني الامة في عهدها الجديد بهؤلاء وأولئك

حامد القرضاوي
مؤلف (ضحايا مصر في السودان)

الفن في مصر في عصر البطالسة

للدكتور ابراهيم نصحي

The Arts in Ptolemaic Egypt. by Dr. Ibrahim Noshy.

كتاب جديد ، ولكنهُ ليس كغيره من الكتب . فموضوعه طريف لم يؤلف فيهِ مصري قبل اليوم . وطبعهُ أنيق يشعر بما للقائمين على مطبعة جامعة اكسفورد Oxford University Press من ذوق جميل وخبرة واسعة . اما المؤلف الدكتور ابراهيم نصحي فمن خيرة شبابنا المثقف ومن هيئة التدريس في كلية الآداب . وقد كان كتابهُ الذي نحن بصدده الآن الرسالة التي تقدم بها للحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن . وحسبك تزكية لهذا المؤلف ان رحب به ناشرو جامعة اكسفورد ويأخذوا على عاتقهم اصداره في هذه الحلة القشيبة

ولا ريب في ان الدكتور نصحي كان موفقاً كل التوفيق في اختيار هذا الموضوع ، لاتصاله بثقافتنا الفنية اولاً ، ولان علماء الآثار ومؤرخي الفنون اقبلوا على دراسة الفن الفرعوني او الفن الاغريقي ، ولكن ندر من بينهم من وقف جهوده على بحث نتائج الجوار بين اساليب هذين الفنين على يد البطالسة في وادي النيل

فكلنا نعرف ان تقسيم امبراطورية الاسكندر بعد وفاته كان من نتائجهِ ان آلت مصر الى بطلميوس احد قواده يحكمها معترفاً بوريثي الاسكندر وهما اخوه غير الشقيق وابنهُ الصغير . وتولى بطلميوس حكم مصر سنة ٣٢٣ ق . م فعمل على الاستقلال بامرها حتى استطاع ان يتخذ لقب الملك سنة ٣٠٥ ق م فأسس بذلك أسرة البطالسة المقدونية الاصل وهي التي ظلت تحكم مصر حتى هزم الرومان كليوبطرة في واقعة اكتيوم سنة ٣١ ق . م فأصبح وادي النيل جزءاً من الامبراطورية الرومانية .

ومع ان البطالسة كانوا اغريقاً في حياتهم الخاصة ، وظلت الصبغة الاغريقية تسود بلاطهم في الاسكندرية ، فقد عملوا على التقرب الى المصريين بتقليد فراعنتهم القدماء والاخلاص لآلهتهم الوطنية وتشييد ما هدمهُ الفرس او تطرق اليهِ الدمار من المعابد القديمة ، مقلدين في اصلاحاتهم او عمائرهم اساليب الطراز المصري القديم في العمارة والنحت والزخرفة كما تشهد بذلك معابد فيلة وادفو ودندرة واسنا وكوم امبو . وقصارى القول ان حضارة البطالسة كانت اغريقية الاصل ولكن سياستهم الدينية كانت تتطلب احياء الفن الفرعوني القديم بوصف كونه اداة الديانة القديمة واكبر ممثل لها . ومن ثمّ فان الجمع بين اساليب الفنين الاغريقي والفرعوني جمعاً يعتبر صدى للاتحاد السياسي الذي كادت تحققه احلام الاسكندر وامبراطوريته ، نقول ان هذا الجمع لم يسع

اليه البطالسة دائماً بل انهم كانوا لا يرحبون به ، رغبة منهم في ان يثبتوا بأساليب الفن الفرعوني القديم انهم ملوك شرعيون لدولة عريقة في القدم والحضارة وليسوا حكام اقليم يخضع لبلاد الاغريق ويتخذها قدوة واماماً . وهكذا نرى ان سياسة البطالسة الخارجية وسياستهم الدينية تآزرتا في نهج منهاج المصريين القدماء واحياء الاساليب الفنية التي كانت سائدة في عصر النهضة المصرية قبل ان يغزو الفرس وادي النيل

ولكن على الرغم من ارادة البطالسة أنفسهم فان تيار الثقافة الاغريقية غمر مصر كما غمر سائر اقطار الشرق الأدنى فأصبح الفن في عصر البطالسة مزيجاً من الاساليب الفرعونية والاساليب الاغريقية ، وأثر فيه كل التأثير ما عرف عن الفن الاغريقي في النحت من حرص على دقة تصوير أجزاء الجسم وعناية بأظهارها على حقيقتها

والدكتور نصحي يبسط لنا في كتابه التأثيرات الاغريقية والتأثيرات الفرعونية في عمارة البطالسة وفي نحتهم . فيبدأ بمقدمة عامة يدرس فيها حالة سكان مصر في عصر البطالسة وهم الذين يعتبر الفن في هذا العصر مرآة لهم ومعبراً عن حضارتهم . ويبين المؤلف أن تغير الظروف السياسية منذ نهاية القرن الثالث قبل الميلاد أضعف الروح الاغريقية في مصر الى درجة محدودة ويرى ان هذا لم يكن نتيجة امتزاجهم بمصر او تأثرهم بشيء منها بل نتيجة تحول الروح الاغريقية في وسط جديد وتحت ظروف جديدة (ص ١٤) ويستخدم المؤلف في التعبير عن هذا القول عبارة للاستاذ روستوفتزف Rostovtzeff . ونحن لا نرى رأيهما في هذا الميدان لاننا نقول بأن ذلك الوسط الجديد وتلك الظروف الجديدة ترادف تماماً امتزاج الاغريق بمصر وتأثرهم بها . وعلى كل حال فان الدكتور نصحي يشرح من ناحية أخرى تأثير الاغريق في المصريين ويبين ان بعض المصريين تعلم الاغريقية واتخذ اسماء الاغريق وملابسهم وغير هذا من المظاهر ولكن ظلت الاكثرية الساحقة من الشعب مصرية حتى الصميم

***

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى الكلام عن العمارة بادئاً بالقبور عند الاغريق وعند الفراعنة وعند البطالسة فنراهُ يدرس خصائص كل منها في دقة علمية كبيرة ثم يقارن بينها ليصل الى النتائج التي يثبتها في آخر هذا القسم من كتابه وهي ان قبور المصريين في عصر البطالسة كانت مصرية الطراز غير متأثرة بالفن الاغريقي ولكنها كانت فقيرة يندر وجود المعابد فيها ولا يعنى ببنائها ولا تزخرف منها الا الاضرحة والتوابيت ويكثر فيها دفن عدد من الموتى في مقبرة واحدة . غير انهُ من الصعب ان تقابل هذه القبور بمدافن المصريين القدماء الذين كانوا اكثر مالاً واعظم قوة وكانوا السادة الحقيقيين في بلادهم

ويتبع الاستاذ نصحي نفس الطريقة العلمية السديدة في درس المساكن عند الاغريق وعند الفراعنة وعند البطالسة فيظهر اطلاعه الواسع والمامه الوافي بأطراف الموضوع ويصل الى ان البيوت في عصر البطالسة ظلّت اما اغريقية وإما فرعونية ، فأهل الاسكندرية كانت لهم بيوت من طرازين : الاول يشبه البيوت التي عرفت في القرن الثالث قبل الميلاد بمدينة بريين Priene والثاني يشبه البيوت التي عرفت في القرن الثاني قبل الميلاد بجزيرة ديلوس . ويظهر انهُ كانت هناك بيوت اغريقية في مدينة بطولمايس بمصر العليا وفي بعض مدن الفيوم وفي نقراطيس . بينما كان المصريون والاغريق يتخذون في سائر المدن المصرية بيوتاً مصرية تشبه التي عثر على انقاضها في تل العمارنة

***

ثم يأتي دور المعابد فيذكر الدكتور نصحي ان البطالسة شيدوا بعضها لآلهة الاغريق كما شيدوا لآلهة المصريين القدماء ، ولكن لسوء الحظ لم تصل الينا اي آثار خطيرة لمعبد اغريقي الطراز وان تكن قد وصلتنا بقايا معبد من الطراز الدوري Doric ويظهر انهُ كان اغريقيًّا بحتاً كما وصلتنا ايضاً بقايا عناصر معمارية عليها طابع مدينة الاسكندرية المحلي ولكنها رغم ذلك من شتى الطرز اليونانية

ويبيّن المؤلف ان المعابد المصرية في عصر البطالسة كانت مصرية التصميم والعمارة والزخرفة وانها تمتاز بظاهرتين : الاولى نوع الاعمدة ذو الطراز المركب ويرى الدكتور نصحي انهُ طراز قديم اهتدى اليه المصريون انفسهم في عصر سايس اي في عصر النهضة التي تلت سقوط الدولة الحديثة . والظاهرة الثانية هي الجدران التي يسمونها الحاجزة او الساترة screen-walls or curtain walls وقد اظهر المؤلف انها ليست من اختراع البطالسة بل عرفتها قبلهم الدولة الحديثة في الكرنك ومدينة حابو كما عرفتها الاسرة الثلاثون في مدينة حابو وفيلة . ويمكن تفسير استخدام هذه الجدران الحاجزة ذات النوافذ بالرغبة في ادخال قدر كبير من الضوء والهواء الى داخل المعبد

ويصل المؤلف في هذا الفصل الى نتيجة هامة جدًّا . وهي ان العمارة الدينية في عصر البطالسة كانت في الغالب اما اغريقية بحتة وإما مصرية بحتة وان المزج بين الطرازين لم يتجاوز بعض تفاصيل الزخرفة . وهذا يخالف المعروف حتى الآن . وعلى الرغم من الادلة القوية التي يسوقها الدكتور نصحي فاننا لا يسعنا ان نسلم بها على طول الخط قبل ان يتاح لنا درس الكتاب كله درساً وافياً والاطلاع على الأثر الذي يحدثه في اوساط علماء الآثار ومؤرخي الفن ممن هم أوثق منا اتصالاً بهذا العصر من تاريخ الفن المصري

أما عن النحت فقد ضمن المؤلف كتابه دراسة ممتعة أظهر فيها الصبغة الاغريقية التي سادت اكثر منتجات المثالين في الاسكندرية كما سادت نقوش العملة في عصر البطالسة بينما كانت التماثيل المصرية في سائر انحاء البلاد مصرية الطراز . وان تكن هناك حالات يلاحظ فيها محاولة المزج بين الطرازين الاغريقي والفرعوني . ثم أظهر الزميل الفاضل ما أصاب النحت في الاسكندرية منذ ابتداء القرن الثاني قبل الميلاد حين انقطع سيل المهاجرين الاغريق وحين تعصب البطالسة للمصريين وازدادوا في التقرب منهم بل وذهبوا الى حد اضطهاد الاغريق فقل طلب التماثيل الاغريقية وانحطت صناعتها

وهكذا نرى ان الدكتور نصحي يبشر في كتابه الجديد بآراء لها خطرها ويمكن تلخيصها في ان الفنين الاغريقي والفرعوني احتفظ كلاهما بذاتيته في عصر البطالسة وان محاولات المزج بين هذين الطرازين كانت قليلة وغير موفقة حتى ليمكننا اعتبارها انعكاس اهواء فردية او ذوقاً فنيًّا غير ناضج . ولسنا اليوم بصدد مناقشة هذه الآراء فاننا — وان كنا نهتم بكل ما يمس تاريخ الفنون المصرية — لا نملك حق الحكم على ابحاث احد الاختصاصيين في عصر من العصور قبل ان نلمّ بأطراف الموضوع ونستنير باقوال غيره من الاختصاصيين

ولكن الدكتور نصحي يستحق على هذا المؤلف الثمين وعلى صوره البديعة وآرائه الخطيرة وطريقته في البحث والتدليل كل الحمد والثناء وحسبنا انهُ مصري يساجل علماء الآثار الحجة بالحجة ويدفع ما نتهم بهِ من اننا قوم لا تقاليد فنية لنا ولا يمكن ان تجذبنا دراسة الفنون والآثار

زكي محمد حسن
أمين دار الآثار العربية

كتاب الوراثة

تأليف الدكتور احمد فاضل الخشن — مدرس الوراثة وتربية الحيوان بكلية الزراعة
٣٥٠ صفحة قطع المقتطف — دار النشر الحديث

من الامور المسلم بصحتها ان الأولاد يشبهون والديهم ، ولكن هذا الشبه لا يتناول جميع الخواص والصفات ، بل هناك تباين كبير ، يصدق هذا القول على النبات والحيوان صدقهُ على الانسان . والعلماء الذين انقطعوا لدراسة الوراثة غرضهم الوقوف على الأسلوب الذي تجري عليهِ الطبيعة في احداث هذا التشابه العام وهذا التباين الخاص ، وهو موضوع يستهوي العقل من ناحيتهِ النظرية ، لان العقل الانساني يتطلع أبداً الى كشف المجهول . وكل كائن حيّ اذا

نظرنا اليهِ من حيث مشابهتهِ لوالديهِ او تباينهِ عنهما لغزٌ يمضُّ العقل ويستنفره الى البحث والفهم . ثم انهُ موضوع لهُ نواحيهِ العملية في تحسين النبات والحيوان . اذ ليس هناك ما يحول دون تجربة التجارب وتطبيق المكتشفات عليهما . وأما في ما يخص الانسان فسيبقى هذا التطبيق متعذراً الى ان تبيحهُ طبيعة الاجتماع البشري

حاول الباحثون في القرون السابقة محاولات عديدة غرضها ازاحة الستار قليلاً عن أسرار الوراثة ، ولا سيما وراثة بعض الصفات الظاهرة ، كلون العين ، والنزف الوراثي ، وما يعرف « بشفة هبسبرج » . وبعد ما قضى دارون سنين في دراسة ناحية واحدة من الموضوع قال : « ان جهلنا بقوانين الوراثة وأصل الانواع جهل بالغ » ومات وأسرار الوراثة لا تزال محجبة عنهُ

ولسنا نقول ان اسرارها قد أبيحت جميعاً لعلماء اليوم. ولكننا بدأنا نفهم الاساليب التي تجري عليها الطبيعة في احداث التشابه والتباين بعض الفهم ، وذلك بفضل البحوث التي قام بها عشرات بل مئات من العلماء . يتبادر الى الذهن منهم مندل وڤيسمن ده فريز ومورغن

كان الرأي الغالب الى مطلع القرن العشرين ان البيئة مردُّ التحول البطيء المتدرج في الاجسام الحية ، الذي يفضي على مرّ الزمن الى خلق انواع جديدة من الكائنات الحية . ولكن هذا التفسير لم يكن مقنعاً كل الاقناع . فقد عرف من اقدم عصور التاريخ ان الصينيين كانوا يضعون اقدام اناثهم في قوالب لابقائها صغيرة . ولكن ذلك لم يفض بعد إبطال هذه العادة الى توريث الاجيال الجديدة من الصينيين اقداماً صغيرة

ثم عثر العلامة الهولندي ده فريز على نوع جديد من زهر الربيع نامياً نموًّا بريًّا في حقلٍ خارج امستردام . فأخذهُ وجرب تجاربهُ فيه فوجدهُ يتناسل تناسلاً صريحاً . فقال هو ذا دليل على ان النوع الواحد من نبات يستطيع ان يخلف فجأة نوعاً جديداً قائماً بذاتهِ فدعا ذلك بالتحول الفجائي mutation

فكان القول بالتحول الفجائي الحافز الى اسلوب جديد من البحث في الوراثة . وهو اسلوب مناسلة الاحياء ومراقبة ما يحدث فيها من التحولات الفجائية . فانتقل التطور والوراثة ، بهذا الاكتشاف الى ميدان البحث التجريبي الخاضع للقياس والاحصاء والمراقبة

فلما اقبل توماس هنت مورغان الاميركي ، على هذا الاسلوب سنة ١٩٠٩ وكان في الثالثة والاربعين من عمرهِ ، انفتح امام علم الوراثة باب واسع ، دخل منهُ الى باحة النظرية «الصبغية» (الصبغيات جمع صبغيّ هي الكلمة العربية التي وضعها مجمع اللغة العربية الملكي للفظ كروموسوم الاعجمي) ، والنظرية الجريثيمية (جريثيمة وجمعها جريثيمات كلمة مقترحة لتأدية معنى genes وهي

عوامل الوراثة التي تتألف منها الصبغيات بحسب نظرية مورغن) والنظريتان معاً هما الاساس الذي يقوم عليهِ علم الوراثة في حالتهِ الحاضرة

وليست النظريتان مما يسهل وصفه او تلخيصه في كلمات، وقد نشرنا في مقتطف ١٩٣٢ سلسلة من المقالات للدكتور شريف عسيران بسّط قواعدها ونواحي تطبيقها. ومع ذلك لم يكن البحث بسيطاً الاَّ في نظر من كان ملمًّا بعلوم الاحياءِ الاساسية

ومن بضع سنوات، دخل بحثَ الوراثة اسلوبٌ جديد، لسنا نعلم ما يكون اثرهُ، ولكننا نعلم ان الاثر لن يكون يسيراً. وهذا الاسلوب، هو الكشف عن ان اشعة اكس تكثر حدوث التحوّلات الفجائية، فيتاح كذلك للباحث اخضاع البحث في التحوّلات الفجائية لسيطرتهِ، وهي التي كانت لا يؤثر فيها لا ضغط ولا بردٌ ولا حرٌّ

هذه المباحث العلمية الدقيقة الطريفة، هي مدار هذا الكتاب العلمي النفيس الذي عني بوضعهِ عالم مصري طلب علم الوراثة على احد اساطينهِ المعاصرين ونعني الاستاذ كرو واليهِ اهدي الكتاب. وقد بدأه بمقدمة تاريخية اجمل فيها اهم التعاريف في علم الوراثة وأساليب دراسة الموضوع وما لهُ من الشأن العلمي. ثم وقف الابواب الثلاثة التالية على مباحث مندل في الوراثة وملابساتها، ومندل هو الراهب التشكوسلوفاكي الذي اكتشف قانوناً من قوانين انتقال الصفات الوراثية في العقد السابع من القرن الماضي وطواه في رسالة، لم ينتبه لها الاَّ في مطلع القرن العشرين. ثم شرع المؤلف بعد ذلك في بحث الاساس المادي للوراثة، اي الصبغيات والجريثيات وكيف تجتمع وكيف تفترق. وكيف تحدث في اجتماعها وافتراقها الصفات الوراثية المختلفة او التحولات الفجائية التي تحدث التباين

والموضوع من اولهِ الى آخرهِ علميٌّ دقيق، ولذلك عني المؤلف باكثار الرسوم والصور والجداول مبالغة في ايضاح المعاني، ومع ذلك لا يمكن ان يقال ان هذا الكتاب في متناول كل احد يريد ان يفهم ما الوراثة وما اساليبها وما تفسيرها، ولكنهُ وضع خاصة على ما يظهر لطلاَّب هذا العلم

الاَّ ان فيهِ بعض فصول اقرب الى تناول الجمهور من غيرها كوراثة الصفات المكتسبة (١٢) ووراثة الامراض والعيوب الجسمية (١٣) والفصل الاخير الخاص بموضوع العلاقة بين الآباء وتأثيرها في الابناء ... الخ

ولسنا ندري لماذا استعمل المؤلف لفظ «التصنيف» ترجمة للفظ Variation الانكليزي، وقد سبق استعمال تباين وتغاير وهما أدلُّ على المعنى. واما تصنيف فقد استعمل في اللغة العربية ترجمة للفظ Classification

المختار

للاستاذ الشيخ عبد العزيز البشري

ليس بين قراء الصحف والمجلات وطلاّب الادب العربي وعشاق الفصحى من يجهل اسم الاستاذ الشيخ عبد العزيز البشري أو من لم يقرأ لهُ مقالاً أو فصلاً من الفصول المعروفة « بأمالي رمضان » و « اليوميات » او من لم يسمعهُ محاضراً في المحافل او في محطة الاذاعة . وليس بينهم الا كل معجب به كاتباً مجيداً طويل الباع ومداعباً ظريفاً خفيف الروح فكه الحديث بارع النكتة في عبارة مهذبة كريمة . وقد قلنا في مقتطف دسمبر ١٩٣٥ عند صدور الجزء الاول من المختار « فالفصول التي يحتوي عليها هذا الكتاب من الآيات الادبية . فهي تمتُّ من ناحية الى أعرق الاصول في ادبنا العربي المجيد ، ومن ناحية اخرى الى حياة الذهن المصري الحافل في هذا العصر بضروب المعاني المستحدثة والآراء الطريفة »

وهذا الجزء الثاني من المختار الذي اتحف به الاستاذ البشري عشاق البلاغة يضم بين دفتيه طائفة حسنة من البحوث في الفنون وعلوم البلاغة والموسيقى والاغاني المصرية والمغنين المصريين واذا كانت الفنون الجميلة ترقق العاطفة وتصقل الذوق وتسمو بالخيال وتلطف الحس فان في تخصيصه هذه الفصول بالموضوعات المتصلة بالفن لدليلاً بيناً على رقة هذا الكاتب ووافي أدبه من حلاوة وقد أعجبنا منه عرفانه لجميل كبار رجال الفن الموسيقي كعبده الحمولي وسلامة حجازي وسيد درويش كما اكبرنا فيه حملته على « الطقاطيق » الحديثة الفاجرة وما فيها من مباينة للوقار والحشمة

ولكن هذا الجزء ينطوي على طائفة أخرى من النقدات اللطيفة التي تشيع في خلالها النكتة المرحة وقد تناول بها كثيراً من الاخلاق كالتطفل والبخل والغرور والغباوة وغرابة الطباع والمباهاة الفارغة كما انهُ قرع بها ظهور بعض من فئات البشر كالشحاذين والشعراء ومساحي الاحذية والحمالين وعشاق الوظائف وسواهم . « فسلخ جلودهم » جميعاً بأسلوبه الطريف الذي اختص به ودعابهم بعبارته الرقيقة الحلوة التي يلتذ بها حتى الذين انتقدهم وأشار الى عيوبهم مع ما فيها من طعم حرّيف لاذع

ومزية أدب الاستاذ البشري انه ثمرة خبرة شخصية بهذه الاخلاق والجماعات التي وضعها على المشرحة وساعده على وضعها لغة طيعة وقلم مسعف وبيان ناصع وفكر عميق واحساس رقيق ومما زاد هذا البيان حلاوة ما تخلله من الكلمات العامية الشائعة وما عرفهُ من الاسماء والنعوت . وحسب القارىء ان يقرأ فصول « التطفل والمتطفلين » و « شعراؤنا والندابات » وغيرها ليضحك ملء شدقيه ولكنهُ ضحك كالبكاء على هذه الاخلاق التي قصد الكاتب بالاشارة اليها ونقدها مداواتها

صور من الحياة في جبل القلمون (سوريا)

تأليف يوسف موسى خنشت — هدية مجلة المسرة

لعل من أهم ما تحتاج اليه الدراسات الاجتماعية في الشرق العربي هو تلك المجموعة التي يسميها علماء الأتنوغرافيا (فوكلور) والتي تتألف من وصف عادات ابناء كل قطر من الاقطار واخلاقهم وتقاليدهم وطراز حياتهم في مختلف اشكالها وانماطها ، لانهُ لا يمكن درس الاوضاع الاجتماعية في جماعة من الجماعات واصلاحها الا" بعد معرفة هذه الاوضاع ووصفها وصفاً علميًّا يتفق مع الواقع ، وهي حقيقة اقرّها علماء الاجتماع وأجمعوا عليها ، وانهُ من المؤلم ما اعتاده اكثر الكتاب والادباء في انحاء الشرق العربي من حرصهم على وصف ما هو بعيد عن الحس وألصق ما يكون بالخيال وترفعهم عن الاهتمام بالواقع ووصف مشاهده ومظاهره حتى كان من جراء ذلك ان توارى في طيّات العدم كثير من صور حياتنا الاجتماعية دون ان يعمد احد من الكتّاب الى وصفه وتسجيله لتحتفظ به الامة كتالد ثمين يذكرها بالماضي ويفسر لها الحاضر ويعينها على تفهم الطريقة التي يجب اتباعها في الاصلاح الاجتماعي الذي هي احوج ما تكون اليه

لقد بسطنا ذلك لنبين مقدار ما يستحقهُ من الثناء مؤلف كتاب صور من الحياة في جبل القلمون على عمله ، فلقد جمع في مؤلفه نماذج كثيرة من صور الواقع في هذه البقعة الواسعة من بقاع سورية على الطريقة العلمية الاتنوغرافية بعد ان استشار الكثيرين ممن خبروا هذه الطريقة ودرسوها

ابتدأ المؤلف بوصف منطقة القلمون ثم تطرق الى وصف عادات أهلها وتقاليدهم وطراز معاشهم وأنواع أغذيتهم والمراسم المتبعة في زياراتهم وولائمهم وأعيادهم ومراسم الزواج لديهم والتقاليد التي ما برحت متبعة في أفراح الولادة والختان وما يتبع ذلك من ألعاب ومهرجانات وحفلات راقصة ثم مراسم المآتم وتقاليدها ، وقد ختم المؤلف كتابه بفصل خصصهُ لمجموعة من الأناشيد الشعبية التي ما برح يرددها سكان تلك المنطقة ويتغنون بها رجالاً ونساءً ويتخلل مباحث الكتاب كلها رسوم شمسية كثيرة تمثل جبال القلمون وسكانها في مختلف حالاتهم وأوضاعهم ولقد قدم الكتاب للقراء كلٌّ من الاستاذين عيسى اسكندر المعلوف ورشيد نخلة كما قدمهُ للمستشرقين من الأوربيين الاستاذ جان لوسيرف أحد أعضاء المعهد الفرنسي في دمشق بعد ان درج خلاصة ما جاء فيه من أبحاث باللغة الفرنسية . ورغم ما في هذا من بعض النواقص التي يبررها انهُ من الكتب الاولى من نوعه التي نشرت باللغة العربية في سورية فهو كتاب نفيس حبذا لو عمد كثير من الكتاب في مناطق الشرق العربي الى النسج على منواله في جمع عادات مناطقهم وتقاليدها وتدوين تلك الصور المحلية الثمينة قبل ان تذهب بها الايام وتطويها مراحل التطور فلا يبقى منها ما يمثلها او يعيد ذكراها للخاطر دمشق الدكتور كاظم الداغستاني

قصص من مصر ولبنان

« الوثبة الاولى » لمحمود تيمور — « عشر قصص » لخليل تقيّ الدين —
« الصبي الاعرج وقصص أخرى » لتوفيق ي . عوّاد

القصة ، فنٌّ جديد في الادب العربي ، وجد من الاقبال عليه والعناية به ما يستحقهُ ، فاحتلّ مكانتهُ سريعاً ، وبرز من رجاله كتَّاب بارعون استطاعوا ان يكشفوا عن العلل الاجتماعية المتفشية في الشرق ويضعوا للمصلحين اصابعهم على موضع الداء بأسلوب قصصي بديع ، وليس كالقصة او الرواية بأمثلتها وحوادثها المجسمة سبيل الى كشف المساوىء ومعرفة المحاسن .
وقد أخرج ثلاثة من رجال هذا الفن في مصر والشام ثلاث مجموعات ضمت روائعهم . ويظهر تأثر بعض كتّاب هذه القصص بالادب الروسي بعض التأثر ، وقد اتّخذوا من الحياة المستسلمة للقدرية ، والغارقة في المعتقدات الدينية والاجتماعية الساذجة ومن الاشباح التي تضفر لنفسها اكاليل من القداسة الزائفة على مسرح هذه المعتقدات مادةً لقصصهم فجاءت تنبض فيها الحياة وتشيع في جنباتها

فأما الكتاب الاول منها فهو مجموعة اطلق عليها الاستاذ محمود تيمور « الوثبة الاولى » لانها جمعت اولى قصصه التي اصدرها منذ سنوات ثم عاد اليها كما يعود الفنان القدير الى مثاله المحبوب مغيراً ومجملاً حتى يجلوه صورة فاتنة خالدة . وأسلوب تيمور محبب الى النفس ، مصور للواقع ، رسام قدير للبيئة المصرية . ألفاظهُ تأتي على قدر الفكرة مجلوة المعنى فلا زيادة مملة ولا قصر مخلٌّ . وانك لتحسُّ الحياة وهي تدب في قصصه وعلى الاخص « عم متولي » و « ضريح الاربعين » و « الشيخ جمعة » و « مهزلة الموت »

وأما الكتاب الثاني وهو « عشر قصص » فهو مجموعة طيبة للاستاذ تقي الدين ، ويمتاز هذا القصاص بروح عذبة مشرقة وأسلوب شعري هادىء جميل ، ولهُ سخرية ظريفة ناعمة تتجلى في قصته التي أسماها « في مهبّ الغرام » . على ان أروع قصة في مجموعته هي « نداء الارض » وأشهد انها ستخلد في عالم الادب القصصي . وقد ختم مجموعته بقصة مترجمة هي « السجين » لمكسيم غوركي

اما الكتاب الثالث فمجموعة للاستاذ توفيق عواد اسماها « الصبي الاعرج وقصص اخرى » . وهذا الكاتب تتوافر لديه المادة القصصية التي يستمدها من محيطه الذي يعيش فيه « فمنها ما يغلب عليها التوجيه ، ومنها ما يغلب عليها التحليل ، ومنها ما يغلب عليها وصف الاخلاق والتقاليد ، ومنها ما لا يحتوي الا على العبث ولذة الفن المجردة » وهو قادر على تناول ذلك كقاص بارع الا انهُ لا يعنى في كثير من الاحوال بالاسلوب كما في قوله : « وكان خليل يخاف منهم كثيراً ما يكاد

يراهم عن بعد حتى يأخذ في الركض يا لهامن ركضة على رجله العوجاء . رأسه يخلع على صدره . وصندوقته ترقص على خصره وتصعد وتهبط ، والحلويات يختلط بعضها ببعض وتتحطم وتسيل تصير أشبه ما يكون بالوحل »

ولو عني الاستاذ توفيق بأسلوبه في جميع قصصه كما عني به في قصتيه «الشاعر» و «الرسائل المحروقة » لخلق لقصصه روحاً آخر يبعث على النشوة ، فان للاسلوب يداً في اجتذاب القارىء وفي سكب شعاع رائق من الروح الشعرية الحالمة التي يأنس اليها المطالع ويتابع القاص في حديثه « ص »

صاحب مجلة « العالم الاسلامي »

توفي جورج كامفاير Georg Kampffmeyer في ٥ سبتمبر ١٩٣٦ وكان عالماً مستشرقاً المانيًّا من الطبقة الاولى . ولد في ٨ يوليه ١٨٦٤ في برلين ودرس في المانيا اللغات الشرقية ثم طلبها في باريس ولندن. واهتم باللغة العربية ولهجاتها خاصة . وانشأ الجمعية الالمانية لمعرفة الاسلام الحاضر وأسس مجلة لها اسمها «العالم الاسلامي» Die Welt des Islams وقد اشرنا اليها في مقتطف اكتوبر ١٩٣٥ وكان هذا المستشرق من الميالين للشرق العربي القادرين جهوده في العصر الحاضر

تموز وبعلة

تموز وبعلة . أو « أدونيس وعشتروت » رواية شعرية تمثيلية نظمها الاستاذ وديع ابو فاضل وجعل من هذه الاسطورة التاريخية القديمة درساً في الوطنية والاخلاص والسعي الى الاتحاد والتضحية في سبيل القومية مما يجدر أن يكون مثالاً للشاب الكامل وللرجل الحر العامل في سبيل أعلاء وطنه ورفعة شأنه وجمع الكلمة وضم الصفوف

وقد صوّر فيها حب تموز ابن ملك جبيل لبعلة ابنة ملك صيدا التي شبت معهُ صغيرة فأحبتهُ وأحبها حتى تولى ابن عمها « بعلون » الملك بعد وفاة ابيها ورغب في الزواج منها حتى حدث ان زار «تموز» صديقه « بعلون » فلقيتهُ بعلة وبُعث في قلبها حبها القديم فتواعدت واياه على اللقاء عند عودته من الصيد ولكن بعلون علم بذلك فأمر احد اخصائه بالتربص لتموز وإطلاق خنزير من شعب الشباب عليه ليفترسهُ الاّ ان هذا الرسول رأى فيما قصد اليه كل الهول فعمل على نجاة تموز اشفاقاً على بعلة ثم اخبر الملك بذلك فعفا عنهُ وتمَّ لبعلة ما كانت تتوق اليه وزوّجها ابن عمها من حبيبها تموز

وقد وضع المؤلف هذه القصة في اسلوب من النظم رقيق عذب فيا حبذا لو قامت فرقة من الفرق التمثيلية باخراج هذه الرواية لبث الروح الوطنية في نفوس الشباب واعلاء كلمة الوطن

فهرس الجزء الاول

من المجلد الحادي والتسعين

January — May 1937

يناير الى مايو سنة ١٩٣٧



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرُّوف والدكتور فارس نمر

المجلد التسعون

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by: FUAD SARRUF

VOL. 90

Founded 1876 By Drs Y. Sarruf & F. Nimr

فهرس المجلد التسعين



مطبوعات جامعة بيروت الاميركية

دائرة الابحاث الاجتماعية

﴿مراجع ما نشر بعد الحرب العظمى عن بلدان الانتداب في الشرق الادنى﴾ لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٩ ثمانية اجزاء اثنان منها يتضمنان بيان ما نشر في الكتب والنشرات الدورية باللغة العربية والستة الباقية تتضمن ما نشر في اللغات الاجنبية

ثمن كلّ من الجزءين العربيين مجلداً بورق ٤٠ غ . م . مجلداً بقماش ٥٥ غ . م .

﴿النظام النقدي والصرافي في سوريا﴾ للاستاذ سعيد حماده استاذ الاقتصاد العملي في الجامعة يصف جهاز النظام النقدي والصرافي وكيفية سيره مع تقدير حسناته وسيئاته في القيام بوظائفه الاقتصادية في البلاد واقتراح اصلاح عامّ على ضوء النظريات الاقتصادية الحديثة والحوادث الواقعة

صدر بالانكليزية والعربية . ثمن كل من الطبعتين : بورق ٤٠ غ . م . بقماش ٥٥ غ . م .

﴿النظام الاقتصادي في سوريا﴾ يبحث بحثاً عامّاً شاملاً في الاركان التي يقوم عليها كيان سوريا الاقتصادي بما فيه سكان البلاد ومرافقها الطبيعية وزراعتها وصناعتها وتجارتها وانظمتها المالية . اشترك في تأليفه عدد من اساتذة الجامعة مع محرّره الاستاذ سعيد حمادة استاذ الاقتصاد العملي

صدر بالانكليزية في فبراير : ثمنهُ مجلداً بورق ٦٠ غ . م : بقماش ٧٥ غ . م ؛ وستصدر قريباً طبعة عربية منهُ

﴿مؤهلات الاستقلال﴾ للاستاذ ولتر هومن رتشر استاذ العلوم السياسية في الجامعة يتضمن بحثاً دقيقاً في مؤهلات الشعوب للحكم الذاتي

صدر بالانكليزية وثمنهُ مجلداً بورق ٤٠ غ . م . بقماش ٥٥ غ . م .
وستصدر قريباً طبعة عربية منهُ

تطلب هذه الكتب من الجامعة الاميركية . بيروت . لبنان او من

Oxford University Press

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها « ادارة المطبعة العصرية » بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

مـ

٣٥ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠ » » » » (طبعة ثالثة)
٧٠ » » عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥ » المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ » » عربي انكليزي فقط
١٥ » » انكليزي عربي فقط
٧٠ «سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠ » » انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠ » » » » » وبالعكس
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٠ الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠ عشرة ايام في السودان » » »
١٢ مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة
(الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥ روح السياسة » »
١٠ الآراء والمعتقدات » »
١٠ اصول الحقوق الدستورية » »
٨ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥ حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠ الحركة الاشتراكية (لرمسي مكدونالد)
١٥ ماقي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨ اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠ مختارات » » »
٨ نظرية التطور وأصل الانسان » »
٢٠ اناتول فرانس في مباذله للامير شكيب ارسلان
١٥ الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)
١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
١٠ جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥ المرأة بين الماضي والحاضر
٥ مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥ حصاد الهشيم (الاستاذ ابرهيم عبدالقادر المازني)
١٠ قبض الريح (» » » » »)
٨ نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠ رسائل غرام جديدة (سليم عبدالواحد)
١٠ الغربال في الادب العصري (ميخائيل نعيمة)
٥ حكايات للاطفال ، اول (مصور بالالوان)
٥ » » ثان » »
٥ » » ثالث » »
٥ تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥ جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)
٦٥ مراقي النجاح (الارشمندريت بشير)
مريم المجدلية (م. ريس ميترلنك)

مـ

١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري
٥ خواطر حمار (للاستاذ الجمل)
٥ التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكراً وانثى خلقهم » » »
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران) » »
١٥ اسرار الحياة الزوجية » »
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخوري
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات » »
٢٠ الضعف التناسلي في الذكور والاناث »
١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠ تاييس » » » »
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية أهوال الاستبداد ، مصورة
١٠ » فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨ » الانتقام المذب (اسعد خليل داغر)
٥ » فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢ » باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ » غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥ » روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥ » ام روكامبول ، ٥ اجزاء »
٢٠ » باردليان ، ٣ اجزاء »
٢٠ » الملكة ايزابو ٤ اجزاء »
٢٠ » الاميرة فوستا ، جزآن »
٢٠ » عشاق فنيسيا ، جزآن »
١٦ » الساحر المظلم ٤ اجزاء »
١٦ » كابيتان ، جزآن »
١٦ » الوصية الحمراء ، جزآن »
١٦ » بائعة الخبز »
١٢ » فلمبرج ، جزآن »
١٠ » فارس الملك »
١٠ » ضحايا الانتقام »
٨ » المرأة المفترسة »
٥ » المتنكرة الحسناء »
٥ » مروضة الاسود »
٥ » شهداء الاخلاص »
١٦ » دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ » فرنسوا الاول » »
١٠ » الجنون فنون » »
٨ » حورية » »
٨ » الفلامان الطريدان (»
١٢ يسوع ابن الانسان جبران خليل جبران)
٥ النبي (» » »)
٥ آلهة الارض (» » »)

جائزة اسعد باسيلي باشا

لذكرى الدكتور يعقوب صروف

مائة جنيه مصري

الجائزة الاولى — خمسون جنيهاً

الجائزة الثانية — ثلاثون جنيهاً

الجائزة الثالثة — عشرون جنيهاً

الموضوع المقترح

العشرة المقدمون

في تاريخ الفكر العربي

اذا وهب واهب سخي مبلغاً كبيراً من المال لنشيِّد بهِ صرحاً فخماً يضمُّ بين جدرانهِ كل ما خلَّفهُ عشرة من الرجال، كانوا مقدَّمي رجال الفكر العربي في تاريخه المجيد، وتتصل بهِ مدرسة لدراسة آثارهم خاصة، فمن نضع فيه ؟

١ — الموضوع يقتصر على الادباء والفلاسفة والعلماء

٢ — لا يجوز ادخال رجال الدين ولا رجال السياسة والحرب

٣ — لا يجوز الاختيار من الذين على قيد الحياة

لقد اجمع كلّ من عني بدراسة الحضارة العربية على انها حفظت مصباح المعرفة منيراً في اشد العصور ظلمة، واضاف اقطابها الى كنوز المعرفة كنوزاً جديدة لاتقوَّم بمال، وقد ظلّ اثر بعضهم حيًّا في معاهد اوربا الى مطلع العصر الحديث تدرَّس مؤلفاتهم فيها بعد نقلها الى لغات الافرنج، ولا يزال اثرهم موضوع مباحث مستفيضة يقف عليها اقطاب العلماء في الشرق والغرب جل وقتهم وجهدهم

فمن هم مقدموهم إبداعاً وأثراً ؟ سواء منهم المسلمون والمسيحيون ، والنساطرة واليهود ، والفرس والعرب والمغاربة . فكل فيلسوف وكل عالم كتب باللغة العربية يجوز اختياره لهذا الصرح ، وطبعاً كل اديب ؟

والحكم يكون على إحسان الاختيار من جهة ، وإحسان اقامة الدليل على وجوب هذا الاختيار من جهة اخرى . فاختيار عشرة من الرجال وسرد تاريخهم لا يكفي بل يكون الاعتماد على تبين الميزة في الرجل المختار ، وأثره في ناحية من نواحي ارتقاء الفكر العربي

وقد نشرنا في العدد الماضي مقالاً لكاتب اميركي في «اعظم المفكرين في التاريخ» نحسبهُ نموذجاً صالحاً لما نقصد

شروط المباراة

١ — لا يتجاوز طول الرسالة ست عشرة صفحة من المقتطف

٢ — آخر موعد لقبول الرسائل يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٧

٣ — كل رسالة توقع باسم مستعار او برقم ويوضع الاسم الكامل مع العنوان داخل ظرف صغير مختوم . وادارة المقتطف تتعهد بان لا تفتح هذه الظروف الاَّ بعد صدور الحكم وفي اجتماع لجنة المحكمين

٤ — تعلن اسماء اعضاء اللجنة المعيَّنة للحكم في المقتطف الصادر في اول نوفمبر سنة ١٩٣٧ وقرارها نهائي

٥ — يحق للمقتطف نشر الرسائل التي تدخل المسابقة اما على صفحاته وإما في كتاب على حدة

٦ — يستشار اصحاب الرسائل التي لا تفوز باحدى الجوائز من حيث رغبتهم في اظهار اسمائهم أو الاكتفاء باسماء مستعارة عند النشر

٧ — جميع الرسائل يجب ان تكتب واضحة بالحبر او بالآلة الكاتبة وعلى صفحة واحدة من الورق وان ترسل مسجلة باسم

فؤاد صرُّوف : رئيس تحرير المقتطف

صورة تمثال الدكتور يعقوب صروف بغير قاعدتهِ وهو التمثال الذي ازيح عنهُ الستار في جامعة بيروت الاميركية في ٢٠ يونيو الماضي (راجع وصف الحفلة صفحة ٧٨ من هذا العدد)



المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الحادي والتسعين

١ يوليو سنة ١٩٣٧ — ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦

عقل الانسان

بين الكيمياء والكهرباء

— ١ —

لا بدّ للجسم الحيّ من انفاق الطاقة ، في حالتي نومهِ ويقظتهِ ، وراحتهِ وعملهِ ، لا يغنيهِ عنها مغنٍ . فهو بهذا الوصف آلة لا بد لها من الوقود

نعم ان حدود هذا الانفاق متباينة . فالمرء اذا استيقظ في الصباح ، بعد نوم دام سبع ساعات او ثماني ساعات ، وظل مستلقياً على سريره جسمهُ وعضلاتهُ في حالة راحة تامة ، وعقلهُ غير مضطرب ولاقلق ، ومعدتهُ خالية لم يدخلها الطعام بعد عشاء الليلة السابقة ، كان اقل ما يكون حاجة الى الطاقة وأقل ما يكون انفاقاً لها ، ولكن لا بد لهُ من يسيرٍ منها على كل حال . ومقدار الطاقة التي يحتاج اليها في هذا الوضع يعدل في المتوسط وحدة حرارية واحدة (Calorie) في الدقيقة وستين وحدة حرارية في الساعة ، وهذه الطاقة تعدل الطاقة المستخرجة من احتراق قطعتين صغيرتين من السكر في ساعة

هذا المقدار من الطاقة ، هو اقل ما نحتاج اليهِ منها . فهو يكفي لبقاءِ اعضاء الجسم قائمة بوظائفها ، اذا لم نحملها عبئاً خاصًّا بالنهوض والمشي والتمرن الرياضي وغير ذلك من مختلف ضروب الحركة . فمجرد الجلوس في السرير يقتضي زيادة هذا المقدار من الطاقة المستعملة ، خمسة في المائة ، والوقوف عشرة في المائة ، والمشي الحثيث مائتين في المائة

هذا الموضوع اي موضوع ما يحتاج اليه الجسم من الطاقة ، في حالي الراحة والحركة ، كان مداراً لبحوث مستفيضة ، في معمل التغذية التابع لمعهد كارنيجي الاميركي ، وقد عمد الدكتور بنديكت وأعوانهُ ، الى قياس ما يحتاج اليهِ الانسان وبعض الحيوانات كذلك ، من الطاقة وهم في احوال وأوضاع مختلفة ، وغرضهم ان يتبينوا العلاقة بين مظاهر النشاط التي يمكن ان تقاس — كمقدار ما يستهلك من الاوكسجين او يزفر من ثاني اكسيد الكربون — ونشاط الجسم نفسهِ. وصنعوا لذلك حجراً محكمة الاقفال لا يدخلها شيءٌ ولا يخرج منها شيءٌ ، ولكنها تصلح مع ذلك لمعيشة بضعة افراد اياماً متوالية ، يأكلون وينامون ويعملون ويلعبون فيها ، والآلات تقيس ما يستنشقونهُ وما يزفرونهُ والحرارة التي تشع من ابدانهم . فوجد الدكتور بنديكت ان ما يستهلكه الجسم من الاوكسجين ، دليل تامٌّ على سائر العوامل ، فقصر بحثهُ عليهِ ، واستنبط لذلك خوذة محكمة ، وأجهزة اخرى يسهل تنقيلها ، لقياس ما يستهلكهُ الشيوخ من الاوكسجين في دورهم ، والعمال في معاملهم ، والنساء امام لوح الكيّ او موقد الطهي

وقد خرج الدكتور بنديكت من هذه المباحث ، بأن الرجل المعنيّ بعمل كتابي يحتاج الى ٢٥٠٠ وحدة حرارية في النهار، لتجهزه بالطاقة اللازمة لاعمال جسمهِ الاساسية بحيث يستطيع ان يمضي في عملهِ ، اما حاجة العمال اليدويين فاكبر . فالفلاح يحتاج الى ٣٥٠٠ وحدة حرارية على المتوسط ، والحطاب الى ٧٠٠٠ ومحترف السباق بالعجلة (الدرَّاجة) الى ١٠٠٠٠ في يوم سباقٍ

واذا كانت افعال الجسم تحتاج الى الطاقة هذا الاحتياج الظاهر ، فماذا يقال في افعال العقل ؟ ان العالم الذي يشتغل بحل معضلة رياضية معقدة ، او الطالب الذي يقضي ثلاث ساعات في الاجابة عن اسئلة امتحان صعب ، او السياسي الذي يقضي ساعات في مؤتمر يعالج مشكلات دقيقة تقتضي العناية بالمبدأ ويلازم الحكم فيها تبعة كبيرة — من من هؤلاءِ لا يخرج من عملهِ وهو يحسّ انهُ منهوك القوى ، خابي النشاط ؟ ليس ثمة ريب في ان افعال العقل ، تورث صاحبه تعباً كأفعال العضلات

فاذا صحّ ذلك ، فما مقادير الطاقة المختلفة التي يحتاج اليها المرء ، في اعمالهِ العقلية المختلفة ؟ واذا كان الموظف في مكتب هذه المجلة يحتاج الى ٢٥٠٠ وحدة حرارية ، ليتمكن من القيام بالاعمال العادية المطلوبة منهُ فما المقدار الاضافي من الطاقة الذي يحتاج اليهِ ، اذا عهد اليهِ في معالجة مشكلة معقدة مع احد الوكلاءِ ؟ هذه هي المسألة التي عرضها الاستاذ بنديكت في التجربة التالية

اختار الباحث — وكانت زوجتهُ تساعدهُ — سيدةً وستة رجال لتجربة التجارب فيهم . كانت السيدة قد احترفت مراجعة الحسابات . وكان خمسة من الرجال من خريجي الجامعات وكان اثنان منهم من اصحاب المناصب العالية في معاهد التعليم . فالمفروض فيهم انهم جميعاً مدربون على الاشغال العقلية . وكانوا جميعاً ممتعين بالصحة الكاملة

جرى البحث خلال ايام متوالية في الصباح . ففي الساعة ٣٠ : ٨ كانوا يفدون على مقر التجربة من دون ان يتناولوا طعام الفطور ذلك لانهُ عندما يدخل الطعام المعدة ينشأ التفاعل الكيمياوي في الجسم من تلقاء نفسه ، لان عملية الهضم تحتاج الى طاقة . فاجتنابا لذلك قبلوا جميعاً ان يصوموا كلّ يوم حتى الظهر اي حتى تنتهي تجربة ذلك اليوم

عند وصولهم كان كلٌّ منهم يلبس تلك الخوذة الخاصة بقياس النشاط الجسماني ، عن طريق الاوكسجين الذي يستهلك وثاني اكسيد الكربون الذي يزفر والحرارة التي تشعُّ . وتبقى الخوذة على رأس كلّ منهم من ثلاث ساعات الى اربع ساعات متوالية ، ولكن الفترات التي يطلب اليهم فيها بذل نشاط عقلي كانت لا تزيد على ربع ساعة كل مرة بينها فترات للراحة

اما التجربة فكانت كما يلي : يجلس الرجل — او السيدة — في وضع يقتضي من جسمهِ اقل جهد عضليّ ، ويحتفظ بهذا الوضع في اثناء التجربة . والغرض من ذلك اجتناب كل مايتطلب من الجسم انفاق طاقة خاصة لغرض جسماني . واذ يكون الرجل في هذا الوضع المريح ، ولا شيء يشغل عقلهُ ، يقاس ما يستهلكه من الطاقة . ثم يطلب اليهِ ان يحلّ مسألة رياضية . وفي اثناء اشتغاله بحلّها يقاس كذلك ما يستهلكهُ من الطاقة . والمسألة الحسابية الغالبة كانت ضرب عدد مؤلف من رقمين في آخر مؤلف من رقمين ، كضرب ٣٧ في ٢٩

ولم يسمح لاحد باستعمال ورقٍ وقلمٍ ، لان استعمالها يقتضي استعمال عضلات الاصابع والذراع ، فيختلط النشاط العضلي الناشيء عن الكتابة بالنشاط العقلي الناشيء عن التفكير في حل المسألة ، وتضطرب النتيجة . فاذا حلّت المسألة واراد صاحبها ان يعلنها كلاماً ، اضطرّ الى تحريك الشفتين وعضلات الفكين ، وهذا يقتضي انفاق الطاقة العضلية كذلك ، ولذلك اتفق المجرّب مع السيدة والرجال الستة على انهُ اذا انتهى احدهم من حلّ المسألة لمس زرًّا كهربائيًّا دقيق الاحساس في متناول سبابتهِ بحيث يكون اللمس نتيجة لاقل حركة ممكنة من حركات السبابة ، فيعلم المجرّب ان المسألة قد حلّت ولا حاجة الى اعلان النتيجة فيكتفى باشارة كلٍّ منهم انهُ حلّها وكلهم ممن يعتمد عليهِ ويوثق بهِ

فاذا انقضت تجربة الصباح ، شعر كلٌّ من هؤلاءِ أنهُ متعب معيٍ ، معتقداً ان التحطيب او كنس الشوارع أهون على الجسم من بضع ساعات من النشاط العقلي

ولكن مع ذلك ، لم تدل الاجهزة على ان أجسام هؤلاءِ القوم أنفقت من الطاقة في حالة النشاط العقلي أكثر مما كانت تنفقهُ في حالة الراحة العقلية الاّ يسيراً جدًّا . اذ لم تبلغ الزيادة في استهلاك الأوكسجين الاّ ثلاثة أو أربعة في المائة . يقابل هذا انهُ في أثناء الاشتغال بالمسألة الحسابية ، زاد نشاط القلب والرئتين ، والاستاذ بنديكت يعتقد ان هذه الزيادة تفسر الزيادة في

المستهلك من الاوكسجين . فانهُ يقول ، ان تجربتهُ لم تدل على ان النشاط العقلي يقتضي انفاق طاقة جسمانية ، كما تقتضيه كل حركة من حركات الجسم ، حتى اختلاج الجفن

حتى اذا سلمنا بان هذه الزيادة في ما استهلك من الاوكسجين نشأت عن النشاط العقلي ، كانت زيادة لا تذكر لانها تمثل أربع وحدات حرارية في الساعة ، وهو مقدار من الطاقة يستخرجهُ الجسم من اكل فلقة حبة من الفول السوداني

ولكن اذا حسبنا حساباً لعدد الخلايا التي يشملها الشغل العقلي الخاص بحل هذه المسألة الحسابية بالقياس الى خلايا الجسم ، كانت الطاقة المستخرجة من فلقة حبة من الفول السوداني شيئاً كبيراً . فقد كتب الفسيولوجي النمسوي الدكتور ارنولد دوريج Durig الى الاستاذ بنديكت، ان عدد الخلايا الدماغية التي شملها النشاط العقلي في حل هذه المسألة الحسابية لا يزيد وزنها على سبعة جرامات وهو جزء من عشرة آلاف جزء من وزن جسم الانسان اذ حسبنا ان وزنهُ يبلغ سبعين كيلوغراماً . فاذا كان هذا الجزء الصغير من جسم الانسان يسبب زيادة قدرها ٣—٤ في المائة في نشاطه الحيوي ، فيجب ان يكون نشاط خلايا الدماغ أشدّ وأعظم من نشاط سائر خلايا الجسم

بل يصحّ ان نقول ونحن واثقين ان النشاط العقلي يقتضي تمثيلاً جسمانيًّا لان كلّ ما يمنع وصول مقادير كافية من الدم الى الدماغ وما يحمله من أوكسجين وسكر وغيرهما ، يظهر اثرهُ في اضطراب العقل . وقد جرب السر جوزف باركروفت الانكليزي تجربة بنفسهِ تدور حول هذا الموضوع فأقام في حجرة محكمة الاقفال عشرين دقيقة بعد ان جعل مقدار ثاني أكسيد الكربون في هوائها اكثر من ٧ في المائة قليلاً اي انهُ كان في خلال التجربة يستنشق هواء فيه من هذا الغاز اكثر من المقدار السويّ ، فما لبث حتى ظهرت عليهِ أعراض الاعياءِ العقلي اذ أصبح عاجزاً عن حصر فكره او الاصغاء الى حديث ما بغير جهد . واذا تناول صحيفة لمطالعتها عجز عن قراءة أكثر من أربعة أسطر او خمسة ، من خبر تافه ، ثم ينتقل الى غيره من دون ان يتم مطالعة خبرٍ ما . وقد لازمهُ هذا العجز يومين بعد التجربة . وهو على حدّ قوله ، ضعف يصيب قوى الدماغ العليا . وجرب تجربة أخرى جعل فيها مقدار ثاني أكسيد الكربون في الهواءِ اكثر من عشرة في المائة ، ولم يلبث في الحجرة أكثر من خمس دقائق وخرج وهو يكاد لا يعي . والنتيجة التي خلص اليها باركروفت ان الافكار والقدرة على حلّ المعادلات الرياضية العالية او تقدير الموسيقى الممتازة جميعها مرتبطة بنموذج طبيعي كيمياوي يتشوش اذا كان في محيط تنتابهُ اضطرابات عنيفة

هذا النموذج الطبيعي الكيمياوي يتصف بخواص كهربائية . ففي الدماغ مناطق معرضة تعرضاً مستمرًّا لتغير مستواها الكهربائي . فاذا اختلف المستوى الكهربائي بين مناطق مختلفة من الدماغ

افضى ذلك الى تيارات كهربائية. وقد تمكن العلماء من عهد قريب ان يتبينوا طبيعة هذه التيارات فأسفر ما تبينوه عن ان طاقة الدماغ دائمة التغير

اكتشفت ظاهرة النشاط الكهربائي في أدمغة الحيوانات سنة ١٨٧٥ ولكن دراستها دراسة منتظمة ترتدُّ الى سنة ١٩٢٩. ففي تلك السنة أخذ العالم الالماني هانس برجر — وهو من المتوفرين على دراسة الاعصاب في جامعة ينا — سلكين ووضعهما على صدغي رجل ووصلهما بأنبوب مفرغ يقوي التيارات الكهربائية الضعيفة ويضخمها ، فوجد ان التيارات المنطلقة من الجمجمة بعد تضخيمها يمكن ان تدوّن بريشة على لوحة مناسبة ، فتبدو لها حركة موجية منتظمة معقدة ، فيها أمواج متشابهة ارتفاعاً وسعة تتوالى عشراً في كل ثانية فدعاها برجر « أمواج ألفا » وثمة أمواج أسرع توالياً وأقل اتساقاً دعاها « امواج بيتا » ووجد غيره نبضات أخرى ، غير منتظمة الطول والاتساق

الموضوع لا يزال جديداً ، واذا كان هناك نموذج منتظم لحركة الدماغ الكهربائية ، فهذا النموذج معقّد جدًّا . ولكن اكتشاف جهاز يمكن الباحثين من قياس الاستجابة لحركة الدماغ في حالي الراحة والنشاط شجع على البحث ، ولذلك قلما نفتح مجلة علمية الآن ونرى فيها نبأ خطوة جديدة او تحقيق جديد في هذا الموضوع من أدريان في جامعة كمبردج او من فيشر وكورنوملر في جامعة برلين ، او من جامعات برون وهارفرد في اميركا . وهذا على سبيل التمثيل فقط

والراجح عند الباحثين ان هذه التيارات التي تضخم وتدونّ صورة أمواجها ، تنشأ في قشرة الدماغ ، وهي المادة السنجابية ، التي تتركز فيها اعمال التفكير المبدع . هذه المادة السنجابية قوامها اجسام الخلايا العصبيــة ، وقد استغرق نشؤها من الاجهزة العصبية البسيطة في الحيوانات الدنيّة عشرين مليوناً من السنين على رأي جدسن هريك الاستاذ بجامعة شيكاغو . ان مراتب تطورها معروفة بوجهٍ عام . ولكن كيف تمَّ فيها عجائب التفكير المبدع ، في العلوم والفلسفة وغيرها ، لا يزال محجباً بستائر الجهل . الاّ ان الاجهزة الجديدة — ولا سيما جهاز برجر — قد تفضي الى تقدم خطير في فسيولوجية الجهاز العصبي ، على نحو ما تمّ من التقدم في دراسة التشريح بعد إكتشاف المجهر (الميكرسكوب)

على ان بين هذا الجهاز (واسمهُ العلمي «الكترو انسيفالوجراف» اي مصورة الدماغ الكهربائية) يختلف اختلافاً اساسيًّا عن المجهر . فالمجهر لا يمكن الباحث الاّ من دراسة مجموعة صغيرة من الخلايا منتزعة من النسيج ومصبوغة بصبغ قد يطفىء شرارة الحياة فيها ، ولكن مصورة الدماغ الكهربائية تمكن الباحث من تناول العضو او الكائن الحيّ جملة واحدة من دون ان تعرقل عمله المألوف واساليب حياته السوية . بل لا يلزم في استعمالها ثقب الجلد . وقد اصبحت الاجهزة

الحديثة دقيقة الاحساس ، بحيث اذا وضعت قطبيها الكهربائيين على منطقتين مختلفتين من فروة الرأس استطعت ان تتبين تياراً كهربائيًّا جارياً في الدماغ من منطقة مستواها الكهربائي عالٍ الى اخرى مستواها الكهربائي منخفض . والتجربة تتم من دون ازعاج مَن تجرب فيهِ . بل انهُ اذا ازعج ظهرت آثار انزعاجهِ في صورة التيار الكهربائي الذي يتبينهُ هذا الجهاز ويصوره

وقد صنعت حجرة خاصة في احد معامل جامعة هارفرد لذلك. وضع فيها مقعد وثير، يستلقي عليهِ المرء، ولا تجرب التجربة فيهِ الاّ بعد ان يستلقي مرة او مرتين على هذا المقعد ويتعرف ما حواليهِ حتى اذا جربت التجربة كان مستريح الجسم والبال من كل ناحية . وهذا ضروري ، لان صورة التيار الكهربائي الصادر من دماغهِ والملتقط من فروتهِ ، يختلف في النوم عنهُ في اليقظة ، وفي الاضطراب او انشغال البال عنهُ في الراحة . فاذا استلقى المرء على هذا المقعد وضع القطبان الكهربائيان ملامسين لفروتهِ ، ويمتدّ منهما سلكان الى سلسلة من مضخمات التيار ، ثم يحرك التيار المضخم ابرةً في جهاز خاص ترسم على شريط منساب ، امواجاً

في بدءِ التجربة يؤمر بأن يستلقي ويغمض عينيهِ وان لا يشغل عقله بشيء معين فترسم الريشة على الشريط ، امواجاً من انتظام معين ، ثم يؤمر بان يضرب رقم ١٨ في ١٢ مثلاً فلا يكاد يشرع في ذلك حتى يتغير انتظام الامواج ، هنا الامواج اقصر واسرع توالياً ، فكأن حشد الدماغ لقدرته الواعية عند التفكير في معضلة معروضة عليهِ أثرت في التيار الصادر منهُ وقد دامت هذه الحالة بضع ثوان ، ثم اخذت صورة الامواج تعود الى ما كانت عليهِ في حالة الراحة . وبعد قليل اضطربت الابرة ثانية فقصرت الامواج واسرع توالبها كأن الدماغ عاد الى نشاطهِ . والواقع انهُ عاد الى نشاطه . ذلك ان الرجل الذي اجريت عليهِ هذه التجربة سئل في ذلك فقال انهُ بعد ان ضرب العددين ، استراح الى اتمام العمل ، ثم عاد فاضطرب اذ خطر لهُ ان الجواب قد يكون خاطئاً فأعاد الكرّة على عملية الضرب

وقد استعمل هذا الاسلوب للبحث في حالات مختلفة من حالات الوعي ، والنتائج العامة التي خلص اليها الباحثون ، ان انتظام « امواج الفا » ينقطع عند ما يشتغل الدماغ بحل مسألة معينة وعند ما يؤمر المرء بان يتنبه وعند ما يفتح عينيه او تكون الحجرة مضاءة

وقد جربت تجارب اخرى ظهر منها ان « امواج الفا » تكون اشد وضوحاً عند ما يكون احد القطبين على القذال امام المركز الخاص من الدماغ الذي يتأثر برسائل عصب البصر ، فكأن « امواج الفا » هذه متصلة اتصالاً لم يفهم بعد بالبصر

[للبحث تتمة نتناول فيها ما يتعلق بظاهرات الدماغ الكهربائية خلال النوم وتأثير الغدد الصم ومفرزاتها]

أنصير من أجل الرقي غبارا ؟

خطرة شعرية فلسفية للمرحوم

الدكتور يعقوب صروف

ما الحياة ؟ اين كان الاحياء قبلما ولدوا والى اين يمضون بعد ما يموتون ؟ وما الحكمة في هذا الخلق ؟ لماذا يولد مائة طفل فلا يبلغ العشرين ثلاثون منهم ولا يبلغ الخمسين عشرة ولماذا تبيض السمكة مليون بيضة فلا يبلغ الاَّ اثنان من اولادها اشدها وتثمر الشجرة الوفاً من الأثمار قبلما يتفق لاحدى بزورها ان تنبت وتخلف نسلاً . وعلى مَ تظهر الازهار والرياحين في الغابات والادغال حيث لا تراها عين انسان ولا يتمتع بها ذوق حيوان

يجيبك العالم الطبيعي بسلسلة من العلل والمعلولات مفادها ان كل حلقة من حلقات الوجود متصلة بغيرها وان الغرض منها ترقية الاحياءِ بنوع عام . يقول لك ان قوى الطبيعة وميكروباتها تجتمع على عناصر الجماد فتحلها وتركبها وتجعلها غذاءً للنبات فينمو بها ويصير غذاءً للحيوان . وكلما سقطت ورقة او نبتت شجرة اقبلت عليها الميكروبات فحللتها وأعادتها الى التراب غذاءً لما يخلفها . وكلما مات حيوان انحلَّ جسمهُ وعاد الى الارض والهواءِ غذاءً للنبات وان لم يمت أكلهُ غيرهُ من الحيوان غذاءً لهُ . وانواع النبات والحيوان ترتقي جيلاً بعد جيل وقرناً بعد آخر بحسب النواميس الطبيعية القاضية ببقاءِ الأصلح للبقاءِ . والانسان غير مستثنى من ذلك بل تجري عليهِ نواميس الطبيعة كما تجري على غيره . يولد معرَّضاً للآفات الطبيعية فتتغلب عليهِ أو يتغلب عليها ويموت من غير نسل او يخلف نسلاً وتتوالى الاعقاب والاحقاب والارتقاء مستمرٌّ وما الفرد سوى دقيقة في جسم هذا الوجود يقوم بهِ جزءٌ من أجزاءِ هذا الرقي . هذه خلاصة أقوال العلماءِ الطبيعيين. فهل كشفت الغطاءَ عن سر الوجود وازاحة الستار عن معنى الحياة ؟

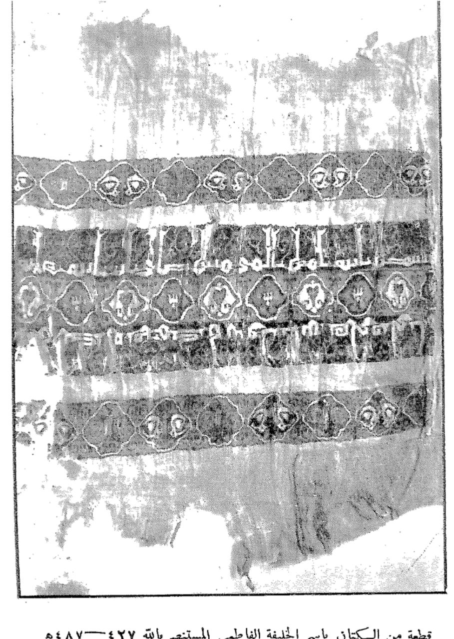
وقف كاتب هذه السطور عند هذا الحد وأطلق للخيال العنان فلم يرَ أمامهُ الاَّ ظلاماً دامساً فارتدَّ على نفسهِ وهو يقول

عفت اليراع سآمةً وفرارا	من بادراتٍ تلجم الأفكارا
وخرجت في ليل كأن نجومهُ	احداق عصفور أصابت نارا
جبتُ الجزيرة لا أرى لي مؤنساً	والنيل حولي لا يزيل أوارا
حتى بدا نور الصباح فشمتهُ	نور الهـــدى فأتيتهُ محضارا
وطلبت عن هذا الوجود وسرهِ	كشفاً يزيح عن الوجود ستارا
فأجابني سرُّ الوجود صحيفة	طويت فقلت انشر امنت عثارا

فتشتُ عن سرّ الوجود وقصده وسألتُ عنهُ النطس والاحبارا
طالعتُ ما كتبوا فما من مقنع وكتبت ما قالوا فلست اماري
اسماك هذا النيل لا تحصى وفي تاريخها قد جازت الادهارا
عاشت وماتت بين حبٍّ او قلًى تحنو وتقسو لاهوًى لا ثارا
حرباً وسلماً واعتداءً واحتكا ماً لا ترى منها لها انصارا
وطوائف الاحياء يعيي وصفها قسّ البيان وعدُّها المقدارا
من مثل مكروب حقير لا يرى او مثل تمساح طوى الانهارا
والنيل قُـلْ ما شئت في تعظيمهِ نهر جرى كي يدرك الابحارا
لو الف نيل جُمّـعت ما ماثلت من اوقيانوس واحد معشارا
بحر خضمٌّ والخلائق ملئهُ تبغي البقا والى الفنا تتبارى
كانت كذلك في العصور الغابرات المبقيات على الصفا آثارا
منها تولّـدت الصخور وطالما قلب غدا صخراً وماءٌ غارا
والطير في انواعها وضروبها سامت ذكاءَ تحلقاً ومطارا
اسرابها تغدو وتقطع رُحّـلاً خوف الردى والى الردى تتجارى
ونبات هذي الارض من أرز الى زوفا يبيد وان يعش اعصارا
فعلى مَ هذا الخلق ان كان الفناء مصيره والناس فيهِ توارى ؟

فأجابني ركز خفيٌّ قائلاً اسمع وقلْ قولي «امنتَ عثارا»
هذي الخلائق كلهنّ دقائقٌ والكون من مجموعها قد صارا
والفرد فيها ليس من مجموعها الاّ هباءً او قذًى منهارا
ورقيٌّ هذا الكون يستدعي — اندثار دقائق ونفايةً وبوارا
هذي تعاليم الفلاسفة الاولى جعلوا دجى الليل البهيم نهارا

أنموت في سبل الرقيّ ضحيةً ؟ ونصير من اجل الرقيّ غبارا ؟
نورَ الخلائق مصدر النور الذي يهدي الكواكب في السماء مدارا
ان لم تنر عقل ابن آدم لم يجد نور الهدى بل زاد عنك نفارا
فاهدِ ايا نور البصائر معشراً تخذوا الحقيقة خلةً وشعارا
انضوا عوامل عقلهم فتثلمت واستوقفوا المبغى فزاد فرارا
ظُـلَـمٌ ونور العقل قصر عن هدًى وبغير نورك لا نشيم منارا



قطعة من نسيج غليظ أبيض عليها بالاسود رسم نباتي من عهد
احمد بن طولون (٢٥٤هـ — ٨٦٨ م)

قطعة من الكتان باسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ٤٢٧ — ٤٨٧هـ
(١٠٣٥ — ١٠٥٤م) بها جامات معينة الشكل — بكل جامة طائران متقابلان
بألوان مختلفة من أحمر وأصفر وأزرق وأسود وفي الوسط سطران من الكتابة الكوفية

المنسوجات الاثرية

في مصر الاسلامية

ملخص بحث بالفرنسية للاستاذ جاستون فييت
مدير دار الآثار العربية بالقاهرة
نقله محمد عبد العزيز خريج معهد الآثار الاسلامية بالجامعة المصرية

لم يحاول العرب ، منذ ان استقر بهم المقام في مصر ، تغيير مجرى الحياة في البلاد الا قليلاً ولم يكن ما اجروه فيها من التغيير الا وليد الظروف التي احاطت بهم ، بل ولم يأت هذا التغيير دفعة واحدة وانما كان تدريجيًّا طبقاً لما اقتضته طبيعة الاشياء من ضرورة اجراء بعض التغييرات التي كان لا بد لهم من ادخالها

ولقد رأوا بثاقب نظرهم ، وحسن تقديرهم للامور انه اجدى عليهم ان يثبتوا اركان النظام البيزنطية التي كانت سائدة في جميع نواحي الحياة تقريباً وقت الفتح من ان يكدوا اذهانهم في استنباط نظام جديد

ولهذا فالفتح العربي لمصر لم يقطع في الواقع ، سلسلة التقدم في حياتها الاقتصادية اونهضتها الصناعية ، بل لقد احتفظت مصر تحت ظل العرب بتلك المكانة التي احرزتها من وراء موقعها الجغرافي الفذ ومما كان لها من منتجات خاصة اكسبتها شهرة عالمية وكفلت لها مقاماً ممتازاً بين الامم القديمة

وقديماً ازدهرت صناعة النسيج في مصر ، وعرف العرب المنسوجات المصرية واعجبوا بها ، وكانت لها في آدابهم شهرة واسعة ، بل واتخذوها رمزاً لدقة الصنع ونقاء البياض

ويحدثنا المقريزي ، فيما يحدثنا به ، عن تلك الهدية الثمينة التي بعث بها المقوقس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا من بينها قماش منسوج في مصر وقد استعمل فيما بعد في تكفين جثته الطاهرة

وعلى الرغم من ان صناعة النسيج من أهم الصناعات التي يتجلى فيها الترف بكل معناه ، فلم يحاول الاسلام قط العمل على الحط من شأنها او الرجوع بها الى حالتها الاولى من البداوة ، بل ان التقاليد الاسلامية نفسها كانت في الواقع اكبر معين على بلوغ تلك الصناعة تحت ظل المسلمين درجة من الكمال قلما تجدها ممثلة في ناحية اخرى من نواحي الفن الاسلامي . اذ كاد الخلفاء جميعاً ان يضمنوا لمصر احتكار نسيج كسوة الكعبة الشريفة مما عاون على تطور هذه الصناعة ، وكان من شأنه ان يكفل لها اضطراد التقدم والرقي

ولقد استمر صناع النسيج المصريون في العصر الاسلامي على ما كانوا عليهِ من قبل من استلهام المدنيات القديمة في هذا الفن شأنهم . في ذلك كشأنهم في جميع الفنون الاخرى . ذلك لأن العرب لم تكن لهم تقاليد فنية في هذا المجال ، وكان كل ما عرفوه في فارس والشام من تلك التقاليد معروفاً فعلاً لدى المصريين ، اذ كان الفن القبطي — والاسلام لم يغير فيهِ من شيء — مشرَّباً بالكثير من تلك التأثيرات الفنية ولا سيما الساسانية منها

على ان مصر وان كانت قد استعارت من فنون الامم الاخرى الشيء الكثير ، فان هذا ما منعها قط من ان تهضم ما استعارتهُ ، وتتمثله جيداً ، ثم تخرجهُ لنا فنًّا مصريًّا خالصاً يبهرك بروائهِ ويستحوذ عليك بجماله ويرغمك على ان تقر له بمصريته . فللاقمشة الاثرية المنسوجة في مصر مميزات عامة ولها طابع خاص بها ناطق بانتمائها الى اصل واحد . حتى انهُ ليكاد يصبح من اليسير علينا بعد خبرة قصيرة ان نتعرف عليها بسهولة وان لا نخلط بينها وبين الاقمشة الفارسية او اليمنية او الاندلسية

ولكن اذا التبس علينا الامر ، وعجزنا عن التمييز فثمة ملجأ أمين لنا يهدينا سواء السبيل هو تلك الكتابات التقليدية ذات الصيغ التي لا تكاد تختلف في قطعة عن الاخرى ، والتي تفشي لنا سر اصلها ، وتهدينا الى مكان صنعها ، ثم استقصاء تلك الاشكال الزخرفية المختلفة التي كانت شائعة في عصر دون سواه . فالكتابة من ناحية والزخارف من ناحية اخرى هما في الواقع الهاديان لنا في دراسة هذه الاقمشة التاريخية

ولعل اول ما يصادفنا من الصعوبات في بحثنا هذا هو التعرف بسهولة على الاقمشة التي ترجع في تاريخها الى القرنين الاولين من الهجرة ، وترتيبها ترتيباً علميًّا صحيحاً . وليس هناك من شك في ان ذلك راجع الى ما تميز بهِ الشرق منذ القدم من حبهِ للترف والابهة ، والى ما عرف عن الاسلام من التسامح في كل ما يتصل بمباهج الحياة ومتعها ما دامت لا تتعارض مع احكام الدين في شيء ، فهو عند ما أشرق بنوره على الوجود ، لم يحاول اضعاف حب الترف في النفوس او القضاء عليهِ بل لقد احتضن الفنون وشجعها وبعث فيها من لدنهِ روحاً جديدة تجلت لنا فيما بعد في أبهى الصور وأجملها . على اننا يجب ان لا ننسى أن للدين الجديد — مهما بلغ من تسامحه — تقاليده الخاصة ، ولمعتنقيه اذواقهم ، وان التطور من الذوق القديم الى الذوق الجديد امرٌ يفتقر الى زمن ليس بالقصير ، ومن هنا نشأت صعوبة التمييز بين الاقمشة القبطية التي نسجت قبل الفتح الاسلامي وبين تلك التي اخرجتها لنا المصانع في القرنين الاولين بعد الفتح

وكثيراً ما تقع بين ايدينا قطع ليس لها في الواقع قيمة فنية حقيقية وانما يكاد ينحصر شأنها فيما تحتويه من كتابة ليس من اليسير قراءتها واليها تتجهُ جميع مجهوداتنا

حقًّا ان هذه الكتابات لتجمع بين النقيضين : لها مساوىء لا تنكر ، ولها مزايا لا يستهان بها .

فلطالما استعصت علينا وقاومت كل محاولة لقراءتها بسرعة ، ودفعتنا الى تلمس المعنى الذي تخفيه وراء حروفها المعقدة تلمساً ، ولكنها بعد ان تستنزف من مجهودنا قدراً ليس بالقليل ، تأخذها الشفقة علينا ، فتكشف لنا عن مكنون سرها ، وتميط اللثام عن احاجيها ، فاذا هي تقدم لنا من المعلومات القيمة ما يثلج صدورنا ، وينسينا ما لاقيناه في سبيل قراءتها من صعاب . قد تكشف لنا عن اسم خليفة او وزير او أمير او مصنع او تاريخ او عن هذه مجتمعة . ولا اخالك تنكر ما لهذه الامور الجوهرية من القيمة التاريخية العظيمة ، او تستصغر شأن تلك السجلات الصادقة التي تطلعنا على الكثير من اسرار صناعة النسيج في مصر ،في العصور الوسطى ، والتي تحقق لنا الى حد كبير ، ما نقله الينا مؤرخو المسلمين من صناعة النسيج ومراكزها ، وعناية الامراء بها

ولقد كان لتلك الكتابات في بادىء الامر معنىً اقتصاديٌّ ، اذ كان الغرض الاول منها ضبط ما تخرجهُ المصانع المختلفة ، وتحقيق رقابة الحكومة على تلك الصناعة ، ثم صار لها فيما بعد معنىً سياسيٌّ ، اذ اصبحت كتابة الاسم على الاقمشة ، من شعائر الخلافة كذكر الاسم في الخطبة وكتابته على السكة . على ان هذه الكتابات أيًّا كان مبناها ومغزاها ، قد تطورت في شكلها بمضي الزمن تطوراً مدهشاً ، ففقدت معانيها الاقتصادية ، والسياسية ، وصارت ترسم بدافع التجميل ، أي أنها اصبحت عاملاً هامًّا من عوامل الجمال الفني فحسب ، تعامل معاملة الزخارف المختلفة ، شأنها في ذلك شأن الزخارف الحيوانية الساسانية ، التي كانت ترمز في اول امرها الى معانٍ خاصة ، ثم فقدت هذه المعاني عندما صار الصناع من الفرس يشتغلون للامراء المسلمين ، وأخذوا يختارون من بين تلك الزخارف الحيوانية ، ما نال رضاء هؤلاء الامراء ، وصاروا يكررونها دون نظر الى ما كانت تؤديه من معنىً سابق . وشأن الكتابة الكوفية ، عندما اعتبرها فنانو الغرب عنصراً من عناصر الزخرفة ، وأخذوا يستعملونها دون ادراك لمعناها

ولقد عظم شأنها من هذه الناحية شيئاً فشيئاً ، حتى وصلت الى درجة عظيمة من الاتقان ، وصارت تجلي على الناظر صوراً من الفخامة والبهاء ما كانت لها من قبل ، مما يدل دلالة واضحة على مدى تلك القدرة الفنية العظيمة ، التي بلغها العرب في هذا المجال . فكم من قطع قد سحرتنا بجمال كتابتها ، وبهرتنا بتناسق حروفها ،حتى انهُ ليخيل الينا ، ونحن نجيل النظر فيها ، كأنما حروفها تسير، مختالة فخورة عليها سيماء الوقار والجلال ، في موكب حافل يبعث الروعة في النفوس، وكأنما سيقانها، وأقواسها، قد رسمتها يد فنان ماهر أطلقت لهُ الحرية ليبتكر ويتفنن

وما كان المعاصرون أنفسهم أقل تأثراً بجمالها منا نحن الآن ، فالفواطم — ويعتبر عهدهم بحق العصر الذهبي للفن الاسلامي في مصر — قد أعجبوا بهذه الكتابات أيما اعجاب ، وقد كانت لها في أعينهم مكانة سامية لا تنكر ، الأمر الذي جعلهم ينسجونها على أقمشتهم ، على نفس

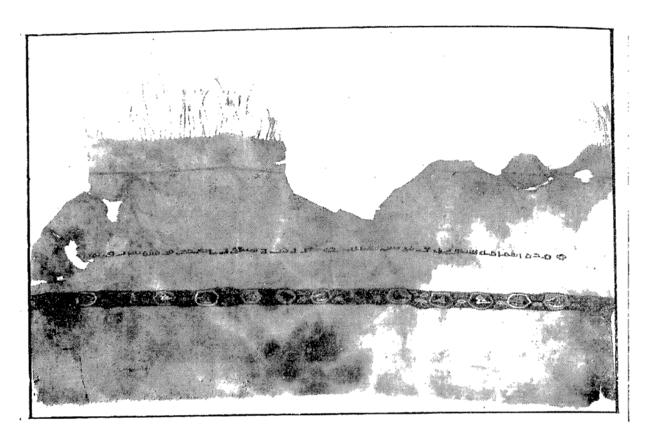
النسق الذي كان متبعاً في عهد العباسيين من قبلهم . ولقد كانت تنسج الكتابات التاريخية في أول الأمر بحروف صغيرة جدًّا ، بحرير أحمر أو أزرق أو اسود ، حتى اذا جاء الربع الثالث من القرن التاسع الميلادي ، كبر حجم الحروف قليلاً ، وازدادت سيقانها طولاً ، وبدت الكتابة أشد وضوحاً عما كانت عليه قبلاً . واستمرت الكتابة تكبر حتى بدت في الربع الاول من القرن العاشر في أكبر حجم لها ، وصار لها مظهر فخم عظيم ، يكاد يخرجها عن دائرة الكتابة ليدخلها في دائرة الزخرفة . وامتازت بميزة جديدة هي وجود سطرين من الكتابة أحدها عكس الآخر

وتعتبر دار الآثار العربية في الوقت الحاضر أغنى متاحف العالم في المنسوجات ، ومجموعاتها القيمة تكوّن سلسلة تاريخية متماسكة الحلقات تمكن الباحث من دراسة الاقمشة الاسلامية ، وتطلعهُ على مدى التطور فيها ، وتحدد لهُ التوجيه الفني للذوق الاسلامي في تلك الصناعة ، ولعل أول ما يستوقف النظر من هذه المجموعة ، هو تلك القطعة التي تعتبر أقدم المنسوجات الاسلامية المؤرخة جميعاً ، اذ منسوج عليها بالخط الكوفي البسيط بحرير احمر : « هذه العمامة لسمويل ابن موسى عملت في شهر رجب من الشهور المحمدية من سنة ثمان وثمانين » (٧٠٧ م) وتحت هذه الكتابة شريط من زخارف ، بهِ جامات داخلها طيور تقليدية

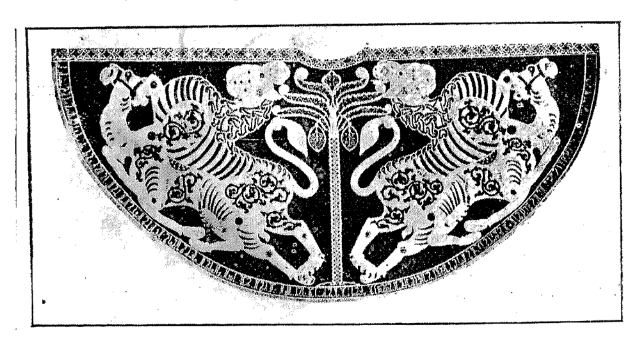
فاذا تجاوز الدولة الأموية الى العصر الاول من الدولة العباسية ، وجد تلك القطعة المنسوجة بفسطاط مصر برسم الخليفة العباسي الامين بن هارون الرشيد ، الذي تولى الخلافة بين سنة ١٩٣ — ١٩٨ ه (٨٠٩ — ٨١٣ م) والتي جمعت بين الزخرفة الهندسية الدقيقة ، ذات اللون الرمادي ، الناشئة عن تقاطع خطوط مستقيمة ، تخالف عنها جامات مرتبة بانسجام غاية في الدقة والمهارة ، وبين الكتابة التاريخية الهامة التي نصها : « بسم الله بركة من الله لعبد الله الامين محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر بصنعته في طراز العامة بمصر على يد الفضل ابن الربيع مولى أمير المؤمنين ». فاذا انتهى بعد ذلك الى منتصف القرن الثالث ، شاهد ميلاد فن جديد ، مخالف كل المخالفة للفنون التي تقدمت عليهِ ، ذلك هو الفن الطولوني ، الذي هو في الحقيقة فن عراقي الاصل ، زرعهُ احمد بن طولون في هذه البلاد عند ما ولي أمرها

ولئن كانت الزخرفة تعين حقاً على تأريخ الآثار الفنية ، وارجاعها الى عصر من العصور ، فانما ذلك يتجلى لك بوضوح في الاقمشة الطولونية ، اذ الكثير من تلك الاقمشة يحوي زخارف تشبه تمام الشبه الزخارف التي نشاهدها على الآثار الجصية والخشبية للعصر الطولوني

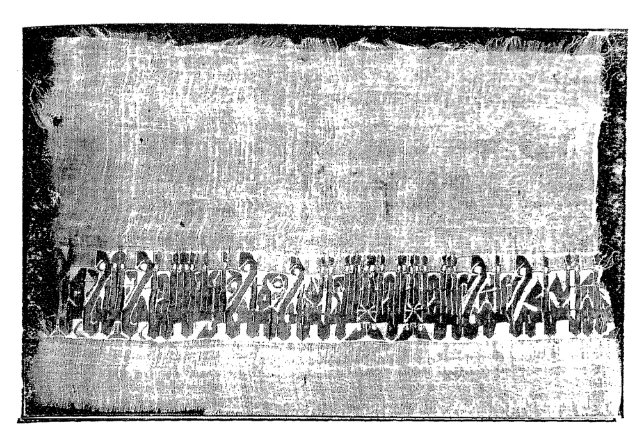
وانهُ ليدهشك حقاً ، ان ترى العناصر الزخرفية التي على الجص أو الخشب من جدائل أو زخارف حلزونية او غيرها ، ممثلة على الاقمشة أدق تمثيل وأحسنهُ ، بل ان مهارة النساج في



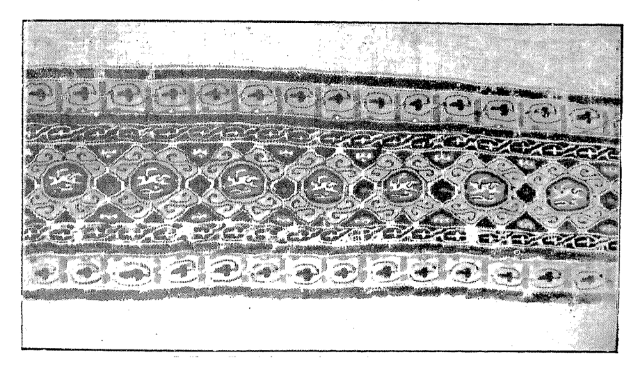
قطعة نسيج ابيض قاتم منسوج عليها بالخط الكوفي البسيط بحرير احمر (هذه العمامة لسمويل بن موسى عملت في شهر رجب من الشهور المحمدية من سنة ثماني وثمانين » ٧٠٧ م



عباءة تتويج صنعت في صقلية في سنة ٥٢٨ ﻫ (١١٢٣م) للملك روجر الثاني وترى عليها في الوسط رسم نخلة يكتنفها من كل جانب صورة أسد يصرع جملا ويتهيأ للفتك به وهي مطرزة بخيوط ذهبية ومحلاة باللآلىء



قطعة من كتان ابيض عليها « الامام الحاكم بامر الله لا اله الا الله الخير معين ان شاء الله والتوفيق بالله »



قطعة من الكتان ذات الوان كثيرة متوافقة يمتزج اللون الازرق والاسمر الزاهيان بالاصفر الصافي والاسود والاخضر الناضر وفي الوسط جامات بيضاوية الشكل ، بها صور ارانب بيض على ارضية حمراء
(القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي)

استعمال الالوان المتعددة ، ليجعل تلك الزخارف تبدو لك كأنها مخرمة او محفورة !

والواقع ان تلك الاقمشة الطولونية ، او بعبارة أخرى جميع آثار الفن الطولوني ، لتحدثك بنفسها عما كان عليه الفن في ذلك الوقت من القوة والفخامة ، وتدلك على ان فناني هذا العصر لم يتحروا الدقة والاناقة في آثارهم بقدر ما تحروا القوة في التعبير

واذا كان العصر الطولوني قد شاهد المحاولة الاولى لايجاد فن اسلامي خالص في البلاد ، فان العصر الفاطمي قد امتاز عليه بظهور ذلك الفن فعلاً في ايامه ، ووضوح شخصيته ، وليس هناك من شك في ان الفن الفاطمي قد تفرد بأشكال زخرفية تبدو كأنها قد اخترعت لاول مرة أو على الاقل قد رتبت ترتيباً جديداً ، أو نسقت تنسيقاً لم يسبقها اليه فن من الفنون السابقة عليه ، والواقع ان هذا العصر هو العصر الذي ارتفع بالفن المصري الاسلامي الى الاوج ، وبلغت فيه البلاد من سمو الذوق ، ورقي الفن ، مبلغاً يعد بحق موضع الفخار

والاقمشة الفاطمية بزخارفها المدهشة ، والوانها الساحرة ، تدلنا دلالة واضحة على مدى ما بلغه فنانو العصر الفاطمي من الخبرة الواسعة بالاوضاع الزخرفية المختلفة، والمقدرة الفائقة على تكوين الالوان ، وتركيبها ، ومزجها ، حتى انك لا تدري — وانت تتأمل هذه الاقمشة — أموضع السحر فيها جمال الزخرفة البالغ حد الاتقان أم الائتلاف والتناسق المدهش بين الالوان؟

ولقد يخيل للانسان ، وهو يجيل النظر بين تلك القطع الفنية الرائعة ، كأنما هو يقرأ قصيدة من روائع الشعر العربي، يجلو عليه فيها الشاعر صوراً من الحياة شتى ، بعضها آخذ برقاب بعض ، جاشت بها نفس الشاعر ، وبعثتها قريحته الوقادة . هذه الصور التي تجعلك تهيم في بيداء الخيال ، وتتذوق لذة روحية محببة الى النفس ، والتي لا تكاد تتبين فيها اثر العلاقة بينها وبين موضوع القصيدة ، لا تلبث ان تراها تتداعى ، واحدة بعد اخرى ، عندما يقطع الشاعر هذه السلسلة من المناظر الجميلة ، ليدخل بك على موضوعه . كذلك الحال في تلك الاقمشة ذات الزخارف الرائعة فهي تجذبك لاول وهلة بجمالها ، وتسحرك بالوانها ، فاذا حللتها بدت لك أقل روعة من ذي قبل ، وأكثر تقايداً مما تظن . على ان ذلك كله لا يطعن في جمالها ، ولا ينقص من قيمتها كأثر فني خالد ، إذ هي قوية التأثير فينا ، لا قبل لنا بدفع ما تبعثه في نفوسنا من تلك اللذة العجيبة

ولقد بلغ نساجو هذا العصر في رسم الحيوانات درجة من الاتقان لم يبلغها الحفارون على الخشب او البرنز ولم يصل اليها مزخرفو الخزف . اذ كانت تنسج تلك الحيوانات بخفة ورشاقة غاية في الدهشة ، وكما فقدت الحروف الهجائية شخصيتها بتوالي الزمن ، واصبحت خطوطاً متعرجاً لا يمت بأي صلة الى الاصل الذي اشتقت منه ، كذلك هذه الحيوانات ، أخذت تفقد منذ منتصف القرن العاشر صورتها الاصلية ، وأصبحت زخرفة لا هيئة لها ولا اسلوب . وللاقمشة الفاطمية ،

على الرغم من اختلاف مظهرها العام ، مميزات خاصة ، تجعلنا لا نخطىء في التعرف عليها

فالكتابات التي عليها، كانت في بادىء الامر بحروف كوفية ذات سيقان طويلة ، ثم اصبحنا نرى الجمع بين هذه الحروف والحروف الصغيرة . ثم صرنا نرى سطرين من الكتابة ، احدهما عكس الآخر ، او كتابة صغيرة ، تزينها فروع نباتية . ومن ثم فقد وُجد للكوفي المشجر ميدان جديد، يبدي فيه جماله ورونقه ، وهوهنا يختلف عن الكوفي المشجر الذي نراه على الابنية

اما الزخارف ، فقد كانت تتحول من حسن الى أحسن ، حتى بلغت من الاتقان درجة لاتبارى . وقد كانت تبدو في اشرطة موازية للكتابات، بها معينات او جامات من اشكال مختلفة داخلها حيوان واحد ، او حيوانان متقابلان ، او مول احدهما ظهره للآخر . ويلاحظ انهُ منذ القرن العاشر ، ازدادت هذه الاشرطة اتساعاً ، وكثر عددها عن ذي قبل

والواقع ان الاقمشة الفاطمية قد اشتهرت شهرة عظيمة ، وذاع صيتها ، وهي لا ريب تستحق هذه الشهرة عن جدارة واستحقاق ، فالنساج المصريون ، قد تفننوا في نسجها وزخرفتها مما يترك الانسان في حيرة من أمره لا يدري اي الاشياء أحق بالثناء والاعجاب ، أهو نسيجها الدقيق ، ومهارة النساج في ذلك ؟ أم عبقرية الرسام فيما ابدعهُ ، أم هذه الاشياء كلها مجتمعة ؟

ولعل أجمل الاقمشة الفاطمية وأهمها هي ما ترجع في تاريخها الى القرن الحادي عشر ، لان تلك الفترة، هي الفترة التي برهنت مصر فيها فعلاً ، على أن فنانيها كانوا عباقرة حقاً ، بما انتجوه من تلك القطع الرائعة ، ذات السحر الحلال . اما في نهاية هذا القرن، في الفترة التي وقعت فيها مصر تحت سيطرة الوزير الارمني بدر الجمالي وابنه الأفضل شاهنشاه ، فقد بدأ اتجاه جديد في الزخرفة ، بلغ اقصى ارتقائهِ في النصف الاول من القرن الثاني عشر ، ذلك انهُ حل محل الجامات التي كانت سائدة من قبل ، شبكة من الاشرطة ، متداخلة بعضها في بعض ، تبدو كأنها مرصعة بحشوات صغيرة ، على هيئة معينات . ومن بواعث الدهش في هذه الزخرفة أنها تلوح كأنها بارزة وما هي ببارزة ، انما هو اللعب بالالوان ، والمقدرة الفائقة على مزجها ، وتوزيع الضوء بينها

ترى كيف قدّر لهذا الفن الذي اكتمل نموه ، وبلغ اوجه ، أن يضمحل ؟ وهل ذلك راجع الى انهُ أخذ يرقى في سلم التطور والرقي حتى غرق في بحر الجبي من الافراط والتكلف ؟ أم هو راجع الى ان الفنانين أنفسهم قد ركبتهم روح من التقشف فهجروا تلك الطراوة المدهشة في الفن ؟ أم ان هناك عوامل اخرى غير هذه قد عجلت باضمحلاله ؟

الواقع أن وقوف تقدم هذا الفن فجأة ، يحمل على الكثير من التفكير ، ويدعو الى البحث وراء الاسباب المعقدة التي كان من أثرها ان وصلت بهِ الى ذلك الدرك

أيكون ذلك راجعاً الى الفوضى التي سادت في مصر في أواخر عهد الفاطميين ، والتي كانت

نتيجة للنزاع المتواصل بين الوزراء المتنافسين ، والصراع الدائم بين فرق الجند المختلفة ؟ لقد كانت مصر في حالة من الضعف أطمعت فيها الاجانب ، فتدخل نور الدين والفرنجة تدخلاً فعليًّا في شؤونها ، وانتهى الأمر اخيراً بسقوط الدولة الفاطمية ، وقيام الدولة الأيوبية . وكان من أثر ذلك كله ان تأخرت البلاد ، فمدينة تنيس مثلاً قد نهبت بين سنتي ١١٥٠ — ١١٩٠ م وهجرت سنة ١١٩٤م ثم اضمحلت سنة ١٢٢٧ م ، ودمياط قد احتلت مرتين وقضي على ما فيها من المصانع ، وكلتا المدينتين — كما تعلم — من المراكز الرئيسية لصناعة النسيج في مصر في العصور الوسطى . أم هو ناشىء عما كان بين الدولة المغلوبة والدولة الغالبة من الفروق التي لاسبيل الى انكارها ؟

لقد كان هم صلاح الدين الايوبي موزعاً بين الحروب وما يتصل بها من بناء القلاع والحصون ، وبين انشاء المدارس الدينية لاعلاء شأن المذهب السني ، ورفعه الى المكانة السامية التي كانت لهُ من قبل ، والقضاء على المذهب الشيعي وتطهير البلاد من اتباعهِ . ثم هو الى جانب هذا ، من غلاة السنيين ، عرف بالتمسك الشديد بأهداب الدين ، والوقوف عند حدوده ، زاهد في الحياة ونعيمها ، كارهٌ للترف وأسبابه ، ما أثر عنهُ انهُ لبس الحرير قط ، بل كان يتخذ ملابسه من الكتان او القطن او الصوف ، وتلك حالة تناقض من غير شك ، ما كان عليهِ الخلفاء الفاطميون من الاقبال على الحياة ، والتمتع بكل أنواع الملذات فيها

أم هو بسبب تلك النهضة الفنية في صناعة النسيج ، التي قامت في المدن الايطالية ، والتي تجلت في ذلك الفيض العظيم من المنسوجات الفاخرة — التي لا تقل جمالاً واتقاناً عما كانت تخرجهُ المصانع المصرية من قبل — الذي غمرت بهِ اسواق الشرق ، فجعل حكومة الايوبيين ترى انهُ من العبث العمل على انهاض مصانع النسيج التي شاخت واضمحلت لكي تنافس بها تلك المصانع الفتية

ولا يجب ان نغفل هنا ، ما كان لمصر من الفضل الاكبر في نهوض صناعة النسيج ، وتقدمها في تلك المدن الايطالية . ففي مصر وصلت تلك الصناعة الى ذروة الرقي — كما رأيت — ومنها انبعثت تلك النهضة الى صقلية ، حيث كان النساج المصريون يديرون المصانع في عاصمة تلك الجزيرة ، وما زلنا نذكر مهارتهم ، وحذقهم ، كلما رأينا ، او تذكرنا ، عباءة التتويج التي صنعت هناك خصيصاً للملك روجر الثاني ، والتي توارثها من بعده ، اباطرة الدولة الرومانية المقدسة ، وكانوا يلبسونها في حفلات التتويج ، والتي عليها كتابة كوفية منسوجة بخطوط ذهبية نصها : « مما عمل بالخزانة الملكيـة المعمورة بالسعد والاجلال والكمال والطول والافضال والقبول والاقبال والسماحـة والجلال والفخر والجمال وبلوغ الاماني والآمال وطيب الايام والليال بلا زوال ولا انتقال بالعز والدعاية والحفظ والحماية والسعد والسلامة والنصر والكفاية

بمدينة صقلية سنة ثمان وعشرين وخمسمائة»[1]. ومهما بالغنا في وصف دقة صنع هذه العباءة وقوة تعبير زخرفتها وتناسق الوانها، فان الالفاظ عاجزة عن ان تعطيك فكرة واضحة عن جمالها وبهائها

ومن صقلية سرت تلك النهضة الى لوكا، وفلورنسة، والبندقية. فأخرجت مصانع تلك البلاد، في اول الامر، اقمشة قريبة الشبه جداً من المنسوجات المصرية لا تكاد تختلف عنها

أم هو ناتج عما عرف عن الخلفاء الفاطميين من التسامح ازاء المسيحية — ومعظم الصناع كانوا مسيحيين — فازدهر فن النسيج، وارتقى حتى بلغ أوجه، في القرن الحادي عشر الميلادي، ثم اضمحل عندما ضعف هؤلاء الخلفاء، ومات عندما زال سلطانهم؟

هذه العوامل المختلفة، قد يكون واحد منها، او تكون جميعها او بعضها سبباً فيما اصاب صناعة النسيج في مصر من الانحلال. ولا يجب ان يتبادر الى الذهن ان المقصود هنا هو صناعة النسيج بصفة عامة بل المراد هو النسيج الذي يتجلى فيه الفن بجماله

ولئن كان الايوبيون لم يبذلوا جهدهم، لكي يمنعوا تدهور هذا الفن، فان الذنب في الحقيقة واقع على الظروف التي احاطت بهم. وليس من العدل في شيء ان نتهمهم بعدائهم للفن، لأن عمائرهم المنبثة في سوريا، واخشابهم الاثرية ذات الزخارف الباهرة، واوانيهم النحاسية ذات النقوش الرائعة، تشهد بما كان لهم من فن راق وذوق سام.

على ان هذا لا يمنعنا من ان نأسف على اضمحلال صناعة النسيج في هذه البلاد، ذلك لان الأقمشة هي، في الحقيقة، المادة التي استطعنا ان نكتشف فيها بهاء الزخرفة الاسلامية ورونقها وأمكننا الوقوف منها على ناحية العبقرية في الفن الاسلامي، فلقد كان محذوراً على الفنان المسلم أن يرسم لنا بريشته الصور المجسمة، ذات الابعاد الثلاثة، ولكنهُ، بفضل حذقه ومهارته، وقدرته على اللعب بالالوان، أمكنهُ أن يخرج لنا صوراً على الاقمشة، تكاد لا تشك قط في أنها مجسمة. ثم أن قوة هذه الالوان والاصباغ ودقة الزخارف، وجمال الاشكال، التي تشيع في نفس المتأمل لها نوعاً من الغبطة والانشراح، لا يكاد يحسهُ وهو يشاهد تحفاً فنية اسلامية من مادة اخرى، خير شاهد على حيوية الفن الاسلامي وسموه، وأقوى حجة دامغة، ضد اولئك الذين يرمونهُ بالجمود والكآبة

وأخيراً اذا علمت انهُ من اخص خصائص الفنان المصري المسلم « الهرب من الفراغ » أي أنهُ لا يسعى لاظهار جمال زخارفه بايجاد فراغ بينها، بل يلجأ غالباً الى زيادة هذه الزخارف والتكثير منها، حتى لا يترك مكاناً خالياً، وان هذا المبدأ لا يلقى اعجاباً من رجال الفن الغربيين لعدم اتفاقه مع المبادىء العامة لفن الزخرفة، وانا لا نجد هذا المبدأ ممثلاً في الكثير من هذه الاقمشة الاثرية، استطعت ان تدرك في يسر السر في مقام هذه الاقمشة من الناحية الفنية

(١) انظر الجزء الثامن من Répertoire Chronologique d'epigraphie Arabe

ثماني عشرة صورة من حياة

فولتير

للكاتب اميل لدفج

نقلها : كامل محمود حبيب

« انا متقلبٌ كالصلّ ، نشيطٌ كالعضرفوت ، دؤوبٌ كالسنجاب »

في حجرة جميلة الاثاث ، فاخرة الرياش ، في دار في ناحية من باريس ، جلست سيدة قد دبت اليها الشيخوخة فبدت غضونا في وجهها ، غير أنها ما زالت في قوة الشباب ونشاطه ، جلست تنظر الى الشمس وتبسم لها وتصطلي بدفئها .... وجاء الظهر ، ميعاد زيارة القس اليومية ، وهو شاعر على علم بفن الموسيقى ثم هو يفقه النساء . دخل وإلى جانبه صبي عليهِ سمات الفطنة والذكاء كان قد نشر القس بعض شعره على عيني السيدة بالأمس . وراح القس يتحدث : إن أول ما بدا من عبقرية هذا الطفل حين جاء احد رجال القصر يطلب الى الاستاذ ان يكتب لهُ قصيدة يقدمها هو الى ولي العهد ، وكان الاستاذ غائباً فجلس التلميذ الى نفسه حيناً ثم قدم لهُ قصيدة في عشرين بيتاً . ثم تناولها القس لينشرها أمام السيدة

ووقف الصبي بازاء السيدة متردداً ، ثم نُزع عنهُ اضطرابهُ ، فقبل يدها في احترام . لقد قبلها موليير ، وهي ما تزال تحمل نسمات فينوس ، منذ نصف قرن . وابتسمت السيدة في رضا وبشاشة . وتصرم عام ، وفُضّت الوصية ، فاذا السيدة توصي بألفي فرنك للصبي يشتري بها كتباً . هذه هي نينون دي لانكلو ، سيدة في الرابعة والثمانين وهذا الصبي هو فولتير في العاشرة من عمره

جلس الاديب وهو في الحادية والعشرين في نديٍّ وهو في غيظ وسخط على كل ما يجيء بهِ الملك والحاشية ولاسيما دوق اورليان الوصي ، وجلس اليهِ ضابط من عيون اورليان يستدرجهُ في خداع ومكر ، فاندفع الاديب يتهدم ويتهدم ، وراح يفيض في ثورة وحماسة يصف بعض ما نشره بالفرنسية حيناً وباللاتينية حيناً آخر ، غفلاً من الامضاء . وأبلغ الجاسوس ما سمع ، وترامى الى الوصي الخبر ، ومضت أيام فاذا ڤولتير في سجن الباستيل وحيداً لا يرافقهُ سوى كتابين لهوميروس ، ومنديلين وغطاء وياقتين وزجاجة عطر . ولبث في سجنهِ احد عشر شهراً لا يرى المداد ولا الورق ، فكان يكتب اشعاره بين أسطر الكتاب بقطعة من رصاص

ازدحمت الكوميدي فرنسيز بالناس، وقد انقسم رجال الدولة والشعب الى حزبين يتفاخران وفيهم الأمل والحقد . إن « أوديبس » [1] التي ألفها فولتير الصغير ستبدو أمام الناس ، ودوقة ماين واتباعها يأملون ان يروا الوصي وابنته ، اللذين يعيشان كما يعيش الرجل وزوجه ، يستشعران قوة الصدمة فيما يرون فيهويان وقد جللتهما الفضيحة وآذاهما العار ، مثلما هبط الزوجان الملوكيان في هملت . ولكن أورليان لم يرَ فيما أمامه ما يؤلمهُ فابتسم في رقة والى جانبهِ ابنته في كبريائها وصلفها، وقد حفت بها وصيفاتها الثلاثون، ما تستطيع ان تخفي بعض ما بدا عليها من جدّ واهتمام. وحين بدا نجاح الرواية اندفعا يصفقان مع الناس ، وفولتير ينظر من خلف السجف وفي نفسه الطرب والنشوة لما لاقى من انتصار ثم انطلق ليرى . . .

وهدأت العاصفة ، وظهر هو في مقصورة المارشال ، فعلى هتاف من جوانب المسرح ينادي زوجة المارشال الجميلة أن « قبليهِ . . . قبليهِ » فما استطاعت هي الا ان تنزل عند رأي الجمهور الملح

* * *

تلاقى ڤولتير وشاب من النبلاء في مقصورة أدريان ليكوفرور في ليلة من ليالي الشتاء ، ولشد ما آلم الشاب ان يرى هذا الاديب الوضيع يرافق السيدة ، فراح يتندر عليهِ أمامها « ما اسمك الحقيقي ؟ أهو مسيو دي فولتير أم مسيو أرويه فقط » فأجابهُ فولتير « وماذا يعنيك ؟ ان اسمي يبتدىء معي ثم يطير عني الى غيري أما أنت فاسمك ينتهي عندك ! » فثار بهِ النبيل ورفع عصاه،غير ان فولتير سلّ سيفه . ومضت أيام ، وبينا فولتير يدلف من قصر مضيفه الدوق الذي حباه بفضله وكرمهِ سنوات عدة ، وجد نفسه بين جماعة من سفلة القوم وأراذلهم ، ينهالون عليهِ ضرباً ولطماً ، والنبيل الشاب على خطوات ينظر ويبسم . ووجد هو مهرباً فطار الى الدوق يطلب اليهِ المعونة فأبى

وتراءى لڤولتير أن ذكاءه وعبقريته قد رفعاه الى أن أصبح صديق العظماء والنبلاء ، ثم هو في رعاية المرأة التي كانت الحاكم الحقيقي لفرنسا ، وقد اندفع في حياة سياسية عالية خلق لها ، فعزّ عليهِ ان يكون هو هو ثم يجرَّح فلا ينتقم . والآن ، وهو يعمل طول يومهِ محصناً ، راح يدعو النبيل الشاب الى المبارزة ، وينال من كرامتهِ تحت سمع الناس وبصرهم ، ويثلم شرفه كلما وقع عليهِ نظره ، غير ان أقارب الشاب من الكرادلة والأمراء أرادوا ان يقفوا سدّاً في وجه هذه المبارزة ، فقبضوا على الأديب السفيه ونفوه فانطلق الى انكلترا

* * *

ظلّ فولتير في باريس زماناً يتوارى عن الانظار ، ثم ضاق بهذه الحياة المقيدة فانطلق من مكمنهِ يطير ويقع أنى شاء ثم استقرّ بهِ المقام في دار تاجر قمح ، وهنا . . . في هذه الدار كان يلتقي كل من يهفو نحوه . وجاءت اليهِ دوقة سانت بيير وصديقها ترافقهما سيدة عليها مسحة من جمال

(١) اوديبس : أحد ملوك طيبة اليونانية قيل انه قتل والده وتزوج أمه

غير أنها جذّابة آسرة ! لها أنف كبير ، وفم صغير جميل ، وذقن لطيف ، وعينان خضراوان صافيتان، وجبهة بيضاء ناصعة تتدلى عليها خصل من الشعر الاسود الفاحم فتزيدها رونقاً وجمالاً ! ثم هي على جانب كبير من التربية والتعليم والتجربة . ورأى الشاعر كل ذلك — لاول مرة — فراعهُ ما رأى ! وهي ... هي المركيزة دي شاتيلي تعتز بما هي عليه من علم وذكاء . وحين جلسوا للغداء راح الشاعر يقرأ هذه الانشودة :

يا للسماء ! إنني أسمعها تردد هتاف الترحيب ،
وكذلك ماريان الطاهية ،
لأن دوقة سانت بيير ،
ودوقة دي شاتيلي ، وفوركالييه ،
هنا يتناولون الغداء في كوخي الصغير ،

وظلت إميلي المقدسة — منذ الليلة — صديقة الشاعر سبع عشرة سنة . لقد كانت خليلته أولاً ثم صديقته ومحاميته . وقضى هو هذه السنين الطوال إلى جانبها على حدود اللورين ليستطيع في عهد اضطهاده — أن يفر متى حزب الامر

* * *

في حجرة مقفرة في قلعة في كليف شاب ضعيف في الثامنة والعشرين ، تلفف في ملابس الصيد البروسية واستلقى على فراشه تعركهُ الحمى وهو ينتظر وصول استاذهِ منذ سنوات اربع . لقد ارسل اليهِ سيلاً من الخطابات بعضها نثراً وبعضها شعراً ، تحمل نفثات صدره وآلامه وآماله وتحمل إعجابه وحبه ، فهو يقارن بينهُ وبين أبولو وسقراط وشيشرون وبلينيوس وأجريبا . غير ان هذا الفرنسي لم يأن له ان يأتي . ولعل كلمات التملق هي التي حالت بينهُ وبين أن يحضر ! لطالما أراد ان يكشف له عن بعض ما في قلبه فدعاه تراجان وفرجيل وطيطس واغسطس. وحين تلاقيا كانت الحمى تريد ان تصرع الفتى الألماني

ونزت بهِ نزوات العاطفة الجامحة حين رأى أستاذه فراح ينفض عن نفسه آثار الحمى ، لقد سخرا معاً مما كانا يزعمانه من اختلافات بينهما، ووجدا لذة عقلية في تلاقيهما . هذان هما فردريك وفولتير

* * *

على مائدة ريشيليو ، صديق شاعرنا وشبيههِ في التهكم والذكاء والدهاء ، جلسوا يبحثون في شجاعة وصراحة ما بلغت إليهِ فتاة اورليان من مجد . واطمأن الجميع إلى ان فولتير وحده هو الذي يستطيع أن يتناول هذا الامر بقلمهِ ، فأجاب وهو يبسم « ان فتاة الحان التي تفر من حانها لتموت حرقاً لجديرة بلاذع الهجو ! » ولكنهم مضوا يقنعونهُ ، وبعد لأيٍ ، انسحب هو وكتب المقاطع الاربعة الاولى ، ثم نشرها على اعين الجميع فهتفوا له هتاف الاستحسان والإعجاب

وكانت هذه فاتحة «لا بوسيل» احدى رواياته الجريئة التي عالج فيها التاريخ والدين كأنما يعالج طلسماً ، وظلت على السنين تحمل أفكاره الحرة وتهكماته المرة ، ثم أخفى اسمه ، غير أنها طارت في نواحي باريس موسومة باسم فولتير

* * *

في قصر فرساي وفولتير في الخمسين يهتم بما يشغل الناس، وعلى مسرح القصر الصغير تحت عيني الملك والملكة وولي العهد والامراء والنبلاء والكرادلة، راح فولتير — وقد ألقي اليه قياد المسرح — ينبث هنا وهنالك بين الموسيقيين ومحترفي الرقص والرسامين ينثر الكلمات والاوامر في نشاط ويقظة. لقد رفعته سيدة وضيعة المولد الى هذا المنصب حين شغفها مؤلفاته حبًّا : هي السيدة ده بومبادور . وأصبح هو شاعر الدولة في ربوع القصر . وصدر الامر الملكي

« فرساي في اول ابريل سنة ١٧٤٣

إن الرغبة السامية ... رغبة جلالة الملك قد رأت أن تمن على السيد أرويه دي فولتير بلقب «السيد» ، حين لم تجد من يستحق هذا اللقب سواه ، لما بدا لها من ذكائه ونشاطه وقدرته على العمل، ولما رأت من عبقريته في العلوم والآداب التي انكب على دراستها فبث فيها من روحه العالية وفاق غيره »

وابتسم فولتير وهو يدس في جيبه الفي جنيه ، راتبه السنوي ، ثم انطلق يترنم :

سيدي هنري الرابع ، وسيدتي زايير ،
وسيدتي ألزير الاميركية ،
كل اولئك لا يساوون عندي نظرة ملكية واحدة :
إن لي الف عدوّ يحسدونني على مجدي الضئيل
وبرغمهم هطلت عليّ ألقاب الشرف والثروة كالمطر
كل هذا جزاء أضحوكة (لافوار)

* * *

على مائدة الملكة الخضراء في فونتينبلو جلست صديقة فولتير المركيزة دي شاتيلي تلعب ، فخسرت اربعمائة جنيه ، ثم امدّها هو بمائتين خسرتها هي الاخرى ، واستطاع خادم ان يقترض لها مائتين أخر بأرباح مضاعفة فخسرتها ايضاً و ... لقد خسرت في هذه الجلسة اربعة وثمانين الف فرنك وفولتير الى جانبها يحذّرها ، ثم نادى شجاعته وصراحته فقال لها : انهم يخدعونها ويغشونها ... أفيكون ذلك حقًّا وهي تلعب على المائدة الملكية . وفي هذه الليلة ارغما على ان يطيرا بعيداً خشية الفضيحة

واسكنته دوقة عجوز من صديقاته قلعة على بضعة اميال من باريس ، وأمضته الوحدة وهو يعيش في حجرة نائية منفردة ، قضى فيها ثلاثة اشهر لا يرى الخلاء ولا يخرج الاّ عند الثانية

بعد الظهر ليتناول الغداء في حجرة نوم الدوقة ثم ليقرأ لها ما كتبهُ في يومهِ . في هذه العزلة استطاع ان يكتب خمساً من رواياتهِ القصيرة

* * *

في حديقة قلعة كوميرسي حيث ضيوف ملك بولانده الذين شغلوا بعض مناصب الدولة حيناً من الزمان ، جلست المركيزة في كبريائها وجمالها وقد بلغت الاربعين وقد نفضت يدها من حب فولتير منذ سنوات عشر لانهُ خطا الى الشيخوخة خطى ً فساحاً غير انها ما برحت صديقته الوفية. لقد جذبها فتىً في الثلاثين فراحت تتزين لهُ وتتبرج تريد ان توقعهُ في حبالها . انهُ هو المسيو دي سانت لامبير الذي احبتهُ خليلة الملك

في الرابعة والخمسين من عمر فولتير ، وفي امسية هادئة انطلق من حجرتهِ قبيل العشاء، ودخل على غير ميعاد حجرة صاحبته ، فوجدها الى هذا الشاب في حالة تبعث في النفس الشك والريبة ، فاضطرب واستشعر لذع الخيانة في قلبهِ ، وأصرّ على ان يبرح الليلة ، غير ان خادم فولتير —وقد اوحت اليهِ السيدة بأمر— ارتد يقول لسيدهِ ان العربة لا تستطيع السير . وتحدثت هي الى فولتير — والليل ساج — حديثاً ظلّ في طيّ الكتمان حيناً من الدهر ، والمركيزة تخفي صاحبها في قصرها . قال فولتير « افتريدين ان اصدقك بعد الذي رأيت ؟ لقد بذلت صحتي وسعادتي في سبيل رفاهيتك ثم تخونين عهدي ! » قالت « انني احبك حبًّا شديداً ، غير انني قد سمعتك تشكو تهدم قوتك ثم قلتَ انك لا تستطيع ان تفيدني دون ان يكون في ذلك مضرتك، فلماذا تثور حين اريد ان ارفع عنك بعض ما يثقلك ؟ » قال « هذا حق ، ولكن حذار ان يحدث هذا مرة اخرى تحت عيني ! »

وفي الليلة التالية بدا خصمه امامهُ يعتذر ويسأله الصفح ، فقال لهُ « يا بنيّ ، لقد بلغتُ من الكبر عتيًّا ، وأنت ما تزال في سن السعادة والمرح ، تستطيع ان تعشق وان تستميل قلوب النساء ! انتهز هذه الفترة الذهبية من العمر . أما انا فرجل حطمتهُ الأيام، لا حول لي ولا قوة ، فما اصلح لما تصلح أنت له » ! . وعلى مائدة خليلة الملك تناولوا جميعاً طعام العشاء ، في الليلة الثالثة

وانقضت اشهر بدت ، بعدها ، سمات الحمل على المركيزة ، وجلسوا جميعاً يتشاورون في أمر الطفل وهل تستطيع هي ان تعلن امر زواجها من هذا الشاب ليكون اب الطفل الجديد ؟ فأجاب فولتير في غيظ « لا بأس . فسنضم هذا الطفل الى مؤلفات السيدة العديدة ! »

* * *

لازمت المركيزة فراشها وفولتير الى جانبها يمرضها ، ورفض دعوة ملك بروسيا الملحة ليكون في جوار صاحبته يسهر عليها ويعنى بأمرها وهي تضع ابن غريمه ، وحين وضعتهُ تألق البشر في وجوه من في القصر . وبعد اسبوع هاجمتها الحمى فعصفت بحياتها . وظل الزوج الحبيب واقفاً بإزائها،

أما فولتير فأنطلق ذاهلاً في هدوء الى الطبق الاسفل . وفي نهاية السلم سقط فشجّ رأسه ، واندفع غريمه يعينهُ ، وحين افاق نظر الى الشاب في سكون وقال « لقد قتلتها ! »

* * *

استعار الرجل الفرنسي وهو في بوتسدام من آخر من برلين قطعتين من الماس يتزين بهما وهو يمثل دور شيشرون في احدي رواياته امام الملك فردريك ! وبعد ان صاحب فولتير الملك ثلاثة اشهر قلّده منصباً في البلاط الملكي البروسي براتب سنوي قدره عشرون الف فرنك . ولما كان فولتير لا يطمئن الى ما يربحهُ من كتبهِ العديدة التي نشر كثيراً منها لا يحمل اسماً ، كما يطمئن إلى ما يملك هو، ثم هو يريد ان يكون دائماً في بحبوحة من العيش ، فقد ارسل يهوديًّا الى درسدن يشتري لهُ اوراقاً مالية سكسونية بمبلغ اربعين الف فرنك ، وكانت هذه الصفقات حراماً على البروسيين فحنق الملك على فولتير حين ترامى اليهِ الخبر

وقدّم للمحاكمة ، وراح فولتير يدفع عن شرفهِ ونبالته التهمة ببراهين وأدلة بدت فيها عبقرية الرجل ثائرة لا تهدأ ، قوية لا تضعف . وانتهى الامر بوساطة ذوي الرأي والجاه، غير ان الحادثة كشفت امام الملك ناحية من نواحي الرجل السامية

ثم ... ثم اندفع يهاجم موبيرتيس مواطنه وزميله في «سان سوسي» دون ان يصرح باسمهِ فيما يكتب، فغضب عليهِ الملك غضباً شديداً ، وأمره ان يحرّق هذه الرسالة في الطرق على اعين الناس ، فأبى فولتير وقدم استعفاءهُ من وظيفتهِ ورد كل ما حباه بهِ الملك مع ابيات من الشعر:

لقد تقبلتها في سرور وطرب ،
والآن أردها في اسىً وحزن ،
كعاشق أناني ، سلّطت عليهِ الخواطر السود ،
فرد الى الفتاة التي أحب رسمها

غير أن الملك لم يتركهُ يفلت ، فردّ اليهِ ما أرسله في نفس الليلة ، ومضت أسابيع تخللتها مخاصمات ومصالحات ، ثم جرى الحديث بين الملك وفولتير أثناء احتفال باهر ، قال الملك: « مسيو دي فولتير ، انني أرى رغبتك في السفر مُلحة ! » قال « سيدي ، بالرغم مني ما أريد ، لانها صحتي . . . » قال الملك اذن أتمنى لك سفراً سعيداً ! »

وغادر فولتير فما رأى أحدهما الآخر بعد ، وجاءته الخطابات تترى تحمل في ثناياها شتى ألوان التقدير والاعجاب ، فما انقطع سيلها الاّ بعد أربع وعشرين سنة ، حين مات الشاعر

* * *

لقد جاوز الستين وهو يعيش الى جانب جنيف عيشة أغنياء النبلاء ، وقصره الصغير يعج بالضيوف من مختلف الأمصار ليروهُ وليسمعوا منهُ . وأصبح يملك عربة ، ولهُ خدم وطاهٍ من باريس وسكرتير ولقد نجحت رواياته على مسرحه الخاص نجاحاً باهراً ، أثار حقد مواطنيهِ من النبلاء

هنا على حدود وطنه ، الذي اضطهده وشتت شمله لأنهُ عرف كيف يفكر بعقل الفيلسوف عاش أكثر من عشرين عاماً ، يتنقل في هذه الناحية في حذاء وجوارب سود ، وسترة فضفاضة من الحرير ، وقبعة من المخمل او في شعر مستعار ، ثم هو يعمل في نشاط ، ويطالع في نشاط ، ويستقبل ضيوفه من العظماء والعظيمات . واتخذ الحيطة فاشترى ضيعة في سويسرا وأخرى في فرنسا ليستطيع ان يفر من واحدة الى أخرى متى حمل على ذلك

وحين كبرت سنه لم يستطع ان يشبع نهم ضيوفه من المفكرين والفلاسفة ، فبذل قصارى جهده في العناية بأمر الفلاح ، وأصاخ الى صيحاته الحزينة المكفوفة ، فاستطاع أن يحصل من مجلس المدينة في جنيف على تصريح يخوّل لهُ نزح المستنقعات التي تحيط بضيعتهِ ليحفظ على الناس صحتهم ، واستطاع ايضاً ان يرفع نير استعباد المزارعين عن صغار الفلاحين

وهو الآن يعمل ما يعمل الفلاح الصغير فهو يحرث ويبذر في حقله المسمى حقل دي فولتير وظلَّ يقوم عليهِ بنفسهِ حتى جاوز الثمانين وانطفأت منّته ، وكان فولتير ايضاً كريم النفس ، سخيّ اليد ، يساعد المعوزين والفقراء من أبناء مقاطعته ، ولقد شجع صناعة الساعات الدقاقة ، وهو اول من أدخل صناعة نسج الحرير ، فحوّل مسرحه الى بيت لدود القز

في هذه الآونة ايضاً دأب اشهراً ليطلق سراح اسرة في تولوز كان قد اتهمها القضاة المتعصبون باطلاً ، فهاجم ما فشا في القضاء الفرنسي من فساد ، وما ساد من استعباد

لقد كان العدل هدف فولتير الاعلى

* * *

وفي عصر يوم من ايام فبراير وقفت عربة على باب باريس الغربي ، وسأل ضابط : او يكون على ظهر هذه العربة ما يحرم دخوله ؟ فأجاب رجل هِمّ في صوت يضطرب « لا اعتقد ، ليس هنا سواي ! » وحدق فيهِ ضابط ثم أقسم « والله انهُ لهو فولتير ! »

لقدجاء يزور باريس للمرة الاولى والاخيرة منذ عشرات من السنين . وتوارى وراء المسرح والروايات واعماله العديدة يتخذ من كل ذلك سبباً يفتح امامه ما استغلق ، ولكنهُ كان يريد أن يجد فرصة يزور فيها باريس ، وكانت باريس تتمنى لو اتيح لها ان تراه . وكان هو قد هاجم كلاً من البلاط والكنيسة فأمضها ، فالاول يريد أن يبعده عن باريس والثانية تريد ان تستدرجهُ علّهُ يؤمن ، ولكنهُ وجد ترحيباً من الاكاديمية ومن الزعماء السياسيين ومن زعماء المسرح ، فكان يزوره نيفٌ وثلثمائة شخص في اليوم الواحد. ولقد ابتدأ هو فزار المرأة التي كانت أولى من أحب ، والتي لم يرها منذ ستين عاماً . ولقد اثرت في نفسه هذه الزيارة وأثرت في نفسها هي ايضاً ، حتى انها ردّت اليهِ في اليوم الثاني صورتهُ حين كان شابًّا

* * *

لاول مرة في مدى سبعين سنة ، وفولتير تتناهبه الاسقام وانحطاط القوة ، وقع مع قس

في نقاش ديني ، غير ان واحداً لم يعرف ما استقر عليه رأي فولتير . وجعلت الكنيسة تتملقهُ حتى اقر بأنهُ يريد أن يموت على المذهب الكاثوليكي ثم قال « ... واني لارجو ان يغفر لي الله وأن تسامحني الكنيسة فيما فرط مني نحوها » لقد انتهى فولتير الى هذه الخاطرة حين أُدخل في روعه أن جثته — إن لم يفعل — ستلقى في العراء . ولكنهُ حين جاء القس يلقنهُ بعض الطقوس الدينية أوقفهُ قائلاً « تذكر ان دمي لا يزال ملوثاً ، ويجب علينا الاّ نخلط بهِ دم الله ! »

وراح يصد هجمات الكهان وهو يقول في غضب : انهُ لن يذعن كما اذعن اولاً . وعلى حين فجأة ارتدت اليهِ صحته . لقد كانت خطواته في الأكادمية موفقة ، وعلى المسرح الباريسي لاقى احتفاء لم يفز بهِ من قبل شاعر . وحين اضطره اصدقاؤه ان يبدو امام الناس ، اطلّ من مقصورة في المسرح ثم انحنى يحيي الجمهور ، ثم رفع رأسه وقد اغرورقت عيناه بالعبرات وقد ظلت طول عمره قوية صافية . وحين ارتد الى داره جلس يحدث نفسه وهو يبتسم (انك لم تخبر الفرنسيين ، لقد رحبوا بروسو في مثل هذه الحماسة والاندفاع في يوم ، وفي اليوم التالي أمر فقبض عليه !) ثم اشترى داراً في باريس وعزم على ألاّ يبرحها حتى يحين حينه

ولكنهُ اسرع نحو النهاية فانحطت قوته على حين بغتة ووافتهُ المنية بعد اسبوعين

* * *

وأبت عليهِ الكنيسة قبراً ، وأخذ الطبيب ، وهو يشرحهُ ، رأسهُ الشاذ القوي ، وأخذ صديق قلبه . وفي المساء كانت جثتهُ في ملابسها وقبعتها وقد لُفَّت في رفق ، تبدو كرجل نائم ، وأبعدت على مركب . وحرمت الكنيسة الموتورة على الاكاديمية ان تقرأ شيئاً مما كتب الميت الجاحد ، وحرمت على الصحف ان تنشر كلمة عنهُ ، وأبعد رئيس دير لانهُ لم يستطع ان يمنع نقل الجثة ، ودفن الميت سرًّا الى جانب احد ذوي قرباه

وفي سنة ١٧٩٠ اي بعد اثنتي عشرة سنة احضر رفات فولتير ، مع اول نسمات الثورة ، الى باريس في حفل حاشد ودفن في البانثيون . وملئت الحجرة التي لبث فيها زماناً سجيناً في الباستيل ، بالزهر والنقوش ودوت بالاغاني والموسيقى . وفي وسط المشاعل والموسيقى بين مئات الآلاف من الناس مرت العربة تحمل رفات الرجل العظيم ونثرت عليهِ آخر كلمات التقدير « لقد نفث هذا الشاعر المفكر والمؤرخ في الانسانية من روحهِ السامية فتأهبت للحرية »

* * *

وتحطم التابوت الرصاصي في البانثيون ، حطّمهُ جماعة من الشبان المعارضين في احدى ليالي مايو بعد أربع وعشرين سنة ، وجمعوا عظامه وأودعوها حقيبة ، وحفروا لها حفرة في دار مهجورة على حدود العاصمة ، وهكذا ضاع رفات هذا الرجل العظيم في التراب

* * *

وليس يعرف احد الآن اين وقعت عظام فولتير

الفكر واللغة

لجورجي شاهين عطيه[1]

سمعنا منذ مدة لحضرة مدير هذا المعهد العلميّ الزاهر المسيو غرانجوان محاضرة نفيسة بالفرنسية موضوعها « الفكر واللغة » تناول فيها بالبحث المشبَع قضية العلاقة بين ما لكل امة من الطرق في التفكير ، وما في لغتها من أساليب خاصة في التعبير ، موردًا على ذلك الامثلة العديدة من كثير لغات الشرق والغرب . وقد رأيت الآن ، وقد أُتيحت لي فرصة التحدث اليكم، ان اطرق هذا الموضوع نفسه ، مقتصرًا في البحث فيه على ما يتعلق بلغتنا العربية خاصّةً ، فأُبيّن ما بين أوضاع هذه اللغة وتعابيرها وطرق التفكير عند العرب الاقدمين من العلاقة ، ثم أتطرق الى ايضاح ما يجب التقيد به من العلاقة بين طُرُق تفكيرنا في هذا العصر وما يراد صوغه من الاوضاع والتراكيب الحديثة

﴿ لغة كل قوم تصوّر افكارهم ﴾ معلومٌ ان لغة كل امةٍ هي ما تتخذه للتعبير عن افكارها ، فلا يرتسم بها الا صُوَر ما يجري في اذهانها ، ويجول في خواطرها . والذي يؤثر في تكوين عقلية الامة وطرُق تفكيرها عاملان : البيئة الطبيعية ، ونريد بها ما يحيط بتلك الامة من جبال وبحار وانهار وصحارى وما اشبه ، والبيئة الاجتماعية ، ونريد بها ما لها من نظام أُسرةٍ ودين وطرق معيشة ونحو ذلك . على اننا اذا حاولنا تطبيق هذه القاعدة على لغتنا العربية بالنسبة الينا وجدناها تنطبق عليها في بعض الشيء ولا تنطبق في البعض الآخر . فلغتنا تصوّر ما في افكارنا في ما نتعمَّده من ذلك تعمُّدًا ، واما في ما نستعمله كل حين من التراكيب المجازية فانها لا تبسط الا صُورًا تمثل احوالاً غير احوالنا ، وتشير الى عصور غير العصر الذي نعيش فيه . وسنرى الآن ما في بعض تلك التعابير من تصوير لاحوال قدماء العرب الطبيعية ، ثم لاحوالهم الاجتماعية

﴿ تصوير احوال القدماء الطبيعية ﴾ يقول الواحد منا اذا سُرّ : « وقد قرّت عيني ، وثلج

(١) نص المحاضرة التي القاها على جمهور من الادباء بالكلية الملمانية في بيروت

صدري » ومعنى قرّت بردت ومعنى ثلج صار بارداً كالثلج ، واذا بحثنا في سبب اختيار البرد للتعبير عن السرور نجدهُ في حالة العرب ومعيشتهم في بلادٍ حارّة يؤذيهم هجيرها ، وتؤلمهم رمضاؤها ، مما جعلهم يتصوّرون البرد أفضل وسيلة من وسائل النعيم . وبديهيٌّ انهم لو كانوا عائشين في بلاد باردة لما كان للبرد عندهم هذا المعنى المستحب ، ولا كانوا يدعون على من يريدون لهُ السوء بقولهم : « أسخن الله عينهُ »

ونقول في الدعاء بالخير : « سقياً لفلان ، وسقى الله ايام الصبا » وما كان هذا الدعاء بالسقي الاّ لقلة المطر وندرة الانهار والينابيع في شبه جزيرة العرب بحيث كان السقي اهم ما يمكن تمنيه من الخير . وهذا ما جعلهم يدعون المطر بالغيث لانهُ يغيثهم اي يعينهم في الضيق ، وبالرحمة من باب المجاز المرسل لانهم يعدونهُ رحمةً من الله

ومن هذا القبيل قولنا : «رعاكم الله ، وسقياً لكم ورعياً »فضرورة الرعي لمواشيهم لم تكن تقل عندهم عن ضرورة السقي . فالماء والكلأ اشدُّ العناصر ضرورةً لحياتهم وحياة أنعامهم ، ولم يكن همهم التنقل من مكان الى آخر الاّ للبحث عنهما وعن المواضع التي يكثران فيها

ويدخل في هذا الباب قولنا مثلاً : من اهم واجبات الشبان الذّود عن حياض الوطن . فالحياض هي مجتمعات الماء ، وقد كان لكل قبيلة حياض خاصة تستقي منها وتوردها مواشيها ، ولما كانت تلك الحياض من اهم الاشياء كلها اذ عليها تتوقف صيانة حياتها وحياة سائمتها كان من الطبيعي ان يستميت جميع افراد القبيلة في الذود عنها ، وان يبذلوا دماءهم لمنع كل اعتداء عليها

ونقول : « ان هذه القصيدة من عفو الساعة » اي مما قاله الشاعر ارتجالاً بدون أن يجهد قريحته . واصل هذا من عفو الماء وهو ما فضل عن الشاربة وأُخذ من غير كلفة ولا مزاحمة

وكثيراً ما نقرأ في الصحف العبارة الآتية : « يمّموا البلدة الفلانية في الجبل انتجاعاً للصحة » والانتجاع هو طلب الكلإ والبحث عنهُ في مواضعهِ

ومثل هذا قولنا : « ان فلاناً من روّاد اللهو » والروّاد جمع رائد وهو الذي يسير امام القوم يبحث لهم عن مواضع الكلإ والماء

ونقول في قوم ضعف امرهم : « قد ذهبت ريح القوم » وفي من ابتدأ امرهُ في الظهور : « قد هبت ريح فلان » وما كان دخول الريح في مثل هذه المواضع الاّ لما لها من الاثر في إقامة البدوي وتنقلاته في الصحراء

ونقول في الامر الصعب المنال : « هذا امرٌ دونه خرط القتاد » والقتاد شجر ينمو في الصحراء لهُ شوك كالابر ، والخرْط من خرط الغصن اذا نزع ورقهُ اجتذاباً بان يقبض على أعلاه ويمرّ يدهُ عليهِ الى اسفلهِ

ونقول في من يطعن على قوم : « هو ينحت أثلتهم » والأثل شجر عظيم من الطرفاء و« هو يقرع مروتهم » والمرو حجارة بيض تقتدح منها النار

ونقول في من نشاوره في امر : « استورينا زند فلان » والزند هو حجر تقتدح منه النار ، واستيراء الزند استخراج النار منه

ففي كل ما تقدم تذكير بأحوال العرب في شبه جزيرتهم ليست مما نألفه ولا مما يعرفه أهل زماننا

﴿ تصوير أحوال القدماء الاجتماعية ﴾ أما ما يمثل أحوالهم الاجتماعية في كلامنا فهو كثير من ذلك قولنا : « إن الازمة ضاربة أطنابها في هذه الايام » والاطناب ما تشد به الخيمة من الحبال ، والمراد بضرب الأطناب نصب الخيام للإقامة

ومنه قولنا «ان الكسل سبب الفقر» والسبب هو الحبل الذي توصل به أطناب الخيمة بأوتادها

ومنه قولنا في العزم على الأمر : « ضرب فلان أطنابه على هذا الأمر ، وألقى له جرانه » والجران مقدم عنق البعير ، يقال ألقى البعير جرانه اذا برك ومد عنقه على الارض كناية عن تمكنه في البروك

وكثيراً ما ترد في كلامنا هذه الجملة او ما شاكلها : « قرأت هذا الفصل برمته » أي كله . ومعنى الرمة الحبل البالي . قيل ان رجلاً دفع الى آخر بعيراً بحبل في عنقه ، فصار يقال لكل من دفع شيئاً الى آخر بجملته : أعطاه إياه برمته

ونقول : « حدا بي الى فعل هذا الامر أو حداني اليه كذا » أي دفعني اليه ، وأصله من حدا الناقة أو حدا بها اي غنى لها وساقها

ونقول في من يسير في أمره على غير هدى : « هو يخبط خبط عشواء » أي ناقة عشواء وهي التي في بصرها عشاً لا تبصر ما أمامها ، فهي تخبط بيديها كل شيء اذا مشت لا تتوقى شيئاً

ونقول : « العجلة تنتج الندامة » وهذا من نتجت الناقة أي وضعت

ونقول في من يقصده الناس للاستفادة من علمه او جدواه : « إن دار فلان محط الرحال » والرحل ما يوضع على البعير ليركب عليه مثل السرج للفرس

ونقول في من لا يكتم سره : « هو لا يكظم على جرة » والجرة ما يفيض به البعير من كرشه فيمضغه ثانية

ونقول في من هو خبير بالامور : « هو جذلها المحكك » والجذل أصل الشجرة ينصب للإبل لتحتك به الجربى

وكثيراً ما نقرأ هذه الجملة : «بات القوم كأن على رؤوسهم الطير» اي ساكتين هيبة . وأصل المعنى في هذا ان الغراب يقع على رأس البعير فيلتقط منه القراد فلا يتحرك البعير لئلا ينفر عنه الغراب

ونقول : « قبض فلانٌ على أزمّة الأمور » و « انقادت اليهِ الامور بأعنّتها » والازمة جمع زمام وهو الخيط الذي يُشدُّ الى طرفهِ مقود البعير وقد يسمى بهِ المقود نفسهُ ، والأعنة جمع عنان وهو سير اللجام الذي تمسك بهِ الدابة

ونقول في من يطمع في غير مطمع : « هو يكدمُ في غير مكدَم » والكدم العضّ بأدنى الفم ، وأصله في الدابة تكدم الحشيش

ونقول في من كثر رزقهُ : درّت عليهِ اخلاف الرزق » والخلف للناقة كالضرع للشاة

ونقول : « فعل فلانٌ هذا الأمر اعتباطاً » اي بدون موجب . وهذا من اعتباط الذبيحة اي نحرها لغير علة

ونقول : « ورّطت فلاناً في الامر » اي اوقعتهُ فيهِ ، وهذا من الورطة وهي الوحل ترتطم فيهِ الدواب

هذا نزرٌ يسير من التعابير التي ليست في الواقع الا صوراً لحياة الاعرابي بين إبله وشاته. ولا يقل عنها ما نستعمله من التعابير التي تتمثل بها سائر مظاهر حياته

فمن ذلك قولنا : « أحرز فلانٌ القِدحَ المُعَلى » أي سبق أقرانهُ . والقِدح أحد قداح الميسر وهي سهام لا نصل لها ولا ريش ، والميسر قمار العرب بهذه القداح ، كانوا يشترون جزوراً ناقةً أو بعيراً ، فينحرونها ويقسمونها ثمانية وعشرين قسماً ويتساهمون عليها بعشرة قداح يفرضون في أحدها فُرضاً واحداً ، وفي الثاني فرضين ، وهلمّ جرًّا الى السابع فيفرضون فيهِ سبعة فروض ومجموع ذلك ثمانية وعشرون ، ويضيفون اليها ثلاثة قداح لا حزّ فيها ، ويجعلون الكل في خريطة وهي وعاء من جلد ويضعونها في يد رجل عدلٍ يسمونه المجيل أو المفيض ليجيل يده في الخريطة ويخرج منها قدحاً للرجل منهم . فان خرج لهُ قدحٌ من ذوات الفروض أخذ نصيبه من الاقسام بعدد الفروض التي فيهِ ، وان خرج لهُ قدح من الثلاثة التي لا فُرض فيها غرم ثمن الجزور . والقدح المُعلى هو ذو الانصبة السبعة

ومن هذا قولنا في من فاز في أمر . « قد فلج سهمهُ » أي غلب واستظهر

ومنهُ قولنا : « أجال القوم قداح الرأي » أي تشاوروا وهو من إجالة القداح في الخريطة على ما تقدم بيانه

ونقول : « أعطِ القوس باريها » أي سلم الأمر الى من هو أهلهُ

ونقول : « رميتُ عن قوس فلانٍ ونزعتُ عن قوسهِ » أي شاورتهُ وعملت برأيهِ « ورمى القوم عن قوس واحد » اي اتفقوا في الرأي والعمل

ونقول : « إن هذا الامر على قاب قوسين مني » دلالةً على شدة قربهِ وقاب القوس ما بين

المقبض والسّية فلكلّ قوس قابان ، والسّية ما عُطِف من طرفيها ، وفي القول قاب قوسين قلب فالمراد قابا قوس

ونقول في نفاد الصبر : لم يبقَ في قوس الاصطبار منزع ، وقد نفدت السهام حتى الاهزع والمنزع سهمٌ في الكنانة ، والاهزع آخر سهم من سهامها

ويرد في كلامنا كثيراً « سنوح الفرصة » وهذا من سُنُوح الصَّيد وهو ان يمرّ عن يمين الصّياد الى يساره فهو السانح ، فان مرّ عن اليسار الى اليمين فهو البارح . وكانت العرب تتيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح

ونقول في اختلاط الامر : « اختلط الحابل بالنابل » والحابل صاحب الحبالة وهي شبكة الصائد ، والنابل صاحب النبل ، وذلك ان يجتمع القناصون فيختلط اصحاب النبالة باصحاب الحبائل فلا يصاد شيء

ونقول في من وقع الخلاف بينهم وتفرقت وحدتهم : تصدعت عصا القوم ، وانشقت العصا بينهم ، والعصا آلة الدفاع عن النفس عند الاعراب فهي رمزُ القوة عندهم

ونقول « قشرت لفلان العصا » اي أطلعتهُ على ما في سريّ من محبة او عداوة

ونقول : « جاءت هذه المصيبة على فلان ثالثة الاثافيّ » اي كمل بها الشر كله فلم يبق منه غاية . وهذا من الاثفيّة وهي الحجر من حجارة الموقد ، كان يوضع حجر في كل من الجانبين فاذا وُضع الثالث كمل الموقد الذي توضع عليه القدر

ونقول في تهدئة اضغان القوم : « فثأنا ما جاش من قدرهم » اي سكّناه وكسرنا حدته

ونقول في من يوقد نار الفتنة : « إن فلاناً يوقد في الحظر الرطب » والحظر شجر شائك تعمل منهُ الحظائر ، والحظر الرطب اذا أُوقد انتشر منه دخان كثير حتى ينال أذاهُ كل أحد

ونقول في من يحسن التصرف بالأُمور : انه يعرف من اين تؤكل الكتف . قالوا تؤكل الكتف من أسفلها لأَن المرقة تجري بين لحم الكتف والعظم ، فاذا أُخذت من اعلى جرت المرقة على الآكل وانصبت ، واذا أُخذت من أسفلها انقشرت عن عظمها وبقيت المرقة مكانها

﴿ كيف رسخت هذه التعابير في صلب اللغة ﴾ كل هذه التعابير يستعملها الادباء ويستعملون اكثر منها في منظومهم ومنثورهم وقلّ منهم من يفطن لما فيها من تصوير احوال العرب الاقدمين في مختلف ضروب معيشتهم ولعمري ان هذا مظهر غريب في هذه اللغة لا نظن ان له مثيلاً في غيرها من لغات العالم . ولا مجال للعجب من رسوخ هذه التراكيب وامثالها في صلب اللغة بحيث صارت جزءاً متمماً لها لا يستغني عنه كاتب ولا شاعر في التعبير عن افكاره فان الادب في هذه اللغة بعد دخول الامة في عهد الحضارة ظل كما كانَ وهي في عهد البداوة ، وظلّ الشعراء في

دمشق وبغداد والاندلس يفتتحون قصائدهم بالبكاء على الاطلال ووصف النوق والخيام كما كان يفعل اسلافهم من سكان البادية في حين هم عائشون بين القصور والحدائق لا نوق لديهم ولا اطلال ، وقد بلغ من تشدّدهم في المحافظة على هذه الاساليب انهم كانوا يحظرون على الشاعر ان يركب في طريقه الى محبوبته فرساً او برذوناً لمجرّد ان الجاهليين لم يركبوا اليها الاّ الناقة. وان كان قد قام من عاب عليهم هذه الخطة ودعاهم الى نبذها كما فعل في أوائل العصر العباسي الشاعر ابو نواس القائل

عاج الشقيُّ على رسم اسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد

يبكي على طَلَل الماضين من أسدٍ لا درَّ درك قل لي من بنو اسدِ

لا جف دمع الذي يبكي على حجرٍ ولا صفا قلبُ من يصبو الى وتدٍ

فان هذه الدعوة لم تصادف آذاناً صاغية وظلّ الشعراء يقفون على الاطلال ويصفون النياق حتى اننا نقرأ في اواخر القرن الماضي لعلامتنا المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي اي بعد مرور اكثر من الف سنة على عهد ابي نواس قوله في مستهل احدى قصائده :

لِمن طللٌ بوادي الرمل بادِ تخطُّ به الرياح بلا مدادِ

وقفت بناقتي فيهِ فكنا ثلاثة أرسم ، في ظلّ وادِ

فهل نعجب بعد هذا من رسوخ هذه التراكيب في صلب اللغة وهذه حال الادب والادباء. أما في هذا العصر عصر السيارة والطيارة فقد تغيرت الحالة ولم يعد شعراؤنا يتحدثون الاَّ عن الزمان الذي يعيشون فيهِ ولا يصفون من الاشياء الاَّ ما يقع تحت حسهم بدلاً عما كان يألفهُ اهل القرون الخوالي . وهذا ما يبشر بنهضة جدية في ادبنا الحديث يتحفز بها لمجاراة آداب الشعوب الراقية . بيد انهُ اذا امكن تحرير الادب من قيود الاساليب القديمة فليس من الممكن ولا من الضروري تنقية اللغة من التراكيب التي في معانيها الاصلية دلالة على احوال القدماء ، ذلك بأن هذه التراكيب قد رسخت في الاستعمال وتداولتها الالسن والاقلام بمعانيها المجازية أما معانيها الاصلية فقد غابت عن الاذهان بتاتاً ولم يبق لها عند الناس الاّ هذه المعاني الاصطلاحية

***

﴿التجديد في اللغة﴾ على اننا قد اخذنا نشعر بمظهر من مظاهر التجديد في اللغة في ما نقرأه على صفحات بعض الصحف من تراكيب مجازية مبنية على صُور من حياتنا اليومية ، وهذه التراكيب تشيع تدريجاً في الاستعمال بحيث لا تلبث ان تجري مجرى المثل . من ذلك قولهم في

من يشير فتنة ليجرّ لنفسه مغنماً : « هو يصطاد في الماء العكر » وقولهم في العزم على ازالة التباس: «اننا نريد وضع النقاط على الحروف» . فهذه استعارات لا بأس بها ومزيتها فائقة في ان المشبه به فيها معروف ومألوف لدى القارىء . ومعلوم ان الاستعارة مبنية على التشبيه ، والاصل في التشبيه ان يكون المشبه به معروفاً عند المخاطب ليقيس عليه المشبه الذي يجهله او يجهل شيئاً من صفاته

بيد ان اهم مظهر للتجديد هو في ما نراه من الاهتمام بوضع ألفاظ للدلالة على ما اوجدته الحضارة الحديثة من ادوات وما تستلزمهُ من معان . وهذه مهمة قد تألفت لها في السنوات الاخيرة مجامع لغوية في عدد من الاقطار العربية تضم فريقاً من علماء اللغة الذين يشار اليهم بالبنان وفي مقدمتها المجمع اللغوي المصري . ولا اريد الآن البحث في ما قامت به هذه المجامع من اعمال وما اتخذتهُ من قرارات ولكني اريد توجيه الانتباه الى قضية هي بمنزلة الاساس من العمل الذي اتخذتهُ على عاتقها واغفالها يؤدي الى ضياع الفائدة المتوخاة منهُ . تلك هي قضية العلاقة بين الفكر واللفظ في ما يراد الاتيان به من الاوضاع . وأعني بذلك ان يكون المعنى المراد اتخاذ الاسم منهُ عن اقرب ما يخطر بالبال عند تصور المسمى اذا كان المقصود الوضع بطريق الاشتقاق ، او ان تكون العلاقة بين المعنى الموضوع له اللفظ والمعنى المراد استعماله فيهِ قريبة لطيفة ، اذا كان المقصود الوضع بطريق المجاز . وترى العرب قد راعوا بالبداهة هذه القاعدة في ما وضعوه من الالفاظ تمام المراعاة . ففي ما اشتقوه من الاسماء للسيف مثلاً قد وضعوا له المخذم والباتر والبتار والصارم والقاضب والقضيب والعضب والحسام والجراز من خذم وبتر وصرم وقضب وعضب وحسم وجرز وكلها بمعنى قطع والقطع هو اول معنى يتبادر الى الذهن عند رؤية السيف او تناوله . وكذلك ما وضعوه بطريق المجاز فقد راعوا فيهِ قرب العلاقة ولفظها كما في تسمية اللحمتين المتدليتين في جانبي الحلق باللوزتين ، وتسمية داخل الفم بالغار اي الكهف وما اشبه . اما اوضاع المجمع اللغوي المصري فاننا لم نرَ في كثير منها هذه المراعاة ، كما في تسمية قطار الركاب مثلاً «بالوقّاف» عللوا ذلك بحجة بطئه وكثرة وقوفه في المحطات . فان هذا المعنى ليس مما يتبادر الى الذهن عند رؤية هذا القطار منطلقاً وما من احد يركبهُ بقصد كثرة الوقوف في المحطات

ومثل ذلك اقتراح تسمية المعكرونة «بالدُّويداء» فانه اذا صح وجود جامع بين هذين الشيئين من جهة الهيئة فان هذه التسمية مستنكرة من جهة انها مبنية على تشبيه طعام مستطاب يستمرئه الناس بحشرات قذرة تتقزز النفس عند تصورها وهي مما تأكلهُ الخنازير . اولا يرى المجمع ان استعمال لفظة « الإطرية » في هذا المعنى وافٍ بالغرض . قال في القاموس : « الاطرية طعام كالخيوط من الدقيق » فان قيل ان هذا الاستعمال يحتاج فيهِ الى شيء من التوسع قلنا ان التوسع

لا بد منهُ في مثل هذا المقام كما نفعل في استعمالنا لفظة الحساء فان ما نعرفهُ الآن بهذا الاسم يختلف كثيراً عما كان معروفاً منهُ عند العرب. فالمهم ايجاد الفاظ يرضى عن استعمالها الذوق السليم

وكما تجب مراعاة الذوق من جهة المعنى تجب مراعاته من جهة اللفظ ايضاً . فمن المحال ارغام جمهور الكتاب والمتأدبين على استعمال ألفاظ غير مأنوسة او كريهة في السمع كما هي الحال في الارزيز والطرطران والطزر . والغريب في اللفظة الاخيرة ان ارباب المعجمات قد اختلفوا في تفسيرها . قال صاحب القاموس الطزر النبت الصيفي بلغة بعضهم ، ومثله قال صاحب اللسان . اما في المخصص فقد جاء ان الطزر البيت الصيفي واتفق الجميع على ان اللفظة فارسية معربة . ولكن مع عجمة هذه اللفظة والاختلاف في تفسيرها لم يرَ المجمع بأساً من تقريرها لمدلول كلمة « ڤيلا » . ولا أعلم ما الذي أحرج المجمع فأحوجهُ الى ركوب هذا المركب الذي اقل ما فيه ابدال كلمة اعجمية بكلمة اعجمية وقد كان له غنىً عن ذلك في لفظة « دارة » . قال في القاموس: « الدارة المحل يجمع البناء والعرَصة وهي أخصّ من الدار . ولم يذكر صاحب القاموس ما تتميز به الدارة عن الدار . ولكن دارات العرب مشهورة ، وقد كانت مواقعها خارج المدن . وتغزُّل الشعراء بها دليل على انها كانت على جانب من الاناقة . وكل هذا ينطبق على تحديد كلمة « ڤيلا » جاءَ في تفسير هذه اللفظة في معجم لاروس une maison de campagne élégante فهل من حرج بعد هذا في تخصيص لفظة دارة لهذا المعنى لا سيما وفيها ما فيها من اللطف والرشاقة

ان اهم شرط في حياة ما يوضع من الالفاظ الحديثة هو ان يراعى فيه ذوق العصر الذي نحن عائشون فيه . وإن قريشاً لم تتغلب لغتها على سائر اللغات في شبه الجزيرة لكونها أفصح العرب فالنبيّ انما استرضع في بني سعد ، بل ان لغتها تغلبت لانها كانت أعلم العرب باختيار الفصيح من الالفاظ اي انها كانت اصحهم ذوقاً فكانت تنتقي من الفاظ العرب عند اجتماعهم في مكة ألطفها وقعاً على الآذان . وبهذا استظهرت لغتها على غيرها من لغات القبائل وتمت بها الوحدة المنشودة . فالواجب السير على هذه الخطة عند وضع الالفاظ الحديثة ليكون العمل مثمراً

***

وأختم كلامي الآن بشكركم أيها الحضور الكرام على ما أوليتموني من فضل اصغائكم ، والدعاء للعاملين في سد حاجات هذه اللغة بالتوفيق في مسعاهم ، لتظل هذه اللغة الشريفة متابعة سيرها الاولى في خدمة الحضارة والعمران ، قائمة بالغرض الذي يطلب منها على تقلبات العصور والازمان

التحذير من خطر زراعي جديد!



حشرة سان يوزى

وصولها الى مصر في ابريل الماضي

للدكتور محمد منير بهجت
وكيل الحجر الزراعي الجمركي بوزارة الزراعة

﴿تمهيد﴾ ترتدّ تسمية هذه الحشرات بالقشرية الى الغلف التي تغطي معظمها . وقد تكون هذه الغلف قطنية او قرنية او جلدية او دقيقية او شمعية وتختلف شكلاً وحجماً ولوناً

والحشرات القشرية انواع كثيرة تنقسم تبعاً لتركيب غلفها الى حشرات ذات قشور صلبة وحشرات قطنية وبق دقيقي وحشرات رخوة او جلدية

لا تلبث هذه الحشرات عقب تولدها بالتفريخ بأيام قلائل حتى تكون مغطاة دائماً بالقشرة المميزة لنوعها ويختلف عدد سلالاتها السنوية ووقت تفريخها وخواص اطوارها الاخرى باختلاف نوعها وموسم ظهورها وموطنها . فبعض الحشرات القشرية يقتصر في تغذيه على نبات واحد في حين ان البعض الآخر يتغذى باصناف من النباتات عديدة . والحشرات القشرية تصيب جذور النباتات وسوقها الاصلية وفروعها واغصانها وأوراقها وثمارها . وتمتص العصارة من انساج النبات بأجزاء الفم وهي شبيهة بالابر وبعضها يفرز مادة عسلية كالندى تجتذب النمل والنحل والزنابير وغيرها وقد ينمو بعض الفطر على هذه المادة العسلية فيبدو الجزء المصاب من النبات مغطى بمسحوق اسود يشبه « الهباب »

﴿توزيعها الجغرافي﴾ موطن حشرة سان يوزى (Aspidiotus perniciosus comst.) الصين . وهي تفتك بالخوخ الصيني المعروف بالمزهر في منطقة التلال الفاصلة الصين الاصلية عن منوغوليا ومنشوريا . وقد استورد المستر . م . لك الذي كان قاطناً في سان يوزى بولاية كاليفورنيا في سنة ١٨٧٠ بعضاً من الشجر المصاب من هذا الخوخ فأدخل تلك الآفة الخطيرة في الولايات المتحدة الاميركية . وفي سنة ١٨٨٠ عثر كومستك على تلك الآفة ووصفها وما لبثت طويلاً حتى عم

انتشارها في تلك المنطقة من كاليفورنيا ثم تفشت في جميع الولايات المتحدة الاميركية . وبعد سنين قلائل من استقرارها وشيوعها تعذّر استئصالها لتأخر القيام بهِ . ثم نقلت على بعض شجيرات الفاكهة من الولايات المتحدة الى جزائر هاواي وشيلي واستراليا . وبعدئذٍ تسربت الى بلاد المكسيك والارجنتين . وهي الآن منتشرة في جهات عديدة من اليابان وزيلندة الجديدة وتسمانيا وجنوب افريقيا واوربا الوسطى ورومانيا واسبانيا والبرتغال علاوة على ما ذكر . وفي اوائل سنة ١٩٣٢ عثر عليها باسواق الفاكهة في باريس على تفاح اميركي . وفي ٨ مارس من تلك السنة نفسها صدر قرار وزاري فرنسي بمنع دخول جميع الثمار المصابة بهذه الحشرة فلم يعثر عليها بعدئذٍ في فرنسا . وفي أوائل ابريل سنة ١٩٣٧ عثر عليها لاول مرَّة على تفاح استرالي وصل الى جمرك بور سعيد لبيعهِ في مصر . وفي أواخر ابريل من السنة نفسها عثر عليها ايضاً على شحنة كبيرة من التفاح الاميركي بجمرك الاسكندرية . أما الشحنات المشار اليها فقد حجزتا في جمرك بور سعيد والاسكندرية

هذا وحشرة سان يوزي ليست من حشرات مصر ولم توجد بها مطلقاً

﴿ أطوارها ﴾ ان هذه الحشرة بغض الطرف عن غرابة أطوارها التي هي أشبه شيء بقصة خيالية تتوالد فتكثر بسرعة مدهشة . فقد أحصي النسل الناشيء عن أنثاها الواحدة فاذا هو زهاء ٣٫٢١٦٫٠٨٠٫٤٠٠ حشرة في الموسم الواحد اذا ما صادفتها أحوال جوية ملائمة ولم تهلك أية حشرة منها

وصغار الحشرات تولد احياء . وقد يصل العدد المتولد من الحشرة الواحدة الى ٤٠٠ احياناً . أما عدد أجيالها فأربعة في السنة غالباً . وهذه الحشرة وان كانت تشاهد بجميع أطوارها المختلفة على النباتات في فصل الخريف الاَّ ان معظمها ينعدم في الشتاء سوى القليل من صغارها التي تمضي الشتاء وهي مستكنَّة . فاذا ما جاء الربيع شرعت في امتصاص العصارة وكبرت في حجمها حتى يتكامل نموها وعندئذٍ تبدأ أناثها في وضع صغارها بمعدل ٩ او ١٠ كل يوم مدى ستة أسابيع . وقبل توقف الامهات عن الولادة بأسبوع تشرع صغارها التي ولدت في الاسبوع الاول وتكامل نموها في الولادة وهكذا . هذا والصغار بعد ولادتها بساعات تبدأ في امتصاص العصارة ثم تشرع في افراز كتلة من الألياف القطنية أو الشمعية لا تلبث حتى يتدخل بعضها في بعض فينشأ عنها الغلف القشرية للحشرات

والغطاء في أول الأمر أبيض مستدير في وسطهِ نتوء صغير ثم يسودُّ خلال أسبوعين أو ثلاثة وأخيراً يصير ذا لون سنجابي . والاناث وحدها تفقد أعينها أثناء الانسلاخ الاول في حين أنها والذكور معاً تفقد فيهِ أرجلها وقرون استشعارها . وهذه الذكور ذات أعين أرجوانية

اللون كبيرة وهي تتحول بالتدريج بعد انسلاخين آخرين الى حشرات كاملة لها أجنحة رقاق لونها برتقالي . أما الاناث فتظل كل واحدة منها مستديرة الشكل منبسطة وتتزاوج مع الذكور بعد انسلاخها الثاني

﴿ وصفها ﴾ الحشرة الانثوية البالغة تكون مستديرة تقريباً ومحدبة قليلاً وفي حجم رأس الدبوس قاتمة اللون في صغرها سنجابية عند بلوغها ذات حلمة سوداء في وسطها تحيط بها قناة سنجابية فاتحة اللون . اما الحشرة الذكرية فقاتمة اللون سنجابية تضرب الى السواد وأصغر من الانثى كثيراً وطولها ضعف عرضها

وحشرة سان يوزي ويقال لها ايضاً حشرة الصين القشرية عبارة عن قشرة وحشرة حقيقة . فالقشرة ضئيلة الحجم غير ظاهرة ولكن يسهل تمييزها على انساج النبات الطرية بوجود بقع حمر حول قواعدها . اما الحشرة نفسها فقد توجد تحت هذه القشرة الواقية لها وقد لا توجد وهي رخوة الجسم صفراء كالليمون . واناثها مستديرة تقريباً بينما الذكر اكثر استطالة منها واطوار هذه الحشرة تسترعي النظر لان الذكر منها وهو في طور الشرنقة يختلف كثيراً بعد الانسلاخ الاول عنه في الانثى . فالذكور لها اعين ارجوانية كبيرة في حين ان الاناث ليس لها اعين مطلقاً وهذا ما قد اصطلح عليه ريلي « بالطور السابق الشرنقة » الذي توجد فيه وسائد للاجنحة بينما تكون الافخاذ قصيرة غليظة . اما الطور التالي المعروف بالشرنقة الحقيقية فتستطيل فيه قرون الاستشعار والارجل . اما الحشرات الكاملة فتخرج من تحت قشورها متراجعة الى الخلف وفي حالة الاصابة الشديدة تكون الاجزاء المصابة مغلقة تماماً بقشور متضامة تعيش تحتها الحشرات

﴿ النباتات التي تعولها ﴾ جميع الحشرات القشرية تلحق الضرر بالنباتات على نمط واحد هو امتصاص العصارة وتجريد انساج النبات من الغذاء . وهناك تأثير فسيولوجي ينشأ عن مواد تفرزها الحشرات القشرية في النباتات لكنهُ قليل الشأن لان الشجرة التي لم تضعف جداً لفقدان الغذاء تنتعش ثانية متى ابيدت الحشرات . وقد تغطي القشور الشجرة المصابة اذا تركت وشأنها بغير علاج سنة او سنتين فاذا ما مضى عليها سنتان أخريان ماتت او صارت عديمة الفائدة

وتوجد حشرة سان يوزى على اي جزء من النبات وفي حالة اصابة الثمار بها تشاهد عادة مجتمعة حول عنق كل ثمرة وتسبب عليها بقعاً حمراً صغيرة وكذلك الحال في اللحاء الداخلي للشجرة المصابة حيث يكون في الغالب مصطبغاً باللون الارجواني في مواضع تجمع هذه الحشرات

وسرعة توالد هذه الحشرة مع سهولة « تأقلمها » تجعلانها شديدة الخطر وهي تعيش في مختلف الاجواء حارة وباردة رطبة وجافة وغذاؤها يختلف باختلاف مواطنها ولكنهُ ينحصر في شجر الفاكهة والزينة وفي الاعشاب

كانت حشرة سان يوزى في اول الامر آفة شجر الفاكهة ولا سيما الخوخ الذي ما زال عرضة للاصابة الشديدة بها . وكذلك صنف الكمثرى المعروف بالدوشس Duchess والصنف الآخر المعروف بالبارتلت Bartlett تشتد اصابتهما بها بينما صنف الكمثرى المسمى كيفر Kieffer يظل منيعاً. اما البرقوق المعروف بالبلو دامسون Blue Damson فاكثر قابلية للاصابة بها من اصنافه الاخرى . والسفرجل والتفاح عرضة للاصابة بها ولكن صنفي التفاح المعروفين ببين ديفس ويلوترانسبيرانت Ben Davis & Yellow Transparent اكثر عرضة للاصابة من اصنافه الاخرى العادية . اما شجيرات الريبس Current bushes فاذا ما اصابتها هذه الحشرة تلفت او ماتت . وقد يصاب بها الكريز الحلو. اما اصنافه الحمضة فنيعة تقريباً . وكروم العنب لا تصاب عادة لكنها قد تصاب اذا ما غرست بجوار اشجار اصابتها شديدة . وتوت امريكا المعروف باسم ماك لورا اورانتياكا Maclura aurantiaca واسمه الانجليزي اوسج اورنج Osage orange اذا ما غرس كسياج نباتي اصيب اصابة شديدة واتخذته الحشرات القشرية مكاناً اميناً لا يضارع لتوالدها — وأصناف الورد العديدة عرضة للاصابة عادة اما الاشجار الآتية وهي الاجاس المسمى (Fraxinus alba المسمى (Pyrus aucuparia Mountain Ash) وشجر لسان العصفور الابيض or F. americana) White Ash وشجر البيلاق المسمى Lilac (Syringa vulgaris) وزهاء مائة نوع آخر من اشجار الغابات عرضة للاصابة بها

﴿ وسائل انتشارها ﴾ (١) مجرد زحفها على الفروع المتعانقة (٢) بواسطة الرياح الشديدة (٣) بحملها على اقدام الحيوانات وأجسامها ولاسيما الطيور والحشرات التي تفوقها حجماً (٤) على شجيرات الغرس المصابة (٥) بالشحنات الزراعية المصابة المستوردة من الخارج

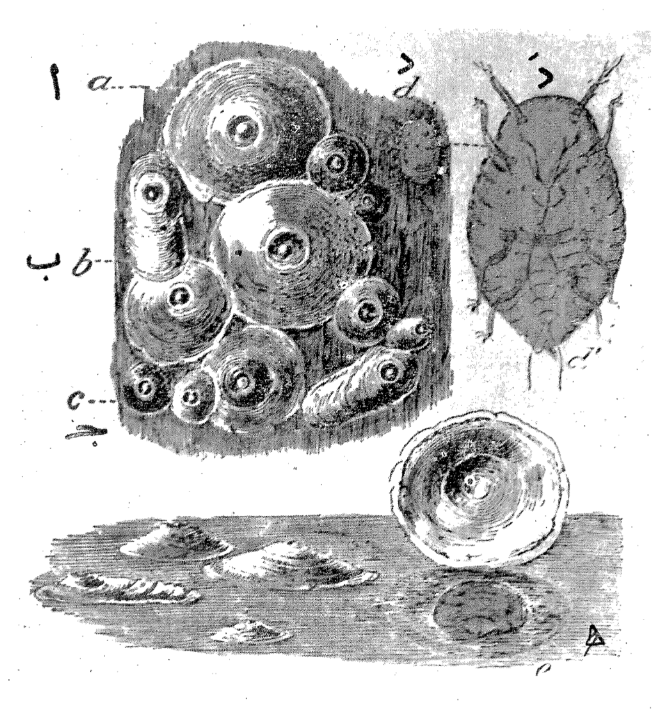
﴿ طرق مقاومتها ﴾ من المعلوم ان ابادة بويضات الحشرات بالرش اصعب من ابادة الحشرات نفسها التي لا بد لها من استنشاق الهواء حتى ولو كانت الاخيرة في حالة كمون جزئي

وقد اشرت الى ان حشرة سان يوزي لا تقضي فصل الشتاء في طور البيضة فالحشرات الصغيرة تسكن في فصل الشتاء تحت قشورها . ولما كانت حشرة سان يوزى القشرية لم يعثر عليها مطلقاً في مصر فانهُ اذا اتفق وتسربت الى داخلية القطر من النطاق الجمركي بسبب ما فلا بد من اتخاذ الوسائل الفعالة الآتية لمقاومتها :—

١ — ان يكون رجال الحجر الزراعي بالجمارك على حذر من ان تتسرب حشرات اخرى الى داخلية القطر

٢ — الامتناع عن شراء شجيرات الفاكهة من المشاتل المصابة

٣—علاج شجيرات الغرس المصابة بالمشاتل في كل سنة حتى تستأصل الحشرات القشرية



حشرة سان يوزي القشرية « ا » الحشرة الانثوية البالغة « ب » الحشرة الذكرية « ج » الحشرات الصغار « د » اليرقة عقب تولدها « دَ » اليرقة نفسها مكبرة كثيراً « ه » قشرة مرفوعة ليشاهد جسم الحشرة الانثوية تحتها . وهي جميعاً مكبرة كثيراً أخذا عن (كوينتانس)

٤ — تقليم النباتات المصابة التي يمكن انقاذها في البساتين وحرق مخلفات التقليم

٥ — قلع جميع الاشجار المصابة التي لا يرجى نفعها وحرقها

٦ — احكام رش الاشجار المصابة في فصل الشتاء بمحلول الجير والكبريت او ببعض المستحلبات الزيتية

٧ — الاستمرار في الرش سنة فسنة طالما عثر على اي اثر للحشرة القشرية

٨ — عمل الترتيب اللازم لمكافحة هذه الحشرة بالوسائل البيولوجية

﴿ الرش ﴾ الطريقة الشائعة المعول عليها لمقاومة الحشرات القشرية هي الرش . وقد وجد ان الرش بالمواد المناسبة في الوقت اللازم اذا أجري كما يجب مرّة في السنة كان كفيلاً بقمع الحشرة ومنع ضررها . اما المواد المجربة والمعتبرة خير المواد لرش حشرة سان يوزي القشرية فهي مخلوط الجير والكبريت وكذا بعض المستحلبات الزيتية . اما المواد الأخرى كالصودا الكاوية وزيت السمك والصابون والكيروسين النقي ومستحلباته ومنتجات البترول المنوعة والمستحضرات المعروفة بمبيدات الحشرات القشرية فهي أقل تأثيراً مما تقدم

﴿ العلاج بالغمس ﴾ تستعمل هذه الطريقة فقط في علاج شتلات الغرس . فالغمس في المواد الموافقة اذا توافرت فيه جميع الشروط اللازمة يقتل أية حشرة قشرية قد تكون على الشتلات وقت العلاج من دون ان يلحق بها أي ضرب . والمحلول الذي يستعمل هنا هو بوجهٍ عام المحلول المستعمل في الرش الأ انهُ يكون عادة اكثر تركيزاً والشائع هو استعمال محلول الجير والكبريت والزيوت القابلة للذوبان ومستحلب الكيروسين والارجح منها هو الاول فهو أقل خطراً وفعلهُ يضارع فعل أي واحد منها . ولا بدّ من تخفيف المستحضرات التجارية لمحلول الجير والكبريت بنسبة جزء واحد منهُ الى كل سبعة أجزاء من الماء . ومدة الغمس هي دقيقة واحدة وبعدئذٍ توضع الشتلات المعالجة على مسطح منحدر بحيث تكون قمتها الى اسفل ليصفى عنها السائل . وينبغي ان لا تغمس الجذور لكيلا يلحقها تلف ولا ضرر اذا تصادف وقوع بعض السائل على الجذور الكبيرة ويراعى ان تكون الشتلات المعالجة في حالة كمون تام . ويلزم عند استعمال الزيوت القابلة للذوبان ان تخفف كما لو اريد استعمالها في عملية الرش — اي تخفف بنسبة جزء واحد من الزيت لكل خمسة عشر جزء من الماء . اما عند استعمال مستحلب الكيروسين فيجب تخفيفه بنسبة جزء واحد من المستحلب لكل سبعة اجزاء من الماء

﴿ التدخين ﴾ يحسن تدخين شجيرات الفاكهة قبل نقلها من المشتل الى محلها الدائم بالبستان . والعادة ان يستعمل غاز الحامض الهيدروسيانيك بالنسبة الآتية لكل مائة قدم مكعبة من الفراغ

سيانيد الصوديوم (٩٥ ٪ نقاوة)	اوقية
حامض الكبريتيك النقي	اوقية
ماء	اوقيتان

ولا بد من استمرار عملية التدخين مدة تتباين من نصف ساعة الى ثلاثة ارباع ساعة ويجب ملاحظة عدم التدخين وشجيرات الفاكهة مبتلة لان وجود الرطوبة يجعلها عرضة للتلف — كذلك يتحتم اجراء التدخين في صناديق او غرف محكمة الاغلاق — هذا وقد دلت التجارب على ان التدخين اذا جرى بدقة واتبعت فيه الشروط السابقة لا بد من ان يقتل الحشرات القشرية التي على شجيرات الفاكهة المعالجة بدون احداث اي ضرر بها

***

﴿ الوسائل البيولوجية ﴾ تظل حشرة سان يوزى القشرية مغلوبة على امرها في موطنها الاصلي (الصين) بواسطة الحشرة الاسيوية المسماة Chilocorus simulis Rossi وكثير من الخنافس التي بالولايات المتحدة الاميركية تغتذي بحشرة سان يوزى القشرية واكثرها نشاطاً الخنفساء المعروفة باسم Chilocorus bivulnerus Mulds والنوع الصغير جداً الاسود اللون المسمى Microweisea misella Lec. وكل من الحشرات الكاملة واليرقات للخنافس المشار اليها تغتذي بحشرة سان يوزى القشرية. وفي ولاية ماستشوستس من الولايات المتحدة الاميركية قامت حشرة Prospaltella perniciosi Tower بالتغذي متطفلة على حشرة سان يوزى القشرية فكان له من اعظم الاثر في تلاشيها . هذا وقد ربى الدكتور هاورد الحشرات الطفيلية الآتية أخذاً من حشرة سان يوزى القشرية وهي : —

١ — Aphelinus fuscipennis How.,
٢ — Aphelinus mytilaspidis Le B.,
٣ — Aspidiophagus citrinus How.,
٤ — Anaphes gracilis How,
٥ — Physcus varicornius How.,
٦ — Prospalta surantii How.,
٧ — Alberus clisiocampae Ashm.,
٨ — Rhopoideus citrinus How.,

هذا وبعض الطيور الصغيرة قد تغتذي بحشرة سان يوزي من وقت الى آخر.

ثم ان حشرة سان يوزي القشرية وكثيراً من الحشرات القشرية الاخرى عرضة للاصابة بأنواع الفطر . وقد قام الفطر المعروف باسم Sphaerostible coccophila بما كان لهُ الاثر الجليل في عرقلة انتشار حشرة سان يوزي القشرية بولايات فلوريدا وجورجيا والولايات الاخرى التي تحيط بخليج المكسيك

ولا يخفى ان الرطوبة من اهم ضروريات نشأة هذا الفطر وتطفله

كيمياء الفيتامينات

التمهيد لصنعها بالتركيب الكيمياوي
ومكانة الضوء والاشعة التي فوق البنفسجي في ذلك

هذه العوامل الخفية في مواد الغذاء، التي تحول دون بعض الامراض، وتشفي بعضها، وتحصن الجسم فلا تناله العدوى من دون كفاح، لقد عرفناها بتأثيرها، وتبيناها في الاغذية التي تكثر فيها، فما هي على حقيقتها، والى اي المركبات الكيمياوية تمتُّ بصلة، وهل من المتعذر عزلها ومعرفة قوامها ثم تركيبها بحيث تؤخذ في كل بلاد مهما تباين الاقليم واختلف الغذاء وتطيب لكل حلق سواءٌ أفي زيت السمك كانت ام في غيره من مواد الغذاء النيئة والمطهية؟

من اوقع المشاهد في النفس في تاريخ العلم الحديث تسابق العلماء وتنافس المعامل في حل مشكلة علمية عند ما تتضح لهم عناصر تلك المشكلة، بل وقبل ان تتضح. لذلك قضى العلماء نحو عشرين سنة من ١٩٠٨ الى ١٩٣٠ وكأنهم يتلمسون في شكل الفيتامين طريقهم في الظلام. فعجزوا عن عزل الفيتامين وصنعه بالتركيب الكيمياوي. ثم اعلن خلال بضعة اسابيع في سنة ١٩٣١ ان فيتامين (د) قد استحضر بلورات نقية في لندن وجوتنجن وهولنده وايفانسفيل بأميركا

كان الطريق الى النجاح طريقاً وعراً. اتيحت الفرصة في غير منعطف واحد من منعطفاته لكشف السر، ولكن ما كان معروفاً عن الفيتامين، لم يكن وافياً، فضيعت الفرصة، وظلت المشكلة قائمة. ففي سنة ١٩٠٨ وضع احد الباحثين ثمانية جراء كلاب في حجرة مظلمة فأُصيبت بالكساح، حالة ان جراءً اخرى تركت طليقة فلم تصب بها، مع ان الطائفتين كانتا تتغذيان بغذاء واحد. وأثبت باحث آخر سنة ١٩١٢ ان جراء الكلاب تصاب بالكساح اذا حرمت من ضوء الشمس. ولاحظ هري ستينبوك احد مساعدي ماكولم الأَوَّل عند ما كان في وسكنسن (١) ماعزاً يمثل الجير ويبنيه في عظامه مدى اسابيع وهو يمرح في ضوء الشمس، ثم جعل يفقد هذا الجير عند ما حبس في حجرة مظلمة مع ان غذاءه كان واحداً في الحالين. ولكنهُ لم يمض في البحث لان الكلاب التي جرب فيها امتحان هذه المشاهدة لم تسفر عن نتيجة فانصرف عن

(١) راجع مقتطف مايو ١٩٣٧ صفحة ٥٣١ — ٥٣٢

هذا الموضوع الى آخر . وفي سنة ١٩٠٨ لاحظ هولدتشنسكي احد اطباء برلين ان الكساح اقلّ في الفصول المشمسة منهُ في الفصول الغائمة الماطرة

فقال هولد تشنسكي : لعل ضوء الشمس هو العامل الفعال في توليد الفيتامين ، وقد تمكن فعلاً من شفاء اطفال المان مصابين بالكساح ، بتعريضهم لاشعة منبعثة من مصباح بخار الزئبق

ثم ثبت لباحثة تشتغل بمعهد لستر بلندن ، ان المادة المقاومة للكساح في زيت السمك هي نفس المادة التي تولّد بفعل الضوء . ونشرت بحثها في سنة ١٩٢٢ فاذا فيه وصف تجارب جرّبتها فشفت جرذاناً مصابة بالكساح ، بتغذيتها باكباد الجرذان بعد تعريضها للاشعة المنبعثة من مصباح بخار الزئبق . ولكنها لم تتابع البحث فوقفت عند هذا الحدّ . وفي السنة التالية (١٩٢٣) تمكن ثلاثة من الاطباء الداعين الى عبادة ضوء الشمس من الناحية الصحية ، من كشف فعل ضوء الشمس الفسيولوجي، كلٌّ على حدة ، وهم الفرد هس بنيويورك وغولدبلات بلندن وستينبوك بماديسن وسكنصن . فقد وجّه ثلاثتهم الاشعة التي فوق البنفسجي الى مواد غذائية لا تحتوي الاّ على يسير من فيتامين D فكثر هذا الفيتامين فيها

وكانت طريقة ستينبوك غاية في البساطة . فقد ربّى هو ومعاونهُ بلاك جرذاناً في حجرة مظلمة، وغذاها بطعام يسبب الكساح وكان طعاماً مركّباً وفقاً لوصفة وضعها ماكولم الخبير العالمي في هذا الموضوع ، فظهرت اعراض الداء على الجرذان . فعرّض ستينبوك عندئذٍ عناصر الغذاء للضوء، ثم غذّى بها الجرذان المسجونة في الحجرة المظلمة والمصابة بالكساح ، فشفيت منهُ . فجرّب هذا الاسلوب في اطعمة اخرى ، ليس فيها فيتامين (د) او هو يسير جدًّا فيها ، فصحّ . فسجّل طريقتهُ هذه في سجل «الباتنته» الاميركي واستخرج امتيازاً باستعمالها ، وغرضهُ على ما قال وقاية الجمهور من استعمال الشركات المختلفة لهذه الطريقة استعمالاً قد لا يكون صحيحاً ولا سليماً . وكان رقم هذا الامتياز ١٬٦٨٠٬٨١٨ فحوّله عند الفوز بهِ الى جامعة وسكنصن ، مبيحاً لاحدى هيئاتها الرسمية الاتفاق مع الشركات التي تبغي استعمالها ، اتفاقاً يضمن استعمالها الصحيح . وما يجنى من هذا الاتفاق ينفق على تشجيع المباحث العلمية في الجامعة نفسها

وعلى الرغم من كلّ هذا ، وجه اعتراض شديد لحصر ثمار البحث العلمي المجرّد ، وتكبيلها بامتيازات خاصة ، لان هذه الثمار يجب ان تباح للناس

واذن فالضوء قد ركب في هذه المواد شيئاً جديداً فيها . فظنّ ستينبوك ان «الكولوستيرول» Cholesterol هو موطن هذا التركيب . والكولستيرول مادة توجد في جميع الخلايا الحية . فلما أخذ الكولستيرول وعرّض للاشعة التي فوق البنفسجي ظهر انهُ لا يشفي الحيوانات المصابة بالكساح . فانصرف ستينبوك عن هذا البحث الى آخر وهو سبب فقر الدم في الجرذان وشفائه.

ولكن غيره والى البحث . وفي سنة ١٩٢٦ أذيع من ثلاثة معامل في انكلترا والمانيا وأميركا ان المادة التي يحوّلها الضوء الى فيتامين هي المادة المعروفة باسم ارجستيرول « Ergosterol » وكان من المتداول بين العلماء ان مادة «الارجستيرول» هذه توجد في انساج النبات والحيوان في مقادير يسيرة جداً هي أقل من واحد في المائة . وهذه المادة ليست دهناً كما ظنّ أولاً بل من طائفة من المواد العضوية تعرف باسم «ستيرول» وقد وصفت بأنها «جذر شجرة الحياة ومن فروعها الفيتامينات والاتوار (الهرمونات) والانزيمات (الانزيم مادة كيمياوية معقدة يولدها الجسم العضوي كخلية الخميرة فتستطيع ان تحدث تحوّلاً كيمياوياً كتخمير السكر)

فلما وجد العلماء أمامهم مادة كيمياوية معينة أكبوا على البحث . وفي ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٣١ أذيع أول نبإٍ من أنباء النجاح . ذلك أن أدولف فندوس Windaus الاستاذ بجامعة غوتنجن وحائز جائزة نوبل الكيمياوية ، تمكن من تحضير فيتامين D في بلورات خالصة من الشوائب بتعريضه «الارجستيرول» للاشعة التي فوق البنفسجي ثم استخلاص الفيتامين D منهُ . وقد وجد فندوس انهُ اذا عرّض «الارجستيرول» لأمواج معيّنة من الاشعة التي فوق البنفسجي تمكن من الحصول على بلورات تكفي ثلاثة أجزاءٍ من بليون جزءٍ من الجرام منها لشفاء الكساح حالة أنّ جزءاً من خمسة آلاف جزءٍ من الجرام منها يفعل فعل السم . ولم ينقض شهر على ذلك حتى أذاع المعهد القومي للبحث الطبي بلندن استحضارهُ بلورات فيتامين D ودعاها «كالسيفيرول» Calciferol وجرى مستقلاً في تحضيرها على نفس الطريقة التي جرى عليها فندوس أي بتعريض الارجستيرول للاشعة

ثم اعلن باحث اميركي يدعى تشارلز بلز Bills — وقد كان أحد تلاميذ ماكولم — انهُ تمكن من تحضير فيتامين D بالتركيب الكيمياوي وذلك بمعالجة الارجستيرول بغاز اكسيد النتروجين (نتريك أوكسيد) لا بتعريضهِ للضوءِ . الاّ ان الفيتامين الذي حضره لم يكن نقياً ، ولكن وجه الخطر في اذاعتهِ ، اذا صحّت ، انهُ اول من صنع الفيتامين بالتركيب الكيمياوي لا بالاشعاع . ولا يزال الباحثون يجدون وراء التركيب الكيمياوي لفيتامين D من حيث ترتيب الذرات المختلفة في جزيئهِ

وما كاد فندوس يعلن استفرادهِ لفيتامين D النقي حتى اذاع باحث في جامعة بتسبرج يدعى كنغ King فوزهُ بفيتامين C في بلورات نقية . فسبق في ذلك طائفة من اشهر المعامل الكيمياوية المعنية بالموضوع في انحاء العالم

اقبل كنغ على هذا البحث سنة ١٩٢٥ وكان من المسلم بهِ ان الليمون الحامض غني بفيتامين C المقاوم للاسكربوط . ولذلك عني بهِ جماعة من العلماءِ يحاولون ان يستخرجوا منهُ هذا الكنز الصحي . ولكن البحث اعياهم فانصرفوا عنهُ . اما كنغ فلم يتطرق القنوط اليه . فأخذ عصير عشرات من « نصوص » الليمون وجرّب بكل وسيلة من وسائل الكيمياءِ ان يستخرج منها الفيتامين

النقي . وكانت كلّ مرتبة من مراتب تجربتهِ خاضعة لقواعد الضبط العلمي . وكان قد خطر لهُ ان الاوكسجين يتحد بفيتامين C فيتلفهُ فصنع اجهزة تمكنهُ من عزل العصير عن الاوكسجين باحلال النتروجين محل الهواء في أجواء الآنية التي كان يشتغل بها . واستعمل الارانب الهندية لامتحان فعل العصير في مراتبهِ المختلفة . وكان كلما قلّ العصير باستبعاد الاجزاء السائلة منهُ ، يتحنهُ بحقن هذه الارانب بهِ ، فرأى فعلهُ في مقاومة الاسكربوط يزداد فاعتقد انهُ اصبح قريباً من الفوز بالمادة النقية

وفي ٤ ابريل سنة ١٩٣٣ بعد سبع سنوات من البحث المضني المستمر ، استفرد كنغ من لتر كامل من عصير الليمون خمسين مليغراماً من بلورات اثبت انها بلورات فيتامين C النقي

وبعد ذلك أكبّ كنغ على حلّ هذه المادة النقية لمعرفة تركيبها الكيمياوي فثبت لهُ انهُ (ك٦ يد ٨ | ك٦) C6 H8 O6 وهذه المادة تباع الآن باسم سيبيون Cebione وتؤخذ عن طريق الفم في حبوب كل حبة منها سنتغرام (جزء من مائة من الغرام) ويقال انها تحتوي على مقدار من فيتامين C يعدل مقداره في ملء قدح من عصير البرتقال (٣٠ سنتمتراً مكعباً). ثم تناول پول كارر احد علماء زوريخ البحث في ترتيب الذرات في جزيء من هذا الفيتامين ويقال ان كيمياويًّا انكليزيًّا صنعهُ بالتركيب الكيمياوي بعيد ذلك

وبعد ذلك توالى استفراد انواع الفيتامين الاخرى فولد فيتامين A بتعريض الكاروتين (المادة التي تسبب اللون الاصفر في الجزر وهي مادة عضوية) لامواج الضوء من طول معين على نحو ما ولد فيتامين D بتعريض الارجستيرول للاشعة التي فوق البنفسجي ثم استخلص الفيتامين نقيًّا منها . وصاحب هذا البحث يدعى درمند Drummond وهو احد كيمياويي لندن

اما صورة فيتامين A الكيمياوية فهي كما يلي : ك ٢٠ يد ٢٩ | ك يد C 20 H 29 OH ولكن ترتيب الذرّات في الجزيء لم تستوف معرفتهُ بعد . ومن الغرائب ان فيتامين A في حالتهِ النقية زيت كثيف ثقيل الوزن وقد وجد في الدم والكبد والطحال والكظرين (الغدتين اللتين فوق الكليتين) وبعض اعضاءٍ اخرى . والرأي ان هذه الاعضاء تتناول الكاروتين من الطعام فيتحوّل الى فيتامين A بفعل انزيم خاص ويخزن

وتلا ذلك تحضير فيتامين B فحضّر ڤندوس الالماني مادة ظن انها بلوراتهُ النقية وذلك في سنة ١٩٣٢ ولكن روبرت وليمز الاميركي ، فاز في يناير سنة ١٩٣٥ ببلورات فيتامين B النقية من قشور الرز . ويمتاز وليمز على غيرهِ من الباحثين بانهُ حقق ترتيب الذرّات في جزيء الفيتامين الذي استفرده وصورتهُ الكيمياوية C12 H16 N4OS

وفي شهر أغسطس من السنة نفسها (١٩٣٥) أعلن افانز استفرادهُ لفيتامين E واستخلاصهُ في بلوراتهِ النقية . ولا يخفى ان لهذا الفيتامين صلة بالتناسل من جهة (راجع مقتطف يونيو

١٩٣٧ص٣٥)وبالسرطان من جهة أخرى. ذلك ان باحثاً كندياً تبين في سنة ١٩٣٤ان الفئران التي تتغذى بغذاءٍ يكثر فيهِ فيتامين E تصبح أشد مناعة من غيرها وأقل تعرضاً للاصابة بالنواحي السرطانية . ويؤيد هذا ان باحثاً في جامعة ايلينوي لاحظ ان الفراخ التي تتغذى بغذاءٍ يعوزهُ هذا الفيتامين تبدو فيها نوامٍ شبيهة بالنوامي السرطانية . فاستفراد هذا الفيتامين وتحضيره بلورات نقية سيسهل ولا ريب البحث العلمي المضبوط في هذين الموضوعين الخطيرين ، التناسل والسرطان

أما فيتامين G فلم يستحضر بعد نقياً من الشوائب وتركيبهُ غير معروف . فقد ظن اولاً ان فيتامين B و G واحد وظلّ الرأي كذلك حتى أثبت جولد برجر وغيره من رجال مصلحة الصحة الاميركية ان هناك فيتامينين في فيتامين B الذي يذوب في الماء ومايعرف الآن بفيتامين G مؤلف في عرف بعض الباحثين من مادتين كيمياويتين لا بدّ من تلازمهما لمنع البلاجرا

اما فعل فيتامين G في منع البلاجرا فلا يزال فيهِ مجال للبحث ، ورأي جولد برجر لم يقبل بحذافيره . ومن هنا بعض العقبة دون التوصل الى استفراد هذا الفيتامين ومعرفة تركيبه الكيمياوي

ان البحث في الفيتامين على النمط المتقدم ليس فوزاً لعلم الكيمياءِ البيولوجية فحسب ، بل هو فوز كذلك للعلم المطبق في الصناعة . فمادة الارجستيرول المعالجة بالاشعاع لتحويلها الى فيتامين D تدخل الآن في غذاءِ ألوف الألوف من الصغار وكذلك الخبز المشبع بهِ وهو يصنع باشراف معهدين علميين بالولايات المتحدة وكندا . ثم ان الناس يستهلكون كل سنة مقادير كبيرة من الخميرة واللبن الجاف والبسكويت وغيرها من الاطعمة بعد اضافة الفيتامين D اليها او توليده فيها . وتغذّى الابقار بالخميرة التي وُلّد فيها الفيتامين بالاشعاع ليزيد مقدار الفيتامين في لبنها وقد عمدت طائفة من مصانع الالبان الى تعقيم اللبن بأسلوب كهربائي خاص بحيث يحتفظ بما فيهِ من الفيتامين

هذه بعض الحقائق المتصلة بموضوع الفيتامين ، وهي على ما يرى القارىء كثيرة ومنوعة، وليس يهمّهُ منها بوجهٍ خاص الاّ ما كان لهُ علاقة بغذائهِ . وللعالم ما كولم كلمة مأثورة في هذا الصدد قال : « كُلْ ما تشتهي بعد أن تأكل ما يجب » . فما الأطعمة التي يجب أن تأكلها ؟ اللبن والخضراوات الورقاء والفواكه والبيض ومقادير معتدلة جدًّا من اللحم . هذه هي الاطعمة التي تقيك من الأمراض الناشئة عن نقص الغذاءِ . ويجب ان يضاف اليها في حالة تغذية الاطفال والحوامل والمراضع زيت السمك وكل ما يحتوي على فيتامين D لأنّ مقدار هذا الفيتامين في الاغذية المختلفة التي يوجد فيها ليس كبيراً

قال الحكيم الفرنسي قديماً « ان الموت يدخل من الفم » . وأثبت العلم الحديث ان طائفة كبيرة من الأمراض التي نصاب بها صغاراً وكباراً سببها نقص التغذية . هنا حكمة القدماء وعلم المحدثين مجتمعين !

المدرسة والطالب

والوطن

للدكتور تشارلس وطسن
رئيس الجامعة الاميركية بالقاهرة

سيداتي ، سادتي : تحت هذا العنوان ، وفي هذا الموضوع المتسع الجوانب ، اريد ان ابحث في ايجاز المرحلة الدقيقة التي تجتازها الامة المصرية اليوم ، ونصيب التربية من هذه المرحلة ، ولا سيما ما قد تستطيع الجامعة الاميركية ان تسديه من الخدمات الجليلة ، المشبعة بروح الصداقة والوداد في هذا السبيل ، وان تلك هذه الخدمات متواضعة في نوعها ، محصورة في مداها

ولنستهل البحث اولاً بقياس الحياة القومية الجديدة التي تمخضت عنها سيادة البلاد واستقلالها ، ولنساءل عن الفروق الناجمة عن هذه الحياة الاستقلالية ، وما اصبح الآن بفضلها مستطاعاً مما كان قبلها وبغيرها مستحيلاً . ان واضع هذا السؤال يمكن ان يكون احد اثنين : اولهما ذلكم الذي لا يعنيه من هذه الحالة سوى اشباع مآربه الذاتية وما يجنيه هو في هذا الموقف من النفع المادي . ذلكم الذي لا يجول بخاطره سوى الوظائف التي تفتح ابوابها امامه ، وما ينجم عنها من زيادة في المرتب ونقص في ساعات العمل . هذا هو الاناني الذي يدور محور تفكيره حول هذا الهدف : ترى ما الذي يعود عليّ انا من هذا الاستقلال ؟ واذا اتخذنا البلدان الاخرى مقياساً، بما في ذلك بلادنا — ولايات اميركا المتحدة — فان عدد الذين يقتحمون ابواب الحكومة لغنم ما يستطيعون من الغنائم ليس بالقليل ، وليس ثمة ما يصدهم عن اشباع مطامعهم الاشعبية سوى سخط الرأي العام . بيد ان هناك والحمد لله ذلك النوع الثاني من ابناء الامة ، الغيور على وطنه ، الذي يتجه تفكيره شطر طريق مباين للنوع الاول . ذلك هو الرجل الذي يسائل نفسه : ما هي التبعات الجديدة التي تترتب على هذا الاستقلال ، فأتحمل نتائجها ؟ وأنى لي ان اقوم بنصيبي منها ؟ وللاجابة عن هذا السؤال بروح الاخلاص المنزّه عن الغرض ، خليق بنا أن نحلل الموقف وان نبدي ما عنّ لنا من الملاحظات الآتية :

يلوح لي بادىء ذي بدء أن فوز مصر باستقلالها التام لن يحدث في نظام حكومتها تغيراً يذكر ، وهذا امر يظهر في غاية الغرابة ، اذا قابلنا بين مصر اليوم وولايات اميركا المتحدة في بدء

عهدها بالاستقلال . كانت تلك البلاد في ذلك الحين تتألف من ثلاث عشرة ولاية مستقلة بعضها عن بعض ، وكان عليها انشاء حكومة مركزية تضمها جميعاً تحت لواء واحد . وكان عليها ان تضع دستوراً ، وتنشيء مجلساً نيابياً ، وتنتخب رئيساً للجمهورية ، وتشيد قاعدة في واشنطون ، وتؤلف وزارة ، وتنظم غير ذلك من المصالح المتشابكة التي تسير دفة الاعمال في الحكومة الاتحادية الجديدة . بيد ان مصر لحسن الحظ أسعد حالاً ، وحالتها من هذه الناحية اقل تعقداً ، ومهمتها اخف عبئاً . فهي تتمتع بدستور راسخ البنيان ، ولها مليك شاب يبشر يمن طالعه بعمر مديد ، ولها مجلس نيابي قائم باعباء وظيفته خير قيام ، ولها وزارات حنكتها الايام واكسبتها دراية وخبرة منذ عهد بعيد . وليس ثمة ما تحتاج البلاد اليه من الانظمة الجديدة مما يستحق الذكر ، وليس هناك ما يدعو لاعادة التنسيق في اي مرفق من هذه المرافق . وبلاد بلغت نظمها هذه المنزلة السامية ، تبشر بنجاح اكيد في حياتها المستقلة الجديدة

وعلى الرغم من ذلك فليس هناك من يستطيع اغفال الحقيقة الواقعة ، وهي ان هذا الاستقلال حادث تاريخي مشهود ، له أسمى منزلة في حياة الامة المصرية . ويظهر شأن هذه الصفحة الجديدة في تاريخ وادي النيل الخالد جلياً للعيان ، اذا ما شبهنا مصر بشاب يغادر لاول مرة منزله وأسرته ، وينزل في ساحة العمل مغامراً طالباً للرزق ، وامامه شبح المسؤولية ماثل ، فلا يفتأ مناجياً نفسه : هل ترى يكون نصيبي الخيبة ام النجاح ؟ غير ان ابتهاجه بحياته الجديدة وحماسته المتقدة لا تقلان عن خشيته من أعباء المسؤلية ، ذلك لأنه بدأ يشعر حقاً بأنه هو المسيطر على نفسه ، المالك لزمامه . ولا يبرح هذا الشعور أن يقوّي في نفسه العزيمة الصادقة فيتقبل التضحية بصدر رحيب أملاً في النجاح مغامراً في لجة هذه الحياة الجديدة التي أخذ يخوض غمارها

لقد عدت الى مصر منذ شهرين بعد غيبة قصيرة في أميركا ، فأذهلني ما رأيت من دلائل الروح الجديدة منبثة في طول البلاد وعرضها ، وعلى الاخص في الناشئة . وأول ما شاهدته من هذه الروح كان في طلبة هذا المعهد حيث سمعت جمعهم ينشد في حماسة وقوة النشيد الوطني ، وشهدت بعد ذلك في دور السينما تصفيقاً حاداً كلما خفق العلم المصري على ساريات المباني والقصور . هذه المظاهر وأمثالها تنبيء بالشعور القومي الذي يمكن تسخيره للعمل والخدمة

ولا ندحة عن أن تفتقر هذه الروح الجديدة التي تبلغ فيها الحماسة والوطنية مبلغهما الى التوجيه والارشاد . لقد سبقت الاشارة الى ذلك الشعور الاناني الذي يتخذ الاستقلال سلماً يصعد به الى مآربه الذاتية . ولا يفوتنا أن ننوه كذلك بأن الوطني الملتهب حماسة مع بعده عن الانانية ، ونزاهة مقصده ، في حاجة ملحة الى هذا التوجيه وذاك الارشاد ، وإلاّ استحالت وطنيته هتافات وخطباً جوفاء ومظاهرات بغير عمل ، وبدت في ثوب قومي قشيب يبهر ظاهره

الأبصار ، وتجلت فيه مظاهر الأبهة والعظمة والادعاء ، وقد تتخذ الروح العسكرية لوائح الفخامة لمجرد الزينة لا أداة للذود عن حياض الوطن

على أن هذه الروح الجديدة يمكن توجيهها الى القيام بأجل الخدمات نحو الأمة كمكافحة الامراض الفتاكة التي حدت برجال القرعة العسكرية في سنة ١٩٣٤ — ٣٥ أن يرفضوا ٨٢ ./. من الذين تقدموا للفرز العسكري ، وكتوفير الماء النقي في كل قرية مصرية ، وانشاء المدارس القروية الكافية للقضاء على الامية في المناطق الزراعية ، وتأسيس المصانع إنقاذاً للبلاد من خطر الشبان العاطلين الذين لا يستطيعون الكسب من الزراعة ، وتطهير المدن من مهاوي الرذيلة ، وازدحام المنازل الحقيرة بساكنيها ، مع خلوها من الوسائل الصحية ، وانشاء الملاعب الفسيحة للاطفال والناشئين حتى يشب رجال الغد أصحاء بدنيًّا وخلقيًّا ، واخلاء الشوارع من المتسولين والاحداث الهمل وغرس المبادىء التي تعمل على تنمية روح التعاون والتفاهم وحسن النية بين الامم ، ولا يخفى ما ينبغي أن يكون لمصر في هذا من النصيب الوافر لوقوعها على مفترق الطرق العالمية

كل هذا يحتاج إلى توجيه وإرشاد وزعامة من الطراز الاول ، في جميع مرافق الحياة القومية من اجتماعية ، واقتصادية وقضائية ، وتعليمية ، وسياسية . ونظراً لاهمية هذه المرحلة الجديدة التي تقطعها مصر في تاريخها الحديث ، فانها على استعداد تام ان توجه الهدف الى اسمى الاغراض وأعلى المثل ، طالما كان زعماؤها في كافة المرافق الحيوية يتصفون بالنزاهة ، والبعد عن الغرض. وهنا يبدو ما للمدرسة من الشأن العظيم . وكيف يتسنى لنا ان نبحث عن زعماء الغد خارج دور التعليم ؟ اسمحوا لي أولاً أن أشدد النبرة على الصفات التي يجب توافرها في الزعامة ، ومنها تحكمون بأنفسكم على الاغراض التي نحاول بلوغها بما نزاوله من الاعمال في هذه الجامعة

الصفة الاولى التي يجب توافرها في الزعامة هي التماسك القومي وامتزاج الزعيم بالكتلة الوطنية لحماً ودماً . لان الزعيم على النقيض من « الدكتاتور » الذي لا يحتاج الى التعرف الى هذه الكتلة أو العطف عليها ، إذ انه لا يعير التفاته الى شعورها ، ولان همه منصب على إملاء إرادته على الشعب بغير إشفاق او رحمة . وليس الزعيم الحق كذلك ، لانه يستوي مع الشعب إن لم يكن بحكم النسب فبالعاطفة والاماني . أضرب لذلك مثلاً بصموئيل غومبرز الذي أصبح من أكبر زعماء العمال في أميركا . كان ذلك الزعيم في الاصل شغوفاً بالموسيقى ، وكان يمكن أن يكون كوكباً لامعاً من كواكب الأوبرا ، ولكنهُ رأى بعينيه العمال العاطلين يتضورون جوعاً بسبب إنشاء الآلات ، وسمع أحد عمال النسيج يهتف صارخاً ! « رباه خذ حياتي بيدك ، زوجي واولادي في حاجة الى الخبز وأنا عاطل عن العمل » فألقى الغناء والموسيقى جانباً ، ووقف نفسه على خدمة العمال والعمل بينهم وهذا غاندي ، أتم دروسه الجامعية ، وكان من كبار رجال القانون ضليعاً من مهنته ، ولكنه

آثر ان يزج بنفسه بين أفقر طبقات الهنود وبذلك مهد لذاته السبيل الى الزعامة الحقة للملايين من شعبه . ومما يؤسف له ان المدرسة كثيراً ما تعجز عن بث هذا النوع من الزعامة في نفوس طلبتها ، وكثيراً ما تجد الطلبة يساورهم الغرور والزهو وغيرهما من الصفات التي تفقدهم شروط الزعامة ، وتعمي ابصارهم عن رؤية حاجات المجتمع ، ومطالب ابناء جلدتهم

اننا في هذا المعهد نعنى كل العناية بهذه الناحية ، ونحاول أن نخلق في نفوس الطلبة روح العطف على الانسانية بفضل الرحلات والزيارات التي يقومون بها الى المستشفيات والملاجيء والقرى والأحياء المتواضعة في المدينة والسجون والمصانع ، ومن أهم أغراض هذه الزيارات العطف على السواد الأعظم من أبناء الأمة ، وهو من أجل صفات الزعامة

ومن الصفات التي لا ريب في وجوب توافرها في الزعيم الذكاء . ولسنا نعني بهذه الصفة الالمام بما في بطون الكتب من المعارف ، انما نعني بها مجموعة الصفات اللازمة لحل المسائل العامة وتحليل المواقف وتقدير عواملها . فاذا ما خلت هذه الصفة من زعيم كان مثله مثل جاهل يقوده جاهل مثله . وهذا النوع من الذكاء يتضمن ضرباً من حب الاستطلاع الصحيح . قيل عن المخترع الشهير توماس اديسون انهُ ولد وعلامة الاستفهام تختلج على شفتيه . فقد كان منذ نعومة اظفاره يمطر والده وابلاً من الاسئلة ، وكلما قال والده لا أدري اجابهُ الطفل اديسون ، ولم لا تدري ؟ وقد بلغت هذه الصفة فيه مبلغاً حملهُ على الاختلاف الى احواض السفن فيتدفق من فمه سيل الاسئلة ، حتى اقترح اولو الامر هناك ان يعين له موظف خاص للاجابة عن اسئلته انقاذاً للموقف ، وتوفيراً لاوقات المهندسين والصناع

وكان العالم الطبيعي « أجَسي » في حب الاستطلاع مضرب الامثال ، حتى ان حديقته ومنزله وحجرته الخاصة وجيوبه ، كانت على الدوام مكدسة بالنماذج التي يراد فحصها . وحدث مرة انهُ كان يتناول العشاء مع ضيوفه ، فأثيرت مناقشة حادة حول الفرق بين نوعين من الضفادع ، فما كان منهُ الا ان مد يده الى جيبه وأخرج منه ضفدعاً تعزيزاً لرأيه ، فأدهش الحاضرين . ولا نعد حضرات والدي الطلبة وأولياء امورهم اننا نستطيع ان نبث في الناشئين في هذه الجامعة هذه الدرجة من حب الاستطلاع ، انما نعد اننا نستطيع ان نوقظ فيهم شديد الرغبة والشغف بالعلم حتى تدفعهم هذه الرغبة الى تجاوز الكتب المدرسية ، وتغريهم بحب البحث والتنقيب في بطون الاسفار في المكتبات العامة ، والتغلغل بعد ذلك في عالم الحقيقة

والزعامة والطاقة صنوان لا يفترقان . ومن الخطأ المشاع ان الناس يفكرون في القوى الجثمانية كلما ذكروا كلمة طاقة ، في حين ان هذا التعبير لا قيمة له ، اذا لم يكن منصبًّا على صفة من صفات العقل ، وكانت هذه من ابرز الصفات التي اشتهر بها ابراهام لنكولن من رؤساء

ولايات اميركا المتحدة . وقد قيل عنهُ وهو شاب انه اشتغل مساعداً لمهندس مساحة ، فسار على قدميه عشرين ميلاً لدرس ما يتطلبهُ هذا العمل . ولما ان وجد انهُ لم يدرّ في عمله الجديد بعد هذا الجهد ، لم يثنِ ذلك من عزمه ، بل وصل ليله بنهاره ستة اسابيع حتى اشفق عليهِ جيرانه ، وحذروه من نتيجة هذا الاجهاد ، الذي ينذر حياته بالخطر . غير ان ذلك لم يردعهُ بل ظل مجاهداً حتى ملك ناصية عمله . وكذلك عند ما عقد النية على الاشتغال بالمحاماة ، فانهُ اخذ ينقب في اكداس من الاوراق عن نسخة قديمة الأثر ، مبعثرة الاوراق ، كانت تحوي مذكرات قانونية ذات شأن ، حتى عثر عليها ولمّ شعثها وانكب على قراءتها واستيعابها حتى ألمّ بما فيها مع أنهُ كان في ذلك الحين يستعين على تكاليف الحياة من متجر يستغرق كثيراً من وقتهِ الذهبي

على ان السؤال الذي تتطلب جوابه — هل في استطاعة المدرسة ان تربي هذه الصفة في نفوس طلبتها ؟ واجابة عن هذا السؤال نعتقد ان هذا من المستطاع ، ان لم يكن في كل الاحوال ففي اكثرها . ولا نعتقد ان ذلك يتأتى عن طريق حشو الذهن وكثرة الاستذكار ، وتكديس المعلومات ، ولكنهُ يأتي عن طريق المناقشة ، وبخلق جو مدرسي تسود فيهِ اليقظة ، ويتوافر فيهِ النشاط العقلي . ومصر المستقلة في حاجة الى هذا النوع من الزعامة الذي يتوافر فيهِ مَعين لا ينضب من هذه الطاقة ، التي يتطلبها هذا المنهاج من مرافق الإصلاح في شتى النواحي

ومن أسمى صفات الزعامة سمو الخلق. وهنا ننتقل من الكلام عن الصور الذهنية الى الصور الخلقية . فالزعيم يجب ان يكون موضعاً لثقة الناس بهِ ، لما جبل عليهِ من الاستقامة ورصانة الخلق. وهذه الصفة تفسر لنا النجاح الذي يصيبهُ الزعماء المتواضعون في كفاياتهم ، المتوسطون في مواهبهم العقلية. فهؤلاء لو لم يتخلقوا بكريم الصفات لما كانوا موضع ثقة الناس فيهم ولما وفقوا الى ذلك النجاح

كان هربرت هوفر من رؤساء الولايات المتحدة باميركا ، في خلال الحرب العظمى . وقبل ان يتقلد الرآسة ، مضطلعاً بادارة التموين فكان يسيل بين أنامله ملايين الريالات ، حتى انهُ كان يكفي ان تكتب التحاويل المالية الى هربرت هوفر وكفى. وقد بلغت هذه التحاويل زهاء مليونين واربعمائة ريال في الشهر الواحد ومع ذلك فانهُ لم يخامر احداً خلجة من الشك في طهر ذمتهِ . فهل تدهش بعد ذلك اذا فاز برآسة الجمهورية ؟ اليست هذه الصفة المحمودة وهذا الإخلاص الصافي وتلك الامانة النقية هي التي جعلت لغاندي في الهند هذه السلطة التي لاحد لها بين الملايين من شعبهِ ؟

هناك بين الاسماء التي يتألق نجمها في سماء الإحسان ، وعمل الخير في انكلترا اسم « جورج مولر » فقد انشأ خمسة ملاجيء كبيرة للايتام بلغ مجموع من دخلها عشرين الف نفس . وقد بلغ من شهرة هذه الملاجيء ان تدفقت سيول التبرعات والهبات والوصايا على خزينتها ، ومع ذلك فقد كانت تضحيته واستقامته وأمانته ابعد من ان يمس درهماً منها . وقد بلغت هذه الاموال مليوناً

ونصف مليون من الجنيهات ومع ذلك فقد مات ووراءه ثروة ضئيلة لا تتجاوز المائة والسبعين جنيهاً . فهل تدهشون اذا اتسم بين الانجليز بزعيم المحسنين ! ؟

ان مصر المستقلة تطمح الى مكافحة الفقر والمرض والجهل بفضل زعمائها الاجتماعيين . وهؤلاء لا بد أن تتوافر فيهم صفة استقامة الخلق . وكثيراً ما يوجه الناس الى معهدنا بعض الانتقادات بدعوى اننا نفسح في مناهجنا مجالاً واسعاً لدرس الاخلاق والاكثار من الاندية والجماعات والرحلات ، غير ان لدينا ما يحمل على الاعتقاد بأن هذه كلها في مقدمة ما ينبغي ان تعنى به معاهد التعليم اذا شاءت مصر المستقلة ان تبلغ أمانيها القومية

وأخيراً اذكر تلك الصفة العظيمة التي تتطلبها الزعامة ألا وهي سعة الاطلاع واتزان الحكم. فمن السهل جداً ان يكون المرء متصفاً بالتعصب ، اي انه يركز رأيه في نقطة ضيقة محدودة ، غير ان الزعيم الحق هو ذلكم الرجل الذي يحيط بالمسئلة من جميع نواحيها وينظر الى الموقف نظرة فاحصة عامة في مجموعه . ولو ان موقع مصر الجغرافي في مكان الافغانستان او في منطقة بحيرة شاد في افريقيا بعيداً عن الامم الاخرى ، لما احتاجت الى اتساع الافق فيما يتعلق باتصالها بالامم الاخرى . ولكن مصر لا يتسنى لها ان تعيش في منأى عن غيرها من الامم ولا يمكن ان يرضى شعبها لها ان تكون كذلك. واذاً فلا بد لها من الاتصال بغيرها من الدول وهذه العلاقات الدولية من شأنها ان تزيد الحياة رغداً وغنىً ورفاهية اذا حسن وضعها في الموضع اللائق بها .ولا يتاح لها هذا الا بسعة الاطلاع ومرانة التفكير وهنا نلقي سؤلاً . كيف يتسنى تربية هذه الخلق في الناشئة ؟

في هذه الكلية سبع عشرة جنسية يتلقى طلبتها العلم معاً متعاونين ويتعلم الواحد منهم كيف يحترم جنسية أخيه . غير ان السواد الاعظم من الطلبة هم من المصريين إذ تبلغ نسبتهم اربعة وسبعين ٪ في المائة من المجموع . ومن ذلك يتبين أن المجال هنا فسيح للقومية والاممية على السواء ، استعداداً للزعامة التي ننشدها في مصر . ونقول في الختام ان الاستقلال الصحيح لا يتم بالاتفاقات السياسية ، كالمعاهدة مع بريطانيا ، او اتفاق مونترو ، او دخول مصر في جمعية الامم . وهل يمكن ان يكون الاستقلال الصحيح منحة لشعب من الشعوب ؟ أليس الاستقلال هدفاً تبلغه الامة بالنصب والكد ؟ ألا يكون تدعيم هذا الاستقلال في كل ناحية من مرافق الحياة؟ اذا كان هذا صحيحاً فان تحقيق استقلال مصر التام لا يأتي بحوادث سنة ١٩٣٧ السياسية وحدها ، ولكن بجهود الجبابرة التي تتوالى بعد هذا التاريخ ، تلك الجهود التي ترفع مصر الى ذروة المجد القومي في حياتها الاقتصادية ، حياتها الاجتماعية ، وحياتها العقلية والثقافية ، كما في حياتها السياسية . والى هذا المرمى نسعى جاهدين ، وفي سبيل تحقيق هذه الصفات في الناشئة نوجه جهودنا جادين

ازاحة الستار عن تمثال

الدكتور صروف

في جامعة بيروت الاميركية

وصف الحفلة وملخص ما قيل فيها

في الساعة السادسة من مساء الاحد ٢٠ يونيو الماضي احتفلت جامعة بيروت الأميركية بازاحة الستار عن تمثال الدكتور يعقوب صرّوف ، وهو التمثال الذي أهدي اليها من قبل جماعة من أصدقاء الدكتور صرّوف ومتخرجي الجامعة في مصر ، فشهد الاحتفال جمع حافل من الأعيان والوجهاء والنواب وقد وضع التمثال مؤقتاً في الساحة الكبرى التي تتوسط بعض بنايات الجامعة على دكة عالية للخطابة جلس عليها سعادة الدكتور عبد الرحمن الكيالي وزير المعارف السورية والاستاذ يوسف افتيموس رئيس جماعة متخرجي الجامعة الاميركية والدكتور عبد القادر العظم مدير الجامعة السورية بدمشق والاديب زكي شخاشيري نيابة عن والده سكرتير لجنة التمثال بمصر الدكتور شخاشيري والدكتور بيارد ضودج رئيس جامعة بيروت الاميركية وفي الوسط جلس العلامة الدكتور فارس نمر باشا رفيق الدكتور صرّوف وشريكه في عمله وجهاده العلمي . وينتظر ان ينصب التمثال نهائيًّا في حجرة المطالعة الكبيرة في مكتبة الجامعة

وكان في مقدمة الحضور صاحبا الدولة والسعادة عبد الفتاح يحي باشا وتوفيق دوس باشا وحضرة الدكتور مصطفى شوقي وسواهم من الضيوف المصريين الكرام وقد دعوا خصيصاً بناء على رغبة منهم في حضور هذا الاحتفال بشخص نفع الاقطار العربية بعلمه وأدبه وخدم النهضة فيه ، وحضر كذلك نجيب بك صروف نجل الدكتور صرّوف وقد جاء من مصر خاصة لهذا الغرض

وعند الساعة السادسة افتتح الدكتور ضودج الحفلة بخطبة بالانكليزية قال فيها : منذ ٧٠ سنة قامت هنا كلية صغيرة كانت مؤلفة من ١٦ تلميذاً . فكانوا البذرة الاولى التي تزرع في الارض وبين هؤلاء فتىً يدعى يعقوب صرّوف جاء ليعد نفسه لعمل عظيم يعمله في المستقبل فتعلم هذا التلميذ وأخذت معارفه تنمو وتزداد حتى أخذ في عمل عظيم وجعل بعمله هذا يوقظ الأقوام العربية ويدعوها الى رفع الغشاء عن عيونها . والآن نكرم هذا الرجل ونحن نرجو ان يأتي

في السبعين سنة القادمة سواه ينسجون على منواله ويبذرون مثل البذر التي بذر

ثم طلب من سعادة الدكتور عبد الرحمن الكيالي ان يتفضل بازاحة الستار عن تمثال هذا الرجل العظيم

خطاب الدكتور كيالي

سيداتي سادتي : أنتم وأنا من هذا المعهد ركن الثقافة ومنار الفضيلة تخرجنا فيه وحمدنا الله تعالى وشكرناه وخرجنا الى ساحة العمل

اننا عشنا نرى من تقدمنا ونتطلع اليهم لنرى أعمالهم وآثارهم في هذا المعهد وكان من أهم ما رأيناه فكان نبراساً لنا، مجلة خدمت العلم والادب والنهضة العربية هي مجلة «المقتطف» الزاهرة أقرأها أنا وأنتم بل يقرأها العرب في جميع بلدانهم وأقطارهم ومثلي من كان يتعلم من صفحاتها ما نقصهُ العلم به وما هذا الاّ من فضل هذا الرجل الذي نحتفي به اليوم ونطلب إلى اخوانه أن يتمموا الرسالة التي بدأ بها تحقيقاً لآمال كل من نطق بالضاد . ان المرء اذا مات انقطع عمله الاّ من ثلاث : علمه وصدقه وولد يدعو لهُ ، وخير الناس من انتفع بعلمه على مر الايام

ان الحكومة الجمهورية السورية التي شرفتني بهذا اليوم يسرها ان أقف أمامكم لارفع هذا الستار عن تمثال رجل لا هو حيٌّ خالدٌ بالتمثال بل بالقلوب وان أبناء أمة الضاد الذين يعيشون تحت سماء هذه الاقطار أحراراً سيعلمون كيف يخلدونهُ في قلوبهم . واني بهذا الشرف العظيم أزيل الستار عن وجهه الكريم (تصفيق حاد عند ما أزال الستار)

من كلمة سكرتير لجنة التمثال

لما نعى الناعي الدكتور يعقوب صرّوف في التاسع من يوليو سنة ١٩٢٧ ادرك تلاميذه واصدقاؤه هول المصاب فيه والخسارة العظيمة التي نزلت بالعلم والادب والصحافة بفقده فقد كان رحمة الله عليه رجلاً فذًّا في علمه الواسع وقلمه البليغ وخلقه العالي . ولست في مقام المؤرخ فاذكر ما كان له من نصيب وافر وسهم نافذ في النهضة الفكرية في الشرق العربي طول سبع وخمسين سنة اي من يوم ان تلقى الشهادة العلمية من رئيس هذا المعهد الجليل سنة ١٨٧٠ في اول فرقة تخرجت فيه الى يوم وفاته فانهُ رحمهُ الله خدم تلك النهضة في حجرات التدريس اولاً فكان مثالاً للمعلّم الصالح والمربي الفاضل يقرن العلم بالعمل ويهذب النفس والعقل جامعاً بين التدريب العملي والمثل المحتذى في اسمى وجوه التربية متوخياً في ذلك المنفعة والخدمة الصادقة لبث روح العلم الصحيح للعلم ذاته . ثم انشأ «المقتطف» مع زميله وشقيقه الروحي الدكتور فارس نمر باشا (مدّ الله في عمره) في حضن هذه الجامعة فقضيا نحو عشر سنوات ونصف سنة يدرسان فيها ويصدران المقتطف عنها وليس لهما بغية سوى نشر العلم لمن لم تتح له اسباب التعليم . ولما خرج المقتطف من

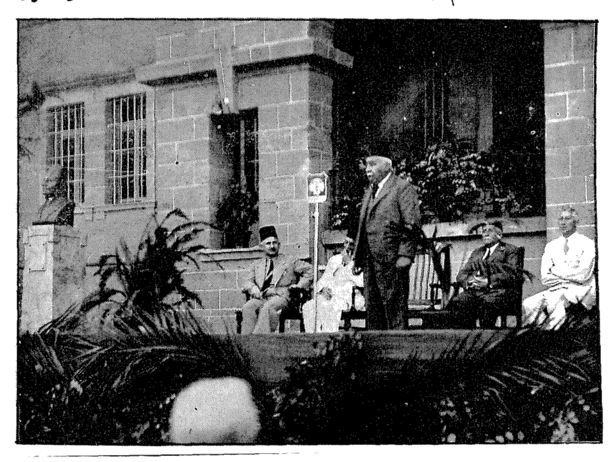
نطاق الجامعة ورأى صاحباه ان يقفا وقتهما عليهِ اصبح العالم العربي بأسره حجرة تدريس للدكتور صرّوف يطوف عليهِ في كل شهر بمقتطف جامع لزبدة العلوم المختلفة وثمار الآداب المنوعة والمعارف الطريفة مقارناً بين النظري والعملي من الآراء وبين القديم والحديث والشرقي والغربي في اسلوب طلي لا يضارع وبلاغة لا تدانى سمتهما الوضوح وجودة السبك وسهولة السياق الى المعنى المقصود . ولما بلغ « المقتطف » الخمسين من عمره الحافل اعترف العالم العربي له بالخدمات الجليلة التي اسداها الى الناطقين بالضاد في الحفلة الكبرى التي اقيمت في دار الاوبرا الملكية بمصر برعاية جلالة مليكها وفي الحفلة الكبيرة التي اقيمت في وست هول ببيروت في مساء اليوم نفسه

ولما انطفأت شعلة ذلك العقل الناضج وسكن القلم الذي كان ينشر العلم الصحيح والادب الرفيع والاخلاق العالية في ربوع الشرق فيغذي النفوس ويثقف العقول بشتات العلوم والمعارف اجتمع نفر كبير من عارفي فضله في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ في النادي الشرقي بمصر وتألفت منهم لجنة لاحياء ذكراه باقامة اثر له في وطنه مكونة من ميشال بك لطف الله رئيساً وامين مرشاق اميناً للصندوق وكاتب هذه السطور سكرتيراً وجورج زنانيري باشا ونجيب غناجه والمغفور لهم نجيب شكور باشا والدكتور نعمة الله طحان بك ويوسف خلاط بك ورشيد ثابت اعضاء وانضم اليهم فيما بعد الاستاذ خليل مطران والآنسة مي والاستاذ سامي الجريديني ويوسف دبانة بك . وفي ٨ ابريل سنة ١٩٣١ قبلت اللجنة استقالة امين مرشاق من امانة الصندوق وطلبت من حضرة صاحب السعادة اسعد باسيلي باشا ان يتولى امانة الصندوق فقبل ونشرت اللجنة خبر انضمام سعادته الى اللجنة مع خبر قبول جامعة بيروت الاميركية اقامة التمثال فيها في مقطم ٢٥ ابريل سنة ١٩٣١ ومن ذلك التاريخ خطت اللجنة بالمشروع خطوات سديدة تكللت بفضل من تقدم ذكرهم وبفضل حضرات المتبرعين الآتية اسماؤهم بالنجاح الذي فازت بهِ ووصلت اليهِ . وهذه اسماء المتبرعين أصرح بها الآن اعترافاً بفضلهم وشكراً على نجدتهم وكرمهم وهم : —

الدكتور سليم آل دباغ الموصلي. احمد افندي الالفي . جورج بك انطونيوس . احمد حسن. محمود ابو حسين بمنفلوط . رشيد ثابت . محمد خليل الديب . الدكتور كامل هلال. ظاهر الريس. الدكتور يوسف غبريل . ركس ميخائيل انطون مطران السريان الارثوذكس بالقدس . خويلد حسن وشركاه . ابراهيم ديمتري بك. لجنة مشروعات مجلة الكلمة بحلب . ليا بركات. ثابت ثابت. الدكتور عبدالله منصور . معهد الموسيقى الشرقي . جورج اشقر في بيروت . ديمتري بك خلاط. الدكتور نجيب يونس . القس طانيوس سعد . الدكتور اسعد عطيه. ويحسن بي ألاّ يفوتني التنويه بفضل صاحب السعادة اسعد باسيلي باشا الذي كان له في احياء ذكرى الدكتور صرّوف اليد الطولى والاثر البارز ولا سيما الجائزة السنية التي تبرع بها ونشرت تفاصيلها في مقتطف مايو الماضي وقدرها ١٠٠ جنيه مصري



الدكتور عبد القادر العظم مدير الجامعة السورية يخطب في حفلة ازاحة الستار عن تمثال الدكتور صرّوف



الدكتور فارس نمر باشا يخطب في حفلة ازاحة الستار عن تمثال الدكتور صرّوف

كلمة الاستاذ يوسف افتيموس

ثم وقف الاستاذ يوسف افتيموس رئيس جماعة متخرجي الجامعة وألقى خطبة استهلها بقوله مخاطباً صاحب التمثال وقد كان من تلاميذه في الجامعة : —

سيدي الاستاذ في هذا الحمى كم علينا لك من فضل ودين
أسفي تبدو على منبره صامتاً بل اثراً من بعد عين
هالني والله ما أشهده عوض الله بثاني الفرقدين

وجال الاستاذ افتيموس جولة في الكلام عن التمثال وصاحبه الحكيم الكريم الباحث المنقب العالم الجليل وعن النهضة التي ايقظ روحها في بلاد العرب وتكلم عن معاصريه الاحدب والبستاني والاسير واليازجي وعن زهرة الآداب وعن العازار والنقاش وغيرهم . وطفق يتكلم في كل هذه الصفحات الى ان قال ان التاريخ سطر فيها اسمي صرّوف ونمر بين ألمع اسماء الرجال الذين تفانوا في خدمة هذه البلاد وبلاد مصر الشقيقة

صرّوف ونمر الاسمان المتقاربان المتلازمان صرّوف ونمر الفرقدان اللذان مشيا جنباً الى جنب مجاهدين متضافرين في سبيل الوطن واللغة والعلم والسياسة صرّوف ونمر ضربا للشرق مثلاً في الجد والنشاط والاستقامة والوطنية والتجلد في تنظيم الامور

ثم عاد الى الكلام عن التمثال وحده وعن صاحبه الذي له في كل خزانة مجلدات ضخمة من آثاره ومما قاله لِمَ ينصب التمثال في مكتبة الجامعة واصاحبه فيها أكثر من تسعين تمثالاً هي مجلدات صرف عليها ليالي السنين الطوال وختم كلامه محيياً صاحب التمثال ورفيقه في جهاده سعادة العلامة الدكتور فارس نمر باشا

كلمة الدكتور عبد القادر العظم

سيداتي . سادتي : أشكر لحضرة الرئيس الكريم — الدكتور ضودج — ما أولاني من شرف عظيم اتاح لي فرصة المثول بين أيديكم لالقاء كلمة وجيزة باسم الجامعة السورية في هذه الحفلة العلمية التذكارية . ان الجامعة السورية لسعيدة جداً باشتراكها في هذه الحفلة لانها جد حريصة على توثيق عرى الصلات الثقافية بينها وبين شقيقتها الكبرى الجامعة الاميركية

ان فقيد العلم والادب المحتفى بذكراه هو ابن الجامعة الاميركية هو ابن العروبة وفوق ذلك هو ابن العلم والثقافة اللذين لا وطن لهما . ابن الانسانية الحرة السامية التي لا تعرف الحدود الجغرافية ولا الفوارق الجنسية بل تقدر النبوغ والفضيلة اينما وجدا . أليست هذه الحفلة التي يقيمها رسل الثقافة الاميركية المشبعون بهذه الروح العالية وهذا التمثال التي أقاموه تقديراً لشخصية

صاحبهِ الفذة شاهدين على ما أقول ؟ ان كلمة الحق لا يليق بها أن تبقى مختبئة كامنة في النفس بل يجب على اللسان ان ينطق بها وعلى الآذان السامعة ان تتلقفها لتدخل أعماق القلوب . هذه الكلمة التي لا ينكرها أحد من سكان البلاد العربية قاطبة ولا سيما البلد الذي تظللنا سماؤه والبلد الذي قدمنا منهُ هي كلمة الجهر بفضل الجامعة الاميركية وأثرها البعيد في نهضة هذه البلاد العلمية والثقافية

ان هذهِ البلاد ساحلها وداخلها ثغورها وعواصمها تنطق بالجميل وتذكر دوماً بيض الايادي لهذه الجامعة — الشيخة الفتية — لانها كانت وما زالت منهلاً فياضاً للعلوم والفنون يرتادها أبناء هذه البلاد فيرشفون من معينهِ العذب ما يروي ظمأهم وينقع اوارهم

أجل سادتي ان الجامعة الاميركية — شيخة وفتية — في آن واحد انها شيخة الجامعات في بلادنا بقدمها واختبارها وحكمتها. فتية بخطتها وتجدد برامجها ونشاطها. واذا اقترنت الحكمة بالنشاط كان النجاح محققاً والارتقاء مضموناً . اننا كيف وجهنا انظارنا نرى اثر الجامعة الاميركية في نهضة بلاد العرب الاجتماعية وفي تكوين الفئة المختارة من رجالاتها وشبابها . نراها في مصر حيث بعثت برسلها ينشرون المبادىء الحرة التي اقتبسوها . نراها في العراق حيث يتقلد تلاميذها المناصب ويديرون شؤون الامة . نراها في فلسطين وفي الشرق العربي حيث يرفع خريجوها ألوية الفخار لها

واخيراً نراها في سورية ولبنان حيث عمّ فضلها وانتظم عقد ابنائها كاللآلي يزدان بهم جيد هاتين الجمهوريتين الفتيتين فيرئسون المجالس ويتولون الوزارات ويتزعمون الامة فهم كنوزها ومفاخرها عدتها في الحوادث وسندها في الملمات والكوارث

فاذا كانت الامم تعتز بجامعاتها لانها عنوان نهضتها ورمز اعلائها ورفعتها فاحر بأبناء هذه البلاد ان يعتزوا بهذه الجامعة لانها انجبت لهم رجالاً كباراً يهتدون بهديهم ويسترشدون بوحيهم فيقودونهم في مراقي التقدم والنجاح واذا كان الفضل يعرفهُ ذووهُ حق علينا ان نقر بفضل جامعة هذا شأنها وان نطلب لها اطراد الرقي في ظل رئيسها الهمام واساتذتها الجهابذة الاعلام والسلام عليكم

***

وبعد هذا وقف الدكتور ضودج وقال لا يمكن ان نكرم المرحوم الدكتور صرّوف من دون ان نكرم الدكتور فارس نمر الحاضر بيننا فقد عاد بعد سنين طويلة الى المدرسة التي ربتهُ

كلمة الدكتور فارس نمر باشا

سيداتي سادتي : منذ اكثر من ٥٣ سنة في مثل هذا الاسبوع من سنة ١٨٨٤ وضعت يدي بيدي صاحب هذا التمثال وفارقنا هذا المعهد الذي تعلمنا فيهِ اربع سنوات وعلمنا عشر سنوات وولينا وجهنا شطر مصر العزيزة وقال لي رفيقي نحن نفارق سوريا ونقابل مصر فان كنا رجالاً اظهرنا مقدرتنا ورجعنا ممدوحين

هذه الكلمة ترن بأذني الآن بعد ٥٣ سنة وها أنا الآن بعد هذه السنين الثلاث والخمسين اعود الى هذا المنبر فكم كنت اود لو كان رفيقي واقفاً الى جانبي الآن وواضعاً يده بيدي

قالوا تغيير العادات صعب . حقيقة ان في هذا القول صحة. انني اعتدت ان اعد رفيقي صديقاً وأخاً حقيقيًّا وقضيت العمر والناس يظنون اننا اخوان بيننا قرابة . نعم ان الصداقة اذا تمكنت تحل محل النسب وأؤكد لكم ان هذا الرجل اخي الذي سبقني بعشر سنوات كان لي أخ غيره ولكن صرّوف هو بالفعل اخي ولو وجد في اللغة كلمة اشد من كلمة أخ لكنت استعملها

قلت تغيير العادات صعب وكلما كنت اسمع احد الناس يمدحهُ لم ارد الكلام بمثله نظراً لما كان الناس يرونهُ من النسب بيني وبينهُ خوفاً من ان يقال عني مادح نفسه يقرؤك السلام ، بل كل ما قيل له كنت اراه يقال لي. وهكذا امتزجت حياتنا حتى كأننا افرغنا في قالب واحد

وشاهدي على ما اقول ياسادتي انني منذ بضعة اشهر نلت رتبة الباشوية التي انعمت بها عليّ مصر وتلقيت اكثر من ٣٠٠ الى ٤٠٠ رسالة تهنئة واكثر هذه الرسائل معنونة بصاحب السعادة صرّوف نمر باشا (ضحك من الجمهور) انا اقبل ذلك نعم نحن واحد ولسنا اثنين

وأبلغ من ذلك تزوجت بالأمس كريمة المرحوم سعيد باشا شقير ابنة ابنة المرحوم الدكتور صرّوف فكان عرسها هادئاً ما طنطنت به الصحف. وما قولكم برسول مجلس الوصاية جاء يهنئني بزواج هذه الابنة التي هي ابنة ابنة الدكتور صرّوف باعتبار انها ابنة فارس نمر

انا واقف هنا واخاف ان تغلبني عواطفي ويظهر ضعفي امامكم ايها السادة فكيفما التفت يميناً ويساراً تتوارد امام عيني الصور والحوادث التي اتحدنا بها فاخشى ان تغلبني

ان الرابطة بيننا وبين الجامعة الاميركية هي «المقتطف». وقفنا مرة في بناءٍ لم اعد اعرف اين هو من هذه الابنية التي تغير بعضها وتجدد البعض الآخر وجعلنا نقلب مجلات وصحفاً انكليزية فالتفت اليّ رفيقي وقال ما قولك لو انشأنا مثل هذه الصحيفة قلت ولكن ليس لدينا علم ولا مال فصحيفة مثل هذه تحتاج الى الامرين . فقال لا بأس اننا نجعلها من ٢٤ صفحة

قررنا انشاء الجريدة وذهبنا الى استاذنا الدكتور كرنيليوس فانديك رحمة الله عليه فقلت « خطر لنا خاطر وهو ان ننشيء جريدة عربية فقال ولكنكم تحتاجون في هذا الى المال قلنا ان الله ييسر وعولنا على انشائها وقلنا ماذا تعطينا اسماً لهذه الجريدة ففكر قليلاً وقال «المقتطف» فاسم «المقتطف» واضعهُ بالاصل فانديك . ذكر الاستاذ يوسف افتيموس الرجال الذين عاصروا نشأة تلك الجريدة وهم : الاحدب واليازجي والبستاني والاسير وقد كانت كتاباتهم واقوالهم ولاسيما البستاني منهم تذاع شرقاً وغرباً. وصدر « المقتطف » ولكنهُ كان صغيراً وبعد مدة صدر « لسان الحال » وهو من عمر « المقتطف» الاّ بضعة أشهر فكنا كعائلة واحدة واخذنا نشتغل معاً

قلت ان عملنا كان يحتاج الى مادة علمية ومادية ولا يمكن لعالم ان يذيع مؤلفاته الاّ اذا كان عنده مال وقد وجدنا ان« المقتطف» لا يمكن ان يثبت الاّ اذا وجدنا له المال فتشاورنا في هذا وهذا وحده هو الذي جعلنا ننشىء« المقطم» لا لقصد ان نقلب ممالك وحكومات بل لكي نساعد« المقتطف» ماليًّا. ولكن الرياح يا سادتي تجري بما لا تشتهي السفن ولقد جعلنا السياسة في المقطم راسخة على الاساس الذي كنا نعمل به في هذا المعهد وهو خدمة الحقائق . وهكذا جعلنا نعمل للحقائق ولكننا نسينا ان العالم غير ذلك ، نسينا ان هناك احزاباً وميولاً وأخذنا نتخبط في ذاك الخضم ونصطدم بأمواجهِ حتى ادى بنا الحال الى غضب سلطاننا السلطان عبد الحميد فنعني ومنع رفيقي من الدخول الى هذه البلاد ومنعنا من ان نرسل اولادنا الى التعلم في مدارسها

وأخيراً غير الناس افكارهم بنا والفضل بذلك لاخي هذا الذي كان يعامل الناس كانهُ طفل صغير . نعم الفضل بذلك لاخي الذي كان مثال الدعة والامانة والاستقامة

ولو اردت تعرف حقيقة صرّوف قد تظنني مبالغاً اذا قلت انهُ عند ما كان يقال امامهُ شيء لا يريد ان يبوح بحقيقتهِ كنت تقرأ هذا على وجههِ لانهُ كان يحمر وأنت تحدثهُ

كان في معاملتهِ صادقاً وكان زهده غريباً فالذي يهم الناس لا يهمهُ ابداً واذا كنت تريد ان تعرف صرّوف ففتش عنهُ في غرفة تره جالساً وأمامهُ كتاب يقرأه بهدوء ثم بعد بحث طويل يأتيني ويقول وماذا بعد هذا؟ وماذا بعد هذا ؟ يأتي حائراً ويقول لا اعلم ماذا بعد هذا؟

انهُ الآن يعلم !! . قالوا ان الارواح تتخاطب بعد الموت فليلة وفاتهِ جلست في سريري انتظر ان يأتي ويكلمني ولكنهُ لم يجيء وفي الليلة الثانية جلست على سريري انتظر ان يكلمني ولكنهُ لم يكلمني كذلك. ولكن الانسان لكي يعلم يجب ان يؤمن لان كثيراً من الاسرار مغلق لا يمكن فهمه

يا اخي انت الآن تعلم. انت سبقتني من عشر سنوات ولما توفيت لم احزن كثيراً لانني قلت انني سألحق بك بنفس السنة . اما وقد مضت عشر سنوات ولم الحق بهِ اشعر بأنني وحدي في هذا العالم. شقيق ذهب عني . ذهب وتركني في مكان مفتوح

كلما سمعتم من المدح بهِ حقيقة بل دونها . فلو مد الله بعمره لاستفاد هذا الشرق كثيراً منهُ. اخي صرّوف يجلس الآن بين اساتذتهِ فانديك وبليس وورتبات وبوست وهو الخامس بينهم . ان هذا قليل جدًّا عليك يا اخي . فاشكركم يا سيداتي وسادتي على حفاوتكم هذه

***

وهنا ارتقى المنبر نجيب صرّوف بك نجل الفقيد الكبير وألقى كلمة باسم اسرتهِ وجّه فيها الشكر الى اللجنة التي تولّت الاشراف على صنع التمثال والذين تبرعوا بالمال لهُ والسيدة التي صنعتهُ والجامعة الاميركية التي رحّبت بهِ وجميع الخطباء والسيدات والسادة الذين حضروا الحفلة

حول « العامية »

الفعل الرباعي

أصله ونشؤه ومعانيه

لانيس فريحه
دكتور في الفلسفة من جامعة شيكاغو

درس « العامية » درساً علمياً غريب عنا ، وذلك لان نظرنا الى العامية يختلف تماماً عن نظر الغرب ولذا بقي درس اللهجات العربية العامية من اختصاص المستشرقين على الغالب . واظن ان السبب في ذلك هو اختلاف في وجهة النظر . فالعربي ، حتى من اقدم العصور الاسلامية ، يعتقد ان اللغة العربية الفصحى كانت يوماً لغة التخاطب كما انها كانت لغة الشعر والادب . ثم ان العرب عند خروجهم من الجزيرة واختلاطهم بمن جاورهم من الفرس وباقي الامم « فسدت ملكتهم » وداخلت لغتهم العجمة [1] وانت ترى هذا الاعتقاد سائداً جميع الذين كتبوا قديماً وحديثاً في اللغة العربية وتاريخها . ولكن علماء الغرب المستشرقين يعتقدون ، وهم في اعتقادهم على صواب ، ان اللهجات العربية كانت عديدة وان الفصحى كانت لغة الشعر والادب ، وربما كانت لغة بعض الخاصة في المجتمعات الادبية ، واما عامة الناس فكانت تتكلم لهجات تختلف باختلاف الامصار والاحوال الشخصية . ويعتقدون ايضاً ان كثيراً من ظواهر العامية تعود بتاريخها الى اعصر قديمة حتى قبل ظهور الاسلام ، ثم انهم يعتبرون ان اللغة المحكية هي اللغة الحية الحقيقية . ولذا تراهم ابداً ينقبون عن خفايا العامية لعلهم يتوصلون الى حل كثير من المشكلات التي تعترضهم في درس الفصحى

ان الغرض من هذه العجالة البحث في ظاهرة لغوية لا اعتقد انها استرعت نظر الباحثين اللغويين ، اعني كثرة الافعال الرباعية العامية في اللهجات العربية المحكية . وسأحاول ان أبين كيف يلقي درس العامية كثيراً من النور على طائفة من المسائل اللغوية الغامضة . وقبل التعمق في

---

(١) عند ما يراجع الباحث ما قيل في مسألة وضع النحو ، او عند ما يراجع تاريخ النحو والنحويين يرى هذا الاعتقاد مكرراً معاداً . يقولون ان اللغة فسدت في زمن علي وعلماء اللغة لا يرتاحون الى مثل هذه النظريات التي تقول بنشوء لهجات في بضعة سنوات . فوراء الظواهر اللغوية اجيال واجيال

البحث لا بد ان نعتذر الى القارىء اذا اكتفينا باليسير من الامثلة خوفاً من ان يكون بعض الامثلة مجهولاً عنده ، ولكننا نقصد توجيه نظر القارىء الى كثرة الاوزان الرباعية في لهجته الخاصة اذ لا شك عندنا انه بعد قراءة هذه المقالة يتبادر الى ذهنه عشرات من الامثلة التي لم يفطن اليها قبلاً

﴿ الجذور ﴾ الكلمات في جميع اللغات السامية ترد الى جذور . ويمكن تقسيم هذه الجذور الى قسمين ، الاول ، وهو القسم الاكبر يشمل الكلمات التي جذورها تتضمن فكرة اصلية لا تتعدّاها ، وهذه الفكرة صفة ملازمة لمجموعة الحروف التي تؤلف ذلك الجذر. خذ مثلاً قتالٌ ، قتيل ، اقتتل ، استقتل ، فانها جميعها ترد الى جذر يتضمن فكرة اصلية هي القتل وهذه الفكرة صفة ملازمة لهذه الحروف في هذا الترتيب الخاص . والقسم الثاني يشمل الكلمات التي لا يمكن ان تردّ الى جذر يتضمن فكرة اصلية محدّدة معينة ، بل تتألف من عناصر اولية من شأنها الدلالة والاشارة ، وهذه عريقة في القدم ، ويقع تحت القسم الثاني الضمائر والموصولات والاشارة وبعض الادوات[1] الروابط. مثال ذلك الضمير « أنتَ » فانها تتألف من عنصرين الأول « أن » وهو عنصر إشاري كما هو في كثير من اللغات السامية والثاني « تَ » وهي الاصل في الكلمة وفكرة الضمير المخاطب متضمن فيها فتقول ضربتَ وتضرب فان التاء في آخر الماضي وأول المضارع هي الضمير . ومن الغريب ان التاء تفيد معنى ضمير المخاطب في كثير من اللغات الآرية ايضاً . فالالماني يقول du والفرنسي tu والانكليزي thou . خذ مثلاً آخر « هذا » . فالكلمة هذه لا تَردُّ الى جذر معين بل تتألف ايضاً من عنصرين ، الهاء للتنبيه ، وذا للاشارة . وقلنا ان هذه العناصر الاولية الاشارية هي ربما كانت من أقدم المقاطع التي استخدمها الانسان للاشارة والدلالة والتنبيه

من مميزات اللغات السامية ان كثرة الجذور فيها ثلاثية . وهذه الميزة شغلت بال المستشرقين كثيراً ولهم في أصلها نظريات عديدة . وهذه الوتيرة الواحدة كانت الباعث على استنتاجات كثيرة عن عقلية السامي ونفسيته ، بعضها يقبلها المنطق وكثير منها نتيجة تخيُّل وتخمين . ولكن هنالك فئة لا يستهان بها من الكلمات في العربية كما في باقي اللغات السامية ترد الى جذور ثنائية مثل يد أخ أب شفة الخ فان هذه وان ظهر فيها حرف ثالث احياناً كما في شفهي او شفوي يدوي اخوان الخ فهي ثنائية في الاصل وهذا الحرف الثالث ليس الاّ محاولة لجعلها ثلاثية لتتلاءم وباقي الكلمات فكأن الثلاثية هي المثل في عدد الحروف[2]

(١) قلنا بعض الحروف لان بعضها لا يقع تحت هذا القسم فان حرف الجر على يرد الى الجذر «علا» اومع يرجع الى الجذر « عم » وهي في السريانية والعبرانية « عم » وليس مع . والجذر عم يفسر لنا معنى مع

(٢) راجع Th. Nöldeke, Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, p. 109 -178; ibid. Beiträge p. 69—72.

والمسألة التي يهمنا امرها الآن هي هل الثلاثية (Triliteralism) اصلية ام تمثل طوراً حديثاً ؟ يظهر من درس الجذور السامية ان الثلاثية نتيجة تطور من الثنائية وزيادة الحرف الثالث كان لزيادة في المعنى . فان كثيراً من الافعال الثلاثية يمكن جمعها الى طوائف يكون المعنى في كل منها واحداً وهذا المعنى مضمن في اول حرفين مثلاً قطع قطف قطم قطّ والعامي قطش فانها كلها تفيد معنىً واحداً هو معنى قطّ . وقل هذا في فلّ فلح فلج فلع فلق فلا ، وهكذا في حمّ وحمي وحما وحمر وحمس وحمق فالجذر فيها « حم » وهو مشترك في جميع اللغات السامية ويفيد معنى الحرارة

ولكن لا يجب ان نعتقد ان الشعوب السامية كانت يوماً ما تتكلم بكلمات جميعها ثنائية ثم انتقلت الى طور آخر اصبحت فيه تتكلم بكلمات ثلاثية ، كلا ، ان النشوء اللغوي بعيد جداً عن المنطق والوجدان ، والانتقال يتم ببطء كلي وعن غير قصد او تعمد . الافضل ان نقول ان الثلاثية على ممر الزمن اصبحت المثل لجميع الكلمات والنزعة كانت انهُ من المستحب والشهي على السمع ان تكون جميع الكلمات على مقياس واحد وشكل لغوي واحد . واما انه كان هنالك ثلاثيات ورباعيات وخماسيات حتى في اقدم العصور فأمر لا شك فيه

﴿ الجذور الرباعية ﴾ هل هناك جذور رباعية اصلية ام الرباعية مشتقة من جذور ثنائية وثلاثية ؟ علماء اللغة العربية صرفوا النظر عن هذه المسألة واكتفوا بقولهم ان هنالك افعالاً رباعية على وزن فعلل وملحق بالرباعي واظنهم كانوا يقصدون به الفئة التي تمكنوا فيها من ملاحظة الحرف الزائد وملاحظاتهم متفرقة في المعاجم وكتب اللغة ولا تفي بحاجة

وقبل الامعان في البحث نجد انفسنا مضطرين لنبذ اتخاذ فعلل كوزن للرباعي لما في ذلك من الاضطراب . لانهُ اذا كانت حروف فعل تمثل حروف فَـقَـعَ فوزن فرقع يجب ان تمثله صيغة فَرْعَل وليس فَعْلل ، لبيان الحرف الزائد . اما فَعْلل فيجب ان تمثل تكرار الحرف الثالث من الجذر كما في «بهرر» العامية من بهر. واما اذا قلنا ان حوقل، بذعر، دهمس، حصرم الخ هي على وزن فعلل فلا نكون قد أبنا الحرف الزائد ، فان حوقل تكون حفعل من وقَل وبذعر بفعل من ذعر ودهمس دفْعل من همس الخ وعليه سنتبع استعمال وزن فعلَ للجذر الاصلي ثم نمثل الحرف الزائد باضافته الى (فعَل) حيث يقع بالنسبة الى ترتيب الحروف. فسنتكلم عن فرْعل وفنعل الخ اي الرباعي الذي تزاد فيه الراء بعد فاء الفعل وفنعل الرباعي الذي تزاد فيه النون بعد فاء الفعل الخ

﴿ الجذور الرباعية في العامية ﴾ كثيرة جداً وتقسم قسمين . الاول : يشمل الافعال التي لا تردّ الى جذر سامي بل اكثرها مقتبس عن لغات اجنبية مثل سوْكر من الايطالية securta وقَوْنَن من القانون[1] وفَـونَـس من الفانوس وكَرْنَن من الكرنتينا وكمرك او جمرك من

(١) لفظ قانون في العربية مأخوذ عن اليونانية ، ولكن يظن ان الكلمة اليونانية ماخوذة من السامية من كلة تفيد معنى القصبة ، ومن ثم معنى القياس

الـكمرك وفودس من الفادوس ، وامثال هذه كثير نتركها جانباً لانها عارضة في اللغة . اما الذي يهمنا فهو القسم الثاني ، اي الافعال الرباعية التي تُـرَدّ الى جذر ثلاثي إما عربي اصيل او بقية باقية من لغة سامية كانت محكية في القطر الذي بقيت فيه امثال كثير من الافعال الرباعية في لبنان التي لا اصل لجذرها في العربية بل يمكن بسهولة ردها الى جذر سرياني ارامي [١]

﴿ كيف يصبح الجذر الثلاثي رباعيًّا ﴾ او بكلام آخر كيف تنشأ الافعال الرباعية ؟ يتم ذلك عن احدى طريقتين (١) التضعيف (٢) الزيادة

١ — ﴿ التضعيف ﴾ يظهر بأشكال مختلفة : ا — بتكرار الجذر الثنائي جملة فيحدث وزن فَـعْـفَـع وهذا كثير في العامية مثل دَقْـدق ، بَـغْـبم ، حَـفْـحَـف ، فتفت ، بَزْبَزَ ، مرْمَرَ

ب — بتكرار الحرف الاول من الجذر فيحدث فَـعْـفَـل مثل فرفك من فرك ، فرفح من فرح ، قَلْـفَـش من فلش وأمثالها كثير

ج — بتكرار الحرف الثاني من الجذر فيحدث فَـعْـلَـع وهو نادر [٢]

د — بتكرار الحرف الثالث من الجذر فيحدث فَـعْـلَـل مثل بَحْـصص من البحص وفصيحها الحصب وبَـهْـرَرَ من بَـهَـر

ويدخل في باب التضعيف اوزان اخرى شائعة في العامية يظهر فيها التضعيف مع الزيادة وهي اربعة اوزان ، فَـعْـفَـى ، فرفع ، فوفع ، فَـيْـفَـع [٢]

﴿ ٢ — الزيادة ﴾ والزيادة تـكون ا — سابقة (Prefix) ب — وسْـطيّـة (infix) ج — لاحقة (suffix)

ا — السابقة تـكون بزدياة الباء والتاء والحاء والدال والسين والشين والطاء والعين والقاف والميم والنون في اول الفعل الثلاثي فيحصل الاوزان التالية : (١) بَـفْـعَـل (٢) تَـفْـعَـل (٣) حَـفْـعَـل (٤) دَفْـعَـل (٥) سَـفْـعَـل (٦) شَـفْـعَـل (٧) طَـفْـعَـل (٨) عَـفْـعَـل (٩) قفعل (١٠) مَفْـعَـل وغالباً تمَـفْـعَـل (١١) نَـفْـعَـل

﴿ ب — الزيادة الوسطية ﴾ وتـكون بزيادة الباء والحاء والراء والعين واللام والميم والنون والواو والياء في وسط الجذر بعد الحرف الاول فيحصل الاوزان التالية : (١) فَـبْـعَـل

(١) تمكن صاحب المقـال من جمع اكثر من الف فعل رباعي من لغة قرية من قرى لبنان وبعد درسها والتنقيب عن اصلها وجد ان كثيراً منها يرد الى السريانية الارامية ، وقليلا يرد الى جذر سامي له كيان اما في العبرية او الفينيقية

(٢) لا يمكن الاكثار من ذكر أمثلة على هذه الاوزان خوفاً من ان تكون غريبة على الاسماع لان الامثلة التي لدينا محلية ، مجموعة من لبنان ، ولـكن لا شك عندنا في ان القارىء يمكن ان يجد في عاميته أمثلة على الرباعي ينطبق عليها هذا الوصف ، وربما بعد برهة قصيرة سنصدر قاموساً للعامية المحكية في لبنان يجد فيها الباحث أمثلة كثيرة على هذه الاوزان

(٢) فَيْعَل (٣) فَرْعَل وهذا شائع جدًّا (٤) فَعْيَل (٥) فَلْعَل (٦) فَمْعَل (٧) فَنْعَل (٨) فَوْعَل (٩) فَيْعَل والاخيران شائعان جدًّا مثل نوخر، روكب، قوشع، طيلع، نيزل، ليمب، فيلت. ويجب ان تلاحظ ان الزيادة الوسطية هذه قد تأتي بعد الحرف الثاني لاسباب صوتية لمجانسة او ملاءمة فيصبح معنا بدل فَبْعَل مثلاً فَعْبَل مثل غَلْبَط اي اوقعهُ في غلط

﴿ج — اللاحقة﴾ وتكون بزيادة الباء والتاء والراء والسين والشين واللام والميم والنون والالف المقصورة في آخر الفعل فيحصل الاوزان التالية: (١) فعلب (٢) فعلت (٣) فعلر (٤) فعلس (٥) فعلش (٦) فعلل (٧) فعلم (٨) فعلن (٩) فعلى

﴿احرف الزيادة﴾ وأنت اذا جمعت العناصر التي تضاف الى الجذر الثلاثي لوجدتها ب ت ح د ر س ش ط ع ق ل م ن ه و ي، وعلى الباحث اللغوي ان يجابه مشكلتين. المشكلة الاولى: «ما الدافع في اللغة الى بناء افعال رباعية؟». والمشكلة الثانية: «ما اصل هذه الزيادات وما معناها؟»

﴿الدافع الى بناء افعال رباعية﴾ قد نتلمس بعض الحقيقة اذا قابلنا بين الفروق في معنى الجذر الثلاثي والوزن الرباعي المشتق منه، واذا ما تثبتنا من هذا الامر حقَّ لنا ان نستنتج ما يمكن ان نسميه دافعاً

إنك اذا درست عدداً كبيراً من الرباعيات المشتقة من الثلاثيات وقابلت بين الفروق الناجمة وجدت ان هنالك دوافع ثلاثة هامة تظهر في معاني الرباعي وهي (١) الحدة في الفعل او الشدّة (٢) فكرة التكرار (٣) فكرة التعدية

مثلاً فرْفح أحدّ من فرح، وفلْفش الامتعة تفيد الشدّة والحدة في الفعل، ودقدق تفيد تكرار العمل اكثر من دقّ، وطيلع ونيزل للتعدية. والسؤال المنطقي الذي يتلو هذا هو: هل هذه الميزات المكتسبة في الرباعي راجعة الى الحرف او بكلام آخر، هل هذا المعنى الجديد مُضمَّن في الحرف؟ يصعب الجواب عن هذا السؤال حتى انهُ وان سلمنا جدلاً ان للحرف معنىً مستقلاً بنفسه لا يمكن التحقق من هذا المعنى الآن لتقادم العهد لان مبادىء اللغة تعود الى ازمان بعيدة جدًّا وقد حاول بعض لغويي العرب (وبعضهم فرس) ان يثبتوا معانيَ للحروف[1] ولكن النتائج

---

(١) مراجع الفهرست لابن النديم طبعة (Flügel) ص ٣٩ — ٨٨ تجد ذكراً لكتب عدة كتبت في هذا الموضوع. ثم راجع ابن جني في Oscar Rescher ص ١٥ حيث يقول: وليس غرضنا في هذا الكتاب ذكر هذه الحروف مؤلفة لان ذلك يقود الى استيعاب جميع اللغة وهذا مما يطول جداً وليس عليه عقدنا هذا الكتاب، وانما الغرض فيه ذكر احوال هذه الحروف منفردة او منتزعة من أبنية الكلام التي هي مصوغة فيه لما يخصها من القول في انفسها ... الخ

كانت محدودة . اذ يصعب جداً ان تتخيل ان اللغة بدأت بأصوات قليلة العدد ، لكل صوت معنى. فاللغات في كل العالم تتألف من اصوات ابتدائية (Phonemes) لا يزيد عددها على ٤٥ ولا يقل عن ١٥ ولغة كاليونانية او العربية لا يمكن ان تكون قد نشأت وتطورت عن هذه الاصوات القليلة المحدودة ، فالحرف الواحد أو قل الصوت الواحد لا يمكن ان يكون لهُ معنى خاص يستثنى من هذا جزء قليل اتخذ معنى خاصًا في اثناء تطور اللغة

فاذا كان من الصعب اثبات معنى لاحرف الزيادة فما هي اذاً هذه الحروف ؟ هل هي بقايا كلمات مستقلة لم يبق منها الاَّ بعض اجزائها بعد ان اندمجت في الجذر الثلاثي لتؤلف الجذر الرباعي الجديد ؟ هذا مستبعد ايضاً ، لان العربية كباقي اللغات السامية لا يعرف فيها امتزاج جذرين في كلمة واحدة كما هو الحال في اللغات الآرية ولا يغرنك بعض مظاهر النحت التي هي حقًّا اختصارات اكثر مما هي ألفاظ منحوتة مثل بَسْمَلَ وحوقل أي قال بسم الله ولا حول ولا . . .[1] فان اللغات السامية لا تعرف النحت فما هي اذاً ؟

ان هذه الزيادات يمكن اعتبارها عناصر اشارية deictic كالتي تتألف منها الضمائر واسماء الاشارة والموصول . مما لا شك فيهِ ان الضمائر في السامية كما هي في باقي اللغات ، كلمات لا تردّ الى جذور تتضمن فكرة اصلية كما في قتل بل تتألف من عناصر اشارية كما في انت ، هو ، الذي ، وقد مرّت الاشارة الى هذا في اول المقال . ولا غرابة في ان اصل اقدم الكلمات في اللغة يردّ الى عناصر اشارية تنبيهية ، فالاشارة الى الشيء والتنبيه له ، والتعجب والاستغاثة والمناداة كل هذه من اقدم مظاهر اللغة على الاطلاق ولا نرى ضرورة للاسهاب في هذا الموضوع لان اصل الضمائر في اللغات السامية امر معلوم عند الاخصائيين . ولهذا الموضوع مراجع مستفيضة في اللغات الاعجمية

اننا اذا حللنا الضمائر في العربية الى العناصر التي تتألف منها وجدناها : أ ت ذ ك ل م ن ه و ي. اما احرف الزيادة التي تضاف لبناء الرباعي فهي ب ت ح د ر س ش ط ع ق ل م ن ه و ي وانت تجد ان جانباً من احرف الزيادة لا وجود لهُ في بناء الضمير مثل الطاء والعين والقاف . اما الشين وان لم تجدها في الضمير العربي فهي واحدة في ضمائر لغات اخرى سامية . اننا لا ننكر ان هنالك مصاعب تاريخية وصوتية (Phonetic) يصعب تعليلها. ولكن بوجهٍ عام يمكننا ان نقول ان القصد من هذه الزيادة هو .اولاً — لتأدية معنى المبالغة . ثانياً — لتأدية معنى الحدة والشدة. ثالثاً — لتأدية معنى التعدية . رابعاً — لاسباب صوتية بحتة

(١) راجع مقالا للاب لويس شيخو في المشرق المجلد الاول ص ١٠٢٧ حيث ينفي وجود هذه الظاهرة في العربية

ولكن درس مسألة الاصوات في اللغة السامية لايزال في مهده ولا نعرف عن النواميس التي تتقيد بها الا النزر القليل. خذ مثلاً وزن فرعل، فنعل، فعل، التي هي ربما كانت عوضاً عن وزن فعّل الفصيح فبدلاً من مضاعفة الحرف الوسط يستعاض عنها بزيادة حرف كان اللسان يستسيغ او يستسهل لفظ فرقع على فقّع وفنجر على فجّر. ولكن السؤال الهام هو متى تزاد الراء او النون او اللام للاستعاضة عن التضعيف؟ هذه اسئلة لا يمكن الجواب عنها لقلة الادلة وربما عند ما تتوافر لدينا الاستنتاجات يمكن ان نقرر النواميس التي تتبع في هذه الناحية

﴿الافعال الرباعية في الفصحى﴾ اذا راجعنا المعاجم وجدناها طافحة بالافعال والاسماء الرباعية والخماسية والسداسية واكثرها ممات ومعانيها غريبة عنا حتى ان الذين جمعوها ودونوها لم يكونوا على ثقة مما يدونون، بل كتبوا ما كتبوا على ذمة الراوي او على استنتاجهم من معنى بيت ورد في شعر احدهم، يدلك على ذلك المعاني القليلة التي تفيدها هذه المجموعة الكبيرة فانها لا تتعدى معنى «صلب، ضخم، شديد، سيء الخلق، غليظ، طويل» الى ما هنالك من المعاني غير المحدّدة. وعدم معرفتنا معانيها بالضبط يحول دون درسها لانه اذا فقد المعنى صعب التعليل

اما في كتب الادب وفي الشعر فورودها قليل بالنسبة الى كثرتها في المعاجم. فهذا القرآن الكريم لا يحتوي على اكثر من ٥٠ كلمة رباعية. ويحق للباحث في تطور اللغة ان يسأل عن السبب في ذلك. ولنا رأي نبديه بتحفظ وقد لانكون على صواب فاننا نعتقد ان الاوزان الرباعية لا بل النزعة في اللغة السامية الى اشتقاق اوزان رباعية من جذور ثلاثية كانت في عصور قديمة شائعة جداً كما هي شائعة في بعض اللهجات العربية المحكية [1] غير انه عند ما بدأ عصر التدوين والكتابة فعل قانون الانتخاب اللغوي فعله. فالناس عند ما يتكلمون يستعملون لغة ولكن عند ما يكتبون يستعملون لغة اخرى وهذا يصدق على جميع لغات الارض. والكاتب ميال الى الابتعاد عن العامي فكل شائع معروف في نظره قريب للابتذال، وإلاّ ماذا يفرق الكاتب عن بقية الناس؟ وما الذي يفرق يوئيل النبي العبراني في كتابته عن باقي الانبياء؟ ولما كانت الافعال الرباعية واشتقاقها شائعاً عامياً، نظراً الى ضخامتها وكثرة حروفها اخذ الكتّاب في الاقلال من استعمالها

---

(١) تكثر الافعال الرباعية في لهجة لبنان وسوريا، فان كاتب المقال تمكن من جمع اكثر من الف فعل رباعي في بلدة صغيرة في لبنان واكثرها غير مذكور في معجم Dozy والف فعل في لغة مجتمع يعيش على الزراعة في الجبل عدد لا يستهان به، وعندما يذكر الانسان ان مجموع الكلمات التي نستعملها في كلامنا العادي لا يزيد عن ٣٠٠٠ او ٤٠٠٠ يدرك معنى هذه الكثرة



رحلة جغرافية عمرانية

لوصفي زكريا

— ٣ —

الجبال — لا نبالغ اذا قلنا ان القطر اليماني قطر جبلي بحت . لان جباله تشمل ما يزيد عن ثلاثة ارباع مساحته العامة . وجبال اليمن تتمة سلسلة « السراة » او سلسلة الحجاز الآتية من الشمال والمبتدئة من بين الطائف ومكة والمنتهية في جنوب اليمن عند الاعضاد المشرفة على تهائم لحج وعدن . قال ياقوت في معجم البلدان : السراة جبل مشرف على عرفة قرب مكة ينقاد الى صنعاء ، وانما سمي بذلك لعلوه ، وسراة كل شيء ظهره . وقال ايضاً : السراة الجبال او الارض الحاجزة بين تهامة واليمن ولها سعة وهي باليمن اخص . وقال الهمداني في صفة جزيرة العرب السراة اعظم جبال العرب واذكرها اقبل من ثغرة اليمن حتى بلغ اطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً لانهُ حجز بين الغور « تهامة » وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه الى اسياف البحر غور تهامة ، وصار ما دون ذلك الجبل من شرقيه نجداً ، وصار الجبل نفسه سراته وهو الحجاز . وقال ايضاً : اما جبل السراة الذي يصل ما بين اقصى اليمن والشام فانهُ ليس بجبل واحد وانما هي جبال متصلة على نسق واحد من اقصى اليمن الى الشام في عرض اربعة ايام في جميع طول السراة يزيد كسر يوم في بعض هذه المواضع وقد ينقص مثله في بعضها . وفي (الرحلة اليمانية) للشريف عبد المحسن البركاتي : ان اول جبل السراة يبدأ في عقبة كرى بين الطائف ومكة ويسمى بجبل الحجاز لانهُ الحاجز بين تهامة ونجد وانهُ عظيم الارتفاع عن سطح البحر واسع المساحة كثير الطول طوله من الشمال الى الجنوب احدى واربعون مرحلة ، وكل مرحلة مسير يوم بالابل المحملة وهي اربعين كيلومتراً . فمن الطائف الى

ابها عاصمة عسير خمس عشرة مرحلة ومن ابها الى صعدة سبع مراحل ومن صعدة الى شهارة ثماني مراحل ومن شهارة الى صنعاء عاصمة اليمن سبع مراحل ومن صنعاء الى نهاية هذا الجبل اربع مراحل . وهذا الجبل آهل بالسكان وقراه متصلة ببعضها ، واذا سافر مسافر من الشمال الى الجنوب في تلك المراحل فانهُ يكون دائماً بين مزروعات واودية واشجار كثيرة المياه والمراعي وكافة قراه مبنية بالحجر المنحوت ودورها من طبقتين الى ثلاث ولا يوجد فيهِ اكواخ مثل تهامة . اه

قلت : وظهر هذه السلسلة المرتفعة ارتفاعاً عظيماً ينقسم قسمين ، فما كان منهُ في الشمال في علو نحو ٢٠٠٠ متر وما فوق حتى جاوز ٣٠٠٠ متر سمي باليمن الاعلى ، وما انحط في الجنوب عن ٢٠٠٠ متر حتى اقترب من مستوى التهائم سمي باليمن الاسفل . والحد بين اليمنين فيما قيل قرية المنزل في نقيل سمارة في جنوب مدينة يريم ، على طريق تعز وعدن

واليمن الاعلى حول مدن يريم وذمار وصنعاء وعمران وما بعدها نحو الشمال يؤلف نجداً مستوياً واسعاً مستطيل الشكل يمتد من الشمال الى الجنوب من قرب جبال نجران الى نقيل سمارة المتقدم الذكر ، فيتباين العلو فيهِ من ٢٠٠٠ الى ٢٦٠٠ متر ويختلف علو قننه الشامخة من ٣٠٠٠ الى ٣٥٠٠ متر . ويمكن تشبيه هذا النجد بسنام الجمل . لان سفحيه الغربي والجنوبي يتدرجان في الانخفاض نحو التهائم الغربية والجنوبية ، وسفحه الشرقي نحو فيافي الجوف المنحطة ، وهذه تتدرج بالانخفاض من ١١٠٠ متر فما بعد ويمتد في وسط هذا النجد (خط تقسيم المياه) الذي يدفع بعض مياه ينابيعهِ وسيوله الى الاودية المنحدرة نحو فيافي الجوف في الشرق وبعضها الى الاودية المنحدرة نحو التهائم في الغرب والجنوب . وسيأتي ذكر هذه الاودية

على ان النجد اليماني ليس في مجموعهِ بسيطاً خالياً من التلعان والتضاريس . بل ان في معظم ارجائهِ جبالاً وأطواداً عديدة منفردة او مجتمعة مخروطيةً او مستطيلة الشكل . وهذه الجبال تفصل بين الرقاع التي يدعونها « قيعان » جمع « قاع » ويتخذون ارضها الشاسعة للحرث والاستغلال . اشهر منها قاع البون وقاع سنحان وفيهِ مدينة صنعاء وقاع جهران وقاع حواس وقاع الحقل وغيرها

اما اطراف السلسلة وسفوحها المنحدرة نحو الغرب والجنوب والشرق فهي تتألف من جبال شاهقة هائلة تتدرج في الهبوط نحو التهائم او الجوف ، وبعض اعضادها يدنو من البحر كتلك التي بين عدن وباب المندب ومخا

وجبال اليمن كلها — سواء أكانت في النجود أم في السفوح — من أروع جبال العالم مرأى واعسرها مرقى واكثرها تضرساً وتلعاً واشدها تحطماً وتصدعاً وافقرها بالماء والكلأ .

وجبال طوروس وآمانوس في شمالي الشام وجبال لبنان الغربي والشرقي واطوادها وعقباتها تحسب متواضعة ذليلةً اذا قيست بما في اليمن. لا جرم ان من لم ير جبال اليمن المكفهرة وشناخيبه المشمخرة واوديته السحيقة وصخوره العظيمة النافرة ، ومعظمها جاف متجرد عن البهجة والخضرة ، اسود اللون ، متجهم المنظر، ومن لم يتسلق نقائله[1] وعقباته الوعثاء او يتدحرج في منحدراته الكأداء ذات الميل الشديد — لا يعدُّ رأى جبالاً واودية ولا قاسى تعباً ولا ردد لهثاً ولا ارتعدت فرائصه فرقاً من خشية تدهور السيارة او كبو الراحلة او زلق القدم . وهذا التدهور او الكبو او الزلق مع التيه في مهامه تهامة من الامور غير النادرة في اليمن . ومبلغ الروعة في هذه الجبال والاودية يدركه المسافرون في احدى الطريقين القديمة (طريق القوافل) او الحديثة (طريق السيارات) بين الحديدة وصنعاء ، او بين صنعاء وحجة، او بين صنعاء وتعز، بل في اي طريق شئت ، اذكر ولا تستثنِ . ففي طرق اليمن الجبلية عدد لا يحصى من القمم الناطحة للسحب والوهاد والمهاوي الممعنة في التقعر والتمعج. والارتفاع والانخفاض في هذه الطرق يختلفان اختلافاً فجائيًّا لا هوادة فيه ولا رفق فبينما ترى نفسك قد صعدت في ٤ — ٥ ساعات الى علو شاهق قدره ١٥٠٠ — ٢٠٠٠ متر تهبط فوراً في ساعة او ساعتين الى ثلث او نصف او ثلثي ذلك العلو ، ثم تعود للصعود ، ثم للهبوط وهكذا بمعنى ان منكب هذه السلسلة مؤلف من مرتفعات ومنخفضات تتموج تموجاً رهيباً ويأخذ بعضها برقاب بعض كامواج البحر المتعالية المتلاطمة على مسافة بضع مئات من الكيلو مترات مما يبعث الرعب والتعب الزائدين للغريب القادم حديثاً .

ورغم اكفهرار هذه السلسلة وكئودة معارجها ومهابطها فأن في مشاهدها عظمةً وروعةً تأخذان بمجامع القلوب، ولاسيما حينما تتراكم امواج الضباب وتتكاثف قطع السحاب وترتج الآفاق من الرعود القواصف والبروق الخواطف ، وهي ظواهر جوية كثيرة الحدوث في اغلب الايام بعد الزوال ، فحدث اذ ذاك ولا حرج عن طلعتها التي لا تمل ورؤيتها التي لا تجتوى ، مما يحتاج وصفه وتبيين الوانه ووقعه الى قريحة شاعر مفلق او ريشة رسام مبدع

البراكين والسيول

ولاقسام هذه السلسلة اسماء عديدة تدعى سروات جمع سراة . وفي كل من هذه السروات جبال متعددة معروفة باسماء واوصاف خاصة لا تتسع هذه العجالة لذكرها من وفرتها وكلها من الجبال البركانية الاندفاعية وجل صخورها من جنس البازلت الاسود او الازرق القاتم وهو لا يمتص الماء ولا يخزنه ناهيك جهومة منظره وبشاعة مكسره مما جعل جبال اليمن في الاكفهرار

(١) جمع نقيل وهو اصطلاح يماني يطلق على الطريق في الجبل . ويقابله عند اهل جبل لبنان كلمة «قادومية» من تعذر التسلق الا على الاقدام

الذي وصفناه . وبعض تلك الصخور من جنس الجير calcaire او الغرة grès او التراخيت او الميكاشيت ذات الالوان الدكن أو الصفر . وتختلط هذه الصخور القليلة بصخور البازلت السود او تتراصف معها في غير انتظام في كثير من الاماكن . وتربة قيعان النجد اليماني تتألف من الطيفال الجيري والرملي الناشيء من تفتت الصخور المذكورة ، وتكون هذه التربة صفراء اللون في الغالب . وتتألف اتربة الاودية من الرواسب الرملية والطينية الناعمة التي جرفتها السيول ، وتكون غبراء او رمادية اللون

ويظهر ان ثوران البراكين وفتكات الزلازل في الاطوار الجولوجية الغابرة كانت في اليمن على اشد مايتصوره علماء الجولوجيا في التصديع والتحطيم وان افعال العوامل الطبيعية من حر وقر وهزاهز وسيول ما برحت حتى يومنا هذا في غاية العنف والقسوة.فالمسافر في طول اليمن وعرضه كيفما التفت يقع بصره على اهاضيب هرمية او مخروطية الشكل قممها فوهات براكين منطفئة وعلى شناخيب مسنمة مرتفعة كالمآذن والابراج وعلى اطوادٍ وآكام متمددةٍ منعزلة او مكتظة وكلها متخن بالخروق والشقوق المفجعة من هول تلك العوامل الطبيعية واخصها الزلازل والسيول . وفي مناكب تلك الشناخيب والاهاضيب والاطواد والآكام او في سفوحها وفجاجها جلاميد هائلة الحجم والشكل (مثل او اعظم من حجر الحبلى في بعلبك) حطتها الزلازل او السيول من عل ، وصخور عظيمة مكدسة (مثل او اعظم من صخور الأهرام في مصر) ورضام مضرسة تتدحرج كسورها وفتاتها تحت الارجل فتزيد تعب الصاعد في عقباتها ومنحدراتها الـكأداء وتجعله يقاسي لهاث المحتضر

وفعل السيول في اليمن عظيم. وتاريخ اليمن طافح بفجائع هذه السيول التي تحدث الفترة بعد الفترة . واخصها ما يحدث في صنعاء يأتيها من انحاء سنحان وسعوان وجبل اللوز ويخرب قسماً غير يسير من صنعاء وشعوب والروضة ويذهب بعد للانصباب في وادي خارد أحد أودية الشرق

واذا استثنينا القيعان المنبسطة في انجاد سلسلة السراة والرقاع الصالحة في بعض ذرواتها واسنادها[1] والمنحدرات الخفيفة التي وطدها اليمانيون بمتاعب زائدة وعملوا فيها حقولاً صناعية متدرجة اسموها جُرباً جمع جربة[2] فان اكثر أقسام هذه السلسلة عاطل غير قابل للحرث والزرع ، وتكاد نسبة القابل منها لا تزيد عن الاربعين في المائة ، وما بقي فمتون او حرار[3] اومنحدرات هي مسارح للقرود وأوكار للنسور ومنابت لما لا خير في اكثره من الاعشاب الغثة والأنجم والاشجار الشائكة مما سوف نذكره في بحث الزراعة

---

(١) السند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح

(٢) يقابلها لدى أهل جبل لبنان كلمة جلول جمع جل (٣) المتون جمع متن وهي الارض التي تجمع الارتفاع والصلابة والغلظة والحرار جمع حرة وهي الارض ذات الحجارة الكثيرة السود النخرة

وغني عن القول ان هذه الجبال لا تتساوى في العظمة والروعة وامكان الصعود والنزول ووجود رقاع للحرث والزرع فيها او عدمه . فمنها ما هو واسع الذروة ، صالح التربة ، قابل الصعود على البغال والحمير . ومنها ما نقائله شديدة الكؤودة تزل الوبر[١] والقرد ، بل ان بينها ما ليس له غير نقيل « لا يطلعهُ سوى المشاة ولا يطلعهُ دابة . فاذا — ارادوا دابةً يستنفعون بها في ذروته مثل البقر للحرث والحمير للحمل حملها الرجال عجلةً او عضوةً صغاراً » [٢] . على ان اليمانيين لم يغادروا قيد شبر يمكن الاستفادة منهُ في ذروات هذه الجبال او منحدراتها . لا سيما من تلك التي تنفجر فيها عيون وغيول[٣] . فهم قد تعلقوا باذيالها وتسلقوا ادراجها ووطدوا ما امكنهم التوطيد من انجادها واسنادها فزرعوا وغرسوا وشادوا الحصون والقرى بهمم قعساء جديرة بالاعجاب

الطرق ووسائل النقل

اما وسائط النقل فأحدثها السيارات . فهي قد دخلت اليمن منذ خمس سنوات وصارت تجري الآن بين اكثر المدن والقرى التهامية وبعض النجدية التي لا يصعب وصولها اليها . اما في الصعبة الوصول فقد عبدوا لها حتى الآن طريقين طريق الحديدة —صنعاء ، وطريق صنعاء— حجة . الاّ ان هذه الطرق التي يخططها موظفون غير مهندسين وقرويون غير مأجورين وتلك السيارات البالية التي يديرها سواقون غير ذوي كفاءة تجعل الراكب يسأل الله السلامة في كل لحظة

في طريق الحديدة — صنعاء تطوي السيارة بادىء ذي بدء سهول تهامة فتتعسف بين كثبانها وتغوص احياناً في رمالها ويتحمل الراكب حرارة شمسها اللاهبة ، فاذا انتهى منها بعد مسير نحو ستين كيلو متراً يصل الى بليدة اسمها (باجل) تقدم وصفها . واذا غادرها ظهرت امامهُ طلائع الجبال التي تقدم ذكرها . وبعد ان يجتاز محطة البجيح وقرية عبال التهاميتين ايضاً تنحرف السيارة نحو الجنوب الشرقي وتشرع بالتوقل ، فتسلك الطريق التي فتحت للسيارات حديثاً على النحو الذي وصفنا نقصه وخطره . وهي تتغلغل وتتمعج وتصعد وتهبط في اودية طويلة قليلة العمران والسكان اسماؤها سيحان وسهام تجري في بلاد ريمة . وهذه الاودية منحصرة بين جبال شاهقة من فروع جبال ريمة منها — والعهدة على السائق الذي اسماها — على يمين الطريق جبل ضام وجبل عبس وجبل برع وجبل عساكر وعلى يساره جبل الجبي وجبل شرق . وهذه الاودية تتصل تارةً وتبتعد اخرى ، ويكثر في عدواتها اشجار العضاه الشائكة والنباتات المتعرشة على اختلاف فصائلها وحقول الذرة على اختلاف اعمارها وأطوالها ، وقد يصادف السائر ايضاً فيها قطعان القرود على اختلاف وفرتها وضخامة بعض افرادها وغرابة

(١) الوبر Hyrax دويبة كالسنور لكنها أصغر منه (٢) الهمداني في صفة جزيرة العرب ص ١٩٢
(٣) غيول جمع غيل ، اصطلاح يماني يطلق على الينابيع الجارية

وثباتها وصيحاتها المضحكة . واذ كانت السيارات لا تستطيع الاسراع اكثر من ١٠ — ١٥ كيلومتراً في الساعة بحكم شعث الطريق وكثرة المعارج والمنعطفات فلا بد من قضاء الليلة الاولى في هذه الاودية المقفرة . والمحطة الوحيدة التي يجوز المبيت فيها هي قرية حقيرة وبيئة اسمها «مدينة العبيد» — سكانها جالية من السودان . وبعد مسير مسافات شاسعة وسط وادي حمام علي في بلاد آنس يصادف السائر قرب منتهاه الشرقي حماماً معدنيًّا كبريتيًّا يأتيه المرضى في شهري مارس وابريل . وبعد هذا الحمام ببضعة كيلو مترات تشرع السيارة باقتحام عقبة طويلة كؤودة اسمها عقبة المصنع ، اذا بلغت اعلاها أفضت الى ظهر النجد اليماني الذي تقدم ذكره وتصل الى احد قيعانه المنبسطة المسمى « قاع جهران » فيتنفس المسافر هنا الصعداء لخلاصه من الصعود والدوران المتواليين المدورين للرأس ومن ضيق الاودية وحشرها وحرها ، ويلاقي بعد الآن فضاءً فسيحاً وهواءً سجسجاً . وبعد الاستراحة برهة في قرية « معبر » ينحرف السائر نحو الشمال الشرقي ، فاذا انتهى من قاع جهران يصعد في نقيل كؤود يفضي بعده الى اودية لا تخلو من منعرجات ومنبسطات فيها عدة قرى منتثرة اسماؤها بيت زيادي ووعلان والدوب وحزيز وغيرها حتى يصل الى قاع فسيح في وسطه مدينة صنعاء

هذا وما عدا السيارات، ليس في اليمن ولم يكن من وسائط النقل، سوى البغال والحمير والابل. اما الخيل فقليلة الوجود والاستعمال شأن كل البلاد الجبلية . والطرق عبارة عن شعب ومسالك وعثاء حفرتها الاقدام بمرور الايام . وقد صادفت في طلوعي من وادي الاهجر الى حصن كوكبان في عقبة تقطع النياط توقلنا اكثرها مشياً ، ان قسماً من هذه العقبة قد بلط تبليطاً حسناً لم اعرف رغم سؤالي اي صاحب خير من القدماء صنعه وفي اي عصر صنعه . ومثل هذا البلاط موجود في نقيل سمارة الصاعد من إب الى يريم وهو على ما قيل من صنع الملك العزيز طغتكين اخي صلاح الدين الايوبي الذي حكم اليمن في سني (٥٧٧ — ٥٩٣هـ) ، ولعل الاول ايضاً من صنعه ، كما ان السور المحيط بصنعاء بدأ به اخوه توران شاه وأكمله هو

طريق القوافل القديمة

﴿ وصف طريق القوافل القديمة بين الحديدة وصنعاء ﴾ كانت الجيوش التركية والقوافل التجارية قبلاً تسلك طريقاً أقصر منالاً وأكثر عمراناً وسكاناً منها في طريق السيارات الحديثة . عبد الترك بعض أقسامها في زمانهم وبنوا الجسور على بعض أوديتها فجعلوها صالحةً لسير عجلات المدافع وغيرها . الاّ ان هذه الاقسام المعبدة قد أشرفت على الخراب من الاهمال الحاضر . فالمسافر في هذه الطريق [1] بعد مغادرة قرية باجل ومحطة البحيح اللتين تقدّم ذكرها ينحرف

(١) وصف هذه الطريق مراسل جريدة التيمس الانكليزية المستر هرس سنة ١٨٩٢ ونشر ترجمته جبر ضومط في المقتطف م ٣٨ ج ١

نحو الشمال الشرقي ويمر بقرية اسمها حجيلة . ومن ثمَّ يشرع بالصعود في واد طويل ، هائل المنظر ، على جانبيهِ جلاميد عظيمة مدهشة ، واسم الوادي حجام يمتد نحو ساعتين على سير البغال وفي قرب حجيلة قرية الاكمة من قرى جبل مشار ، وتحتها العريف ووراءها جبل صعفان وفيهِ حصن متوَّح . ويزداد الصعود بل التوقل بعد حجيلة كلما أوغل المسافر نحو الشرق وتزداد معهُ مناظر الجبال العظيمة ووعوثها الرهيبة ، وتزداد ايضاً رقة الهواء وبرودته المنعشتان على خلاف ماكان في هواء تهامة ذي الثقل والحر المضنيين وبعد وادي حجام يبلغ المسافر سفح جبل وصل ويلمح على يساره في الافق الشمالي جبل الطويلة ، ويلمح أمامه في الافق الشرقي جبل شبام المعدود من قمم اليمن الشاخة ووراءه في الافق الغربي جبل برع وجبل ريمة المماثل لهُ ويلمح في طريقهِ ايضاً او يمر بقرية محصنة اسمها « العتارة » أهلها اسماعيلية مكرميون . وبعد اقتحام عقبة طويلة تقطع نياط القلب طولها خمس ساعات يصل الى بليدة اسمها مناخة مبنية قرب قمة جبل حراز المشابه لصهوة الفرس . وهي كما قيل مسرح للبوم وموطيء للعقبان والنسور

ومناخة في موقعها وعلوها وشكل دورها الشبيهة بالحصون والآكام من أمنع أماكن اليمن وأعزها منالاً ، تشرف من أنحائها الاربعة على أودية ووهاد هائلة السحق والانحدار . واذا سرح المسافر نظره في آفاق مناخة البعيدة يرى وادي موسنة ينبسط أمامهُ شمالاً بغرب ودونه جبلا ملحان وحفاش ، وفي الشرق جبل شعيب حضور أعلى قمم اليمن طرًّا وتحته بوعان . وثمة قنن عديدة شيدت فوقها قرى حصينة وما منها الا وحولها الاراضي المحروثة والحقول الصناعية المتدرجة ومغارس البن والقات . وبعد مناخة يعود المسافر الى الهبوط والتدحرج في نقيل عمودي شاق اسمه نقيل مناخة فاذا بلغ وادي الشجة في اسفله يعود الى التوقل تارةً والهبوط أخرى ، والهبوط أكثر ، والطريق مملوء بالاشجار الشائكة ، حتى يبلغ أسفل واد سحيق يعد أوطأ قسم الجبال في اليمن وأحرها فيهِ قرية اسمها مفحق بنيت فوق قمة . ثم يعود المسافر للتوقل في درجات عسيرة لا تحصى حولها وهاد لا قعر لها ولا حد حتى يبلغ قرية اسمها سوق الخميس ، ثم قرية أعلى منها اسمها بوعان فيها قلعة شاهقة ، وفي بوعان مشهد للجبال والاودية الهائلة . واذا تراكمت امواج الضباب او قطع السحاب وهي كثيرة النشوء والتراكم في هذه الاماكن الجبلية المتجهة الى الغرب نحو سواحل البحر الاحمر ، تحدث مسارح النظر ومباهج الفكر التي أطربنا روعها وبداعتها . وبعد بوعان يستمر التوقل الى متنة اومخفر سنان باشا وهي آخر مرحلة للقادم من الحديدة . وبعدها نزول متدرج الى مساجد ، ثم صعود الى عقبة عصر ثم نزول الى سهل أفيح فيهِ مدينة صنعاء خاتمة المسير

قلنا ان الترك في عهدهم الأخير عبدوا أقساماً كثيرة من هذه الطريق وذللوا صعابها . وكانوا يريدون ان يسيروا بها من مفحق الى وادي ضفور الى عبال ، تاركين مناخة لصعوبة

عقباتها وعلوها . ثم قرروا مد سكة حديدية من رأس الكثيب في شمالي الحديدة الى باجل فوادي ضفور فمفحق فسوق الخميس فصنعاء، وعهدوا في مد هذه السكة الى ادارة الخط الحجازي ، فقامت هذه الادارة بالعمل وجلبت آلات وعوارض وقضبان حديدية ، وتقدّم التمديد من الساحل الى الداخل نحو ١٥ كيلو متراً. ولكن مفاجأة الطليان بحرب طرابلس الغرب ومن بعدها الحرب البلقانية والحرب العامة ، حالت دون انجاز ذلك

الارتفاعات في قسم الجبال

صعدة ٢٢١٦ عمران ٢٣٠٢ كركبان ٣٠٠١ الروضة ٢٣٠٦ رداع ١٤٠١ ثلا ٢٨٦١ ذي مرمر ٢٦٩٨ شبام ٢٦٣٥ ذمار ٢٤٣١ يريم ٢٦٨٥ تعز ١٣٧٤ مارب ١١٠٠ الطويلة ٢٩٠٠ مسور ٣١٦٠ معبر ٢٥١٦ جبل شعيب حضور « اعلى قمم اليمن » ٣٥٠٠ جبل ظفير في قضاء حجة ٣٤٠٠ جبل شهارة في بلاد حاشد ٢٣٧٠ . وفي بلاد عسير ، ابها ٢٢٧٥ سوغا ٢٣٦٠ محائل ١٦١٠ غامد ٢١١٠ . وفي قسم تهامة اليمن زهرة ٣٥٧ حيس ٢٩٥ بيت الفقيه ١٦٥ زبيد ١٤٠ وجميعها بالامتار

الاودية والسرود

ليس في اليمن أنهار تشبه على الاقل العاصي او بردى في بلاد الشام من حيث غزارة الماء ودوام الجريان . بل ان بين جباله اودية تحصل من خطوط اجتماع المياه الهابطة من ذروات جبال اليمن والمنحدرة نحو التهائم في الغرب والجنوب او نحو الجوف في الشرق . وتحصل مياه هذه الاودية اما من الينابيع المتفجرة عند خطوط اجتماع المياه المذكورة واسمها في اليمن (غول) جمع (غيل) ، وإما من السيول المجتمعة من مياه الامطار . ومياه هذه الاودية اما ان تغور في رمال تهامة والجوف وتضيع سدًى، وإما أن ينتفع بها في ري بعض الارضين كما يعمل أهل زبيد ولحج . وهذه الاودية كثيرة ، لا طائل في ذكر اسمائها وتعداد روافدها في مجالتنا هذه. وجلها جاف في غير موسم الامطار . وليس بينها ذو ماء غزير يسيل في ايام السنة وينتهي في البحر الا وادي بنا ومصبه شرقي عدن ، ووادي لحج ومصبه في عدن ، وأودية تهامة العربية كوادي مخا ووادي زبيد ووادي رمع ووادي سهام ووادي سردود ووادي مور . ويمتد طول كل منها ٤ — ٥ ايام على الماشي ويحصل في مجاري بعضها غدران عميقة وواسعة يجدون فيها سمكاً بوزن الكيلو غرام أو الكيلو غرامين . ويذكر من أودية الشرق التي تذهب نحو فيافي الجوف وادي الخارد ووادي أذنة وغيرهما . الا ان اعظم هذه الاودية وأقواها هو وادي مور الذي لا ينقطع في كل السنة وهو ميزاب تهامة الاعظم ، ومثله بكثرة الروافد وبعد المآتي في الشرق وادي آذنة الذي كانت تخزن مياهه بسد مأرب الشهير ويلقب بميزاب الشرق

والاودية في اليمن اجل اماكنه قدراً واعظمها شأناً ونفعاً . وهي انزهها منظراً وازكاها تربة واوفرها خيراً وميراً . ففيها المواقع الرغيدة والينابيع والغيول الدافقة والاشجار الظليلة والحاصيل المغلالة والقرى والمزارع العامرة المنتثرة على عدوتيها انتثاراً متقارباً جميلاً واذ ارتفعت هذه الاودية عن مستوى تهامة وحرها وتطامنت عن علو النجود وبردها فهي معتدلة الاقليم في الجملة على ان بعضها يشذ عما ذكرناه لضيق رقعته وانحباس هوائه اوكثرة مناقعه فيحدث فيه الحر اللاهب والبعوض اللاسع ويصبح وبيئاً تفتك فيه حمى البرداء (الملاريا) . لا جرم ان اليمن لولا اوديته هذه لما اختلف بجباله وتهائمه عن الهيكل العظمي الاَّ قليلاً . فأجل مغارس اليمن ومزارعه واجود وابرك اشجاره وثماره تكون في هذه الاودية وفي كل منها كما قال الهمداني « ما لا يوقف عليه من القرى الصغار والابيات ، وكل واد منها مخلاف يكون فيه سلطان يقوم به عوائده »

وكان قدماء اليمانيين يعرفون قيمة مياه هذه الاودية الفائضة ويحسنون خزنها والانتفاع منها فيعمدون الى بناء الاسداد وهي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الاودية المذكورة لحجز السيول ورفع المياه لري الارضين المرتفعة كما يفعل اهل التمدن الحديث في بناء الخزانات . فتكاثرت الاسداد بتكاثر الاودية حتى جاوزت المئات . وذكر الهمداني في يحصب العلو من مخاليف اليمن (قضاء يريم الحالي على ما يظن) وحده ثمانين سدًّا . والى ذلك أشار شاعرهم بقوله :

وبالربوة الخضراء من ارض يحصب ثمانون سدًّا تقلس الماء سائلا

واشهر اسداد اليمن « العرم » وهو سد مأرب الشهير وسد الخانق بصعدة وسد ريعان وسد سيان واسداد بلاد عنس وغيرها . وكلُّه مندثر ، لو امكن ترميم بعضه ان لم يكن جله لعاد قسم من عمران اليمن وزهوه اللذين أدمجهما الرومان في كلمة (العربية السعيدة)

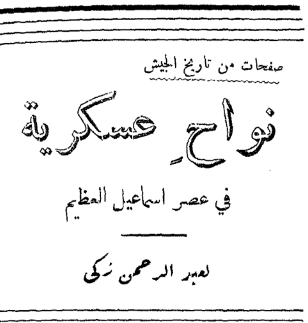
المعادن

يستعمل اهل الجبال في اليمن الملح الصخري الذي يجلب من جبل الملح في مأرب . قال الهمداني في هذا الجبل ، هو ليس بجبل منتصب ولكنهُ جبل في الارض يحفر عليه ويمعن في الارض وهو يبقى منهُ اساطين تحمل ما استقل من تلك المحافر وربما انهدم على الجماعه فذهبوا . وهي ارض لا نبات فيها فيحمل اليها الماء والزاد والحطب والعلف ويتحفظ على الماء — من أجل الغراب ان ينسر السقاء فيذهب ماؤه وهو من مأرب على ثلاث مراحل خفاف . ومأرب بحذاء صنعاء شرقاً . اه . وفي سواحل تهامة الغربية عدة ملاحات اخصها الصليف شمال الحديدة ، وهي عظيمة ملحها صخري فريد في نقائه وجودته وغزارته وقد كانت هذه المملحة تستغل في عهد العثمانيين وتدر وارداً قيل انه كان يبلغ المائتي الف ذهب عثماني ، الى ان خربتها الدوارع الانكليزية خلال الحرب العامة وحطمت مبانيها وآلاتها فلم تعد تقم لها

قائمة ، وقد طلب بعض الاجانب من جلالة الامام امتيازاً باصلاحها واستغلالها فلم يلب طلبهم خشية امتداد ايدي الاجانب الى اليمن بجرائها . . . وقد اوجب خراب مملحة الصليف عمران مملحة عدن التي يستخرج ملحها من البحر وفي اليمن احجار بازلتية سود واحجار كلسية وجبسية بيض صالحة للبناء واحجار كالرخام تقطع الواحاً رقيقة فتخرج شديدة الشفوف واللين والمتانة كأنها الزجاج او الميكا يستعملونها لسد النوافذ ويأتون بها من حوالي صنعاء . ولا تخلو بلاد اليمن البركانية من ينابيع مياه حارة كبريتية عليها حمامات يقصدها الاعلاء ، اشهرها حمام علي في قضاء آنس وحمام بيت الفقيه وحمام ناحية عر وحمام قعطبة وحمام رداع

وقد ردد الهمداني وغيره من مؤلفي العرب وأطنبوا في معادن اليمن وأحجاره الكريمة فذكروا وجود الذهب والفضة والحديد والنحاس . وقيل ان بعض الخبراء من الافرنج اخبروا ايضاً عن وجود معادن الحديد والكروم والنحاس والفحم الحجري والكبريت والنفط ، وذلك في النماذج التي جلبت لهم للفحص او في الاماكن التي توصلوا اليها . لكن احداً لم يحقق حتى الآن صفاء هذه المعادن وغنى مناجمها ان كانت لها مناجم دارة ، ولا يزال اليمن بحاجة الى خبراء في الجيولوجيا والمعادن يرودونهُ روداً علميًّا ويحققون الصفاء والغنى المذكورين اللذين يشك في كفايتهما ووفائهما بنفقات الاستخراج . وكذلك لا يعرف سبب اهمال المعادن القديمة التي ذكرها الهمداني وغيره ألنفاد مناجمها أم لصعوبة استخراجها . وجل ما قيل[1] ان منجم الفضة في الرضراض بين بلاد همدان وخولان كان يستثمر قبل الهجرة الى ان هبط احد كهوفه وسد منافذه فترك . ومثله منجم الرصاص في بلادهم ومنجم الفضة في مسارع ، قيل انهما كانا يستثمران في عهد الامام شرف الدين وابنه المطهر (٩٢٣ — ٩٨٠ هـ) الى ان هبطت كهوفهما ايضاً وسدت منافذهما فتركا وقيل انهُ كان في جبل نقم (قرب صنعاء) في عهد الحميريين منجم للحديد ظلوا يستثمرونهُ قروناً وكانت الاسلحة المصنوعة من هذا الحديد ذات قيمة باهظة لجودته ، وقيل ايضاً انهُ كان في جبل صبر (قرب تعز) منجم للذهب استثمر طوال قرون . ولم يبق من المناجم القديمة التي تستثمر سوى منجم الحديد في جوار صعدة . ويذكر ان الحديد القليل الذي يستخرج منهُ يؤتى بهِ الى صنعاء وغيرها ويباع بضعفي ثمن الحديد الاوربي المجلوب الى اليمن ويعمل منهُ الجنبيات (جمع جنبية وهي السكين التي لا بدَّ لكل يماني ان يعلقها في وسطهِ) والجرد (جمع جردة وهي ضرب من السيوف العريضة) . اما الجزع الموشى والمسير والعقيق الاحمر والاصفر اللذان يستعملان في صناعة الخواتم والشذب الذي يعمل منهُ ألواح وصفائح ونصب سكاكين وأمثالها من الاحجار الجميلة التي ذكرها الهمداني فانها لا تزال موجودة في اليمن يرتزق من نحتها ونقشها أرباب صناعتها في صنعاء وغيرها

(١) سالنامة ولاية اليمن لسنة ١٣٠٤ هـ ، مطبعة صنعاء



في الفصل السادس من كتاب القاضي كرابيتس « اسماعيل المفترى عليه » تقف على شيء كثير من مطامح الخديو اسماعيل باشا وآماله التي سعى في تحقيقها الى تحرير مصر من نير السيادة التركية . ولما كان يخشى ان يضطر الى امتشاق الحسام لتحقيق هذه الغاية اتجه بأبصاره شطر الولايات المتحدة الاميركية ليستعير منها ضباطاً لتنظيم جيشه وتدريبه

ولسنا نعلم ما الاجراءات الاولية التي اتبعها الخديو اسماعيل . والارجح انهُ في اواخر سنة ١٨٦٨ أو اوائل سنة ١٨٦٩ اتصل الخديو اسماعيل بالكولونيل « هنري موط Henry Mott » من ضباط الجيش الاميركي الاتحادي . وكان قد ادخل اولاً في خدمتهِ كضابط بسيط لكنهُ بعد ان اختاره اسماعيل كلفهُ انتقاء ضباط اميركيين للخدمة في الجيش المصري فأخذ يستخدم ضباطاً من كلا الفريقين المتحاربين في الحرب الاهلية الاميركية وقد وقع اختياره على الضباط الآتي بيانهم :

الجنرالات لورنج وسبلي وستون . والكولونيلات شاييه لونج . كولستون . ديريك . داي . فيلد — جنيفر — كنون — لوكيت — مكيفور — ماسون — بردي — بروت - الكسندر رينولدز — فرنك رينولدز — ريد — ريت — روجرس — سافيدج — آلين — وارد

ثلاثة ضباط برتبة لفتننت كولونيل . وثمانية برتبة ماجور . وثلاثة برتبة كابتن . وثلاثة جراحين

وقبل قدوم هؤلاء الضباط الى مصر وقعوا عقوداً مع الحكومة المصرية التي كان يمثلها « موط » (ان يشهروا الحرب على اي عدو للفريق الاول — كائناً من كان — وان يواصلوا تلك الحرب بكل شدة) ما عدا حمل السلاح في وجه الولايات المتحدة . وقد ذكر الكولونيل شاييه لونج انهُ قيل له ولرفقائهِ سراً ان الغرض الحقيقي لمهمتهم كان تنظيم الجيش المصري للقيام

بعمل حاسم يضمن لمصر استقلالها ويزيل عنها النير التركي [1] واليك ما جاء في مذكراته عن اول مقابلة كانت بينهُ وبين اسماعيل باشا . قال له هذا :

« اني اعتمد على حبكم واخلاصكم ومراعاتكم لشروط الكتمان لتعينوني على تحقيق استقلال مصر . ومتى تم ذلك وسيتم باذن الله — فسأكافئكم أعظم مكافأة» [2]

﴿ هيئة اركان حرب الجيش المصري ﴾ ولعل اهم يوم في تاريخ خدمة الضباط الاميركيين في الجيش المصري هو يوم ٣٠ مارس سنة ١٨٧٠ ففي ذلك اليوم عين الجنرال ستون رئيساً لاركان حرب الجيش المصري . وكان هذا التعيين نذيراً بانتهاء السيادة الفرنسية في الجيش بعد ان كانت هيئة اركان حربه معظمها ان لم يكن كلها من الضباط الفرنسيين . فاننا نعلم جيداً ان عقب حرب القرم (١٨٥٣ — ١٨٥٥) وبموت القائد سليمان باشا الفرنسي [3] رئيس هيئة اركان حرب الجيش المصري في ايام محمد علي الكبير والبطل ابراهيم وعباس باشا الاول وسعيد اندثرت هذه الهيئة او ظلت اسماً على غير مسمى حتى بعثها اسماعيل باشا

لما بدأ الجنرال ستون عمله في ربيع عام ١٨٧٠ وقصد نظارة الحربية لتقلد منصبه الجديد لم يجد فيها « هيئة » كالتي توقعها وعثر على اسم كولونيل فرنسي كان مسافراً الى انكلترا لمشترى ذخائر واسلحة ولكنهُ لم يعد من مهمته الا حوالي عام ١٨٨٠ . ولم يجد الجنرال ستون في نظارة الحربية خرائط او كتباً عسكرية او ملفات هامة للابحاث الحربية كما كان ينتظر ولم يكن للجيش المصري رئيس لهيئة أركان الحرب بعد وفاة قائده القديم سليمان باشا الفرنسي الذي كان قد أوصى بارسال بعض نجباء الطلبة الى فرنسا لتلقي الدروس العسكرية العالية . فلما عادوا ضمهم تحت رآسته الى هيئة اركان الحرب التي ألفها على الاسلوب الفرنسي وبوفاته لم يخلفهُ أحد في منصبه حتى ١٨٧٠ . ولم يكن من افراد تلك البعثة العسكرية غير شريف باشا الذي كان يشغل منصب رئيس النظار وقائمقام الخديو اثناء غيابه في الاستانة — ومراد باشا حلمي الذي وصل الى رتبة اللواء وصار فيما بعد ناظراً للحقانية في عهد المغفور له توفيق باشا . وعلي باشا ابراهيم ناظر المعارف فيما بعد وغيرهم من اعضاء البعثة الرابعة (١٨٤٤) [4] فكان من الطبيعي ان يؤلف الجنرال ستون

(١) كتاب «حياتي في القارات الاربع » لمؤلفه الكولونيل شاييه لونج ج ١ ص ١٧

(٢) راجع كتاب شاييه لونج ج ١ ص ٣٢ الذي سبق ذكره

(٣) هو الكولونيل سيف Sève الفرنسي الجد الاكبر لاسرة جلالة الملكة الوالدة وكانت وفاته في ١٢ مارس عام ١٨٦٠ بمرض الروماتزم وضريحه اليوم بجانب قصره في مصر القديمة — انظر كتاب Soliman Pacha لمؤلفه Aimé Vingtrinier ص ٥٨٣

(٤) راجع كتاب البعثات العلمية في عهد محمد علي وعباس الاول وسعيد لسمو الامير الجليل عمر طوسون باشا ص ١٧٢ — ٣٧٤

هيئة جديدة وبدأ عمله بعد ان اكتسب ثقة الخديو واستأنف مساعيه واعداد ضباط اكفاء يهتم لتبعاتهم الجديدة وتنظيم الجيش للخدمة بارشادات هيئة أركان الحرب وكان أول ما أوصى به الجنرال ستون تعليم صفوف الجيش

﴿ تعليم ضباط الصف والجنود ﴾ واستصدر أمراً من الخديو بان لا يرقى أحد أفراد الجيش الى درجة الأومباشي الا اذا كان ملماً بالقراءة والكتابة ولكي يمكن ترقية جميع الجنود صدر أمر عال بانشاء مدرسة في كل أورطة لتعليم ضباط الصف والجنود مدة ساعة ونصف ساعة على الأقل يومياً — ونظمت مدرسة لتعليم ضباط الصف لكي تمد الجيش بما يلزمه واستطاع بعد مدة قصيرة تعليم ١٥٠٠ من الجاويشية والأومباشية القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ومبادىء أعمال مسك الدفاتر . وألف بمعونة هؤلاء الرجال أورطتين نموذجيتين للجيش ولما انتهى تعليمهم أعيدوا الى بلوكاتهم الاصلية لتلقين ما تدربوا عليه ثم كان يستبدلهم بغيرهم لتدريبهم وهكذا . وكانت تلك المدرسة ملحقة بالثكنات المخصصة لنظارة الحربية بالقلعة ليتردد عليها « ستون باشا » لمراقبتها باستمرار

ظهرت نتائج تلك النظم وأينعت ثمارها في وقت قصير فلقد كان ثلث عدد ضباط الجيش حتى عام ١٨٧٠ لا يعرفون القراءة والكتابة ولم يكن عدد الصف والجنود الملمين بالقراءة والكتابة ليزيد عن العُشر . فلما كانت سنة ١٨٧٣ أصبح اكثر من سبعين في المائة من رجال الصف قد تعلموا القراءة والكتابة واصبحوا قادرين على التعبير عن أفكارهم كتابة . ولم يقتصر أمر تعليم الجيش على الجند فقط فان « ستون باشا » اقترح على اسماعيل باشا فتح مدرسة أخرى لتعليم أبناء الجند كحق لمن يدافع عن وطنه بحياته وكواجب على الامة تؤديه نحو أبنائها الجند . فلقي هذا الاقتراح رعاية الخديو وتشجيعه وأمر بانشاء مدرسة في كل مركز فرقة من فرق الجيش وأمر بالعناية بالأطفال وتوزيع الملابس والاغذية عليهم على ان يعودوا الى أمهاتهم في كل مساء . أما الجنود الذين استبقوا أسرهم في بلدانهم بعيدين عن المحطات العسكرية فكانت تخصص لابنائهم أمكنة للمبيت فيها وتصرف لهم الاطعمة في تلك المدارس بدون مقابل

وقد أثمرت تلك المدارس في سنين قلائل فنال اكثر من ٢٨٠٠ طفل قسطاً متوسطاً من التعليم بدلاً من اهمالهم في قراهم . وكان اكثر معلمي تلك المدارس من ضباط الجيش الذين انتخبوا من وحداتهم للقيام بهذا العمل الجديد وانتخب معهم بعض الجنود لاعمال الخدمة في المعسكرات فلم تتحمل ميزانية الجيش اعتمادات كبيرة لحفظ تلك المنشآت الجديدة التي لم تكلفها أكثر من ٢٥٠٠٠ جنيه في العام مقابل الخدمة الهامة التي أسدتها الى أبناء الجنود . وكان مما يؤسف له كثيراً ان أغلقت هذه المدارس في عام ١٨٧٨ بتوصية لجنة مراقبة المالية بحجة

الاقتصاد في أبواب الميزانية وذلك لفائدة حملة الاسهم من الاجانب

﴿مدرسة أركان الحرب﴾ وكان من تعليمات ستون باشا انشاء مدرسة لاركان الحرب . انتخب لها عشرين طالباً من نابهي طلبة المدارس العالية . وكان لتلك المدرسة الفضل الاول في اخراج طائفة مختارة من شبان الضباط المتعلمين بين الاعوام ١٨٧٣—١٨٧٨ فوزعهم على الاقسام العسكرية المختلفة ومكاتب القواد ورؤساء الضباط الذين استقدمهم للعمل معهُ من أميركا أمثال الجنرال لورنج وكولونيل داي والماجور لونج وجريفز وغيرهم . كما انهُ انتخب فريقاً من نجباء الضباط في سلاحي المدفعية والخيالة ممن يجيدون احدى اللغتين الانجليزية او الفرنسية للعمل مع هيئة اركان حرب الرآسة بأشراف الجنرال لورنج[1] صاحب الفضل في تدريبهم على الاعمال العسكرية الفنية العالية

﴿تنظيم هيئة أركان الحرب﴾ وبالتدرج أنشئت الأقسام المختلفة لهيئة أركان الحرب العامة في نظارة الجهادية ووضع كل قسم تحت رآسة ضابط أميركي . وكان كلما تخرج عدد من الضباط المصريين من مدرسة أركان الحرب عينوا للعمل في تلك الاقسام برتبة الملازم الاول . وبتقلدهم المناصب الجديدة بدأوا التمرين على الاعمال الفنية الخاصة . وأنشئت مكتبة عسكرية ضمت مختلف المؤلفات العسكرية المشهورة في اشهر اللغات واشترك في عدد كبير من المجلات الحربية الاميركية والانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية. وكانت هذه المكتبة تحتوي على أربعة آلاف مجلد على الاقل لما أنشئت . وفي السنة الاولى من انشاء تلك الهيئة قام عدد كبير من الضباط المصريين باستكشاف المناطق الافريقية المجهولة ومنابع النيل ورسموا الخرائط التفصيلية لها. وتقدمت أعمالهم عاماً بعد عام نحو خط الاستواء . وفي الاعوام ١٨٧٤ و ١٨٧٥ و١٨٧٦ امتدت تلك الاستكشافات الى كوردفان ودارفور والى بحيرات خط الاستواء كما أمتدت الى الجنوب الشرقي نحو بربره وهرر وجردفون ونهر جوبا (بلاد الصومال) ومما لا جدال فيه ان ضباط هيئة اركان الحرب المصريين استكشفوا فيما بين عامي ١٨٧١ و ١٨٧٨ وبينوا على خرائطهم مساحات شاسعة من المناطق الافريقية التي ظلت مجهولة حتى أواسط القرن التاسع عشر وفاق مجهودهم ما قام به المستكشفون الاجانب في القارة السوداء ومعظم ابحاث هؤلاء الضباط لا تزال من أهم المراجع الجغرافية[2] وليس معنى ذلك ان نتجاهل مستكشفات ستانلي وصمويل بيكر وجرانت وسبيك ولفنجستون وغيرهم من رجال الاستكشافات الافريقية الخاصة بنهر النيل ومنطقة البحيرات والانهر الاخرى

﴿المستكشفون العسكريون﴾ ولقد برهن الضباط المصريون الذين تخرجوا من مدرسة اركان

(١) هو الفريق لورنج باشا الذي عرف بأبي ذراع فقد كانت ذراعه مقطوعة واستدعى للخدمة في الجيش المصري في أوائل ديسمبر عام ١٨٧٥ لرآسة هيئة اركان حرب الحملة المصرية في بلاد الحبشة

(٢) نشر جانب كبير من الابحاث الجغرافية للضباط المصريين في جيش اسماعيل باشا بمجلات اركان الحرب العسكرية والمجلة الجغرافية الخاصة بالجمعية الجغرافية الملكية ومؤلفات الضباط الاميركيين أفراد هذه البعثة وأهمها Loring—A. Confederate Soldier in Egypt—1884

الحرب على كفاءتهم الممتازة في الحملة المصرية بالحبشة وفي حروب الدولة العثمانية ضد بلغاريا والصرب . وقد استشهد ستة في المائة من عددهم في ميادين القتال وسقط اثنان في المائة في الاستكشافات الجغرافية السودانية من الامراض الفتاكة ومعظم من تبقى منهم انتفع بمواهبهم واجتذبتهم المناصب الكبيرة اليها كالمصانع الفنية والمديريات واقاليم السودان . وكانت جهودهم في استكشاف البقاع الاستوائية والسودان ورسم الخرائط وتحديد الحدود مثالاً يقتدى به . فانه لما تم فتح دارفور (١٨٤٧ م)اصدر الخديو امراً الى الجنرال ستون بتجهيز حملة عظيمة لاكتشاف اراضيها واراضي كوردفان فعين الجنرال فرقتين من الضباط جعل الاولى تحت رآسة الكولونيل كولستون (Colston) ومعه الصاغ أحمد حمدي والملازمون عمر رشدي ومحمد ماهر ويوسف حلمي وخليل فوزي والدكتور الطبيعي العالم بفوند Pfund [1] ثم تقلد الماجور بروت Prout قيادة الحملة بسبب مرض الكولونيل المذكور وقام اعضاؤها بالعمل ثلاث سنوات في الاستكشاف ورسم خريطة كوردفان بالتفصيل وخريطة جبل مرّه بدارفور والطرق الواصلة اليها وخريطة الجهات مكركة ونيام نيام وملحقاتها وجهات خط الاستواء . وقد عثرنا على صورة للتقرير الذي رفعهُ الجنرال ستون الى الخديو اسماعيل باشا في ١٦ اكتوبر ١٨٧٦ مبيناً فيه خلاصة النتائج الجغرافية والعلمية التي تمت بمعرفة ضباط حملات الاستكشاف في أواسط افريقيا خلال الاعوام ١٨٧٤ و ١٨٧٥ و ١٨٧٦ فاذا هي تشتمل على ما لا يقل عن سبعة وعشرين كشفاً جديداً أهمها [2] :

١ — استكشاف دقيق للنيل الابيض من غندوكرو الى بحيرة البرت

٢ — استكشاف النيل الابيض من الخرطوم الى غندوكرو وتعيين خمسة مواقع بالارصاد الفلكية

٣ — استكشاف بحيرة ألبرت عام ١٨٧٦ بمعونة جيسي الايطالي

٤ — تحقيق مجرى نهر النيل بين بحيرة فكتوريا ومرولي واستكشاف بحيرة ابراهيم

٥ — استكشاف واتمام خريطة الطريق بين الدبة وماطول وبين الدبة وأوبيال

٦ — استكشاف مديرية كوردفان وبلغت أطوال خطوط الاستكشاف ستة آلاف كيلو متر وقد وضع الماجور بروت تقريراً ضافياً لهذا العمل

٧ — استكشاف الطريق بين دنقلة على النيل والفاشر عاصمة دارفور برآسة الكولونيل بوردي واللفتننت كولونيل ماسون وخمسة ضباط مصريين

٨ — استكشاف مديرية دارفور وجزء من منطقة دار فرتيت الى حفرة دير النحاس وشيكا الى الجنوب وعمل خريطة لها وتقرير ضاف

(١) راجع كتاب حقائق الاخبار عن دول البحار — لاسماعيل سرهنك باشا — الجزء الثاني ص ٣٣٨

(٢) راجع كتاب The Khedive's Egypt لمؤلفه Edwin de Leon الطبعة الثالثة عام ١٨٧٧ ص ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢

٩ — استكشافات جيولوجية ومعدنية للمنطقة الواقعة بين الرودسية وقنا على النيل والمنطقة الساحلية للبحر الاحمر بالقرب من القصير ورسم خريطة جيولوجية بالتفصيلات وقام بالجزء الاكبر من هذا العمل المستر ميشيل بمساعدة ضابط مصري من هيئة اركان الحرب والمسيو اميليانو الايطالي والاخصائي في المعادن

١٠ — استكشاف المنطقة الواقعة جنوبي غرب زيلع بالقرب من تاجورا طبوغرافيًّا وجيولوجيًّا ورسم خريطة تفصيلية لها

١١ — استكشاف ومسح المنطقة بين بربرة وجبل دوبار ورسم خريطة لها وقد قام بهذا العمل اليوزباشي عبد الرزاق نظمي وبعض الضباط المصريين

١٢ — استكشاف واتمام الخريطة للطريق الصحراوي بين اسيوط وعين الاجية . وقام بهذا العمل الماجور ديوهولي Diuholy يعاونهُ ضابط مصري من هيئة اركان الحرب

وغير ذلك من الاعمال الفنية التي تسجل لهذا الجيل من العسكريين الناهبين . وكان الضباط اثناء قيامهم بتلك المهام النبيلة يعتمدون على مرتباتهم العسكرية الضئيلة بينما تمتع غيرهم من المستكشفين الاجانب بما اثراهم طول حياتهم . لكن كان من وراء اعمال هؤلاء الضباط البواسل ان رفع العلم المصري على المناطق الاستوائية الى ما وراء بحيرة فكتوريا نيانزا والصومال ومناطق البحيرات وغيرها من المناطق الساحلية التي كانت تابعة للدولة المصرية في وقت من الاوقات

﴿ الثقافة العسكرية ﴾ وفي سنة ١٨٧٣ وافق سمو الخديو اسماعيل على اقتراح ستون باشا بانشاء مطبعة عسكرية يكون مقرها في نظارة الحربية فقامت في بادىء الامر بطبع المنشورات والتقارير ثم تقدم عملها واتجه الى اخراج الخرائط المتقنة الملونة والكتب . ومما يؤسف لهُ ان هذه المطبعة كانت في مقدمة ما اتجهت اليهِ لجنة مراقبة المالية عام ١٨٧٨ فأوصت بالقضاء على آلة الطباعة ناشرة العلم والحضارة . ومع نتيجة هذا الحكم القاسي ظلت آلة الطباعة تقوم بمصروفاتها معتمدة على ايرادها مما كانت تخرجهُ من المؤلفات وبيعها حتى أُلغيت نهائيًّا عام ١٨٨٢ وتحولت آلاتها الى المطبعة الاهلية . وبجانب المطبعة العسكرية التي كانت تخرج صحيفتين حربيتين هما « جريدة اركان حرب الجيش المصري » والاخرى « الجريدة العسكرية المصرية » انشئت مكتبة نفيسة تحوي كتباً قيمة في الفنون الحربية وأُلحق بها متحف حربي للاسلحة والتحف والتذكارات الخاصة بالجيش [1] وكانت المجلة الاولى تنشر مباحث قيمة للجنرال ستون باشا ولمحمد مختار افندي (باشا فيما بعد) وحماد بك عبد العاطي المدرس بالمدارس الحربية وعبد الرزاق نظمي (بك) وعبد الله بك فوزي من ضباط اركان الحرب

---

(١) راجع كتاب عصر اسماعيل للاستاذ المؤرخ عبد الرحمن بك الرافعي الجزء الاول صحيفة ١٨٩ و ١٩٠

﴿ جيش اسماعيل ﴾ والآن وقد انتهينا من رسم صورة عامة لأهم عناصر الجيش المصري في ايام اسماعيل وهيئة اركان حربه فلنذكر اهم الوحدات التي كان يتكون منها الجيش نقلاً عن حقائق الاخبار

الوحدات العسكرية	قواتها
١ — فرقة حرس مركبة من ٤ آلايات مشاة بقيادة الفريق راشد باشا حسني	١٦٠٠٠ جندي و ٤٢٧ ضابطاً
٢ — الفرقة الاولى مركبة من ٤ آلايات مشاة بقيادة الفريق عثمان باشا رفقي	١٦٠٠٠ جندي و ٤٢٧ ضابطاً
٣ — الفرقة الثانية بقيادة اسماعيل باشا كامل	١٦٠٠٠ جندي و ٤٢٧ ضابطاً
٤ — الفرقة الثالثة بقيادة محمد باشا خسرو	١٦٠٠٠ جندي و ٤٢٧ ضابطاً
٥ — اربعة آلايات خيالة بقيادة ابراهيم باشا الفريق	٤٠٠٠ جندي و ١٧٩ ضابطاً
٦ — اربعة آلايات مدفعية برية بقيادة علي باشا رضا	٦٠٠٠ جندي و ٢٣٣ ضابطاً
٧ — ثلاثة آلايات سواحل بقيادة خورشيد باشا	٣٤٠٠ جندي و ١٥٩ ضابطاً
٨ — اورطتان من المهندسين بقيادة الاميرالاي احمد ثابت	١٨٠٠ جندي و ٥٣ ضابطاً
٩ — هيئة اركان الحرب بقيادة الجنرال ستون باشا	٣٠٠ جندي و ٦٩ ضابطاً
١٠ — قلم مهندسي الحربية بقيادة المرعشلي باشا	٨٠ جنديًّا و ٤٠ ضابطاً
١١ — بلوك الصنايعية : نينو باشا	٤٥٠ جنديًّا و ١٤ ضابطاً
١٢ — ورشة الترزية : ابراهيم بك شوقي	٦٠٠ جندي و ٢٩ ضابطاً
١٣ — ورشة الذخيرة : حسين باشا الطوبجي	٣٥٠ جنديًّا و ٢٦ ضابطاً
١٤ — مستحفظين بيادة وسواري	٣٠٠٠ جندي و ٧٧ ضابطاً
١٥ — بوليس حربي	٥٠٠ جندي و ٢٠ ضابطاً
١٦ — مدرسة اركان الحرب	١٠٠ طالب و ٦ ضباط
١٧ — مدرسة المهندسين الطوبجية	٢٥ طالباً و ٢ ضباط
١٨ — مدرسة الخيالة	١٢٥ طالباً و ٥ ضباط
١٩ — مدرسة المدفعية	١٠٠ طالب و ٤ ضباط
٢٠ — مدرسة الطب البيطري	٤٠ طالباً و ١ ضابط
٢١ — مدرسة المشاة	٤٠٠ طالب و ٨ ضباط
٢٢ — مدرسة الخطرية	٣٠٠ طالب و ١٤ ضابطاً
٢٣ — مدرسة اولاد الجنود	٨٠٠ طالب و ٢٠ ضابطاً

سَيرُ الزَّمان

خواطر حول نزول

الملك ادورد الثامن

عن العرش

نظرات ومقابلات في العصر

الشرق والغرب

لسليم خياطة

فلسفة المعارضة

في نظام الحكم الدمقراطي



الدكتور بيارد ضودج رئيس جامعة بيروت الاميركية ، فالاستاذ يوسف افتيموس رئيس جامعة متخرجيها ، فالدكتور فارس نمر باشا ، فالدكتور عبد القادر المظم مدير الجامعة السورية بدمشق ، فتمثال الدكتور صروف

[صور الاهرام]

خواطر حول نزول

الملك ادورد الثامن عن العرش [1]

ان الاجانب الذين يزورون انكلترا ، قلما يفهمون ما ينطوي عليه النظام الملكي البريطاني من المفارقات ، ولا سيما اذا كانوا من بلدان جمهورية . فالملك الانكليزي مجرّد من السلطة بحيث لا يستطيع ان يختار زوجتهُ الا بموافقة رئيس الوزراء ، ولكنهُ في الوقت نفسه لهُ من المكانة في نفوس فريق كبير من الشعب وحياته الاجتماعية ، لا تدانيها مكانة اي حاكم بأمره في اوربا . وليس من المبالغة في شيءٍ ان نقول ان الملك وامراء البيت المالك في انكلترا يحتلون في حياة شعبهم العامة والخاصة مقاماً لا مثيل له في سائر البلدان الملكية . بل ليس في بلدان اوربا الملكية ما في انكلترا من ولاءٍ للاسرة المالكة وتدلّهٍ رومانطيقي بها . ولكن الانكليز انفسهم لا يرون هذا التناقض ، فيثيرهم مثلاً ما يرونهُ من تعلّق الالمان بهتلر ، كانهُ سيدوكأنهم اتباع ، او ما يقال عن سعي بعض الروسيين لتأليه ستالين ، جاهلين ان موقفهم من الملك والملكة والاميرتين الصغيرتين والدوقات ، لا يختلف عن موقف الالمان والروس ، الا في انعدام المسوّغ لهُ

ثم ان الأسرة المالكة في انكلترا ، على الرغم من زيارة المناجم والمدارس والمستشفيات ، ابعد عن الدمقراطية الصحيحة من كثير من الاسر المالكة الاخرى . فليس بالنادر في ستوكهولم ان ترى في الحديقة العامة رجلاً مديد القامة نحيف البنية ، يحيّيك وقد يقف ليتحدث معك . ثم تعلم اذا كنت لم تعرف من هو انهُ الملك جوستاف الخامس ملك السويد . والمشهور عن الملك كرستيان العاشر ملك الدنمارك انهُ كان في حداثته كثير الاختلاط بالشعب ولا يزال . وكذلك كان الملك البرت الاول ملك البلجيك السابق ، والملك ليوبولد الثالث قبل مصرع زوجه . حتى في النمسا التي كانت قبل الحرب من اشدّ الامم تمسكاً بالتقاليد وقواعد السلوك الرسمي ، لا يزال الناس يذكرون الامبراطور فرنسوى جوزيف متنزهاً في الحدائق ، متحدثاً فيها مع اقل الناس ، ويذهب بعضهم الى ان هذه الذكرى من اقوى البواعث على نشاط الحركة الملكية في النمسا

ولكن هذا لا يقع في انكلترا . نعم ان اعضاء البيت المالك ، يبذلون ما في وسعهم للاتصال بالشعب من طريق الحفلات العامة كوضع الحجر الاساسي في كلية او متحف ، او زيارة المناجم والمناطق المنكوبة ، او عيادة المرضى في المستشفيات اوافتتاح الاسواق الخيرية ، ولكن الشعب قلما ينسى ، ان حضرة صاحب السمو الدوق او حضرة صاحبة السمو الدوقة هناك . فالصلة بين البيت المالك في

---

(١) ملخصة عن الكاتب الاميركي وليم زوكرمن في مجلة هاربرز

هذه الحفلات موسومة بسمة من التكلف . وكأن آيتها: « هوذا الملك او من ينوب عنهُ، يقوم بما عليهِ ! » . ومن غرائب المفارقات ، ان الملك الانكليزي الوحيد ، الذي كان ديمقراطيًّا حقًّا ، واستطاع ان يتجرّد من هذا التكلف عند اتصالهِ بشعبهِ ، كان كأنهُ ظاهرة شاذّة في حياة بريطانيا الاجتماعية ، فاضطرّ الى النزول عن العرش بعد حكم دام أقلّ من أحد عشر شهراً!

ان الصورة القائمة للنظام الملكي البريطاني، ليست وليدة التقاليد المرعية في القرون الوسطى، كما يظن ، بل هي وليدة أواسط القرن التاسع عشر على الاكثر، ومطبوعة بطابع الملكة فكتوريا على الغالب . ان خلق هذه السيدة النشيطة العنيدة التي حكمت انكلترا أكثر من ستين سنة كان أبعدَ أثراً في تطوُّر النظام الملكي البريطاني ومقامهِ ووظيفتهِ ، من أسرة كاملة من الملوك الانكليز الاقحاح .كانت ألمانية النشأة والتربية والطبع ، تميل الى التحكُّم ، فلما لم تجد منفذاً لهذا الميل في ميدان السياسة ، عمدت باندفاع المهووسين الى البحث عن منفذ فوجدتهُ في وظيفة البيت المالك الاجتماعية . نعم ان للملوك والملكات والامراء والاميرات وظيفة اجتماعية حيث يوجد بيت مالك ولكن هذه الوظيفة تقتصر في الراجح على الازياء وتمتدُّ الى الحاشية ومن يلوذ بها

اما الملكة فكتوريا فلما ادركت حدود تحكُّمها السياسيّ ، اغتصبت سلطة مطلقة على افكار الشعب وعاداتهِ ، ولا سيما ماكان منها متعلقاً بالحياة الخلقية . ولم تحصر سيطرتها في حدود أسرتها وحاشيتها ، بل شملت بها فريقاً كبيراً من الشعب . ولو ان الشعب البريطاني ، منحها شيئاً من السلطان السياسي ، لكي ينقذ من هذا الاستعباد الخلقي الاجتماعي لكان ذلك خيراً لهُ

ان خلق الملكة فكتوريا وحكمها الطويل ، رفع آراءها في وظيفة البيت المالك من الناحية الاجتماعية ، الى مستوى التقاليد المرعية الجانب او القواعد الاساسية . فالملك بحسب رأيها ليس رمزاً سياسيًّا فقط ، بل هو صورة مثالية لما يجب ان يكون عليهِ سلوك شعبهِ

فالأسرة المالكة ، بهذا التحديد الجديد ، ليست أسرة كسائر الأسر ، لها نقائصها ومواطن المؤاخذة عليها . بل هي رمز اجتماعي سامٍ ، لا يرتقي اليهِ النقد . والملك الانكليزي ليس رجلاً بل مثالاً متصفاً بجميع الفضائل التي اتصف بها البرت زوج الملكة فكتوريا ، وقد نزهت عن كل ضعف . فهو زوج كامل وابن بار ووالد حكيم ومثال تام للانسان الكامل — أو هكذا يجب ان يكون في ما يبدو من حياتهِ للعيان . لهُ ان ينحرف عن هذا الصراط المستقيم ، ولكن ذلك يجب ان يكون بمعزل عن الناس . فالمقياس ليس ما يفعله الملك ، بل ما يفعله جهراً

اما الملكة فالقلب النابض في هذا النظام، وعليها يقع الجانب الاكبر من عبء الوظيفة الاجتماعية التي اسندتها الملكة فكتوريا الى البيت المالك . وعلى ذلك يجب ان تكون الملكة، مثالاً للمرأة الكاملة كما تصوّرتها فكتوريا ، عفة وولاء ومحبة وطاعة وعلاوة على ذلك يجب ان يكون دم الملوك جارياً

في عروقها وان يكون دماً المانياً اذا أمكن والاّ فليكن دنماركياً او يونانياً اومن دم آل رومانوف

وانصافاً لرجال المال والاعمال الانكليز وهم حكام بريطانيا الحقيقيون الآن، يجب ان نقول انهم لم يتقيدوا بقيد الدم الملكي ، فأنهم اذا وجدوا فتاة من الارستقراطية الانكليزية او غيرها من الارستقراطيات الاوربية ، قد ملكت قلب مليكهم او ولي عهدهم ، قبلوها ملكة او أميرة عليهم ، ولكن على شريطة ان تكون متصفة ، بالفضائل الاخرى ، لان الصورة الملكية الراسخة في اذهانهم ، تنهار او تمحي من دونها

ولعلّ اقوى البواعث على رسوخ هذه الصورة ، ان رجال المال والاعمال في انكلترا يحسبون الاسرة المالكة صورة مثالية لاسرهم كما يبغونها. فالطبقة المتوسطة الانكليزية اتجهت الى قصر بكنهام قبل قيام هوليوود وذيوع الصور المتحركة . لانها رأت في بكنهام لوحةً تشاهد عليها حياتها كما تودها ان تكون . الاّ ان التاجر الاميركي يتجهُ بعد كدهِ وكدحهِ ، الى ما تخرجهُ هوليوود ليرى فيه مايتوق اليه من مثل الجمال والحب والتسلية ، حالة ان ندّهُ الانكليزي يتجه الى بكنهام ليرى فيه ما يبغيه من الفضيلة . فالانكليزي يحسّ عندما يمجد الاسرة المالكة ويسند اليها جميع الفضائل انهُ يمجد نفسهُ وزوجهُ . وعندما يهتف حتى يبحّ للاميرتين الصغيرتين، انما يهتف لبناتهِ ممثلات فيهما على نحو ما يفعل روّاد السينما عند ما يرون رونلد كولمان او جريتا جاربو او شرلي تمبل . هنا فتاة ترى في كولمان مثالاً لحبيبها ، وهناك رجل يرى في جاربو صورة للمرأة التي يتمناها ، وهنالك اب وام يريان في شرلي تمبل ابنتهما الصغيرة

كان ادورد دوق وندزر، اقل اعضاء الاسرة المالكة الانكليزية ،استعداداً للاندماج في هذه الحياة الملكية الرسمية المتكلفة ، التي وضعت لها الملكة فكتوريا الحدود والقيود . الاّ ان هذا التنافر كان مقتصراً على الناحية الاجتماعية دون السياسية . اذ ليس ثمة ما يحمل على الظن بان الملك ادورد كان يتطلع الى تخطي حقوقهِ الدستورية او التعدي على حقوق الوزارة والمجلس النيابي. وقد ثبت الآن ، فساد القول بان نزولهُ عن العرش كان نتيجة نضال بين التاج والبرلمان . وذلك لسبب بسيط وهو ان الملك ادورد لم يكن يولي السياسة عناية كافية تحمله على خوض النضال في ميدانها

فالتنافر الذي قام بين خلق الملك ادورد وحياة الملك كما رسمتها جدة ابيه فكتوريا ، كان محصوراً في وظيفة النظام الملكي من الناحية الاجتماعية

كان الملك ادورد الثامن، طبعاً وخلقاً اقرب الى جدّهِ الملك ادورد السابع منهُ الى ابيهِ الملك جورج الخامس . حتى مراسم حياة القصر التي خضع لها ونهض بها على اوفى وجه ، لم تكن تخفي نزعة مستقلة فيه الى معيشة مطلقة من هذه القيود . فقد ركبت في طبيعتهِ وخلقهِ عناصر ، من شأنها ان ترفع صاحبها الى مقام الزعامة في ناحية من نواحي السياسة او الفن او الاجتماع ،لو لم يكن ابن ابيهِ

ولـكن ادورد ولد في قصر ، فـكانت هذه القيود ثقيلة عليهِ ، وزاد الطين بلة ، ان النضال الدائر في نفسهِ ، بين نزعتهِ المستقلة والقيود الملـكية المفروضة عليه ، كان معروضاً على الجمهور . وقد اقتضت مكانتهُ الملـكية ، ان يتحرك دائماً والعيون متجهة اليهِ ، فـكان لهُ في شبابه وحسن سلوكه ما حببهُ اليهم . فاذا اضفت الى ذلك حاشية ، هي من ضرورات الحياة في القصور ، تطري في اخلاص وغير اخلاص وتعنى بالسخيف والجليل من الامور ، وتداهن وتتملق ادركت ان فتىً مرهف الاحساس كالبرنس ادورد لايمكن ان ينجو من التضعضع والتحول الى آلة رسمية ، يزور وينحني ويبسم للمصورين ، الاّ باعجوبة

وجاءت الحرب الـكبرى فكانت تلك الاعجوبة . والواقع ان ادورد ونزر وليد تلك الفترة من تاريخ العالم ، التي يعرف ابناؤها باسم « جيل الحرب » . فهو مثال حيّ ، لتلك الشخصية التي وضعها نويل كاورَد في احدى مسرحياته — شاب مرهف الاعصاب ، تأخذه اطوار مختلفة من البشاشة والعبوسة ، والتأمل والتعقل والاندفاع ، ولـكنهُ مع ذلك محبب الى الناس . هذا الجيل من الشباب ليس بالجيل الضائع كما يوصف لان افرادهُ على الرغم مما اصابهم لا يزالون يرنون الى مثل عليا ، من السلام والمساواة والعدل الاجتماعي ولا سيما العدل الاجتماعي . وعلاوة على كل ذلك ، انهم مخلصون ، ويمقتون الرياء والنفاق ، فاذا استحكمت ازمة لم يجبنوا عن تأييد معتقداتهم والتضحية في سبيلها

ونزول الملك ادورد عن العرش ، عمل من هذا القبيل . فاننا اذا جردنا حديث هذا النزول عن ملابساتهِ السياسية الثانوية ، تبين لنا انهُ كان عملاً روحيًّا قام بهِ رجل ثائر على بيئةٍ اجتماعية ، قدعتهُ منذ حداثتهِ . ومن بواعث الاسف ان تكون النواحي السياسية والغرامية قد حجبت في هذه القصة مغزاها الحقيقي

ان نزول الملك أدورد عن العرش ، لم يكن ثورة ملك على وزرائهِ او برلمانهِ ، بل كان ثورة أعظم شأناً وأبعد مدىً ، لأنهُ كان ثورة ملك على نظام الملـكية كما هو في انكلترا من الناحية الاجتماعية . انها ثورة الرجل في ادورد الثامن على الملك فيهِ ، على الرمز المتمثل في شخصهِ . ولو لم يكن الشعب الانكليزي محافظاً الى أبعد حدود المحافظة ، حتى حزب عمالهِ ، لـكان أفضى عمل من هذا القبيل الى تحوُّل روحي واجتماعي كبير الشأن فيهِ

والغريب ، ان النزاع الدستوري كما قيل ، كان ذا شأن ثانويّ في هذه الدرامة الروحية . وكذلك كانت المسز سمبسن . لم يكن شأن المسز سمبسن في هذه المسألة الاّ شأن كثيرات من النساء ، بعثنَ الجرأة في قلب الرجل ، فأقدم على ذلك العمل الخطير ، على التحرُّر . والراجح ان ادورد لولاها ، لعجز عن الاقدام ، ولـكن هذا لا يعني ان المسز سمبسن كانت الباعث على نزولهِ عن

العرش ، اذ لولا هذه الثورة المضطربة في نفسه، لتخلى عن المستر سمبسن كما أراده وزراؤه وأهله ان يفعل. فقد قضى حياته شأن كثيرين من الشبان الذين خاضوا غمار الحرب الكبرى يبحث عن القوة التي تعينه على فك القيود ، الى ان اتفقت له المسز سمبسن فكنته بتأثيرها مما يبغي . وكل من يعرف شيئاً عن هذه الانقلابات الروحية ، يدرك ان العوامل الخارجية قد تتيح لها فرصة الظهور ولكنها لا تحدثها . فالبرلمان والمسز سمبسن كان عرضين في تطوّر شخصية تبحث عن حقيقتها

الا ان هذا لا ينفي ان هذا العمل الشخصي ، له مغزى اجتماعي . وليست هذه الثورة بالظاهرة الجديدة في انكلترا . بل ان جانباً كبيراً من أدب انكلترا ، اعراب عن ثورة دائمة في نفوس فريق من الشبان ، ولعلّ كارليل وبطلر وشو وولز ولورنس وهفلوك اليس في مقدمة الكتاب والادباء الذي أجادوا الاعراب عنها . وقد بدت هذه الثورة في الحياة الاجتماعية ، في اشتراكية شو والنهضة النسوية وحركة العمال . وما حدث في البرلمان الانكليزي يوم ١٢ دسمبر شبيهٌ بما حدث في كثير من البيوت الانكليزية في خلال الجيلين الماضيين . ان ادورد ونزر ليس اول الذي تحدوا صورة الحياة الاجتماعية الانكليزية كما رسمتها الملكة فكتوريا ، بل هو اقرب الى آخرهم. انهُ ليس ملكاً ذهب الى المنفى ، بل هو ملك انضمّ الى جيش الثوّار

كانت انكلترا أسبق الامم الى تحقيق الدمقراطية السياسية . وقد سلكت الطريق المفضي الى الدمقراطية الاقتصادية منذ وضع لويد جورج ميزانيتهُ المشهورة سنة ١٩٠٩ على وعورته والتوائه . ولكن الصورة التي رسمتها الملكة فكتوريا للملك الجالس على العرش وللملكته ، تخرجهما عن كونهما رجلاً وامرأة ، الى جعلهما في نظر عامة الشعب أقرب الى الآلهة منهم الى الناس . هذه الصورة تجعل الهوّة بين الملك وسواد الشعب هوّة كبيرة ، واليها يرتدّ كثير من النفاق والتعالي في حياة الانكليز الاجتماعيـة ولا سيما في الصلة بين ما يعرف بطبقة الاعيـان من جهة والطبقة المتوسطة وما دونها من جهة اخرى، واليهما كليهما يردّ القول بأن هذه الدمقراطية السياسية الكبيرة أبعد ما يكون من ان تكون دمقراطية اجتماعية

فاذا كان نزول ادورد الثامن عن العرش باعثاً على تنبه الانكليز الى هذه المفارقات في حياتهم العامة ، واذا تمكن الملك جورج السادس بما أثر عنهُ من الدعة الحقيقية ، والرغبة الصـادقة في خدمة الامة ولا سيما في نواحي حياتها الاقتصادية والاجتماعيـة ، وتقرّب هو ومن حوله، من الشعب بحيث يحسّ الشعب انهُ منهم كما يحسّ الدنماركيون والسويديون — اذا حدث هذا فان أثر نزول ادورد الثامن عن العرش يكون اعظم من أثر بقائه عليه، ولا يستبعد حينئذ ان يقول المؤرخون في المستقبل ان يوم ١٢ دسمبر سنة ١٩٣٦ (يوم النزول عن العرش) كان أكبر شأناً في تاريخ انكلترا من يوم ١٦ مايو ١٩٣٧ (يوم التتويج)

نظرات ومقابلات

في العصر

لسليم خياط

الشرق والغرب

أراهما واحداً لا ينقسمان . وفي الواقع ، ليس هناك لا شرق ولا غرب منفصل أحدهما عن الآخر. هما في تلاقٍ دائم . في كل نقطة على الارض يمتزجان، وكل نقطة على الارض غرب بالقياس الى الشرق وشرق بالقياس الى الغرب . وليس هذا في الاتجاه الموقعي على الكرة فحسب ، بل هذا يجري حكمه على الانسان الساكن عليها ايضاً . من العبث والخرافة قولنا أن الشرق شرق والغرب غرب ، قولنا أنهما مفترقان لا تجمع بينهما صلة

ليس ثمة شيئان اثنان يتشابهان شبهاً تاماً كأن كلاً منهما هو الآخر . ولكن بين كل شيء وشيء صلة مهما اختلفا ، تضعف وتقوى تبعاً لتقارب المميزات والظروف الاصلية الجامعة. حتى بين الانسان والحجر توجد صلة ، هي صفة الوجود . غير ان بين الانسان والانسان قرابة وثقى لا تنفصم . فتجعله واحداً في نوعه بأهم ما فيه وما يمتاز به — وذلك مهما تباين وأينما كان ، أفي اواسط آسيا أم في معالم ام في مجاهل القارتين الجديدتين . وان بين الشرق والغرب المصطنعَين ، المشطورَين كالبطيخة المعدة للالتهام ، المحدودَين بحسب ما كان من تعريف الجغرافية الرسمية ، جغرافية « المدارس » (١) الاستعمارية وشعرائها الفقهاء — إن بين هذا الشرق والغرب بأهلهما ومدنياتهما من الصلات الانسانية والاجتماعية ، من التقارب في الظروف الاصلية والكيان ، من وحدة الاصول وامتزاج الفروع ، ما يجعلهما قريبين متشابهين ، صلات احدهما بالآخر تكاد تكون من القوة كصلة اية دولة او شعب غربيين بأية دولة أو شعب غربيين آخرين . بل ان الرجعي الانكليزي و «البطاش» الياباني ربما كانا احدهما أقرب الى الآخر من الاول الى مفكر انكليزي حرٍ ، او من الثاني الى عامل ياباني راق

***

تربط الشرق والغرب ، على اعتبارها الاصطناعي الراهن ، كلُّ عروة قوية تجعل الشبه بينهما

---

(١) اي : الفرق وأهل المذاهب والنظريات

جوهريًّا وأوثق من أوجه الاختلاف . اول هذه العُرى الانسان نفسه ، وهو الذي قسّم الارض الى شرق وغرب بالاستناد الى التفريق الحاصل بينه او لاجل التفريق بينهُ . فالانسانية كلها حلقة واحدة قائمة بذاتها ، مضروبة حول الارض ، وتقيّد كل بقعة تقع غربي الاخرى بكل بقعة تقع شرقيها . ثم بعد الانسان ، شبكة مكينة من الروابط الطبيعية والاجتماعية والوقائع العالمية المستمرة . هي شبكة تضيع معها التحديدات المكانية الحديثة والقديمة ، ويبقى فيها المكان مطلقاً من اي تخطيط او تفريق كان يتوهمهُ ويدعو اليهِ أي رهط

ما الفرق بين الصيني والالماني ؟ الفرق في لون البشرة فقط . لكن هل للصيني بشرة وليس للالماني شيء منها ؟ كلاَّ ! وما الفرق الجوهري بين اسكتلنديٍّ يعبد او يستغل إلهاً ثلاثيًّا وبين مسلم هندي يعبد إلهاً واحداً وعدة اولياء ؟ لافرق ! كلاهما يعبد أو يستغل حقيقةً أو وهماً ، وهذا التباين بينهما سطحيٌّ يقتصر على الشكل وعدد رموز الحقيقة أو الوهم الضمني . والغربي الذي يريد البعض ان يفرقوا بينهُ وبين الشرقي على أنهُ أسمى أخلاقاً وخيالاً ، فبمَ نرى لهُ الزيادة الحقيقية في السمو ؟ فهل من فرق يُؤبه لهُ بين غارات جنكيز وتيمور وهولاكو التي نذكرها باقشعرار لما ضحّت بهِ من مدنية ومن ملايين البشر ، وبين ما ضحّى بهِ فراعنة الغرب الماضون من مدنية ومن ملايين في جحيم الحرب الكبرى ، هذا الجحيم الحقيقي الذي كنا نرى كثيرين من الغربيين الغربيي العقول والاطوار يناغونهُ بألوان ملوّنة من الكلام والتلفيق ؟ هل بين أفظع ما رُوي عن تيمور من الحوادث وبين مئات الالوف من الذين قُبروا في « فردون » ما يجعل أقل تمايز بين أعمال الاولين والآخرين في الهمجية المنظمة على مقياس واسع — اللهم الاّ الاختلاف في شكل وسائل الابادة التي استعملت في كلا العصرين ؟ لقد كان رجال الاستعمار الانكليزي ينشرون بين أولاد بلادهم قصة « بؤرة كلكوتا السوداء » ، فينغرس فيهم أن أولاد الهنود أبناء أناس برابرة ، فهم أحط منهم ، وهم من جبلّة أخرى . وطبعاً لم يكن هؤلاء السادة يعلّمون أطفالهم شيئاً عن مذبحة « آمريتسار » ، حيث قتل ثمانمائة رجل وامرأة وطفل من الهنود بالبنادق والرشاشات في حوالي خمس دقائق على ما يروى . كما وانهم كانوا لا يذكرون خبر بؤرة سوداء حقيقية ، وذلك يوم حُشدت أسراب من فلاحي « مبلاه » في جنوبي الهند داخل قطار أغلقت جميع منافذه ، فماتوا اختناقاً

في رأيي ، أن ابن نانكينغ وابن نيويورك لا يفترقان فيما هو جوهري أصلي من طبع الانسان وأحواله وتركيبه . وأرى أنهُ يكاد يكون للإنسان في كل بلد نفس العواطف والمطالب والاهواء والقابليات العقلية الأساسية ، تتراوح ما بين حدٍّ أدنى وحدٍّ أعلى في درجة عامة جامعة لا تشمل ، طبعاً ، التطورات الفرعية ولا إنحراف المميزات الخاصة او ترقيها . وتكاد تحيط بهِ

في أغلب العالم نفس الصفات العامة في ظروف البيئة الطبيعية وفي خصائص المدنية والحضارة ونفس القواعد والخطوط والتطورات الرئيسية الواسعة في أنظمة الحكم والأنظمة الاقتصادية، ثم في التركيب الأجتماعي، وفي الأفكار والتحركات والمبادىء والمعتقدات الاجتماعية

إن لم يختلف النظام الاقتصادي قلّ الاختلاف الهام بين مجموع الناس الذين يعيشون فيه وبه. لكن حتى ولو اختلف هذا النظام بقي الانسان، فيما نلاحظ ونعرف من حياته في شتى الحقب التاريخية والأوضاع الاجتماعية، متشابهاً في اصوله، في مطالبه الحيوية، في أحكام ضرورات البقاء عليه، وفي جماع غرائزه وعواطفه من تأثر بالحب والبغض والجوع والالم والغضب والغيرة والامومة والجمال والموت وما شاكل، وذلك وإن اختلفت مظاهر التعبير عن هذه الأحاسيس وأشكالهُ، أو تباين الاتجاه التهذيب فيها ومقدارهُ ونوعهُ

غير أننا نجد في هذه المظاهر والاشكال وتباين الاتجاه ومقدار التهذيب في الغرائز والعواطف الانسانية ونوعهِ: مقياس ترقي الانسان وتأخره أو انحطاطه

فان رجلاً يدفعهُ طلب الحياة إلى العمل من مثمرٍ وإبداعيّ أرقى طبعاً من ساكن الكهف الذي كان يقتات بالنبوت، ومن المهرب وقاطع الطريق، ومن الذي يتنعم بأرباح الحرب. وأمٌّ تعبر عن حبها لطفلها بالاعتناء به على اصول علمية اكثر تهذيباً في عاطفتها من أمٍّ تعبر عن حبها بتصرف خرافي خشن قد تمرضه أو تقتله، وامٌّ لا تفرّق في حنوّها بين الذكر من اطفالها والانثى اسمى جدًّا من ام تضطهد اناثها. وإن حبًّا مشتركاً متبادلاً بين رجل وامرأة أرفع من حب الاول لامة جاهلة او لامرأة كالقينة، ومن حب الثانية لسيد يتمتع بها او لعاشق محترفٍ تتمتع به فحسب. وإن التأثر بجمال رسوم ميخائيل انجلو ارقى كثيراً من التأثر بأيقونة بيزانطية. وظهور غريزة القتال في قالب مهذب من مباراة رياضية او تنافس في اي ميدان من ميادين التفكير والعمل اسمى من ظهورها في ميدان حرب وحشية او سلوك إجرامي. ورجل حر يجادلك بالمنطق والبرهان وأصول الاحتكام يختلف جدًّا عن فاشيستي يعمد معك الى المؤامرات الحميدية والدسائس الدامية ولغة المسدسات

إن في هذا التهذيب واختلاف الشكل والاتجاه في تظاهرات العواطف والغرائز سر أفضلية شخص على شخص وتقدم جيل ومدنية على جيل ومدنية. ومن يفتشون عن «الانسان الجديد» ومن يطلبونهُ فلا يجدونهُ، ومن ينكرونهُ ويشتمونهُ أو يعشقونهُ خيالاً ويتغزلون به ومن يضربون بقبضتهم على الطاولة بتشاؤم عنيف وفلسفة عتيقة عن « حقارة الجبلة الانسانية وأبدية الطبيعة الانسانية التي لاتتبدّل » (مثل الاديب الفرنسي « آندره روسو » في سلسلة مقالاته التي نشرها في « الفيغارو » سنة ١٩٣٢ — ٣٣) كل هؤلاء لن يجدوا « الانسان

الجديد » . ولكنهم يجدون حتماً « الانسان المتجدد » في هذا الارتقاء التهذيبي والاتجاهي المستمر على سُلم التكامل

***

وعلى هذا ، فالانسان في كل مكان وزمان واحد ، وهو في كل زمان ومكان مع ذلك مختلف. هو أبداً قديم وأبداً جديد . هناك جذور عميقة تجمع كل الناس ، وهناك اغصان تختلف عن الجذور ، ويختلف بعضها عن بعض ايضاً . وهناك كذلك اشجار تتنوع . ولكنها كلها من تربة واحدة ، وكلها في حديقة الانسانية جميلة ، او طيبة الثمر ، او مفيدة بأي شكل من الاشكال . كلها يستحق أحسن الاعتناء الممكن بها ، لتصير أحسن ما يمكن ان تكون ! كذلك أمر البشر ، حسبما يبدو لي

كل انسان اخو الآخر احب ام كره . أي رجل لو تعرّى عن مكتسباته وبان على اصله او طفولته يختلف كثيراً ، بأعضائه وتركيبه وكيانه من هيكل وعقل ونفس ، عن ايٍّ آخر . الناس مهما اختلفوا مؤتلفون . وربما كان الامبراطور شارل الخامس اكثر رقاعة من درويش افغاني ، كما ان قول الشاعر كيبلنغ بأن « الشرق شرق والغرب غرب » لا يعدو ان يعنى احد أمرَين : فإما هو قول مبتذل وسقطة هراء لِلّوك (ويبدو لي ان هذه هي الحقيقة) ، وإما هو سكين وهمي يحاول تقطيع العالم وتفريقه الى اجناس وطبقات لا يؤلف بينها شيء الا" القطيعة والشحناء ، وهي محاولة (صحّت من الشاعر ام لم تصح) لا تنتهي الى شيء ، لمناقضتها طبيعة الاتجاه البشري ، سوى اللوك المبتذل ! هذا ، مع عظيم احترامنا لهذا الاديب العبقري ، وخصوصاً لقصيدته الشهيرة : « إذا » ، التي تلائم كل انسان في اي زمان أو مكان ...

بيد اني ، عند ما اقول أن الشرق والغرب واحد ، لا اقصد أن الفروق لا توجد بينهما . بل اقصد انها موجودة . لكنها لا تقوم بينهما كسور الصين ، ولا كشيءٍ اصلي ، ولا كقانون أزلي منزل لا يتبدّل ، ولا كطابع تناقض مميت في محل اختلاف طبيعي عادي يقبل الالتئام والتبادل والتناسق ، طابعٍ يحكم على الشرق في انفصاله وانحطاطهِ عن الغرب بأن يكون أمةً له

الغرب والشرق مختلفان لان ظروفهما الفرعية والثانوية (ولا اعني بالثانوية التقليل من شأن هذه الظروف ، بل وضعها في مرتبة واقعية وصنف معين فحسب) قد تنوعت . قد كانت ظروف[1] الشرق في يومٍ ما مؤاتية له أن يسود الغرب ، كما عادت فآتت هذا فيما بعد ليسود

(١) لست أعني « بالظروف » هنا حالات مطلقة لاوضاع عمياء فحسب . بل المقصود هو ذلك ، ولكن فوق ذلك أيضاً ، نتيجة عمل ارادة الانسان فيها ، وجهوده وفكره بحيث تتحول من ظروف « خام » معينة الى ظروف أخرى « مشغولة »

الشرق . غير ان هذا التبدل إن هو الا تبدل في ظروف وأوضاع اجتماعية وتاريخية يقع في المقدور البشري والممكنات الحادثة تغييرها ايضاً ، بحيث يتحوّل الشرق والغرب (مع وجود وبقاء وتطور نحو الاحسن في الاختلافات الظرفية الفرعية) الى كلّ متآلف ، بمعنى انهما يرتبطان ويتوحدان من حيث يتعاونان على الحياة ويخدمان بعضهما بعضاً ، عوضاً عن أن يقوم بينهما حرب وتفريق عدائي انقطاعي باسم قاعدة مصطنعة الازلية ، قاعدة (أوحتها إلى الشاعر حالات سطحية موقوتة بحقبة تاريخية معينة ، فظنها وضعاً أبديًّا الى يوم القيامة) لا تؤدي إلاّ إلى تسويغ ترتيب استعماري ساد عزيزاً

وهكذا نرمي من القول بأن الغرب والشرق واحد كون الشرقيين والغربيين لا يختلفون اختلافاً أصليًّا أساسيًّا يجعل من المستحيل تآلفهم ضد عداوة مشتركة ، عداوة الطبيعة وبذور الشر الاجتماعي ، او يجعل الفوارق بين البشر مختلّة مفقودة النسب حتى تصبح بين الغربي والشرقي، مثلاً ، في مرتبة الفارق بين الحيوان والانسان أو بين الحجر والنبات. والحق أننا لو أعملنا النظر في اختلاف الجزئيات من اقليمية وغير اقليمية لوجدنا أن التباعد بين الجنوب والشمال أظهر منهُ بين الشرق والغرب . فالصقلي يفرق عن السكاندينافيّ في نظري أكثر مما يبين المصري عن الالماني . لكن كل هذا في التفريق خلط لا يؤبه لهُ . فهو قد يكون سبباً ، مثلاً ، لأن يتخذ ابن جاري الاسمر الطويل القامة قِصَر قامة شقيقه الاشقر ، أخيه من أمه وأبيه ، حجة لهُ على جعله عنده خادماً مرهقاً « ببلاش » . وهذه هي النتيجة المنطقية لبعض نواحي « النيتشية » ، ولآراء الكونت « دي جوبينو » السلالية ، وللسياسة « الجنسية » الرجعية الهدامة التي تستند الى قواعد نظرية لها في تلك النواحي وتلك الآراء

***

الخلاصة ، الانسانية كلها واحدة متحدة في طلب حياة أرقى وأسعد . وكل فارق في هذه الحالة يصبح : أما ميزة وطنية وشعبية جميلة ، وإما مجرد علامة واسم

حاشية على « الشرق والغرب »

لما رأى ابن الرومي خبازاً « يدحو الرقاقة » ، أخذ يتأمل كشاعر ذكي في كيف يتسع الرغيف من كل أطرافه حلقةً بعد حلقة ، وقارن ذلك بحجر يقع في الماء ويرسل الدوائر واحدة تلو الأخرى . وقد يكون من ذكائه أيضاً بأنهُ فكر وقتذاك بأن الحياة أيضاً دوائر تنفرج

الواحدة فيها عن الأخرى ، بل كُرَات مجسمة تتبطن بعضها بعضاً حتى اللانهاية من جهتي الداخل والخارج لدائرة كل كرة . قد يكون خطر بباله بعد ذلك ان كل انسان ، بل كل شيء على الاطلاق ، حلقة بذاتهِ ينطوي على حلقات حلقات وتنطوي عليهِ حلقات حلقات ، وأن كل بضعة أناس ، في عائلة او شركة أو جمعية أو قرية او غير ذلك ، يؤلفون حلقة تشتمل على الانسان الواحد ، كما ان حول كل وحدة من « بضعة أناس » حلقة أوسع : كالدولة مثلاً حولها العالم ، وحول هذا السكون ، وحول السكون ما لم نكتشفه بعد أو يمكننا الجزم بهِ من دون أن نكون مضحكة العلم !

***

ثم لعل شاعرنا الفيلسوفي الطبع قد عرف ، وهو يجاري هذا التأمل البسيط ، أن كل شيء منفصل ، كل شيء حلقة محدودة بحلقات ، فأدركتهُ بعد ذلك خاطرة عبقرية على سذاجتها ، خاطرة دوَّنها ابن خلدون على ما اذكر في قول معناه : « كل شيء مهما اختلف مع غيره فهو مؤتلف ومهما ائتلف فهو مختلف ! » وأخيراً عساه لو ادرك زماننا وسمع زميلاً له « بريتَّا » من اقاليم الظلمات الغربية يصيح : « الغرب غرب والشرق شرق . . . لا يجتمعان ! » — عساه كان يقول له : « خسيء شيطانك البليد ! الشرق والغرب في كل نقطة على الارض . وساكنها في كل بقعة انسان يستطيع ان يتحول ويتغير ويتقرب ، وهو بهذه الاستطاعة واحد ونسيبٌ بعضه لبعض ، فكيف بها وبما تتناوله عندكم من هذه السيارات والطيارات والقاطرات والباخرات وجميع جنياتكم التي قددتموها من ميّت الجماد ؟ عجباً من فكرك القاصر ، أو تجهل الشطرنج !. . »

ولكان كل الحق مع شاعرنا فيما يقرع بهِ صاحبه . ذلك لانهُ ، وهو المنشد الملهم ، والعربي الشرقي ، يدرك أن العواطف والغرائز (الممتدة مع الانسان من زمن الكهف والنبوت) وقد اختبرها جيداً ، هي عروة واحدة تجمع بين الشرق والغرب ، وأن المجتمعات والمدنيات المتوزعة بينهما قامت على أساس واحد من نشؤ ووظيفة وحكومة وتشكل ، وأن أظهر مظاهرها الجامعة ، وهي أديانهما ، كانت دائماً ، ورغم تلوُّن صورها وطقوسها ، واحدة في اسباب النشؤ ودوافع التعبير وفي الوظيفة . واحدة في ذلك ، فلا تجمع حتى بين ما تم نموه من مدنيات الغرب والشرق فحسب ، بل أيضاً بينها وبين حضارات المجتمعات الابتدائية عند قبائل افريقيا وجزر الباسيفيكي مثلاً

فلسفة المعارضة

في نظام الحكم الدمقراطي

لا تدرك الامم الفائدة من نظام الحكم القائم على المناقشة الاّ اذا توافرت لها الاساليب التي تمهد الطريق لتطبيق النتائج التي تسفر عنها المناقشة . لذلك كان النظام الحزبي اساس الحكم النيابي . فحيث يكون الخلاف بين الاحزاب صحيحاً يتناول الشؤون الحيوية ، فاصطدام الرأي بالرأي لا بدّ ان يقدح شرراً يضيء . فالحاجة الى اقناع الغير ، تقتضي نوعاً من الريادة العقلية . والاقطاب الذين يسعون الى تعزيز آرائهم بالحجة ، يفعلون ذلك لانهم يبغون اولاً ان يستوضحوا هذا الرأي وثانياً ان يفوزوا بتأييد غيرهم لهُ . فاذا كانت الدولة قائمة على فلسفة سياسية واجتماعية متسقة الجوانب ، فليس ثمة غير التحليل ، سبيلاً الى وزن الآراء والمفاضلة بينها

هذه هي الحجة الاساسية التي يسوّغ بها نظام الحكم الدمقراطي . فالحكومات الدكتاتورية لا يسعها ان تعرض قواعدها الاساسية ، لمحك التحليل والنقد ، لان اساسها ان هذه القواعد فوق كل نقاش . فهي مضطرة بالمنطق المستوحى من طبيعة كيانها ان تحسب كل نقد موجه الى أسسها ضرباً من ضروب السعي الى تدميرها . فللروسي ان ينتقد انتاج مصنع من مصانع السيارات الضخمة التي انشئت في روسيا حديثاً ، ولكن ليس لهُ ان يهاجم الاشتراكية الماركسية وهو آمن مطمئن . وللالماني ان يتمسك بأن اوربا لا يسعها ان تخوض غمار حرب اخرى ، ولكن ليس لهُ ان يحسب اضطهاد اليهود ، عملاً شديد القسوة ، او النزعة الدولية ميلاً طيباً الى التفاهم . وللايطالي ان يبدي ما يعنُّ لهُ من الآراء في المكتشفات الأثرية ولكن ليس لهُ ان يؤيد من منبرعام القول بأن الدولة النقابية ، ستار يختفي وراءه الرأسمالية الفارّة من وجه الدمقراطية الاقتصادية . فالدكتاتورية ، بطبيعتها لا تسمع الاّ الصوت الذي تحب ، واسلوبها في ذلك سهل كل السهولة ، ذلك أنها تخفت كل صوت آخر

الاّ ان الانسان في جهاده الطويل ، تعلّم انّ الراي اذا قمعتهُ هنيهةً فلن يدوم القمع . ولولا ذلك لما فازت المسيحية على ما منيت بهِ من الاضطهاد الوثني في عهدها الاول . ولا الافكار الحرة على المسيحية المتزمتة في العصور الوسطى . فكل راي جديد في التاريخ ، يعرب عن حاجة صحيحة بعيدة الغور واسعة المدى في الطبيعة البشرية ، لا بد من ان يفوز على كل سعي ، لحصره وقمعهِ . وليس ثمة ريب في ان ظهور الحق ، عمل بطيء وطريقه طريق وعر ، ولكن الازدراء بهِ ، والتحامل عليهِ ، افضيا في ما نعرفهُ من شؤون التاريخ ، الى انغلاب الذين ابوا ان يروه

فالأمة المنظمة تنظيماً ديمقراطيًّا صحيحاً تستطيع ان تصون كيانها من مساوىء الحكم

الدكتاتوري ، وانما يجب ان تبيح حرية المناقشة ، وان تسهّل انتقال اداة الحكم من يد حزب الى يد حزبٍ آخر . فكلُّ دليل تقيمهُ على وجوب النظام الدمقراطي ، هو دليل تقيمهُ كذلك على وجوب المعارضة

والأساس النفسي لهذا الرأي ليس بعيد التناول . فالناس يختلفون في معيشتهم ونشأتهم ورغباتهم . فإما ان تقدع الحكومة رغبات الناس المخالفة لرغباتها ، وإما ان تسلّم بها . والنموُّ الاجتماعي غرضهُ تنظيم الاجتماع على اساس الرغبات التي تساور الناس . فالرأي يفرَض على الجماعة بقدر ما ينطوي عليهِ من احساس الجماعة بحاجتها اليهِ . والزعماء الذين يؤمنون بآرائهم لا يسعهم ان يقفوا مكتوفي الايدي دون الدعاية لها والسعي الى فرضها وتحقيقها

فالمناقشة في الحكومة الدمقراطية ، هي السبيل الذي يسير عليهِ الناس الى تحقيق رغباتهم . وليس الحزب السياسي في النظام الاجتماعي الدمقراطي ، الاَّ بمنزلة « سمسار » آراء ، تنبثق في أذهان اقطابهِ ونفوسهم ، فيسعى ان « يبيعها » للجمهور اي ان يقنع الجماعة بصحتها وضرورتها . فهو لذلك يختار من الآراء والمذاهب ، ما يستميل الجماعة الى تأييده ، اذ ما الفائدة من آراء لا تحسُّ الجماعة انها لازمة لحياتها كما تريدها ، وعند ذلك يعمد الحزب الى بسط هذه الآراء في ثوب خلاَّب معتمداً في ذلك على فنون الاقناع والاستهواء ، وهدفهُ اقناع الجماعة بأن حق هذا الحزب في تسلّم مقاليد الحكم ، اكبر من حقّ الحزب المقابل

هذا الاسلوب ينطوي بطبعهِ على نقائص . فهو بطيءٌ . ولم يعرف في تاريخ الحكم النيابي ، ان حزباً بسط آراءه مجرّدة عن الزخرف معتمداً على عقل الجماعة دون شعورها في الموازنة بينها وبين آراء الحزب المقابل والاختيار بين آراء الفريقين . والغالب ان الحزب يبالغ في تصوير الفوائد التي تنجم عن تطبيق آرائهِ ، وقلما يتورّع عن افراغهِ في قالب يزعم انهُ جزءٌ من نظام الكون الذي لا يتبدل . وهذه نقائص حقيقية . ولكن مع ذلك لم يعرف البشر نظاماً آخر خيراً من النظام الحزبي في الحكم النيابي ، لاجراء التحوُّل السلمي في حياة الجماعة

الاَّ ان نجاح هذا النظام يقتضي شيئاً اساسيًّا وهو ان لا تكون الهوّة بين رأيي الحزبين كبيرة ، بحيث يمتنع الفهم المشبع بروح التساهل ، لانهُ اذا كان الاختلاف كبيراً بحيث يمتنع الفهم والتساهل كالفرق بين الشيوعيين وخصومهم في روسيا فالنظام الحزبي مستحيل

ثم ان فائدتهُ تقلُّ الى ادنى حدٍ اذا تعددت الاحزاب ، لأن هذا التعدُّد يحول دون وضوح القصد الذي تتجهُ اليهِ الخطط السياسية . فكثرة الأحزاب في فرنسا الآن — وفي المانيا وايطاليا قبل قيام النظام الفاشستي فيهما — من شأنها ان تحل السياسة القائمة على المناورة الحزبية ، محل السياسة القائمة على نضال الافكار والمذاهب الاساسية . والنتيجة اللازمة لذلك ، اجتناب الخوض

في المسائل الاساسية اذ من المتعذر جمع طائفة واحدة من الاحزاب على صعيد واحد منها. وهذا يفضي الى المساومة وقلة الانسجام والضعف. ذلك ان تعدّد الاحزاب يقتضي انشاء وزارات مؤتلفة، والوزارات المؤتلفة، قلما تعنى بالآراء الاساسية، التي تبنى عليها خطة سياسية منسجمة، عنايتها باجتناب الاخطار التي قد تفضي الى سقوطها. وكل حزب في كل وزارة مؤتلفة، يصرف جانباً كبيراً من تفكيره، الى تأثير مسلكه في جمهرة الناخبين، وعلى قدر ما يفكر الحزب في مصلحته الانتخابية، يضعف ولاؤهُ للوزارة المؤتلفة، فيضيق دونهُ الوقت، وتعوزهُ الجرأة في معالجة المشكلات الاساسية

فالنظام الدمقراطي يقوم على قواعد واضحة كلّ الوضوح او جلّها. فالامة يجب ان تكون متفقة على الاهداف العليا لحياتها القومية. وليس بين طوائفها من اختلاف في الرأي يبلغ مبلغ الاشياء التي يفضل المرء ان يموت في سبيلها بدلاً من خسرانها. على هذا الاساس يختلف الرأي في سبل التحقيق فقط وما هو من قبيلها. وهنا يجب ان يكون الاختيار واضحاً كلّ الوضوح للجمهور. فيعلم انهُ اذا اختار هذا الحزب فقد اختار معهُ طريقة معيّنة. فالمبادىء تقترن باسماء الرجال وتبديل الرجال الذين في مناصب الحكم يعني تبديلاً في المبادىء. فاذا توافرت هذه القواعد، استطاع النظام الدمقراطي ان يسدي للجماعة خدمة كبيرة الشأن

فاذا كانت الفروق بين ابناء الامة في ما يخصّ التنظيم الاجتماعي، فروق كمّ لا نوع، فهذه الفروق يمكن حلّها حلاً سلميّاً بالاتفاق بعد البحث والنقاش

في هذه الحالة تكون الدمقراطية النيابية خير نظم الحكم التي تنطوي على امل الاستقرار. ولكن نجاحها مرهون بقيام حزبين متكافئين، بينهما فرق كافٍ يجعل الاختيار المطروح على الجمهور واضحاً، على ان لا يكون الفرق بعيد الهوّة، بحيث يتنكر كل حزب للآخر تنكّر الغريم لغريمه، فيراه غير أهل لتقلد الحكم ويسعى الى منعه بالقوة

اذا صحّ ذلك فالحكومة والمعارضة، سدى النظام الدمقراطي ولحمتهُ. كلٌّ منهما لازم للآخر. فقيام المعارضة على اساس انها جديرة بالاحترام جدارة الحكومة به، لانها قد تصبح هي الحكومة بين آن وآخر، هي الصفة الاساسية التي تميز الدمقراطيات من الدكتاتوريات

فما وظيفة المعارضة ؟

قيل ان دزرائيلي وصفها بقوله المشهور: «وظيفة المعارضة ان تعارض». وهو قول يكاد يكون جامعاً مانعاً ولكن في حدود فهم كلمتي «ان تعارض» على وجهما الصحيح

فمن الثابت في تاريخ الامم واخلاق الشعوب، ان هيئة منظمة من الناس، لا تستكين الى اقصائها عن مقعد الحكم، وانها تندفع بطبيعة الحال الى احصاء الاخطاء والهفوات على الهيئة

المنافسة لها المتربعة فيهِ . ولكن من الثابت ايضاً في تاريخ نظم الحكم ، ان النقد السلبيّ لا يستميل الناخبين والحزب الناقد لا يفوز بمقاعد الحكم لمجرّد انهُ هاجم الحكومة القائمة

فوظيفة المعارضة الصحيحة في الحكم النيابي ، نقد اعمال الحكومة القائمة ، على اساس برنامج سياسيّ اجتماعيّ تقوم المعارضة بتطبيقهِ اذا وليت الحكم ، ويستطيع اقطابها اقناع الشعب بانهُ خير من برنامج الهيئة المتربعة في دستهِ . فعلى المعارضة أن تقنع الناخبين من خلال نقدها ان تقلُّدها الحكم ، يفضي الى نتائج متعذرة على الهيئة المنافسة لها ، لان الفلسفة السياسية والاجتماعية التي تستند اليها الحكومة مقصرة عن فلسفة المعارضة ، ولان الحكومة ارتكبت اخطاءً في تطبيقها

فحزب العمال فاز في انتخابات سنة ١٩٢٩ في انكلترا لان الناخبين كانوا مقتنعين ، ان حكومة المحافظين ، كانت عاجزة عن فهم مشكلات السلام الدولي والمشكلات الاجتماعية الناشئة عن الحضارة الصناعية ، وان حزباً يستند الى نقابات العمال ويستمد أقطابهُ من رجالها اقدر على فهم هذه المشكلات من حزب الاسياد . والفوز العظيم الذي احرزهُ المحافظون سنة ١٩٣١ نشأ عن خيبة امل الناخبين في ما رجوهُ من حكومة العمال من ناحية وعن اقتناعهم بأن حكومة تفهم الرأسمالية تستطيع ان تنقذ البلاد من الازمة التي اخذت البلاد الانكليزية بخناقها حينئذٍ من ناحية اخرى

ولعلّ ابلغ مثل على المبادىء التي اوجزناها في ما تقدّم تاريخ انكلترا السياسي منذ سنة ١٩٣١ الى الآن . ان المعارضة الرسمية ، عارضت ما وجدت الى ذلك سبيلاً ، ولكن معارضتها لم تكن انشائية ، اي لم تكن مستندة الى مبادىء تنبع من فلسفة سياسية اجتماعية متسقة الجوانب يمكن ان تشعر الناخبين بأن تطبيقها يفضي الى حالةٍ خير من الحالة القائمة . وذلك لتضعضع أحزاب اليسار في انكلترا في السنوات الاخيرة وتفرق كلمتها واضطراب مبادئها . والانتخابات الفرعية تؤيد ذلك . فان المؤيدين لممثلي الحكومة القومية قلوا قلةً تذكر الا ان الناخبين مع تبرمهم بالحكومة القائمة لم يبلغوا بعد درجة من الاقتناع بأن المعارضة تستطيع ان تنهض بأعباء حكم قائم على مبادىء وقواعد خير من مبادىء الحكومة القائمة وقواعدها

فالمعارضة الانكليزية في الست السنوات الاخيرة قد « عارضت » ولكن معارضتها لم تكن دليلاً على انها تملك فلسفة سياسية اجتماعية ، تجعل ولايتها للحكم خيراً يتطلع اليهِ في بضع السنوات القادمة. والمعارضة للرئيس روزفلت ، من اليمين ومن اليسار تجري هذا المجرى عند تشريحها

ولا يمكن ان يكون ايّ نقدٍ لاية حكومة نقداً فعالاً الاّ اذا اتصف بصفتين . اولاهما : ان يكون نقداً للخطط العامة ، نابعاً من شعور عام سائدٍ في جمهور الناخبين . وثانيهما : ان يكون ممثلاً في المجلس النيابي بقوة تقسر الحكومة القائمة على أخذ ما تقولهُ المعارضة بعين الاعتبار

اما في ما يتعلق بالصفة الاولى، فمن الواضح ان حكومة من الحكومات لن تبلغ مبلغاً من الاجادة

يعصمها عن النقد . بل ان الشعور بان الحكومة ادركت هذه المرتبة، يفضي الى التراخي وعدم الاهتمام بشؤون الجماعة الحكومة . ولكن يقابل هذا ان الحكومة تستطيع ان تتجاهل نقد ناقديها اذا كان ذلك النقد اعراباً عن رأي او خطة لا يدركها الجمهور ولا يعطف عليها . فمن العبث ان يهاجم الاشتراكيون الاميركيون الرئيس روزفلت لان مشروعاتهِ لم تبلغ الدرجة التي يبغونها هم من التطرف . لان هذا الرأي لا يعطف عليهِ جمهور الناخبين الاميركيين . ومن العبث كذلك ان يزعم المحافظون الاميركيون ان مشروعات الرئيس روزفلت بلغت مبلغاً خطراً من التطرُّف، لان الشعب الاميركي في الغالب، مقتنع بوجوب تبديل موسوم بسمة العدل الاجتماعي . فهجوم ارباب المال والصناعة على الرئيس، من دون ان يصحب هذا الهجوم برنامج انشائي لاصلاح بعض ادواء الاجتماع الاميركي، عبث في عبث الآن، ولاسيما لان الحوادث الاخيرة في اميركا اثبتت إفلاس مهاجمي روزفلت هؤلاءِ في معالجة هذه الادواء

اما في ما يتعلّق بالصفة الثانية، فمن الواضح ايضاً ان النقد لا يؤدي الغرض المقصود منهُ، الا اذا كان وراءهُ في المجلس النيابي قوة يعتدُّ بها . فكل مناقشة تعقبها اكثرية حاسمة للحكومة القائمة تضعف من عناية الجمهور بالشؤون المطروحة على بساط البحث . وتصبح الحكومة ترى المعارضة، مرتبة لا بدّ من اجتيازها بدلاً من ان تحسبها تشريحاً لخططها لا بدّ لها من اقامة وزن له . فالجمهور قلما يعنى بحفلة ملاكمة، اذا ادرك ان احد المتلاكمين لا بدّ متفوق على خصمهِ

ثم ان الجمهور يودُّ غيرَ واعٍ، ان يدرك ان هذه الانتقادات التي توجهها المعارضة الى الحكومة، هي خطوة تخطوها المعارضة نحو مقاعد الحكم . وليس ثمة معارضة تستطيع ان تنشيء جوًّا من الاحترام لاقوالها الاّ اذا ثبت انها تكسب رويداً رويداً تأييد الرأي لها . فاذا كانت قوتها ضئيلة بحيث لا يعتد بها تعذر عليها ذلك، واكبر ما تصاب بهِ معارضة ان لا يعتد بها . لانهُ اذا فقد حزب قدرته على الهجوم هجوماً فعالاً ضيّع سرّ وجوده في اذهان الناخبين، على نحو ما وقع لحزب الاحرار الانكليزي

وهذا لا يعني ان الحكومة التي لا تجد امامها معارضة ممثلة في قوة فعالة في المجلس، يحق لها ان تدير الاذن الصماء الى اقوال المعارضين . لان هذه الحالة قد تفضي، وهي لا تدري، الى اتساع الهوّة بينها وبين الشعب . فوزارة لويد جورج سنة ١٩١٨ ووزارة مكدونلد القومية سنة ١٩٣١، من احدث الامثلة على ذلك . فكلتا الوزارتين انقذت انكلترا من ازمة عصيبة، فحسبنا ان تفوقهما الانتخابي سيدوم لان الامة ولاريب ستؤيد مرشحيها، اعترافاً بما كان للوزارة من فضل في اجتياز الازمة . وهذا فيهِ خطأ في فهم الجماعات، لان احكام الجماعات تستند على الاكثر الى ما يحركها الآن دون ما حركها في الماضي البعيد او القريب



الشاعر والالم

للشاعر الفرنسي الفريد دو موسيه

نقلها احمد ابو الخضر منسي

أمين تقي الدين

بقلم الياس ابو شبكة

نقلا عن مجلة « الجمهور » البيروتية

أغنية الليل

مترجمة عن كتاب نيتشه

نقلها محمد فهمي

الشاعر والألم

الشاعر الفرنسي الفحل الفريد دو موسيه

[نقلها : احمد أبو الخضر منسي]

١ — مهما يكن أساك الذي في صباك تكابده

فَذَرْ تلك الجروح الكريمة تتسع

تلك الجروح التي ملائكة الشر أدمت بها فؤادك :

فلا شيء يسمو بنا مثل الآلام الفادحة .

ولكن لا تظنّن أيهذا الشاعر إن مسّك الألم

ان صوتك في الناس يبقى كظيماً ويُكتَم ،

انما احلى الاناشيد ادناها الى القنوط ،

وان منها لخالدة ، وهي زفراتٌ حارةٌ صادقةٌ

٢ — اذا البَجَع[1] وقد أضناه السير الطويل

انقلب في غَبَش الاصيل الى قصبه ،

تسارعت اطفاله الجائعة على الشاطىء ،

تظن اذ تراه على بعد يهبط الماء ،

انها قد ظفرت بالفريسة وتناهشتها ،

فعَدَت الى ابيها تتصايح من طرب ،

تهز مناقيرها فوق حواصلها المستبشعة .

أما هو فقد أمّ في خطو وئيد صخرة عالية ،

فوارى تحت جناحه المُسْدل صغاره ،

ذو صيد عبوس يجيل في السماء انظارَه .

ودماؤه تسيل من صَدْع صدره متدفقة ،

فقد فتش اعماق البحار بلا طائل :

ان المحيط كان خالياً والساحل اجردَ ،

---

(١) طائر مائي كبير له حوصلة كبيرة ومنقار طويل منتصب عريض ويقال انه يخرج طعامه الذي اكله من جوفه ليطعم به صغاره ، بل يزعمون انه يمزق جنبه ليسقي اولاده دمه . لهذا كان البجع رمزاً لحب الامهات والتضحية والبذل

فلم يحضر لهم من القوت سوى مهجته ،
كئيباً صموتاً على الصخرة مستلقياً ،
مُقسّماً بين صغاره احشاء أب ،
يتشاغل بحبه الاسمى عن اوجاعه
وينظر الى دمه من صدره الدامي يتدفق ،
فيتخاذل ويصرع فوق سماط[1] احتضاره[2]
ثملاً من سكرات اللذة والحنان والفزع .
ولكنهُ أحياناً وسط التضحية السامية ،
وقد سئم ان يموت في عذاب لا آخر له ،
قد هالهُ ان يتركهُ اولادهُ بالحياة عالقاً ،
فينهض ويبسط في الهواء جناحه ،
ويضرب قلبه في صرخة وحشية ،
فيشهق بالليل شهقة الوداع المحزن حتى ان
طيور الماء تجلي عن الشاطىء ،
وابن السبيل على الساحل المتسكع ،
اذ يشعر بالموت مجتازاً يسلم الى الله[3] ويسترجع[4]

٣ — ايها الشاعر كذلك يفعل فحول الشعراء »
فانهم يبهجون أهل الارض حيناً ،
ولكن المآدب التي يعدونها في افراحهم للناس
تشبه معظمها مآدب البجع .
فهم اذ يتحدثون عن الآمال الخائبة ،
وعن الاحزان ، والنسيان ، والحب ، والشقاء ،
فما تلك باغانٍ تطرب قلوب الناس .
انما انشادهم شبيه بسيوف ،
ترسم في الهواء دوائر تبهر العيون :
ولكنها لا تنفك عن قطرة دم بها ناشبة .

---

(١) السماط ما مد من الطعام او المائدة (٢) الاحتضار نزع الموت (٣) اي يسلم الى الله امره او يفوض امره الى الله (٤) اي يقول انا لله وانا اليه راجعون

امين تقي الدين

بقلم الياس ابو شبكة

[نقلا عن مجلة « الجمهور » البيروتية]

ما أشبه امين تقي الدين بولي الدين يكن ، ما اشبه حياة هذا بحياة ذاك ، وما اشبه شعر الاول بشعر الاخير . درج ولي الدين مع الرفاهية والترف ، ومات في خصاصة وشرف ، ودرج امين في بسطة من العيش ، على حرير الحياة ومات على حسكها كالوردة تنمو في بيتها الاخضر وتتناثر على اشواكها ، ولكنهُ مات عزيز النفس عالي الجبين كما عاش

كان امين تقي الدين يحب لبنان كما كان ولي الدين يحب مصر ، ولكم تغنى بهذه البقعة من الارض ، فأول شعره كان اغنية بلبنان وآخر شعره اغنية به

واديك والسهل كسرّ المنى | يدرك بالروح ولا يمتلك
سبحان من خبأ فيك الصفا | وسلّ من قلب الصفا جدولك

وكان امين تقي الدين اشد اللبنانيين تفاخراً بهذا الجبل وبنيه !

اذا وطنية باهت بقوم | ارى لبنان ارفعهم جبينا
اشد الحب ما يدعى هياماً | فما يدعى اذا بلغ الجنونا
سلي ام اللغات فكل قطر | فتحناه لها الفتح المبينا
اقمنا مجدها أنى اقمنا | وكنا دونهُ الحصن الحصينا

ولقد امتزج حبه بسماء هذا البلد ومائه فجاء شعره صافياً كهذه السماء عذباً كهذا الماء ، فشعر امين شعر النفس المرسلة على سجيتها . لا تعنت ولا إعمال ولا كلفة

دعوتهم فلبينا كأنا | رجعنا للصبا لما دعينا
احب من الكهولة وهي حق | خيال للطفولة زار حينا
وأشهى من ليالي الحب عيد | نظمت به بنيك المخلصينا

صباك ، وانت في الخمسين، غض وشاب بنوك دون الاربعينا
اذا اعددت نفسك للمعالي فأعدد في الصبا الخلق المتينا
اجل العلم تربية المبادي كذا علمتنا وكذا ربينا

فهذا الشعر الصافي لا يصدر الاّ عن نفس صافية ، وايمان حي ووجدان امين وهذه الديباجة النقية كهذا المرج الصريح ، لا تشق العين في بسيطهِ الممتد ولا الاذن في سكونهِ الجميل

ولكانت صروف الدهر جهمت بيانه كما جهمت حياتهُ ، لو لم يكن جباراً في روحه ، وهو القائل :

ليس من عدة الفتى للمعالي خلق في الخطوب غير جليد

كان ذلك اذ الامين على قمة الشباب يغالب الخطوب بصبر الرجل وجلد الطموح فاذا رافقهُ الهم ركن اليهِ ثابت العزم قوي اليقين بنفسهِ :

ويك يا هم قد ابحتك نفسي فاثو منها الى مراس شديد

على ان هذا الهم بقي يحز في نفسه عشر سنوات ولم يطلّق هذه النفس التي استباحها كما استباح الشيطان خيرات ايوب حتى لين مراسها الشديد وسلخ منها صرخة المغلوب :

لهفي على العمر والاماني ولت كما اقبلت ملاحا
خبأت ياليل فيك همي ياليل من خبر الصباحا

فبين هذه الصرخة المغلوبة وتلك الصرخة الغالبة عشر سنوات ، ومن عشر سنوات الى اليوم بقي امين تقي الدين يخبيء «همه» عن الاعين شمماً واباءً. قال بالامس :

أنا والهم صاحبان كلانا صادق الود حافظ للعهود
ماافترقنا حيناً من الدهر حتى جمع الدهر بيننا من جديد
نسهر الدهر صامتين لئلاّ يكشف الليل سرنا لحسود
قال لي صاحبي ، وقد لمح الفجر مطلاً يرنو لنا من بعيد
وارني في النهار عن اعين الناس فاني خدن الليالي السود

وقال اليوم :

خبأت ياليل فيك همي ياليل من خبر الصباحا

قف قليلاً تأمل هذا البيت . فمنذعهد طويل وهذا الشاعر يحجب همه عن الناس لانه قوي جبّار يربأ بنفسه ان تكشف ضعفها لاعين الشامتين فمن خبّر الناس ، من خبر هؤلاء الشامتين عن هذا الضعف؟ ان نفساً أبية وخلقاً أنوفاً لا يبذلان كما تبذل النفس المتسكمة والخلق الدنيء وان يكن الصبح للناس فالليل للشاعر ، فمن سير هذا الاخير في طرق هؤلاء ؟ ومن وضع سؤدد الشاعر موضع الرق من الدهاء؟ أحطمة من حطم الحياة البائسة تحدر الكرامة الى موطىء الاذلاء فتتكشف عن عناصر ليست منها لتمشي في مساخر الناس مطعونة دامية ؟ أتكون هذه الكرامة رهناً لهذه الحطمة وهي في صناديق الارقاء وخزائن المتسولين ؟

قال ولي الدين يكن :

مكانك الافق ، فما انزلكْ بدلت عنهُ الارض ام بدلكْ

يا ملك الله ، ايرضى الملك ملك الثرى من بعد ملك الفلك

ان تؤت خيراً بينهم يحسدوكْ وان تجد بالفضل لا يحمدوك

دانيتهم لكنهم ابعدوك

وشعر امين كشعر ولي الدين فيهِ جرسهُ وانسجامهُ وطبعهُ وتلك الكآبة الطافية عليهِ ، كآبة الحنين الى الماضي والالم من الحاضر . فيهِ شجو البيان المرسل وترف اللغة في ايقاع عذب شجي كهذا الذي يصدر عن غور النفس الشاعرة إبان انسلاخها عن قيود المادة الثقيلة الى اجواء الحلم الجميل

وقد يتعبك شعر ولي الدين بمسحة بديعية تشيع في معظمهِ ، اما شعر امين فقد يطربك حيث يتعبك غيره ، فالقافية ليس مؤطأ لها بكلام من جنسها كما في شعر ولي الدين ، على انها في مكانها ، دائماً في مكانها ، فلا هي دخيلة ولا مزهوة تبشر بقدومها وتزهى بنسبها ولا تجيء الاّ في زفة

ليس في شعر امين تقي الدين فكرة غريبة او صورة لم تألفها عيناك ، ولكن فيهِ احسن من ذلك ، فيهِ عاطفة صادقة مسكوبة في بيان سائغ مصقول كغدير صاف لا تتعب العين في رؤية الحصيات الآمنة في قعره . والصدق اجمل مزايا الشاعر

اغنية الليل

مترجمة عن كتاب نيتشه : هكذا قال زرادشت

[نقلها محمد فهمي]

ها هو الليل مرخٍ سدوله . وها هي الينابيع الفوّارة قد علت أصواتها وما روحي غير ينبوعٍ فوّار ! !

ها هو الليل مرخٍ سدوله . وفي هذا السكون تستيقظ أناشيد الحب وما روحي غير أنشودة محبّ ! !

شيءٌ لا يستقر . بل شيء غير قابل للاستقرار . هو كامنٌ في نفسي يبحث عن مُتَنفَّسٍ لهُ في القول . انهُ شوق الحب المستعر في جوانحي وهو الذي يتكلم بلغة الحب ! !

أنا النور : آه . ليتني كنت الليل . لكن هذه هي وحدتي يحيط بها النور !

آه ليتني كنت حالكاً كالليل . اذن كنت أرتشف النور بنهمٍ من منابعهِ !

وكنتُ أباركك ، حتى أنت أيتها الأنجم المتلألئة . أيتها الحباحب المشعة في الذرى فانعم بلمحاتٍ من ضيائك .

ولكنني أعيش في النور المنبعث من حناياي وأرتشف ثانية اللهب المندلع من كياني

أنا لا أتذوق سعادة الآخذ قط . ما أكثر ما أوحت اليّ أحلامي انهُ لخيرٌ وأحلى أن أكون سارقاً من أن أكون آخذاً !

ان فقري لأن يدي لا تستريح أبداً من الاعطاء وان عيبي أنني أعرف السؤال في العيون وأتبيّن ليالي الرغبة بنجومها .

آه . ما أشقى هؤلاء الذين يمنحون ! أوه . يا لكسوف شمسي ! آه .

أيتها الرغبة من أجل الرغبة ! أوه . أيها الجوع المزمجر وسط فيضٍ من الشبع !
انهم يأخذون مني ولكن هل أنا أمس صميم نفوسهم ؟ ! ان بين الأخذ
والعطاء هوّة سحيقة وأضيق مكانٍ فيها هو آخر ما يمكن عبوره ! !
لقد نبت الجوع من بهاء جمالي . حتى ليسرني الآن ان أوقع بمن أنيرهم
بل يسرني أن أسرق من أمنحهم عطاياي . وهكذا صرت جوعاناً الى الشر !
ها أنا أقبض يدي في الوقت الذي تمتدُّ فيهِ يدٌ تلتمس العطاء !
متريّثاً كما يفعل ماء الشلال هنيهة قبل ان ينحدر
هكذا أشعر بالجوع الى الشر ! !
ان ترائي ليفكر في هذا النوع من الانتقام . وهذا البغض
قد نبع من حالك وحدتي
لقد أمات المنح نشوةَ المنح في نفسي وأصبحت فضيلتي وقد أنهكها فرط السخاء !
ان من يعطي لهو في خطر يهددهُ بفقدان مياه حيائهِ !
ومن يجعل دأبه توزيع الاحسان لا بد ان يصاب قلبه بالقسوة ويدهُ بالغلظ
ليس من شيء الاّ من دوام توزيع الاحسان .
ان عيني لم تعد تفيض بالعطف على السائلين . ويدي أصبحت جامدة
لا تحسّ ارتعاش الايدي المفعمة بالعطايا .
أين ذهبت دموع عينيّ ؟ ! بل أين رقة قلبي ؟ ! آه
ما أشد وحشة من يمنحون . وما أقسى صمت من ينيرون !
ان كثيراً من الشموس تدور في الفلك
وانها لتخاطب كل صقعٍ مظلم بلغةٍ من النور
ولكنها عندي ليست الاّ صامتة ! !

آه ان هذه عداوة النور لكل شيء ينير
يسير في طريقه مجرداً من كل شفقة
جائراً على كل شيءٍ يضيء ! غير مكترث للشموس .
وكذلك تسير كل شمس !
الشموس تسير في أفلاكها كالعاصفة — تلك مساراتها
انها تتبع مشيئتها الجامحة — لا ينبض فيها شعور !
آه . أنتِ أيتها الكائنات المظلمة ! أنت وحدك يا كائنات الليل
تمتصين الحرارة من الكائنات المضيئة
وانكِ وحدك التي تشربين اللبن فتنعشين نفسك من ضرع الضياء ! !
كفى ! ها هو الجليد قد أحاطني . وان يدي لتحترق وهي تلمسه .
كفى ! ان ظمأً أحسّه في صميمي وما هو الاّ تشوّق الى ظمائك
انهُ الليل . كفى . فوجب ان أكون النور والظمأ لكل ما في الظلام .
وان أكون الوحدة!
انهُ الليل . والآن قد انبثقت رغبتي كينبوع متدفق . انني أرغب في الكلام !
انهُ الليل وها هي الينابيع الفوّارة قد علت أصواتها
وما روحي غير ينبوع فوّار !
انهُ الليل وفي هذا السكون تستيقظ أناشيد المحبين
وما روحي غير أنشودة محب ! !
هكذا قال زرادشت

*

باب الأخبار العلمية

« صدمة الانسولين » قد تشفي من الجنون

اصبح اسم « الانسولين » اشهر من ان يعرف . فهو خلاصة الغدة الحلوة (البنكرياس) التي تخفف اعراض البول السكري وتطيل حياة المصابين به . وقد أحرز بانتنغ مكتشفه جائزة نوبل الطبية جزاء له على اكتشافه ومنحه ملك الانكليز رتبة فارس ولقب « سر »

وقد اثبتت المباحث الطبية الحديثة ان «الانسولين» قد يكون سبيلاً الى انقاذ المصابين بضرب من الجنون او الخبل (شيزوفرينيا) من خبلهم وجنونهم علاوة على فائدته العظيمة في حالات البول السكري

وفق الدكتور مانفرد ساكل احد اطباء فينا الى هذا الاكتشاف اتفاقاً على ما روى لجمعية الطب النفسي الاميركية . ذلك ان احد مدمني المورفين كان يعالج في احد مستشفيات فينا وكان مصاباً بالبول السكري فأعطي الانسولين لتحفيف اعراض هذه الاصابة فأصيب بما يعرف عند الاطباء بصدمة الانسولين وهي حالة مناقضة لحالة الديابيطس (البول السكري) . ففي حالة الديابيطس يتجمع السكر في الدم والجسم عاجز عن استهلاك ما يحتاج اليه منهُ . أما في حالة «صدمة الانسولين» فيكثر ما يستهلكه الجسم من السكر الذي في الدم حتى يقل مقداره عن المقدار السوي اللازم

فلما عولج المصاب باضافة السكر الى دمه من «صدمة الانسولين» ظهرت عليه دلائل التحسن في حالته العقلية

وهذا طبعاً يذكرنا بما تم لفاجنر يورج في فينا ايضاً عندما اكتشف فعل الملاريا في شفاء الشلل العام أو الشلل الجنوني الناشيء عن الاصابة بالحلق (السفليس)

فلما تبين الدكتور ساكل ذلك في هذا المريض عالج المصابين بالاضطراب العقلي من جراء ادمانهم المخدرات بالانسولين مع انهم لم يكونوا مصابين بالبول السكري فأعطاهم جرعات كبيرة منهُ ليصابوا بحالة «الصدمة» فتحسنت حالتهم العقلية تحسناً يظهر الآن انه ليس بالوقتي

وقد أيد فريق من اطباء اميركا رواية الدكتور ساكل . فقد تحسنت احوال ٣٠ في المائة الى ٥٠ في المائة من المصابين الذين عالجهم الاطباء الاميركيون تحسناً يظن انه دائم وانما لا يمكن القطع الآن في هذه الناحية لان حداثة العهد بهذا العلاج لم تتح للاطباء مدة كافية لتتبع احوال الذين ظهرت عليهم اعراض التحسن وانما يعرف ان هذا التحسن دام في بعض الذين عولجوا ثلاث سنوات حتى الآن

ووجه الخطر في هذا العلاج ان استعمال جرع كبيرة من الانسولين لاحداث «الصدمة»

قد يفضي الى اصابة الذي يتجرعها بحالة خطرة تعرف باسم « هيبوجليسيميا » أي هبوط مستوى السكر في الدم وقد تفضي هذه الحالة بسرعة الى الوفاة الاّ اذا عولجت حالاً بحقن محلول سكري مناسب في العروق على الغالب او باعطاء محلول السكر شرباً والاول اسرع فعلاً بحكم الطبع

غاز الهليوم لا يلتهب

كشف أولاً في الشمس وتكاد أميركا الشمالية تحتكره

ذكرتنا فاجعة المنطاد هندنبرج ان غاز الهليوم الذي يقول الدكتور اكنر انه لا يستغنى عنه في المواصلات الجوية بالبلونات لم يكشف اولاً على الارض بل كشف اولاً في جوّ الشمس. والشمس كما لا يخفى تبعد عنه ٩٣ مليوناً من الاميال أو نحوها

في سنة ١٨٦٨ لاحظ باحثان انكليزيان كان احدهما لوكير محرر مجلة نايتشر المشهور وهو من اشتهر بعد ذلك باسم السر نورمن لوكير ان طيف الضوء الواصل الى الارض من اكليل الشمس يبدو فيه خط لامع لا نظير له في خطوط الطيف المعروفة على الارض ثم ثبت ان هذا الخط يظهر في طيوف الاضواء الواصلة الينا من نجوم كثيرة فقال لوكير حينئذٍ — وكان علم الحل الطيفي لا يزال في مهده — ان منشأ هذه الخطوط الطيفية عنصر لم يكشف على الارض بعد واقترح اطلاق اسم هليوم عليه واصل هليوم هليوس أي الشمس. وظل هذا العنصر غير معروف على الارض حتى أواخر القرن التاسع عشر وكشفهُ السر وليم رمزي الكيمياوي البريطاني في غازات الهواء النادرة اذ كان يبحث عن غاز يدعى كربتون

ومقدار الهليوم في الهواء قليل جدًّا فهو لا يزيد على جزء من ١٨٥ الف جزء وكان معظم المستعمل منهُ للبحث العلمي يستخرج من بعض المعادن المشعة باحمائها. ثم ظهر ان هناك مقادير غير يسيرة منهُ في الغازات المنطلقة من ينابيع المياه الحارة وفي الغاز الخلقي أو الطبيعي الخارج من بعض الاماكن في قشرة الارض

ولم يجر ذكر استعماله للبلونات الاّ سنة ١٩١٤ عند ما اقترح السر رتشرد ترلفول ذلك على مجلس المخترعات في وزارة البحرية البريطانية بانياً اقتراحه على ما هو معروف عن الهليوم من خفة الوزن وعدم القابلية للالتهاب وعهد حينئذٍ للاستاذ مكلان الكندي على ما نذكر في البحث في وضع طريقة لاستخراجه من الغازات الطبيعية

ومعظم ما يعرف عن مصادر هذا الغاز الغني بالهليوم موجود في الولايات المتحدة الاميركية وكندا وكانت طريقة استخراجه عسيرة كبيرة النفقة فكان ثمنهُ غالياً ولما كان ذا قيمة كبيرة في المواصلات الجوية وفي الشؤون الحربية التي تستعمل لها البلونات حظرت اميركا اولاً تصدير الهليوم من بلادها حتى للجامعات اولاً ثم لما اتقنت وسائل استخراجه واكتشف مصادر كثيرة للغاز الذي يحتويه رخص ثمنه وقيل حديثاً انها قد تبيع منهُ لالمانيا ما تحتاج اليه لملء البلون الجديد الذي يحل محل الهندنبرج

البرونتيلين يشفي مرضاً اجتماعياً

من أعجب المكتشفات الطبية الحديثة ان ست عشرة حبة من دواء جديد يعرف باسم برونتيلين تشفي المرض الزهري الذي سببهُ ميكروب «الجونوكوك» وهو مرض كثير الانتشار في معظم البلدان ويصاب بهِ في الولايات المتحدة الاميركية نحو مليوني مصاب بين رجل وسيدة كل سنة ويفضي الى اضطرابات واصابات أخرى منوعة في النساء والرجال والاطفال

فقد عرف قراء المقتطف ان «البرونتوزيل» و «البرونتيلين» مادتان متقاربتان جدًّا في التركيب الكيمياوي أولاها صبغ أحمر والثاني مسحوق أبيض . والاول يمكن الجسم من التغلب على ميكروبات «الستربتوكوكس» التي تسبب تسمم الدم وحمى النفاس وغيرها . ولكن الدكتور جون كولستون المتوفر على دراسة أمراض المسالك البولية في جامعة جونز هبكنز الاميركية المشهورة في العالم أجمع بكليتها الطبية جرب الثاني بالاشتراك مع فريق من علماء تلك الكلية في معالجة «السيلان» باعطاء المصابين أربع حبات كل يوم مدى أربعة أيام فشفي ٨٥ في المائة من الذين عولجوا كذلك

***

وثمن هذه الحبات يبلغ ثمانية قروش صاغ والبرونتيلين هذا اسم تجاري لصبغ يعرف عند الاطباء باسم «سلفانياميد» واسمهُ الكيميائي (بارا — أمينو — بنزين — سلفوناميد)

فمن بضعة أشهر سمع الدكتور برين لونج أحد علماء جامعة جونز هبكنز بتجارب تجرب في لندن بهذه المادة فذهب اليها ليطلع بنفسهِ عليها وعند عودته شرع في تجربتها في المصابين بتسمم الدم . وكان يساعده في تجاربهِ هذه الدكتورة اليانور بلس . ثم اتجها الى تجربة تأثير البرونتيلين في «المنيجوكوكوس» وهو الميكروب الذي يسبب التهاب الدماغ السحائي. ولما كان «الجونوكوكس» مسبب السيلان قريباً من «المنيجوكوكس» سبب التهاب الدماغ السحائي ولما كان الدكتور لونج مشغولاً بتجربة تأثير «البرونتيلين» في هذا الميكروب الاخير اقترح على الدكتور كولستون تجربة «البرونتيلين» في المصابين بالسيلان فاشترك كولستون مع طبيبين آخرين في هذه التجارب فتوصلوا الى النتيجة المتقدمة . اما يخشى الدكتور كولستون ومساعداه ان تباع حبوب البرونتيلين من دون ضابط لانها قد تغري المصاب بأخذ جرعة منها اكبر مما يجب مدفوعاً الى ذلك برغبتهِ في الشفاء ورخص ثمنها . فاذا كانت الجرعة أكبر مما يجب أفضى تجمع البنزين والكبريت — وهما قوامها — في الدم الى فقر الدم (الانيميا) فالوفاة ولا يعلم حتى الآن ما تأثير هذه المادة في منع السيلان . وهذا الكلام ملخص عن مجلة «تيم» ولم نر حتى كتابة هذه السطور بسطاً للاكتشاف في مجلة علمية او طبية

معالجة النزلة الرئوية (النوموئيا)
بأحد مركبات الكينا

صرح الدكتور ماكلاكان ساعور اطباء مستشفى الرحمة بمدينة بتسبرج الاميركية بان مركباً جديداً من المركبات المستخرجة من الكينا صنع بالتركيب الكيمياوي في معهد ملون وجرب في معالجة حالات النزلة الرئوية الحادة فظهرت فائدتهُ

هذا المركب يدعى « هيدروكسي اثلا بوكوبرين » وقد جرب اولاً في الفيران والارانب والكلاب قبل تجربته في البشر

وقد انقضت سنتان والدكتور ماكلاكان يجرب هذا المركب الكيمياوي الجديد في حالات النزلة الرئوية الحادة فكان معدل الوفيات في مائة حالة عالجها في الشتاء الماضي ٢٧ في المائة مع ان المعدل المألوف في مثل هذه الحالات في مستشفيات بتسبرج ٤٥ في المائة

ولكن الدكتور ماكلاكان حذر في حكمه شأن العالم المحقق فقال ان هذه المادة مركب من مستخرج من الكينا وقد ظهرت فائدته في النزلة الرئوية ولكن استعماله السريري لا يمكن ان يحقق قبل ان يدرس الاطباء في مختلف الارجاء فعله في طائفة كبيرة من الحالات

وتناول هذه المادة سهل جداً فانها تؤخذ حبوباً كأنها كينا وقد يتناول المريض جرعات كبيرة منها تبلغ ٤٠٠ الى ٨٠٠ قمحة اوا كثر من ذلك في اسبوع وتبلغ الجرعة العادية للبالغين ١٢٠ قمحة في اليوم

يعود البحث عن مركب من مركبات الكينا لمعالجة النزلة الرئوية الى مشاهدات احد العلماء الالمان سنة ١٩١١ ذلك انهُ لاحظ أن احد مركبات الكينا المعروف باسم (اثيل هيدروكوبرين) او (أوبتوكين) فعال في قتل مكروب النزلة فلما جرب في بعض المصابين بها اصيب بعض الذين عولجوا بعمى وقتي

فشرع الباحثون في المانيا واليابان واميركا ولاسيما في معهد ملون الاميركي في البحث عن مركب من مركبات الكينا يكون له هذا الفعل ولكنهُ لا يسبب حالة العمى الوقتي وقد جربت المركبات التي استنبطت في معهد ملون الاميركي وعددها ستة وسبعون مركباً في ٢٠ الف فأرة خلال اربع سنوات قبل الفوز بهذا المركب وقد ثبت من تجربتهِ في البشر انهُ لا يحدث اي اضطراب بصري

ولم يظهر حتى الآن اي دليل على ان هذا الدواء يتنافر مع المصول المستعملة في بعض حالات النزلة الرئوية وسهولة تناوله تمكن الطبيب المارس من استعماله في المراتب الاولى من اصابة الرئتين بالميكروب (النوموكوكس)

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر ان فائدة هذا المركب تكون على أتمها اذا شرع في استعماله في اليوم الثالث من الاصابة لا في اليوم الاول ولا في اليوم الثاني ولم يعرف سبب ذلك بعد

ضرب جديد من دقائق المادة
في الاشعة الكونية

في أنباء اميركا العلمية ان ضرباً جديداً من دقائق المادة قد كشفهُ العالمان فدرماير واندرسن وثانيهما حائز جائزة نوبل الطبيعية لسنة ١٩٣٦ هذا النوع الجديد من المادة لم يطلق عليه أي اسم بعد ولا هو يتفق مع سائر ما يعرف عن دقائق المادة المختلفة كالبروتون والالكترون والنوترون

ففي اثناء تجارب كان هذان العالمان يجربانها ظهرت لهما ظاهرات لا يمكن تفسيرها بأي دقيقة من دقائق المادة المعروفة . وكان لا بد من فرض وجود دقائق اخرى لتفسيرها. ولكن الصفات العجيبة التي يجب ان تتصف بها هذه الدقائق لتفسر مار أياه حملتهما على التريث قبل اعلان النتيجة . ويقال على لسان الدكتور اندرسن ان هذا البحث كان أعقد وأصعب بحث طبيعي تولاه حتى الآن

هذه الدقائق الجديدة تحمل شحنة كهربائية من رتبة الشحنة الكهربائية التي على الالكترون والبروتون . فمنها ما هو موجب ومنها ما هو سالب وكل دقيقة منها اثقل وزناً من الالكترون ولكنها اخف من البروتون. والراجح ان مدى كيانها على الارض قصير لانها لا توجد الآ في الاشعة الكونية

وقد استنتجت جميع هذه الخواص استنتاجاً من دراسة الاشعة الكونية

ومن غرائبها انها تخترق الواح البلاتين من دون ان تفقد طاقتها وكثافة البلاتين تفوق كثافة الماء عشرين ضعفاً وكثافة الرصاص ضعفين

انسولين جديد باضافة الزنك اليه

قال السر فردريك بانتنغ مكتشف الانسولين ان التجارب تجرب الآن بأنسولين جديد قد تفضي الى اثبات تفوقه على الانسولين المستعمل في علاج البول السكري . فقد اضيف الى الانسولين المألوف قليل من الزنك وجربت بهِ التجارب فظهر ان فعله بعد اضافة الزنك اليهِ في تقليل مقدار السكر في الدم اطول كثيراً من فعل الانسولين الذي لا زنك فيهِ

ولكن هذا الانسولين الجديد لم يجرب بعد تجارب وافية واسعة النطاق في المصابين بالبول السكري حتى يستطاع الحكم النهائي عليهِ

***

وقد نشأت فكرة اضافة الزنك الى الانسولين من اكتشاف دنماركي وهو ان اضافة مادة « بروتامين » من سبرمات بعض السمك تطيل مدى فعل الانسولين وقد وصف السر فردريك بانتنغ هذا الاكتشاف الدنماركي بقولهِ انهُ اكبر خطوة في معالجة البول السكري بعد اكتشاف الانسولين

بين العقل والجنون

مشاهدات غريبة

ذكر الدكتور محمد حسين ولاية الطبيب بصحة بلدية الاسكندرية وعضو جماعة نشر الثقافة في كتاب صدر لهُ من عهد قريب بالعنوان المتقدم بعض مشاهدات في الاصابات العقلية والعصبية اخترنا منها ما يلي :

أين مركز الكون ؟

لا ريب أنك ستحار في الاجابة عن هذا السؤال ولكن امرأة من نزيلات احدى مستشفيات الامراض العقلية تؤكد ان الشامة التي على خدها الجميل هي مركز الكون . فما رأي علماء الفلك ؟

يقرأ سابحاً

يشرف منزلي على شاطىء البحر في محطة سبورتنج . . . . وقد استوقف نظري مراراً رجل بدين يقضي الساعات الطويلة في الصباح والمساء في زمهرير الشتاء سابحاً في البحر كأنما خلق ليعيش في الماء وقد رأيت في حركاتهِ وسكناتهِ ما رابني في أمر عقله فكنت أراقبهُ باهتمام ولشد ما كانت دهشتي عند ما رأيتهُ يوماً وسط الماء رافعاً بيده كتاباً الى أعلى خوفاً من ان تبللهُ الامواج وقضى مدّة في قراءة هذا الكتاب وقد ثنى رقبته الى الخلف ليتسنى لهُ ذلك ولما خرج من البحر استلقى على بطنهِ فوق الرمال وهو يلعب برجليهِ ويديهِ كالطفل

حديث الطفل

أصيب طفل بالحمى التيفودية وهو في السابعة من عمره فأثرت في قواه العقلية وأخذت تنتابهُ نوبات صرع . وأغرب ما حدث لهُ انهُ أصبح يكرر ما يريد ان يقولهُ مرتين . فاذا أمرتهُ ان يأكل الطعام أجابك مثلاً «أنا شبعان. أنا شبعان» وهكذا

تصيد البراغيث

انها سيدة تصيد البراغيث بشغف وتوثق ارجلها بخيط واحد على بعد سنتمتر بين البرغوث والبرغوث واخيراً تحمل الخيط رأسيًّا وتشعل النار من طرف الخيط الاسفل وتتلذذ برؤية ضحاياها وهي تحترق

عينان وأذنان وفم

في ذيل ضفدع

وصف الدكتور اوسكار شوتيه احد اساتذة كلية امهرست الاميركية تجربة عجيبة جربها بصغار الضفادع اذ قطع ذيل احداها فلما شرع الذيل ينمو ثانية زرع فيهِ الخلايا التي تؤلف أصول العينين في صغار الضفادع فنما نسيج العين في الذيل نموًّا سريعاً وكأنهُ أثر في نسيج الذيل النامي فصنع للعين عدسة بل كان نسيج العين الاصلي يحمل في طياته حوافز تحفز النسيج الذي حوله الى تكوين اذنين وفم. فتكوّن في الذيل فعلاً بداءة اذنين وفم

الصوف الصناعي

من كاسيين اللبن

في خطبة القاها الدكتور هارولد يوري حائز جائزة نوبل الكيمياوية لكشفه الايدروجين الثقيل والماء الثقيل قال ان استخراج صوف صناعي من كاسيين اللبن «وهو المادة الجبنية فيه» مستطاع وان علماء ايطاليا قد صنعوا هذا الصوف وان رجال فرقتين من الجيش الايطالي يرتدون ملابس مصنوعة منهُ

وقال الدكتور يوري ان منسوجات من هذا القبيل يمكن ان تصنع من قطع اللحم التي لا يسهل مضغها فيحول بعض ما فيها من المواد الى نسيج ترتديه الغواني في الربيع او الرجال في السهرات

ثعبان في المثانة

نشر الدكتور جيارمن في المجلة الطبية الاميركية كلمة عن حالة غريبة قال: حضر لعيادته في ٧ يوليو سنة ١٩٣١ مريض اعزب عمره ٤٠ سنة يشكو منذ خمس عشرة سنة ألماً في المثانة وتعسراً في التبول مع تكراره وقلة البول فيه وأنهُ ادخل من يومين ثعباناً صغيراً الى المثانة على امل ان يشفيه من العلة المزمنة فيها

وقد دل بحث البول على وجود كريات حديدية بكثرة فيهِ وأظهر فحص الاشعة والمنظار وجود الثعبان في المثانة وبعد محاولات عديدة تمكن من القبض عليهِ بكلاليب المنظار واخراجه منها

وبلغ طول الثعبان نحو ١٨ بوصة و٤٥،٧ السنتمتر وشفي المريض

احصاء غريب

يزيد عدد سكان الولايات المتحدة الاميركية واحداً كل ٣٥ ثانية ذلك ان ولادة تقع كل ١٤ ثانية ووفاة كل ٢٢ ثانية ويدخل اميركا من الخارج مهاجر اليها كل ١٤ دقيقة ويغادرها مغادر كل ١٤ دقيقة ونصف دقيقة

غاز النيون في بعض السدم

غاز النيون مشهور في عصرنا لانهُ يستعمل في الاعلانات التجارية على المخازن اذا يتألق بضوء أحمر عند ما يوضع في أنابيب معينة ثم يخترقها تيار كهربائي. ولكنهُ نادر على الارض. الاَّ ان الدكتور «منزل» أحد علماء مرصد جامعة هارفرد أثبت انهُ كثير في عالم النجم وان مقدار في ما بعض السدم الغازية التي داخل مجرتنا يساوي مقدار الأوكسجين فيها

انقلاب الجنس في الضفادع

شوهد انقلاب الجنس في كثير من الحيوانات المائية الارضية (البرمئية أو القوازب) كالضفادع وغيرها. وقد جمع كرو سنة ١٩٢١ عدداً كبيراً من الضفادع انقلبت من اناث الى ذكور وعلل ذلك بحصول انحلال في نسيج المبيض فنما نسيج مولد للسبرمات بدلاً منه وروى العالم المشار اليهِ ان بعض هذه الضفادع عملت فعلاً عمل الذكور وامكنها ان تلقح وتخصب الاناث وكان النسل الناتج كله اناثاً وهو بالضبط ما يتوقع (لسبب علمي يتعلق بأساليب الوراثة لا محل لبسطهِ هنا)

مكتبة المقتطف

بحث نفسي اجتماعي في

عالم السدود والقيود

تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد

سواءٌ أكان السجن معهداً للعقاب او الانتقام ، ام داراً للاستشفاء ، ام مدرسة للتهذيب والاصلاح ، وسواءٌ أزعم الحكام والمتشرعون انه خلوة يختلي بهِ المذنب ليحاسب ضميره عما اقترف ، ام وسيلة توقظ العوامل الانسانية الكامنة في النفس عن طريق الحجر ، ام مطهراً يتطهر به الضمير بنار التبكيت ، سواءٌ اجعل السجن لهذه الاغراض ام لسواها ، فانهُ يبقى جحيم عذاب يتقلب على جمرها مخلوق فرضت عليهِ القوانين الوضعية القصاص ولا يسلم من حروقها الاَّ رجل سمت بهِ ثقافتهُ وارتقت بهِ روحهُ الى مصاف الكمال

روَّاد السجون واحد من ثلاثة ، شرير مفطور على الاجرام لا يصلحهُ التعذيب ولا الانتقام ، ومدفوع اليد زلت بهِ القدم فهوى فان قدّرت له النجاة فانما ينجو بنفس محطمة واعصاب متخاذلة ، ورجل جارت عليه الاحكام فكان الجور مدعاة الى استفزاز همته واثارة نخوته وتصلبه في عقيدته

كنت احسب السجون تشم روّادها بوشم الحقد الذي يتمدد مع تمادي السنين ويبرز اثره كلما اوغل المرء في الاندماج بالاوساط الاجتماعية ، حسبت ذلك حقيقة ثابتة في النفس البشرية وقد قدر لي ان استهل حياتي السياسية بالايواء الى السجن ثم الافلات من حبل المشنقة ، وكنت كلما جال السجن بخاطري او عرضت حالات المسجونين امامي ، اشعر بالوجع من ذياك العذاب القديم وأحس بالغصة الدافعة الى الانتقام من اولئك الأشرار الذين سعوا الى الزج بي في هاتيك الغيابات ، وكنت اتناسى ما افادتني حياة السجن من تعلم الالتفات الى حياة المسجونين ، ومراقبة احوالهم ، ودرس نفسياتهم ، والاعتبار بأدوائهم ونوازلهم وما علمتني ايضاً من الثقة بالنفس والاعتماد عليها وحدها ، ومن إباء الانقياد لارادة الفرد او السخرة للجماعة المتحزبة .

فاعتماداً على هذا الحسبان ، قرأت كتاب « عالم السدود والقيود » وفي نفسي توق ملحّ الى دغدغة اجدها فيه تسكن في نفسي ألماً مزمناً ووجيعة من اناس ضللوا شباناً كثيرين غيري لم ينج اكثرهم من اعواد المشانق ، غير اني لم الق في الكتاب شيئاً مريراً من ذلك ، ولم يشعرنا مؤلفهُ الفاضل بوطأة الالم على نفسهِ وجثوم كابوسهِ على صدره ، ولا تحفزه الى الانتقام والتشفي من الحكام او السجّان أو القادة او غيرهم ، فما سبب ذلك يا ترى والاستاذ العقاد كما يعرفهُ كل الناس ، أبي النفس ، مرهف الحس ، دقيق الشعور الى أبعد الحدود ؟

قد أقترب من الحقيقة اذا أعدت ذلك الى ثلاثة أسباب :

الاول : ان مقام الاستاذ العقاد في السياسة مقام الملهم لا المستلهم ، والقائد لا المقود ، وشتان بين رجلٍ صاحب رسالة وعقيدة في الحرية والاستقلال يبثهما في الناس ، وبين آخر يستوحي اصحاب العقائد ليساعدهم في اذاعة رسالتهم سواءٌ في الحرية والاستقلال او في سواها

والثاني : هو تسامي روح العقاد عن هنات المجتمع ووضاعته ، وترفعه عن أخذه بنجيزته ، ودأبه في تسديد خطاه وتوجيهه صوب قبلة الحياة

والثالث: هو المقدرة على التحول من جهة الى جهة معاكسة مع المعرفة ما بين الجهتين من تقارب وتباعد

هو ذا ما أحسبها أسباباً لتنحي المؤلف عن النقر على الاوتار الانينة في حياة السجن ، وقد يكون هناك أسباب دافعة لم يذكرها المؤلف او تحاشى ذكرها ، وقد تكون كبرياء منهُ على الالم واحتقاراً لهُ ، وقد تكون معاملة طيبة من السجانين خصّوه بها فأنسته وطأة القيود وثقل الحجر ، وسواءٌ أكان هذا ام ذاك ، فان الذي لا شكّ فيهِ ان لتسامي الروح المقام المقدم في هذا الكتاب . ويجدر بي قبل استعراض أبرز خصائص هذا المؤلف الثمين أن أروي الحادثة التالية

حدثني أحد المزورين من سياسة الاستاذ العقاد قال : ان عجبت من تجبر هذا الرجل المخوف الذي لا يعرف الملاينة ولا الانحراف حتى عن سبيل العاصفة الهوجاء ، والذي تنم قسمات وجهه ونظرات عينيهِ على العنجهية والكبرياء ، والذي تسمعك كل كلمة من كلماته رجع صدى القوة الصارمة والحق الصريح ، فاني أعجب لروح الانسانية يشيع في فصول كتابه كلها ، وروح النكتة اللطيفة ، والفكاهة الظريفة ، والسخرية اللاذعة يفيض بهِ ، وسألني تعليل ذلك ، فابتسمت وأجبت : ان هذا الذي ذكرت يا صاح ليس سوى مظهر بسيط من مظاهر العبقرية التي تجمع بين طرفي الأمر الواحد بسهولة وعدم تكلف . فالعقاد العنيف الجبار هو بعينهِ العقاد اللين السلس ، والعقاد الانوف المتكبر هو هو الحنون المتواضع ، وحسبهُ رفعة وسمواً احدبهُ على المجتمع المريض فيواسيه تارةً برفق ولين وتارةً أخرى بالمبضع والمنشار تحدوهُ في الحالين نفس مفطورة على الحب . وحسبهُ انهُ دخل السجن وخرج منهُ بروح واحد لم يتقلقل او يتبدد انما أضاف الى ذخيرة معرفته بالحياة معرفة طائفة من الناس بعيدة عن الناس تأوي بقعة في الارض جدباء قاحلة من الرحمة والرأفة

تتكفل للقارىء صفحات كتاب « عالم السدود والقيود » بان يستعرض عالم السجن كما استعرضهُ المؤلف دون أن يقيم مثله فيهِ تسعة شهور ، ويقرأ فيها خلاصة ما رأى السجين واحسّ وفكر ، كما يقرأ قصة الذهاب بهِ الى سجن « قره ميدان » ورحلته الى هذا المكان الواحد الذي « كأنهُ العالم باسره بارضهِ وسمائهِ ، والذي كأن العالم الخارجي جزءٌ لاحق مضاف اليهِ »

« والذي هو شط والدنيا كلها شط آخر يتفا بلان ويتناظران » يقرأ فصولاً مستقلاً احدها عن الآخر استقلالاً تامًّا ومرتبطاً في الوقت ذاته باخوته ارتباطاً فنيًّا عجيباً ، وهي بين هذا الاستقلال والارتباط كاعضاء الجسد الانساني الذي يشيع فيها الروح الالهي

قلت ابرز خصائص الكتاب « الروح الانساني » وهو شائع في فصول ربطها بعضها ببعض كما تربط نغمات الموسيقى الوترية الهادئة وذبذباتها الناعمة ، نغمات الموسيقى النحاسية او تجعل من تعدد اصوات الآلات وحدة كاملة ، وقد احدث شيوع هذا الروح في فصول الكتاب قصة منسجمة متلاحمة محبوكة معقودة ببراعة المؤلف القصصي ، لذلك اقر بالعجز عن التدليل المادي عن خصائص الروح بالذات لأنها تدرك بالزكانة والفطانة . اما الدلالات على روح النكتة والفكاهة والسخرية فمركزة في كل فصل ، اسمع ملخص الواقعة التالية

ضبط السجان سجينين زيفا ثماني عشرة قطعة من ذات القرشين في معمل السجن واتقنا صنعها جدّ الاتقان ، مع السرعة وقلة الادوات وشدة الحذر من الرقباء ، فتوهما ان جزاء التزييف خمس سنوات ، فالتفت احدهما الى زميلهما العقاد السجين سائلاً « اصحيح ان الحكاية فيها خمس سنوات » قال الاستاذ : « طاب لي ان اداعب مهارة هذين الشيطانين ، واخذت اشرح لها ما اعتقد الفارق بين التزييف في الخارج والتزييف في داخل السجن وقلت لهما ان المزيف في الخارج يختلس حق الحكومة وحق الناس ولكن المزيف هنا يختلس ما هو مختلس بطبيعته ومستحق للمصادرة عند ضبطه وليس على هذا عقوبة اكثر من عشرين او ثلاثين جلدة فانطلق احدهما يدعو لي بالطمأنينة وارتقاء المراتب والصحة والعافية وكل شيء . . . . « قلت هداك الله يا صاح ، ولكن هذه الدعوات الصالحات هل تراها « عملة صحيحة » عند صيارفة السماء ؟! »

قصة ثانية « . . . . ان الاطباء قرروا بعد ايام من دخولي السجن وجوب وضعي في مستشفاه ومعاملتي في اختيار الطعام والفراش واوقات الرياضة معاملة المرضى « ولكن ماذا حدث بعد هذا القرار ؟ هل نقلت الى المستشفى كما يقضي العقل والنظام ؟ كلاّ ! انما الذي حدث انهم اعتبروا الحجرة التي انا فيها ملحقة بالمستشفى وانقضى الاشكال ! ! ! »

قصة ثالثة « . . . . . . واحتلنا على صاحبنا . . . . حتى باح لنا بذلك القسم ، فاذا هو آيات يكررها القائل ثلاث مرات وهو متوضىء فتحصل المعجزة . . . . . وقد رأيناه فعلاً يخز للنمل خطاً على الحائط ويتلو القسم فيرجع النمل عن الخط او يسقط دونه ، وجربنا نحن القسم فصحّت التجربة وايقنا برهة اننا نملك سرًّا من اسرار السحر المتصرف في خلق من خلائق الله حتى خطر لنا يوماً ان نرسم الخط ولا نتلو القسم . فما راعنا الاّ ان تصح التجربة بغير تلاوة كما صحت بالوضوء والتلاوة ، فعرفنا السر ولكنا اسفنا على السحر الذي فقدناه »

السائد في اذهان بعض الناس ان الذكاء طبيعة في طوائف النمل ، فجرياً على هذا التخمين وامتحاناً لتجربة النمل السالفة طاب للاستاذ العقاد ان يمتحن هذا الذكاء ولكن بغير وضوء وآيات لقد ساعدته اسراب النمل وطوائفها القاطنة في شقوق غرفته في السجن على اتيان التجربة التي اسفرت ، على ان هذه المخلوقات الموصوفة بالذكاء انما تعمل بغير «تفكير» كأنها من الآدميين

قصة رابعة : حضر الواعظ ليعظ السجناء المسيحيين ، وكان يروق الاستاذ العقاد ان يشهد هذه الحلقات ويسمع الوعظ ، «فيطيب لي ان ارى التوراة منقولة الى عالم الخيال الفطري ، والتصوير الشعري ، والتمثيل الفني الذي لا تكلف فيه» «وكان من عادة الواعظ اذا فرغ من شرحه ووعظه ان يطلب الى احد السجناء ان ينهض للصلاة والدعاء ويجهر بما يجيش في نفسه ونفوس زملائه» «ولا احسب احداً منهم — اي السجناء — كان يجيد الكلام في دعائه وصلاته كما كان يجيده رجل من اضراهم بالشر واولاهم بالعقاب واسوئهم سيرة بين السجناء ، وان شهدوا له بالبراعة والذكاء وهو تاجر مخدرات مشهور» «سمعته مرة يصلي ويذكر خطايا الخاطئين وآثام بني الانسان . . . فسألت عنه فقيل لي هذا فلان صاحب الحيل المعروفة في ترويج المخدرات وكنت سمعت عنه وعن قضاياه واحابيله في ايقاع صرعاه ، واغرائهم بتناول السموم وادمانها ، فقلت لو كان هذا المصلي الخاشع يدعو الله ليستجاب دعاؤه لما دخل السجن ولا قام مقامه هذا للصلاة فيه! ولكنها حيلة جديدة من حيله الكثيرة ، ولعلها ايضاً من حيل التخدير»!!

وقس على ذلك في التهكم والسخرية والنكتة وما اليها الشيء الكثير ، اما دقة الملاحظة ، وقوة الاستلماح والبراعة في الاستقراء ، والحصافة في الحكم فاكثر من ان تحصى فاقتصر على اقتباس بعضها

« في معظم السجناء عاطفة مصرية لاحظناها في جميع المصريين على تباعد الطبقات والاقاليم ونعني بها «عاطفة العائلة» وما يتفرع عليها من رعاية الارحام والاسنان»

مرّ سجين من العائدين في جريمة السرقة بطفل واقف في فناء السجن ينتظر ترحيله الى سجن الاحداث «فرفع الطفل رأسه وناداه بلهجة المسكنة التي يستشعرها الصغير في غيبة أهله وقال لهُ «جوعان» فتمهل اللص العائد هنيهة ثم قال لهُ « ماذا أصنع لك يا ابني وانصرف. . . . . ثم عاد بعد دقائق ومعهُ رغيف سرقهُ من الخبز فقسمهُ نصفين وأعطى الطفل نصفه . . . . . . »

مثل ثان : تلاحى شيخ فانٍ وفتى عارم مشهور بالشر والعربدة ... فسبهُ الشيخ سبًّا لا يطيقهُ فتىً من سنهِ ... فما صنع الفتى المسبوب الاّ ان بدا عليهِ الدهش والتردد ثم هزّ رأسهِ وقال لمن معهُ « انظروا الى الرجل الشايب يعيب ولا يخجل » وقال للرجل الشايب «لو غيرك قالها لقتلتهُ»

« وهذه على التحقيق ظاهرة اجتماعية ملحوظة في اخلاق الامة المصرية بأسرها ، سببها فيما أري قدم العهد في هذه الأُمة بحياة الأُسرة والحياة الاجتّماعية والبيتية على اجيالها »

على هذا الضرب البارع من الاستقراء والاستنتاج يقيم الحجة على ان السجون تبلد الاذهان وتعمي البصائر ولا تنال النفوس بتهذيب او اصلاح ، ويقص قصته فتى قتل اخته استدرجهُ رفاقه الى شرح الواقعة فيسردها بالتفصيل فيقول الاستاذ العقاد عنهُ « فلو انه كان يتكلم عن ذبح شاة او دجاجة لما اختلف الامر ولا تباينت اللهجة ، ولا كان أقل من ذلك مبالاة بما يقول واسترسالاً في النكات والمزاح كلما عبث به اصحابه وتعمدوا احراجه واستفزاز طبعه وليس هذا كله من الغيرة على العرض والنخوة للكرامة ، فان الغيرة على العرض تثير الغضب والنقمة ولا تخلق البلادة ولا تعمي الانسان عما صنع بعد فوات الثورة وسكون الهياج ويقظة النفس للذكرى والاستعبار والاسف على ما كان من سبب القتل والاضطرار اليه »

يستدل الاستاذ مؤلف كتاب «عالم السدود والقيود» على طبيعة المسجونين من الفكاهات التي يتفكهون بها والغناء الذي يغنونهُ فيتخذها مقياساً لمعرفة الخير والمحبة الانسانية في نفوسهم ، فيأتي بالبينات على ان اهل الخير فيهم قليل « وهذا القليل الموجود يشف — في أغلبه واعمه — عن معدن وضيع او معدن مشوب ، وان لم يجز لنا ان نقول ان الخير فيهم معدوم ، وان صلاحهم ميئوس منهُ »

يضيق بي المجال اذا تناولت فصول الكتاب جميعها ، ففصول « الطعام ومطالب الجسد » و « بعض الشخصيات » و « الجريمة والعقاب » و « بعض الاصلاح » خليقة بالدرس العميق ، جدير بالرجال المتصدرين للاصلاح الاجتماعي سواء أكانوا كتَّاباً ام نواباً ، قضاة ام حاكمين ان ينعموا نظرهم ويطيلوا تبصرهم فيها لانها خير منارة يهتدون بنورها الى انقاذ عشرات الآلاف من المسجونين تضيف السجون ونظمها الى امراضهم الطبيعية ادواء خلقية لا خلاص لهم منها ولا رجاء من شفائهم من عللها الطبيعية والاكتسابية

بودي ان لا اهيب فقط بكل اديب وأديبة قراءة كتاب «عالم السدود والقيود» بل كنت اتمنى — لو في وسعي — فرضه على طلاب الادب فرضاً فيتطعمون بالروح الانساني المحض ويتذوقون الادب العالي الرفيع . ولا يفوتني هنا ان انوه بالكتاب العظيم الذي وضعه الاستاذ العقاد في « سعد زغلول » لاني اعتقد ان فصوله الاولى من أبرع وأمتع وأسمى ما كتب كاتب في الدروس الوطنية وفي تحليل الشخصية المصرية ، وانهُ في مجموعه ككتاب في ترجمة الزعيم سعد زغلول يبز اكثر الكتب من نوعه التي وضعها اميل لدويج وأندريه موروى واوكتاف ابري ويساوي كتب استفان سفايج عميد كتاب التراجم في هذا العصر في عمق الدرس ودقة التحليل

التنويه وحده بقيمة كتاب « سعد زغلول » أثم ، والاشادة باقداره الادبية والاجتماعية فرض على كل كاتب ، وعندي ان الانصاب والتماثيل مع روعتها لا تمثل عظمة زغلول الرجل كما يصورها على حقيقتها الطبيعية الحية كتاب « سعد زغلول »

حبيب زحلاوي

المتنبي أيضاً !

كتاب المعهد الفرنسي بدمشق

انها لسنة المتنبي . سنة ظفر فيها الشعر بفضل أمير من أمرائهِ بالمكانة اللائقة بهِ في هذا العالم، تلك المكانة الآخذة بالانحلال لسطوة المادة على الأنفس

وقد عرض المقتطف بالنقد لجل ما ألف في المتنبي أخيراً سواءٌ في اللغة العربية أو اللغات الافرنجية . وهذا مؤلف جديد باللغة الفرنسية يخرجهُ المعهد الفرنسي في دمشق [١] رغبة منهُ في ان يشارك أبناء العربية في احيائهم لذكرى المتنبي واشادتهم بفضلهِ

ينطوي المؤلف على ست مقالات لطائفة من المستشرقين نسوق زبدتها لقراءِ العربية :

يطلع علينا الاستاذ ماسينيون Massignon في المقال الأول بآراء عجيبة أول الأمر مستقيمة النواحي في الحقيقة ، ومجمل قوله ان المتنبي المولود في البيئة اليمانية في الكوفة نشأ في هذه المدينة وفي البادية في جو قرمطي محض وان هذا القرمطي نزعة لم يرعو كل الارعواء وان غلب على أمره . ثم انهُ لم يرض كل الرضا بشيعة أمراء الشام الحمدانية فاضطرّ ان يتجر بمنظوماتهِ في انفة وقحة خاصتين بمذهب الاسماعيلية

ذلك الرأي الذي أتى بهِ المؤلف وانطلق يؤيده بالشواهد المختلفة فدل على قرمطية المتنبي بألفاظهِ وصورهِ واعتقاداتهِ وتهكمه حتى بيانه . وهنا نرى ان الاستاذ ماسينيون ذهب في الاستشهاد ببيان المتنبي مذهباً فيهِ شيء من الغلو ، فاستشهاده مثلاً بهذا المصراع

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب

على ان المتنبي كان يعمد الى الطباق المعنوي على الطريقة القرمطية، مسئلة فيها نظر . ذلك ان قرّاء الشعر العربي القديم انما يرون في هذا المصراع تركيباً لفظيّاً اتباعيّاً متعارفاً

وصفوة القول ان مقالة الاستاذ ماسينيون غاية في اللباقة ، ولا يفوتنا ان نذكر ان الدكتور طه حسين بك انتفع بها في تأليف كتابه الاخير « مع المتنبي » (مصر ١٩٣٦ ، راجع ص ٥٣ ، ٦٤ ، ١٥٤ ، ١٦٩)

وفي المقال الثاني يصف لنا الاستاذ سوفاجيه Sauvaget مدينة حلب ايام سيف الدولة . فيخبرنا أنها لم تكن على جانب عظيم من الاتساع ولا المدنية لتمزق نواحي الشام وعدم

---

(١) Al Mutanabbi. Mémoires de l'Institut Français de Damas. Beyrouth 1936.

استقرارها وقلة اطمئنان اهلها . ولم تكن التجارة لترفع من شأن تلك النواحي لانها كانت في ذلك العهد محتضرة بسبب النضال الذي بين المسلمين والنصارى. فحلب المحبوسة بين التخوم البيزنطية والمتلكات الاخشيدية ومسالك البدو لم تقو على صرف منتجاتها الاَّ الى جانب من الشام الشمالية. واما المدينة نفسها فكانت على الحال التي كانت عليها قبل الفتح الاسلامي ايام ملك الروم . ولم يضف اليها سوى الجامع وقصر سيف الدولة

والمقال الثالث موقوف على عروبة المتنبي . وفيهِ يدل الاستاذ ليسرف Lecerf على ان المتنبي وقف للشعوبية وقفة الحازم الفاتك واعلن ان الارومة العربية ولا سيما اليمانية لا تعدلها ارومة. وان الامم انما يضخم شأنها بنبلها الوراثي وكرمها الطبيعي وشجاعتها وفتوتها، والامة العربية تجمع هذه الخلال الى حد بعيد جداً . ثم اعلن ان هذه الامة يفسدها ويسقط همتها عبيد من العجم يتحكمون فيها . فالمتنبي بهذا وضع الحجر الاساسي للعروبة الفعّالة التي تعتمد على الماضي الزاهر لتشد من ازرها في الحاضر . وهي حال نلمسها اليوم في البلاد العربية

واما المقال الرابع فقد اجمل فيه صاحبه الاستاذ بلاشير Blachère الكتاب الذي الفهُ في المتنبي في اللغة الفرنسية وهو الذي أشرنا اليه في فصل مؤلفات المستشرقين بهذا الباب في مقتطف اريل من هذه السنة

وفي المقال الخامس سرد الاستاذ جودفروى دومامبين Gaudefroy-Demombynes اسباب مجد المتنبي . ففي رأيهِ ان شاعرنا بلغ القمة بثلاثة اشياء . اما الأول فعربيته وعروبته إذ ارتد الى المقدمين من الشعراء الاولين في اسلوبهِ ولغتهِ وغلوهِ في النضال عن القوم والارومة وفي « حماستهِ » وفي مدحهِ للشجاعة والبسالة وفي انتصاره للعرب ووقوعهِ في الاعاجم . وأما الثاني فخياتهُ المضطربة « الرومانتيكية » التي كثر فيها الطعن والضرب فردته بطلاً من ابطال الشعر العربي كأجداده وفي مقدمتهم عنترة وعمرو بن كلثوم . وأما الشيء الثالث فبلاغته اذ في شعره من الجزالة والروعة ما لا يصيبه الناس الاَّ عند الفحول من الشعراء الاقدمين . فضلاً عن ان المتنبي عرف كيف يضمن هذا الشعر القديم الاخاذ افكاراً جسيمة فجاءت طائفة من ابياتهِ آيات الشعر المحكم الرصين

بقي المقال السادس . ويبحث صاحبهُ الاستاذ كانار Canard في اتصال شعر المتنبي بالحرب التي كانت قائمة بين بيزنطة والعرب . وخلاصة البحث أن ما قاله المتنبي في حوادث تلك الحرب بعيد عن ان يكون مستنداً تاريخياً للغلو الذي فيهِ ارضاء لسيف الدولة . وانما على المؤرخ ان يراجع هذا الشعر ليفهم الزمن الذي وقعت فيهِ الحرب وليجعل للحوادث الواقعة حقاً اطاراً فنياً جذاباً

ب . ف

القانون الدولي الخاص المصري

تأليف حامد زكي — الطبعة الاولى ١٩٣٦ — ٧٥٢ ص من قطع المقتطف

« آفة التأليف الاسراع فيه ، وخير التآليف ما جاء ثمرة بحث وتفكير طويلين . تلك حقيقة ناصعة لا يجحدها الاّ المكابرون . . . . ويؤلمني ان أقرر هنا ان جانباً كبيراً من المؤلفين المصريين قد أهمل المبادىء السليمة السابقة . فمنهم من حاول القفز الى القمة مباشرةً متعامياً عن جميع العقبات الماثلة في طريقه . . » . بهذه الكلمات صدر الاستاذ حامد زكي مؤلفه. وكم أصاب في تصديره إذ ان في مصر طائفة من الكتبة يظنون التأليف سواء كان أدباً او علماً واقفاً بالباب منقاداً للقلم

ودلالة على ما صدر به مؤلفه اخرج الاستاذ حامد زكي الدكتور في العلوم القانونية والاقتصادية والسياسية من جامعة باريس وأستاذ القانون المدني والقانون الدولي الخاص بكلية الحقوق في مصر كتاباً جمع بين البحث والدقة وبين الروية والتقصي . والكتاب ينطوي على خمسة فصول مطولة : الأول في موضوع القانون الدولي الخاص وتعريفه ، والثاني في تنازع القوانين ، والثالث في تنازع الاختصاص ، والرابع في الجنسية المصرية والموطن والدين ، والخامس في حالة الاجانب (المقيمين بمصر) . وتحت كل فصل من هذه الفصول تندرج ابواب عدّة لكل منها مكانته ، ولا يسعنا هنا ان نعرض لها بالجملة . والتحقيق ان كتاباً مثل هذا خليق بأن يقرأ من ألفه الى يائه اذ فوائده جمة ومناحيه غفيرة

الاّ انهُ لا بدّ من ان نشير الى ميزات ثلاث يختص بها كتاب الدكتور حامد زكي . اما الميزة الاولى فتجلي الروح المصرية فيه ، اذ ترى المؤلف ينتصر للقضاء المصري والعدالة المصرية ويندد بسطو الاجانب ويدفع اقوالهم الواهمة ثم ينظر الى القانون الدولي الخاص على انهُ قانون وطني مصري لا على انهُ قانون دولي عام او مقارن . واما الميزة الثانية فسهولة مطلب الكتاب من حيث وضوح مسائله واستقامة مناهجه وتلاحق فقره ، وفي هذا لطلبة كلية الحقوق خير عظيم . واما الميزة الثالثة فاستقلال ذهن المؤلف وجرأته على قول ما يبدو له حقًّا وصحيحاً . وليكن مثلنا على هذا ما ذهب اليه المؤلف عند الكلام على قانون الاحوال الشخصية للمصريين عامة (ص ٦١١) من « ان الاصوب هو الاخذ جملة واحدة باحكام تشريع وضعي حديث كالتشريع السويسري مثلاً منقحاً بما يلائم عادات اهل البلاد والغالب المتعارف على معتقداتهم ، وذلك اسوة بما حصل في تركيا الحديثة حتى بشأن الاحوال الشخصية الخاصة بالمسلمين » [1]

ب . ف .

---

(١) جل ما يؤخذ على هذا الكتاب النفيس مادة اغلاط مطبعية معدودة وقعت في الالفاظ الاعجمية (مثلا ص ١٤٦ ، ١٨٨ حاشية ، ٤٨٣ ، ٤٩٧ حاشية ، واخرى لغوية (مثلا ص ٥ آخر سطر ، ص ٩٩ س ١٧ ، ص ٤٨٨ س ١١ ، ص ٤٨٤ س ٧ ، ص ٤٩٩ س ٢)

ديوان حافظ ابراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه الاساتذة أحمد أمين واحمد الزين وابراهيم الابياري طبع في جزأين : الاول في ٣١٨ صفحة والثاني في ٢٦٢ صفحة قطع المقتطف — طبعة دار الكتب المصرية

حافظ شاعر عبقري دوّت نغمات نايهِ في آفاق الأقطار العربية ، ورنّ صدى ألحان قيثاره في العالم الاسلامي ، نيفاً وثلث قرن ، في حلاوة جرس ، وطلاوة لفظ ، وحسن تأليف ، وجمال تنسيق ، بزّ في ذلك جميع شعراء عصرهِ سوى شوقي كما يقول هو :

لم أخشَ من أحد في الشعر يسبقني الاّ فتىً مالهُ في السبق إلاّهُ
ذاك الذي حكمت فينا يراعتهُ وأكرم الله والعباس مثواهُ

ولست بسبيل التعريف بحافظ الشاعر وقد عرفهُ الناس وأنا ما ازال في المهد صبيًّا ، غير اني لا اجد مندوحة عن ان ألم بأطراف حياته في أسطر : فلقد قضى شطر حياته الاول فقيراً معدماً ، يضطرب في نواحي الحياة فلا يصحبهُ سوى الفشل والملل ، متصعلكاً لا يجد ما يقوم بأوده فيستشعر الالم والحسرة في نفسهِ ، ويطلب العلا فيخفق مرة بعد مرة . . . وفي الشطر الثاني يجد الرزق والاطمئنان في وظيفة في دار الكتب . وحريٌّ بهِ ، وقد ذاق مرارة العيش ولذع الفقر ، ألاّ يفرط فيها فيهوي الى قرارة البؤس مرة اخرى . وحالت الوظيفة — كما هي دائماً — بينهُ وبين ان ينفّث عن نفسهِ بعض ما يتأجج فيها من آلامه وآلام وطنهِ وآمالها ، فانطوى على ألم يتغلغل في صميم فؤاده ، فكفّ كثيراً مما كنا نصبو اليهِ من حماسة مشتعلة ووطنية متسعرة . ولقد وجد لهُ الاستاذ احمد امين عذراً نقره نحن عليهِ...وحافظ لم يتخرج في مدرسة سوى تلك التي خلقها لنفسهِ من عباقرة الجيل وأفذاذه من العلماء والادباء والسياسيين ، فلم يدرس دراسة منظمة ، ولم يقرأ قراءة مرتبة ، ولم يبحث بحثاً فيهِ الاستقراء والاستنتاج ولكنهُ كان كالنحلة تمتص رحيق الزهرة التي تقع عليها لتتمثله . وكان حافظ يقول الشعر في مناسبات — شأنهُ في ذلك شأن سلفهِ — ينشره حيناً او يدسهُ على هون إن خشى كيد الكائدين ، حرصاً منهُ على رزقهِ ، وإشفاقاً على نفسهِ ان تذوق الهوان والذلة . وكان رحمهُ الله — متهاوناً مهملاً ، لا يأخذ نفسهُ بنظام ولا يعني بترتيب ، فانتثر شعره وتمزق ، ولفتهُ الايام في ملاءة النسيان ، الاّ ما نشرتهُ الصحف او ما حفظهُ اصدقاؤه ، ولو اننا ندبنا حافظاً نفسهُ ليجمع ما تبعثر من شعره للقي عناءً وجهداً دونهُ كل عناء وكل جهد ، ولأصابهُ الكلال والملل ، فما بال الذين قاموا عليهِ !

وها هو ديوان حافظ في طبعتهِ الجديدة الانيقة المرتبة يجذب النفس ويستهوي القلب ويغري بالمطالعة والامعان فيها ، ثم هو في ضبطهِ وترقيمهِ يفيد الطالب والمتأدب معاً كما يعين الاديب على بغيته ويوفّر عليهِ مشقة البحث والتقصي ،وهذه منة اخرى للاساتذة . ولقد نظرتُ في الديوان نظرة عجلى فراعني ان يفلت من بين ايدي الاساتذة بعض اخطاء أضرب مثلاً منها : ففي صفحة

٩ من المقدمة في الجزء الاول ذكر البيت الآتي ضمن ابيات كان حافظ يندب فيها سوء حظه وضيعة أمله وهو ما يزال صبيًّا لم يطرّ شاربهُ بعد ، وهو : —

والموتِ ، مالي قد أراه مُباعداً وحُبلّ مرادي أن أُوسّد حالاً

ولعل صحة المصراع الاخير هو « وجلّ مرادي أن أُوسد جالاً » (بالجيم لا بالحاء المهملة) والجال جانب القبر والبئر وما جرى مجراهما وفي هذا المعنى يقول النمر بن تولب

غدتْ وغدا ربٌّ سواه يقودها وبُدّل أحجاراً وجالَ قليبِ

والمعنى بهذا أدق وأرق وأفصح وأقرب للمعنى المراد من الابيات ، وهذه التفاتة سريعة نرجو من الاساتذة ألاّ يغفلوها . وليست هذه الاخطاء ، وان كنت لا اظنها الاّ بعض سهو الانسان ، مما يضع من قيمة المجهود الفذّ او مما يحط من قدره

ولقد ظهر ديوان حافظ في ثوبهِ القشيب وديباجته الرقيقة ليشعرنا ويشعر العالم العربي أن كرم وزارة المعارف العمومية المصرية لم ينقطع فيضه عن حافظ في مماته ولا هو انقطع عنهُ في حياته ، فلقد عطف عليه المرحوم احمد حشمت باشا وهو ناظر للمعارف فعينهُ في دار الكتب في سنة ١٩١١ فاستقرّ بعد اضطراب وهدأ بعد تقلقل ثم . . . ثم خلفهُ صاحب المعالي علي زكي العرابي باشا فأمر — وهو وزير المعارف أيضاً — فجمع شعرهُ في سنة ١٩٣٦ ليكون ديواناً كاملاً أنيقاً يغني الادباء عن التخبط وينزع عنهم الشك ، فكأن وزارة المعارف قد طوقت جيد شاعر النيل بمنٍ لن ينساها الجيل الحاضر ولا الاجيال من بعده ما دامت العربية السمحاء . ولا يسعنا — نحن أسرة المقتطف جميعاً — الاّ ان نشكر لوزير المعارف فضله على الناطقين بالضاد في هذه الباكورة الأدبية وللاساتذة الذين اشرفوا على اخراج الديوان . وانا لنتوجه الى الوزارة طالبين ملحين ألاّ تقطع سيلها الفياض في هذه الناحية ولها من الله حسن الجزاء كامل محمود حبيب

الفارابي

تأليف الخوري الياس فرح . جونيه (لبنان ١٩٣٧) ١١٤ ص من قطع المقتطف

اذا تلمست في هذه الرسالة رأياً طريفاً او بحثاً مستفيضاً عميقاً خرجت من قراءته قليل الحظ مما تلمست . ذلك انها رسالة تبذل اشياء عن الفارابي دون ان تذهب في العرض والاستدلال والاستخلاص مذهباً اتسعت نواحيه وعلت طرقه . فميزة هذه الرسالة — على تواضعها — انها تسوق الى القارىء العربي جانباً فاخراً من جوانب الفلسفة الاسلامية العربية . إذ فيها معالجة استقصاء لشؤون المعلم الثاني بطريقة سهلة وافية . ويغلب على المؤلف طريقة المدرس فترى قلمه يجري مجرى المعلم الذي لا يخطو خطوة الاّ وقد احكم الأولى . وعسى ان يواصل الخوري الياس فرح استاذ الفلسفة العربية في معهد الفرير بجونيه التصنيف في الفلسفة العربية فيخرج مثل هذه الرسائل المفيدة التي بها يستطيع القارىء العربي العادي ان يتفطن الى تراث اجداده في عالم الفكر والتأمل ب .

من حديث الشرق والغرب

تأليف الدكتور محمد عوض محمد طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

لقيت الدكتور محمد عوض أول ما لقيت في عالم الفكر قبل أن ألقاه في عالم الحسّ. وكان ذلك من زمنٍ بعيد عرفتهُ فيهِ قوي البناء في أسلوبهِ العربي. ثم تتابعت الأعوام واذا بي في النادي المصري في لندن منذ ثلاثة أعوام أقدم الى مصري طويل القامة أسمر اللون اسمهُ الدكتور محمد عوض . . .

ومنذ شهرين وقع في يدي كتاب اسمهُ (من حديث الشرق والغرب) لصاحبنا الدكتور عوض فقرأت منهُ ما مكنتني الظروف أن أقرأ . . وطويتهُ على ان أعود اليهِ في فرصة مواتية وظرف قريب. واليوم اذا برئيس تحرير المقتطف الفاضل يكلفني الكتابة عن هذا الكتاب فأراني لا أجد سبيلاً الى عصيان أمرهِ مع ان الكتابة عن الكتب من أشق الاشياء على الكاتب الذي يتحرى الصدق في كتابتهِ لأنها قد تغضب الناس منهُ وتثيرهم عليهِ. الاَّ ان الأدب الحق لا يعنى بمثل هذا الغضب ما دام ذلك في سبيل الأدب

اما من ناحية أسلوب الكتاب الفني فالدكتور غني عن أن أزكيهِ بكلمة. فقد عرف عنهُ نقاء الاسلوب واشراقه حتى فيما يتعرض له من مباحث العلم ومسالك البحث. وكتابه « سكان هذا الكوكب » شاهد على ما أقول. أما الفكرة في الكتاب فقد كنت أتوقع من الدكتور الفاضل أن يكون أعمق بحثاً في بعضها مما كان. ويخيل اليّ أن المؤلف راعى في كتابه جانب العبارة اكثر مما راعى جانب المعنى فلم يصل بنا الى أعماق من الفكر وكان كما حدثنا هو صادقاً عن الناس في موضوع «في طريق البغال» حيث يقول (ونحن ذوو أحلام ضحلة. لا نجد في البحث العميق الاّ عناء ونصباً وسنبقى مدى الدهر قانعين بالظواهر تخدعنا وتقنعنا)

خذ مثلاً مقالته (مناظرة بين بحر ونهر) فهي لم تعد أن تكون موضوعاً انشائيًّا يفرح طلبة المدارس باستظهاره. وكأن المؤلف الفاضل أحسّ أن المقال ماهو الاّ نوع من المناظرات التافهة التي كان يكتبها الحلبي في كتابه (نسيم الصبا) والتي زخرت بها كتب الانشاء حيناً فكتب على هامش المقال كلمة لا تخليه من عذر . . . .

والكتاب مزيج من قصص ومشاهدات وخطرات. أما القصة فقد كان المؤلف الفاضل بعيداً عن التوفيق فيها. و (عبث القضاء) شاهدنا على ذلك فهي لم تعد أن تكون حكاية عن شاب هندي تعلم في انجلترا وأحبّ فتاة روسية في فرنسا ومات قبل أن تزف اليه من أحبّ. أما ما تستلزمهُ القصة من درس أو مفاجأة طريفة أو تحليل نفسي أو تصوير خلقي فلم يكن (لعبث القضاء) من ذلك نصيب

اما مشاهدات الكتاب ففيها كثير من صدق النظر واتساع المرئيات ولعلّ ذلك راجع الى ولع الدكتور بالسفر واهتمامهِ بالرحلة . فهو يتخذ من صغير المشاهدات عظيم الحكم وكبير المواعظ . وموضوع (في طريق البغال) يؤيد ما نقول . فقد خطر لي خاطرة وأنا اصعّد في جبال الالب او اتسلق جبال منطقة البحيرات في شمال انجلترا وجنوب اسكتلندة وذكرت حينذاك قول الشاعر

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال الاّ على جسر من التعب

بقي عليّ أن أقول كلمة في تشبيهات المؤلف فقد أغرم بها غراماً . وأصبح مألوفاً أن ترى في كتابهِ مثل هذا (وأضحت كأمل البائس لا تزداد على المدى الاّ بعداً) والبحيرة (تشبه الحسناء حين تستيقظ من النعاس).والمصابيح (كأنها أشباح اليقين وسط دياجير الشك).وقديماً أغرم ابن المعتز الشاعر الخليفة بالتشبيهات فأبدع فيها . فاذا كان الدكتور عوض اغرم بالتشبيهات فهل لنا أن ننتظر منهُ الابداع ؟

اما وصفه للبحر فهو ما لم يتعرض له كاتب عربي بهذا البيان الجميل ولعله اذا سار على الضرب كان لنا منهُ كاتب عربي وصّاف للبحر يعادل « كونراد » الانكليزي مؤلف رواية Youth وغيرها من قصص البحر الرائعة

محمد عبد الغني حسن

الحكيم وليلى

تأليف توفيق حسن الشرتوني — مطبعة صادر ببيروت — صفحاته ١٥٩ قطع المقتطف بنط ٢٤ ابيض

هذا كتاب اجتماعي يبحث في أسلوب قصصي — ولا نقول انهُ قصة بالمعنى الفني المتواضع عليهِ بين نقاد الأدب— المعضلات الزوجية وما يلابسها من مشكلات الاجتماع الحديث كالخروج الى المراقص والملاهي والحفلات والمغالاة في معاقرة المشروبات الروحية فيها والتبذل في الرقص والتنزه والفسق وما الى ذلك من النواحي الادبية في الاجتماع العصري كالتربية وتنشئة الاولاد وغيرها

والبحث مسوق في قالب حوادث تدور حول سيدة تدعى ليلى تتمثل في حياتها وحياة من تعاشرهم المشكلات التي تقدم ذكرها . أما تأمل المؤلف فيها فأجراهُ على لسان الحكيم ، وهو على الغالب تأمل سمتهُ الحكمة وقالبهُ الارشاد الروحي ، ولولا نزعة قوية في المؤلف الى الوقوف موقف الواعظ او الخطيب على المنبر والى التعميم في معظم الاوصاف التي يوردها لكان الكتاب من حيث هو عرض قصصي لموضوع اجتماعي أقرب الى الاصول الفنية المتبعة في مثل هذه الاحوال . ثم اننا لا ندري ما الباعث القاهر على رسم صورة لمصابة في عقلها اقل ما يقال فيها أنها تنطوي على تلميح في غير محلهِ ولو حذفت من الكتاب لما سقط معناه ولا اضطرب سياقه

كتابان نفيسان في التربية

١ — طرق التدريس المثلى ٢ — التربية على طريقة دالتن

التربية في معناها الاسمى ، ثقافة واختبار . لاغنى لاحدهما عن الآخر . فاذا قصرتها على الثقافة ، فقد تخرج من المدرسة الى ميدان الحياة شباناً وشابات ، اصلح لصوامع النسّاك وأديرة الراهبات . والاختبار اذا لم يقم على فهم صحيح لحقائق الطبيعة والحياة والنفس والاجتماع ، فقد تلتوي نتائجهُ . ذلك ان التربية عمل اجتماعيّ ، وليس بعمل ذهنيٍ صرف . والهدف الذي تنفق في سبيله مئات الملايين من الجنيهات في مختلف الامم ليس صقل الذهن فحسب ، بل تنشئة «الرجل» كما نبغيه و« المرأة » كما نريدها . ولا بدّ لتحقيق هذا الغرض العالي ، من تدريب الملكات العقلية والخلقية معاً ، وهو التدريب الذي يؤهل الرجل والمرأة للفهم والتعاون

فالتربية بهذا المعنى ، اقلّ ما تكون اتصالاً ببرنامج التعليم وحده . واشدّ ما تكون اتصالاً بشخصية المعلم . «واذا صدق على القضاء ما قيل من ان القانون الناقص اذا طبقهُ قضاة ذوو كفاية كان اصلح للامة من قانون كامل يطبقهُ قضاة غير جديرين بالثقة ، فمثل هذا الحكم على التعليم اصدق ، لان التعليم ليس مجرد تطبيق قواعد ونصوص ، وانما هو قبل كل شيء تفاعل حيوي بين شخصية المعلم وشخصية المتعلم» (مقدمة التربية على طريقة دالتن للاستاذ القباني صفحة ز)

فاذا استقرّت في الذهن هذه الفلسفة « الكلية » للتربية ، أدركنا الفائدة العظيمة التي يجنيها المشتغلون بها والمهيمنون على مقدّراتها من كتب وضعها أعلام المربين في هذا الموضوع وتولى نشرها فريق من أعلام المربين عندنا

ان « كتاب طرق التدريس المثلى » من تأليف البروفسور بجلي ، قد تولى نقلهُ وشرحهُ الاستاذ احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية بالقدس وأستاذ التربية فيها . والمؤلف ليس مجهولاً عند عامة المعلمين فهو أستاذ مشهور بآرائه العلمية ومن مؤلفاته (ادارة الصفوف «الفصول ») الذي أخرجهُ الاستاذ الخالدي من بضع سنوات فلاقى رواجاً كبيراً في الاوساط التهذيبية في الشرق العربي ولا يزال مرجعاً هامًّا في هذا البحث

أما الكتاب الحالي فمختصر وهو يحتوي على ارشادات وأوامر ونواهٍ لفائدة المعلمين والمتعلمين ولكن اختصاره لا يعيبهُ فقد اشتملت بحوثهُ على مقاييس عامة شاملة في جميع نواحي التدريس يجدر بالمعلمين والمعلمات أن يعوها وينفذوها ولكن بعد تأمل عميق واختبار وتجريب. وفي الكتاب اشارة الى الطرق الاصولية المعروفة في التربية وبعض الطرق الحديثة ، كطريقة المشروع ومناهج الحركة ، ونظام دالتن ونظام وونتكا ، وتسميع الجماعة وتوجيه الدراسة

كلّ فقرة من فقرات هذا الكتاب ، تنطوي على درّة غالية من درر الارشاد العملي والتوجيه النفسي للمعلمين في مختلف الاحوال والحالات

واذا كان كتاب «طرق التدريس المثلى» كتاباً عاماً شاملاً لنواحٍ مختلفة ، من دون ان يخل شمولهُ واختصاره بدقتهِ وحصيف ارشاده ، فان كتاب « التربية على طريقة دالتن » ، يتناول بالبحث المفصل طريقة من طرق التعليم الحديثة ، استحدثتها هيلين باركهرست وقاعدتها ان اجتماع الطلاب فصولاً كبيرة، لا يقيم وزناً للفروق الذهنية والنفسية بينهم ، واذن فيجب ان يأخذ المعلم بعين الاعتبار قدرة كل طالب على حدة ، وتعيين عمل لهُ خاص بهِ ، يتفق ومقدرتهُ الذهنية وجلده على العمل ، لان هذه الطريقة تمكن الطالب من النمو نمواً صحيحاً ، لا يعيقهُ سبقهُ سائر الطلاب فيستهين ، ولا تخلفهُ عنهم فيتطرق الى نفسهِ الهم والخوف

واضعة هذا الكتاب هيلين باركهرست مبتكرة الطريقة ، وناقلهُ الى العربية زكريا ميخائيل خريج معهد التربية والمشرف على اصدارهِ الاستاذ اسماعيل القباني احد اساتذة معهد التربية بمصر. قال الاستاذ اسماعيل في مقدمتهِ « وقد اخترنا البدء بهذه الطريقة لاسباب عدة . فاما السبب الاول فهو ان مبتكرة الطريقة ومؤلفة الكتاب كانت عندما شرعت تفكر فيها معلمة عادية في مدرسة ريفية باميركا . وقد واجهتها ظروف خاصة فأعملت الفكر لتنظيم مدرستها على وجهٍ يلائم تلك الظروف ، مسترشدة في ذلك بنتائج اطلاعها ومشاهداتها ، فتوصلت الى طريقتها هذه ووجدت من تشجيع السلطات المشرفة على مدرستها ما مكنها من تطبيقها . وما زالت تعدلها وتكملها في ضوء التجارب ، وتستقصي نتائجها العملية ، وتوضح اسسها البيداجوجية حتى اقنعت بفائدتها رجال التربية كافة . واصبحت هذه الطريقة الآن في طليعة طرق التربية المعدودة في العالم . . . .

ولسنا في حاجة الى القول بان مكتبة المعلم في مصر وسائر بلدان الشرق العربي لا تستغني عن هذين الكتابين النفيسين

حول العالم

بقلم نزيه مسعد — صفحاته ٢٨٥ صفحة كبيرة

سلسلة مقالات نشرها كاتبها في « المقطم » يصف بها رحلته في سنة ١٩٣٦ الى اميركا بلاد العجائب وايطاليا الفاشستية فوصف بدقة وأمانة كل ما شاهده في البلاد الاميركية من معالمها وولاياتها ومتاحفها ودورها وصحافتها وخص الجزء الاكبر بالولايات المتحدة ومحادثته مع رئيس جمهوريتها ووزرائها كما افرد فصلاً خاصاً بعاصمة الصور المتحركة هوليوود وقال ان في هوليوود وضواحيها نحو ٥٣ شركة للصور المتحركة لكل منها « ستوديواتها » وافرد عدة صفحات لوصف ايطاليا الفاشستية وما شاهده فيها والنظام التعاوني الحكومي ولخص العقيدة الفاشستية من عدة وجوه وتكلم عن التربية الفاشستية ومقابلته لقداسة البابا وعن عظمة مدينة الفاتيكان

فالكتاب وصف صحفيٌّ مشوّق لما تحويه هذه البلدان من طرائف وعجائب وغرائب

محسنة مصرية كبيرة

مذكرة بحياتها ومبراتها — ليعقوب عبد الوهاب بك — دار المطبوعات الراقية

تعوّدنا ان نمجد اعمال الغرب والغربيين في مجال التحدث بالمبرات والهبات التي تنفق على الاعمال الخيرية وتشجيع العلم واغاثة البائسين لان أثرياء اميركا وأوربا ضربوا المثل في هذا الباب الخيري العظيم على مقدار ثرواتهم وما تدره اموالهم من خير عميم

ولقد اعتاد عظماء الشرق ولا سيما كرام المسلمين منهم على وقف الاوقاف ورصد ريعها للاعمال الخيرية وخصص بعضهم اوقافه لاستمرار الاقبال على العلم في الازهر الشريف ومساجد مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف وجامع الزيتونة في المغرب مما جعل سير العلم متواصلاً في تلك المساجد وسيظل ما دامت الاوقاف تدرّ خيراتها متضوّعة بمسك احاديث واقفيها

وفي يوم ٢٣ من ربيع الاول سنة ١٣٥٥ توفيت الى رحمة الله سيدة بارة تقية محسنة هي السيدة حفيظة هانم رستم حلمي الالفي حرم المرحوم يوسف بك نجيب فتحدثت الصحف بأعمالها الخيرية ومبراتها العظيمة وانتهزت الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم بالقاهرة فرصة هذه الذكرى فأقامت لها حفلة حافلة في دار جمعية الشبان المسلمين في يوم الاربعاء ٢٣ من ربيع الاول سنة ١٣٥٦ الموافق ٢ من شهر يونيه سنة ١٩٣٧ حضرها جمع حافل من اهل العلم والفضل

ومما يصح ذكره والتنويه به هنا ليكون أحدوثة طيبة للفقيدة العظيمة انها انفقت في حياتها جميع ما تملك من مال ومجوهرات وعقار في القاهرة والاسكندرية على الجمعيات الخيرية ويقدر ذلك بنحو مائة الف جنيه مقسمة على النسبة الآتية: — ١٦ قيراطاً للجمعية الخيرية الاسلامية ينفق ريعها على مستشفى الجمعية المنشأ بجهة العجوزة بالجيزة بمصر واشترطت ان يكون انفاقه على المعالجة بالراديوم وجعلت هذه الجمعية ناظرة على املاكها . وخصصت ٤ قراريط لجمعية المحافظة على القرآن الكريم وقيراطين للانفاق على الطلبة الغرباء الذين يفدون على الازهر الشريف من الصين واليابان والحبشة وقيراطين لجمعية الاسعاف العمومية بالقاهرة

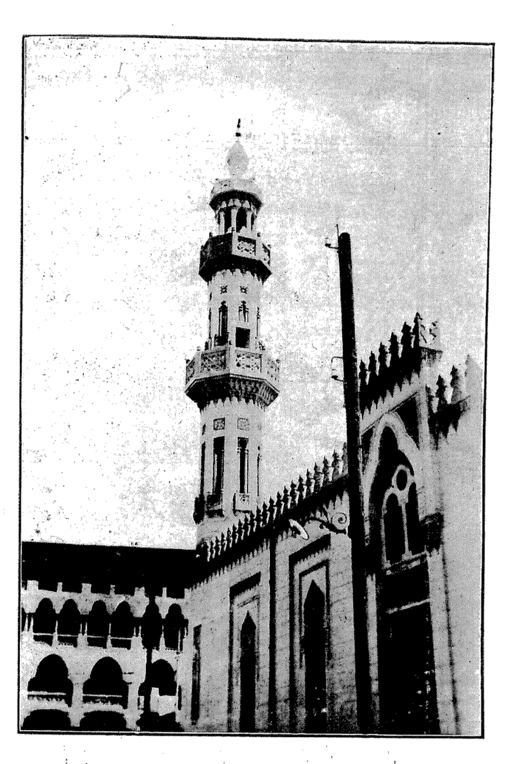
وهذا علاوة على انشائها مسجداً فخماً في مصر الجديدة بلغت نفقاته نحو تسعة آلاف جنيه وألحقت به مكتبة دينية وخصصت فيه مكاناً للسيدات ووقفت عليه اوقافاً خاصة لاستمرار الانفاق عليه

وأهدت الى جمعية الاسعاف بالقاهرة سيارة فخمة صنعت خصيصاً في مصانع رينو المشهورة كاملة المعدات وهي تجوب القاهرة وعليها قطعة نحاس سجل اليها اسم المحسنة الكريمة

ووقفت منزلين كبيرين بشارع الهرم ثمنهما عشرة آلاف جنيه على الاعمال الخيرية وأهدت الى دار الكتب المصرية خزانة من صناعة شرقية قديمة وفيها مختارات من الكتب والتحف وأوصت بأثاث غرفتي نوم واستقبال كبيرتين من الصناعة الشرقية النادرة المثال من صنع المدرسة



المحسنة الكبيرة المرحومة الحاجة حفيظة هانم رستم حلمي الالفي
حرم المرحوم يوسف بك نجيب المتوفاة في يوم السبت
٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٥٥ — ١٣ يونيو سنة ١٩٣٦



واجهة جامع حضرة صاحبة العصمة الحاجة حفيظة هانم رستم الالفي
على شارعي سعيد ونجع حمادي بمصر الجديدة أنشأته سنة ١٣٤٩
هجرية الموافق سنة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ ميلادية

الالمانية لوضعهما في معرض النماذج التابع لوزارة الصناعة والتجارة ليستفيد منها الصناع في الاعمال الدقيقة استفادة عملية وتاريخية وقد وضعت فعلاً في المعرض الدائم

هذا عدا مبراتها على الجمعيات الخيرية الاخرى والعائلات والافراد وعدا تبرعاتها في الحجاز في كل عام حجت فيهِ وكانت تتفقد المحتاجين وتغدق عليهم خيراتها ومبراتها

وان نظرة سريعة على توزيع أملاكها تبين لنا مقدار الحكمة في رصد أموالها فمن علاج للمرضى بأحدث وسائل العلاج الراديوم الذي لا يتيسر العلاج بهِ الا للاغنياء الى المساعدة على استمرار مدارس المحافظة على القرآن الى التوسيع على الطلاب الشرقيين في اثناء مكثهم في مصر واغترافهم من مناهل العلم بالازهر الشريف الى مساعدة وسائل الاسعاف بتزويد جمعية الاسعاف بسيارة فخمة ورصد حظ من المال عليها كل ذلك يدل على حكمة وبعد نظر في عمل الخير وهذا الامر يعود النصيب الوافر فيه الى مشورة مستشارها الامين وشقيق قرينها الحاج يعقوب عبد الوهاب بك ومن رجع اليهم في الرأي كمعالي جعفر ولي باشا. واذ نحن ذكرنا في هذه الكلمة مختصراً بما قامت بهِ المغفور لها من الاعمال الخيرية نجد واجباً علينا ان نشير الى ما قام بهِ المغفور لهُ قرينها المرحوم يوسف بك نجيب عبد الوهاب المتوفي في ٢٠ شوال سنة ١٣٥١ — ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٢ فقد خصص رحمهُ الله وقفيتهُ على الجمعيات الآتية: ا — جمعية العروة الوثقى ب — جمعية ملجأ ابناء السبيل ج — جمعية المؤاساة الاسلامية بالقاهرة د — جمعية المؤاساة الاسلامية بالاسكندرية هـ — جمعية المؤاساة الاسلامية بالسويس و — جمعية الاسعاف العمومية بالقاهرة ز — جمعية الاسعاف العمومية بالاسكندرية

فنستمطر شآبيب الرحمة على جدث هذه المحسنة الكبيرة وزوجها الكريم ونرجو ان يكونا قدوة طيبة للقادرين من الاغنياء في الشرق عامة ومصر خاصة م. ر.

اليابان — بلاد الشمس المشرقة

وطد الاستاذ محمد عبد القادر صبيح العزم على اصدار كتاب في كل شهر يسميه كتاب الشهر والكتاب الذي بين ايدينا هو ثالث مؤلف يضعهُ المؤلف وصف بهِ اليابان او بلاد الشمس المشرقة وقال ان كلمة اليابان غريبة عن مسامع من تطلق عليهم لان لهم عند انفسهم اسماً آخر هو داي نيبون وهو مشتق من لفظة صينية تنطق جي بن ومعناها ارض الشمس المشرقة. ثم ذكر كيف جاءت كلمة اليابان وان امبراطور اليابان يسمى الآن تنو بدلاً من ميكادو ونفوذه مستمد من قوة الحب الذى نشأ بينهُ وبين شعبهِ وان القوم يقدسون امبراطورهم حتى لا يجوز لياباني ان يحدّق فيهِ واذا مرَّ في الطريق انحنى القوم سراعاً واغلقت النوافذ والابواب. وجميع ابواب الكتاب مكتوبة بقالب ممتع يلذ القارىء مطالعتها فوصف عادات اهاليها والزلزال المخيف الذي حدث سنة ١٩٣٢ ودمر العاصمة وكيف جدّدت واستبدلت بمعالم القدم آيات الفن الهندسي في البناء. وتكلم عن الحكومة والتعليم والصحافة وخص المرأة اليابانية ونهضتها

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الحادي والتسعين

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها « ادارة المطبعة العصرية » بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

مـ	
٣٥	القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠	« « « (طبعة ثالثة)
٧٠	« « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥	« المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠	« « عربي انكليزي فقط
١٥	« « انكليزي عربي فقط
٧٠	« سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠	« « « انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠	« « « « « وبالعكس
١٠	التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢	الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٠	الفكلة الالماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥	في أوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠	عشرة ايام في السودان « « «
١٢	مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥	روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥	روح السياسة « «
١٠	الآراء والمعتقدات « «
١٠	اصول الحقوق الدستورية « «
٨	الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥	حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠	الحركة الاشتراكية (لرمسي مكدونالد)
١٥	ملتقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨	اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠	مختارات « « «
٨	نظرية التطور وأصل الانسان « «
٢٠	اناتول فرانس في مباذله ، للامير شكيب ارسلان
١٥	الدنيا في اميركا (للاستاذ امين بقطر)
١٠	المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
١٠	جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥	المرأة بين الماضي والحاضر
٥	مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥	حصاد الهشيم (الاستاذ ابرهيم عبدالقادر المازني)
١٠	قبض الريح (« « « « «)
٨	نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠	رسائل غرام جديدة (سليم عبدالواحد)
١٠	الغربال في الادب المصري (مخائيل نعيمة)
٥	حكايات الاطفال ، اول (مصور بالالوان)
٥	« « ثان « «
٥	« « ثالث « «
٥	تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥	جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)
٦٠	مراقي النجاح (الارشمندريت بشير)
٥	مريم المجدلية (موريس ميترلنك)

مـ	
١٠	التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري
٥	خواطر حمار (الاستاذ الجمل)
٥	التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥	الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥	ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠	علم الاجتماع (جزآن كبيران) « «
١٥	اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
٢٠	المرأة وفلسفة التناسليات « «
٢٠	الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥	الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠	تاييس « « « «
٥	مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠	القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠	مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢	رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠	« فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨	« الانتقام المذب (اسعد خليل داغر)
٥	« فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢	« باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢	« غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥	« روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥	« ام روكامبول ، ٥ اجزاء «
٢٠	« باردليان ، ٣ اجزاء «
٢٠	« الملكة ايزابو ٤ اجزاء «
٢٠	« الاميرة فوستا ، جزآن «
٢٠	« عشاق فنيسيا ، جزآن «
١٦	« الساحر العظيم ٤ اجزاء «
١٦	« كابيتان ، جزآن «
١٦	« الوصية الحمراء ، جزآن «
١٦	« بائعة الخبز «
١٢	« فلمبرج ، جزآن «
١٠	« فارس الملك «
١٠	« ضحايا الانتقام «
٨	« المرأة المفترسة «
٥	« المتنكرة الحسناء «
٥	« مروضة الأسود «
٥	« شهداء الاخلاص «
١٦	« دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠	« فرنسوا الاول «
١٠	« الجنون فنون « «
٨	« حورية « «
٨	« الغلامان الطريدان «
١٢	يسوع ابن الانسان جبران خليل جبران)
٥	النبي (« « «)
٥	آلهة الارض (« « «)

جائزة أسعد باسيلي باشا

لذكرى الدكتور يعقوب صروف

مائة جنيه مصري

الجائزة الاولى — خمسون جنيهاً
الجائزة الثانية — ثلاثون جنيهاً
الجائزة الثالثة — عشرون جنيهاً

الموضوع المقترح

العشرة المقدمون

في تاريخ الفكر العربي

إذا وهب واهب سخي مبلغاً كبيراً من المال لتشيد به صرحاً فخماً يضمُّ بين جدرانه كل ما خلّفهُ عشرة من الرجال ، كانوا مقدّمي رجال الفكر العربي في تاريخه المجيد ، وتتصل به مدرسة لدراسة آثارهم خاصة ، فمن نضع فيه ؟

١ — الموضوع يقتصر على الادباء والفلاسفة والعلماء

٢ — لا يجوز ادخال رجال الدين ولا رجال السياسة والحرب

٣ — لا يجوز الاختيار من الذين على قيد الحياة

لقد اجمع كلّ من عني بدراسة الحضارة العربية على انها حفظت مصباح المعرفة منيراً في أشد العصور ظلمة ، وأضاف أقطابها الى كنوز المعرفة كنوزاً جديدة لا تقوَّم بمال ، وقد ظلّ اثر بعضهم حيناً في معاهد اوربا الى مطلع العصر الحديث تدرّس مؤلفاتهم فيها بعد نقلها الى لغات الافرنج ، ولا يزال اثرهم موضوع مباحث مستفيضة يقف عليها أقطاب العلماء في الشرق والغرب جل وقتهم وجهدهم

فمن هم مقدّموهم إبداعاً وأثراً ؟ سواءٌ منهم المسلمون والمسيحيون ، والنساطرة واليهود ، والفرس والعرب والمغاربة . فكل فيلسوف وكل عالم كتب باللغة العربية يجوز اختياره لهذا الصرح ، وطبعاً كلّ اديب ؟

والحكم يكون على إحسان الاختيار من جهة ، وإحسان اقامة الدليل على وجوب هذا الاختيار من جهة اخرى . فاختيار عشرة من الرجال وسرد تاريخهم لا يكفي بل يكون الاعتماد على تبين الميزة في الرجل المختار ، واثره في ناحية من نواحي ارتقاء الفكر العربي

وقد نشرنا في عدد يونيو سنة ١٩٣٧ مقالاً لكاتب اميركي في « اعظم المفكرين في التاريخ » نحسبهُ نموذجاً صالحاً لما نقصد

شروط المباراة

١ — لا يتجاوز طول الرسالة ست عشرة صفحة من المقتطف

٢ — آخر موعد لقبول الرسائل يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٧

٣ — كل رسالة توقع باسم مستعار او برقم ويوضع الاسم الكامل مع العنوان داخل ظرف صغير مختوم . وادارة المقتطف تتعهد بأن لا تفتح هذه الظروف الاَّ بعد صدور الحكم وفي اجتماع لجنة المحكمين

٤ — تعلن أسماء أعضاء اللجنة المعيّنة للحكم في المقتطف الصادر في أول نوفمبر سنة ١٩٣٧ وقرارها نهائي

٥ — يحق المقتطف نشر الرسائل التي تدخل المسابقة أما على صفحاته وإما في كتاب على حدة

٦ — يستشار اصحاب الرسائل التي لا تفوز باحدى الجوائز من حيث رغبتهم في اظهار اسمائهم أو الاكتفاء بأسماء مستعارة عند النشر

٧ — جميع الرسائل يجب أن تكتب واضحة بالحبر او بالآلة الكاتبة وعلى صفحة واحدة من الورق وان ترسل مسجلة باسم

فؤاد صروف : رئيس تحرير المقتطف



حضرة صاحب الجلالة

الملك فاروق الأول

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الحادي والتسعين

١ اكتوبر سنة ١٩٣٧ — ٢٥ رجب سنة ١٣٥٦

حضرة صاحب الجلالة

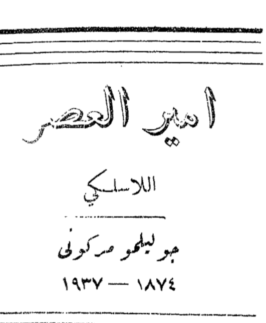
الملك فاروق الاول

وُلد في سراي عابدين في ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ — ٢١ جماد أول سنة ١٣٣٨

نودي به ملكاً في ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦ — ٧ صفر سنة ١٣٥٥

تولى شؤون الملك في ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٧ — ٢١ جماد أول سنة ١٣٥٦

هذا أول عددٍ من « المقتطف » يصدر بعد أن تولى حضرة صاحب الجلالة « فاروق الاول » شؤون الملك في ٢٩ يوليو ١٩٣٧ . لذلك يغتنم أصحاب مجلة « المقتطف » وكتّابها هذه الفرصة لرفع فروض الولاء الى مقامهِ السامي ، والدعاء لهُ بالعزّ وطول العمر ، وللديار المصرية في عهدهِ بالرخاء والارتقاء ، مجدّدين العهد على خدمة العلم في ملكهِ الزاهر كما خدموهُ في ملك والده العظيم وأسلافهِ الكرام



موجز سيرته

انطوت بوفاة مركوني في ٢٠ يوليو سنة ١٩٣٧ صفحة من اعجب الصفحات العلمية واخلدها على الدهر . فهو واديصن يذكران بأله الاساطير اليونانية الذي أخذ النار من الآلهة ووهبها للبشر . فاديصن وهبنا النور الكهربائي ومركوني اصبح اسمهُ مرادفاً لهذه الامواج السحرية التي يحفل بها الفضاء حاملة في ثناياها ما شاء الانسان ان يحملها بهِ من علم وفضل أو من جهل وشحناء . فالرواد في مجاهل الارض يستغيثون باللاسلكي والسفن في عرض البحر تستنجد بهِ إذا حزب الامر،والدعاية السياسية والاجتماعية تذاع باللاسلكي والموسيقى الفخمة والحركة تطوق الارض على اجنحة الامواج اللاسلكية وكذلك الانباء والاحاديث والمواعظ والاعلانات . ثم ان الطائرات الخالية من السواقين تطار وتدار في الجو وتلقي القنابل وكذلك السفن والطائرات ترشد إلى الموانىء والمطارات المكتنفة بالضباب بالامواج اللاسلكية العجيبة

والرجل الذي حول بسحر فكره وابداعهِ الاقوال النظرية في هذا الموضوع الى حقائق تسمع وتلمس هو هذا الرجل الذي فقده العالم : جوليلمو مركوني أمير العصر اللاسلكي !

ولد مركوني من والد إيطالي وأم ارلندية في بولونا بايطاليا في ٢٥ ابريل سنة ١٨٧٤ وما شب حتى بدت عليهِ مخايل النجابة والتفوق ومال من حداثته الى العناية بالأمور الكيمياوية وكانت أمهُ ذكية فشجعتهُ على توسيع نطاق معارفه بشراء الكتب اللازمة واتت له بمعلم بل وبنت لهُ كذلك معملاً صغيراً ليجرب التجارب العلمية فيه

فلما بلغ سن الدراسة انتظم في مدرسة بليجورن ومنها انتقل الى جامعة بولونا وهي من أقدم الجامعات في أوربا ان لم تكن اقدمها على الاطلاق . وهناك تلقى العلم على الاستاذ ريغي واتجه

ميله العلمي الى الكهربائية . ولما كان في السادسة عشرة من عمره عني بمبادىء المخاطبات اللاسلكية وكان قد تعلم في تاريخ علم الطبيعة ما فعلهُ لندسي الاسكتلندي والسر وليم بريس من ارسال اشارات فوق نهري التاي والسولنت والتقاطها

وكذلك شرع مركوني يجرب التجارب في أراضي والده وثابر على التجربة فاصبحت البوصات أذرعاً والأذرع اميالاً وكذلك استطاع رويداً رويداً أن يثبت ان الامواج الكهربائية التي يولدها تسير في الفضاء مسافات طويلة غير متأثرة بالآكام والمباني وغيرها من العقبات والحوائل الطبيعية التي تعترض سيرها . فلما كان في السنة الثانية والعشرين من عمره كان قد أحرز نصراً باهراً في الميدان الذي آثرهُ لنفسه . وفي سنة ١٨٩٦ أخرج « الباتنتة » الاولى للتلغراف اللاسلكي فتحداه كثيرون ولكنهُ لم يعبأ بأحد بل مضى في طريقهِ في هدوء وسكينة وثقة بالمستقبل . وسافر الى انكلترا حيث جرب تجارب تثبت ما يدعيهِ وبحضور كبار موظفي ادارة البريد البريطانية أرسل الرسائل اللاسلكية عبر برزخ برستول والتقطها . ثم جعل يزيد المساحة بين محطة الارسال ومحطة الالتقاط في بضع السنوات التي تلت . ومما يؤثر في هذا الصدد ان لورد كلفن أمير علماء الانكليز في أواخر القرن التاسع عشر كان أول من أرسل رسالة لاسلكية ودفع أجرتها

عند ذلك انتبه الناس الى هذه الطريقة العجيبة الجديدة في المخاطبات وكان أشد الناس انتباهاً لها اقطاب وزارة البحرية البريطانية لانهم رأوا فائدة استعمالها في السفن الحربية وكان مركوني لا يني عن التصريح بثقتهِ بأنهُ سوف يرسل الاشارات اللاسلكية عبر المحيط الاطلنطي فسخر منهُ بعض علماء الطبيعة قائلين ان الامواج اللاسلكية من قبيل أمواج الضوء تسير في خطوط مستقيمة ولا تنحني مع انحناء الارض الكروية فنقل الرسائل بها بين شاطئي المحيط الاطلنطي متعذر تعذر ارسال شعاعة من الضوء بينهما

ولكن مركوني لم يحفل بالقول النظري فأعد التجربة العملية لامتحان ذلك القول ولعلَّ إقدامه على ذلك من أخلد المآثر التي كتبها في سفر العلم الحديث لان التجربة التي جربها أثبتت أمرين أحدهما عملي وهو امكان ارسال الرسائل اللاسلكية على مسافة بعيدة والثاني نظري وهو ان الامواج اللاسلكية تنحني بانحناء الارض ولا تعترض كروية الارض سبيل هذه الامواج . ولسيرها على هذا النمط تعليل طبيعي استنبطهُ علماء كبار مثل هيفسيد وكنلي وابلتون وغيرهم

أما حديث ارتقاء المخاطبات اللاسلكية بعد تجربة مركوني الحاسمة فحديث زيادة القوة المولدة في الاجهزة المرسلة واتقان الاجهزة اللاقطة حتى يدق شعورها بالامواج وبعد المسافات التي تطويها الرسائل اللاسلكية بين المذيع واللاقط . فلما استنبط دي فرست الانبوب المفرغ أصبحت المخاطبات التليفونية اللاسلكية والتلفزة ونقل الصور السلكي واللاسلكي من الامور العادية التي نسمع

بها كل يوم فلا ندهش لاننا ألفناها مع انها لو عرضت على عالم من علماء سنة ١٩٠٠ فقط لما صدق حسه فيما يرى ويسمع

وبعد ما بلغت المخاطبات اللاسلكية والتلغرافية والتليفونية الشأو العظيم الذي بلغته بعيد الحرب الكبرى قال مركوني في نفسه ليس من الطبيعي ان تنفق هذه الطاقة الكهربائية الهائلة في توليد الامواج اللاسلكية التي تعبر المحيطات . ان الطبيعة في صميمها تميل الى الاقتصاد في الجهد أفلا نستطيع ان نستعمل أمواجاً لاسلكية أقصر من الامواج اللاسلكية المستعملة الآن . فاذا كان ذلك ممكناً فعندئذٍ نستغني عن المولدات والاجهزة الكهربائية الضخمة التي لا بدّ منها لتوليد الامواج الطويلة وارسالها في الفضاء ونكتفي بمولدات صغيرة تولد الامواج القصيرة . وما خطر له هذا الخاطر حتى عاودته حماسته الاولى فشرع يجرب التجارب من جديد ومعمله الرئيسي يخته « اليترا » يجوب عليه البحار ويتلقى الرسائل بالامواج القصيرة ترسل اليه من محطات مذيعة معينة فجمع الحقائق قبل الاقدام على الحكم . فلما استتب له الأمر اخرج نظام « البيم » الذي تعتمد عليه الامبراطورية في مواصلاتها . والرسائل التي ترسل بهذه الطريقة أقل نفقة لأن الطاقة المولدة للامواج القصيرة أقل من الطاقة المولدة للامواج الطويلة ، واوضح لانها لا تتفرق في كل الجهات بسبب العواكس التي تعكسها وهي لذلك يمكن كتمانها بعض الكتمان لأن المحطات اللاسلكية لا تستطيع التقاط الرسالة الاّ اذا كانت في ممر الشعاعة

وبعدما جرب تجاربه بالامواج القصيرة وبعد انشاء نظام عملي للمخاطبة بها عمد الى الامواج المتناهية في القصر وهو ما يعرف بالانكليزية ultra-short waves) ومن احدث نتائجها هذه الطريقة التي استنبطها لارشاد السفن والطائرات في جو ملبد بالضباب الى الموانىء والمطارات

وقد منح مركوني جائزة نوبل العلمية سنة ١٩١٩ وطائفة كبيرة من المداليات والاوسمة العلمية ومنحته حكومة ايطاليا لقب مركيز وعينته رئيساً لاكادمية العلوم ولكن هذا قليل ازاء ارتباط اسمه بعجائب العصر اللاسلكي

التجربة الحاسمة

كان مستقبل المخاطبات اللاسلكية في سنة ١٩٠١ معلقاً في الميزان . وكان بعض الكتّاب من أصحاب الخيال الوثّاب ، قد تنبأوا بحلول يوم يستطيع فيه رجل مقيم في ضيعة من ضياع جبال الاندس أن يتكلم بصوت كهربائي مغناطيسي فيسمعهُ في اية بقعة من بقاع الارض ، كلُّ مَن يملك أذناً كهربائية مغناطيسية . اما المهندسون وعلماء الطبيعة الذين كانوا يتناولون حقائق الاذاعة والالتقاط تناولاً عمليًّا ، فكانوا أضعف إيماناً بتحقيق هذا من الكتّاب الخياليين . كان علماء



امير العصر اللاسلكي

جوليلمو مركوني

١٨٧٤—١٩٣٧

الطبيعة قد قالوا ان الامواج اللاسلكية هي امواج ضوئية لا ترى . وانها كامواج الضوء تسير في خطوط مستقيمة ، وان نقل الرسائل . بها بين شاطىء المحيط الاتلنتيكي متعذر تعذّر ارسال شعاعة من الضوء بينهما . وذلك لشدة تحدُّب الارض فيرتفع حاجز علوُّهُ نحو مائة ميل بين اوربا واميركا لا تستطيع الاشعة أن تنحني حوله

على ان العالِم يسلم بالنظرية — مهما تكن معقولةً — بشيءٍ من التحفظ . لانها قد تمكنهُ من تعليل ظاهرات غريبة تعليلاً مقنعاً ، ولكنها يجب ان تخضع للامتحان العملي . هذا هو مصير جميع النظريات العلمية من نظرية نيوتن الى هذا القول الخاص بالامواج اللاسلكية. فاذا صحّ ما يقال عن الامواج اللاسلكية وانها تنبعث من مصدرها في خطوط مستقيمة ، لا تنحني ، فهذه نهاية حلم جميل قوامهُ المخاطبات اللاسلكية الدولية العامة ! وقد كان من نصيب مركوني أن يبدع التجربة العملية لامتحان هذا القول النظري

المشهد في جزيرة نيوفوندلند والتاريخ يوم ١٢ دسمبر سنة ١٩٠١ . هوذا مركوني جالسٌ في غرفة قاتمة جافية ، على أكمة تدعى أكمة سغنَل ، وعلى اذنيهِ سماعة تلفونية شديدة الاحساس ، ووجههُ يفيض بشراً وبشاشة على مساعديهِ . وكان احدهما — كمب — متقلداً سماعة تلفونية كرئيسه

تكْ . تكْ . تكْ

فقال مركوني لكمب — هل سمعتَ ؟

فقال كمبْ — نعم سمعتُ

ما أروع وقع هذه النبضات في أذنيهما ! ثلاث نبضات لا أكثر ولا أقل ! ..

وماذا تعني هذه النبضات ؟ انها تمثل حرف « S » المتفق عليهِ مع رجال محطة الارسال في انكلترا ليبعثوا بهِ فوق ١٨٠٠ ميل من المحيط الاتلنتيكي . هنا رغماً عن تحدُّب الارض ، سمع مركوني ومساعدهُ ، النبضات الثلاث ، المتفق عليها ، المرسلة من انكلترا ، فثبت لهم ان الامواج اللاسلكية تنحني فتجاري بانحنائها تحدُّب الارض

كان مركوني قد ارهق نفسهُ قبل هذا ، سنين طوالاً ، للوصول الى هذه النتيجة . فيوم ١٢ دسمبر سنة ١٩٠١ ، يوم خالد في تاريخه ، لانهُ يوم النصر . اعطهِ الطاقة اللازمة بعد الآن ، وثق ان لا شيء يصدُّهُ عن ان يرسل رسائل مفهومة فوق القارات والمحيطات ، الى اقصى البلدان ! امواج تسير حول الارض بسرعة الضوءِ ، تحمل في طيّاتها ، او تنقل على اجنحتها ، ما تشاء ، وتمرُّ خلال التلال والمباني كما تخترق اشعة الشمس ألواح الزجاج — ما هذه الرؤيا العجيبة !

ولا يفوز في مثل هذه الاحوال المثبطة للهمم ، الاّ من كان مدفوعاً بشعلة القديسين المستشهدين . فالفصل فصل الشتاء . وبولدهو — المحطة الانكليزية — تكتسحها عاصفة ، لا تقلُّ عنها العاصفة التي تكتسح « سغْنَلْ هِلْ » — المحطة في نيوفوندلند . والامواج يجب ان تذيعها وتلتقطها اسلاك قائمة على اعمدة مرتفعة . فأقام مركوني في بولدهو اعمدة علوها ١٣٠ قدماً . فبلغت نفقة كل منها ٢٤٠ جنيهاً وهو في حاجة الى نحو عشرين عموداً منها . ولكن الرياح العاتية تهدم ما يبني . فمن العبث بذل الجهد والمال . على أن ماركوني مضى في عمله ، فبنى أعمدة نقّالة في بولدهو وأقام عليها الاسلاك الهوائية وامتحنها في التقاط رسائل مرسلة من مكان قريب ، ففاز بالتقاط اشارات شديدة الوضوح فأسرع في سفره الى نيوفوندلند

ان اقامة الاعمدة هنا متعذر ، لقلة المال والصعوبات الفنية التي لا بدّ من تذليلها . ولكن الذكاء يفتق الحيلة ، ولا بدّ من رفع الاسلاك في الجو . فاستعمل مركوني الطيارات والبالونات التي يطيرها الاولاد . ولكن الرياح كانت عنيدة في مقاومته ، فكانت تمزق الطيارات او تقطع أوصالها ، فظلّ يطير واحدةً اثر أخرى ، حتى ثبتت احداها لحة في الجوّ تمكنت في اثنائها من التقاط النبضات الثلاث ، وفي اللمحة التالية مزقتها الريح وقطعت حبلها . ولكن مركوني احسّ بشيء من الفتور والكآبة في ساعة انتصاره . اي دليل عنده يقدمهُ على نجاح تجربته . فليس ثمة اية وثيقة تبرهن عليه . ليس هناك الاّ ثلاث نبضات اثيرية طرقت سمعهُ وسمع صديقه . ايصدقهُ العالم ؟ فتردّد قبل ان اذاع النبأ ولكن لما صدرت صحف الصباح ، حاملة في صفحاتها المقدمة انباء التقاط الاشارات اللاسلكية الاولى ، المرسلة من اوربا الى اميركا ، سرت هزة كهربائية في شعوب اوربا وأميركا . ويقال ان اديصن بلغهُ هذا النبأ فلم يصدقهُ ، فلما رأى بياناً مذيلاً بتوقيع مركوني قال : اصدق الآن فان مركوني مجرب ذكي ألمعي ، وجدير بالثقة والاحترام

لم يكن مركوني ، قد فاز ، قبل ذلك بارسال الاشارات اللاسلكية مسافة تزيد على اربعمائة ميل ، ومع ذلك بعث نجاحه في ارسالها هذه المسافة (٤٠٠ ميل) الدهشة في نفوس الناس . على ان نجاحه في ارسال الاشارة اللاسلكية فوق المحيط الاتلنتيكي لا يرجع الى اقدامه وثقته بنفسه الفنية فقط ، بل يرجع الى نظرية كانت عنده بمثابة العقيدة . فقد كان يعتقد اعتقاداً راسخاً ان الامواج اللاسلكية تتحدب حول الارض ، ولو خطّأه في ذلك جمهور العلماء . وهذه تجربة نيوفوندلند ، تثبت انهُ على صواب . فهي من اعظم التجارب في تاريخ العلم ، دع عنك مقامها وأثرها في المخاطبات الكهربائية ، ولعلها الباعث على منحه جائزة نوبل الطبيعية ولم يبطئ العلماء في استخراج النتائج من النبضات الكهربائية الثلاث التي تلقاها مركوني

في نيوفوندلند ، فعني بها لورد راليه ثم أكمل هيفيسيد النظرية العلمية الخاصة بتعليل سيرها من الوجهة الرياضية . فقال ان فوق سطح الارض ، على ارتفاع معين، طبقة من الهواء المكهرب . تبعث الشمس بأشعتها ، فتنزع بعض الالكترونات من ذرات الغازات في الهواء — فتتكهرب الذرات وتصبح ايونات . وهذه الطبقة المؤينة (ionized) تفعل كعاكس . فبدلاً من ان تنطلق الامواج اللاسلكية وتتبعثر في الفضاء تردّها هذه الطبقة الى سطح البحر وهذا يردها الى طبقة هيفيسيد وهكذا تروح وتجيء الامواج اللاسلكية بين طبقة هيفيسيد وسطح البحر وهي تتقدم دائماً الى الامام حتى تصل الى حيث تلتقطها سماعة حسّاسة . وعليه فطبقة هيفيسيد -- وقد اصبحت الآن حقيقة علمية مسلماً بها وتلتها طبقات أخرى — نتيجة مباشرة لتجربة مركوني المذكورة

مقدمات الاختراع

أما ما سبق ذلك فتلمس النور في دياجي الجهل،وهو سبيل الاكتشاف والاختراع الطبيعي

كان جوزف هنري العالم الطبيعي الاميركي قد لاحظ سنة ١٨٤٢ أن شرارة كهربائية صغيرة تبعث شيئاً في الفضاء ، ثم جاء العالم المجرّب الالمعي داڤيد هيوز ، مستنبط الميكروفون فجرّب بعض تجاربه بالشرارات الكهربائية . فتمكن من استعمال ميكروفونه لالتقاط بعضها . ثم وجد اديصن انهُ يستطيع ان يقدح شراراً كهربائيًّا في مادة معزولة اذا كان على مقربة منها مادة تنطلق منها كهربائية

على ان العقل الانساني ، وعلى الاخص العقل العلمي ، لا يلبث أن يقيم العراقيل . ويبدع الاعتراضات على كل فكر جديد . وهكذا نجد ان السر جبرائيل ستوكس ، وهو من اكبر علماء الطبيعة الرياضية في عصره يقول ، ان ما لاحظه هيوز سبَبُهُ ارتشاح الكهربائية . واجرى سلڤانوس طمسن تجربة فعل اديصن وعللهُ بمبادىء معروفة . وذلك لان العلماء كانوا ينفرون من القول بأن الكهربائية تقفز من نقطة الى نقطة من غير موصل بين النقطتين . وكذلك ظلت مباحث هنري وهيوز واديصن في زوايا الاهمال . وليس ثمة سبب فني كان يمنع استنباط التلغراف اللاسلكي حينئذٍ — اي في العقد السابع من القرن الماضي . ولكن العالم ، لم يكن مستعدًّا ، من الوجهة النفسية ، لاستنباط طريف كهذا . فقد كانت تعاليم فراداي الكهربائية لا تزال موضوع عناية محصورة في أفراد قلائل ، وتلغراف مورس نفسهُ كان لا يزال ضيق النطاق

والرجل الذي كان لهُ أجلّ أثر في تهيئة الذهن العالمي للنظرية اللاسلكية هو جيمز كلارك

مكسول — خالق الاثير الحديث . كان بعض العلماء قبله قد فرضوا الاثير لتعليل انتقال الضوء من كوكب ما الى عين الرائي مثلاً . ولكن أثير مكسول كان وسطاً لانتقال أشعة كهربائية مغنطيسية ، بعضها قصير الامواج كأشعة النور فنراه ، وبعضها أطول قليلاً كأشعة الحرارة فنحسّهُ ولا نراه وبعضها أطول جدًّا يتباين طولهُ من بوصة الى ميل أو اكثر ، فلا نراه ولا نحسهُ ، وهو الاشعة اللاسلكية

وكانت أشعة النور والحرارة معروفة . ولكن ماذا يقال في الاشعة طويلة الامواج التي لا ترى ولا تحسّ . كان اكتشافها المشكلة الكبرى التي اعترضت علماءَ الطبيعة في العقد الثامن من القرن الماضي . وجاء هرتز Hertz سنة ١٨٨٦ بكشافهِ الكهربائي وهو حلقة من معدن غير متصلة الطرفين بل لها طرفان يكادان يتماسان . فاستعملها في معمله بعد تعتيمه ، فلاحظ ان شرارة كهربائية صغيرة تمرّ بين طرفي الحلقة اذا أطلقت شرارة أكبر في طرف المعمل الاقصى فبعثت في الفضاء امواجاً كهربائية . فهذا دليل لا يمارَى فيهِ على وجود تلك الامواج الطويلة التي لا ترى — وهي الامواج التي تنبأ بها مكسول . واجرى هرتز امتحانهُ في هذه الامواج فعكسها ، وأمرّها في موشورٍ — اي كسّرها — وجرّب بها كل تجربة ليتأكد من مشابهتها او قرابتها لامواج الضوء . وأذن فهذا شكل جديد من اشكال الطاقة لم يكن معروفاً قبل مكسول . اكتشفهُ مكسول نظريًّا وأثبت هرتز وجوده بالدليل التجريبي

إذن نستطيع أن نرى الآن ، لماذا ظلّت مباحث هنري وهيوز واديصن عقيمة لم تسفر عن استنباط التلغراف اللاسلكي في حينها . ذلك لانهم كانوا يجهلون طبيعة القوى التي يتناولونها. ولم يتمكن أحد منهم ان يوحد بينها وبين معادلات مكسول الرياضية . ولكن لما بدأ هرتز تجاربهُ بدأها من ناحية جديدة ولا يبعد أنهُ كان عارفاً بمباحث هنري وهيوز واديصن . فهم كانوا باحثين عمليين . ولكنهُ كان قد وعى مباحث مكسول النظرية ، ففهم الشيء الذي يبحث عنهُ ووجده

مركوني يدخل الميدان

هنا دخل مركوني الميدان . ها هو ذا تلميذ فتيٌّ في مدينة بولونا والاستاذ ريغي Righi احد الاساتذة الذين يتلقى عليهم ، يحاضر الطلاب متحمساً عن هرتز ومباحثهِ ويشهدهم كيف تطلق الامواج وكيف تلتقط فيفتن البحث لب مركوني . ان خياله المتصل من ناحية ابيهِ بخيال الايطاليين ومن ناحية امهِ بخيال الكلتيين Celts حفزتهُ الرؤى والاحلام . فعزم على ان يتعلم كل ما يعرف عن الامواج . وأكب على البحث والتجربة في حديقة ابيهِ وفي العشرين من العمر اصبح ثقة في موضوع الامواج ، لا يفوقهُ فيه احد . ثم انهُ يفوق كل

الثقاة الآخرين بخاطر لم يخطر لمكسوِل ولا لهرتزل ولالريغي. انهُ يستطيع ان يطلق الامواج ويوقفها بحسب رغبته وهو الى ذلك يستطيع ان يرسل سلسلة طويلة من الامواج او سلسلة قصيرة. فالسلسلة الطويلة تمثل خطاً والسلسلة القصيرة تمثل نقطة — وهذا هو اساس شفرة التلغراف السلكي ! إلاّ ان تنفيذ فكرة مركوني لا يقتضي سلكاً بين المرسل واللاقط

وكان مركوني متصلاً من ناحيتي أمهِ وأبيهِ بكبار القوم في ايطاليا وانكلترا فأخذ كتاب توصية الى السر وليم بريس أحد زعماء المهندسين التلغرافيين حينئذٍ والرئيس الفني لمصلحة البريد البريطانية . ثم ان بريس كان قد اشتهر بتجاربه في محاولة اختراع تلغراف تقوم فيهِ الارض مقام السلك . فلما وصل مركوني الى لندن سنة ١٨٩٦ أحسن بريس وفادته وأصغى اليهِ فأقنعهُ مركوني — وهو في الثانية والعشرين — بأن التلغراف القائم على أمواج هرتز أفضل من التلغراف الأرضي

ولم تكن آلة مركوني التي عرضها في انكلترا حينئذ آلة طريفة كل الطرافة . ففي الجهاز المرسل مفتاح مورس المعروف . وفي الجهاز اللاقط كشاف أو روابط استنبطهُ برانلي الفرنسي وحسَّنهُ لودج الانكليزي . والامواج ترسل من سلك مرتفع — وهو جهاز يعيد الى الذهن تجارب تسلا Tesla — ولكن السلك مغروس في الارض وهو من ابتداع مركوني

ومع ذلك فهو اختراع عظيم ! انهُ تنظيم لاجزاء قديمة معروفة على منوال جديد ، كذلك كان تلغراف مورس وحاصدة مكورمك وطيارة ريط ! يمضي الباحثون يتلمسون الطريق عشرات السنين ، ثم تنجب امٌّ عقلاً جباراً يميل الى نظم الحقائق في سمط جديد فيختار حقيقة من هنا وعنصراً من هناك ثم يركبها معاً — واذا نحن امام اكتشاف جديد او اختراع طريف او فن مستحدث ! فك الآلة الجديدة الى اجزائها فلا ترَ فيها سوى اجزاء معروفة مشهورة . ولكن ركبها معاً كما ركبها المخترع واذا أنت امام آلة جديدة تنتج لك نتائج جديدة — وهذا هو سر الاختراع ! كل هذا ينطبق على الجهاز الذي عرضهُ مركوني على بريس

وفي نهاية سنة ١٨٩٧ كان مركوني قد فاز بارسال اشارات لاسلكية مسافة عشرة أميال والتقاطها . مع ان ارسالها مسافة نصف ميل كان من وراء تصور المهندسين الكهربائيين كما قال بريس بعدئذٍ في حديث لهُ عن نشأة اللاسلكي . ولا ريب في أن بريس جدير بالذكر في تنشيط اللاسلكي وهو في مهده ، لانهُ حمل مصلحة البريد البريطانية على تمهيد سبيل التجارب لمركوني وأعوانهِ . وأقبل الماليون على الاختراع الجديد فتألفت شركة جمل خبيرها العلمي السر امبروز فلمنغ وابتاعت من السر الفر لودج امتيازاتهِ في ضبط « دوزنة » الآلات اللاسلكية وهكذا مهدت الطريق للتجربة الفاصلة في ١٢ دسمبر سنة ١٩٠١

دير سانت كاترين

بطور سينا (١)

للمستر رابينو

قنصل انكلترا الجنرال في مصر

١ — تاريخ الدير — الرهبان

لشبه جزيرة طورسينا شأن كبير في تاريخ العالم الديني . وسنستثني من بحثنا هذا عبادة القمر ونشر لوحات الوصايا العشر ، فان هذين الموضوعين كانا محل دراسات عدة

كان الطريق الذي يربط فلسطين بمصر يخترق الجزء الشمالي من شبه الجزيرة . اما الجزء الجنوبي فقد كان مشهوراً بمناجم الفيروز على الخصوص . وهو اقليم مجدب جبلي ولاسيما في الجنوب حيث توجد قمم سربال Serbal (٢٠٥٧ م) وجبل موسى (٢٢٤٢ م) وجبل اكاتريني Ekaterini (٢٥٩٧ م) ورأس صفصاف (١٩٩٢ م) . وفي الجزء الجنوبي جبل تبت Thebet (٢٤٠١م) وجبل ام شومر (٢٥٧٤م) وجبل ام اسود (٢٥٠٨م) . وجميعها من اشد البقاع وعورة

اما جبل موسى فيقال انهُ المكان الذي اصدر الله فيهِ الى موسى الوصايا العشر وان كان بعض الكتاب يرى ان هذا المكان هو رأس صفصاف . واما جبل اكاتريني فهو اكثر الجبال ارتفاعاً في شبه الجزيرة ويقال انهُ هو الذي حملت اليهِ الملائكة جثمان العذراء الشهيدة القديسة كاترين . وقد تلاشت منذ حقبة طويلة من الزمن اشجار الأثل tamaris وحراج النخيل التي كانت تكسو جانباً من وديان طورسينا

اما معابد وادي مغارة وسرابيت Serapit فقد اسهب الكتاب في وصفها . ثم ان في الجبل كتابات كثيرة فرعونية وعلى ذلك فلن نعرض في هذا البحث لاقامة بني اسرائيل في طورسينا ولا لإقامة الاقباط ، فكتابات هؤلاء تكاد تكون موجودة في الوديان في كل مكان ولاسيما في وادي مقطب

والنساك هم الذين أكسبوا هذا الاقليم شهرة طوال العصور المسيحية ، فقد لجأوا اليهِ على أثر اضطهاد الحكام الرومان اياهم ، لما يمتاز بهِ من العزلة والوحشة فأقاموا في جبال شبه الجزيرة

(١) نقلها الى العربية محمد وهبي افندي أحمد خريجي معهد الآثار الاسلامية

الجنوبية حيث كانت عيون الماء ومجاريها وكان في الامكان زراعة الحبوب والخضر وأشجار الفواكه

وكان أول ناسك هو القديس اونوفريوس Onophrius الذي التجأ الى مغارة في وادي ليان Leyan جنوبي جبل موسى في بداية القرن الرابع ثم جاء بعده كثير من النساك الذين خلفوا آثاراً في كل مكان وسرعان ما تكونت مراكز في كل منها برج يلجأ اليه النساك ساعة الخطر . ومن هذه الابراج برج بالقرب من ريثو Raithou وقد اندمج فيما بعد في دير القديس يوحنا ، وبرج مهدم في اربعين Arbain وكان هناك برج آخر في موضع العليقة المتوقدة[1] Buisson-Ardent على مقربة من المكان الذي قام فيه دير سانت كاترين الحالي ويقال ان الامبراطورة سانت هيلين بنت هذا البرج حوالي سنة ٣٣٧

وان طورسينا لغنية جداً في تاريخ القديسين والشهداء فقد قتل عبيد البجة[2] والعرب كثيراً من النساك وكان الرهبان عرضة دائماً لغارات الاعراب فتوسلوا الى الامبراطور يوستنيانوس ان يبني لهم ديراً يجدون فيه مأمناً فأجاب سؤلهم وحقق رجاءهم واخذ الدير على مدى الزمن يكتسب الشهرة فلما نقل اليه جثمان القديسة كاترين علت شهرته فأمّهُ الحجاج والفرسان المسيحيون منذ البداية حتى القرن الخامس عشر الذي انفصل فيه الرهبان عن روما فصار الدير من ذلك الوقت مقصد بعض الحجاج اللاتين وكثير من الحجاج الارثوذكس وبعض السياح والعلماء . وسيكون هذا الدير موضوع حديثنا في الصفحات الآتية :

لما توسل رجال الدين المشتتون على جبال طورسيناء وفي وديانه الى الامبراطور يوستنيانوس أمر ببناء دير محصن كما قدمنا على قمة الجبل الذي يوجد في سفحه المكان المعروف باسم العليقة المتوقدة أو المشتعلة غير ان مندوب الامبراطور آثر أن يبنيه عند سفح الجبل بالنظر الى الجو وضيق المساحة وانعدام الماء ، ويقال إنهُ قتل بسبب هذه المخالفة

وأرسل الامبراطور في الوقت عينه الى طورسينا مائة من عبيد اقليم ولاخيا Wallacinc

---

(١) Buisson-Ardent وأصل هذه التسمية ظهور الله عز وجل لموسى وسط نبات من الشوك المتوقد جاء عنه في الاصحاح الثالث من سفر الخروج : « وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان . فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب . وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم . لماذا لا تحترق العليقة . فلما رأى الرب انه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى! موسى! فقال هاأنذا . فقال لا تقترب الى ههنا . اخلع حذاءك من رجليك لان الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة » وقد جاء في القرآن الكريم في سورة طه « وهل أتاك حديث موسى ، اذ رأى ناراً فقال لاهله امكثوا اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما آتيها نودي يا موسى اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى » (٢) ذكر شفيق باشا في كتابه « مذكرات عن زيارة الى دير طورسينا » ص ١١ أن من سلالة عبيد البجة البشاريين سكان شرقي أسوان وبلاد النوبة في أيامنا هذه ، وكان عبيد البجة يعبرون الى سينا للغزو من صحراء مصر الشرقية

ومائة أخرى من مصر مع نسائهم وأولادهم للقيام بحماية الرهبان وخدمة الدير . ولا يزال خلف أولئك العبيد يخدمون الدير وهم مسلمون ويقوم الرهبان باطعامهم

وقد كان البابا غوريغوريوس الكبير (٥٩٢ — ٦٠٤) أحد الذين أحسنوا الى الدير . وروى حاج إلى الدير سنة ١٣٤١ أن الرهبان كانوا يحتفلون بذكرى ذلك البابا احتفالاً فخماً

وقد اعترف الرهبان بسيادة البابا حتى أواسط القرن الخامس عشر ثم اعتنقوا عقيدة فوتيوس Photius الذي انشق على الكنيسة ومع ذلك فقد ظلوا يبعثون منهم من يجمع لهم التبرعات من البلاد الكاثوليكية والتبرعات السنوية التي كان يجود بها لويس الحادي عشر ملك فرنسا وإزابلا ملكة أسبانيا (١٤٨١ — ١٥٠٤) والامبراطور مكسيمليان الأول (١٤٩٣ — ١٥١٧)

وقد قاسى الدير كثيراً على أيدي العرب الذين لم تردعهم الفرمانات السلطانية العديدة التي أوجبت عدم التعرض للأرواح والاموال بسوء، فاضطر الرهبان مرات عديدة الى أن يهجروه ويلتجئوا الى الطور Tor أو إلى مصر. ولذا كان الدير خالياً عند زيارة جان توخر Jean Tucher من مدينة نورمبرج سنة ١٤٧٩ . وطرد العرب الرهبان من الدير سنة ١٥١٦ اثناء الحرب بين الاتراك والمماليك . وكان الدير مغلقاً مدة أربع سنوات أو خمس في منتصف القرن السادس عشر ثم كان مغلقاً ايضاً في سنة ١٥٦٥ وفي سنة ١٦٠٠، كما كان مغلقاً كذلك في سنة ١٦١٨ وهي السنة التي انتخب فيها ايوزاف Ioasaph مطراناً في طورسينا وأمر بفتحه ، غير أنهُ اغلق ثانية بعد اربع عشرة سنة وكذلك كان بين سنتي ١٦٥٦ و ١٦٦٠ وبين سنتي ١٧٣١ و ١٧٣٣ وأثناء الحملة الفرنسية على مصر حتى أمر كليبر ببناء السور. واختلف عدد الرهبان كثيراً باختلاف الازمنة ففي سنة ١٠٠٠ كان ثلثمائة وفي سنة ١٣٣٦ وجد فيه بيتر رودلف Peter-Rudolf وأصله من مدينة زوخن نيفاً واربعمائة ، مع مطرانهم وعدداً من الاحبار. وروى فريسكوبالدي Frescobaldi ورفقاؤه أنهُ كان بالدير سنة ١٣٨٤ مائتا راهب منهم ١٥٠ بالدير الكبير والبقية موزعون على كنائس الجبل الصغيرة . وكانوا ٢٨٠ سنة ١٣٩٣ وفي سنة ١٣٩٥ وجد نيقولا دي مارتوني Nicolas de Marton[1] ٢٤٠ راهباً ، غير ان بيرو طافور Pero Tafur لم يجد سنة ١٤٣٥ الاّ ٥٠ او ٦٠ راهباً وكان الدير يجتاز حينئذ ازمة شديدة . اما فيليكس فابر Félix Faber الذي زار الدير ١٤٩٤ فلم ير الاّ ثلاثين راهباً ويظهر انهُ كان بالدير في القرن السابع عشر بين الستين والثمانين راهباً

وربما كان لتأسيس اديرة عدة بالقسطنطينية وقبرص وكريت وبلغراد وبوخارست وجاسي واثينا تأثير كبير في عدد رجال الدين المقيمين بسانت كاترين فلم يعد هناك مئات من الرهبان كما كان يجد زوار العصر الوسيط. ففي سنة ١٧٠٠ لم يجد بونسيه Poncet غير خمسين ومثله فولني Volney عند زيارته للدير سنة ١٧٩٣ . ثم كان العدد ٢٨ سنة ١٨٠٠ منهم ستة من رجال الدين

دير سانت كاترين بطورسينا

واثنان وعشرون من الرهبان. ثم كان ٢٣ سنة ١٨١٦ عندزيارة بوركهاردت Burchardt ولم يزدد الرهبان حتى يومنا هذا فقد احصى ولستد Wellsted ٢١ راهباً وفون شوبرت Von Schubert ٢٦ ، ولم يجد روبنسن Robinson غير ٢٠ . ووجد لبسوس Lepsus سنة ١٨٤٥ خمسة وعشرين منهم اربعة قسس وواحد وعشرون راهباً . وأحصى ايبرس Ebers سنة ١٨٧١ ثمانية وعشرين . وكانوا عشرين سنة ١٩٠٥ ولم يزد عددهم من ذلك الحين الا قليلاً وفي دير سانت كاترين عدا المطران خمسة قسوس وشماس واحد وأربعة رهبان مبتدئين وثمانية من خدام الرهبنة غير مترهبين . ومجموع الرهبان المنتمين الى الدير ٤٩ والى القارىء بياناً مفصلاً :

محل الاقامة	رؤساء الاساقفة	قسوس	شمامسة	رهبان جدد	خدام من غير المترهبين	الجملة
سنت كاترين بطورسينا	١	٥	١	٤	٨	١٩
فاران Faran					١	١
الطور		١	١	١	٢	٥
السويس			١			١
القاهرة		٤		١	١	٦
ازميره		١				١
طرابلس الشام		١				١
قبرص — كيرينيا Kirinia		٢				٢
— بافوس Paphos		١				١
ريزو كارباسو Rizo Karpasso		١				١
كريت — قندية Candie		٢				٢
— لاكانيه La Canée		٢				٢
مساره Messara			١			١
سبليوتسيا Spileotissa		١				١
زانته Zante		١				١
خيو Chio		١				١
يانينا Janina		١				١
القسطنطينية		١				١
اثينا			١			١
الجملة	١	٢٥	٥	٦	١٢	٤٩

ويقيم المطران بالدير الا اذا كان وجوده بالقاهرة ضرورياً فيما يتعلق بأعمال الطائفة وهو يدير الدير يساعده المجمع المقدس Saint Synaxis الذي يتكون من النائب وأمين الصندوق وأمين المخازن

وإذا تغيب المطران حل محله النائب وللرهبان اجمعين — ماعدا المبتدئين — حق انتخاب الرئيس ويجري الانتخاب بدير سانت كاترين بطورسينا ويقوم الغائبون بتوكيل من ينوب عنهم في الانتخاب . ونقل الرهبان من وظيفة الى اخرى او من دير الى آخر من اختصاص المطران والمجمع المقدس . وتستطيع الطائفة ان تقرر عزل المطران غير انه يمكنه ان يستأنف قرارها امام بطريرك بيت المقدس

***

واسقفية طورسينا كنيسة مستقلة استقلالاً ذاتياً وفي مرتبة اسقفيات كريت وتشكوسلوفكيا واستونيا وفنلندا . المطران يرسمهُ بطريرك بيت المقدس . وهذا دليل على أن دير طورسينا تابع لكنيسة بيت المقدس . وكانت الطائفة قبل الحرب على جانب كبير من الغنى فكانت تمتلك ريعاً قدره ثمانية آلاف من الجنيهات المصرية غير ان ممتلكاتها في رومانيا قد صودرت وكان ضمنها سينايا Sinaia وهو قصر المصيف الملكي في وقتنا الحاضر . وكذلك صادرت رومانيا املاكها في بساربيا عند ماضم هذا الاقليم الى رومانيا . وبيعت املاكها في الصرب اثناء الحرب . كما ان العمارة ذات الايراد التي انشأتها في خيف Chiv بثمن بعض ممتلكاتها الزراعية بالقرب من هذه البلدة صودرت قبل ان يتمكن الدير من استغلالها اي استغلال مع أنها كلفتهُ ستين الفاً من الجنيهات . وكذلك ممتلكاتها في تفليس . ثم ان الحكومة التركية وضعت يدها على دير ازمير ولم يستطع الدير حتى اليوم ان يسترده فلم يبق للدير بعد ذلك من ممتلكات الا في قبرص وكريت وايرادها ضئيل . ثم ممتلكاتها في القاهرة وحدائقها وصوامعها في شبه جزيرة طورسينا

والتبرعات التي كان الدير يجمعها في البلاد المسيحية ذات المذهب الارثوذكسي تضاءلت فلم تعد تجدي واضطر الدير الى اهمالها

***

والرهبان يتبعون القواعد التي وضعها القديس بازيل ويحيون حياة الزهد والتقشف فلا يأكلون اللحم الا نادراً ولا يتناولونه في غرفة الطعام بتاتاً ولو كان اليوم عيد الفصح فأنهم فيه يتغدون سمكاً ثم يخرجون مساء الى الحديقة وهناك فقط يأكلون اللحم

ويتقاضى الراهب كل شهر لتراً من الشراب وجنيهين مصريين . ويستيقظ الرهبان جميعاً في الساعة الثانية والنصف صباحاً إذ يدق جرس صغير ثلاثاً وثلاثين دقة (سن المسيح) ثم يدق ناقوس كبير بعد خمس دقائق ٣٣ دقة مثلها ويرتل الرهبان في الكنيسة صلاة السحر في الساعة الرابعة ويدعون الى هذه الصلاة بالسياندر (١)

ثم في الفترة بين عيد الفصح وعيد العنصرة يقام القداس الكبير كل يوم في البازيليكا (الكاتدرائية) او في الكنائس الصغرى والقداس يقام في البازليكا لمناسبة الاعياد الكبيرة وهي عيد الفصح وعيد سانت كاترين وعيد التجلي . اما في غير هذه الاعياد فيقام القداس الخافت ايام الآحاد والاربعاء والسبت . وفي الاعياد الصغرى يقام القداس الصغرى . ويقام القداس ايام الاربعاء في كنيسة العذراء المقدسة الواقعة اسفل المكتبة . وأيام السبت يقام في كنيسة العليقة المشتعلة ، الموهوبة الى العذراء

اما يوم الاموات وايام السبت الخاصة بالصيام الكبير فيقوم قسيس بالقداس في المقبرة في كنيسة سان تريفون Saint Tryphon

ويتناول الرهبان بعد انتهاء القداس فنجاناً من القهوة التركية ثم يتوجهون الى أعمالهم . ويدعون جميعاً بالسياندر السالف الذكر الى الفطور معاً في الساعة العاشرة والنصف وفي الساعة الثالثة بعد الظهر يدق الناقوس ثلاث دقات إيذاناً بصلاة المغرب ، ثم بعد الصلاة يقرع السياندر ثلاث مرات ان قد حان موعد تناول العشاء فيتناوله الرهبان في خلواتهم

ويقرع السياندر الحديدي بدل الخشبي في ايام السبت . اما ايام الاعياد فتدق ثمانية اجراس صغيرة إيذاناً ببدء القداس ، وهي الاجراس التي كانت روسيا قد اهدتها الى الدير منذ خمسين سنة تقريباً

***

ويحدثنا الشماس افريم Epherem (١٦٥٠ ؟) عن بلاطة من الجرانيت تخرج اصواتاً معدنية مؤثرة جداً وكانت تقرع ايام الحداد (٢) ، واليوم يقرع الناقوس في هذه الاحوال . وحساب الزمن عند الرهبان يبدأ من غروب الشمس

[للمقال تتمة تتناول وصف الطريق من القاهرة الى الدير ثم وصف الدير ورسومه ومناظره وسوره وتخطيطه]

(١) السياندر Symandre لوح من الخشب الصلب معلق من جانبيه وتصدر عنه اصوات منسجمة متلائمة حين يقرع بالمدق

(٢) B. Meistermann. Guide du Nil au Jourdain par le Sinai et Pétra طبعة باريس ١٩٠٩ ص ١٣٧

من قبل طارق

فتحنا احد مجلدات المقتطف من دون تخيُّر فاذا هو المجلد الثاني والثلاثون الصادر سنة ١٩٠٧ فقلّبنا صفحاته فاستوقفتنا صورة جبل طارق لكثرة ما يدور حواليه من شؤون سياسية وحربية دولية في هذه الايام فراجعنا ما كُتب عنهُ فاذا هو فصل من رحلة للمرحوم الدكتور صرُّوف واذا مرأى الحصن واقترانهِ باسم طارق بن زياد قد حرّك الخاطر الشعري فقال القصيدة التالية . ومن غرائب الاتفاق انها منشورة في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٠٧ اي من ثلاثين سنة تماماً

ربةَ الشعر هل أتاكِ حديثٌ عن كماة الاعراب من قبل طارقْ
عن غزاة في القفر شبُّوا زمانَ الرو مُ والفرسُ يملكون المشارقْ
عرشَ كسرى ومصر والشام نالوا وجروا في الفتوح جريْ السوابقْ
حاول الروم صدّهم فتصدى كل من في ولائهم غير صادقْ
من يهودٍ وصابئين وقبط والنصارى [1] وكل خصمٍ مشاققْ
نصروا العرْب خفيةً وجهاراً لم يحارب للروم غير الاصادقْ

* * *

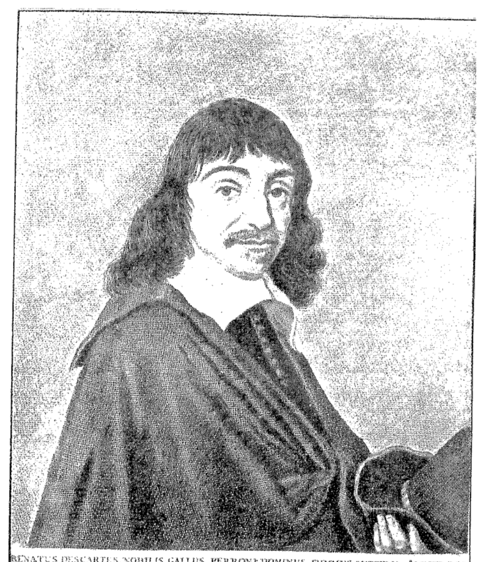
شمخ الروم قبل ذاك وجاروا هل أتاهم أن ليس للخلق خالقْ
واناخ الفساد والفرس جاسوا بحرهُ خائضين حتى المخانقْ
وإذا الظلم والفساد اقاما نضب الحوض من حماة الحقائقْ

* * *

نصر الله أمةً إذ تولى امرها العادلون بين الخلائقْ
قام صدّيقها باصدق أمر وتلاهُ الفاروق بالعدل فارقْ
وكماة في المكرمات تباروا وهم الاسد في صدور الفيالقْ
دوّخوا الارض وطدّوا الملك قاموا بفروض الكتاب تحت البيارقْ
ثم عزّوا والملكُ صار عضوضاً فاستكنُّوا كانهم في حدائقْ
وتباروا في البذخ فالظلم فالاغتيال في ما يعدّ للملك ماحقْ
شمس عدلٍ ضمّت شعوباً فلما كسفت فرّق الشعوب طرائقْ

---

(١) اي النساطرة



الفيلسوف رينيه ديكارت

René Descartes



١٥٩٦ — ١٦٥٠

ليوسف كرم
أحد مدرّسي الفلسفة بالجامعة المصرية

تحتفل فرنسا هذا العام، وتحتفل معها المعاهد العلمية في انحاء العالم، بانقضاء ثلاثة قرون على نشر ديكارت كتابه الشهير «مقال في المنهج». ومنذ مفتتح العام وديكارت حديث العلماء والمثقفين في محاضرات عامة، ودروس خاصة، وبحوث تظهر في المجلات والجرائد. وقد بلغ الاحتفال اوجه بمؤتمر جامع عقد بباريس في غرة اغسطس الماضي أمّهُ العلماء والمثقفون من كل صوب ودام اسبوعاً كاملاً. ولا عجب ان تصيب هذه الذكرى مثل هذه العناية فان ديكارت عالم وفيلسوف من الطبقة الاولى لا ينتهي النظر في آثاره العلمية والفلسفية ولا يفرغ الكلام عنهُ

ويزيد في مكانته أثره البالغ في الفكر الحديث. فقد كان العصر الحديث منذ « النهضة » يضطرب بميول جديدة ويستكشف علماً جديداً. كان ينفر من كل سلطان في العلم والفلسفة والدين، ويطلب للعقل استقلاله التام، ويحاول اقامة علم طريف قاعدتهُ الملاحظة والاختبار ليس غير، يريد بهِ انتزاع اسرار الطبيعة للسيطرة عليها وتوجيه قواها، او قوانينها، لزيادة رفاهية الانسان وتحقيق سعادته على وجه الارض. وكان يلتمس طريقه الى توضيح تلك الميول وتسويغها ليعارض المذهب القديم بمذهبه الجديد، والى تهذيب ذلك العلم وتوطيده ليقيم الدليل على صدق نزعته. فلما جاء ديكارت احسّ تلك الميول احساساً قويًّا، وفهم ذلك العلم فهماً تامًّا، وساهم فيه مساهمة خصبة، ثم وضع فلسفة تؤيّده وتحميه وترفع الميول الناشئة من مستوى العاطفة والارادة الغامضة الى مستوى العقل والحق والقانون، واعلن كل ذلك في الكتاب الذي احتفل بهِ القوم هذا العام فكان الكتاب دستور العصر واستحق صاحبهُ ان يدعى « ابا الفلسفة الحديثة »

١ — حياته ومصنفاته

ولد رينيه ديكارت سنة ١٥٩٦ في لاهاي من اعمال مقاطعة تورين بفرنسا . ولما بلغ الثامنة ادخل مدرسة «لافليش» للآباء اليسوعيين وكانت من أشهر المدارس في أوربا ، فمكث بها ثماني سنين حتى أتمّ برنامج الدراسة فيها . وكانت الفلسفة تحتل في هذا البرنامج مكاناً فسيحاً فتمتد على الثلاث سنوات الاخيرة من سنيه ، وكان تدريسها عبارة عن شرح كتب ارسطو موزعة الى مجموعات ثلاث ، لكل سنة مجموعة . كتب المنطق ، فكتب العلم الطبيعي (والى جانبها الرياضيات) فكتاب النفس وكتاب مابعد الطبيعة. وأعجب ديكارت بوضوح الرياضيات ودقتها وإحكام براهينها ، اما الفلسفة فتركت في نفسه أثراً سيئاً لكثرة ما فيها من أخذ ورد ، واعتقد ان اختلاف الفلاسفة مدعاة للشك في الفلسفة وللشك في باقي العلوم . فان هذه العلوم قائمة على الفلسفة تستمد مبادئها منها . هـذا ما نقرأ في « المقال » ولعل ديكارت يضيف الى عهد الشباب حكماً نضج عنده في الكهولة . على ان من المحقق انهُ تعلّق بالرياضيات وانصرف عن الفلسفة ، ولم يعد اليها ، الاّ بعد مضي زمن طويل . فكان يخصص لها « ساعات في العام »

غادر اذن المدرسة وهو في السادسة عشرة . وبعد ذلك باربع سنين (١٦١٦) تقدم لامتحان القانون في بواتييه ونال الشهادة . وسنة (١٦١٨) تطوّع للخدمة في جيش الامير موريس دي ناسو بهولاندا ، وكانت حينذاك حليفة فرنسا على الاسبان. وعرف هناك طبيباً شاباً اسمهُ اسحق بكمان وكانا يشتغلان بمسائل رياضية وطبيعيـة رياضية وهـذه مرحلة هامة في حياة ديكارت فان فكره تكوّن في الوقت الذي كان العلم الطبيعي الحديث يتكون فيـه بتطبيق المنهج التجريبي والاستدلال الرياضي على الظواهر الطبيعية

وفي السنة التالية (١٦١٩ ،) ترك جيش الامير الى جيش آخر فآخر من جيوش الأمراء الالمان . وحلّ الشتاء وخلا بنفسه في حجرة دافئة في قرية مجاورة لمدينة أولم ، وبينما هو في ذلك تملأه نشوة علمية غريبة بلغت أقصاها في العاشر من نوفمبر اذا بهِ يستكشف في حلم « أسس علم عجيب » . هذا الحلم يدلنا على شدة استغراق ديكارت في تفكيره ؟ أما العلم العجيب فقد تضاربت فيه الآراء وأغلب الظن ان المقصود «منهج كلي» يردُّ بهِ العلوم جميعاً الى الوحدة ، ذلك المنهج الذي سيعلنهُ في « المقال »

وعدل عن المهنة العسكرية وراح يطوف انحاء اوربا تسع سنين حتى جاء باريس سنة ١٦٢٨. تسع سنين لم ينقطع في أثنائها عن معالجة المسائل الطبيعية بالطريقة الرياضية ، أي بتجريدها من المبادىء الفلسفية التي كانت لاصقة بها عند أرسطو والمدرسيين ، وردها الى مسائل رياضية .

والى هذا الدور يرجع استكشافه للهندسة التحليلية اي تطبيق الجبر على الهندسة . فقد كان الجبر كثير الصيغ معقّدها ، وكانت الهندسة مقتصرة على النظر في الاشكال ، ولم يكن بين العلمين صلة فبدا لديكارت ان الهندسة والحساب يقومان بالترتيب والقياس ، وان المطلوب من الجبر التعبير عن أعم قوانين الترتيب والقياس ، وان من الممكن وضع علم تكون صيغه أبسط من صيغ الحساب وأكثر تجريداً من أشكال الهندسة، فتطبق على الاعداد والاشكال جميعاً اي على كل ما هو مرتب وقابل للقياس . فرمز بأحرف لخطوط الشكل الهندسي ، وعلاقات هذه الخطوط ، ومثّل الشكل بمعادلة جبرية تعبر عن خصائصه الاساسية ، حتى اذا ما وضعت هذه المعادلة فيكفي استخراج نتائجها بالجبر لاستكشاف جميع الخصائص — والى ذلك الدور ايضاً يرجع كتابه « القواعد لتدبير العقل » وهو بمثابة منطق جديد مستمد من مناهج الرياضيين ، ولكن ديكارت لم يتمه فبقي مطويًّا الى ان طبع بعد وفاته بنصف قرن (١٧٠١) . وفي باريس ظهر اهتمامه بالمسائل الفلسفية ولكن على نحو مبتكر أعجب به الكردينال دي بيريل فشجعهُ تشجيعاً حارًّا على مواصلة بحثه وتكميل مذهبه ، خدمة للدين وصدًّا لهجمات الزنادقة

ولم ترقه الحياة في باريس فقصد الى هولاندا في أواخر سنة ١٦٢٨ يطلب العزلة . وكتب رسالة قصيرة في « وجود الله ووجود النفس » يرمي بها الى وضع أسس علمهِ الطبيعي — وسنرى فيما بعد السبب في محاولتهِ ربط العلم الطبيعي بالفلسفة ، وفي السنة التالية عاد للاشتغال بالطبيعيات وشرع في تحرير كتابه « العالم » وواصل العمل فيهِ الى سنة ١٦٣٣ . وفي تلك السنة أدان المجمع الكنسي غليليو لقوله بدوران الارض ، وكان ديكارت قد وصل من جهتهِ الى مثل هذا القول فطوى كتابه — وكان شديد الحرص على هدوئهِ ، فلم يُنشر الكتاب الاّ بعد وفاتهِ بسبع وعشرين سنة (١٦٧٧)

على انهُ رأى ان يمهد الطريق لمذهبهِ ويجس النبض ، فأذاع سنة ١٦٣٧ شيئاً من علمهِ الطبيعي في ثلاث رسائل قدّم لها برسالة يقص فيها تطوُّر فكره ، ويجمل مذهبه في الفلسفة والعلم . وكان العنوان الاصلي للكتاب برمتهِ « مشروع علم كلي ، يرفع طبيعتنا الى أعلى كمالها ، يليهِ البصريات والآثار العلوية والهندسة ، حيث يفسر المؤلف اغرب ما استطاع اختياره من موضوعات تفسيراً يسهل فهمه حتى على الذين لم يتعلموا » . فاستبدل بهِ هذا العنوان «مقال في المنهج لاجادة قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم ، يليهِ البصريات والآثار العلوية والهندسة ، وهي تطبيقات لهذا المنهج » ويبين لنا من ذلك ان الوحدة قد تمت في فكر ديكارت بين الفلسفة والعلم الطبيعي الرياضي والغاية المرجوة منهُ وهي « رفع طبيعتنا الى اعلى كمالها »

وأراد ان يعرض مذهبه على اللاهوتيين باللاتينية بعد ان عرضهُ على عامة المثقفين بالفرنسية فعاد الى ما في « المقال » من آراء فلسفية فتوسع في شرحها وتأييدها فكان لهُ من ذلك كتاب اسماه « التأملات في الفلسفة الاولى ، وفيها البرهان على وجود الله وخلود النفس » . وقبل تقديمها للطبع استطلع فيها رأي نفر من هؤلاء اللاهوتيين ليستدرك ما قد يأخذونهُ عليهِ فيهيء للكتاب قبولاً حسناً وينال رضى لاهوتيي السوربون ، فوضعوا عليها اعتراضات كثيرة ألحقها بالتأملات وعقب عليها بردوده ونشر الكل سنة ١٦٤١ . وفي الطبعة الثانية (١٦٤٢) قال في العنوان « تمايز النفس من الجسم » بدل « خلود النفس » على اعتبار ان النفس اذا كانت متمايزة من الجسم كانت خالدة . ونشرت للكتاب ترجمة فرنسية سنة ١٦٤٧ بقلم الدوق دي لوين

وخطر لديكارت ان انجع وسيلة لاذاعة فلسفته وعلمه الطبيعي ربما كانت تلخيصها في كتاب مدرسي سهل التناول ، فنشر سنة ١٦٤٤ باللاتينية (وكانت لغة العلم والتعليم في اوربا) كتاب « مبادىء الفلسفة » وحاول أن يحمل معلميه السابقين على تقريره في مدارسهم فيحل محل ارسطو فلم يجيبوه الى رغبته. ونشرت للكتاب ترجمة فرنسية سنة ١٦٤٧ قدم لها المؤلف برسالته الى المترجم عرض فيها فلسفته عرضاً عامًّا

ومن ذلك الحين مال الى الاخلاق، وكتب فيها رسائل الى الاميرة اليصابات ابنة فريدريك ملك بوهيميا المعزول واللاجيء الى هولاندا . ثم وضع « رسالة في انفعالات النفس » وهي آخر مؤلفاته نشرت سنة ١٦٤٩

هذه الاقامة الطويلة في هولاندا تخللتها ثلاث رحلات قصيرة الى فرنسا (١٦٤٤ و١٦٤٧ و١٦٤٨) ومناقشات حادة بينهُ وبين بعض العلماء واللاهوتيين ونزاع عنيف بين انصاره ومؤيديه

وفي سنة ١٦٤٩ قصد الى استكهولم تلبيةً لدعوة كرستين ملكة السويد فتأثر بالبرد، وساءت صحته ، وقضى في ١١ فبراير ١٦٥٠

***

٢ — الشك واليقين

لكل علم مبدأ ، فأين نلتمس المبدأ الذي نقيم عليهِ العلم ؟ ان عقلنا مشحون باحكام ألفناها في عهد الطفولة ، او قبلناها من المعلمين قبل تمام النضوج والرشد . واذا نظرنا في العلوم ألفيناها تكونت وتضخمت شيئاً فشيئاً بمعاونة رجال مختلفين فجاءت كالثوب الملفق او البناء المرمم . فمن الضروري اذا اردنا ان نقرر شيئاً محققاً في العلوم ، ان نبدأ العمل من جديد فنطرح كل ما دخل

عقلنا من معارف ونشك في جميع طرق العلم واساليبه ، مثلنا مثل البنّاء يزيل الانقاض ، ويحفر الارض حتى يصل الى الصخر الذي يقيم عليه بناءه . والاساس الذي نريد الوصول اليه هو العقل مجرداً خالصاً ، فان العقل واحد في جميع الناس اذ انهُ الشيء الوحيد الذي يجعلنا اناسي ويميزنا من العجماوات ، فهو متحقق بتمامه في كل انسان . وما منشأ تباين الآراء سوى تباين الطرق في استخدام العقل . ولسنا بحاجة الى التدليل على كذب آرائنا السابقة ليسوغ لنا اطراحها على هذا النحو ، بل يكفي ان نجد فيها ايّ سبب للشك اذ ليس الشك مقصوداً هنا لنفسه بل لامتحان معارفنا وقوانا العالمة . ولسنا في حاجة كذلك الى استعراض تلك الآراء رأياً رأياً ، بل يكفي ان نستعرض المبادىء ، فان هدم الاساس يجرُّ وراءه هدم البناء

يقول ديكارت : اذن فانا اشك في الحواس لانها خدعتني احياناً ، ولعلها تخدعني دائماً ، وليس من الحكمة الاطمئنان الى من خدعنا ولو مرة واحدة — وانا اشك في استدلال العقل لان الناس يخطئون في استدلالاتهم ومنهم من يخطىء في ابسط موضوعات الهندسة ، فلعلي اخطىء دائماً في الاستدلال . ومن دواعي الشك ايضاً ان نفس الافكار تخطر لي في النوم واليقظة على السواء ، ولست اجد علامة محققة للتمييز بين الحالتين ، فلعل حياتي حلم متصل — ومما يزيد في ميلي الى الشك اني اجد في نفسي فكرة اله قدير يقال انهُ كلي الجودة وهو مع ذلك يسمح ان اخطىء احياناً ، فاذا كان سماحه هذا لا يتعارض مع جودته فقد لا يتعارض معها ان اخطىء دائماً . ولكن مالي ولله . فقد يكون هناك روح خبيث قدير يبذل قدرته ومهارته في خداعي فاخطىء في كل شيء ، حتى في ابسط الامور وأبينها مثل ان اضلاع المربع اربعة وان اثنين وثلاثة تساوي خمسة

ولكني في هذه الحالة من الشك المطلق اجد شيئاً يقاوم الشك . ذلك اني اشك . فانا استطيع الشك في كل شيء ماخلا شكي . ولما كان الشك تفكيراً فأنا أفكر ، ولما كان التفكير وجوداً فأنا موجود : «أنا افكر إذن فأنا موجود» . تلك حقيقة مؤكدة واضحة جلية خرجت لي من ذات الفكر ، لها ميزة نادرة هي إني أدرك فيها الوجود والفكر متحدين اتحاداً لا ينفصم . ومهما يفعل الروح الخبيث فلن يستطيع أن يخدعني فيها ، لأنهُ لا يستطيع أن يخدعني إلاّ ان يدعني أفكر . واذن فأنا اتخذها مبدأ أولاً للفلسفة . الفكر مبدأ لأنهُ وجود معلوم قبل أي وجود ، وعلمه أوضح من علم اي وجود . هو معلوم بداهة ، ومهما نعلم فنحن بفكرنا أعلم ، فمثله لو اعتقدت ان هناك أرضاً بسبب إني المسها وأبصرها فيجب أن اعتقد من باب أولى أن فكري موجود اذ قد «افكر» اني المس الارض دون أن يكون هناك أرض ، ولكن ليس من الممكن ألاّ أكون

في الوقت الذي افكر فيه — ثم أنا أتخذ هذه الحقيقة الاولى معياراً لـكل حقيقة ، فكل فكرة تعرض لي بمثل هذا الوضوح ومثل هذا الجلاء اعتبرها صادقة

على أن اطمئناني الى الجلاء والوضوح ما يزال مفتقراً الى التثبيت ،فقد يكون خالق صنعني بحيث اخطىء في كل ما يبدو لي بيناً ، او قد يكون سمح للروح الخبيث ان يخدعني دائماً . الحق انهُ بدون معرفة وجود الله وصدقه فلست ارى ان باستطاعتي التحقق من شيء البتة . أعود إذن الى فكرة الله ، التي كانت سبباً من اسباب الشك ، فأجد انها فكرة موجود كامل والـكامل صادق لا يخدع ، فان الخداع نقص لا يتفق مع الـكمال . وعلى ذلك فأنا واثق بأن الله صنع عقلي كفؤاً لادراك الحق،وما عليّ إلاّ ان اتبين الأفكارالواضحة وصدق الله ضامن لوضوحها

سنعرض بعد هنيهة الأدلة على وجود الله ونقدر قيمتها ، ونقف الآن عند هذه المراحل الثلاث الاولى من مراحل المنهج الديكارتي : الشك المطلق ، فوضوح الفكر، فالضمان الالـهي ، ونسأل : هل هذا المنهج سائغ؟ أما الشك الديكارتي فلسنا نوافق على انهُ فرضي منهجي. ولكي يكون الشك فرضيًّا منهجيًّا يجب ان يكون صوريًّا وجزئيًّا ، وديكارت يشك حقيقة وفي كل شيء ، أو هو يشك في كل شيء فيصبح شكه حقيقيًّا بالضرورة. انهُ يصرح ان «ليس هناك شيء إلا ويستطيع أن يشك فيهِ على نحو ما » ، فهو يشك في وجود الاجسام الخارجية وفي وجود جسمه وفي البراهين الرياضية والمبادىءالعقلية ، فاذا ما أحس أن مثل هذا الشك الـكلي معارض لطبيعة العقل استعان بالارادة وقال : « أريد ان اعتبر كل ما في فكري وهماً وكذباً » والحّ على فكره الحاحاً عنيفاً ليحقق فيهِ حالة الشك الصحيح . فلو أنهُ قصر الشك على الامور غير البينة المفتقرة إلى برهان، واستثنى المبادىء الاولية البينة في نفسها ، لامكنهُ الاستناد الى هذه المبادىء للخروج الى اليقين ، ولـكنهُ يشك في العقل ذاته فشكهُ كلي حقيقي يمتنع الخروج منهُ . أما مبدؤه « أنا أفكر إذن فأنا موجود » فليس بمجديه شيئاً للخلاص من مأزقهِ ، فأنا قد نستوثق من فكرنا — وأي شاك شك في فكره؟ — ثم لا نستوثق من شيء آخر على الاطلاق. لأن الروح الخبيث ما يزال ظله محلقاً فوق رؤوسنا ينشر الظلام على الافكارالواضحة الجلية ويشككنا فيها ، فلئن فاتهُ خداعنا في وجود الفكر فان سلطانهُ باقٍ بتمامه على « موضوعات » الفكر فيمتنع التقدم خطوة واحدة . وليس صدق الله بمغنٍ شيئاً في طرد الروح الخبيث لأن فرض هذا الروح سابق معرفتنا الله فيجب الشك في هذه المعرفة ذاتها ، وديكارت لا يخرج من شكه الاّ بدور واضح : فمن جهة يجب للبرهنة على وجود الله الاستناد الى العقل والافكار الواضحة كوسائل لا تخدع ، ومن جهة أخرى لاجل التحقق من أن العقل والافكار الواضحة لا تخدع

يجب العلم أولاً بوجود الله . فالواقع أن المنطق كان يقضي على ديكارت أن يظل على شكه يردد طول حياته : « أنا أفكر وانا موجود » ، مثله مثل ذلك الشاك اليوناني الذي عدل عن الكلام مخافة الاضطراب للايجاب والسلب فكان يكتفي بتحريك أصبعه . ولكن ديكارت لا يرضى بهذا الموقف ، وكما « أراد » الشك كليًّا فهو « يريد » الوصول إلى اليقين وضمان العلم مهما يكن من امر المنطق

***

٣ — التصور والوجود

والمسألة بعد اكثر تعقيداً ، فان الشك المطلق ينطوي على تصورية مطلقة هي روح المذهب ونقطته المركزية . ذلك ان التصور عند ديكارت تصور بحت لا ادراك شيء واقعي ، والفكر عنده لا يدرك ادراكاً مباشراً غير نفسه ، والا لما امكن الشك في العالم الخارجي . فديكارت اذ يأبى ان يقبل شيئاً دون الفكر ، واذ يشك في موضوعات الفكر فيؤمن بتفكيره في السماء والارض ويشك في وجودها ، يفصل بين ما لافكارنا من وجه ذاتي وما لها من وجه موضوعي ، ومن ثم يفصل بين الفكر والوجود فصلاً تامًّا . ومتى كان الفصل تامًّا لزم انه نهائي واستحال ادراك اي وجود خارجي كما سنرى

واذا سألت ديكارت عن علة الافكار اجاب : قد اكون انا تلك العلة ، اذ ليس من الضروري ان تصدر الافكار عن اشياء شبيهة بها ، بل قد تصدر عن علة حاصلة بالذات على الكمال الممثل فيها ، او حاصلة عليه على نحو اسمى ، وأنا حاصل على الفكر بالذات وعلى حقائق الاجسام على نحو اسمى لان الجسم دون الفكر ، فالافكار صادرة عني

ومع ذلك سيطلب لها ديكارت اصولاً خارجية يجعلها موضوع العلم الطبيعي ، وسيتخذ سبيلاً الى ذلك وجود الله وصدقه ايضاً

اذن فأمامنا مسألتان : هل افكارنا صادقة ؟ وهل لها موضوع في الخارج ؟ وديكارت يقدم الاولى على الثانية ، كما يقتضي مبدؤه التصوري . يقول : « قبل ان افحص عما اذا كان هناك اشياء خارجية يجب ان انظر في افكاري من حيث هي كذلك ، وان اتبين ايها واضح وايها غامض » . فالفكرة الصادقة ، اي الواضحة ، هي التي يقابلها موضوع ، اما الفكرة الغامضة فانفعال ذاتي . وهذا يعني ان العالم الخارجي لا يُعلم الا بعد افكاري وعلى مثالها ، وان الحقيقة (اي الوضوح) سابقة في علمي على الوجود ، وانها جسر بين الفكر المعلوم اولاً والاشياء المعلومة

بعده وتبعاً له — وهذا هو المذهب التصوري (ايديائزم) ابتدعهُ ديكارت وتابعهُ فيهِ الفلاسفة المحدثون فوقعوا في اشكالات لاتحصى. وظن ديكارت ان صدق الله يحل المسألتين،ويرد للمعرفة الانسانية قيمتها ، والواقع انهُ يهدمها هدماً . اذ لو كان لدينا وسيلة « طبيعية » للمعرفة الحقة لما افتقرنا لضمان خارجي،ولو كانت قوانا العالمية تؤدي وظيفتها كالواجب،وتمضي بالطبع الى الحقيقة، لحملت في نفسها علامة صدقها ، ولعلمنا ذلك قبل الالتجاء الى الضمان الالهي

اما افتقارنا الى ضمان خارج عن العقل والحواس فأدعى الى الشك في الله وحكمته وجودته منهُ الى القول بوجود الله

***

وللتمييز بين الصادق والكاذب من الافكار ، تمهيداً للخروج من التصور الى الوجود ، يصنف ديكارت الافكار في طوائف ثلاث : افكار حادثة او اتفاقية ، هي التي يلوح لنا انها آتية من خارج ، اي التي تقوم في الفكر بمناسبة الحركات الواردة على الحواس من الخارج ،كاللون والصوت والطعم والرائحة والحرارة ، وهي غامضة مختلطة .وافكار مصطنعة ، هي التي نركبها من افكار الطائفة الاولى ، كصورة فرس ذي جناحين،او صورة حيوان نصفهُ انسان ونصفهُ فرس وما شاكل ذلك. واخيراً افكار فطرية ليست مستفادة من الاشياء ولا مركبة بالارادة ، ولكن النفس تستنبطها من ذاتها ، تمتاز بأنها واضحة جلية بسيطة اولية ، وهي التي تؤلف الحياة العقلية بمعناها الصحيح ، كفكرة الله والنفس والامتداد واشكاله والحركة وانواعها والعدد والزمان وغيرها . وقد سئل ديكارت في هذه الافكار فقال انهُ يقصد بكونها فطرية ان فينا قوة تحدثها ، وبكونها طبيعية انها في النفس على نحو ما نقول ان السخاء او ان مرضاً ماطبيعيّ في بعض الاسر . وقال انها ليست مرتسمة في العقل كأبيات الشعر في الديوان ولكنها بالقوة فيهِ كالاشكال في الشمع ، وانها في عقل الطفل على نحو ما هي في عقل الراشد حين لا يفكر فيها

ويعود الى علة الافكار فيقول ان افكار الطائفة الاولى والثانية لاتتطلب علة غير النفس فانها عبارة عن انفعال النفس بالمؤثرات الخارجية وتركيب الانفعالات بعضها مع بعض اما الافكار الفطرية فانها تمثل « طبائع بسيطة وحقائق موضوعية » فمن الخطأ الظن ان العقل علتها الكافية. العقل علة كافية للفكرة من حيث هي فعل نفسي، لا من حيث هي تتضمن كذا او كذا من الحقيقة الموضوعية . وعلى ذلك يجب استعراض الافكار الفطرية والنظر في هل تفسر بالفكر وحده او تقتضي علة خارجية . ذلك سبيلنا للتخطي من التصور الى الوجود

[تتمة البحث تتناول : الله والحقيقة — الانسان والعالم — تفسير المذهب]

القمر المورق

او نواح عجيبة من تطبيق المباحث الطبيعية
على الزراعة الحديثة

الحقل معمل تستعمل فيهِ طاقة الشمس لتوليد جزيئات معقدة التركيب من جزيئات رخيصة الثمن بسيطة التركيب . اي انهُ مكان تخزن فيهِ طاقة الشمس لاستعمالها عند ما تدعو الحاجة اليها في المستقبل . فالزراعة عمل كيمياوي وطبيعي في آن . وليس ينكر احد ما اسداه علماء الكيمياء من الخدمة الى الزراعة . اما علم الطبيعة فقد ازف الوقت الذي يستعان بهِ على حلّ مشكلات الزرّاع

ان الزراعة وهي اكبر أعمال الانسان واوسعها نطاقاً واهمها شأناً لا تزال عند المقابلة بغيرها من شؤون العمران ، في الدور الذي كانت فيهِ المواصلات البحرية تعتمد على السفن الشراعية . ان معيشة الفي مليون من الناس رهن نتاج الارض ورزق ثلثيهم يعود الى العمل فيها ، ولكن الزراعة ما تزال متقهقرة بالقياس الى ما اصاب الصناعات المختلفة ، فدخلها غير مستقرّ وربحها يسير غير مضمون . وقد كتب العالم الاميركي جورج هريسن في مجلة اتلنتك الشهرية وعليهِ نعتمد ، ان فداناً يدرّ ستة عشر جنيهاً في السنة يحسب كنزاً من الذهب واما الدخل المتوسط فلا يتعدى ثلاثة جنيهات الاّ قليلاً . وادهى من ذلك ، ان الفلاح بعد ما يقضي ساعات متعددة كل يوم هو وافراد اسرته في عمل شاق تبقى لهُ غلة — اذا لم تأكلهُ العصافير وتجرفهُ السيول وتسفيه الرياح او يذويه الجفاف — يقال لهُ ان سوقها انهارت لشدة الاقبال !

ولعلّ تأخر الزراعة في الاعتماد على الاساليب العلمية في ترقيتها ان الحاصلات الزراعية لا تزال تحسب هبة من هبات الطبيعة للانسان . ولكن اقل الاساليب نفقة ليس افضلها . فالرياح تهبُّ حرّة فوق البحار وليس على المرء ان يؤدي اتاوة لاستعمالها في دفع سفينة ما . الاّ انهُ خيرٌ للتاجر ان ينفق الفي جنيه في تجهيز سفينته بمحرك يديره النفط فتسير بهِ من ليفربول الى نيويورك من ان ينفق ٣٠٠ جنيه فقط في تجهيزها بشراع وتركها لرحمة الرياح

إن الفلاح البدائي أخذ الثمر حيث وجده برّيّاً كما أن الملاّح الاول ترك نفسهُ لرحمة التيار ينقلهُ على جذعهِ الطافي حيث يشاء . فلما حفر الانسان الارض وبذر فيها البزر تعلم الملاّح أن يجدّف بلوح او عصاً . فلما استنبط الملاّح الشراع جاراهُ الفلاح بحفر خندق للري . ثم استدعى الملاّح العلم او اعتمد على ما استنبطهُ العلم فارتقى من الزورق البدائي الى « النورماندي » و « الملكة ماري » . اما الفلاح فلا يزال على الرغم من تقدم البحث العلمي الزراعي في العهد الاخير ، حيث كان زميلهُ الملاّح عندما استنبطت السفن البخارية في عهدها الاول

إن نموّ النبات يحتاج الى اربعة امور اساسية : الى الضوءِ والهواءِ والماءِ ومقدار يسير من بعض العناصر الكيماوية كالمغنزيوم والفصفور والكبريت والسليكون وغيرها . يأخذ النبات من الهواء اهم المواد التي يحتاج اليها في نموهِ . ولما كانت التفاعلات الكيمياوية في خلاياهُ لا تتم الاّ والمواد محلولة ، فهو يحتاج الى الماءِ فيتناولهُ من الارض . ثم الى الضوء يجهزه بالطاقة لفصل ذرات الكربون من حامضهِ . ومن ذرات الكربون والايدروجين والاكسجين يصنع المواد النشوية والسكرية وهي تجهز الانسان بأعظم مصادر الطاقة التي يستعملها . وعلاوة على المواد النشوية والسكرية يصنع النبات مادة السلولوس فيحرقها الانسان وقوداً ويقطعها الواحاً من الخشب ويلبسها قطناً أو حريراً طبيعيًّا او صناعيًّا

والكيمياوي لا يتدخل في هذا العمل الخطير الاّ عندما يجهز النبات ببعض العناصر التي يحتاج اليها باضافتها الى الارض سماداً طبيعيًّا او صناعيًّا . ولكن مشكلات الزراعة الخطيرة إذا صرفنا النظر عن مشكلة خصب التربة ، هي مشكلات تمتُّ الى علم الطبيعة وفروعهِ بأوثق صلة وفي مقدمتها السيطرة على الحرارة والضوءِ وتقليب التربة وغيرها وتأثيرها في النماءِ والإثمار

وقد فطنت بعض الجامعات والمعاهد الاميركية الى ذلك فعهدت الى بعض علماءِ الطبيعة في تخصيص وقتهم للبحث في هذه المسائل دون غيرها . بل ان الحاجة تقتضي اكثر من ذلك . فدخل الولايات المتحدة الزراعي بلغ الف مليون جنيه سنة ١٩٣٥ وبحث الوسائل التي تحسن أساليب الزراعة وتزيد غلالها يساوي على الاقل البحث في زيادة مدى المخاطبات التليفونية مثلاً من حيث خطر الشأن

اذا شئتَ ان تفوز بكرز غضّ في بلدٍ ما في غير أوانهِ كشهر فبراير فعليك ان تعتمد على احدى وسائل ثلاث . اما ان تنقلهُ اليك من بلاد يكون فيها الكرز ناضجاً في فبراير كاستراليا والارجنتين . وهذا يقتضي تحسيناً في اسباب المواصلات لكي تقصر المسافة بين اوستراليا أو الارجنتين والبلد الذي تقطنهُ ، واتقاناً في وسائل حفظه حتى يتم نقله . واما ان يجنى الكرز حيث يجود شجرهُ ويحفظ بطريقة من طرق حفظ الفاكهة حتى شهر فبراير . واما ان تعالج شجر

الكرز بطريقة علمية تجعل ثمره ينضج في فبراير لان الجوّ الذي يحيط به في فبراير وما قبله كالجوّ الذي يحيط به عند أوان نضجه المألوف . وهذه الوسائل الثلاث في دور التقدّم الفعّال ويعتمد عليها مجتمعة أحياناً . وانما تحلّ الحاجة في تحقيقها الى طاقة رخيصة تمكن الفلاح من انتاج محصول يستطيع ان يبيعهُ بسعر وافٍ وربح معقول

وقد ادركت بعض البلدان هذه الحقيقة فوفرت الطاقة الكهربائية للفلاح . ففي سويسرا ٩٨ في المائة من مزارعها مجهزة بالطاقة الكهربائية وفي السويد ٥٠ في المائة منها وفي انكلترا تستعمل الطاقة الكهربائية في المزارع في ستين غرضاً منوعاً . اما هولاندة فقد أخذت تنصرف عن استعمال الطاقة التي تولدها الطواحين الهوائية الى استعمال المحركات الكهربائية وباستعمال هذه الطاقة تمكن الزرّاع الهولنديون من ان يستغنوا عن تقلب الريح والطقس فاخذوا ينتجون الخضروات والازهار المطلوبة في السوق الانكليزية في المواعيد المبكّرة التي تطلب فيها . فكادوا يحتكرون هذه السوق الآن لقربهم اليها . بعد ما كانت لايطاليا من قبلهم

اما استعمال الضوء الصناعي لاستعجال النضوج في الازهار والاثمار أو لتأخيره ، فمن أفعل الاساليب الزراعية التي أسفر عنها البحث الحديث . وانما يجب ان يرسخ في الذهن ان الضوء الصناعي لا يغني عن ضوء الشمس وانما هو يكمله وينوّع تأثيره . وذلك لسبب واضح وهو ان الاستعاضة عن ضوء الشمس يكلف نفقة كبيرة لا قِبلَ بالزراع ان يتحملوا عبئها . فاذا شئنا ان نولد ضوءًا كهربائيًّا يحلّ محلّ ما يقع من ضوء الشمس على ذراع مربعة في الحقل كلفنا ذلك الضوء الكهربائي ستة مليمات في الساعة . وهذا يعني أننا اذا شئنا ان نعتاض من ضوء الشمس بمصباح كهربائي في حديقة مساحتها فدان كلفنا ذلك عشرين جنيهاً في اليوم . ولذلك يكون جلّ الاعتماد على الضوء الصناعي في أحوال معيّنة من الايام الغائمة والليالي ولاغراض خاصّة

واول الاغراض التي يستعمل لها الضوء الصناعي الآن هو استعجال نضوج الازهار . فاذا كان زهر من الازهار لا يبلغ أوج إزدهاره الاّ في أواخر يناير وكان الناس يرغبون فيه خاصة لتزيين الدور به في حفلات عيد الميلاد او رأس السنة ، فاستعمال الضوء الصناعي استعمالاً صحيحاً يجعل تبكيره في حيز المستطاع . فالزنبق يمكن تبكيره شهراً كاملاً وزهر البسلة الحلوة خمسة اسابيع

وأغرب من ذلك ان ضرباً من ضروب البرسيم لا يشرع في الازهار قبل سنتين ولكن علماء معهد بويس طمسن تمكنوا من ابلاغه مرتبة الازهار في نحو ثلاثة اشهر وذلك باستعمال الضوء الصناعي . والظاهر ان تبكير الازهار بالضوء خير من تبكيره باساليب اخرى لان التبكير باستعمال الضوء الصناعي لا يصحبهُ اي تغيُّر في اللون او الشذا في الازهار ولا في اللون والطعم في الاثمار

من النباتات ما يزكو اذا طالت مدّة تعرضهِ للشمس في يومٍ واحد ومنها ما يزكو اذا قصرت مدّة التعرض . فالسَّسان « السكريزانثيم » الذي يتفتح قبل ميعاد الطلب عليهِ في سوق الازهار يمكن تأخيرهُ وإبطاء إزهارهِ بتعريضهِ مدة طويلة للضوء فاذا كان ضوء الشمس محجوباً عرض لضوءِ المصباح الكهربائي . ويمكن ان يقال بوجهٍ عام ان النباتات التي تزهر في الصيف تؤثر طول التعرُّض للضوءِ والتي تزهر في الربيع والخريف تفضل الاعتدال والتي تزهر على مدار السنة تفضل قليلاً من الظل يتخلل التعرض للضوءِ

واستعمال الضوءِ بحكمة وإحكام يجعل الازهار والأثمار أزهى مما تكون عادة . ولكن هذا العمل يقتضي استعمال قدر كبير من الضوءِ ذلك لان المصابيح الكهربائية التي نستعملها في الدور لا تعدُّ شيئاً مذكوراً اذا وضعت جنباً الى جنب مع ضوءِ الشمس الباهر

وقد يستعمل الضوء المصفى ، اي الضوء الذي حجبت بعض أشعتهِ . فمن النبات ما تؤذيهِ أمواج الحرارة في الطيف . وهذا الاكتشاف قد يفضي في المستقبل الى انشاء مستنبتات لها كوىً خاصة من الزجاج أو أي مادة شفافة فيحجب بها البستاني من الطيف الشمسي ما يشاء وفقاً لحاجة النبات الذي في الداخل

وكأن الطبيعة عرفت ان الألوان المختلفة في ضوءِ الشمس لا تؤثر تأثيراً متساوياً في انماء النبات فجعلت ورق النبات أخضر الى الزرقة . وقد عني العلماء بدراسة امتصاص الخضير Chlorophyl لاشعة الضوءِ وقابلوا بين امتصاص الاوراق الحية والاوراق الذاوية مستعينين على ذلك بالمطياف Spectroscope فوجدوا ان أكثر الاشعة التي يمتصها النبات ويستخدمها هي الاشعة الحمراء

فقد أخذوا فسائل نبات واحد وغرسوها في أحوالٍ متماثلةٍ كلَّ التماثل الاَّ في لون الاشعة التي تتعرّض لها فواحدة غمرت بضوءِ أزرق وأخرى بضوءِ أحمر وأخرى بأشعة ما تحت الاحمر وأخرى بأشعة ما فوق البنفسجي فوجدوا أولاً ان نباتات مختلفة متباينة في سلم الارتقاء العضوي تستجيب جميعاً لتأثير اختلاف الضوءِ فيها . ووجدوا كذلك ان الضوء الاصفر من مصباح متوهج incandescent يفوق تأثيره في نمو النبات تأثير الضوء الازرق من المصباح نفسه خمسين في المائة . وان تأثير الضوء الاصفر من مصباح بخار الصوديوم في النمو يفوق تأثير الضوءِ الازرق من مصباح القوس الزئبقي مرتين

بل يبدو للباحثين ان الضوء الازرق الصافي يعيق النمو حالة ان الاشعة التي فوق البنفسجي تؤذي خلايا النبات . ومن المشاهدات التي لم يفهم لها تفسير قبل اكتشاف هذه الحقيقة ان نباتاً واحداً يزكو في الاودية ولكنهُ يوجد ضعيفاً على منحدرات الجبال العالية . وتفسير ذلك ان

الاشعة التي فوق البنفسجي اكثر على منحدرات الجبال العالية لان الهواء أنقى وأصفى فلا يمتصها كثيراً حالة انها اقل في الاودية لامتصاص الهواء لها . وقد اخذ نبات ايدلفيس edelweiss الذي ينمو ضعيفاً في جبال الالب السويسرية وزرع في الاودية بين الجبال فزكا زكاء عجيباً . ثم نقل الى مستنبت وغمر بضوءٍ مزيج من الازرق والاشعة التي فوق البنفسجي فعاد ضعيفاً ممسوخاً كما هو على قنن الجبال

***

من الامور التي نظنها بديهية ان التربة اهم جانب في الحقل . ولكن التجارب الحديثة اثبتت ان التربة ليست مما لا يستغنى عنهُ في الزراعة . فقد تمكن فريق كبير من العلماء من بذر البزور في نشارة لا حياة فيها على ان تغمس الآنية التي فيها النشارة في احواض تحتوي على ماءٍ حلت فيهِ مواد كيمياوية معينة . والغريب في هذا الضرب من الزراعة ان زكاء الغرس يفوق عشرة اضعاف الى عشرين ضعفاً زكاء النبات نفسه في اخصب التراب. وقد اشرنا الى هذا الضرب المستحدث من الزراعة في مقتطف فبراير الماضي ص ٢٤٥ اذ عددناهُ من اهم ما اسفر عنهُ ارتقاء « العلم في العام الماضي » اي سنة ١٩٣٦ وفي مقتطف ابريل ص ٥٨٢ ومما قلناهُ حينئذٍ ان نبات الطماطم بلغ عند زرعهِ في الماء اضعاف ما يبلغهُ من العلو عند زرعهِ في التراب حتى لقد اضطر قاطفو الثمر ان يستعملوا السلالم لقطف الثمر من اعاليه . وبلغ متوسط الحاصل من نبات يزرع في حوض من الماء مساحة سطحهِ فدان مائتين وسبعة عشر طناً ويقابل ذلك ان حاصل النبات نفسه المزروع في ما مساحته فدان من الارض خمسة اطنان فقط . اما حاصل البطاطس في الاحوال عينها تقريباً فبلغ ٢٤٦٥ جريباً (بشلاً) في ما مساحتهُ فدان من الماء مقابل ١١٦ جريباً في ما مساحتهُ فدان من الارض . وقد بلغ نبات التبغ ٢٢ قدماً من الارتفاع ومن هذا القبيل الغلال التي جنيت من البنجر والجزر وغيرها

وقد ابتدع هذه الطريقة وقواعدها الدكتور جريك الاستاذ المساعد لفسيولوجية النبات في جامعة كاليفورنيا بعد مباحث استغرقت السنوات السبع الاخيرة : واساسها كما تقدم استعمال الماء واضافة العناصر اللازمة لنمو النبات اليهِ ويحتفظ بحرارتهِ بسلك كهربائي وهو الغالب او بطرق أخرى

هذا الاتجاه الجديد ، قائم على ما عرف بالاختبار وهو ان التربة اذا نفد خصبها وجب ان تضاف اليها عناصر الخصب أما سماداً طبيعيًّا واما سماداً كيمياويًّا وهذا يعني ان عمل التربة في الاصل حفظ جذر النبات قائماً في مكانٍ معيَّن فلا تجرفهُ السيول ولا تذروه الرياح . الاَّ ان

المواد الكيمياوية اللازمة للنمو التي تجهز بها التربة من قِبَل الطبيعة اثمن من ان يهمل شأنها وعلى ذلك فلا بدّ ان تبقى الزراعة في الحقول ذات مكانة عظيمة في حياة الناس

ولعلّ القارىء يستغرب اذا قلنا لهُ ان المطياف (السبكترسكوب) سيكون لهُ شأن كبير في تطبيق علم الطبيعة على الزراعة . ولكننا لسنا مغالين في ما نقول . ففي بعض انواع التربة تتجمع احياناً مقادير يسيرة من عناصر معينة لازمة لنمو النبات نمواً سويّاً . فيصاب بعض النبات بأمراض معينة اذا اعوزه عنصر البور في التربة مع ان ما يستنفده منهُ يسير جدّاً لا يقاس الاّ بأجزاء من الغرام . ثم انك تقع في بعض الحقول بغرب اميركا مثلاً ، على نبات قاس يؤثر في الحيوانات التي ترعاه فيسممها ، وقد ثبت بالبحث ان تربة هذه الحقول يعوزها الكبريت ويكثر فيها السلينيوم . وذرات العنصرين متشابهة من الناحية الكيمياوية . ومع ان النبات يستطيع ان يفرق بين ذرات العنصرين الاّ انهُ لا يملك نفسه عن امتصاص ذرات السلينيوم عند ما لا يجد كفايتهُ من ذرات الكبريت . الاّ ان السلينيوم ضار بالحيوانات وهذا تفسير تسممها عندما تأكل النبات الذي يكثر فيهِ

فاذا شئت ان تعرف مثلاً المقدار النسبي من هذين العنصرين في تربة حقلك ، واعتمدت على اساليب الحل الكيمياوي العادية استغرق ذلك وقتاً طويلاً ونفقة كبيرة . ولكن ذرتي الكبريت والسلينيوم تحدثان خطين مختلفين في المطياف فاستعماله في محطات زراعية تقام في مواقع معينة لا بدّ ان يصبح ضروريّاً ومألوفاً في المستقبل

ومن هذا القبيل قوام التربة نفسها ، هل هي صلصالية متماسكة ، او رملية متخلخلة اوغيرذلك لان الفلاحين يعلمون بالتجريب ان بعض النبات تزكو في نوع من التربة دون غيرها . ولكن قد يملك الفلاح حقلاً فيهِ نوعان من التربة او ثلاثة انواع ، ويرمي بنظره فوق السياج الى حقل فيرى ان نبات البسلة زاكٍ فيهِ فيزرع البسلة فلا تزكو عنده فيلعن سوء الطالع ولو انهُ عرف قوام التربة في حقله لعرف ان البسلة لا تزكو حيث زرعها ، وان مجرّد زكائها في حقل جاره لا يعني انها تزكو في حقله . فاذا استطاع العلم هذه المشكلة ووضع لها القواعد وابتدع لها الاساليب العملية استطاع الفلاح الذكيُّ المتعلم الذي يعتمد عليها ان يفوز بحاصل من البسلة يفوق الحاصل العاديّ اضعافاً مضاعفة اذا زرعها في خير تربة تصلح لها وتجود فيها

ان عجائب العلم لا تنتهي ، وآيتهُ التجدد والتجديد ، ولما كان موضوع الزراعة حيويّاً للناس عامة وفي مصر خاصة فلنا في العدد المقبل فصل آخر عن نواحٍ جديدة من تطبيق العلم الطبيعي على الزراعة

ساعات في هيا كل الشعراء — ١

ايليا ابو ماضى

ليوسف البعيني

مسحةٌ ضافية من التفكير، وتأمّلٌ عميق بعيد القرار، وربابٌ شجي عذبُ الأنغام، وخيالٌ مزهزه يشدُّ أطنابه الى النجوم ويبسط ظلاله على مدى الأفق . . . كلُّ هذا تلمسهُ الروح وهي تتهادى مع — أبي ماضي — في ذرى الشعر، وفوق متونِ سحابه

إنما للشاعر العبقري — ايليا أبو ماضي — لونٌ زاهٍ نضير لا يتمازج مع غيره من الألوان، ومزيّةٌ غريبة تختلف عن جميع المزايا . . . وهي تلك النغمة المبتكرة التي نسمع في قراراتها أعذبَ ما تشتاقهُ النفس، وأطربَ ما تحلمُ بهِ القلوب والأرواح!

ما من مرّةٍ قرأتُ بها — أبا ماضي — الاّ حملتني أبياتهُ المسكرة الى عالمٍ بعيد كلهُ رؤى وأحلام . . . عالم حافل بالصور يفتح للمخيلة مغالقَ الالهام، ويسكبُ في مراشفها الظامئة خمرة الشوق والحنين والتذكار

وحسبكَ أن تقرأ قصيدةً واحدة لهذا الشاعر المبتكر المجدّد حتى تنسى يأسك ان كنت يائساً، ودموعك إن كنت باكياً، وكآبتك الخرساء ان كنت كئيباً . . . أقول هذا لأن صاحب «الجداول» تجثم في صدره أسرارٌ علوية مروّاة بندى الحكمة ومهفّفة بفهم الحياة ومعانيها فانّ من تفتق أكمام شاعريتهِ عن مقاطعَ ساحرة كهذه المقاطع

مات النهار بنُ الصباحِ
فلا تقولي كيفَ ماتَ.
إن التأملَ في الحياةِ
يزيدُ أوجاع الحياة

لبينَ جوانحِ روحهِ موحية سموية تستقطر الوحي من أجواء مجهولة ثم تسيله في كأس

معطرة اذا لامستها شفاهُ الصوفي المتأمل غمرته نشوة من الاحلام شبيهة بضباب الفجر قبل أن يمسهُ شعاع الشمس ، أو وهجُ الضحى ! !

***

كان من محاسن التجديد ومن نعمه ، بعد انبثاق فجر جماله وتأرُّج أزاهير ربيعه ... كان من بعد كل ذلك ان تيقظ الشعراء وتنبه الملهمون الى ابتداع ناحية جديدة في الأدب ترضي الذوق الانساني الشامل وتؤجج في العاطفة الطافرة المتوثبة شعلها الزافرة . وقد فعل الشعراء مرتادين جميع أودية الفن . . . فمنهم من توغل في سراديب القلب المظلمة مستخرجاً منهُ ميوله وأحلامه ، ومنهم من جلس على شاطىء بحر الحياة مصغياً الى همس أمواجه المزبدة . ولكن قلما أبدع شاعرٌ من شعراء العربية ، على كثرتهم ، بتصوير موقف المغرم المدنف في آخر ساعة من ساعات حياته . . . نعم قلما أبدع شاعرٌ برسم نفس موحشة ، كئيبة ، متألمة غابت نظراتها المتعبة في لجج الموت كما أبدع — ايليا أبو ماضي — بتشخيص كوامن قلبه في قصيدته الخالدة — ابنة الفجر — ولو لم يكن لأبي ماضي من شعر سوى هذه القصيدة لكفى بها حتى تسنمهُ أسمى المراتب في دولة الوحي والالهام . قال :

أنا ان أغمضَ الحمام جفوني ودوى صوت مصرعي في المدينه
لا تصيحي وا حسرتاهُ لئلاَّ يدركَ السامعون ما تضمرينه
واذا زرتِني وأبصرتِ وجهي قد محا الموتُ شكهُ ويقينه
غالبي اليأس واجلسي عند نعشي بسكونٍ اني أحبُّ السكينه
واذا خفت أن يثور بك الوجدُ فتبدو أسرارنا المكنونه
فارجعي واسكبي دموعك سرًّا وامسحي باليدين ما تسكبينه

***

واذا ما وقفتِ عند السواقي وذكرتِ وقوفهُ وسكونه
حيثُ حاكَ الربيع للروض ثوباً كان أحلى لديهِ لو ترتدينه
فالثمي كلَّ زهرةٍ فيه اني كنتُ أهوى أزهاره وغصونه
ثم قولي للطير مات حبيبي فلماذا يا طيرُ لا تبكينه ؟

***

أنا لا أعرف بين شعراء العربية في مختلف أدوارهم من انتحى هذه الناحية الوجدانية في تصوير العواطف ، وتقطير الشعور والاحساس قادراً ان يعطي الناس صورةً مؤثرة كهذه الصورة

الساحرة بخطوطها وألوانها وبما يُفعمها من حرقة ومرارة . . . وكنت أعتقد قبل اليوم ان الشاعر الخالد — الفريد دي موسّه — في قصيدتهِ الجميلة « تذكري » لم يترك لغيره مجالاً لكي يكتب أشعاره بدم فؤاده . ولا أغالي اذا قلتُ ان (ابنةَ الفجر) تقع من النفس موقعاً مؤثراً أكثر من قصيدة الشاعر الفرنسي الكبير . واني لأذكر الآن كلمةً كتبها اليَّ أديبٌ غربيٌّ متفنن بعد ان أطلعته على الأبيات التالية ، وهذا الأديب هو الشاعر المشهور — جان دي لا هيرْ — الذي أحبّ الشرق حبًّا لا شائبة فيهِ :

واذا ما جلستِ وحدكِ في الليلِ وهاجت بكِ الشجون الدفينه
ورأيتِ الغيومَ تركضُ نحو الغرب ركضاً كأنّها مجنونه . . .
ولحظتِ من الكواكبِ صدًّا ونفاراً ، وفي النسيمِ خشونه
فغضبت على الليالي البواقي وحننتِ الى الليالي الثمينه
فاهجري الخدعَ الجميلَ وزوري ذلكَ القبرَ ثَمَّ حي قطينه
وانثري الوردَ حولهُ وعليهِ واغرسي عندَ قلبهِ ياسمينه

***

أما كلمة الشاعر الغربي فهي هذه :

« إنّهُ لتشملني ، بل لتحملني على اجنحة الهيولى ، هذه النغمةُ الشجيّة المغلفة باسرار الشرق واحلامه ... وكلُّ ما في الروح الشاعرة من هوى ، وخشوع ، وتعبُّد تبخرتْ بهِ ريشة (أبي ماضي) المعطرةِ في هذا المقطع الساحر الذي أطلعتني عليهِ . فهل في الشرق ، بين خرائبهِ الرهيبة ، وفي ظلال اعمدتهِ الدهرية ، شعراء آخرون يشاركون — ايليا أبي ماضي — في تنغيم موحياتهِ وانشاد روائعهِ المبطّنة برغائبِ النفس السامية وبأمانيها ؟ »

***

وعندي انّ هذه القصيدة الخالبة هي من أجود ما جاءت بهِ مخيلات الشعراء ، القدماء منهم والمحدّثين . وانّ مافيها من أسى مذيب ، ويأسٍ أبكم ، ومرارة سوداء ، وقنوط جارح ... ان كلّ ما فيها من هذه الالوان والميول ليشبهُ مأتماً من مآتم الارواح ، او مناحة من مناحات القلوب . ولكن — أبا ماضي — على الرغم من كل ذلك أمسى اليوم لايميل الى هذه الطريقة الوجدانيّة المؤثرة إلاّ إلماماً مخيّراً عليها التوغلَ في كهوف الفلسفة الصوفيّة بما فيها من فكر عميق واشكال متعددة الأدهنة والأصباغ . وأنا اقدّر ان الاعوام،الاعوام السائرة وراء اشباح

الموت هي التي جنحت بالشاعر العبقري الى اعتناق جوهر الحياة وتأدية رسالتها العلويّة

إن الشاعر المبدع ، لا الشاعر الزائف المقلد ، عند ما يتجنح شعوره ، ويختمر احساسه ، يتغير لون أحلامهِ وتتخذ انغام ربابهِ اصداء مختلفة فتمسي اشجار صدره كشجرة الحقل وقد قاربت زمن القطاف ، او كالسنبلة وقد تهيأت للحصاد ... وعلى هذا المثال يحدث للشاعر الملهم الموهوب . "وايليا ابو ماضي في قصيدتهِ — الطلاسم — يشبهُ اغراس الطبيعة المثقلة بالجنى والاثمار . ومثل الجدول المنساب الذي يوقع خريره الحنون على الحصى والاعشاب وهو تساؤلهُ الغامض المبهم عن اسرار إنسيابهِ ... هكذا يتساءل ابو ماضي عن معاني حياتهِ ، حياتهِ المسيّجة بأشواك التأمل والمحجوبة بضباب الاماني فهو يقول :

جئت ، لا أعلمُ من أينَ ، ولكني أتيتُ
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت ...
وسأبقى سائراً ان شئت هذا ام أبيت
كيف جئت ، كيف أبصرت طريقي ؟
لست أدري ...

***

ان في صدري يا بحر لاسراراً عجابا
نزلَ السترُ عليها وأنا كنتُ الحجابا ..
ولذا ازداد بُعداً كلما ازددتُ اقترابا
وأراني كلما اوشكتُ ادري
لست ادري . . . .

***

ان هذا التساؤل عن غوامض الحياة لهو الحياة ذاتها . وقد سبق للشاعر الانجليزي الساخر المتهكم — توماس هاردي — ان نظم قصيدة رائعة تتناسب مع طلاسم الشاعر اللبناني . ولكن — هاردي — ختم ملحمته بهذا المعنى . انّ لذة الحياة في جهل اسرار الحياة ومكنوناتها — وهذا المعنى على ما فيهِ من شاسع النظر ومن تقليد لعمر الخيّام ومحاكاة أبيقوريّة محضة يدلُّ على قصور الفكر ووهنهِ امام فلسفة الوجود . اما ابو ماضي فقد اقترب من كنه الموضوع بهذه الابيات وهو يعبّر بها عن حقيقة الحياة

هيَ في رأسي فكرٌ ، وهي في عينيّ نور
وهيَ في صدري آمـــالٌ ،وفي قلبي شعور
وهي في جسمي دمٌ يسرب فيهِ ويمور

***

ولايليا ابي ماضي ناحية بعثها في الشعر العربي مع اخوانهِ اعضاء — الرابطة القلمية— وهي تلك الناحية التي اصبت مضاربها في الغرب عصبة ادبية راقية تألفت في الجيل الماضي تحت رعاية الشاعر الناثر — تيوفيل غوتييهْ — ومن يقلب صفحات « الجداول » يرى بين ابياتها ما يؤكد صحة قولي !

لقد طالعت اخيراً مقالاً طويلاً لاديب عربيٍّ مشهور ينتقدُ فيهِ الكاتب البلجيكي الكبير — موريس ماترلنك — وفنَّهُ الرمزي الذي يوشّح صفحات كتابهِ (حياة النحل) حتى لكأنهُ يريد ان يحذّر الناشئة الجديدة في الشرق العربي من شرّ هذا الفن الغريب عنا بميولهِ ومقاصده وقد غاب عن هذا الاديب ان الشرق عرف الفنّ الرمزي في كتب انبيائهِ الاولين.. وهو على ما فيهِ من جمال يعبّر عن الحياة تعبيراً صادقاً ويأتي بالمعاني السهلةِ المنال.فلنقرأ معاً هذا المقطع الصغيرَ بحجمهِ، الكبيرَ بمغزاه.وقدتوجّهُ صاحبُ الجداول بعنوان—الغدير الطموح —

قالَ الغـــديرُ لنفسهِ ياليتني نهرٌ كبيرْ
مثلَ الفراتِ العذب او كالنيلِ ذي الفيض الغزير
تجري السفائن موقراتٍ فيـــهِ بالرزق الوفـــير
هيهات يرضى بالحقـــيرِ من المنى إلاّ الحقـــير
وانسابُ نحوَ النهر لا يلوي على المرج النضير
حتى اذا ما جاءه غلب الهدير على الخرير

***

إن صاحب الجداول شاعر كبير يخترق شعوره سجف الليالي والايام ومفكر ذو فكر محسوس بكهراب التيقظ والاستجداد . ولا شك عندي ان منظومات هذا الشاعر الخالد سوف تهدم أسوار التقيد والجمود ناحتةً من حجارتها تمثالاً لربة الوحي والالهام.واني لأختم هذه العجالة بعاطفة صادقة يمازجها التقدير والاعجاب بشعره العذب المخضب بنضرة الروح، والمخضل بلون الحياة !

ثمرات الراديو

في هذا العصر

للاستاذ لو العالم الانكليزي (1)

[نقلها عوض جندي]

يُعدّ جهاز الراديو في هذا العصر أثاثة من أثاث الدار الضرورية. ومن المرجح انهُ متى يكتب تاريخ النصف الاول من القرن العشرين ، ستتجلّى فيهِ فوائد الراديو العظيمة اكثر من تجليها الآن . ويحسبهُ كثير من الخلق ، ارقى قليلاً من أداة صالحة من ادوات الطرب الرخيص . بيد انهُ يجدر بنا اعتبار اذاعة الاخبار والموسيقى والخطب فائدة واحدة من فوائد الراديو العميمة . ومن الميسور أن تقوم الاذاعة جيداً ، على المنابع الكهربائية المنزلية فتكون في هذه الحالة ، افضل كثيراً من اعتمادها على الجو ، وما ينطوي عليهِ من العوائق الطبيعية ، فيبقى الاثير حرًّا لتلقي الأنباء والحوادث الخطيرة عند وقوعها

والواقع ان الموجات اللاسلكية ليست كهربائية ، ولكنها تتولد من الكهربائية وتلتقط بالكهربائية . وهي على ذلك الاساس تعتبر على الدوام ، اختراعاً كهربائيًّا . ويخيل الينا أن ادارة الجهازين ، المذيع واللاقط اللاسلكيين ، عويصة اذا ما تأملنا مقوّماتها . فالموجات اللاسلكية ، تنطلق في الاثير اسوة بموجات الضوء ، ويتعذر على فريق من الملأ ، تشبيه الموجات اللاسلكية بموجات الضوء لانهم لا يتسنى لهم رؤيتها متحركة . ومما لاشك فيهِ ايضاً أن الموجات الضوئية لا ترى . وانما كل ما تتيسر رؤيته ، هو تأثير الضوء في بعض المواد . والضوء الذي تبصر بصيصه صادراً من شقٍّ في غرفة مظلمة ، انما هو شعاعة من غبار منور

واذا ما سقط حجر في وسط بركة ماءٍ ، تولدت من سقوطهِ دوائر تتسع رويداً رويداً في

---

(1) هو ارشيبالد مونتغمري لو — ولد سنة ١٨٨٨ عالم انكليزي درس الهندسة الكهربائية ، واشتهر بتجاربه الباهرة في اللاسلكي ، والاذاعة المصورة وتسجيل الاصوات بالضوء ، وتحسين قاطرات الفحم والبنزين فأصبحت فوتوغرافية الصوت وقاطرات البنزين واجهزة اللاسلكي تدين لمخترعاته ديناً كبيراً . وله مؤلفات عديدة في الصوت والموسيقى . وكان استاذاً مساعداً للطبيعيات في كلية المدفعية الانكليزية الملكية بثغر وولتش من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢٢

كل جهة من جهات البركة . وتنطبق هذه الظاهرة عينها على الموجات اللاسلكية ، اذ الموجات التي تتولد من الجهاز المذيع تنطلق في الاثير ولكن انطلاقها يكون اسرع كثيراً من انطلاق الموجات المائية التي وصفناها اذ سرعة اللاسلكية ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية . ولما كانت الموجات الصوتية تقطع في الثانية ١١٠٠ قدم فقط ، ترتب على ذلك ان كل من عنده جهاز راديو في مدينة سنغافورة مثلاً يسمع جرس ساعة برج البرلمان الانكليزي وهو يدق ، قبل ان يسمعهُ الانكليزي القاطن تجاه الجانب المقابل من جسر وستمنستر

وكان من المشاكل التي اعترضت مخترعي اللاسلكي حالما أدركوا طريقة ارسال البرقيات اللاسلكية وتلقيها ضياع قدر كبير من الطاقة الكهربائية التي تستعمل لنقلها . فمن أراد في لندن مثلا محادثة امرئٍ في اميركا بالطريقة اللاسلكية ، كان لا مندوحة له عن احداث اضطراب في الاثير الذي يحف بكل مملكة من ممالك العالم . وكان لا بدّ له من استخدام قوة اكبر كثيراً مما تقتضيه تلك المحادثة لو تمت بالطريقة السلكية

وليس ذلك فحسب ، بل كان في مقدور كل من عنده جهاز لاسلكي للاستقبال ، استراق ذلك الحديث بينما انهُ لو اتيح اطلاق الموجات اللاسلكية في الجهة المرغوبة ايًا كانت لتيسر وصولها الى اماكن اقصى من الاماكن التي تصل اليها عادة ، بغير استهلاك قوة كهربائية اضافية اسوة بحشد اشعة الضوء في بقعة واحدة لتؤلف شعاعة واحدة وذلك بالعدسات والعاكسات فتنطلق تلك الشعاعة بلا عائق في جهة معيَّنة . وهذا ما نُفِّذ فعلاً في الراديو غير ان العاكسات المستعملة لعكس الموجات اللاسلكية تختلف اختلافاً كليًّا عن عاكسات النور وهي اضعف منها قوة

نظام « البيم »

ولذلك اخترع المركيز ماركوني في سنة ١٩٢٤ طريقة « البيم » للتليفون اللاسلكي وواصل تحسينها بعدئذ حتى أصبحت الوسيلة الثابتة المستعملة في محادثة اقصى البلدان

ونظام البيم هو الاختراع الذي جعل كل بلد من بلدان العالم في متناول بعضها بعضاً ، فسهل نقل برنامج الاذاعة اللاسلكية من انكلترا الى اوستراليا وجنوب افريقية وكندا والهند ، إما بالذات ، الى أرباب الاجهزة ذات الموجات القصيرة واما بالواسطة ، من محطة الاذاعة اللاسلكية المحلية التي تتلقى البرنامج الانكليزي ثم تعيد اذاعتهُ الى الجهات المطلوبة

وفي بدء اختراع الراديو ، كان يظن أن الموجات الطويلة ضرورية للنقل الى الاماكن النائية لان الطاقة الكهربائية الكبيرة ، كانت اسهل استعمالاً من غيرها . ولكن حالما امكن حشد الموجات المزمع اطلاقها ، وجعلها بمنزلة شعاعة واحدة ، أصبحت الموجات القصيرة ، وسيلة لنقل المحادثات التليفونية اللاسلكية الى جميع البلدان القاصية

والوجه ان لفظة Beam البيم المقصود بها حشد الموجات في شعاعة واحدة وعكسها ، ليست صائبة كل الصواب اذ ما زال مستحيلاً تركيز موجة الراديو كما تركز موجة الضوء . وما برحت القوة التي تبذَّر جسيمة . وقد جرّبت تجارب شتى بشأن الطريقة التي تنعكس بها هاتيك الموجات من طبقات الكهيربات التي تتأثر بضوء الشمس في الطبقة الطخرورية . على ان النقل اللاسلكي من أية نقطة على سطح الكرة الارضية الى نقطة اخرى يقتضي اطلاق مقدار من الطاقة اعظم جدا من المقدار الواصل الى المحطة التي تلتقطها

والعاكس المستعمل لتوجيه الموجات اللاسلكية ليس مرآة مفضضة ، كالمستعملة في توجيه النور ، بل سلسلة من الاسلاك . فاذا وضعنا مصدراً من مصادر النور في نقطة ما من مرآة ذات شكل قطع مخروطي ، امكننا عكس اشعة النور على شكل شعاعة مستقيمة ، واطلاقها الى بعد شاسع وهذا عين ما يحدث في الفانوس الامامي للسيارات . وهو يبين لنا كيف يرسل المصباح الصغير في السيارة ضوءه على شكل قلم مبريّ ، الى بعد مئات من الاقدام . وهذه الطريقة نفسها هي المستعملة في اللاسلكي

وقد اتضح لنا من عهد قريب عدم ضرورة وضع الاسلاك العاكسة على شكل قطع مخروطي . والقطع المخروطي هو شكل الخط المنحني الذي يرسمهُ حجر يقذف في الهواء

والموصلات الجوية اللاسلكية اي الاسلاك الهوائية aerials هي سلسلة من الاسلاك تشرع رأسيًّا ، ويوضع الجهاز العاكس خلفها مباشرة على بعد يختلف باختلاف طول الموجة . ولما يبلغ التراسل بطريقة البيم حدّ الكمال ، فقد يحدث نقص تدريجي في درجة ارتفاع الصوت الذي يولده اللاسلكي او نقص في المدى الذي تصل اليه الاشارات اللاسلكية . ومع ان هناك اجهزة اوتوماتيكية تتحكم في رفع وخفض اصوات البوق في الجهازين المذيع والمستقبل ولكنها لا تتغلب تغلباً تامًّا على تلك العقبة الكأداء

والموجات اللاسلكية لا تنطلق بعيداً جدًّا عن سطح الارض ، ولا يزيد ارتفاعها في النهار على ٧٥ ميلاً . اما استقبالها في الاماكن النائية فالمعوَّل فيه على الموجات التي تنطلق في الاثير انطلاقاً بعيد المدى حتى تنعكس بالطبقة المكونة من الكهيربات . وهي الطبقة المسماة طبقة هيفيسيد نسبة الى مكتشفها . وربما تصادف الموجات ثغرة في تلك الطبقة الجوية فتنفذ منها الى الاثير الذي يعلو تلك الطبقة بدلاً من انعكاسها عنها وحين ذاك تنخفض قوة صوت الاشارة اللاسلكية في الجهاز المستقبل . وتتوقف قوة الصوت والاشارة اللاسلكية على مبلغ طول الموجة المستعملة ولا سيما على الزمن ليلا كان او نهاراً . وتكون طبقة هيفيسيد في الدجى اكثر مناعة منها في النهار ، ازاء اختراق الاشارات اللاسلكية اياها

وهذا سبب استعمال موجات ذات أطوال مختلفة في التراسل اللاسلكي في أقسام الامبراطورية البريطانية على اختلافها . وكذلك استعمال طرق شتى . فيمكن ارسال البرقيات اللاسلكية الى أوستراليا غرباً عن طريق اميركا او شرقاً بجنوب عن طريق افريقية . وذلك في الساعات التي يرخي فيها الليل سدوله في هاتيك البلدان

وطالما قُدِّرت منفعة الراديو وفقاً لما نستمتع بهِ من اللهو الذي يأتينا بهِ او لامكان المرء محادثة قريب لهُ في استراليا مثلاً بسهولة باللاسلكي ، كما لو كان في الشارع المجاور لهُ او سماع نتائج المسابقات . وأهم من هذا كلهِ استعمالهُ في المنائر اللاسلكية

المنائر اللاسلكية

فقد كشف العلماء عن أعمال اخرى للراديو بطريقة البيم اي حشد الموجات اللاسلكية في بقعة واحدة ثم تسديدها الى الجهة المبتغاة بالجهاز العاكس وهو ذو شكل قطع مخروطي . ذلك ان الضباب الكثيف يضرب سرادقه احياناً على سطح البحر فتغدو المصابيح القوية التي في المنائر ، وكأنها بلا جدوى ، وتلجأ البواخر الى اطلاق الصفارات . ولكن الصوت يأتي أحياناً ببعض الغرائب في الضباب فتسمع التحذيرات ولكن ليس على وجه التحقيق الكامل . الا ان الراديو على نقيض ذلك لا يتأثر بالضباب اي تأثير ، فتقوم المنارة اللاسلكية باطلاق موجة من الاشارات اللاسلكية ، اسوة بالمنارة الاعتيادية التي ترسل شعاعة من الضوء فتقوم بتحذير البواخر تحذيراً محققاً ، مأمون العواقب

وقد انشئت المنائر اللاسلكية على سواحل العالم بأسره ، حيث تقوم بارسال اشارات متواصلة من نوع خاص فتتمكن اية باخرة تلتقطها من معرفة مكان وجودها في اكثف الضباب . ويتسنى جعل الشعاعة اللاسلكية تدور مداراً قوسيًّا فتصل الاشارات اولاً خافتة الصوت الى السماعة التي يعلقها العامل المستقبل في اذنيهِ ثم يرتفع الصوت ثم يضمحل تدريجاً

ومما لاريب فيهِ ان المنائر اللاسلكية سيعم استعمالها فتنتفع بها البواخر جميعها، التي فيها اجهزة لالتقاطها ، عدا البواخر الصغرى

وللاسلكي في الجو نفع اخطر من ذلك ، اذ قادة الطائرات المحلقة في كبد السحاب ، يتوسلون بهِ الى معرفة مواقعهم بغاية الضبط . وذلك بوساطة محطتين لاسلكيتين على سطح الارض ، اذ تلتقط تانك المحطتان الاشارة الصادرة من الطائرة فتعرفان اتجاهها فترسمان على مقتضاه ، مثلثاً تجعلان الطائرة في رأسهِ ، فتستطيعان حينئذ ابلاغ قائدها موقعهُ بالضبط وان كان لا يتمكن من رؤية الارض .

وأحدث المخترعات في هذا الشأن هو استعمال طريقة البيم لارشاد قادة الطائرات الى المطارات في الليل او في الضباب ، اذ تقوم الموجات اللاسلكية بتوليد اشارة مستمرة ممتازة ، فيعرف قائد الطائرة انهُ ما دام يسمع تلك الاشارة قوية ، ايقن انه ينهج السبيل القويم . فاذا ما حاد عنهُ حيدة شديدة يمنة او يسرة ، ضعفت الاشارة او قل مداها ، فلا تصل الى سماعته المعلقة بأذنيه ، الاَّ اذا عاد ادراجه . وقد جهزت اشهر طرق الطيران في أميركا تجهيزاً جيداً بالمنائر اللاسلكية التي تزود قادة الطائرات بهاتيك الاشارات فتمكنهم من قطع المراحل الطويلة ليلاً ، مستغنين عن الارشادات الارضية كل الاستغناء

نقل الطاقة لاسلكياً

اما الممالك الاوروبية فقد اخذت تقيم امثال تلك المنائر . وهذا مما يجعلنا نتذكر بأن اللاسلكي ، الذي كانت مهمته في بيوتنا لا تعدو اللهو ، والموسيقى ، اضحى وسيلة من وسائل النجاة لركاب الجو والبحر . والشعاعة اللاسلكية (البيم) على تشبيهها بشعاعة الفانوس الامامي للسيارة تختلف عنها في انها تنفرج انفراجاً عظيماً ببعدها عن العاكس فتنتشر انتشاراً واسع النطاق ، قبل انقضاء الزمن الذي تقطع فيه مسافة الف ميل او اكثر . هذه هي المشكلة الخاصة بحصر الموجة اللاسلكية ، التي يسعى المهندسون الى حلّها بغية التمكن من اذاعة الحرارة والنور والقوة . اذ الطاقة الكهربائية التي يستطاع جمعها في وقتنا الحالي من محطة الاذاعة تكاد تكون يسيرة جدًّا . فالمحطة التي تطلق موجات بقوة ٧٥ كيلو وط اي المحطة القوية ذات المائة حصان ، تفقد كثيراً من الطاقة بحيث تصبح القوة الصادرة منها غير كافية لتحريك ريشة ولا لانارة اصغر المصابيح الكهربائية . ثم ان المصابيح التي في الجهاز المستقبل للاذاعة لا تنار بالقوة الواردة في الموصل الجوي اللاسلكي aerial بل بالبطاريات مباشرة . ومتى حلت مشكلة حشد طاقة الراديو كلها في بقعة واحدة ، صار في وسعنا اكتشاف طريقة توجيه الكهربائية للانارة باللاسلكي ، وغدت شعاعة الموت حقيقة ثابتة لا ريب فيها

ومع انهُ من المستحيل الآن تحريك الآلات باللاسلكي ، غير ان التحكم فيها بهذه الوسيلة ميسور . وقد أُتيح لدوق جلوستر ، حينما كان في اوستراليا منذ زمن غير بعيد ، انزال باخرة باللاسلكي الى البحر في انكلترا . ولعلَّ افضل الامثلة على السيطرة على الآلات باللاسلكي ، هي الدردنوط القديمة سنتوريون Centurion التي ما برحت منذ عدة سنين ، مستعملة كهدف لمدافع البوارج الانكليزية الجديدة التي يراد تمرين بحارتها على اطلاق نيران مدافعها

ولما كان ضرورياً جعل الهدف متحركاً كالسفينة المعتادة لكي يؤدي النفع المنشود ، وكان غير ممكن ابقاء انسان حيٍّ على مرقب bridge باخرة مزمع ضربها بالمدافع ، صار مستطاعاً لسفينة الهدف التي تُسيَّر باللاسلكي ، اجراء المناورات المألوفة ، من إسراع وإبطاء ونحوهما ، دون وضع اي مخلوق على سطحها . وتتم تلك السيطرة بمدمرة تبعد عن السنتوريون ، نحو اربعة اميال إذ تقلع السنتوريون بقوتها الذاتية من ملاحيها الاحتياطيين ، فيظلون فيها الى قبيل تسديد نيران المدافع اليها ثم يغادرونها وحينئذ تقوم المدمرة مقامهم . فترسل الاشارات فتتلقاها الموصلات الجوية اللاسلكية الكامنة في سفينة الهدف المشار اليها ، وهي كثيرة لانها عرضة لمقذوفات المدافع فاذا ما تحطم احدها ، قام الآخر مقامهُ . والجهاز المستقبل للاشارات اللاسلكية والآلات القاطرة والمسيطرة على حركات سفينة الهدف ، مصونة من القذائف صيانة شديدة . وكان بدء اختراع هذا النظام في سنة ١٩١٦

بيد ان الاشارات اللاسلكية التي ترسل من المدمرة المسيطرة على سفينة الهدف لا تستطيع تحريك صفارة سفينة الهدف ولا سكانها رأساً ، لانها غير كافية لذينك الغرضين ولو كانا على بعد ثلاث ياردات من مبعثها . وانما هي تحرك ادوات دقيقة في سفينة الهدف تتحكم في الآلات الاصلية التي تسيطر على الدفة والصفارة

وتلك الآلات تستمد قوتها من قاطرات سفينة الهدف او من بطاريات التخزين الكهربائية وبهذه الذريعة يسهل تحريك سفينة الهدف اما يمنة واما يسرة وتسييرها سيراً حثيثاً او بطيئاً وقيامها بالحركات المرغوبة المختلفة كما لو كانت تقودها الايدي البشرية

وثبت حديثاً التذرع بالهيمنة اللاسلكية على الزوارق الصغيرة ذات المحركات الداخلية (الموطرات) ثبوتاً قاطعاً فجعل ولاة الامور يفكرون في استخدامها ابان الحروب . ولاغرو فان تسيير النسافات باللاسلكي في غضون الحرب العالمية ، جاوز حدَّ التجربة ، فمن اهون الامور والحالة هذه صنع نسافة لاتخطيء هدفها ، رغم دقة الاجهزة ، على ان يقفو آثارها في مناوراتها ، العامل الذي يتحكم فيها . اما في هذه الآونة فمن اصعب الامور ، جعل الآلات التي من هذا القبيل مستقلة عن التدخل الخارجي آمنة من اعتداء العدو . غير ان التحسينات القائمة على ساق وقدم ستمهد لنا السبيل في الوقت الملائم للحصول على طائرات تسيَّر باللاسلكي فيقيض لنا حينئذٍ ارسال حمل من الرسائل البريدية الى البلدان التي تبعد عنا مئات من الاميال بغير قائد للطائرة التي تقل ذلك الوسق

مائة سنة على ميلاد الشاعر

سوينبرن

١٨٣٧ — ١٩٠٩

لكامل محمود حبيب

هو ألجيرنون شارل سوينبيرن Swinburne شاعر الجمال والحب والسياسة ، شاعر الجزالة والموسيقى والقوة، مثل من الامثلة العليا في الثورة والابداع والدأب والنشاط وسعة الاطلاع وعزة النفس وسمو الروح .

نشأته وثقافته

في الخامسة من مساء ٥ ابريل سنة ١٨٣٧ طلع سوينبيرن الى العالم معروقاً هزيلاً قرة عين أبوين كريمي المحتد هما الاميرال شارل سوينبيرن والسيدة جان هنريتا أشبيرنهام ؛ وقضى أيامهُ الاولى في لندن ثم انتقل الى جزيرة وَيْط ليجد الصحة والعافية هناك وليتذوق اول لذاذات الحياة في أمواج البحر المضطربة وفي هدوء الجبال ، بين ثُلّة من اترابه ، يستمتع بالتطواف والسباحة ، فنشأ يهفو نحو البحر كما يقول هو « ... وإني لاخال ملح البحر قد اختلط بدمي قبل ان أُولد »

وتلقى علومهُ الاولى عن أمه فهي قد علمتهُ مبادىء اللغتين الفرنسية والايطالية. ثم كان ينطلق أيام الآحاد الى الكنيسة يأخذ بقسط في العلوم الدينية وأمهُ تبعث في نفسه حب الدين والانكباب على دراسته ، وما كان هو في حاجة الى نصيحتها فهو يستقبل يوم الاحد في سرور ومرح ويندفع الى الكنيسة في لذة وطرب ثم يجلس الى القس في انتباه وشغف . وحين يقرأ في الكتاب المقدس يقف في نشاط وخشوع ويرسل من بين شفتيه رنّات عذبة شجية تجذب اليها السمع والقلب في وقت معاً ، واذا سأله القس أجاب في براعة وجودة . ولقد رافقهُ هذا الولع عمره وبدا أثره بيّناً واضحاً في شعره وحياته

وفي الثانية عشرة من عمره انتظم في كلية ايتون. وهنا يحدثنا اللورد رديسديل حديث شاعرنا فيقول « ... لقد كان شبحاً ضئيلاً يتأبط كتاباً جمع روايات شكسبير في غلاف من الجلد ثمين ،

و ... ورأسه الكبير قد تشعث عليها شعر طويل احمر . وكان وجههُ سمحاً جميلاً ، وبشرتهُ بيضاء لطيفة يشبهُ في ذلك وجه أمه. أما شعره فأنا واثق بأنهُ قد ورثهُ عن أبيه. وفي صوتهِ نغمات صوت أمهِ الجميل الخلاّب وكان لسانه طلقاً يترفع عن حوشيّ اللفظ ودنيء العبارة ... » ثم قال ... « وكان يبذ اقرانه رجاحة عقل وسرعة بديهة ، أغرم بشكسبير ومارلو وبن جنصن وسبنسر و... وغيرهم من شعراء القرنين السادس عشر والسابع عشر ومال الى المأساة بقلبه . . . ولقد قرأ في الشعر الفرنسي والايطالي كما قرأ في الشعر الانجليزي. ولقد حباه الله بحافظة واعية اكتنز فيها كثيراً من الشعر والروايات... »

ومكث سوينبيرن في إيتون اربع سنوات ونصف سنة ، دأب فيها على المطالعة والدرس ، ولقد قيل إنهُ اتقن اللغة الاغريقية فاستطاع ان يقرأ كثيراً من الشعر الاغريقي ، وفي الحق أنهُ لم ينل منها قسطاً كبيراً في هذه الفترة ولعله كان قد ابتدأ يشبع رغبة تتأجج في نفسهِ ، تلك هي مكانه الذي كان يتأهب ليتبوأه بين الشعراء. ولقد تحدث هو بذلك الى المستر رابر — بعد ذلك بعشرات السنين —وهما على مائدة استاذه جويت حين سأله المستر رابر: «من ترى أعظم الشعراء الانجليز » قال سوينبيرن : «شكسبير هو رأسهم غير منازع ، ثم ملتون، ثم شيللي ثم ...ثم لا أدري ولكني لا بد ان اضع إسمي بعده ! »

في هذه الرحلة من حياتهِ أخذ نفسه بقرض الشعر ثم أباد كل ما كتب غير ان قطعة واحدة لم ينلها ما نال اخواتها فظلت تكشف عن الناحية العقلية في الشاب الشاعر في ذلك الحين ، تلك هي « انتصار جلوريانا » نظمها — في اغلب الظن— سنة ١٨٥١ وهي تصف زيارة الملكة فيكتوريا لايتون ... وغادر هو ايتون سنة ١٨٥٣ متململاً حانقاً على عمله المدرسي يريد ان يكون جنديـاً ثم عزف عن هذه الرغبة وراح يعد نفسه لامتحان الدخول في كلية باليول في جامعة اكسفورد وفي ٢٤ يناير سنة ١٨٥٦ ادى الامتحان في نجاح ...

وقضى ثلاث سنوات هناك يجذب اليهِ الانظار ، وتعرّف الى كثير من زملائهِ النابهين الذين طار صيتهم — بعد سنين — في ارجاء العالم مثل ريتشارد واتسن وسبنسر ستانهوب وتوماس جرين وجون نقولا . وارادوا ان يوثقوا هذه العلاقة فألفوا جمعية علمية رياضيّة جمعت افذاذ الطلبة وعباقرتهم

ولقد شهدت سنة ١٨٥٧ نضوجاً كبيراً في ذهن الفتى فألقى بنفسهِ في غمرات السياسة بعد ان اثرت فيهِ كلمات جده من ناحية وعبارات جون نقولا تلميذ مازيني من جهة اخرى فراح يترنم بالمذهب الجمهوري وبدت الروح السياسية على الجمعيه فما من افرادها إلاَّ من حقد على نابليون الثالث ونزعاته

وفي سنة ١٨٥٨ طلب اليهِ ابوه ان يرافقهُ الى فرنساء واخذ عليهِ موثقاً من الله ان لا يفعل مايضر بالامبراطور والاَّ يكتب مايجرّحهُ . وحين انطلق الى الشانزليزيه في صحبة ابويهِ التقوا جميعاً بالامبراطور فانحنى الزوج والزوجة يحيون الامبراطور العظيم فرفع نابليون قبعته في عظمة رد التحية . وحين سئل الابن عما فعل قال في بطء وتهكم « اما انا فلم ارفع قبعتي لانني لا اريد ان اقطع يدي عند المعصم عند عودتي الى الفندق ! »

ثم اتخذ مثله الاعلى كارليل ونقولا يشجعه ، وجويت — رئيس الكلية — يحذره مغبة امره فما استكان وما اقلع

وتأججت الشعلة السياسية في رأس الفتى ونزت بهِ نزوات الشغب والهياج ، وأخذته العزة بمذهبهِ الجمهوري وهو يتتبع النهضة الايطالية والنمساوية في لذة وشغف ، فضاقت بهِ الكلية ، وخافت ثورته حين خرج على نظامها . واستطاع جويت — بعد لأي — أن يبعده عن اكسفورد حين ألحَّ على أبيهِ أن يلقنهُ التاريخ الحديث على قس عالم هو وليم ستبس ، فخمدت الجذوة التي في رأس الشاب حين رأى نفسه وحيداً في نافستون . ولعله يلذ لنا ان نرى ما كان بين التلميذ وأستاذه الجديد في هذه البقعة المنعزلة : لقد ألحَّ القس ان يرى بعض شعر تلميذه فأذعن التلميذ واندفع يقرأقصته شاستيلارد ، وانحط عليها القس ينتقد في غير هوادة ولا رفق فدلف الفتى الى حجرته حزيناً مضطرباً ، وانطلقت على أثره السيدة ستيبس تداعبهُ وتطلب اليهِ ان يرافقها ليتناول طعام العشاء فأبى . . . وجلس الى نفسهِ . . . وفي الصباح غادر مخدعه متأخراً تبدو عليهِ سمات الفتور والشحوب ، فراح القس يعتذر اليهِ على أن تسرع في النقد فأجابه الشاعر « لقد حرقتها جميعاً » فذعر القس واضطرب غير ان الفتى قال « ولكن لا ضير ، لقد قضيت ساعات الليل كلها اكتبها من جديد من الذاكرة » وعجب الاستاذ لما سمع ، وتصرمت الايام وهما صديقان يعجب كل منهما بما في صاحبهِ من عبقرية وذكاء ، ثم اضطر الى ان يعود الى اكسفورد ثانية غير انهُ رأى في نفسهِ الرجل الذي لا يصلح للحياة الجامعية ففزع عن الجامعة ليدرس هو ما يصبو اليهِ ، ولم يحصل على درجة جامعية الى ان منحه إياها اللورد كيرزون وهو عميد الكلية وشكره سوينبيرن بخطاب في ٣ مايو سنة ١٩٠٧

***

عشقه وأثره في نفسه

أفكان للانسان أن يرى الجمال في الطبيعة ، في الرياض ، في البحر ، على سفح الجبل وعلى قمته ، ثم هو لا يراه في المرأة وهي ترف رفيفاً يملأ الدنيا عطراً شذيًّا يخلب اللب ويسيطر على

القلب ؟ أفكان للشاعر ان ينبض قلبه السامي فيملي عليه نفثات السحر وهو لا يستشعر سحر المرأة في قلبه وعقله معاً ؟ أفكان لشاعرنا سوينبيرن أن يبلغ الأوج دون ان يتقلب قلبه بين ألسنة النار المتسعرة المنبعثة من عين فاترة وطرف ساحر وخد متلهب وقد رشيق معتدل ثم . . . ثم تعيش معهُ الذكرى او يعيش هو بالأمل ؟

لقد أحبَّ شاعرنا كثيراً وتدله كثيراً وأخفق في حبه كثيراً ونحن لا نستطيع ان نجمع كل ما كان منهُ في هذه العجالة القصيرة فنحن نجتزىء ببعض ما يشفي الغلة

ان القلب العظيم لا يضيق بشيءٍ وان عظم ، كذلك كان قلب سوينبيرن فهو قد وسع العاطفة السامية لجمع من الفتيات والسيدات نذكر من بينهنَّ السيدة تريفيليان والسيدة ريتش ثم الاوانس روسيتي وليسلي وسارتوريس وموريس و . . .

وفي سنة ١٨٦٢ كان يتردد بكثرة على دار صديقه رَسْكِن وتعرف هناك على احدى قريباته وهي فتاة في مقتبل العمر وفجر الشباب جميلة جذابة ، رقيقة ناعمة ، نشيطة خفيفة الحركة والروح فاستطاعت بما حباها بهِ الله من جمال ورقة أن تغزو قلب الشاب الشاعر ، وراحت تبذر في نفسهِ غراس الشجاعة والجرأة ، فكانت تقدم لهُ الازاهير الجميلة او تداعبهُ في لطف ، وتغني لهُ الأغاني العذبة فأحس هو بسحرها يتدفق في قلبه في شدة وعنف فاندفع يفتح أمامها مغاليق قلبه في سذاجة وجهل ، لم يترفق ولم يستأن . وبدا استهتار الفتاة بحديثه في قهقهة عاصفة أرسلتها في وجههِ . لشد ما آلمه ان يرى أمله تعبث بهِ هذه الضحكة العالية ! فحمل معهُ حطام قلبه وطار من لندن الى نورثمبرلند وانطوى على حزن في نفسهِ يكتب خير رواياته « انتصار الزمان » . وظلَّ عمره لا ينسى حبه هذا ، ولقد تحدث عن هذا الامر بعد خمسة عشر عاماً : « لقد زال عني أثر الغضب الذي بعثتهُ في نفسي الضحكة العابثة لتزرع فيَّ الأسى واللوعة . . . »

ونحن لا نجد مفرّاً عن ان نترجم بعض قلبهِ الذي نزفهُ هو على القرطاس ، قال يناجي البحر :

سأنام ، ثم أتحرك مع الفلك
أتقلب كما تتقلب الرياح ، وأنحرف مع التيار
وتستمتع شفتاي بزبد شفتيكَ
أعلو وأهبط مع موجك ،
سأنام ، وأنا لا ادري اذا كانت هي ،
وهي تشع حياة وجمالاً ،
تشبه الزهرة الرفافة على فننها الغض
تحت اشعة شمس الصيف الهادئة ، في رائحتها الزكية وكبريائها

سأندفع في طريقي على غير هدى
أملأ النهار بأنفاسي الحرّى
وأسكن الى المخلوقات الفانية
أفعل ما تفعل الطبيعة، وأتحدث حديثها ؟
ولكن اذا أحب كل منا صاحبه — ياعزيزتي ،
أتشعرين بقلبي وهو يسجد عند قدميك الصغيرتين
قلبي وهو يدق دقاته العنيفة من أثر السرور
لأنهُ أحسّ بقدميك الجميلتين تطآنه وتسوقانه إلى القبر

***

آه، أحقّاً أني لم أفز من حياتي بشيء بل عزفت عن
كل ما حبتني الحياة، وتركت السنين تمر
بخمرها وعسلها، ريحانها وشوكها،
والاحلام تشيد الاهام فيهدّمها الأمل ؟
تعاليْ أيتها الحياة أو تعال ياموت فلن أنبس بكلمة
افأفتقدك في الحياة وآسي لموتك ؟
لن أحدثك على الارض بشيء، وفي السماء،
إذا ناديتك هناك، أفتسمعين أو تعرفين ؟

بهذا الاسلوب، بهذا الخيال، بهذه الروعة يخاطب الشاعر الشاب فتاتهُ التي أسرتهُ وملكت عقله ولبهُ واخترقت شغاف قلبه لتستقر فيه ما عاش

***

وفي هذه السنة صفعت الايامُ الشاعر صفعة أخرى قوية حين ماتت رفيقة طفولته ونشأته الأولى ليزي سيدال فتركت في قلبه جرحاً لا يندمل

***

وفي سنة ١٨٦٩ انطلق سوينبيرن إلى فيشي طلباً للاستجمام والصحة فتعرف على صديق هو فردريك ليتون وصديقة هي أديليد كامبل (الآنسة سارتوريس) وبعد خمسة أيام كتب إلى صديق « إن في فيشي الصحة والحياة » وفي الحق لقد وجد في فيشي السعادة . . . سعادة القلب أيضاً وهو إلى جانب صديقته اديليد تغنيه فيطرب ويهتز فرحاً للصوت الذي ظل يرن في مسمعيه ربع قرن من الزمان . وحين جاءه نعي صديقه اللورد ليتون كتب قصيدته « ليلة في فيشي ».ولم

بطل له الاستمتاع برفقة صديقته هذه لانهُ نزح عن فيشي ليلبي دعوة فيكتور هيجو

ثم زار فيشي بعد سنوات ثمان فكتب قطعة خالدة جاء فيها :

طلعت علينا السنة التاسعة بعد ان تصرمت سنوات ثمان

منذ أن تصافحنا لأول مرة بجانب الينبوع

وأنا مأخوذ بأغاني صديق حبيب إلى نفسي ،

إنني لأعجب للصديق ينسى صديقهُ

***

إن الحياة كالصخرة الناتئة تتناوحها الرياح ،

والزمان كالريح ونحن الامواج المضطربة ،

والاغاني كالزبد تثيره الرياح ،

إذن فلا بد أن تكون الفكرة التي في القلب عميقة كالبحر

***

هذه هي نظرية الشاعر في الصدقة والحب ، فيا عجباً ، يا عجبا . . . !

أخلاقه

كان سوينبيرن حديداً في رأيه واخلاقه لا يتزعزع وان عصفت بهِ الايام، ولا يلين للحادثات وإن الحت عليهِ ، فظلّ لا يتأثر بالآراء الاخرى من نشأته الاولى في جزيرة وايط الى آخر نسمة من نسمات الحياة في بوتني ، فكانت حياته صلبة جامدة . ولقد اتخذ له اساتذة أسلس لهم وانقاد وبدأ أثرهم عليه ، هؤلاء مثل جوبت وبيرتون وروسيتي وواتس ودانتي وغيرهم . وتأثر في شعره بالاغريق وشكسبير وبودلير وهيجو . غير ان أثرهم في نفسه كان كأثر قضيب المغناطيس على الابرة المغناطيسية يوجهها اليهِ مادام هو الى جانبها فان ابتعد انتهى اثره . وكان هو في دنيا غير دنيا الناس يعيش في خيال نفسه وآمالها غير ان شيئاً من الشذوذ لم يلحظ عليه . وكان انيقاً في لباسه ، بلغ في ذلك مبلغاً جذب اليهِ انظار الخياطين في لندن فاتخذوه مثلاً اعلى لاحدث طراز ، وظلّ هذا دأبه عمره الاّ حين استقر في بوتني سنة (١٨٧٩ — ١٩٠٩) واستمرأ الوحدة ، واطمأن الى العزلة ، فما عاد يعنى بانظار الناس لانها لا تقع عليهِ الاّ لماماً

وكان ابيًّا عفيفاً ، إذا سقط الذباب على طعام رفع يده ونفسه تشتهيه ، وكان صريحاً يعتز بنفسهِ في كبرياء وصلف ، فكان حين ينشد شعره يرفع عقيرته ويهتز طرباً كانما يسمع لحناً سماويًّا او قطعة موسيقية رائعة . وكان صديقاً لطيف المعشر رضيّ الخلق لا يجرّح صديقه ولا يمتهنه ولا يحقره

وعجيب ان ترى الرجل الذي امتزج حب المذهب الجمهوري بدمه وجرى في عروقه... عجيب ان تراه ارستقراطيًّا يمعن في ارستقراطيته ويفخر بها ، وهو لم يكن جمهوريًّا هادىء الطباع « فهو لم يكن ثائراً فحسب بل كان ينفث روح الثورة في كل من يلقاه » . هذا الرجل الثائر هو الذي كتب عنهُ الروائي الهولندي بورتن سوارتز « لقد جذب نظري اليهِ لاول مرة في حلبة سباق ، أنا لم أكن اعرف شيئاً عن مقامهِ الاجتماعي من قبل ، ولكنهُ كان يبدو اجنبيًّا وانجليزيًّا أرستقراطيًّا »

وكان وطنيًّا يتعشق وطنه ويرفعه فوق كل مرتبة ، فهو في كل ما كتب لم يمس مجالس الشورى الانجليزية بسوء ولا الهيئة الحاكمة . افكان يخشى ان يذهب ضحية غضب الحكومة وهو الجريء المقدام الذي لا يخشى احداً ولا يكتم في نفسه ثورة من ثوراتها ، وهو قد انحط على الالمان والفرنسيين ينتقدهم في غير هوادة ولا رفق ؟ الجواب على ذلك يتبين في حديثه للسيدة ويتش حين سألته « ماذا اعددت لانجلترا ؟ » قال « لها حياتي ! » هذا الرجل لا يستطيع وهو يقدس وطنه ويعبده ، ان يرى فيهِ عيباً يثير من غيظه او يهيج من غضبه

وكان لسناً لبقاً قوي الحجة سريع البديهة ، وكان حديثه كنثره وشعره قويًّا ضخماً جزلاً ولقد تحدث عنهُ رجل اسكتلندي قال « لقد كان مفوهاً حين يجد ، وحين يهزل لم اجد من يحسن الكلام مثله » وكانت الناحية الادبية تسيطر دائماً على حديثه لانهُ اغرم بها منذ نعومة اظفاره . ثم هو علاوة على تفوقهِ في الشعر تفوق في نقد الشعراء الكتاب في حماسة وقدرة ويقارن بين نفسه وبينهم في غير حرج ولا تواضع

اما الناحية الدينية التي شبت معهُ فلعلها قد تأثرت بنظرية المثل الافلاطونية فاتخذ منها إلهاً يعبده ، ولقد رأيت هذا الرأي حين وقع نظري على خطاب منهُ الى ستدمان في ٢١ فبراير سنة ١٨٧٥ جاء فيه « أنا لست مؤمناً ، لقد علمت بالالهام وادركت بالعقل أن إنساناً لا يستطيع ان يقول بوجود إله ذاتي الا اذا كان يهيم في متاهات الخرافة السخيفة . . . ولكن نحن الذين لا يعبدون شيئاً ملموساً ولا إنساناً يستطيعون ان يعبدوا الانسانية المقدسة ، المثل الاعلى للكمال والسمو ، دون ان يعبدوا إلهاً او انساناً او . . . لهذا استطيع ان اسمي نفسي مسيحيًّا ، غير انني لست مؤمناً . . . » ولقد عجبت للرجل ينشأ النشأة الدينية منذ سنيه الاولى ثم هو يتحدث عن نفسه بمثل هذه الجرأة وهذا المنطق السقيم !

ولقد اصيب بالصمم وهو في التاسعة والاربعين من عمره فما كان يرفع صوته . شأن كثير ممن فقدوا السمع . . ولكنهُ ظلَّ يتحدث في هدوء وفي نبراته العذبة الاخاذة

ومات في بوتني في ١٠ ابريل سنة ١٩٠٩ بذات الرئة تاركاً ثروة ادبية ترفعهُ الى اوج العظماء

عقل الانسان

بين الكيمياء والكهرباء

في أثناء النوم والمرض(١)

اثبتت التجارب الحديثة ان دماغ الانسان تبدو عليهِ ظاهرات كهربائية واضحة في اثناء اليقظة فهل يمتنع هذه الظاهرات اذا خمد نشاط اليقظة وخبت شعلة الوعي، اي اذا اخذ الكرى بمعاقد الاجفان واستسلم الجسم للنوم؟

هذا موضوع طريف طرقهُ فريق من علماء اميركا في مختبر لوميس بتكسيدو بارك نيويورك وفي مقدمتهم نيوتن هارڤي المشهور بدراستهِ في « الاحياء المضيئة ». فاعدّوا حجرة نوم مجهزة بجميع الوسائل اللازمة لاخضاع التجربة للسيطرة العلمية الدقيقة. فالحجرة يحيط بها حجاب يمنع كلَّ تيار كهربائي من الخارج ان يتصل بداخلها. وفيها « ميكروفون » دقيق الحسّ يدوّن جميع الاصوات التي تحدث في الحجرة، وهناك جهاز آخر قائم على مبدأ الكهرباء الضوئية(٢) يسجّل حركة السرير الناشئة عن تقلّب النائم على فراشهِ

وقد صنعت سجلات على هـذا الاساس لعشرات من الناس تتفاوت اعمارهم من احد عشر يوماً الى خمس وسبعين سنة. وهذه السجلات نوعان نوع يدوّن حركات النائم ونوع يدوّن الامواج الكهربائية الصادرة من الدماغ. والتدوينان متحاذيان، وهذا يعني انهُ اذا اخذت الشريط الذي دونت عليهِ حركة النائم وقلت ترى ماذا يقابل هذه الحركة البدنية العنيفة من احوال الدماغ الكهربائية؟ كان لك ذلك على اوفى وجهٍ

ولعلك تعلم ان جهازاً يسجّل آثار حركة بدنية او امواج نشاط كهربائي على شريط منساب، يملأ من الشريط، في اثناء سبع ساعات من النوم في الليل ما طوله نصف ميل، ولذلك استنبط هؤلاء العلماء اسطوانة دوّارة طولها ثماني اقدام، ولها ريشة تدوين عليها من تلقاء نفسها امواج

(١) راجع مقتطف يوليو ١٩٣٧ ص ١٢٩ — ١٣٤ (٢) Photo-electric

الكهرباء الصادرة من الدماغ . بل ادهى من ذلك استنبطوا وسيلة لاستعمال ثلاث ريش في آنٍ واحد كلٌّ منها متصل بناحية من الجمجمة وكلٌّ منها يدوّن التموجات بحبر يختلف لونهُ عن لون الحبر في الآخر

هذا هو الاسلوب الذي جرت عليهِ التجربة . وبعد درس السجلات درساً وافياً ظهر لهؤلاء العلماء ان ثلاثة انواع من الامواج الكهربائية تصدر من الدماغ في اثناء النوم . النوع الأول أمواج منتظمة السياق كأمواج « الفا » التي تصدر من الدماغ في أثناء اليقظة (راجع مقال يوليو) تصدر من الدماغ في اثناء النوم الخفيف المتقطّع . والنوع الثاني طائفة من الامواج تدلُّ آثارها على انها نتيجة نشاط يشتدُّ فجأة ثم يخبو فجأة . ثم هناك النوع الثالث وهو أمواج غير منتظمة في ظهورها وشكلها وقد أطلقوا عليها اسم « الامواج الشاردة »

هذان النوعان الأخيران مرتبطان بالنوم العميق . ومن أغرب ما ظهر عند دراسة هذه السجلات ان الانتقال من ظهور الامواج الشاردة الى الامواج المنتظمة (امواج الفا) يحدث بمجرّد التحدُّث مع النائم . ولكن الاصوات الرتيبة التي تعوّدتها الأذن كصوت مرور قطار أو بوق سيارة لا تسبب هذا الانتقال . فاذا دخل حجرة النوم أمروءٌ وسعل سعالاً خفيفاً او همس همساً لطيفاً كان ذلك كافياً لظهور الامواج التي من النوع الأول . ولذلك يعتقد هؤلاء العلماء ان التحوُّل من النوم العميق الى الخفيف ليس نتيجة مباشرة لحافز الصوت بل هو متصل بمستوى النشاط في الدماغ

وقد يختلف النشاط الكهربائي في دماغ النائم في مواقع مختلفة منهُ . فقد سجل على الاسطوانة ما يدلُّ على ان الامواج المتصلة بها من القذال من نوع معين والامواج المتصلة بها في الوقت عينهِ من مقدم الرأس من نوع آخر . فاذا حدث اي صوت يضطرب لهُ النائم كاقفال باب ، تحوَّل النشاط الكهربائي في الموقعين الى نسق واحد واصبحت جميع الامواج المسجلة على الاسطوانة من النوع الاول اي النوع المرتبط بالنوم الخفيف

ولعلّ المصابين بالأرق يستطيعون ان يجنوا فائدة عملية من هذا البحث . فهم يبغون على الغالب ان تكون الحجر التي ينامون فيها بعيدة على كل نأمة او صوت يزعجهم ، ويؤرقهم ان يسمعوا وقع أقدام خفيف ، او حفيف ورق كتاب او همساً لطيفاً . ويزداد تعرّضهم للارق بازدياد هدوء الحجرة التي ينامون فيها . اذ يتجسّم فيها أخفت الاصوات . ولكن اذا كانت الحجرة معرضة لصوت عالٍ رتيب كهدير محرك الباخرة في البحر ، طغى ذلك الهدير على الاصوات الخافتة التي تؤرقهم عادة فلا يتأثرون بها وينامون ملء أجفانهم

ولنفرض أنك نوّمت أحدهم تنويماً مغنطيسيًّا ، فهل تكون الامواج الصادرة من دماغهِ امواج اليقظة أم أمواج النوم؟

هذا موضوع عني به الدكتور دافيد صلايت أحد أساتذة جامعة ماكجل الكندية . فانهُ نوّم في مختبر لوميس رجلاً تنويماً مغنطيسيًّا ثم سجل حركاته والامواج الكهربائية الصادرة من دماغه بالاسلوب المتقدم في حالة اليقظة والنوم السوي والتنويم المغنطيسي . فكانت الامواج المسجلة على الاسطوانة من النوع الاول اي أمواج الفا الخاصة باليقظة والنوم الخفيف المتقطع . ولم يظهر في السجلّ الخاص به أثناء نومه المغناطيسي أمواج ما من النوعين الثاني والثالث. واذن يمكن ان يقال ان التنويم المغناطيسي ليس نوماً ، اذا كانت هذه الامواج الكهربائية مقياساً يصحُّ الاعتماد عليه

هذا وقد عني الدكتور جبس Gibbs وزملاؤه في مدرسة هارفرد الطبية بدراسة الصلة بين هذه الظاهرات الكهربائية في دماغ الانسان ، والاصابة بداء الصرع ، فوجدوا أن نوبة الاصابة بالصرع يصحبها ظهور نوع معين من الامواج ، وانهُ قبل حدوث النوبة ، تظهر أمواج منذرة بقرب حدوثها تسبق أي أعراض جسمانية ظاهرة . ثم أخذ الدكتور جبس اثني عشر رجلاً اصحاء وجعلهم يستنشقون نتروجيناً نقيًّا بدلاً من الهواء حتى قاربوا الإغماء وسجَّل في أثناء التجربة الامواج الصادرة من ادمغتهم فوجدها تشبه في بعض خواصها الامواج الصادرة من ادمغة المصروعين او المشرفين على نوبة الصرع. ثم عالج أربعة آخرين بعلاج من شأنه أن يضعف ضغط الدم ، فلا يصل منهُ الى الدماغ المقدار السوي في وقت معيَّن ، فكان التغيُّر الحادث في صورة الامواج الصادرة من دماغهم شبيهاً بالتغيُّر الحادث في أمواج السليم عند اصابته بنوبة الصرع . ثم اكثر فريق آخر من استنشاق الهواء هنيهةً من الزمن وهذا العمل ينقص مقدار ثاني اكسيد الكربون الذي في الدم فكانت النتيجة واحدة. والغريب ان المعرَّضين للصرع الذين اجريت التجارب المتقدمة عليهم ظهرت في أمواج ادمغتهم اعراض الصرع مع أنهم لم يصابوا بنوبته

بقي أن نعلم هل لكل امرىء صورة من الامواج الدماغية خاصة به دون غيره كوجهه وصوته وبصمة اصبعه . ذلك محتمل في رأي الدكتور هلول دايفس وهو يجرب تجارب منوعة الآن لتحقيق هذا . فقد تمكّن هذا الباحث من تقسيم « أشعة الفا » الى أربعة انواع أو فئات ، وهذا يذكرنا بفئات الدم الاربع. وعنده أن صورة الامواج التي لزيد تختلف عن صورة الامواج التي لعمرو ، ولكن صورة أمواج زيد في احوال متماثلة هي هي لا تتغير . وقد درس الدكتور دايفس بالاشتراك مع زوجته خمسة وثلاثين رجلاً وامرأة فوجدا ان القاعدة المتقدمة تنطبق عليهم ولا شذوذ فيها . وعلاوة على ذلك درسا ثمانية ازواج من التوائم المتماثلة تماماً (identical) فوجدا اشعة الفا في أحدها قوية وفي آخر ضعيفة جداً حتى تكاد تكون معدومة ، وبين الاثنين درجات متفاوتة من الانواع الاربعة التي تقدّم ذكرها . ولكنهما وجدا في كل توأم ان صورة الامواج الدماغية واحدة للتئمين لا شبهة في ذلك . أما إذا كانت التوائم غير متماثلة تماماً (identical)

فصورة الامواج الدماغية في التئم الواحد قد تختلف عنها في الآخرة. وهذا قد يدلُّ على ان هذه الامواج نتيجة تركيب خاص في خلايا الدماغ ينتقل بالوراثة

هذا بعض ما يقال الآن في هذا الموضوع الأخَّاذ، الذي لا يزال مكتنفاً بكثير من الغموض

العقل والغدد

فاذا انتقلنا من الكهرباء الى الكيمياء ظهر لنا ان الغدد الصم ومفرزاتها في المقام الاول من حيث تأثيرها في العقل. فالمارد الذي طولهُ ثماني اقدام والقزم والمرأة التي نبت الشعر في عارضيها وذقنها وأختها السمينة المتهدلة، والجاحظ العيون المنتفخ العنق والابله بل والعبقري ايضاً، جميع هؤلاء في رأي ثلة كبيرة من العلماء، نتائج تركيب غير سويّ في غددهم الصم او افراز غير سوي في انوارها (hormones)

في جسم الانسان سبع غدد صم او سبعة مجاميع من الغدد الصم وهي ١ — الصنوبرية داخل الجمجمة. ٢ — النخمية وهي فصان داخل الجمجمة كذلك. ٣ — الدرقية على جانبي القصبة تحت الحلق. ٤ — الدرقية وهي اربع. ٥ — الكظران فوق الكليتين. ٦ — الحلوة (البنكرياس) في تجويف البطن ٧ — الخصيتان. وجميع الدلائل تدل على ان جميع هذه الغدد، ما عدا الاولى والسادسة، لها صلة بأحوال المرء العقلية وسنقتصر على ذكر مثل او مثلين لاننا فصلنا هذا الموضوع في مقال الغدد والحياة المنشور في مقتطف يناير وفبراير ومارس هذه السنة

والمقصود هنا (بأحوال المرء العقلية) طائفة واسعة النطاق من اعمالهِ وسلوكه. ذلك ان العقل الواعي ليس السلطان المطلق على الانسان بل هناك الشعور والانفعال حتى العلماء، المثقفون بأدق اساليب البحث العلمي، معرضون لتيارات قوية من الشعور والانفعال تروح بالفكر الواعي والمجرد وتجيء بهِ وتحرفهُ احياناً عن طريقهِ

فالدماغ ليس منبع الافكار الواعية فقط، بل فيهِ تتولد كذلك انفعالات الغضب والخوف والبغض والحب وغيرها. قد يسيطر الفكر المجرد على هذه الانفعالات، وقد تكتسحهُ هي من طريقها اذ تأخذ بتلابيب المرء فتدير سكان سفينتهِ. والحالة الثانية اعمُّ وأغلب

يروى عن المخترع ميشيل بيون الصربي الاصل والاميركي النشأة انهُ سأل فوستر كندي النورولوجي (العالم بالاعصاب) الاميركي المشهور هل وجد الاطباء مركز الانفعال في الدماغ. فقال كندي انهُ في «الهيبو ثالاموس» — وهو جزء من الدماغ في مؤخرهِ — فقال بيون ولكن اتستطيعون ان تضغطوا على الزرّ فتطلقوا الانفعالات التي تريدون؟ فردَّ الطبيب اذا استتب السلام مائة سنة استطعنا ان نفعل ذلك. وعندئذ . . . . . !!»

وقد كان الباحث الانكليزي كنن اول من بين مكانة هذا الجزء من الدماغ في افعال الجسم

الانفعالية . ثم بيّن ان بينهُ وبين الكظرين صلة وثيقة . فلنفرض ان حيواناً رأى او سمع ما اغضبهُ او اخافهُ ، ولا فرق بين الغضب والخوف لان فعل «الهيبوثالاموس» واحد في الحالين . عند ذلك يبعث هذا الجزء من الدماغ سلسلة من الرسائل في الجهاز العصبي . فاذا بلغت هذه الرسائل الكظرين يفرز نخاع هاتين الغدتين توراً hormone يندفع في تيار الدم فاذا بلغ الكبد حمل على ان يطلق بعض السكّر المخزون فيهِ . والسكر يفعل في الجسم فعل الوقود في المحرّك . اي انهُ يصبح طاقة جديدة تساعد الحيوان الخائف او الغاضب اما على القتال واما على الفرار . وهو سواء افعل هذا ام ذاك محتاج الى قدر اضافي من الطاقة

الاّ انهُ في الامكان الحصول على التأثير نفسهِ بحقن قدر من الادرينالين — وهو تَوْر الكظرين في الدم فيطلق الكبد سكرهُ ، ويُسحب جانب كبير من الدم من الجلد واعضاء الهضم ويدفع الى العضلات ، والدماغ لانها اشدّ حاجة اليهِ والجسم في هذه الحالة . ولعلّ ابلغ مثال على ذلك ما حدث لمصاب بالبول السكري . فالمعروف ان تناول جرعة من الانسولين اكبر مما يجب تنقص السكر في الدم عن المستوى الطبيعي ، فيصاب المريض بدوار وتبلبل في الفكر وتلعثم في الكلام وبشيء من التشنج ثم يغمى عليهِ تماماً . ولذلك يحمل معظم المصابين بالبول السكري قطعاً من الحلوى في جيوبهم حتى اذا شعروا بهذه الحالة تناولوها فيضيفون الى الجسم قليلاً من السكر اللازم لهُ فيستعيد الدم توازنهُ والعقل صفاءَهُ

هذا المصاب بالبول السكري احس وهو سائر في الشارع بعد حقنة الانسولين ، بحالة الاغماء المتقدمة الذكر فدخل صيدليةً مسرعاً ليبتاع قطعة شوكولاته لياً كلها . ولكنهُ لما دخل الصيدلية . كان قد فقد صوابهُ فلم يعرف ما يقول فظنهُ الصيدلي سكيراً قد أكثر من الشراب فدفعهُ خارج الصيدلية فوقع المصاب على الارض ، فأغضبهُ هذا العمل ، فحرّك الغضب كظريهِ فأفرزا الادرينالين فسار الادرينالين الى الكبد فأفرزت الكبد سكرها ، فعاد التوازن الى دم الرجل فزال الاغماء وعاد اليهِ صفاء ذهنهِ فسار الى صيدلية أخرى حيث ابتاع الحلوى التي يريد

وكما ان الكظرين يؤثران في الانفعالات عن طريق المادة التي يفرزانها وتأثيرها في الكبد ، كذلك الغدد التي وراء الدرقية تسيطر على مقدار الكلسيوم في الدم . فكثرة الكلسيوم في الدم تفضي الى حالة يشتد فيها توتر الاعصاب واعتقال العضلات ، وهي اعراض ترتبط عادة بمرض التيتاني . فاذا قلّ مقدار الكلسيوم في الدم عن المقدار السوي أفضى ذلك الى التراخي والكسل العقلي . وقد وصف الدكتور كوليب — زميل بانتنغ في بحث الانسولين وهو صاحب القصة المتقدمة — مريضاً مصاباً بسبات وتفكك في القول ففحص دمهُ فوجد ان مقدار الكلسيوم فيهِ نصف المقدار السوي . فحقنهُ بخلاصة الغدد التي وراء الدرقية فاستعاد حالاً صحتهُ العقلية والجسدية

خمسون سنة على وفاة

الشيخ احمد فارس

للدكتور الدكتور امين المعلوف

في سفح لبنان وعلى ساحله مما يلي بيروت ثلاث قرى تكاد تكون متصلة هي الحدث وكفر شيما والشويفات جمعت صفوة الادباء والعلماء مما يفاخر به الدهر . وكانت الحدث للامراء الشهابيين كذلك كفرشيما اما الشويفات فكانت للامراء الارسلانيين . ويحق لنا ان نسمي هذه القرى الثلاث ساحل الادب او جورته فالجورة بلغة لبنان معناها الحفرة . فمن الحدث آل الشدياق منهم طنوس المؤرخ واسعد وفارس واسمهُ احمد فارس . ومنها آل صرُّوف منهم الدكتور يعقوب. وفي كفر شيما آل اليازجي منهم ناصيف واولاده حبيب وابرهيم ونصّار وخليل والست وردة . وفيها آل الشميّل منهم رشيد وملحم وامين وشبلي الطبيب العالم المشهور. وفيها آل تقلا منهم سليم وبشارة صاحبا الاهرام . وفيها آل الشدودي منهم اسعد العالم الرياضي المشهور. وفي الشويفات آل ارسلان منهم الامير شكيب امير البيان في عصرنا واخوه الامير عادل وابناء اعمامه . ثم آل شقير منهم شاكر وفارس ونعوم بك والسير سعيد باشا . وفيها آل الجريديني منهم سامي المحامي والاديب اللبق المعروف . فيحق لنا اذاً ان نسمي هذا الساحل بساحل الادب والعلم

ولكاتب هذه السطور قطعة ارض صغيرة في مكان يقال لهُ خان الوروار وهو بين الحدث وكفرشيما فوق جسر الغدير ومطل على صحراء الشويفات اودُّ ان ابني هناك منزلاً أقضي فيهِ آخر ايامي واسمي المكان الفارياقية تيمناً باحمد فارس عله يأتيني شيء من لغة احمد فارس ومن علم الدكتور صروف ومن أدب اليازجي ومن بيان الامير شكيب

احمد فارس علم من أعلام لبنان واليهِ يرجع الفضل في نحت الفاظ لم تكن معروفة قبلاً وهذه الالفاظ بعضها في علم الحيوان وبعضها في أمور أخرى لاتزال شائعة الى يومنا. وأول ما أبدأ به ما وضعهُ في علم الحيوان فانهُ الف كتيباً في الحيوان نقله عن الانكليزية وكان يحسنها . وقد ذكر في كتابهِ هذا الفاظاً لاتزال جارية على الالسنة فمنها ماترجمهُ ومنها ماعرّبهُ ومنها ماوضعهُ استعارة او لغرض

آخر. فما ترجمة كلمة مقدّم وهو اسم لرتبة من رتب الحيوان يسميه الانكليز Primate ولا ارى احسن منها فهي عربية فصيحة وشائعة في مصر والسودان والشام والعراق والكلمة عينها تطلق على رئيس الاساقفة مثل مقدم كنتربري ومقدم يورك ومقدم وستمنستر . والظاهر ان بعض الادباء لم ترقهم الكلمة التي وضعها إمام اللغة فقالوا الحيوانات العليا او الرئيسية . وفي شرح القاموس وغيره مايثبت انها افضل كلمة لهذا المعنى. ولا اعلم كيف يمكن الاستعاضة عنها

ومن الالفاظ التي ترجمها كلمة كسلان Sloth وكلمة شره Glutton وغيرها . ومن الالفاظ التي عربها تعريباً كلمة قنقر وهو حيوان استرالي مشهور طويل الرجلين قصير اليدين كاليربوع إلا أنهُ اكبر . وقد أخذ هذه الكلمة عنهُ الدكتور صروف وذكرها غير مرة في المقتطف ولا أعلم ماذا يقولون الآن في حديقة الحيوان ولعلهم يقولون «كنجرو» كما هي بالانجليزية ولا أعلم إعتراضاً على القنقر مالم تلفظ القاف كالهمزة كما يفعلون في القاهرة و بيروت فيلفظونها « أنأر» ولكن هذا الحرف اي القاف لا يلفظ كذلك الا في بيروت والقاهرة فيقولون سوق« الازاز» اى القزاز ومثله بأى أي بقى . أما في الصعيد والسودان والعراق فيقولون دنقلة Dongola وقوز رجب Goz Radjab والقصر المقيّر Mogayar وهو ذوقار والقيّارة Gayara وهو المكان الذي فيه القار او النفط ففي جميع بلاد الله العربية لم اسمع القاف كما يلفظونها في مصر و بيروت . ولقيت يوماً رجلين من الشويفات علمت من لهجتهما ومن أمور أخرى انهما من الشويفات فقلت لأحد الادباء وكان حاضراً هذا درزي وهذا نصراني فقال كيف عرفت ذلك قلت من لفظ الدرزي للقاف فكان يلفظها كما يجب أن تلفظ ومن لفظ النصراني لها فانهُ كان يلفظها مثل أهل بيروت والقاهرة فيقول«آف». فقنقر أحسن لفظ لاسم هذا الحيوان ولكن إياك ان تقول«أنأر» بل قنقر.

ومن الالفاظ التي عربها الراتل اي اكل العسل والقوطي والعجيميةُ Coati والمرموط وهو جرذ كبير والمقلون وهو أُرويّة سردينية . والراكون Racoon وهو نوع من الكلاب الاميركية وقد ظن بعض المتحذلقين أن حقها ان تعرب بالركين والركين تصغير ركن وهو نوع من الفار او الجرذ ولكن احمد فارس على شدة ولعهِ باللغة ومعرفة ماورد فيها لم يكن يحب الحذلقة فلم يقل الركين لان هذه الكلمة تشبه الركين

ومن الألفاظ التي وضعها كلمة فظ وهو حيوان بحري طويل الأنياب كبيرها فظيع المنظر ولا أعلم سبب وضع هذه الكلمة ولعلّ أحد الذين كان يعرفهم احمد فارس كان كبير الانياب فظاً فسمى هذا الحيوان بهذا الاسم فشاعت هذه الكلمة وذكرها الدكتور بوست وذكرتها في معجم الحيوان . ومنها الزُغبة وهي فصيحة واردة في اللغة وفي معجم بادجر ولعلّ احمد فارس هو الذي استعارها لهذا المعنى فانظر كلمة Dormouse في بادجر وقد كان بادجر كثير

الاتصال بأحمد فارس وقد أشار الى ذلك في مقدمتهِ . فراجع هذه الكلمات في معجم الحيوان فانك تجدها مع نسبتها الى احمد فارس كالعادة

وثمة كلمات شائعة على الالسنة لا يعرف من واضعها بالتأكيد على ان للشيخ ابرهيم اليازجي مقالة في التعريب في المجلد الثاني من الضياء في سنة ١٨٩٩ نشر فيهِ جدولاً ذكر فيهِ طائفة من المعربات بعضها لهُ وقد اشار فيهِ بعلامة وبعضها لغيره ولم يعرف يومئذٍ أسماء من وضعها . وهاك الكلمات التي من وضعهِ . الأربة والاستعهاد والأُسربّ والانبوبيات والبائنة والبَيئة والتألق والتبليد والجناح والحاكي والحسَاء والحسَر والحُوذي والدرّاجة والدريئة والذريرات والراجبيات والرَّثية والرَّعَّاد والسُفع والشاري والشبنزى والشيحنة والشعار والشعرية والضلع والطارئة والطبرخي والطلاء والكفاف واللهاة واللولب والمأساة والمتمعجات والمجلة والمحبّب والمصلد والمقصف والمنضحة والنابض

أما الاسماء الاخرى التي لا يعرف من واضعها فهي ما يأتي مع اسماء واضعها وانما لا اعرفها الا تقريباً. فالاستقطاب والاستمرار والبؤرة والرصيف الكهربائي والرقّاص والطيف والعدسية اظن واضعها اسعد الشدودي .والباخرة والجريدة واضعهما احمد فارس بكل تأكيد ومن لا يعرف معنى الباخرة في ايامنا . اما الاشتراك والبطاقة والبهو والثقاب فهي بين اثنين احمد فارس وابرهيم الحوراني.والمجهر والمرقب واضعها ابرهيم الحوراني بكل تأكيد . والسديم اظن واضعها الدكتور فانديك والنساف اظن واضعه خليل المطران . بقيت الفاظ لم يذكرها اليازجي كالبرق والبريد واظنهما لاحمد فارس.اما البريد فقديمة واما البرق فحديثة بهذا المعنى وفي العراق لا يقولون الا مدير البرق والبريد . ثم ان هناك الفاظاً اخرى وضعها احمد فارس لم اتمكن من تحقيقها . ولعل بعض الباحثين يهدينا اليها ولا بد انهم يعرفون شيئاً كثيراً منها . وقد نشرت هذا الجدول خدمة لمجمع اللغة العربية ومنهم من يعرفها بلا شبهة ويعرف غيرها وانما احببت نشرها تذكرةً . وأظن من المستحسن ان يضع المجمع قراراً يثبت فيهِ ما يراه موافقاً وينبذ غيره ويأتي بغيره فبذلك تكون قرارات المجمع على اساس وطيد فلا يقول احد بعد ذلك ان الكلمة الفلانية مسروقة والعياذ بالله والمجمع لهُ صفة رسمية فلا عذر لترك الامور تجري على غواربها فغداً وبعد عمر طويل يموت بعض اعضاء المجمع وتفقد هذه الكلمات او نفقد اسماء واضعيها فقد انقضى خمسون سنة على وفاة احمد فارس ونحن لا نعرف بالتأكيد انه وضع الجريدة والباخرة ومن لا يقرأ الجرائد ولا يركب البواخر ونحن لا نعرف من وضع المجلة والبيئة ولا نعرف من وضع المجهر والمرقب فاذا كان اعضاء المجمع اللغوي لا يعترفون بالفضل لمن سبقهم فسيأتي يوم لا يعترف فيهِ بفضل لاحد من الناس



رحلة جغرافية عمرانية

لوصفي زكريا

— ٤ —

﴿الظواهر الجوية﴾ ان فعل الظواهر الجوية في اليمن عظيم وشديد وأكثر ما ترى هذه العظمة والشدة في قمم الجبال . فبخار البحر الاحمر والمحيط الهندي وما يتصاعد من جوّ تهامة اللاهب يميل دائماً للتكاثف فوق ذرى سروات اليمن ولا سيما فوق منحدراتها ومناكبها الغربية المتجهة نحو تهامة الحديدة . وكل الاماكن في تلك المنحدرات والمناكب يغمرها الضباب المتلبد صيفاً وشتاء ، يحدث ذلك كل يوم من بعد الظهر الى غسق الليل وقد يدوم بضعة أيام دون انقشاع ، وقد لا ترى سماء الاماكن المذكورة صفاء الاديم خلال العام كله الاّ أياماً معدودات . وأروع مسارح النظر في جبال اليمن وأوديته تلك التي كثيراً ما يصادفها السائر في الطريق الصاعدة من الحديدة الى صنعاء وفي غيرها من الطرق أيضاً . فهو يشاهد أمواج الضباب عن كثب وقد تحيط به وتحول دون رؤيته منافذ الطريق فيخال نفسه غواص بحر زاخر ، او يشاهدها عن بعد بضع مئات من الامتار لم تلحق العلو الذي بلغه جامدةً او مغذة السير تحت أقدامه وهي غاشية التلعات والمنحدرات وحاجزة المعاطف والفجاج فيحسب انهُ راكب طائرة يحلق فوق الغمام وفوق أعلى القنن الشاهقة الآخذ بعضها برقاب بعض

وتهطال الامطار في اليمن عجيب . ففي أيامها بينما تكون السماء صافية الاديم في الصبح والضحى تتلبد بعد الظهر بالسحب المكفهرة القاتمة واذا بالرعود تقصف والبروق تومض قصفاً ووميضاً متواليين وشديدين يبعثان الروع .والوجوم واذا بالامطار تنهمر بشدة كأنها من أفواه القرب وكأن فعل خيوطها ضربات السياط ، تظل على هذا المنوال ساعة او ساعتين ثم تنقطع ،

فيهدأ ثورة السماء وتبقى الارض وما فيها من الجبال والاودية والقيعان ريانة فياضة بالسيول الدافقة او الغدران المجتمعة ترى انتشار قطراتها وتسمع خريرها وهديرها الى مدى بعيد مما يبهج السمع والبصر ناهيك بالطيور التي تنطق وتشدو من فجاج الصخور وغصون الاشجار مغردةً زاقية . واذا أمسى المساء تتبدد الغيوم وتسطع النجوم واذا أصبح الصباح تبزغ الشمس وتعكس اشعتها على قطرات المطر المتبقية فتظهر كالدراري اللامعات وتظهر السماء صاحيةً ضاحكةً كأن لم يكن بالامس شيء . . . فلا يأتي الظهر الاَّ وتعود الغيوم للتلبد والسماء للاكفهرار والرعود والبروق والامطار الى ما فعلته مساء أمس . . . وهكذا في كل يوم . .

وهذه الامطار تهطل في اليمن في مواسم معينة تخالف ما في الشام واشباهه من الاقطار . فهي تبدأ في شهر مارس وتدوم حتى سبتمبر ومن عادتها انها تقل في مايو ويونيو وتشتد في شهري يوليو واغسطس وانها — كما قلنا — تمطر في الغالب من وقت الزوال الى أخريات النهار

بيد ان الامطار قليلة او هي أقل من الحاجة في اليمن . فهو على الرغم من حوطته بالبحر الاحمر والمحيط الهندي في غربيهِ وجنوبهِ ومن ان الجبال الجذابة للسحب ممتدة في أكثر مساحتهِ ليست أمطاره غزيرة بقدر غزارتها في المناطق المماثلة لهُ في العرض والوضع الجغرافيين في آسية وافريقية . وهذه القلة هي التي دعت سكان اليمن الاقدمين — وهم الذين آثارهم تدل على انهم كانوا أيقظ وأنشط من سكانه الحاضرين — الى ان يخزنوا السيول الفائضة في موسم الامطار ولا يضيعوا قطرةً منها بفضل الاسداد التي شادوها وقد تقدم ذكرها

واذ كانت صخور اليمن البركانية الجرد الصمّ غير صالحة لخزن المياه في أجوافها بالقدر الكافي لاسالة الانهر العظيمة لا تجد في اليمن امثلةً لانهار البلاد الجبلية كما في الشام والاناضول وجل ما هنالك ينابيع وعيون ثرة تتدفق هنا وهنالك بمقادير لا تزيد في اكبرها عن خمسين ليتراً في الثانية فتجري في الاودية التي تقدم الكلام عنها ان كانت بين الجبال او تجري في قنوات او مجار مسدودة او مكشوفة يدعونها « غيول » جمع غيل ان كانت قرب القرى والمدن ينهلون منها ويروون بها مساحات يسيرة من الارضين أحياناً

على أن مقادير المطر في العصر الاخير صارت اقل مما كانت عليهِ في العصور الخوالي ، يظهر ذلك للممعن في كثرة الغيول والاودية الجافة او الجارية وعمقها المتناقص . ولم يسجل ميزان المطر في مرصد صنعاء الجوي (١) سنة ١٩٣٥ اكثر من ٣٠٠ مليمتر . وهذا المجموع العائد لسنة واحدة

---

(١) وضع هذا المرصد العالم الالماني راتجنس الموفد من جامعة هامبورغ سنة ١٩٣٣ وقد مكث ورفيق له في اليمن سنتين يبحثان ويدرسان آثاره الحميدية وشؤونه الجغرافية والطبيعية التي امكنهم الوصول اليها ووضعا كتاباً نفيساً عن نتائج ابحاثهما

وان لم يكن كافياً للاعتداد به ، لكن بقية السنين لا تكون فيها الزيادة على ما يظهر اكثر من نصف او ثلثي المجموع المذكور، وهو يعد قليلاً على كل حال اذا قيس بجفاف اقليم اليمن وجفاف صخوره واتربته . ولا يزال شيوخ صنعاء يذكرون بحسرة انواع الغيول بالماء . وقد كانت مثلاً قبل ٤٠ — ٥٠ سنة تروي في شمالها مساحات واسعة في قرى شعوب والروضة والجراف ، فاصبح الآن بعضها جافاً كل الجفاف وبعضها تناقص الى ثلث او نصف مقداره السابق فصارت تلك المساحات غامرة باسرة بعد ان كانت زاهرة ناضرة . ولم يتسع لي الوقت للاهتداء الى اسباب هذا التناقص المريع أكان من اسباب بيولوجية بحكم وفرة الزلازل وتوالي تصدع الارضين وغور الينابيع [١] أم من الفتك بالحراج واستئصال الاشجار خلال الحروب والفتن التي لم تنقطع في اليمن الا منذ عهد قريب أم من عوامل جوية وفلكية ؟

ولما كان القطر اليماني قريباً من خط الاستواء تختلف فصول السنة الاربعة فيه عن نظائرها في الاقطار البعيدة عنه . ففي اليمن يكون الربيع في اشهر يناير وفبراير ومارس والصيف في ابريل ومايو ويونيو والخريف في يوليو واغسطس وسبتمبر والشتاء في اكتوبر ونوفمبر وديسمبر . واليمانيون لا يستعملون في التوقيت الا الاشهر القمرية العربية ، فهم لا يعرفون اسماء الاشهر الشمسية الافرنجية ولا السريانية . واذا ارادوا التوقيت على الحساب الشمسي لمعرفة مواعيد الزراعة استعملوا اسماء البروج التي تتقلب فيها الشمس . فيأتي فصل الربيع عندهم في بروج الدلو والحوت والحمل والصيف في الثور والجوزاء والسرطان والخريف في الاسد والسنبلة والميزان والشتاء في العقرب والقوس والجدي . ويستعملون اسماء منازل القمر وهي مجاميع النجوم التي يتقلب فيها القمر وعدتها ٢٨ منزلة وهي الغَفْر والزبانا والاكليل والقلب والشولة والنايم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر والحوت والسرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك . ولهم في تعيين مواسم الزراعة اصطلاحات غريبة كالفارع والعشا والصواب والظلم والصلم والعلب وسهيل وعلّان والروابع الاولى والاخرى وامثالها مما يطول عده وشرحه

وإذ كان القطر اليماني في داخل المنطقة الحارة يحصل في جباله وتهائمه ما يحصل في بقية البلاد الداخلة في المنطقة المذكورة من حر وقر قد يكونان شديدين في بعض الاماكن والفصول .

(١) ايد الهمداني ظني بتأثير الزلازل في تقليل مياه اليمن . قال في كتابه الاكليل ج ٨ ص ٨٨ عند كلامه عن غيل وادي نهر . (وكان هذا الغيل في الجاهلية على ضعف ما هو عليه اليوم حتى وقعت في اليمن زلازل قطعت بعض ماءاته)

والحرارة تتبع العلو عن سطح البحر ،فهي شديدة في تهامة وضعيفة في الجبال . ويضاف في اليمن إلى اختلاف الحرارة بين الجبال والتهائم بل بين مكان وآخر في الجبال والتهائم نفسها اختلافها أيضاً في ذات المكان وفي كل يوم بين الصباح والظهر والمساء وبين الهزيع الاول والثاني من الليل. ثم ان الضباب الذي لا ينقطع انتشاره في الاماكن المتجهة الى الغرب في ظهر السلسلة والمطر الذي لا ينقطع تهطاله في موسمه بعد الظهر من كل يوم يسببان حين قدومهما هبوطاً في درجة الحرارة يكون فجائيًّا ومؤثراً .وهذا الهبوط يلجئ اليمانيين ولا سيما أهل المدن منهم الى تغطية رؤوسهم وظهورهم باللحفة وهي قطعة نسيج من الصوف مستطيلة واسعة لا بد لكل يماني ان يحملها صيفاً وشتاء على منكبه ،فهم يلتحفون بهذه اللحفة ويتدثرون بالفرو ويهرعون الى مساكنهم وينكبون على تخزين القات وشرب منقوع قشر البن الساخن دفعاً للبرد الذي يخشونه كثيراً

وكلما ابتعد السائر من الساحل ومضى نحو جبال الداخل يشعر بالانتعاش من خفة الحرارة والرطوبة وتناقصها التدريجيين ومن ازدياد الجفاف . وهذا الجفاف البالغ حده الاقصى في اقليم الجبال يؤثر وينفع في فناء بعض الميكروبات او عدم نموها وتكاملها . والضباب يكاد لا يحدث في صنعاء ، فجوها شديد الجفاف لا يعرف الرطوبة الا قليلاً في موسم الامطار كما انها لا تعرف الحر ولا البرد الشديدين .فهواؤها سجسج عليل في أكثر الايام . ودرجة الحرارة في موسم الصيف وقت الزوال تختلف بين ٢٥ و ٢٧ وفي الصباح بين ١٢ و ١٣ واشد ايام البرد فيها من غرة اكتوبر الى منتصف يناير .وهو مهما يشتد لا يهبط الى تحت ٣ تحت الصفر ويعود للارتفاع في النهار الى ١٥ او ٢٠ واكثر مدن النجد اليماني العالي وقراه على هذا المنوال من الاعتدال اللطيف . وإذا هبطت الحرارة الى الصفر وتحته ينسج البرد على الماء زرداً وقد ينزل الجمد المعروف بالبرد وقد تكون حباته كبيرة كالبندق او الجوز ، وقد يبقى هذا البرد على وجه الارض بضعة ايام دون ان يذوب . وزعم بعضهم ان الثلج المعروف في جبال الشام يهطل على قمة جبل النبي شعيب (٣٥٠٠ متر وهو اعلى قمم اليمن طرًّا) ولم أتحقق ذلك . ولو كانت نجود اليمن وجباله في عرض القطر الشامي لغمرتها الثلوج واستحال العيش فيها،كما استحال على ما هو اعلى من ١٥٠٠ متر في بلاد الشام

﴿ الاقليم ﴾ يراد بالاقليم مجموع الظواهر الطبيعية والكيمياوية الحادثة في جو مكانٍ ما وارضه. ويهتم الباحثون بهذه الظواهر لانها من اشد العوامل تأثيراً في حياة حيوان ذلك المكان ونباته وفي درجة نموها وارتقائهما . فاليمن في جملته ذو اقليم عجيب يختلف كل الاختلاف عن بقية الاقاليم المعروفة . وشكل ارضه وارتفاعها كما تبدلا امام السائر من الساحل الى قسم الجبال تتبدل معهما رقة الهواء وحره ونقاوة الماء وطعمه . فنشأ بحكم ذلك التبدل اقليمان يختلفان احدهما حار خاص بتهامة والثاني بارد او معتدل خاص بالجبال . ثم إن كلاً من هذين الاقليمين ايضاً يحوي

اقاليم عديدة لاختلاف الارتفاع والانخفاض والاتجاه والانبساط اختلافاً بارزاً في رقاعه المنفصلة فشروط الحياة والمعيشة التي تتغير بتغير الظواهر الطبيعية والكيمياوية في تلك الاقاليم اوجبت ايضاً تغير اشكال النباتات والحيوانات والوانها في كل مكان . لهذا تجد في اليمن اعشاباً واشجاراً وازهاراً وأثماراً من التي تنشأ وتنمو عادةً في المناطق الحارة والباردة وما بينهما من المناطق المعتدلة. لكنك كلما صعدت من أسفل إلى أعلى وكلما جلت من اليمين إلى اليسار رأيت اجناساً من النباتات وأنواعاً وميزت اشكالاً والواناً وروائح تختلف ولو قليلاً عما رأيته وميزته منها في مكان آخر من اليمن نفسه. ناهيك باختلافها عما في بقية الاقطار كالشام والاناضول مثلاً . وأكثر الفصائل النباتية المعروفة في بقية الاقطار الشرقية والغربية لها افراد وجماعات في اليمن . لكن هذه تختلف نوعاً عن نظائرها في تلك الاقطار باللون والحجم والطعم .فالخرنوب مثلاً ويدعونه في اليمن قرنيط اصغر ورقاً وارفع قروناً وأقل حلاوةً من خرنوب جبال الشام . ومثل ذلك التين ويدعونه البَلَس فهو لا يكاد يؤكل من رداءته . وعلى ذلك قس بقية الاثمار من مشمش وتفاح وسفرجل وليمون وغيرها . فقد اثر فيها الاقليم واخفض جودتها ، حاشا العنب فان انواعه في غاية من الطيبة

ويختلف حيوان اليمن ايضاً عن امثاله في بقية الاقطار . فبقره مثلاً ذو سنام ضخم يتدلى فوق اعلى الكاهل ، والعراب من خيله ذات مزاج عصبي شديد ، لا تسير الا قفزاً ووثباً ، وجمله رفيع القوائم صغير الجثة لا يحمل الا اثقالاً خفيفة ، وغنمه عديم الصوف او قليله نحيل الخصر ، وبشره اقرب الى قصر القامة وصغر الهامة وهزل الجسم وشحوب اللون ورخاوة المزاج منهُ في بشر سائر الاقطار العربية

ناهيك بزي اهل اليمن في الاكتساء والاحتذاء وفي المذاهب والمشارب وفي الاطوار والعادات . فان لكل من اقاليم تهامة والجبال فروقاً بارزة في هذه الشئون . فجميع سكان تهامة وبعض سكان الجبال نصف عراة بينما سكان المدن وبعض اهل القرى يكتسون وقد يتدثرون بالفرو . والتهامي يعجز عن توقل عقبات الجبال والقفز بين صخورها ومنحدراتها الكأداء شأن اهل الجبال ، كما ان الجبلي تخور عزائمه اذا اضطر للغوص في رمال التهائم . وابن هذا الوادي يصقع اذا صعد الجبل الذي فوقهُ ، وابن ذاك الجبل يتلظى اذا هبط الوادي الذي تحته ، وكل منهم راض بما قدر له ، لا يمكن لاحدهم ان يقاتل الثاني الا اذا استدرجهُ الى أرضه . وصف الهمداني هذه الحالة في « صفة جزيرة العرب » فقال مثلاً عن جبل تخلى : ومن ولد في رأسه فقبيح غير صحيح وخاصة النساء ومن ولد في صفحه فصبيح غير قبيح ، وطباع سكنه واهله يخالف طباع من في صفوح في العقل والنجدة والطول . اه

﴿عالم النبات﴾ قلنا ان اكثر الفصائل النباتية المعروفة لها افراد وجماعات في اليمن — حاشا الصنوبرية فانني لم ار لها اثراً الاَّ عدداً قليلاً من السرو في صنعاء وذمار جلبهُ الترك في زمنهم فيما وقد اخذت معي الى اليمن في ما اخذتهُ من مختلف الاشجار المثمرة وغير المثمرة مئات من غرس السرو الاهرامي والافقي والصنوبر المثمر والصنوبر البري المعروف بالحلبي والعفص والآروكاريا والكازواريا ، غرست ذلك في اماكن مختلفة من صنعاء ، فان ابقوا عليه وعنوا به تزدان نجود اليمن وجباله بهذه الاشجار الجميلة . وتضيق هذه العجالة عن تعداد نباتات بلاد اليمن وذكر اسمائها المحلية وقد عني بهذا الامر فيما مضى العالم الطبيعي الشهير فورسكال احد اعضاء البعثة العلمية الدانماركية التي وفدت برئاسة نيبوهر الى اليمن سنة ١٧٦٣م (١١٧٧ هـ) وقد توفي فورسكال وقتئذٍ في بلدة بريم . ودرج العالم النباتي الالماني شوينفورت في كتابه المسمى (الاسماء العربية لنباتات مصر والجزائر واليمن) المطبوع في برلين سنة ١٩١٢ ما ذكره فورسكال من النباتات بحسب اصطلاح اليمانيين. ولم يخل الترك في زمنهم من عالم يعنى بدرس احوال اليمن من النواحي العلمية ولا سيما بدرس نباتاته ، ومنهم الطبيب امير اللواء ابراهيم عبد السلام باشا صاحب كتاب (الرحلة اليمانية والجغرافية النباتية في اليمن) طبع الاستانة سنة ١٣٢٤ هـ والعالم الالماني راتجنس عني ايضاً بنبات اليمن. وفي كتابه جداول توزيع فصائل النباتات اليمانية بحسب ارتفاعات اماكنها عن سطح البحر

والذي يسترعي النظر في اليمن ولاسيما في الجبال هو اشجار العضاة الشائكة وانتشارها بكثرة هائلة يكاد لا يرى غيرها ومثلها الاشجار اللحمية الشائكة ذات العصارة اللبنية. والاولى تنتسب للفصيلة القرنية والعائلة السنطية والثانية للفصيلة الاوفوربية فمن الاولى الانواع الآتية نذكرها مع اسمائها اليمانية :

سلم سلام « السنط »	Acacia arabica	قتات	Acacia senegal
عسق	,, asak	سيال « في مصر طلح »	,, seyal
سيلام	,, flava	حارس	,, tortilis
سمر	,, spirocarpa	طلح	,, abyssinica
ظبه	,, mellifera	الضهى	,, glaucophylla
عرفطه	,, nubica	دفران	,, fluticosa

ومن الفصيلة القرنية ايضاً السدر Ziziphus spina Christi والسنا cassia absus والعشرق cassia obovata وغيرها مما لا يتسع المجال لذكره

ومن الفصيلة الاوفوربية الانواع الا تية :

عمق	Euphorpia Ammak	خريش	Euphorpia marticulata
كلخ ، غلق	„ cactus	سبيسب	„ monticola
شرور	„ fruticosa	قصاص	„ polycantha
ام اللبن ، مليبنة	„ granulata	سبيع	„ peplus
رميد	„ schimperi		

وغني عن البيان ان الفائدة الاقتصادية من هذه النباتات معدومة او يسيرة . فلا يفيد بعضها الاّ للاحتطاب . ومن المؤسف ان يكون القطر اليماني محروماً من الحراج التي لا يخلو منها امثاله من الاقطار الجبلية . ويظهر ان الحروب والفتن التي لم تنقطع من اليمن الا ّ لعهد قريب قضت على حراجه وجردت معظم جباله فلم يبقَ فيها من الاشجار والاجم البرية الاّ ما هو قليل النفع قليل الالتفاف منتشر في مناكب الجبال ومنحدراتها وحول الاودية على حالة منفردة او على هيئة ادغال قليلة الكثافة واشجارها من العضاة الشائكة التي عددناها وليس في اليمن من الاشجار الصالحة للنجارة والبناء سوى (الاثل) — Camarix nilotica الذي يغرسونهُ في صنعاء بكثرة حول البساتين او كغابات صناعية ، وشجر آخر يحصل في الجبال يدعونهُ (طنب Cordia abyssinica) لا بأس بصلابته ، لولا صعوبة عمله وقلة وجوده ويليها من ذوات النفع القليل شجر الطالوق Ficus vesta يشبه جميز مصر والشام بضخامته ، لكن ثمره لا يؤكل وخشبه قليل الصلابة والنفع ثم الطلح والسدر وامثالها

وفقدان الحراج والاشجار الصالحة للصناعة يضطر اليمانيين لجلب اخشاب النجارة من البلاد الاجنبية واضاعة قسم من ثروتهم الضئيلة في سبيل شرائها. وهذا ما استوقف نظري حين شروعي بادارة الاعمال الزراعية فاستجلبت لهم من مشاتل ايطاليا مئات من اشجار الحراج التي تنمو في الاماكن الجبلية كالسنديان Quercus pedunculata والقيقب acer platanoides والسويد Ulmus campestris والدلب Platanus orientalis وانواع الصنوبريات التي تقدم ذكرها، ناهيك الاوكاليبتوس والكاتاليا والآكاسيا وغيرها مما يصلح للزينة أيضاً . غرست بعضها لاجل التجربة في مناكب جبل نقر المشرف على صنعاء وبعضها في صنعاء والقرى المجاورة لها . ولعلهم اذا عنوا بها وفاقاً لما علمتهم وكثرت واستكثروا من التي تنجح تجربتها عندهم يرون منافعها في المستقبل ويحدثون منها حراجاً تغنيهم عن جلب الخشب من الخارج

صدى قبلة

حرارتها لم تزل فائرة ونكهتها لم تزل عاطرة
أحس حرارتها في دمي كما تصرخ الشعلة الثائرة
وأنشق نكهتها كالشذا يفوح من الزهرة الناضرة
وتخطر ريانة في فمي كما يخطر الحلم بالذاكرة
وبين يديّ صدى ضمة تَردّدُ كالنغمة السائرة !
أجل ! ليس هذا الذي قد ضممت سوى نغمة حلوة عابرة
أذلك جسم ؟ فأين الخيال وأين عرائسه النافرة ؟

* * *

تقدستِ من قبلةٍ قدّست مناي وأوهامي الحائرة
وأذكت حياتي وإن الحياة هي الفتنة الحية الطاهرة
أجل هي اطهر ما في الوجود فما الرجس إلاّ القوى الخائرة

* * *

لجسّمتِ ما كان في خاطري خيالاً وأمنية طائرة
وقرّبتِ للمس ما لم تكن تقرّبه الفكرة الخاطرة
وأسريت بالروح في لثمة تحس بها الشّفة الشاعرة
أمعجزة أنت تمزج بين الـجسم وبين القوى الطافرة ؟
قوىً كل هيكل هذا الوجود كذلك قدّرتِ يا قادرة !

* * *

وإني لأغمض في نشوة وأمسك أنفاسي الساعرة
وأخطرها قبلة في فمي فأسمع أصداءها الساحرة
وأسترجع اللحظات القصار فألقى بها صوراً وافرة
وأعرضها منظراً منظراً كما عرضت قبل للباصرة
ثوانٍ تركّزَ فيها الزمان تبارك دنياي والآخرة

حلوان — سيد قطب

حيوانات مشهورة

وصحة أسمائها

للفريق الدكتور امين المعلوف

اظن القراء ضجروا من الحيوانات العظام وهم يريدون شيئاً عن الحشرات ففيها وفي غيرها امور مطربة منها حكاية الاصمعي والاعرابي فلتراجع قصة الاعرابي والاصمعي . ولنبدأ الآن بالخنفساء

خنفساء وفيها لغات — Beetle

حشرة من مغمدة الاجنحة ذكرت بعضها في ص ٣٣ وذكرت لغاتها والعامة تسمي بهذا الاسم واحدة منها هي بنت وَردان ذكرتها في جزء مضى من المقتطف

ذُرّاح والواحدة ذُرّاحة وفيها لغات — Beetle, Blister beetle

وهي الحشرة التي يصنع منها المنفّط ويقال لهُ ذبان هندي والاخيضر للونه

فاسية وفاسياء — Beetle, Bombardier beetle

عُريقطة وفيها لغات — Beetle, Rhinoceros beetle

خنفساء عظيمة لها قرنان كبيران في مقدمها ذكرتها في ص ٣٣ و١٧٦

حُنظُب وفيها لغات . والجمع حناظب — Beetle, Stag beetle

قَرَنبى — Longicorn beetle, any of the Cerambycidae

خنفساء عظيمة طويلة القرون ذكرتها في ص ٥٥ واوردت فيها ابياتاً للاخطل قبحهُ الله قال

ألا يا عباد الله قلبي متيم ... بأحسن من صلى وأقبحهم بعلا

نيام اذا نامت على عكناتها ... ويلثم فاها كالسلافة او أحلى

يدب الى احشائها كل ليلة دبيب القرنبى بات يعلو النقا سهلا

قلت فقول مثل هذا يحبب الناس بالقرنبى وان كانت من الخنافس

جُعَل كصُرد ورطَب والجمع جُعلان — Scarab beetle

والناس يسمونهُ أبا جعران او جعراناً اسود . وللذكر قرنان.والعرب تزعم انهُ يموت بريح الورد ومن الريح الطيب : قال المتنبي « كما تضر رياح الورد بالجعل » . وكان الجعل مقدساً عند قدماء المصريين وهو مشهور.وللدميري فصل كبير في الجعل

عُومـه والجمع عُوَم — Beetle. Water beetle

خنفساء صغيرة تسبح في الماء الراكد وفي تاج العروس العومه بالضم دويبة تسبح في الماء كانها فص اسود مدملك ج عوم كصرد وانشد للراجز يصف ناقته

قد ترد الماء تنزّي عُوَمه فتستبيح ماءه فتلهمــه

حتى يعود دحضاً تشمّــمه

عومه دَوّامة — Beetle, Whirligig beetle

وهي عومة تدور في الماء ذكرت هاتين العُوَم في ص ٣٤ وص ٩١

زيز . زيز الحصاد — Cicada. Seventeen year locust

حشرة متجانسة الأجنحة تعرف بهذا الاسم في الشام

في مفردات ابن البيطار طبعة مصر زيز وفي نسخة لـكلير زير بالراء المهملة والصواب كما جاء في النسخة المصرية . وفي دوزي زيز بالزاي وقال ان اللفظة بربرية وتجمع على زيزان قلت وهو الجمع الشائع على ألسنة العامة في الشام . وفي محيط المحيط الزيز دويبة تطير وتقف طويلاً على الشجرة ولها صوت كأنها تقول فيهِ زيز فسمّيت بهِ وأكثر العامة تقول جيز . قلت وهي مشهورة في الشام بالزيز وزيز الحصاد

فصيلة الزيزان او فصيلة زيزان الحصاد — Cicadidae. Cicadas

ذكر الزيز على صحتها الياس انطون الياس وخليل بك سعد وقال النجاري بك الصرّار وهي فصيحة ولـكن الصرار ليس خاصًّا بالزيز ولعلّ النجاري بك اعتمد النسخة الفرنسية لا النسخة العربية والاّ لما فاتهُ ذلك ومثله الاب بيلو اليسوعي . ولعلّ البعض سموا الزباب بالزيزي كما ذكرت في معجم الحيوان ص ٧٥ لانهُ يأكل الزيزان . والله أعلم

فصيلة بنات يومها او بنات اليوم Ephemeridae. Mayflies or ephemeral flies

هي فصيلة من رتبة عصبية الأجنحة يقال للواحدة منها ابن يومه او ابنة اليوم وهي دويبة طويلة الجسم لونها الى البياض او الصفرة أجنحتها طويلة مثلثة ومرتفعة الى فوق في وقت الراحة. ينتهي مؤخرها بخيطين في الذكور وبثلاثة خيوط في الاناث وهي تولد عند أفول الشمس وتموت عند شروقها (عن لغة العرب بتصرف ٢ : ٩ وما بعدها)

وللاب انستاس مقالتان في لغة العرب في السنة الثانية ذكر فيهما هذه الدويبة ووصف رحلتين أصمعيّتين لهُ الى حلب ثم عودتهُ في الطريق عينها بعد سنوات ومن الاسماء التي ذكرها الأب العلامة ابنة اليوم كما تقدّم لانها لا تعيش اكثر من يوم وهو معنى اسمها العلمي اليوناني . والخيتعور لانها سريعة الزوال روى الاب المحترم انهُ سمعها من الاعراب النازلين على الفرات وهو في طريقهِ الى حلب وهذا يوافق اسمها اليوناني والزخرف لانها زينة الماء والغدران سمعها من الاعراب النازلين على نهر الخابور . وذكر من أسمائها الشائعة في بغداد كليلو او جليلو وقال صحتهما مكللة او ذات الاكليل وزالو فقال صوابها الزلال وهو دود يبرد الماء الى آخر ما جاء في مقالتهِ الممتعة وقد أرجع فيها الالفاظ العامية التي ذكرها الى الفصيح من الكلام ووفق بين ما سمعهُ من الاعراب وبين ما ورد في كتب اللغة ولو انهُ وجد شيئاً من الصعوبة في هذا التوفيق . ولا يخفى ان الأعراب اصحاب ذوق وظرف فلا يردُّون سائلاً ولا يكذبون قائلاً ولو سألهم الواحد هل تسمون هذه الدويبة جملاً لقالوا أي والله نسميها جملاً وناقة . قلت واني أجد صعوبة في التوفيق بين قول أعراب الفرات والخابور وما جاء عن الخيتعور والزخرف في كتب اللغة وأظنهما يوافقان ما يسميهِ علماء الحيوان Hydrobatidae كما سيذكر في هذه المادة. وقلت في ص ١٣٠؛

زَخارف Hydrobatidae. Syn. Hydrometridae. Water skippers or water striders

والواحد زُخْرُف . بقّ طويل القوائم يكون فوق الماء الراكد يَسْتَنُّ فيهِ اي يقمص ويعدو ذهاباً واياباً يقال لهُ خيْتَعُور وقمص

قال في التاج الزخارف دويبات تطير على الماء كما في التهذيب زاد في العباب ذوات اربع كالذباب وفي المحكم ذباب صغار ذات قوائم اربع يطير على وجه الماء قال اوس بن حجر

تذكّر عيناً من غُمازٍ وماؤها له حَدَب تستنُّ فيهِ الزخارف

وفي المخصص واللسان مثل هذا كذلك في حياة الحيوان وانما الدميري اورد بيت اوس وقال عمان في النسخة المطبوعة في مصر وقرأها الكولونل جاياكار عمان وسواء كانت غماز او عمان فالمعنى واحد في ما لهُ علاقة بوصف الزخارف ولا سيما قوله « تستنُّ فيهِ الزخارف » فقد ترجمهُ

الـكلونل جاياكار ترجمة حسنة جدًّا بالعبارة الآتية In which az-zakharif go about briskly وفي اللغة استن الفرس قمص وعدا اقبالاً وادباراً فوصف التاج للزخارف وما قاله اوس بن حجر في البيت المتقدم لا يترك شبهة في ان الزخارف هي الدويبات المعروفة عند الانكليز بالاسمين اللذين تقدم ذكرها

واحسن من ذلك وصف الخَيْتَعُور فما جاء في هذه المادة عن التاج « الختعرة الاضمحلال .... وكل ما لا يدوم على حالة واحدة ويتلوّن ويضمحل . . . . وشيء كنسج العنكبوت يظهر في الحرّ ... والخيتعور الدنيا على المثل ... الى ان قال في التاج والخيتعور دويبة سوداء تكون في وجه الماء وفي بعض النسخ لا تلبث في موضع الاّ ريثما تطرف وأمرأة خيتعور لا يدوم ودها »فهذه الدويبة لا يمكن ان تكون الدويبة المعروفة بابنة يومها على ما روى اعراب الفرات للاب انستاس ما لم يُـرَدْ بذلك المعنى المجازي للفظة اليونانية فانها تكاد تكون ترجمة حرفية لها وليس احسن منها وكنا نود ان يكون وصف الدويبة المعروفة بالخيتعور في كتب اللغة موافقاً لوصف ابنة يومها فتكون الخيتعور موافقة للفظ اليوناني الاصل في جميع معانيه . ولعل اعراب الفرات الذين سألهم الاب انستاس يعرفون اليونانية والالفاظ العلمية التي من اصل يوناني

قلت ولعل من اسماء هذه الدويبات القَمَص وهو على ما جاء عنهُ « ذباب صغار تكون فوق الماء او البق الصغار على الماء الراكد» .واظنهُ سمي بذلك لانهُ يقمص اي يثب [See Ephemeridae]

فتجد ان ابنة يومها هي الدويبة الاولى ولا اعرف لها غير هذا الاسم ويكاد يكون ترجمة العامة لاسمها اليوناني الاصل وان الزخرف والخيتعور والقمص هي الدويبة الثانية بلا اقل شبهة ولا يمكن ان تكون ابنة يومها على الاطلاق وان الاسماء الاخرى التي اوردها الاب المحترم وقيل انهُ سمعها من اعراب الفرات والخابور اسماء خيالية تدل على سعة العلم وليس على دقة الرواية . ولو ان البستاني ذكر شيئاً من هذا في محيطهِ او اليازجي في ضيائهِ لكنا نرى عجباً من نقد الاب بعد وفاتهما . فالاب صديق قديم تمكنت صداقتنا في بغداد وكثيراً ما اخذت عنهُ ولا ازال كذلك وانما وقعت وحشة بيننا سببها على ما اظن تحامله في النقد واني واثق انهُ يقبل ذلك مني ويأخذه بصدر رحب على عادته معي . ولطالما حدثتني النفس ان احوم على هذه المسألة حبًّا بالاب انستاس وعلمهِ وفضله فهو عالم كبير ومن زعماء رجال الدين فلا نرضى له بذلك . وكان يمكن النقد بلا ايلام الشعور . هذه كلمة صديق مخلص فأرجو ان لا تذهب سدى كما ذهب غيرها فاني اغار على الصديق الاب انستاس

وفي مقتطف مقبل تتمة الكلام على الحشرات بلا حذلقة او مداعبة ادبية !

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الدمياطي

— ١٩ —

أبُو خَلسَّا [1]

ويقال لهُ (لِسَان الثَّوْر)

عشب معمّر دائم الاخضرار ساقه مستديرة ترتفع ٥٠ سنتيمتراً يكسوها زغب اسود خشن اوراقه مستطيلة الواحدة منها حادة القمة ذات زغب خشن. أزهاره زرق وهو غير النبات المعروف في مصر بلسان الثور [2].

اسمهُ العلمي (Anchusa officinalis, L.) (آنشوزا اوفيسيناليس)[3] وفصيلته الشَّنْجَارية (Boraginaceae) (بوراغيناسية) وبالانجليزية (common bugloss) والفرنسية (buglose ou buglosse officinale) [4]

شائع في اوربا والشام كنبات للزينة وكان يستعمل قديماً في الطب والآن يستعمل كمليّن وأوراقه عصارية وجذوره غروية يستعان بها في الصين على اظهار طفح الجُدَرِيّ

---

(١) وفي تاج العروس (ابو حلسا بالحاء) المهملة

(٢) واسمه العلمي (Borrago officinalis, L.) (بوراغو اوفيسينا ليس) وبالانجليزية (borage) والفرنسية (bourrache)

(٣) اشتق اسم الجنس آنشوزا من آنخوسا اليونانية ومعناها صبغة

(٤) اشتق اسم (bugloss) الانجليزي و (buglose ou buglosse) الفرنسي من كلمتين يونانيتين (فوس) ومعناها ثور و (غلوسا) ومعناها لسان أي لسان الثور ذلك لان الورقة من هذا النبات طويلة وخشنة كلسان الثور

الشَّنْجَار (١)

بالكسر معرب (شنكاز) الفارسية ويقال له ايضاً (خُسّ الحِمَار) و(ساق الحمام) و(رِجْل الحَمَامة) و(الحُمَيْرَاء) و(حنَّاء الغُولة) و(حنَّا الغول) و(هُوفيلوس) على ما جاء في تاج العروس وغيره

عشب معمَّر يرتفع الى قدم ونصف الورقة منه اهليلجية الشكل مستطيلة منفرجة القمة وأزهاره ارجوانية

اسمه العلمي(Alkanna tinctoria, Tausch.)(آلقانا تنقتوريا) او(Anchusa tinctoria, L.) (آنشوزا تنقتوريا) من فصيلة لسان الثور وبالانجليزية (dyer's bugloss;) والفرنسية (buglose ou buglosse des teinturiers;)

معروف في مصر والشام وشائع في جنوب اوربا في البقاع الرملية والحجرية حول البحر المتوسط الى بلاد المجر وهو من نباتات الزينة كالسابق . ولاشتمال جذره الاحمر الضارب الى السمرة على صبغ احمر كانوا يستعملونهُ قديماً لتجميل الوجه حين لم تكن الاصباغ الخفيفة معروفة والشنجار يزرع في جنوب فرنسا من اجل جذوره المستعملة صبغاً احمر جميلاً للمراهم والزيوت والشمع وسائر المواد الدهنية وفي تلوين الانبذة الكحولية وغش بعض المركبات حتى تشبه نبيذ اوپورتو المشهور. وثمَّ انواع اخرى من جنس أبي خلسا او لسان الثور نذكر منها ما يأتي :—

(١) (لسان الثور الايطالي) المعروف في الشام (بذَنَب القِط)

واسمهُ العلمي (Anchusa Italica, Retzs.) (آنشوزا ايتاليقا)

وبالانجليزية (Italian bugloss) والفرنسية (buglose ou buglosse Italique)

(٢) (الكحلاء) في مصر والشام واسمهُ العلمي (Anchusa Milleri, W.) (آنشوزا ميلري) وبالانجليزية (pink bugloss)

(٣) (الحِمْحِم) في الشام واسمهُ العلمي (Anchusa strigosa, Labill.) (آنشوزا استريغوزا)

(٤) (الشُّبَيْط) او (الدُّبُّون) في مصر والشام

واسمهُ العلمي (Anchusa aegyptiaca, L.) (آنشوزا ايجيبتياقا)

(٥) (الجَلَوَيْن) او (التَّمَلِيق) او (لِسَان النَّعْجَة) في مصر والشام

واسمهُ العلمي (Anchusa aggregata, Lehm.) (آنشوزا اغريغاتا)

---

(١) وفي تاج العروس (السنجار) بالسين المهملة ايضاً

أبو ذَنَب [1]

من نباتات السودان ويقال لهُ ايضاً (ذَنَب النَّعْجَة)
ضرب من النجيل يعمّر وتكون لهُ خُصْلات كثيفة سوقه دقاق كالاسلاك قد ترتفع الى ٢½ قدم اوراقه ضيقة ليست غزيرة ولهُ سنابل فرادى طول الواحدة منها قدم
اسمهُ العلمي (Ctenium elegans, Kunth.) (استينيوم اليغانس) وفصيلته النجيلية

أبو عَيْن صَفْرَاء

ويقال لهُ ايضاً (زَغْلِيل) و (رِمِث) و (رَعْرَاع أيُّوب) نبات مزغّب بشعيرات دقاق بيض يرتفع الى قدم او اكثر ورقه اهليلجية الشكل مستطيلة على نوع ما عديمة العنق طولها ٥ سنتيمترات تقريباً وزهراتهُ مجتمعة في نورات صفر كل واحدة منها مستديرة
اسمهُ العلمي (Pulicaria vulgaris, Gaertn.) (بوليقاريا ولغاريس) وفصيلته المركبة وبالانجليزية (small fleawort)
شائع في مصر والسودان ويقال انهُ طارد للبراغيث والبعوض

أبُو رُكَب

عشب معروف بهذا الاسم في السودان ويقال لهُ فيهِ أيضاً (ذَنَب العَبْلاَنِي) و(فاكهة) و (نَعْنَاعَة) و (عِرْق الأَسَدَة) و (عِرْق الدَّم) وفي الشام (نُعَيْم) ساقهُ خشبية . أوراقهُ إهليلجية الشكل متقابلة . يتراوح طول الواحدة منها بين ٥ سنتيمترات و ٧ وزهراته مجتمعة في سنابل بسيطة عادة يتراوح طول الواحدة منها بين ٥ سنتيمترات و ٤٠ وثمرته منحنية شائكة على نوعٍ ما
اسمهُ العلمي (Achyranthes aspera, L.) (أشيرانثيس آسبرا) وفصيلتهُ الأمرنتية أو أو فصيلة عرف الديك (Amarantaceae) (امرانتاسية) وبالانجليزية (rough achyranthes)
شائع في السودان ومصر والشام وأهل السودان يضعون الجذر منهُ بعد مضغه على الجراح لالتئامها

أبُو جَاوِي

شجيرة شائكة معروفة بهذا الاسم في السودان أوراقها إما متقابلة أو تكون كل ثلاث أو أربع

---

(١) هذا النبات وغيره مما سنذكره خاصاً بالسودان قد رجعنا فيه الى ما جاء في كتاب (برون وماسي) عن نباتات السودان بتصرف

منها مجتمعة معاً الواحدة بيضية الشكل طولها ١٥ سنتيمتراً وأزهارها فرادى طرفية بيض اللون أو صفر وثمرتها بيضية الشكل أو كرية طولها ١٠ سنتيمترات

اسمها العلمي (Gardenia lutea, Fresen.) (غاردينيا لوتيا) وفصيلتها الفوّية

وأهل السودان يتعاطون الماء الناشيء عن جذورها بعد الغليان مع دقيق الذرة دواء لحمى البول الاسود المعروف وخشبها صلب صفيق أصفر اللون فاتح تصنع منهُ مقابض للسكاكين وقد تنتج الشجيرة راتينجاً عطراً يستعمله العرب هناك في بعض شؤونهم وثمرتها معروفة هناك في تسمم السمك

أبُو فاس

نبات سوداني معروف بهذا الاسم ساقه مزغبة بشعيرات طوال مختلطة بأخرى منتهية بغدد ورقتهُ بيضية الشكل ضيقة من طرفيها طولها ٧ سنتيمترات تقريباً

اسمهُ العلمي (Hypoestes verticillaris, R. Br.) (هيبويستيس ورتيسيلاريس) وفصيلته الشوكيّة (Acanthaceae) (اكانثاسية) وتستعمل جذوره صبغة للحصر في السودان

أبُو عَلَيْبَة

عشب سوداني كالسابق تلتف ساقه . ورقته ذات خمسة فصوص إهليلجية مستطيلة يتفاوت طولها بين ٥ سنتيمترات و ٧ وأزهاره إما فرادى او كل ثلاث معاً صفر اللون تقريباً وثمرتهُ حق كريّ الشكل فيهِ اربع بذور برتقالية اللون

اسمهُ العلمي (Ipomoea dasysperma, Jacq.) (ايبوميا داسيسبرما) وفصيلته المحمودية او اللاّفة (Convolvulaceae) (كونولولاسية)

أبُو دَجْلُول

شجرة كبيرة معروفة بهذا الاسم في السودان ويقال لها فيهِ ايضاً (أمّ دَجْلُول) و (جُنْجُل) و (زيتون) و (قُرَيْن)

الورقة منها ملساء مركبة من خمس وريقات الواحدة منها بيضية الشكل كالاسفين ذات عنق ظاهر طولها ١٥ سنتيمتراً تقريباً وأزهاره صغار تضرب الى الصفرة في نورات الواحدة منها كثيفة إبطية ذات عنق طويل وثمرتها في حجم الكريزة

اسمها العلمي (Vitex Cienkowskii, Kotschy & Peyr.) (ويتقس سينكوسكياي) وفصيلتها الفربينية (Verbenaceae) (فربيناسية)

والخشب من هذه الشجرة أبيض اللون خفيف وثمراتها تؤكل ويقال إنهُ قد يستعاض بها عن الشاي اذا حُمّست



رباعيات الغزالى

للشاعر الفرنسى جان لاهور

نقلها خليل هنداوي



حب المرأة

الى الخيام ، العاقل الالهي
الذي تسكب رباعياته في النفس
النشوة المجذوبة المذهلة التي لا تنتهي
نشوة الله والخمرة والمرأة ...

آه ! يازهرة السدر ، ايتها الزهرة المطبقة ،
أين — يا ترى — تقيم تلك المحبوبة التي يجب عليّ
أن اسعى اليها بدموعي وحبي ؟

أهي شقراء ، ام سمراء ؟
وهي طائفة تحت شعاع القمر السحري
بم عساها تحلم الآن
بعيدة عن حبيبها الذي لايزال في اطواء الغد ؟

أصغي يانفسي !
هذه هي اللحظة التي يتنهد فيها القمر السابح في السماء ،
بأغنية رقيقة كأغنية شبابة تعول وتبكي !

قبل ان يهتك الموت — ذو السر القلق ،
ستار الاسرار التي عمّاها الله على اهل الارض ،
أحيي يانفس ! ولا تسألي عن مصدر وجودك
ولا تحفلي بما ينتظرك في اعماق المجهول !

لم يؤثر عن الغزالي شعر ولم يعرف عنه انه نظم رباعيات ولكن الشاعر الفرنسي استطاع ان يقدم لنا كأسا معتقة من فيوض صوفية الغزالي ممزوجة من كرمتي الخيام والشيرازي وقد شعت عليها اضواء خاطفة من نشيد الاناشيد

وفي انذهال الليالي الساكنات الساجيات
في حرارتها ، وفي نحولها
وتحت شعاع القمر الذي فضّض النخيل
زهرة سدر تتفتق !

تقبلي قبلتي من فم الازهار !
هذه الازهار ، أزجيها الى شفتيك الورديتين ...
تقص عليك همومي الممتزجة بضئيل من الفرح .
وانهلي نداها وانت تذكرين الدموع .

قربي صدرك ، وخدك الملتهب
من انفاس ليالي الصيف ،
فاني قد سكبت روحي في الليل
لتمتزج بجمالك !

لا لذة تبلغ لذة الحب .
ولا حرارة ملتهبة تشبه هذه الحرارة
ولا ثمرة طيبة تستطيع ان تهدىء ثورة شفتي .
وهي تذوب كشفتك حين تلاقي شفتي .

ان شعاع القمر كتنهدة من تنهدات الليل .
كم من تنهدة في قلبي الذي يضطرب !
وفي قلبك تتذوقين لذة اتحادنا معاً
مع التنهدة التي لا تنتهي تنهدة السماء المضيئة .

لنتحاب ولنحلم !
فانا لا نجد دائماً ازاء اعيننا هذه السماء الرقيقة .
والاموات لن يروا ابداً هذه الليلة اللطيفة الزاهية
التي تمسنا بلين وتزيد هوانا رقة وحنانا

لألىء ثغرك ، وزرقة عينيك
تتركني أبارك — حين تنهتك عنك الحجب —
أبارك هذا الصائغ الالهي الذي نثر على بساط السماء
هذه الازرار الساطعة الماسية من النجوم

بكأس من الخمر ، وحبات من التمر
وبساط من الزهر ، وبثغر الحبيبة الجميل ،
وعينيها اللتين أنعسهما النحول
أحس — يا آلهي — قبلتك في قلبي !

خيام ! في غرفتي الموصدة دون جميع اصوات العالم .
آه ما اعذب — بالقرب من المحبوبة —
لألاء القمر يفيض من ابياتك !

تآخي ياروحي مع الكواكب المذهبة
ومع الارواح التي تلتهب في الليل الذي لا ينتهي .
التهبي مثلها واخفقي ، أحبي وتألمي . أحبي ايضاً .
وبالفجر والليالي السامية أتحدي !

ترنيمة الليل الهادئة الهائمة
تنحدر على المدينة الساكنة
وكل نأمة ، وكل لجبة حولنا تسكن ، لتسمع هذه الترنيمة بوضوح .
ولكن اغنية عينيك أكثر من ترنيمة الليل رقة وحناناً .

اشرب ياقمر الحب بكأس عقيقية حمراء !
فان قمر السماء سيشرق بعدنا كثيراً على هذه الرياض
التي رأت ألف ربيع وربيع .
يشرق دون ان يجدنا في مثل هذه الليلة .

جسدك الجميل المضمخ بالطيوب الغالية ،
يخنق فؤادي في فضاء من العطور . . . .

ايتها النجوم ! ياموسيقى السماء :
إن اغنيتك ترن رنات السكون .
وتتحد مع فكرتي حال استسلامي للأحلام
على هذه الامواج حيث القمر يبرز متهادياً !

أتحلمين حينما تطأ قدماك التراب ،
بأنك واطئة ما كان من قبل عيناً كحلاء لعاشقة طالما ضحك النور فيها .
أو ثغراً زاهياً رنَّ فيه صوت .

جمجمتك حيث تخطر الآن اهواؤك بكبرياء
ويرح ايمانك وكبر فكرك .
قد تعتريها قدم عاشق ، مبعداً فمه عنك اشمئزازاً ونفوراً .

وإذا كان — لا بد لك غداً — بأن تغدي بين الموتى .
فاتركي نفسك وعنقك يسكران من الجمال .
وتأملي هذا العشب الجديد كيف يهتز للحياة
قبل أن يرى في جسدك الفاسد غذاءه !

ايتها الغواني اللواتي يحطمن كبرياء العتاة !
وينتزعن من الدموع بقوة جمالهن .
أية اسرار فيكن تجعلنا شاحبي الوجوه
وتتركنا في لحظات حبنا نتمنى الموت .

عيونكن تنفتح لي عن فردوس قاتم ،
عن فردوس بعيد يخط فيه حلمي في المساء

سارحاً بين أزهاره ونجومه .
دون أن يستجلي فيها ذلك السر الذي تنطوي عليه .

اضواء القمر الزرق كم ذهل في اسرارها كثيرون من العاشقين !
كم ليالٍ مقبلة ، وعلى عظامنا ، هذه الاشعة ذاتها ستذهل الارض

شعرك الذهبي الكثيف المطيب بالمسك .
المتدلي كالعناقيد على قدميك العاجيتين
جاعلاً بدنك ناعماً لامعاً اكثر اشراقاً من عسجد ،
تظلله في المساء سماء ذهبية تتلألأ فيها خيوط الشفق الناري .

اشعة ، او خطوط ، او الوان . كل ايقاع هو عيد .
انا تلك النفس التي تستطيع ان يغفيها جمال نظرة
وتشعر بموتها اذا لمعت عليها لمعة مجرمة من الجمال الكامل

ان الروض اللازوردي الكبير يريد ان يتفتح في الليل .
ياحبيبي تعال نرى — بعيداً عن الناس — القمر برداء ملكة يتهادى الينا .
وفي هذا الروض الازرق تتفتح النجوم .

ان عيون من احببت :
عيون طافحة بالاحلام للمحب .
هذه العيون التي تبسم له بحنان ستلاقي فسادها .

كل اولئك الموتى مضطجعون على ظهورهم
يأكلهم دود الثرى متمهلاً . . .
وهم يرشفون هول الظلمات
بتلك العيون المتفتحة ، المحدقة كثيراً .

هنالك رجال ما أرق انفسهم ! لانهم صانوا في قلوبهم
رقة تركتها فيهم قبلة امرأة . . .

وعشاق قليلون تبلغ سعادتهم هذه الغاية ،
يحتضنهم الشفق الساطع الملتهب .

ان عندليباً يئن في ظلال نفسي
باكياً لذكرى ليالٍ قديمة في الصيف
وذكرى وردة كان جمالها المتوقد ، يسطع في الروض كالشعلة .

ولو ان الموت حال بيني وبينك فاني اراك بلا انقطاع .
واراك في كل مكان ورائي
وكنجمة ميتة تصفرُّ لها الليالي تعكس عليّ النور عينا امرأة هالكة .

كم من ايام بعدنا تزهر فيها هذه الاعواد البيض من زنبق
الليل وورد الفجر !
ما كنت لابغض الوجود قبل ان انزل فيه
فكيف ابغضهُ بعد ان اتوارى في المجهول ؟

بلى ! كل شيءٍ باطل ، يموت ويبيد .
ان قصر هذا الوجود مشيّد على رمل !
والماضي والآتي هما هوتان قائمتان في كل الجوانب .
وهذا الحلم الذي يعود الناظرين هو الذي يجعل عيونهم شرسة

قد يكون التأمل في بعض الخطرات في غير موضعه
وقد يقودنا الى طريق وعر
ألا فتأمل — في وجه القمر — بعين الحب .
فقد يكون تأملك هذا — على الاقل — عيد عينيك !

هذه الاكاذيب التي تغرينا بالحياة
وتجعلنا نصفح عن هذا العالم المجنون

أحبها — وأحب معها الموسيقى والشعر والحب ،
وهذه السماء الرقيقة التي تذهل فيها النفس

لنفسي ، ولعيني ، قدّمي ثانية ضئيلاً من الطرب !
وافتحي حجبك البيض ، واتركي روحي الشقية التي
ترغب في الهدوء تستريح ، على صدرك الناعم الشاحب .

جسدك الناعم كاللجين ، وعيناك هما لازورديتان .
يفوح عبير الياسمين من شفتيك الذابلتين . . . .
واذا شدوت أغنيتك في الليل فكأن كوكباً يتوارى في جمالك الساطع .

قامتك كالسرو ، وعينك كالصبح صفاء . وخدك كالورد .
أريد ان أدري : لماذا القدر العابث بالكائنات ،
أبقاني حيًّا ثم أضواني ؟

عيناي ذاهلتان بوجهك المشرق
وكواكب عينيك وورد بشرتك .
قد يكون الفناء كامناً تحتها ،
وما همي ؟ اذا كان الجسد صافياً عزيزاً عليّ !

أيها القمر ! انك انت القيثارة الفضية الرقيقة ،
وأشعتك البيضاء أوتارها .
يا الهي ، أنت توقع عليها برقة مع قلبي الكئيب الحائل .

عند ما يرخي الليل علينا ذوائبه الطويلة المرصعة بالنجوم والياقوت
أرخي أنتِ علينا غدائرك مثله ، وأزيحي هذه النقب
ودعي جبيني مسنداً على ركبتيك دون ان تتكلمي !

قد يمكن ان نحب دون ايمان بمن نحب !

اني أعبد الجمال الذي أحس فناءه .
وأخيراً علمت بطلانهُ ، بطلان ما كنت أعبده حين أبدعتهُ .

جمالك الخادع هو كالغرسة التي تمشّي السم في اثناء عروقها الرقيقة
ان رغبات قلقة تجول في عينك الصافية
كتلك الزواحف التي تنساب في بطون الغدران الزرقاء .

اجيل ناظري فيها ،
فاذكر البحر الجاني . . .
يتلقف الماردين والموتى جوفهُ
وهو — في الظاهر — ذو ضحكة صافية رنانة!

لكي يذيب جسدك، ويقتل نفسك
يعرف الموت ان يستولي على وجه امرأة
بعينين واسعتين صافيتين كالزهر تلثمين العين الغادرة التي تموتين بها

ايها القمر ! يا رأس ميتة تنير الليالي،
انت جئتنا تعلمنا ان كل شيء كاذب .
ايها القمر الذي تجعل السماء اكثر حناناً حين تنير حيناً ،
وتجعل احلامنا احلاماً آلـهية

كل شكل في هذا الوجود هو بغير حقيقة
ومظاهرهُ ليست بثابتة
وانك ، وانت محيط قلبك بهذه الحقيقة
تستطيع ان تستنقذ نفسك من القلق الذي تخلقهُ هذه المظاهر

— يتلوه الحب الصوفي — « خليل هنداوي »



مشكلة البحر المتوسط

ملخص مقال

لوليم لانجر

استاذ التاريخ الحديث بجامعة هارفرد الاميركية

الحرية المختنقة

استاذ تاريخ في اميركا يصف اعتناقه الشيوعية

ثم انسحابه منها

للاستاذ ستيورت برون



خريطة للبحر المتوسط وسواحله وقد بينت فيها المواقع الواردة في المقالة



مشكلة البحر المتوسط

ملخص مقال لوليم لانجر أستاذ التاريخ الحديث بجامعة هارفرد الاميركية (*)

أوشكت بريطانيا وإيطاليا من سنتين ان تخوضا غمار حرب في البحر المتوسط ، ومنذ نشبت الحرب الاهلية الاسبانية زادت المشكلات التي تتصل بهذا البحر تعقداً وغموضاً . ومع انهُ من الحمق محاولة التنبؤ بما يقع في المستقبل الا أن درس تاريخ المشكلة وتحليل عناصرها الاساسية يلقي ضوءاً على الحالة الحاضرة ويساعد على فهمها

من الحقائق المسلم بها شدة اهتمام انكلترا باقصر طريق بحري الى امبراطوريتها الاسيوية ، منذ فتح ترعة السويس واحتلال انكلترا لمصر فلا حاجة بنا الى التوسع في هذه الناحية من الموضوع الآن . ولكن لا بدّ من كلمة في الاعتبارات التي أملت على الحكومة البريطانية خطتها في حماية هذه الطريق . فقد كانت انكلترا تخشى روسيا اكثر من خشيتها اية دولة اوربية أخرى في بضع السنوات التي تلت شق الترعة . وكان همّ دزرائيلي متجهاً إلى صدّ روسيا عن التقدم في البلقان والقوقاس . فلما انفرجت ازمة سنة ١٨٧٨ كانت انكلترا محتلة قبرص . وكان الظن أن الغرض من هذا الاحتلال استعمال هذه الجزيرة قاعدة يعتمد عليها في مقاومة روسيا اذا حاولت التوسع جنوباً من طريق الاناضول أو عن طريق البحر . ثم أطلق لورد سلسبوري يد فرنسا في تونس وهذا يدلُّ على ان انكلترا لم يخطر لها قيام عداء انكليزي فرنسي . فلما أحتلت فرنسا تونس سنة ١٨٨١ وشرعت تناوىء بريطانيا كان الباعث على مناوئتها الظهور بمظهر الدولة القوية المهوبة ، ولم يدر حينئذٍ في بال الفرنسيين أن لتونس مكانة عسكرية تذكر

ولم ينشأ التنافس بين انكلترا وفرنسا في البحر المتوسط الا بعد ما احتلَّت انكلترا مصر . ومع ذلك ظلّ الانكليز ينظرون في العقد التاسع من القرن الماضي الى مناوأة الفرنسيين لهم مستخفين بها . في ذلك العهد كان الايطاليون يخشون فرنسا فتعلقوا بأذيال انكلترا وعلى ذلك عقدت المواثيق الخاصة بالبحر المتوسط في سنة ١٨٨٧ بين انكلترا وايطاليا ثم انضمت

(*) مجلة الشؤون الخارجية عدد يوليو سنة ١٩٣٧

اليها النمسا والمجر وكان ذلك بمساعدة بسمارك وتشجيعهِ . واهم ما في هذه المواثيق مما يخص البحر المتوسط الاتفاق على الاحتفاظ بالحالة الراهنة في ذلك البحر والحيلولة دون اتساع سلطة فرنسا في شمال افريقية . ومن المؤكد أنهُ لو حاولت فرنسا حينئذٍ ان تتجاهل مغزى هذا الاتفاق لواجهت قوات ايطاليا وانكلترا مجتمعةً .

فلما عقدت المحالفة الفرنسية الروسية (١٨٩١—١٨٩٣) كان عقدها على الغالب رداً على اتفاقات البحر المتوسط التي اشتركت فيها بريطانيا وايطاليا وامبراطورية النمسا والمجر . ولما زار اسطول روسي ثغر طولون في شهر اكتوبر من سنة ١٨٩٣ أدرك الانكليز مغزى الزيارة . وكان لهم في البحر المتوسط أسطول قوي مرتكزاً على مالطة . ولكن الاسطول الفرنسي في طولون لم يكن دونهُ عدداً والراجح انهُ كان يفوقهُ قوةً . وكانت فرنسا حينئذٍ على وشك انجاز التحصينات القوية في بيزرته . وباستناد قواتها الى بيزرته وطولون أصبح غرب البحر المتوسط في قبضتها تقريباً . وعلاوة على ذلك كان لروسيا أسطول لا بأس بهِ في البحر الاسود وكان في استطاعتهِ ان يصل الى شرق البحر المتوسط من دون ان يخشى الاتراك . ففي حالة نشوب حرب ، كان يخشى على الاسطول البريطاني ان يقع بين حجري الرحى في الوسط وليس لهُ عون الا اسطول ايطاليا . فسرى الذعر في نفوس البريطانيين في سنة ١٨٩٣ — ١٨٩٤ وعني خبراؤهم بدراسة المشكلة من جميع وجوهها . حالة ان جوزف تشمبرلين والد رئيس الوزارة البريطانية الحالية صرح في مجلس النواب انهُ في حالة نشوب حرب لا يبقى أمام الاسطول البريطاني الا الفرار اذا كان يستطيع الفرار . وكان من رأي سياسيين آخرين مثل دلك Dilke وبراسي Brassy بعد ان رأيا عجز الاسطول البريطاني عن حماية السفن البريطانية ان تسجل السفن البريطانية في سجلات دول أخرى وترفع علماً غير بريطاني وكان جل أملهما معقوداً على ان لا تحسب المواد الغذائية من المواد الممنوعة في الحرب Contraband

وكانت النتيجة أن أقبلت انكلترا على تعزيز أسطولها ببناء سفن حربية جديدة وسعى لورد روزبري الى تعزيز اتفاقات البحر المتوسط المعقودة مع ايطاليا والنمسا والمجر بحمل المانيا على تأييدها . ومن حسن حظ الانكليز ان أنظار الروس اتجهت الى الشرق الاقصى ، فلما اشتدَّ النزاع بين فرنسا وانكلترا على مسألة فاشودة في سنة ١٨٩٨ أحسَّت فرنسا ، وقد تخلت عنها صديقتها روسيا وأقضها النزاع الداخلي الدائر حول قضية دريفوس، ان لا قبل لها بمقاومة بريطانيا فمال ديلكاسه الى الاتفاق وكذلك تعززت هيبة بريطانيا البحرية

كان ديلكاسه في تلك الآونة يسعى الى التفاهم مع انكلترا بصرف النظر عن حادثة فاشودة نفسها . وكان أمله ان يعقد اتفاق بين انكلترا وروسيا سعياً منهُ الى اضعاف المحالفة

الثلاثية بين المانيا وايطاليا وامبراطورية النمسا والمجر . فاستمال السفير الفرنسي في روما — كاود باررـ الحكومة الايطالية باطلاق يدها في طرابلس مقابل اطلاق يد فرنسا في مراكش. وكانت الحكومة الاسبانية قد خرجت ضعيفة من الحرب الاسبانية الاميركية ، وكانت تخشى خسارة جزائر كناري اوجزائر البليار ، اذ كان الزعماء المانيا تنوي الفوز بها اذا استطاعت . فعرضت باريس على مدريد عقد اتفاق تنال بمقتضاه نصيباً من مراكش. ولكن أسبانيا لم تقدم على عقد اي اتفاق من دون موافقة لندن . فوجب على ديلكاسه الاتفاق مع انكلترا فكان ذلك الباعث على عقد الاتفاق المشهور سنة ١٩٠٤ وأساسهُ تخلي فرنسا عن مطالبها في مصر مقابل تخلي انكلترا عن مقاومة السياسة الفرنسية في المغرب الاقصى

وكان من الطبيعي ان تشتمل المفاوضات لعقد هذا الاتفاق على دراسة مشكلة البحر المتوسط بحذافيرها . فالخطة البريطانية في ما يتعلّق بالمغرب الاقصى كانت قائمة على ان كلّ اعتداء على ساحل المغرب الاقصى الذي على البحر المتوسط يجب ان يقاوم بالقوة . وكان ديلكاسه يخشى المانيا ويرغب في الوصول الى الاتفاق المنشود فقطع العهود اللازمة بل تمادى فاقترح اتفاقاً يحبط بمقتضاهُ على كل مسعى تبذلهُ المانيا للفوز بجزائر البليار . فلم تقبل انكلترا هذا الاقتراح ، بل انطوى الاتفاق النهائي على الامتناع عن اقامة اي حصون على ساحل المغرب بين مليلة وطنجة وان تجعل طنجة منطقة محايدة . فلما عقدت اسبانيا اتفاقها مع فرنسا على مراكش قبلت العهود التي قطعتها فرنسا لانكلترا في موضوع التحصينات الساحلية . وكانت انكلترا قد اتفقت مع اسبانيا على الامتناع عن تحصين « الجزيرة » Algeciras المناوحة لجبل طارق على الساحل الاسباني الجنوبي وكذلك فازت انكلترا بكل ما يلزم لضمان حرية مضيق جبل طارق

ولما كانت قوة فرنسا وانكلترا البحرية في البحر المتوسط على جانب عظيم من المنعة والقوة ، اضطرّت ايطاليا واسبانيا ان توثق صلاتهما بالاتفاق الودّي . نعم ان ايطاليا ظلت على صلة بحليفتيها المانيا والنمسا ، ولكن اسبانيا والبرتوغال كانتا من اتباع فرنسا وانكلترا . فلما وقعت ازمة ١٩٠٥ وبدا خطر التوسع الالماني ، اصبحت انكلترا تنتزع من كل وزير خارجية برتوغالي وعداً بان لا تمنح البرتوغال لالمانيا مرفأً حربيًّا او محطة تجارية في جزائر « مديرا » او « الازور » . وفي سنة ١٩٠٧ تبادلت مدريد مع باريس ولندن ما يطمئن تينك الدولتين على الاحتفاظ بجزائر كناري وجزائر البليار لاسبانيا

وقد ظلت الحالة بغير تبديل من تلك السنة الى سنة ١٩١٢ على الرغم من ازمة اغادير . ولكن حرب ايطاليا وتركيا (١٩١١) ادخلت عنصراً اساسيًّا على مشكلة البحر المتوسط . ذلك ان احتلال ايطاليا لطرابلس اتاح لايطاليا قاعدة بحرية كبيرة الشأن في طبروق . وكان اهم من

ذلك احتلالها جزائر الدوديكانيز في مايوسنة ١٩١٢ لانهُ جعلها على مقربة من سواحل الاناضول ومكنها من قاعدة متوسطة بين مالطة والاستانة وترعة السويس . فاحدث هذا الاحتلال موجة من الغضب في باريس ولندن . فالفرنسيون خشوا ان يكون الايطاليون يعدّون عدتهم لتحدّي مقامهم الاقتصادي والثقافي في الشرق الادنى. والانكليز اقلقتهم الناحية الحربية البحرية من الموضوع . فقد رفعت الاميرالية البريطانية مذكرة في سنة ١٩١٢ قالت فيها ان السلطات البحرية الانكليزية جرت على خطة اساسها ان لا يسمح لدولة ما ان تنشيء قاعدة بحرية تبعد اقل من الف ميل عن مدخل ترعة السويس اي الى الشرق من مالطة

وقد زاد هذه الحالة خطراً في نظر انكلترا وفرنسا طروء عوامل اخرى . فزيادة قوة المانيا البحرية اقتضى من انكلترا ان تسحب من البحر المتوسط معظم اسطولها في سنة ١٩١٢ لتعزيز اسطول البحر الشمالي . حالة ان فرنسا اضطرت ان تعبيء معظم اسطولها في مياهها الجنوبية لمواجهة قوات ايطاليا وامبراطورية النمسا والمجر. وقد كانت قوات فرنسا البحرية متفوقة قليلاً على قوات ايطاليا والنمسا مجتمعة مع ان هذه القوات كانت تحتوي على وحدات احدث طرازاً وأقوى مدافع من الاسطول الفرنسي . وهذا حدا بديلكاسه في سنة ١٩١٢ الى وضع برنامج انشاء بحري واسع النطاق ووعدت انكلترا بابقاء اربعة طرادات خفيفة في البحر المتوسط وبأن تبعث ببضعة دريدنوطات حالما يتاح لها ذلك . وكان اعظم ما تخشاه لندن وباريس ان يسلم الايطاليون للالمان قاعدة بحرية على ساحل طرابلس او في الدوديكانيز . او ان تقتفي بعض الدول اثر ايطاليا فتتخذ لنفسها قواعد بحرية في شرق البحر . ولذلك قال سفير بريطانيا في مدريد «عندما تمتلك ايطاليا قاعدة بحرية في شرق البحر المتوسط يصبح الحلف الثلاثي سيد تلك السواحل »

فكيف تواجه هذه الحالة ؟ اقترح بول كامبون سفير فرنسا في لندن اولاً ان يفتح البوسفور والدردنيل للاسطول الروسي في البحر الاسود . فلم يقع هذا الاقتراح موقعاً حسناً عند اولي الامر . ثم شرعت فرنسا وانكلترا تبحثان في امكان عقد اتفاق مع ايطاليا على اساس الاحتفاظ بالحالة الراهنة في البحر المتوسط اجتناباً للمفاجآت ومنعاً لايطاليا من ان تمادى في الارتماء في احضان المانيا والنمسا . وأيد غراي وزير خارجية انكلترا هذه الخطة . وساعده في ذلك سفيرا فرنسا في لندن وروما . فلما عقد الصلح بين تركيا وايطاليا في اكتوبر سنة ١٩٩٢ بدأت المفاوضات ولكنها لم تسفر عن اي اتفاق. لان ايطاليا طلبت ان تستبقي جزيرة او جزيرتين من جزائر الدوديكانيز ، وفرنسا وانكلترا اصرتا على اخلائها جميعاً . وظلت المفاوضات في هذا الموضوع دائرة حتى مستهل الحرب الكبرى . نعم كانت ايطاليا قد تعهدت في صلحها مع تركيا بأن تخلي الجزائر متى اتمت تركيا اخلاء طرابلس . ولكنها لم تفعل على الرغم من

مساعي لندن وباريس ، حتى اضطر غراي ان يقول للسفير الايطالي « ان ايطاليا اعتدت في السنين الاخيرتين على مصالح بريطانيا اكثر من اية دولتين اوربيتين أخريين »

وكانت نتيجة كل ذلك ان عادت ايطاليا الى حضن صاحبتيها المانيا والنمسا . وفي نوفمبر سنة ١٩١٢ انشأت المانيا لاول مرة في تاريخها البحري اسطولاً صغيراً في البحر المتوسط قوامه طراد القتال «غوبين» وسبعة طرادات صغيرة . فكان ذلك باعثاً على الظن بأن الحلف الثلاثي الذي تجدد في دسمبر سنة ١٩١٢ اخذ يوسع نطاق عمله حتى يشمل شرق البحر المتوسط

فلما رأت دولتا الاتفاق الودّي ان توازن القوى في البحر المتوسط دقيق رحبّتا بعون اسبانيا . وقد دلت الوثائق الفرنسية الرسمية التي نشرت حديثاً على رغبة الملك الفونسو في الانضمام الى الاتفاق الثلاثي فبذل مساعي متواصلة لتحقيق هذا الغرض واكد غير مرّة للفريقين بأنهُ إذا نشبت حرب أوربية فيجب الاّ يساورهم قلق ما من ناحية جبال البرينيه .ثم بيّن المسيو بوانكاره بأنهُ اذا كانت أسبانيا متحالفة مع فرنسا فلفرنسا ان تستعمل ثغور اسبانيا في شبه الجزيرة وفي جزائر البليار بل وسكك الحديد الاسبانية من الجنوب الى الشمال لنقل الجنود .ومع ان بوانكاره لم يتقيد بقيود واسعة النطاق الاّ انهُ استوثق من صداقة اسبانيا ومعاونتها في حالة نشوب حرب

فلما نشبت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ أعلنت أسبانيا وايطاليا حيادهما .وقد احتفظت اسبانيا بحيادها الى آخر الحرب على الرغم من أن الشعور الغالب على الامة كان شعور تأييد «للحلفاء» . أما ايطاليا فان حيادها مهما يكن سببهُ وسواء أكان لكره الايطاليين للنمسويين أم لعدم استعدادها للحرب ، كان نعمة على فرنسا وانكلترا ، لأنهُ احبط الاتفاق الذي وضعتهُ دول الحلف الثلاثي في نوفمبر سنة ١٩١٣ لمهاجمة سفن النقل الفرنسية السائرة من الجزائر الى جنوب فرنسا .ويكفينا ان نراجع ما احدثتهُ الدراعتان الالمانيتان « غوبين » « وبرسلو » من المتاعب للحلفاء في البحر المتوسط ، في أوائل الحرب ، لكي ندرك مدى تأثير ايطاليا في عرقلة خطوط المواصلات الفرنسية لو أنها انضمت حالاً الى المانيا واستعملت قوتها البحرية في تنفيذ الاتفاق المذكور . إذن لتأخر وصول الجيش الفرنسي التاسع عشر عن الوصول الى اوربا في وقت الحاجة اليهِ . وقد كانت قوات ايطاليا والنمسا والمانيا البحرية متفوقة قليلاً على قوات فرنسا وانكلترا في بدء الحرب ثم زاد تفوقها قليلاً في مايو ١٩١٥ (اذا صرفنا النظر عن القوات البحرية المحتشدة امام الدردنيل . ومما يدلك على مبلغ رغبة الحلفاء في سنة ١٩١٥ في اقناع ايطاليا بالانضمام اليهم ان جزائر الدوديكانيز منحت لايطاليا في معاهدة لندن السرية مع ان دومرج سمع من شفتي غراي قبيل الحرب قولهُ : « يجب على الايطاليين ان يعيدوا الجزائر .يجب الاّ يحتفظوا بها . واننا لن نسلم بذلك »

فلما انضمّت ايطاليا للحلفاء انتهى الامر ، وعلى الرغم من اعمال الغواصات في البحر

المتوسط ، كانت السيادة للحلفاء فيه واستطاعت فرنسا ان تبقي مواصلاتها مع شمال افريقية حرَّة

وكذلك ظهر من معالجة هذا الموضوع في اثناء الحرب ، انهُ اذا اتفقت انكلترا وفرنسا اغرى اتفاقهما بانضمام الدول الاخرى اليهما وان ايطاليا كانت عاملاً حاسماً في الموضوع، ولكن الثمن الذي اقتضتهُ كان باهظاً

في الفترة التي تلت انتهاء الحرب الكبرى مباشرة ، زالت النمسا والمجر من حساب الدول البحرية في البحر المتوسط . ولكن ذلك جعل البحر الادرياتيك بحيرة ايطالية تقريباً، ومكن ايطاليا من ان توجه عنايتها الى البحر المتوسط نفسه. وقد بذلت مساع متعددة بين (١٩١٩— ١٩٢٢) لحمل ايطاليا على التنازل عن جزائر الدوديكانيز فاخفقت فلما عقدت معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ اعترف لايطاليا بسيادتها على تلك الجزائر. وفي خلال ذلك كان موسوليني قد قبض على ازمة الحكم في ايطاليا فاوضح بما لا يدع مجالاً للبس انهُ ينوي ان يسعى الى تحقيق آمال ايطاليا في البحر المتوسط . وكذلك تحوَّلت عبارة « ماري نوسترم » اي « بحرنا » من حلم الى خطةٍ وبرنامج

وما لبث موسوليني حتى بدأ يغازل أسبانيا . فالدكتاتور بريمو ده ريفيرا كان يكره ان يكون جبل طارق لدولة أجنبية . فنقرت ايطاليا على هذا الوتر الحساس . وفي سنة ١٩٢٣ زار الملك الفونسو ايطاليا ثم ردَّ الملك فكتور عمانوئيل الزيارة في السنة التالية . وعقدت معاهدة صداقة بين الدولتين في أغسطس سنة ١٩٢٦ وشرعتا تسعيان معاً لاضعاف مقام فرنسا المتفوق في طنجة. ولا يعلم هل عقد اتفاق سري منحت بهِ ايطاليا حق استعمال جزائر البليار في أثناء حرب، ولكن من الثابت ان القول بنية أسبانيا ان تحفر نفقاً تحت مضيق جبل طارق أحدث هزة في فرنسا ومن المرجح ان سقوط الدكتاتور الاسباني لم يكن باعث أسى وحزنٍ في باريس . ومنذ ذلك الحين عنيت فرنسا بحشد معظم قوتها البحرية في البحر المتوسط، وقد كان موضوع المساواة بينها وبين ايطاليا في القوة البحرية ، من أعقد المشكلات التي قامت بعد نهضة ايطاليا الحديثة

فلما وقعت الازمة الحبشية سنة (١٩٣٥ — ١٩٣٦) ظهر للعيان ما طرأ على البحر المتوسط من تحوُّلٍ أساسيّ في شؤونهِ بعد الحرب . فقد اتسع نطاق المصالح الفرنسية والبريطانية في شرقهِ وفي الشرق الاقصى اتساعاً عظيماً . وأصبح نقل النفط فيهِ اليهما من أهم المسائل التي تستدعي عنايتهما . فبريطانيا تجيء بثلاثة أرباع حاجتها منهُ من جزائر الهند الشرقية الهولندية وايران والعراق ورومانيا حالة ان فرنسا تجيء بنصف حاجتها منهُ من العراق . وهذه الشحنات تجيء عادة عن طريق البحر المتوسط ، فنفط العراق يدفع في الانابيب الى حيفا وطرابلس قرب بيروت . وهذا علاوة على ما لفرنسا وانكلترا من مهام الدفاع في سوريا وفلسطين وشرق الاردن ومصر والعراق. ويضاف الى ما تقدم ان بريطانيا جعلت شرق البحر المتوسط عقدة رئيسية في

شبكة مواصلاتها الامبراطورية الجوية . وفرنسا اصبحت اشد اعتماداً مما كانت على امبراطوريتها الافريقية ومستعمراتها الافريقية لتجنيد اشدائها حالة ان ثلث جيشها في اثناء السلم مقيم في افريقية ونقله الى فرنسا عند نشوب حرب اوربية مسألة موت وحياة في نظرها

وكذلك يرى القارىء ان مصالح فرنسا وانكلترا السياسية والاقتصادية والتجارية في البحر المتوسط اصبحت اعظم شأناً مما كانت من عشرين سنة . ثم ان الاسلحة الحديثة ولا سيما الطيارات، قد احدثت تغييراً اساسيًّا في الموضوع من وجهته الحربية . فالطيارات الحربية من مقاتلة ومطاردة وقاذفة للقنابل جعلت البحر المتوسط مجازاً ضيقاً لانها تطير بسرعات تتفاوت من ٢٠٠ ميل الى ٢٥٠ ميلاً في الساعة (بل اكثر من ذلك) وهذا جعل للدول القائمة على سواحله كايطاليا واسبانيا امتيازاً حربيًّا عظيماً ، وقلل من شأن جبل طارق ومالطة ، اللذين اختيرا لمكانتهما البحرية

وغني عن البيان كيف روّعت انكلترا في سنة ١٩٣٥ عندما اشتدت الازمة الحبشية ، فاضطرت أن ترسل على وجه الاستعجال وحدات اسطولها البحري ومئات من طياراتها الى سواحل شرق البحر المتوسط وان تعقد اتفاقات التعاون المتبادل مع فرنسا ويوجوسلافيا واليونان وتركيا للعمل معاً في حالة نشوب حرب يكون سببها قرارات الجامعة . فلما اخفقت الجامعة في ردع موسوليني وانقاذ الحبشة ، شرع كثيرون من الانكليز يقولون انهم عاجزون عن حماية مواصلاتهم في البحر المتوسط في حالة نشوب حرب فيه . وأشاروا بتحويل السفن التجارية البريطانية الى طريق رأس الرجاء الصالح . ولكن الاعتراض على هذا الاقتراح كبير . فطريق الرأس اطول من طريق السويس بنحو ٨٠ في المائة . والاسطول التجاري البريطاني اقل مما كان قبل الحرب بنحو ٢٠ في المائة . ويزعم السر ارشيبلد هيرد الثقة الانكليزي الكبير انهُ في حالة نشوب حرب تحتاج انكلترا الى ٧٠٠ سفينة اضافية علاوة على سفنها التجارية لتنقل الى انكلترا كفايتها من الطعام . فاذا حتم على هذه السفن السفر حول رأس الرجاء الصالح نقص مقدار الوارد الى بريطانيا نقصاً كبيراً لطول الطريق . ويضاف الى هذا العهود والمعاهدات المعقودة بين انكلترا وفرنسا وبعض البلدان في الشرقين الادنى والمتوسط . ومع ذلك فمقام طريق الكاب غير مهمل بتاتاً والعمل ماضٍ بسرعة لانجاز تحصين القواعد البحرية اللازمة على سواحل افريقية الغربية والجنوبية

إلا أن انكلترا عازمة حتماً على ابقاء طريق السويس مفتوحاً اذا كان ذلك مستطاعاً على الاطلاق . وهي لذلك ماضية في برنامج تسلّحها العظيم بحيث ينتظر ان يكون لها ٢٥ بارجة حربية سنة ١٩٤٢ والعدد الذي يتكافأ معها من الطرادات والمدمرات والغوّاصات . كذلك ينتظر ان يكون سلاحها الجوّي ٥٠٠٠ طيارة سنة ١٩٤٠ ومع أن ايطاليا ماضية في برنامج

تسلُّحها ، الاّ أنها على الغالب لا تستطيع ان تجاري انكلترا . ولا ان تبقى ندّة لها في القوة البحرية في البحر المتوسط . ولكن اهم مشكلة يواجهها الانكليز هي مشكلة القواعد البحرية والجوّية . فهم آخذون في تحصين مالطة ولكنها اذا صلحت لأن تكون قاعدة جوّية كبيرة الشأن وقاعدة للغوّاصات فهي لا تصلح ان تكون مثابة للاسطول . ان قربها من صقلية يعرض الاسطول لهجمات الاساطيل الجوّية . كذلك لا تصلح الاسكندرية ولا حيفا قاعدة للاسطول علاوة على كونهما في بلادٍ غير خاضعة للسيادة الانكليزية . ولذلك اتجه النظر الى قبرص ليكون أحد مرافئها قاعدة بحرية ، وليكون نجدها المتوسط قاعدة جوّية ، تعدّل فعل القواعد الايطالية في الدوديكانيز وتحمي انبوب النفط الممتد إلى حيفا ومدخل قناة السويس والسفن الماخرة في شرق البحر المتوسط . اما في البحر الاحمر فالاعتماد على العقبة وعدن وهناك مساعٍ تبذل على ما يقال ، للفوز بقواعد في فرسان او في الشيخ سعيد . وقد اخذت شركة بترول العراق ترخيصاً من الملك ابن سعود باستغلال سواحل بلاد العرب على البحر الاحمر في منطقة عرضها ١٠٠ كيلو متر من الساحل

فلما نشبت الحرب الاهلية الاسبانية، ضمّت مشكلات البحر المتوسط في غربهِ الى مشكلاتهِ في شرقهِ واصبحت انكلترا وفرنسا معرَّضتين لمخاطر جديدة لان هذه الحرب قد تسفر عن رسوخ اقدام ايطاليا والمانيا في جزائر البليار والمغرب الاقصى الاسباني وجزائر كناري . فانكلترا تعلم ان جبل طارق قد ضيّع معظم مكانتهِ الحربية لان المدافع الحديثة تصلهُ من الشط المقابل ، ولانهُ ليس فيهِ بقعة تصلح ان تكون مطاراً حربيًّا . فهي يهمها لذلك ان تكون جزائر البليار وسبتة وطنجه في ايدي دولة محايدة . وفرنسا على الرغم من قاعدتها البحرية في بيزرته واعمال التحصين في المرسى الكبير على القرب من وهران تحسب حساباً للمستقبل . وقد شرعت تخزن مقادير كبيرة من البترول في فرنسا نفسها خشية أن تقطع صلتها بطرابلس قرب بيروت . ووضعت الخطط لنقل الجنود من المغرب الاقصى الفرنسي من رباط والدار البيضاء (كازابلانكا) الى بوردو بدلاً من نقلها في البحر المتوسط الى مرسيليا وطولون إذا اقتضى الامر كذلك مع ان ذلك يضيّع عليهم بضعة ايام في بدء الحرب قد تكون اهم ايامها . واذا رسخت اقدام الالمان في جزائر كناري او في ريو دورو امكنهم ان يصبحوا خطراً يهدّد خطوط المواصلات الفرنسية والبريطانية مع جنوب افريقية وأميركا الجنوبية . نعم ان الجنرال فرانكو صرّح غير مرة وكذلك موسوليني وهتلر ان ليس في النية تغيير الحالة الراهنة بضم أجزاء من أسبانيا لايطاليا او المانيا او كلتيهما . ولكن الضمّ الجغرافي ليس شرطاً أساسيًّا لقيام الحالة التي تخشاها انجلترا وفرنسا اذ ثبت في الحرب الكبرى ان ثغور الدول الصديقة قد تستعمل مثابة ومباءة للغواصات وما يصدق على الثغور قد يصدق على المطارات في المستقبل

الحرية المختنقة

استاذ تاريخ في اميركا يصف اعتناقه الشيوعية ثم انسحابه منها

للاستاذ ستيورت براون

كلما رجعت بفكري الى الماضي ارى اني كنت يوم انتظمت في الحزب الشيوعي شهيد مبدإ صالح . كان قد خصم من راتبي يومذاك ٣٥ ٪ ، وزيدت ساعات التدريس الذي ازاوله . وشر من هذا وذاك اننا استهدفنا لحملة منكرة اثارتها بعض الصحف على الاساتذة . وايقنا ان رئيس جامعتنا كان يشجع التسلط على حريتنا . فتألفت لجنة من الاحرار لمجابهة تلك الحال ، والتقيت في احد اجتماعاتها بزعيم شيوعي ، دعيت بواسطته للخطابة في اجتماعات اتحاد العمال . فاتجهت الى الحزب تدريجاً عن طريق الخطابة حتى انتظمت فيه

فلما انضممت الى تلك الجماعة تبينت لزوم القيام باسداء خدمة الى جميع طبقات الاحرار تحت علم الشيوعيين ، ضد الخطر الفاشستي المخيف ، الذي لو عمّ البلاد لوجد الاساتذة انفسهم مصفّدين في اميركا كما هي الحال في بعض اقطار اوربا . فانتظمت في الجماعة واثقاً بأن الشيوعية تحتضن الحرية الثمينة وترعاها ، والحرية مأثورة عندنا نحن الاميركيين . وقد اقنعني رائدي الشيوعي بأنني صرت رجلاً ، ولست فيما بعد من الحمليّات السجينة

كان في الجماعة يوم دخلتها عضوان وزوجاهما ، وثمانية من العمال ، فنظمونا كفصل طلبة ، يلتحق بفصل اكبر مؤلف من العمال . وقد قال لنا المدير ان الولايات المتحدة تقسم عندهم الى اثني عشر حقلاً ، يخضع كل حقلٍ لمدير خاص وينقسم الحقل الى فروع يرأسها « مدير الإثارة » . وقد اخبرت انهذا المدير مختص باهاجة الاعضاء وإثارتهم . وتلفت حولي فاذا شاب صغير طرّ عارضه يقول « انا مدير الاثارة » فتبينت فيه كاتب محل اثاث في نيويورك السفلى . وهو شاب لم اجد في علمهِ وثقافتهِ ما يحملني على الاعجاب بهِ حين كنت اذهب الى المحل لتوفية اقساطي الشهرية ولكنهُ الآن اصبح المسيطر على تقدمي العقلي

ثم اطلعوني على اسماء الاعضاء الجديدة اذ لا يؤذن لاحد من الاعضاء الذين يحرصون على سلامتهم باستعمال اسمه العادي ولكل عضو رفيق خاص يلوذ بهِ ، وتسلّمت دفتر عضويتي . وفيهِ جداول تبين كم يجب ان يدفع العضو بالقياس الى دخله ، وبحسبها تتدرّج المبالغ من مليمين من افقر عامل ، الى ثلاثة دولارات ونصف — في الاسبوع — على امثالي ، وراتبي السنوي يومذاك ٣٦٠٠ ريال . ويضاف الى المرتب الاسبوعي المرقوم اتاوة للدولي الثالث والمؤتمرات عدا الكتب والمجلات والكراريس والجرائد التي يجب أن يشتريها كل عضو . وعليّ فوق كلّ هذا

ان أدفع مرتب يوم في السنة لجريدة « العامل اليومي » . فكان مجموع ما دفعتهُ للجمعية في ثلاثين شهراً ٩٠٠ دولار. ولما انقضى العام الاول لعضويتي فُرض عليّ التنازل عن مساءيّ للنزهة كل أسبوع لكي اعمل في سبيل الحزب . فاضطررت ان أفصم علاقاتي بجمعيتين لاتحاد المؤرخين. كما اني أرغمت على قطع اشتراكي في ثلاث مجلات ، مع التوقف عن شراء الكتب اللازمة لعملي

كانت اجتماعات الوحدة (unit) تعقد في بيوت الاعضاء ، الاّ حيث ربة البيت ليست من الرفقاء . وفي كل جمعية كنت اشعر بجوٍّ خانق كأن هناك مؤامرة وكأنّ « الفاشستيين كامنون لنا في كل زاوية » . فاذا رفع عضو صوته أسكته اخوانه . واذا رنّ جرس الباب صَمَت الجميع صَمْتَ الموت

مرّ العام ولم تدرِ زوجي بأمري ، وكنت أكذب عليها في تعليل غيابي عنها . ولما أتقنت المسلك كان سروري عظيماً بأنهُ صار في امكاني أن أسهر في البيت مع زوجي مرتين في الاسبوع. ومرّةً عدت من الجمعية الساعة ٣٠ : ٣ صباحاً ، فاذا زوجي ما زالت ساهرةً . فقالت : هل لك ان تخبرني حالك ؟ فقد عيل صبري ، حتى تسرّب اليأس الى فؤادي . فقل لي بربك أعالقٌ أنت بهوى سواي ؟ !

لم يدر في خلدي انها سترتاب يوماً في حبي. فأخبرتها أني دخلت الحزب الشيوعي .وواصلنا الحديث الى الفجر . ولا أقدر أن أصف ما شملني من السرور فيما تلا ذلك ، لأني تحررت من الكذب المتواصل على زوجي . وبعد أسبوع قالت لي : اذا كانت الجماعة تلائمك فهي تلائمني أنا ايضاً . واذا كان العمل ضربة لازب فلنشترك فيه كلانا : وقد قبلها الحزب بشيءٍ من الارتياب في نضوجها السياسي . الآن « مدير الاثارة » وعد ان يملي عليها دروساً ثقافية

وفي احدى الاجتماعات مزحَتْ مزاحاً لطيفاً على عارضي ستالين . فعقب ذلك صمت عميق وعلمت حينئذٍ ان المزاح يجوز في هتلر أو روزفلت ، ولكنهُ لا يباح حتماً في ستالين . وقال المدير : انا في جمعية حربية ، فاذا لم ندفع عن كرامة الاتحاد السوفياتي فنحن خائنون حركة العمال . وفي الليل ، وأنا أظن انها نائمة استخرطت في الضحك فجأةً . ولما سألتها عما أضحكها قالت : أضحكني كون عارضي ستالين جزءاً من حركة العمال

بعد شهر من انتظام زوجي في الحزب تلقينا بياناً ، يكل الينا أمر تقديم تقرير سري عن خطة والدها في معمله الصغير في معاكسته العمال . فانهُ غير منضم الى اتحاد العمال : هل كفّ الموظفون عن النضال ؟ ومن يقصد ان يطرد من معمله ؟ . ذلك ما يلزم ان نتسقطه من حميّ ونحن جلوس الى مائدته نتناول معهُ الطعام

وأتاني المدير يوماً يسألني عشرين دولاراً لصندوق الطوارىء ، لانهُ في أزمة ، ويا لله

ما أكثر أزمات ذلك الصندوق ! . فاعتذرت بأني الآن دفعت خمسين دولاراً لصديق قديم ، عازم على ادخال زوجه في المستشفى ، فانها على وشك الولادة ، ولا يملك نفقاتها . ويالسوء ما ذكرت من بيان ! فقد عبس المدير وتولى وهو يقول : أتدفع لصديقك خمسين دولاراً ، وتمسك عشرين دولاراً عني ؟ . ليس هذا التصرف شيوعيًّا : وقال : لا نقدر ان نعتمد على الطبقة الوسطى في الولاء للشيوعية . قال : أما أنا فاني أخدع ، حتى ، جدّني في مصلحة الثورة

إن أحد اغراض الجمعية جمع المال . فكنا ، في كل اجتماع ، نراجع لائحة اسماء المثرين القادرين على امدادنا بالمال لانفاذ المساعي التي لا تزال في رؤوس زعمائنا . وكنّا نُسأل أن نقيم مادب ونزهات ومهرجانات وسياحات لمصلحة العمال . ونحمل القوم على التبرّع لهذي الاغراض . وعلينا أن نحيي حفلات في بيوتنا ، ونضمن قبول اصحابنا الدعوة لحضورها ، ونقدّم مايدفعونهُ لنا للجمعية . وعلينا فوق سلب أصحابنا من رجال الطبقة الوسطى ، ان نمد الجمعية باعضاء جدد . على أن الحظ لم يسعدنا في ذلك . فكان عدد الاعضاء لما دخلت الوحدة ١٣ فصاروا يوم انسحبت ١٦ فقد ربحنا ٦ وخسرنا ٣

وكانت القوانين تسَنّ بلا انقطاع ، يتخلل املاءها عبارات الاطراء والثناء على ماضي الجمعية . وقد ثقلت على روحي وطأة الجد الظاهري التي بها تعالج الجمعية كل أمر . من ذلك رسالة مملة في المجلد الاول من كتاب (كري) في الشيوعية السوفيانية . وقد تلي على أسماعنا تقارير شتى عن الرفاق ، وأن أحدهم حضر اجتماعاً في نادي سيدات الريببليكان . وقدّم بياناً ضافياً للجمعية عما تلي في ذلك الاجتماع

وكانت تلاوة التقرير الطويل على مستوى واحد من الصوت . علاوة على أن ذلك التقرير كان قد نشر في الصحف قبل ثلاثة أيام . فكنا في دائرة مفرغة من هذا النحو ، نبدأ حيث انتهينا . ومع ما في السياسي العادي من الحذق فهو ليس بشيء مذكور إذا قيس بحذق الزعيم الشيوعي . فالزعماء الشيوعيون « أصلح المثل العليا » . هم مؤمنون ، يسيرون في جوّ من القداسة لا تساهل فيه

إذا اختلف أحد الاعضاء والزعيم أبانوا له خطأهُ واوضحوا « المسلك القانوني » فاذا أصرّ على رأيه ، أوعزوا اليه ان يراجع قطعة من كتاب كارل ماركس وستالين . لا منبر في الارض اكثر اعجاباً بانجيله من الشيوعيين بكتاب كارل ماركس معدّلاً بقلم لينين يتبعهُ ستالين

قد وجّه الزعماء ، في حملتهم الانتخابية الاخيرة ، كل همهم ضد « لاندون » تطبيقاً لخطة مرسومة . فقال أحد الاعضاء إذا كانت الجمعية تبغي انتخاب روزفلت فلماذا لا تصرح بذلك ؟ اليس ذلك خيراً من المداورة ؟ فأجيب بأنهُ عليه أن يصغي الى حكم القاضي . على أنهُ أصرّ على رأيه بأن ينتخب روزفلت

فساد الجمهور الصمت ، حتى خُيّل اليَّ اننا في موسكو . وإن هذا الرجل جاسوس هدّام يقتبل صدور الحكم بهلاكه

وأخيراً قال لهُ الزعيم : رد دفتر عضويتك فلست عضواً في الجماعة بعد الآن

فمسحت العرق عن جبهتي ، وسرت نحو الشباك ، وكانت الشمس تسطع على المدينة الاميركية المحبوبة ، وحينذاك خطر على بالي ، لاول مرة ، إن أطلّق الحزب . ولم نأسف على ذلك انا وزوجي . ولما ابلغت الزعيم عزمي هذا بدت عليهِ ملامح الاضطراب . وسألني ان احضر الاجتماع ، واتلو على مسامع الجمهور ما يدور في خلدي . فأجبتهُ اني اظن انهُ لا يستحسن ان يسمعني جمهور الاعضاء ، فيكفي ان اصرّح بذلك لهُ وحده . واليك ما قلت : —

مسلك مزعج . كبت حرية الفرد . الخداع اللازب ، القاضي عليّ بأن أكون ذا رأيين . يعدمني راحة الفكر . فصم علاقاتي بأصحابي ، اذ لا وقت عند اعضاء الجمعية للصحبة ، ولا لمطالعة الكتب والمجلات والجرائد غير الحزبية ، مما يبث في النفس الجرأة والاقدام . فخمدت جذوة حياتي العقلية ، وثقلت على روحي وطأة التكتم التي بها تعالج الجمعية كل قضية . فلست أرى ان الثورة على الابواب . ومع ذلك فكل اجتماع كان يوهمنا انّـا في « بدرون » بمدريد . وأخيراً لست احتمل التدخل في حريتي الشخصية . كنت اذا دخلت قاعة الانتخاب كنت اشعر اني مستقل برأيي ، الاّ اني كشيوعي ملزم بأن انتخب من قررهُ الحزب بموسكو . هذه هي بعض اسباب انسحابي

وفي أثناء الصمت العميق الذي تلا بياني كان يدور في خلدي كيف لبثت عضواً في الجماعة هذه المدة . وكان يجب ان انسحب منها قبل الآن . وأظن اني كنت اخجل من اعلان اندحاري لذلك لم أنسحب . ولبثت طويلاً اعتقد ان الجماعة ستنظم اعتراضاً فعالاً على أسوإ المظاهر في استغلال العمال . على اني مع مرور الزمن تبينت ان الزعماء يرغبون في الاضراب للاضراب ، لا لتحسين احوال العمال . فان الاضراب تلو الاضراب يفضي الى الثورة . وقد خامرت فؤادي فترة ضم العمال كافةً لغرض واحد ، على اني لما رأيت ان سعي إنما ينتهي بشد ازر الدكتاتورية تحت اسم الدمقراطية ، التي كانت كطعم للمغرورين ، حين ذاك ، قضي على الرجاء الوحيد الذي كنت اعلل به الآمال

لبث صاحبي طويلاً يحدق بالشباك صامتاً . ثم قال لي : هل احضرت دفتر عضويتك ؟ قلت : نعم ودفتر زوجي ايضاً ، افلا تريد ان احضر الاجتماع ؟ قال : كلاّ ، بل ارى الافضل انهاء الامر اليوم . فسلمتهُ الدفترين اشعاراً بالانسحاب

اعتنقت البلشفية لاجل الحرية . ولاجل الحرية هجرتها ***



مركب الغاسلات

للكاتب الفرنسي المعروف جان نقولا بولي

« نقلها عن الفرنسية احمد ابو الخضر منسي »

مصر ما أعظم فضلها

في النهضة الشرقية

للسيدة اديل جريديني حجار

تأثير الغيرة

في الاجسام

لطبيبة اختصاصية

صورة خلقية نادرة

مركب الغاسلات

للكاتب الفرنسي المعروف جان نقولا بويي

« نقلها عن الفرنسية احمد ابو الخضر منسي »

من بين النساء اللاتي يشتغلن في باريس بالاعمال المضنية، تلك الغاسلات المعروفات بغاسلات الجملة. فان يومهن مصروف في غسل الثياب في مراكب قد تراصت على ضفة السين. تراهن دواماً حانيات تحت آصار غسالاتهن، صاعدات هابطات سلالم شديدة الانحدار، مكابدات تقلبات الفصول، متنسمات روائح منتنة تملأ المعاطس عند شواطىء نهر تفضي اليه اقذار مليون من السكان، متعرضات للرطوبة الدائمة المتغلغلة في اثوابهن، الخدرة لاجلادهن وأطرافهن وأجورهن اليومية زهيدة. وجلهن ذوات بعولة وبنين. ومع هذا فقد استطعن اقتطاع دريهمات قلائل منها جعلنها في صندوق توفير يرد عنهن عوادي الدهر وطوارىء الحدثان، ويدرأ عن بعضهن البؤس ويعسهن الضر الالتجاء الى باب آخر او التماس المعونة ايًّا كانت ولهن ايضاً عادة ان ينتخبن كل حول زعيمة يلقبنها بالملكة تتصدر ملاهيهن ومسراتهن وتقضي في خلافاتهن وخصوماتهن. ومن مرقت منهن عن سنة الاخلاق القويمة اعتزلنها ونفوها من مملكتهن نفياً قصيًّا

عند اسفل الرصيف المعروف برصيف البلدة في باريس مركب كبير قد أمهُ عدد عظيم من النساء القاطنات بهذا الحي المزدحم. واشتهرت من بين هذه العاملات البارعات فتاة ناهزت الثالثة والعشرين تدعى بلانش ريمون ذات وجه منطلق، تتبين في قسماته خلوص الطوية وصفاء النية، صناع بادية الحذق، مستتمة الخلق شديدة قوية. وتوفى امها الموت، وأصبحت عضد ابيها الاعمى ونصيرته التي ليس لهُ من دونها ولي ولا نصير. فكانت تضاعف جهدها وتواصل في حرفتها كدها ودأبها لتكفل اباها ونفسها، وكان أبوها السيد ريمون مع فقدانه البصر يشتغل في غياب ابنته بعمل الشباك لصيادي السمك. وبلغ من فرط اجتهاده ان صار يصيب في يومه قراب الفرنك، فرفه ذلك قليلاً من عيشتهما ودفع عنه الم الظن بأنه عالة كله على ابنته. وكانت

بلانش متى اعدت طعام الفطور لابيها المقيم في منزل تجاه السلم المؤدية الى مركب الغاسلات ، هبطت الى مقر عملها وجه النهار ، فاذا اقبل الظهر عادت الى ابيها الضرير تجهز له طعام الغداء ثم ترجع الى عملها حتى يبلغ النهار حده ، فتنقلب الى بيتها الصغير الذي انتشرت في ارجائه النظافة والرفاهة ، فتمضي بأبيها الشيخ تجول معهُ على رصيف البلدة ساعة ، تفاكهه وتسامره وتملأ قلبه سروراً وطرباً ثم تعود به ليتناول العشاء فاذا طعم ونعم رقد هانئاً قرير العين بعناية ابنته وبرها به

***

وانقضت ثلاث سنين على موت امها وكانت بلانش تشعر بسعادة عظيمة بالعناية بأبيها والاجتهاد في مسرته ومرضاته لتنسيه ما استطاعت فقد رفيقة حياته الوفية . وكانت محبتها لابيها بالغة من الشدة والتمكن بحيث لم تجد اية عاطفة أخرى الى فؤادها مدخلاً او سبيلاً . وكان فتيان الصناع في المصانع القريبة يحاولون بغير طائل التحبب اليها واكتساب رضاها فقد كانت عنهن بأبيها ومؤتنف همومها وأعمالها في شغل

الاَّ انها رأت من بين عمال أحد مصانع الاقمشة فتىً يدعى فيكتور ، وسيماً مديد القامة ، شديد الأسر ، تعرف من سيماه رضى النفس وطيب الاعراق . وكان بالفتاة الغاسلة حفيًّا لا يخلط حديثه معها بما يُشعر بمجاوزته الاحتشام ولا يلقاها الاَّ بتحية الود الخالص والاحترام وكان يكثر من سؤاله عن أبيها فما كانت تجد الاَّ ان تكون بسؤاله حفية شاكرة . وإن يلقها صاعدة سلم المركب يؤدها حمل وحائها الطافح بغسلها ، يقف من خلفها فيخفف بذراع شديدة وقرها ، ثم يصحبها الى باب دار عملها فاذا بلغته زايلها بتحية الادب البارع

ولم تقدر بلانش ان تمكث متجافية بازاء هذا الود المصفى المتكرر ، فلمح فكتور منها انها من دون خطابها جميعاً قد فاز باعجابها وحظي عندها . وقد جرأه ذلك الاعتراف المضمر فضاعف من توقيره لها والطافها ، والتمس منها الايضاح والجلاء فألفاه أغرى ما يكون وأيأس ما يكون

— فقد قالت لهُ مخلصة ببساطة : يا فكتور ما في استطاعتي اخفاء أمري عنك . فلتعلمن انهُ لا شيء يستطيع فصلي من أبي الذي طعن في السن وفقد البصر . فما لهُ أحد في الدنيا سواي ليخفف ما به من ضر وسوء حال

— فقال فكتور اذاً اني لعون لك في هذا الذي تبغين . لقد فقدتُ أبي وأنا طفل لعوب وكادت كلمة أب ، وما أحلاها منطقاً ، لا تخرج من فمي . وهذه سعادة أخرى أنا مدين لك بها ، أجل يا بلانش ، انك اذ تجعليني بعلاً لك ، تصيرينني للشيخ ريمون ولداً باراً به وحفيًّا

— قالت ولكني اتخذ بذلك لنفسي ربًّا ومسيطراً ! . . . وما ألبث ان يعقب سعادتي بصيرورني زوجة لك سعادة أخرى بصيرورتي أمًّا . وهناك لا يجد أبي في قلبي الاَّ المكان

الثالث . ولن يصيب مني الا جانباً ضئيلاً من هذه المحبة التي هي اليوم كلها له . وسيفطن لذلك ويأسى منه ثم لا يشكو ولا ينبس فاذا هو من أشقى العالمين . . . كلا . كلا . ما عاش أبي فاني مصروفة عن الزواج . فلا تحاول اغرائي بصور من السعادة تبهر عيني كما تبهر عينك ! فدع بلانش تنهض بالعبء الذي ألقاه على عاتقها القدر

وكان مما أمعن في قهر نفسها المتسامية ، ومغالبة قلبها الكريم ، وكأنه زحزحها عن عزمها الشديد ما ذاع من أمر حب فكتور لها بين الغاسلات . فقد أكبرن ثباتها وتعجبن من عنادها أمام رجاء ذلك الفتى الكريم وتوسلاته . وانه لها لنعم القرين . فكانت كل منهن لسانه وبيانه لدى بلانش . وما كانت تقدر ان تطأ أرض الشاطىء حتى ينحزن الى جانب فكتور ويمالئنه عليها ويحامين عنه . فلما ألقت نفسها مضيقاً عليها محاطاً بها من كل صوب ، ولم تجد فسحة عن سماع صوت فؤادها ، والميل مع هواها ، قالت انه ان ساهلت المقادير باحرازها دار للغسيل ، وحينئذٍ يتاح لها رعاية أبيها ومتابعة العناية به ، فما يمنعها مانع من الزواج بفكتور . بيد ان هذه الدار انما تُقوَّم بحسب السعر الحاضر بخمسة الى ستة آلاف فرنك . ولكن كيف الحصول على هذا المبلغ الجسيم ، وكيف الوصول الى ادخاره من أجر كدها الزهيد ؟ على ان فكتور ظفر منها بوعد وواثقته بموثق ، ولم يداخله يأس من بلوغ مناه . وكان يؤجر خمسة فرنكات في اليوم في مصنعه . وكان قد ادخر بعض مال . وكان التاجر الذي قضى عنده عشر سنين ، يبدي له كثيراً من الرعاية والتقدير . ولعله ان يتطول عليه فيقرضه جانباً من هذا المبلغ . ثم ان جميع غاسلات المركب عرضن بذل المبلغ اللازم لزواج الفتيين من مدخر مالهن السنوي وقدره تسعة آلاف فرنك ، ولكن بلانش ، وان لم تكتم تأثرها الشديد ، لمروءة زميلاتها ، فقد أبت إلا الثبات على صريمتها ، وجددت لفكتور ميثاقها أن تتزوج به حين يستطيعان باجتماع مالهما ابتياع دار للغسيل . ولكنها لم تلبث أن منيت بمحنة جديدة كادت تهد أركان عزيمتها

ذلك أن اباها الذي ناجز الستين كان عاملاً قديماً في الميناء المعروفة بميناء القراميد . وكان قد قاسى طويلاً برد الشتاء القارس ورطوبة شاطىء النهر ، فأصابه من ذلك رثية ونقرس اصاراه كسيحاً عاجز اليدين ، عديم الحركة . فكان لا بد من سربلته بملابسه ، من رأسه الى أخمص قدمه ، والقامه طعامه كما يلقم الطفل الضعيف طعامه . وكان يلزم فراشه الى الساعة التاسعة إذ تعود ابنته من المركب لتنهضه وتبوأه مقعده العتيق وتأتي له بفطوره الخفيف . وكانت هي أيضاً تقضم على عجل كسرة من الخبز ثم ترد كل شيء الى موضعه وتعود الى غسيلها . فاذا دقت الساعة الثانية أرقلت الى دارها تجهز طعام الغداء لأبيها حتى إذا طعم وهنىء ، تعود لتتم نهارها في عملها . فاذا قبضت أجرها عادت تجلس الى ابيها تسليه وتخفف اساه واكداره

واغتنمت بلانش يوماً ساعة الراحة الصباحية فأتت مثواها حسب عادتها،فألفت أباها مستوياً على مقعده قد أصلح فراشه ونسق النضد في حجرته ، فاستخبرت عن تلك اليد المؤازرة التي باغتتها هذه المباغتة المستحبة ، فأجابها الشيخ مبتسماً بأن ذلك سر هو به حفيظ . ولم تلبث الفتاة أن استكشفت انما هو فكتور الذي استرضى رئيس المصنع أن يعفيه من العمل في الساعة الثامنة بدل التاسعة ، فأذن له بذلك . فكان يأتي بنفسه الى الشيخ الضرير فينهضهُ ويبذل لهُ كابر الابناء كل ضروب العناية . فأثر صنيعه ذاك في بلانش أبلغ اثر . وما فعل الآن اهاج هواها بهِ الذي كانت تقمعهُ في نفسها منذ حين . ورأت مرة أخرى في عودتها في الساعة نفسها من النهار أن أباها لم يكن خارج فراشه فقط ، بل كان مستوياً في حمام كبريتي معروف بحمام باريج جهزه فكتور بنفسه بحسب ارشاد طبيب نطاسي كان قد استصحبهُ لفحص المريض . فلم تملك بلانش عندما رأت ذلك أن تدفع سيل الدموع من مآقيها ، وتناولت يد خطيبها فجعلتها على قلبها وشدت عليها وهتفت تقول :

— إني ليعجزني ان أفي لك فضلك ومننك عليّ ما حييت

— قال ان هي الآ كلمة تخرج من فيك يا بلانش فتوفي هذا الدين

فتورد خدا الغاسلة من خجل واسبلت جفنها وهي ترجو الافلات بصمتها ، من هذه الورطة الجديدة . واذا الشيخ ريمون نفسه يضم رجاءه الى رجاء فكتور مبدياً لابنته رغبته ان يراها زوجة هذا الغلام الكريم . وارحمتاه لها ! كم كابدت وهي هي ذات الشعور المضطرم في هذا النضال المضاعف ! أن تعصي أباها وخطيبها ، وان تغالب كلي سلطانيْ الابوة والحب المتولد عن شكر المنعم : وهذا لذاك عدلٌ وقرين ! ... ولكن كانت كلمة الحب البنوي هي العليا. فحشدت ما بين يديها من جلد وعزم شديد ، وقالت إن نعمة الزواج بأفضل من عرفت من الرجال لا يخليها البتة من واجبها الذي فرضتهُ عليها الطبيعة ، وأنها كلما ازداد أبوها وهناً ، كانت حاجتهُ إلى ابنته أشد وأقوى

فلم يكن من اقرارها على ما تريد بد ، وكانت حالة المريض تتقدم ، ولكن مضاعفة العناية بأبيها اعجزها ان تتم عملها اليومي في المركب ،فاستمنحت صاحبة المشغل حق العمل بالقطعة . وكان هذا يعود عليها بمثل ما كان يعود بهِ العمل المعتاد

***

وجاءت بلانش ذات صباح الى المركب متأخرة على خلاف عادتها ، اذ قضى أبوها ليله متوجعاً ، فاقبلت على عملها بجهد شديد لتستعيض ما فقدتهُ من وقتها . وأزفت الساعة المعلومة

فغادرت من فورها ما فضل من غسيلها وتركتهُ في رعاية جارتيها . ومضت على عجل الى ابيها لتصنع له طعامه المعتاد ، وعادت بعد حين الى المركب ، فأخذ منها العجب كل مأخذ إذ الفت غسالتها التي لم تفرغ منها بالامس الا عند اسدال الليل استاره ، قد انتهت اليوم قبل ذلك بوقت طويل ، على انها كانت قد قضت لدى ابيها وقتاً كثيراً ، وجاوز اجرها في ذلك اليوم ثلاث الفرنكات . فلما كان من الغد تغيبت ساعات كالامس فاصابت نفس اجرها الذي اصابتهُ بالامس، فما شكت ان يداً محسنة تشتغل من اجلها اذ تمضي لخدمة ابيها . فتربصت خلف سور رصيف البلدة ورمت بنظرها شطر المكان الذي غادرته خالياً تستطلع ، فالفتهُ عامراً باحدى اترابها . وكانت التي حلت مكانها قد اتفقت مع سائر الغاسلات ان تأخذ من وقت راحتها المعتادة ما يكفي من الوقت للحلول محل بلانش في غسيلها ، ليعود الوقت الذي تفرّغه لخدمة ابيها بالفائدة عليها . واتفقنَ ان يداولنَ ذلك بينهنّ ، لحرصهنّ جميعاً على اظهار دلائل مودتهنّ واكبارهنّ لمن هي ابر البنات بالآباء فوقع ذلك منها موقعاً وتجاهلتهُ . ولم يلبث ان تم برؤه بتحسن حالها وتوفر وسائل العناية به والمعالجة . ولكم طربت بذلك وقرت بهِ عيناً وكم طار فؤادها جذلاً اذ خرجت بابيها وسط زميلاتها فنبأتهُ بعجيب اخلاصهنّ وكيف تطوّلنَ عليها وافضلنَ . وكان الشيخ قد رجع اليهِ شبابه فجعل يقبل هذه ويشد على كف اخرى ويطرب بما يصل مسامعهُ من عبارات التهانيء التي كانت بلانش تتلقاها من كل من حضر من الغاسلات وكان فكتور قد اندس في زمرتهنّ فدنا منها متحفياً متحبباً وقال لها هامساً :

— أفأكون اذاً وحدي الذي تغادرينه شقيًّا مخيباً ؟

وارادت بلانش ان تجيب ، ولكن كان اضطرابها بالغاً شديداً . فراحت ترتمي في احضان ابيها لتخفي ما يطوي فؤادها من عراك ونضال

***

واقبل يوم انتخاب الغاسلات لمليكتهنّ فأجمعنَ على انتخاب بلانش اذ احرزت اعجابهنّ واكبارهنّ ، فتوجهنا في هذا العيد الحافل في قاب المركب وقد سامت قلوعه العظام السماء وزانهُ زخرف من زهور من كل لون بهيج . وجاء بها ابوها الى الحفل مستبشراً أرناً فتلقينها بالهتاف وأجمعنَ على ان يكون لابيها شرف وضع اكاليل الورد على رأسها . واضطربت يداه من فرط السرور لا من فرط الوهن . وقال ان هذا اليوم لأحب ايامه اليه ، وبعد ان دعا لابنتهِ بالسعادة والرفاهية ، اخذ يساقط على وجهها ارق القبل واحلى الدموع . واقبلت الغاسلات بأسرهنّ

يبدين لملكتهنّ الجديدة آيات الاجلال وتحيات الاكبار ودنا منها فكتور كواحد من رعيتها المخلصين الامناء وقال لها ايضاً :

— أفأكون اذاً وحدي الذي تغادرينهُ شقيًّا مخيباً ؟

***

نخرقت هذه الكلمات التي فاه بها بلهجة مؤثرة مسامع كثير من الغاسلات ، ولاسيما صاحبة دار الغسيل فما كان منها الا ان قالت انها تنزل عن مشغلها يوم يتاح لبلانش الحصول على خمسة آلاف فرنك

— فقال فكتور اني الآن املك ربع هذا المبلغ ولأقترضنَ الباقي من صاحب المصنع الذي اعمل فيه

— فقالت بلانش وهي لا تملك كتمان اضطرابها ان هذا دين يؤدنا حمله ، وانّى لنا وفاؤه ولو بعد حين

— فقال شيخ كان قد اختلط في المشاهدين ذو مهابة ووقار ، بجائزة الفضيلة التي منحك إياها المجمع اللغوي الفرنسي

فاستطلعوه طلع ذلك فذكر لهم ان المجمع يوزع كل عام جائزة للفضيلة مقدارها ستة آلاف فرنك لمؤسسها مونتيون العظيم تمنح لمن يمتاز من اهل باريس بمأثرة او صنيع جميل عجيب . وذكر ان عمدة الدائرة الثامنة تلبية لطلب غاسلات البلدة قد ذكر بلانش كمثل عجيب في بر الابناء والاحسان بالوالدين، فاختارها جماعة العلماء الذين هو واحد منهم وانتدبوه ليبشر الفتاة البارة بما اصابت من مثوبة هي بها حقيقة

***

وقد احدثت هذه البشرى في اهل السفينة ما كان يتوقعهُ ذلك البشير الكريم من اثر بليغ فارتفع في اركان المركب هتاف الاستبشار . وأحاط الغاسلات بأصيلتهنّ بعضو المجمع الجليل محتفيات مكرمات ، يؤيدنَ بسرورهنّ وشكرهنّ ذلك الاختيار الذي اصاب رفيقتهنّ العزيزة التي ملكوها من قبل عليهنّ ، أما بلانش التي زانها تواضع وبساطة فقد خطت ، وهي لا تزال في ريب مما حظيت بهِ من تشريف واكبار ، متوكئة من جانب على ذراع أبيها . ومن الآخر على ذراع فكتور ، تقبض من المندوب الجليل الجائزة التي فيها بلوغ أمانيها وادراك ما ربها

معهد ما اعظم فضله

على النهضة الشرقية[1]

المعروف اننا نحتفل اليوم في هذا المعهد الكريم بيوبيله الماسي اي انهُ قد انقضى خمسة وسبعون عاماً على تأسيسه . والحقيقة انهُ قد انقضى على تأسيسه مئة سنة وسنتان وان كنتم في شك مما اقول فيها كم التاريخ

لما دعتني لجنة اليوبيل الكريمة لاقول كلمة في تاريخ المدرسة رأيت انهُ لا بدّ لي ان اعود الى دفاتر « امي » القديمة فطلبتها من ادارة المدرسة وشدّ ما كانت دهشتي لما وجدت بعد درس السجلات ان تاريخ هذا المعهد يعود الى سنة الف وثمان مائة وخمس وثلاثين لما فتحت عقيلة المرحوم عالي سمث اول مدرسة للبنات في سوريا بل قل في المملكة العثمانية وكانت المدرسة يومية فقط . وفي السنة التالية اي سنة ١٨٣٦ كانت المدرسة تضمّ اربعين تلميذة بينهنّ راحيل عطا التي اقترنت فيما بعد بالعلامة المرحوم بطرس البستاني

مرّت سنوات على المدرسة وهي تنمو وتكبر وتتقدم حتى جاءت سنة ١٨٦١ لما شعر المرسلون الاميركيون الكرام الذين لهم الفضل الاكبر في نشر العلم الصحيح في بلادنا هذه بحاجة البلاد الماسة الى مدرسة داخلية للبنات فاستأجروا في السنة التالية اي سنة الف وثماعئة واثنين وستين بيتاً جهزوه بالمعدات الضرورية وعملوه مدرسة داخلية وبيتاً لسكن مدير المدرسة ومديرتها المرحومين مخاييل ولولو عرمان

كان عدد البنات الداخليات في الأشهر الأولى من السنة الاولى ستًّا فقط لكن ما أتى ختام السنة الدراسية حتى كان العدد خمس عشرة بنتاً . وزاد في السنة التالية الى العشرين فأصبح مع هذه الزيادة المطردة من الضروري انشاء بناء أصلح للمدرسة فقرر المرسلون الاميركيون سنة ١٨٦٤ أن يبنوا مدرسة تصلح لان تكون داخلية ويومية في آن وآخر ويعود الفضل

---

(١) طرف فاخرة من تاريخ هذه المدرسة كما جاءت في خطاب السيدة اديل جريديني حجار في الاحتفال بيوبيل المدرسة الماسي

الاكبر في تحقيق هذه الامنية الى المرحوم الدكتور هنري جسب الذي كان صديق المدرسة الحميم من يوم أن تصوَّرت في مخيلته الى ساعة وفاته ، هو الذي طاف البلاد الاميركية يجمع التبرعات بهمة لا تعرف الملل ، ولما تجمع لديه المبلغ الكافي من المال عاد الى بلادنا فوضع تصميم البناء وأشرف على العمل حتى النهاية فكان دولاب الحركة هنا وهناك

قام مكان هذا المعهد أولاً ببيت للمرسل الاميركي المرحوم اسحق بيرد . ولما نقلت المطبعة الاميركية سنة ١٨٣٤ من مالطة الى بيروت حولوا ذلك البيت الى مطبعة فكان الدور الاول منهُ مطبعة وكنيسة وفي الدور الثاني ترجم الكتاب المقدس الى اللغة العربية

ولما قرَّر المرسلون الاميركيون بناء هذا المعهد أُخلت المطبعة البناية ، وفي تشرين الاول سنة ١٨٦٥ بوشر بالعمل فرمم البيت القديم وزيد عليهِ وجهز بكل المعدات الحديثة اللازمة لمعهد كهذا وجيء بكثير من المواد الاولية المستعملة في البناء من أميركا وأوربا رأساً فجيء بالخشب مثلاً من مقاطعة ماين في الولايات المتحدة وصنعت النوافذ والابواب في لولو ما ستشوستس بأشراف الدكتور هملن وجيء بالقرميد من مرسيليا والبلاط بعضهُ من ايطاليا وبعضهُ من لبنان وكانت بناؤه نحو عشرة آلاف ريال اميركي

وفي خريف سنة ١٨٦٦ فتحت المدرسة الجديدة — أي هذا المعهد كما هو قائم أمامكم اليوم — أبوابها لقبول الطالبات فمن هذه الناحية فقط اي منذ ابتداء المدرسة الداخلية سنة ١٨٦٢ الى يومنا الحاضر نقول اننا نحتفل اليوم باليوبيل الماسي لمدرسة البنات الاميركية في بيروت والحقيقة يجب ان تكون اننا نحتفل بيوبيلها المئوي فمن سنة ١٨٣٥ الى سنة ١٩٣٧ مائة سنة وسنتان

***

اسندت ادارة المدرسة الداخلية أوّلاً الى المرحومين مخايل ولولو عرمان وسنة ١٨٦٨ تسلمت ادارة المدرسة المهذبة الكبيرة المرحومة اليزا افرت التي هذبت وعلمت والفت وثابرت هي ورفيقاتها من اجنبيّات ووطنيات طيلة ثمانية وعشرين عاماً الى أن اوصلت مدرسة البنات الاميركية الى مستوى المدارس العالمية العالية . وكان للعلاّمة المرحوم يعقوب صرُّوف الذي عمل جنباً الى جنب مع مس افرت وللسيدة فرحة حدّاد فضل كبير جدًّا على تهذيب فتاة ذلك العصر وسيدة المستقبل

تعاقب مديرات ومهذبات أميركيات ووطنيات بعد ذلك لهنّ جميعاً فضل كبير على هذا المعهد العزيز لا بل على بلادنا المحبوبة اخصّ منهنّ بالذكر المرحومة اميليا طمسن التي وقفت الشطر الاكبر من حياتها الطويلة لخدمة بنات ونساء سوريا

ونذكر بالتقدير العظيم ايضاً السيدة الس بارير رفيقة مس افرت ومس طمسن وهي لا تقل عنهما

بشيء من حيث محبتها لبنات بلادنا ونسائها وقد خدمتهن بكل ما أوتيت من حكمة وعلم ودراية

والآنسة راحيل طولز المقيمة الآن في اميركا وما اقعدها عن خدمة بلادنا الا المرض فهي لا تزال تحن الى لبنان وأهله

وأنت يا مس هورن يا من خدمت وطنك الثاني هذا باخلاص ما بعده اخلاص طيلة ست وثلاثين سنة يا عنوان العمل والجدّ والاجتهاد يا من لم تميزي يوماً بين بني قومك وبني قومي يا عنوان المروءة والتضحية والخدمة امامك نحني رؤوسنا خاشعين مقرين بفضلك العظيم علينا وعلى بلادنا — ثقي اننا سنحفظ لك في قلوبنا اجمل ذكرى وأعظم تقدير

تخرج الى الآن من هذا المعهد الكريم اربعمائة وسبعون شابة نقول بحق انهن كنّ ممهدات سبل العلم الصحيح والادب القويم ولا نغالي ان قلنا انهن كنّ من اركان نهضة الشرق الفكرية والعلمية وحيث تجدون اليوم في الشرق العربي امة ناهضة حرة تعرف ما لها وما عليها ثقوا ان وراء هذه النهضة المباركة تأثير روح وطنية صادقة مقدامة هي روح نفثتهُ خريجات هذه المدرسة المحبوبة حيثما وجدنَ ففي ربوع سورية ولبنان وفلسطين والعراق ومصر والسودان تغلغل تأثيرهنّ الصحيح

فمن مهذبة توحي لعقول تلامذتها آيات حب الوطن الصحيح وتنشئهم على تفهم معنى الحرية الحقيقية — اي ان الحرية هي القيام بالواجب لا عمل ما نريد — الى شريكة حياة تشق لزوجها طريق الخدمة الشريفة النزيهة الى مجاهدة غيورة في سبيل كل عمل شريف

اول مدرسة « خرّجت فتيات » وطنيات حاملات شهادة علمية عالية احترفنَ شتى المهن هي المدرسة الاميركية في بيروت

فاول طبيبة « وطنية » في الشرق العربي الدكتور انيسة صيبعة هي خريجة هذا المعهد التي اضطرت الى مغادرة بلادها ووطنها لان الحكومة العثمانية لم تشأ ان تمنحها حق ممارسة مهنتها الشريفة في بلدتها طرابلس وهي الى اليوم تخدم الانسانية بعلمها وعملها في مصر

وأول ممرضة ومولدة قانونية حائزة على شهادة رسمية من انكلترا السيدة هيلانة بارودي هي احدى خريجات هذا المعهد الكريم

وأول مفتشة عينتها وزارة المعارف لمدارس البنات في القطر المصري هي السيدة سعدى سابا خريجي هذا المعهد

وأول من اشتغل في الصحافة استير مويال ولبيبة ماضي هاشم خريجتا هذا المعهد ايضاً

وان ننسى فلا ننسى أول من ساعد في وضع الحجر الاساسي لكلية البنات الاميركية في القاهرة السيدة ميليا بدر خريجة هذا المعهد وهي الى اليوم ركن من أركانها

واول آنسة نالت درجة دكتور في الفلسفة والعلوم في سوريا ولبنان الآنسة نجلا ابو عز الدين هي ايضاً خريجة هذا المعهد

وأول مهذبة ذهبت الى العراق بطلب من حكومته هي الآنسة رضى جريديني حفيدة وخريجة هذا المعهد وقد عينتها وزارة المعارف فيما بعد أول مفتشة لعموم مدارس البنات في العراق

قد يعتقد البعض من سكان بيروت ان مدرسة البنات الاميركية امحت من الوجود يعتقد هذا لا لسبب إلاّ لان هذه المدرسة تعمل وتجاهد بلا اعلان ولا ضوضاء بينما هي تنتمي الى شعب عرف بين شعوب الارض قاطبة باتقانه فن الاعلان الجذاب وهل من برهان على صحة قولي اقطع من الحقيقة التي سأكشفها لكم — ان هذا المعهد الذي انقضى عليهِ مائة سنة يخدم بلادنا المحبوبة لا بل الشرق الادنى كله — هذا المعهد الشيخ بالقياس الى سني حياته — الشاب بجهوده وعزيمته يثابر على العمل المجيدالذي عرف بهِ من أول تأسيسه، يثابر عليهِ رغم كل الصعوبات ويقوم بنفقات نفسه لا لجنة مالية تسنده على الاطلاق أميركية كانت أم وطنية وقد صار لهُ مستقلاً هذا الاستقلال المادي ما يزيد على العشرين سنة . أفلا يحق لنا تجاه هذه الحقيقة ان ندعوه وطنيـًا او قولوا ان ندعمهُ وننظر اليهِ كما ينظر الى كل معهد وطني

***

اما غاية هذه المدرسة فقد كانت ولا تزال ان تؤهل تلميذاتها لخدمة أوطانهنّ ومحيطهنّ عن طريق العلم والادراك الصحيحين، غاية وأن تنوعت بتنوع الافراد والازمنة والاقطار لا تتنوع بجوهرها وهي لاتسعى الى صبغ افكار تلميذاتها بالصبغة الاميركية بل الى ان تجعل من كل تلميذة فرداً مستقلاً متعمقاً بتفكيره وتحليله للامور فيصبح في مستطاعها ان تكيف ذاتها بحسب الظروف والاحوال غير ناسية التمسك بالمبدأ القويم في وسط هذا التكيف . ومن غايتها ايضاً اعداد تلميذاتها لدخول كلية البنات الاميركية إذا شاءت التلميذات متابعة الدرس العالي وما هذه الكلية الآ بنت المدرسة نشأت عن رغبة المحيط واحتياجهِ اليها فكانت جزءًا من هذا المعهد اولاً ثم اصبحت مؤسسة منفصلة

وهي أي مدرسة البنات الاميركية تسعى الى تحقيق غايتها بأحدث الطرق العلمية وتعنى اول كل شيء بان تدرس اللغة العربية لكل تلميذة بحيث تستطيع إتقانها واستعمالها في محيط عربي وكذلك تعنى كثيراً بتدريس اللغة الفرنسية ومثلها اللغة الانكليزية غير ناسية اهمية ما للرياضة البدنية من الشأن وقد اسندت تعليمها لاستاذة اختصت بهذا الفن في جامعة كولومبيا والمدرسة تدرب تلميذاتها على الاعمال المنزلية اليومية وهي ترمي الى ان تجعل اللواتي ينلن شهادة المدرسة يتهيأن لامتحان البريفه اللبنانية في القريب العاجل . حقق الله آمالها

تأثير الغيرة في الاجسام

نشرت صحيفة انكليزية بحثاً مفيداً لطبيبة اختصاصية في هذا الموضوع نلخصهُ فيما يلي : —

ما هي الغيرة : انها غريزة في الانسان وجزء من طبيعة نفسه من أقدم الازمنة والعصور . من العهد الذي كان يتحارب فيهِ اجدادنا باسلحة من الحجارة . كانت الغيرة اولاً نزاعاً على التفوق والبطولة والسلطة شعر بها الانسان لأول مرة عندما وجد نفسه مغلوباً على امره وإن الحيوان اشد منهُ قوة وبطشاً ثم اصبحت الغيرة مظهراً من مظاهر الرآسة والتفوق قد تدعو الى كثير من الفضائل كالشجاعة والنخوة وغيرها . ولكن للغيرة في وقتنا الحاضر معنى آخر ودواعي اخرى وعندما تشعرين بالغيرة تشعرين باضطراب في كل شيء والرجل الغيور قليل الثقة بمن يحب تحجب عنهُ الغيرة محاسن من يحب ويصبح حملها ثقيل الوطأة على عاتقهِ

الغيرة في نظري تقتل الحب وليست مظهراً من مظاهر وجوده ونموه وتقضي على السعادة وهي تقتلها وتقضي عليها ببطء لا يدركه الانسان وفي الوقت نفسه تصيب الجسم بكثير من المتاعب والامراض . فعندما تكونين غيورة يتأثر نظام عيشتك ويختل توازن اعصابك فيستعصي عليك النوم ولا تؤدي اعضاء الهضم وظائفها في حالتها الطبيعية . والهياج والشجار وهما من اول نتائج الغيرة يزيدان في سرعة الدورة الدموية ويرهقان القلب بالعمل ويجهدانه وتظهر آثار ذلك في جلد الفتاة اذ يحتقن الدم ولا يسير في مجراه الطبيعي وتظهر في الجلد بقع خضر اللون باهتة

اعرف زوجين كانا من خير من عرفت من الناس. كانت حياتهما سعيدة حتى بدأت الغيرة تدب في قلب الزوج من اتفه الاشياء وكأنما اراد ان يقيم سوراً حول زوجته يحول بينها وبين عيون الناس بل ان يكون صاحب السلطان على اتجاه افكارها . واشتدت به الغيرة حتى اصبحت حياتهما غير محتملة وكانت نتيجة ذلك ان زال حبها لهُ واصبحت تنقم عليه ثم ساءت صحتها واعتزمت ان تعيش بعيدة عنه لتسترد بعض ما فقدته من عافية وصحة وتم لها ما ارادت واصبح الزوج يعض بنان الندم اذ سمح للغيرة ان تتمكن منه حتى تحطم حياته المنزلية وتسلبهُ حب زوجته

وأعرف إمرأة بلغت بها الغيرة على زوجها مبلغاً كان يحملها على ان تحاسبه على كل ما يفعل فاذا رأت منهُ اعراضاً انفجرت باكية واخذت تكيل له اللوم والعتاب فاصيبت بصداع وكانت تتهمهُ دائماً بانهُ السبب فيهِ حتى تضايق زوجها وهددها بالفراق . هذه المرأة حمقاء فانها تحاول ان تجذب زوجها اليها ولكنها تجهل كيف تجذبهُ فتقصيه وهي تريد ان تتحكم في ارادته فاذا استعصى عليها ذلك لجأت الى البكاء والعويل

إذا احسستِ بالغيرة فاذكري انها تنتهي دائماً بالخيبة وهي كفيلة بان تفقدك ما تملكين من امر زوجك . واعتقد ان التغلب على الغيرة امر صعب ولكنها كبقية الامراض لا يستعصى شفاؤها على اللائي يملكنَ عزيمة قوية ولا يفقدنَ شعورهنَّ وحكمتهنَّ بفعل جنون العاطفة



فيتامين C في الليمون

يفيد في علاج البيوريا

البيوريا (نجيج : شرف) من شر الادواء التي يصاب بها الفم اذ تتقيح اللثة وتتخلخل الاسنان . ولكن البحث الحديث في مدرسة هارفرد لطب الاسنان يشير الى ان هناك صلة بين البيوريا والاسكربوط وان نقص فيتامين C من الغذاء قد يكون سبباً مباشراً او غير مباشر للبيوريا كما ان نقصه سبب للاسكربوط

ان هذه المباحث لم تبلغ بعد تمامها من الناحية العلمية ولكن الرأي على أن طبيب الاسنان يستطيع ان يصف للمصابين بالبيوريا غذاء يتضمن فيتامين C من دون تعريضهم لاي خطر صحي

وقد أجرى علماء هارفرد تجاربهم في هذا الموضوع على الخنازير الهندية اولاً وجرت التجارب على القواعد المألوفة في مثل هذه الاحوال فاخذت طائفة من الخنازير الهندية وغذيت بغذاء يختلف فيه مقدار فيتامين C ثم فحصت فحصاً دقيقاً لمعرفة درجة اصابتها بالنجيج (البيوريا) وفي تشخيص البيوريا اعتمدوا على اشعة اكس والبحث المجهري (المكرسكوبي) فثبت لهم ان الحالة التي اصيبت بها هذه الخنازير من جراء تغذيتها بغذاء ليس فيه المقدار الكافي من هذا الفيتامين هي نجيج (بيوريا) لاريب فيه

ثم درست حالات ٤٨ رجلاً وامرأة بقصد معرفة الصلة بين درجة الاصابة بالنجيج ومقدار فيتامين (C) في دمهم فظهر في ثلاثة وعشرين منهم ان مقدار هذا الفيتامين في دمهم قليل جداً وتقترن قلته باعراض ظاهرة للاصابة بالداء . وظهر في عشرة آخرين ان مقدار هذا الفيتامين أكثر قليلاً واعراض الداء اقل قليلاً . اما الباقون وهم خمسة عشر رجلاً وامرأة فكان مقدار الفيتامين C في دمهم سوياً ولم تبد عليهم اعراض أية اصابة بالنجيج

***

وهذه التجارب التي جربت بالناس ليست حاسمة ولكن نتائجها تبعث على الرضا بوجه عام لا سيما من حيث علاقة نقص الفيتامين C بالاصابة الذريعة في اللثة والاسنان

وما يهم القارىء من هذا البحث الآن ان تناول فيتامين C من مصادره لا يضر الصحة ولا يعرضها لخطر ما كما قد يفعل تناول فيتامين D ثم ان هذا الفيتامين اي C يكثر في اثمار الموالح كالليمون ويباع كذلك في اقراص كاقراص الاسبيرين والافضل الاعتماد على مشورة طبيب قبل تناول الاقراص

لغة النحل وحواسها العجيبة

رقص النحلة وسيلة من وسائل المخاطبة

الاستاذ فون فرتش أحد أساتذة جامعة مونيخ نحال عالمي . فقد أثبت أولاً حقائق تتعلق بحواس النحل كان الرأي مختلفاً فيها

كان هناك فريق من العلماء يذهب الى ان النحل لايعرف الالوان المختلفة فاثبت فون فرتش بالتجربة انهُ يميز البرتقالي والاصفر والاخضر والبنفسجي ولكنهُ لايميز اللون الاحمر . وعلاوة على ذلك يميز الاشعة التي فوق البنفسجي وهي الاشعة التي يعجز الانسان عن رؤيتها ولا يتبينها الاَّ باللوح الفوتوغرافي

ثم أثبت ان حس الشم فيهِ دقيق جدًّا وبهِ يميز انواع الزهر بعضها عن بعض

ثم ان حس الذوق فيهِ قوي فيميز الحلو عن المر عن الحامض عن المالح ولكن مانحسبهُ حلواً قد لايكون كذلك في نظره فالسكرين والدولسين وهما من انواع السكر المركب لاطعم لها في ذوقه

وبعدما اثبت كل ما تقدم بالتجربة عكف على دراسة لغة النحل . والذي حمله على ذلك التجربة الآتية : وضع قليلاً من الحلوى على لوح ووضع اللوح على مائدة في الهواء الطلق . وجعل يراقبهُ حتى وصلت اليهِ نحلة وعرفت ما عليهِ فلم ينقض وقت طويل حتى كثر النحل على اللوح وجميعه آت من القفير الذي جاءت منهُ النحلة الاولى . فقال في نفسهِ : كيف استطاعت النحلة الاولى ان تنبيء سائر النحل في القفير بما اكتشفت

فعمد الاستاذ فون فرتش الى رقم النحل في قفير ما كل نحلة رقماً خاصًّا . ثم جعل يراقب ما يقع . فاكتشف ان النحلة التي تجد اللوح الذي عليهِ الغذاء اولاً تأخذ منهُ قدرتها وتعود الى القفير فتفرغ ما في جعبتها ثم تجعل ترقص رقصاً خاصًّا والنحل من حواليها مأخوذ برقصها يقترب منها ويلمسها بلوامسهِ . وما تنتهي من رقصها حتى يخرج النحل الى موقع اللوح الذي عليهِ الغذاء . وعند ما يجده يأخذ منهُ ما يستطيع ويعود الى القفير فيفرغ ما في جعبته منهُ ثم يرقص فيكثر اقبال النحل على مورد الغذاء

وقد اثبت الاستاذ فون فرتش بالمراقبة الدقيقة ان بين كثرة النحل حول مورد الغذاء والرقص صلة مؤكدة

بعد ذلك خطر لهُ ان يبحث كيف يعرف النحل موقع الغذاء من مجرد الرقص لانهُ شاهد ان النحل الذي يذهب اليهِ يذهب مستقلاً لا تابعاً للنحلة الاولى التي اكتشفته . فوجد انهُ اذا كان مورد الغذاء جرة أو لوحاً او اي مصدر للغذاء غير مألوف في حياة النحل فقد يطول الوقت قبلما يكتشفهُ النحل . فكان الرقص يدلهُ دلالة عامة على موقع المورد دون ان يستطيع التحديد . وقد كان مورد الغذاء في

احدى هذه التجارب جرة من الشراب السكري على بعد كيلو متر من القفير يحول بينهُ وبين القفير تلال وحدائق

اما اذا كان مصدر الغذاء طبيعيًّا مألوفاً اي زهرة من الازهار فان النحل بعد ما يشاهد الرقص يسير اليها توًّا صادفاً عن كل ما غيرها من الازهار . وقد نجح في تطبيق تجربته هذه على جميع الازهار الاَّ الازهار التي لا رائحة لها

***

وتفسير ذلك ان النحل يشم رائحة الزهرة العالقة بجسم النحلة الاولى عند ما يلمسها بلوامسه وهي ترقص

* * *

معجون جديد للاسنان

يمنع الالم عند حفرها لحشوها

أذاع الدكتور أوسرمان أحد علماء مدينة نيويورك انهُ توصل الى صنع معجون مخدر لاعصاب الاسنان فيمنع الألم عند حفرها لحشوها وقد جرب هذا المعجون في ٣٦١ حادثة فأصاب نجاحاً باهراً في ٨٣ في المائة منها

لا يخفى ان الدنتين — وهو الطبقة الحساسة التي تحت طبقة المينا في تركيب الاسنان — أشد احساساً في بعض الناس منهُ في البعض الآخر . فقد يصاب سن احد هؤلاء بالنخر ويضطر طبيب الاسنان الى حفر السن لتنظيفهِ وإزالة الجزء المصاب قبل حشوهِ ويعاني صاحبهُ أشد الالم عندما يمس المثقب سنه . فاستعمال هذا المعجون عند معالجة هؤلاء بوجه خاص نعمة من نعم العلم على الانسانية

وقد جرب الدكتور اوسرمان ١٣٥ تركيباً كيماويًّا قبلما توصل الى هذا المركب الذي أذاع نبأه في اجتماع عام عقدته جمعية طب الاسنان الاميركية في اتلانتك ستي في الصيف الماضي

ولم تقتصر تجربة هذا المعجون والجزء المهم فيه مخدر جديد مركب يدعى (ثيمول امينوبنزويت) على الدكتور اوسرمان وحده بل جرب في عيادة طب الاسنان في مستشفى بيت إسرائيل بمدينة نيويورك فأصاب مجربوه نجاحاً تامًّا في ٨٣ في المائة من الاصابات التي عالجوها (وهي ٣٦١ حادثة) وبعض النجاح في ١٤ في المائة . ولم يكن لهذا المعجون أي تأثير في الثلاثة في المائة الباقية

***

ولكن الدكتور صموئيل غوردن أحد اطباء شيكاغو يشير بالحذر في استعمال هذا المعجون قبل ان يجرب تجارب علمية واسعة النطاق . ذلك ان الحكم على مخدر جديد للاسنان يقوم عادة على ما يقولهُ المصاب او على ما يظنهُ الطبيب وهذا وذاك عرضة للتأثر بعوامل مختلفة فلا يعرف تأثير المخدر في اعصاب الاسنان على وجهٍ من الضبط العلمي . والطريقة العلمية الصحيحة هي أجراء الامتحان على المصابين وهم معصوبو العيون . فيحول ذلك دون ابداء رأي قائم على الوهم

شركة مصر للطيران في خمسة أعوام (١)

أسس هذه الشركة بنك مصر في سنة ١٩٣٢ بالاشتراك مع شركة « ايرورك » الانكليزية واحتفظ المصريين باغلبيـــة الاسهم فيها ولها وحدها حق استغلال الخطوط الجوية بالقطر المصري

وكانت جهود الشركة في بدء تكوينهـا مقتصرة على إنشاء مدرسة لتعليم الطيران بالماظه وتأجير الطائرات الخصوصية وأعمال التصليح والترميم وايواء الطائرات وظلت مدرسة الطيران مفتوحة منذ إنشائها من خمسة أعوام ويمكن للملتحقين بها الحصول على شهادة علاوة على رخص القيادة حرف «أ» و «ب» . ويتكون اسطول هذه المدرسة من طائرات من طراز «لمبارد موث» و«هورنت موث»و«جيبسي موث» وكلها مجهزة بمعدات القيادة الثنائية . وقد بلغ عدد الملتحقين بهذه المدرسة منذ إنشائها ٦٥٠ طالباً جاز منهم امتحان القيادة ٢٧٨ طالباً وكان الاقبال على الالتحاق كثير التباين من عام لآخر فبينما كان عدد الطلبة ٩٠ في سنة ١٩٣٢ زاد الى ١٢٩ في ١٩٣٣ ثم هبط الى ٣٦ في سنة ١٩٣٤ و ٣٨ في سنة ١٩٣٥ ثم عاد فارتفع ارتفاعاً قياساً في سنة ١٩٣٦ اذ بلغ ٢٦٦ طالباً

وبدأت الشركة استغلال الخطوط الجوية بانتظام في اول أغسطس ١٩٣٣ باسطول مكون من طائرات طراز « دي هافيلاند راجونز » ويتكون أسطولها الحالي من طائرات من هذا الطراز مجهزة باربعة محركات سعتها ١٢ الى ١٤ راكباً وأخرى ذات محركين سعتها من ٦ الى ٧ ركاب وجميع طائرات الشركة من احدث طراز ويمكن لها ان تطير بحمولة كاملة وباستعمال نصف قوتها المحركة بسرعة عادية من ١٣٥ — ١٤٥ ميلاً في الساعة

وقد بلغ عدد الركاب في السنة الاولى من أول اغسطس الى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٣ ، ٩١٧ راكباً وقطعت الطائرات مسافة قدرها ٦٧٩٤٠ ميلاً وزاد عدد الركاب في سنة ١٩٣٤ الى ٧٥٢٥ راكباً وقامت الطائرات بنقل ٢٤٠ كيلوجراماً من البريد وبلغت المسافة التي قطعتها ٣٠٣٠٠٩ اميال وفي سنة ١٩٣٥ نقلت طائرات الشركة ٧٠١٦ راكباً و ٢٠٢٦ كيلو جراماً من البريد و ١٩٨٠٥ كيلو جراماً من البضائع وبلغت المسافة التي قطعتها ٤١٩٩٣٥ ميلاً مقابل ١٥٧١٠ ركاب و ٢٧١١١ كيلو جرام من البريد والجرائد و ٨٥٥٨٦٦ ميلاً في سنة ١٩٣٦ أما عدد الركاب في الاشهر الثلاثة الاولى في هذا العام فكان ٣٨٣٨ راكباً وما نقل من البريد ٧٥٨ كيلو جراماً ومن البضائع ٦٤٦٩ كيلو جرام وعـدد ما قطعتهُ الطائرات من الاميال ٢٣٩٢٤٣ ميلاً . وتسير طائرات

(١) النشرة الاقتصادية الاسبوعية — وزارة التجارة والصناعة — عدد ١٥ يوليو سنة ١٩٣٧ .

الشركة بانتظام بين القاهرة والاسكندرية والقاهرة وبور سعيد وتسير في موسم الصيف بين القاهرة — اسكندرية — مرسى مطروح وفي الشتاء بين القاهرة — اسيوط — الاقصر — اسوان

وفي عام ١٩٣٤ افتتحت الشركة خطوطها الجوية الى الشرق الاوسط مبتدئة بخط القاهرة وفلسطين ثم أعقبته في السنين التالية بخطوط منتظمة الى العراق وسورية وأخيراً الى بلاد العرب كما افتتحت الشركة خطاً خاصاً بين جدة والمدينة في موسم الحج من ٧ فبراير الى ٦ مارس سنة ١٩٣٧ وبلغ عدد الركاب على هذا الخط ٢٢٧ راكباً وما قطعتهُ الطائرات ١٤٥٠٠ ميل

وتقوم الشركة بنقل الركاب وامتعتهم من المطارات واليها بالمجان على ان الامتعة الثقيلة التي لا يحتاج اليها المسافرون في أثناء السفر يمكن ارسالها رأساً الى جهة الوصول بغير طريق الجو وبالشركة فرع مختص بالاستئجار الخاص للطيارات لنقل الركاب والبضائع وقد قامت طائراتها بسفريات خاصة الى وسط افريقية وآسيا وأوروبا

* * *

فيتامين C لازم لغذاء المصابين
بقرح المعدة

يشير الدكتور رفرز والدكتور كارلسن من اطباء معهد مايو الاميركي بأن المصابين بقرح في المعدة ولاسيما المصابين بميل الى النزيف في المعدة يجب ان يضاف فيتامين C الى طعامهم

وهما يقولان ان غذاء المصابين بقرح المعدة يعوزه هذا الفيتامين على الغالب ولما شاهدا ذلك بالاستقراء في المصابين الذين يعالجانهم اضافا الى غذائهم مقادير معينة من هذا الفيتامين فعاد مقداره في الدم الى حالته السوية وتحسنت حالة المصابين تحسناً بيناً

هذا الفيتامين يكثر في الفواكه الغضرة والخضر ومن خصائصه منع النزيف ومن هنا فائدته في اصابات قرح المعدة

وقد اثبت الباحثون اخيراً ان نقص هذا الفيتامين يحدث اضطراباً في انساج الجسم وفي الخلايا فيحول هذا الاضطراب دون امتصاصها بعض المواد المغذية من الطعام الذي يتناوله المصاب به

فاذا كانت الانساج التي تغشى داخل البطن غير سليمة من هذا القبيل لنقص فيتامين C اضطرب غذاء الجسم بوجه عام واصبحت اغشية البطن نفسها عاجزة عن مقاومة التأكل والتقرح. فاضافة هذا الفيتامين الى الغذاء يفيد كثيراً في تحسين الحالة

اعلى تحليق

في اليوم الاخير من شهر يونيو الماضي حلق الطيار الانكليزي ادم احد ضباط سلاح الطيران البريطاني الى علو ٥٣٩٣٧ قدماً فوق سطح البحر وهذا اكثر من عشرة اميال ويفوق الارتفاع الذي بلغه الطيار الايطالي من عهد قريب بمبلغ ٢٥٧٠ قدماً

وعلى ذكر ما تم للطيار ادم نروي حادثة وقعت للماجور شرويدر الاميركي في سنة ١٩٢٠ فقد حلق هذا الطيار الى ارتفاع ٣٣ الف قدم وعندما بلغه اختل الجهاز الذي يجهزه بالاوكسجين للتنفس فرفع نظارته التي تقي عينيه من البرد القارس لكي يرى سبب الخلل فلم يستطع لان قلة الاكسجين كانت قد افقدته وعيه فهبط هو وطيارته من حالق كأنهما احد الرجم المنقضة في الفضاء وبقيا هابطين الى الطبقة القريبة من سطح الارض

وكأن وجود الاكسجين فيها كان كافياً لانعاشه فعاد له وعيه فاستيقظ قبل وصوله الى الارض وقبض على زمام طائرته واعاد موازنتها وحط بها سليمة على سطحها

* * *

قهر المحيط الاطلنطي

لقد قهر المحيط الاطلنطي طيارون اميركيون وانكليز وفرنسيون والمان وبولونيون ومجر فطاروا من اميركا الى اوربا او من اوربا الى اميركا ولكن لم تقهره قبل الآن طائرتان صنعتا خاصة لنقل البريد والركاب قامتا في ميعاد مضروب والتزمتا سيراً معيناً بسرعة معينة بقصد التمهيد لانشاء خط للملاحة الجوية المنتظمة بين اوربا واميركا. في اوائل يوليو الماضي طارت الطائرة «كاليدونيا» التابعة لشركة « امبريال اورويز » من فوينز القاعدة التي انشئت على نهر الشانون بأرلندة قاصدة الى نيوفوندلند وفي الوقت نفسه طارت الطائرة « كليبر الثالثة » التابعة لشركة « پان اميركان الجوية » من بوتود بنيوفوندلند قاصدة الى ارلندة فقطعت الاولى المسافة في ١٤ ساعة و٢٣ دقيقة والثانية في ١٢ ساعة و٣٤ دقيقة والاختلاف في سرعة الطائرتين سببه ان الطائرة الاميركية سارت من الغرب الى الشرق والريح تدفعها وأما الطائرة البريطانية فسارت من الشرق الى الغرب والريح تواجهها وتخفف من سرعتها

لم يكن الغرض ضرب الرقم القياسي في السرعة ولا في بعد المدى وانما الغرض الامتحان والتجربة — وقد توالت التجارب بعد الامتحان الاول — تمهيداً لانشاء خط جوي منتظم بالاشتراك بين الشركتين الانكليزية والاميركية . وكانت الطائرة البريطانية تزن ثمانية عشر طناً والاميركية كذلك تقريباً

تحويل عنصر الى آخر

«الكلور» الى «ارغون»

في نشرة علمية اذاعها قسم علم الطبيعيات بجامعة برنستن الاميركية ان اربعة من الباحثين فيه تمكنوا من تحويل عنصر الكلور الداخل في تركيب ملح الطعام الى بوتاسيوم اولاً. وهذا البوتاسيوم قصير العمر فلا يزيد عمر ذرته على عشر دقائق واربعة اخماس الدقيقة ثم يتحول الى العنصر الغازي المستعمل في بعض الاعلانات الكهربائية الملونة ونعني الارغون وهو خدن النيون

والطريقة المستعملة تقوم على اعداد مقذوفات سريعة توجه الى عنصر الكلور فتصطدم ببعض ذراته وتحولها

وتصنع هذه المقذوفات من ذرات عنصر الهليوم المستعمل في البلونات وذلك بأن تطلق هذه الذرات في حجرة مفرغة فتصطدم بتيار من الكهارب فتفقد بعض كهاربها وتصبح « ايونات »

وهذه الايونات تعرف ايضاً باسم «دقائق الفا» . فعند ما تتولد هذه الدقائق تدخل جهازاً جديداً يدعى « سيكلوترون » فتدور فيه دوراناً رحوياً فتتزايد سرعتها وزخمها حتى تبلغ سرعتها نحو ١٥ الف ميل في الثانية فتقذف حينئذٍ الى ذرات الكلور فتحولها الى بوتاسيوم قصير العمر فالى غاز الارغون

* * *

الادرينالين في علاج الملاريا

الادرينالين هو الاسم الذي أطلق على مفرزات الكظرين وهما الغدتان اللتان فوق الكليتين. ويستعمل عادة في تنشيط القلب ورفع ضغط الدم

أما الآن فقد ظهر انهُ يفيد في علاج الملاريا وأعلن الدكتور الاستاذ اسكولي رئيس العيادة الطبية بجامعة بالرمو الايطالية انهُ بدلاً من الكينا يحقن المصابين بالملاريا في الاوردة حقناً يومية تحتوي على الادرينالين وقد وجه رسالة بهذا المعنى الى المجلة الطبية الالمانية المعروفة باسم « مونشنر مدزينش وشنشرفت »

ويعتقد ان فائدة الادرينالين في علاج الملاريا ناشئة عن ان الادرينالين ينقص مقدار الدم في الطحال . والطحال هو المكان الذي تتوالد فيه جراثيم طفيلي الملاريا . فنقص الدم في الطحال يجعل المكان غير موات لمعيشة هذه الجراثيم وتكاثرها . ويقول الاستاذ اسكولي علاوة على ما تقدم انهُ وجد الادرينالين مفيداً في اصابات الملاريا المزمنة والحديثة وفي علاج تضخم الكبد وفقر الدم والضعف العام الناشئ عن الملاريا

اختراع قد يقلب صناعة الادوات البصرية

عدسات ولكنها ليست من الزجاج

عدسات النظارات والمراقب والمجاهر والمصورات الضوئية تقع على الرخام فلا تنكسر وتطرق بالمطارق فتقفز كأنها مطاط ولا تتشظى ولكنها مع ذلك تصنع الفاً وخمسمائة في الساعة ولا تحتاج الى صقل اي انها تخرج جاهزة للاستعمال

مخترع هذه العدسات شاب في الثانية والثلاثين من العمر هولندي الاصل انكليزي النشأة والجنسية تقلب في اعمال مختلفة فكتب بعض الاناشيد اللطيفة المتداولة وصنع نماذج لطائرات كسب بها احدى الجوائز الدولية ثم انصرف الى صنع العدسات المتقدمة من مادة عجينية القوام

اسم هذا الشاب بيتر كوخ ده غوريند. وقد اطلعنا على صورة عدسة من هذه العدسات ثخانتها تسع بوصات ونصف بوصة ومن خلالها ظهر وجه فتاة فاذا هو نقي النقاء كله واضح في جميع التفصيلات فكأنك ترى شبحها في مرآة صافية لا من خلال تسع بوصات ونصف بوصة من مادة مركبة غير مصقولة

اما المادة التي تصنع منها هذه العدسات فمادة راتينجية مركبة مبنية على أساس مركب كيماوي يدعى «مثيل متا كر ايلايت» وامتياز صنعه لشركة الصناعات الكيمياوية بانكلترا ولشركة دوبون بأميركا

فاذا صح وتحقق كل ما يزعم في هذا الصدد فلا بدّ ان يفضي هذا الاختراع الى قلب صناعة الادوات البصرية على اختلافها رأساً على عقب فيصير في متناول كل انسان ان يحرز مصورة ضوئية (كاميرا) ونظارة مقربة ومرقباً صغيراً اذا كان من المعنيين الهواة ومجهراً اذا كان يهوى دراسة الاحياء الدقيقة دراسة لذة ومتعة

ويقدر الباحثون انه اذا صح ما تقدم فالمصورة الضوئية التي ثمنها الآن عشرة جنيهات تصبح وثمنها لايزيد على ١٦٠ قرشاً ويغدو في امكان من يشاء ان يبتاع نظارات خاصة من نظارات الاوبرا المستعملة في المسارح بستين قرشاً

ويزعم ده غوريند وزميله كنغستون انهما يستطيعان ان يفرغا هذه النظارة في قوالبها المعدة لها فلا يبلغ الخطأ في تحدبها او تقعرها اكثر من جزء من ٠٠٠ر١٥٠٠ جزء من البوصة

وقد امتحن احد علماء الجمعية الملكية بلندن احدى هذه العدسات وهي عدسة محدبة فوجد ان دقة تحدبها تجعلها صالحة للاستعمال في النظارات ولكنها لا تصلح كما هي الآن للادوات العلمية الدقيقة. ومن غرائب ما يروى عنها ان احد المرتابين في هذا النوع من العدسات

اخذ عدسة وضغطها ضغطاً شديداً حتى تشوه شكلها وهي مضغوطة فلما رفع الضغط عنها عادت الى شكلها الاصلي . وعرضها آخر لحرارة خمسين مئوية ربع ساعة ففقدت صفاءها فلما عادت الى حرارتها الطبيعية استعادت ذلك الصفاء المفقود ولعل هذا يجعل استعمالها في البلدان الاستوائية الحارة متعذراً الا اذا تمكن المستنبط من التغلب عليه

ويعترض صانعو النظارات التي يستعملها الناس لتصحيح نظرهم بأن العدسات التي يستعملها كل انسان تختلف عن عدسات غيره فتصقل وفقاً لوصفة الطبيب فكيف يمكن ان تصنع عدسات جاهزة للناس . ويرد ده غوريند بانهُ اذا صنع من ٤٠٠ الى ٥٠٠ قالب مختلف تمكن من ان يصنع بها ٦٠ الى ٧٠ في المائة من العدسات التي يستطيع الناس استعمالها كما هي

* * *

« الوسكي » سم ناقع

لمن يتناول الاستركنين

وجه الدكتور جاك نوريس في الاجتماع الذي عقدته الجمعية الاميركية للباثولوجيين في فيلادلفيا تحذيراً الى جميع الذين يعالجون المرضى بأحد العقاقير المحتوية على الاستركنين بأن تناول الوسكي يفعل فيهم فعل السم الناقع

فقد أثبت الدكتور نوريس أن مقادير يسيرة جدًّا من الاستركنين والوسكي المستخرج من الذرة سم قتال فكلاهما يقلل من نشاط أعضاء واحدة ولا سيما القلب وأعضاء التنفس

ويقول هذا الطبيب ان الذين يموتون متأثرين بشرب الوسكي يجب ان تفحص جثثهم لمعرفة هل فيها أي أثر لسم الاستركنين لان بعضهم استعمل هاتين المادتين لارتكاب جناية القتل

ففي احدى حوادث القتل اعترف القاتل بأنهُ أغرى القتيل بتناول جرعة من الوسكي فيها مقدار من الاستركنين ثم أخذ يغريه بالشرب مبالغة في اكرامه فلما انصرف تبعه القاتل عن كثب حتى رآهُ وقد أخذه تشنج الصرع ووقع في الشارع ميتاً

وفي حادثة أخرى حصل الموت فيها من تناول المادتين معاً اتفاقاً

وقد جرب الدكتور نوريس تجارب بالحيوانات تبين منها ان تناول هاتين المادتين معاً يقتل الحيوان في مدى نصف ساعة الى ساعة بصرف النظر عن أيهما تجرع أولاً



دليل دار الآثار القبطية

للآثار المصرية ثلاث دور رئيسية في القاهرة . اولاها وأشهرها وأقدمها دار الآثار المصرية الفرعونية ، وثانيتها دار الآثار العربية ، وثالثتها دار الآثار القبطية . وكل متتبع لارتقاء الفنون المصرية وتحولها لا غنى له عن زيارة هذه الدور على أن تكون زيارته الثانية لدار الآثار القبطية لان الفن القبطي حلقة اتصال بين فنون الفراعنة قبله والفنون الاسلامية بعده

وتاريخ الفن القبطي قسمان كبيران احدهما يمتد من القرن الرابع الميلادي الى القرن العاشر وتغلب عليه سمات التأثير اليوناني والبيزنطي . والقسم الثاني من القرن العاشر الى عصرنا هذا والسمة الغالبة هي سمة الفن الاسلامي في العصر الاول . ترى العوامل الفنية بارزة في صور اشخاص وحيوانات ومشاهد للصيد واللعب والموسيقى والرقص والصور النباتية . أما في العصر الثاني ، ولاسيما بعد عهد صلاح الدين فتزول صور النبات والحيوان تقريباً ويحل محلها الرسوم الهندسية البديعة والصليب فيها دائماً

ان جمع آثار هذا الفن المصري العريق وترتيبها في دار خاصة بها والدعوة الى العناية بها يعود الفضل الاول فيه الى صاحب السعادة مرقص سميكة باشا مؤسس هذه الدار ومديرها وعضو لجنة حفظ الآثار العربية وعضو مجلس دار الآثار العربية الاعلى

فقد اسست دار الآثار القبطية في سنة ١٩٠٨ باكتتاب عام اشترك فيه اعيان الاقباط واصدقاء الفن من جميع الطوائف والجنسيات وتوج قائمة الاكتتاب المغفور له السلطان حسين كامل وكان اميراً حينئذ وانشئت مباني الدار في ارض موقوفة على الكنيسة القبطية اقتطعها لهذا الغرض المرحوم غبطة البطريرك كيرلوس الخامس وعلاوة على ذلك سمح باستعمال الآثار القبطية المختلفة المنتزعة من انقاض الدور القديمة التابعة للطائفة القبطية

على هذا الاساس مضى مرقص سميكة باشا بهمة لا تعرف الكلال ولا الملل فترعرعت الدار بين يديه واتسعت مجموعاتها ورتبت فلما كانت سنة ١٩٢٠ تفضل المغفور له الملك فؤاد الاول فزار الدار وكان هذه الزيارة الملكية كانت باعثاً على توجيه عناية خاصة اليها فأخذ نطاقها يتسع اتساعاً سريعاً . وفي يناير سنة ١٩٣١ الحقت الدار الحاقاً رسمياً بالدولة مع احترام حقوق وقف الكنائس

بعد أن كانت ملكاً للبطريركية فهي بهذا الالحاق تابعة لمجلس ادارة برأسه وكيل وزارة المعارف

والدار قائمة في مصر القديمة داخل الحصن الروماني القديم المعروف بحصن بابليون والمرجح ان هذا الحصن شيده طريانوس الامبراطور الروماني في القرن الثاني الميلادي

الاّ ان سميكة باشا لا يألو جهداً لجعل محتويات الدار في متناول الجمهور المثقف من المصريين والافرنج فأكبّ بعد إنشائها وتنظيمها على وضع دليل لأهم الآثار المحفوظة فيها وبين يدينا نسخة من هذا الدليل النفيس باللغة الفرنسوية يشتمل على ١٦١ صفحة من الصور المتقنة على الورق الصقيل و ٨٢ صفحة من الوصف العلمي المدقق لها وقد صدره بصورة حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول وبصورة جلالته ومعه شقيقتاه الاميرتان فائزة وفوزية عند زيارتهم للمعرض في شهر يونيو من سنة ١٩٣٥ وبصورة المغفور له الملك فؤاد يحف به اقطاب الدولة عند زيارة جلالته للمعرض في دسمبر سنة ١٩٢٠ واهداه الى ذكر العلامة الفريد بطلر وهو اول من عني بدرس علم الآثار القبطية وصاحب المؤلفات المشهورة في « الكنائس القبطية القديمة في مصر» الصادر سنة ١٨٨٤ « وفتح العرب لمصر » وغيرها

والدليل أقسام كل قسم منها يشير الى مجموعة بعينها من محتويات الدار كالآثار الخزفية والخشبية والمعدنية والمنسوجات ويحتوي على صور أهم هذه الآثار ووصفها . ويتبعهُ وصف لاهم الكنائس القديمة في القاهرة

فالكتاب ليس دليلاً للدار فقط بل هو وصف تاريخي فني للفن القبطي من جميع وجوهه، فنهنىء سعادة سميكة باشا بهِ ونشكر له هذه العناية العظيمة التي لا تقوَّم من ناحية التثقيف التاريخي الفني بمال

* * *

أبو شادي الشاعر

رسالة بالانجليزية في ٤٠ صفحة مذيلة بمختارات متنوعة تقع في ٥٤ صفحة بحجم المقتطف

الزهاوي الشاعر

رسالة بالعربية في ٥٤ صفحة من قطع المقتطف ايضاً

الدكتور اسماعيل احمد ادهم حر الفكر الى ابعد حدود هذه الحرية ، صريح الى غاية بعيدة من الصراحة ، جريء يتصدى لموضوعات يحتاج الباحث فيها الى شيء من التهيب . وهو يلقى من جراء افكاره ومن اجل صراحته وجرأته كثيراً من ضروب العنت والاضطهاد. على ان من بواعث هذه الجرأة حياة الكاتب زمناً وسط بيئات انقلاب فكري واجتماعي

استطاع فيها ان يكوّن لنفسه خطة واتجاهاً يستوقفان النظر ، اضف الى ذلك المحصول العظيم من الثقافة العالية التي استطاع الكاتب ان يلم به في سن مبكرة فهو ما يزال في العقد الثالث من عمره وقد حصل على بكالوريوس العلوم ثم على درجتي Sc. D., Ph. D. في العلوم وفلسفتها من جامعة موسكو سنة ١٩٣٣ كما انعم عليه من هذه الجامعة بدرجة الدكتوراه الفخرية في الآداب ثم اختير عضواً في اكادمية العلوم الروسية فوكيلاً للمعهد الروسي للدراسات الاسلامية . وكان استاذاً للرياضيات العالية بجامعة بطرسبرج وهو الآن استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الاستانة ومنتدب لدراسة الحياة الاجتماعية والادبية في مصر من قبل هذه الجامعة

وقد اكسبته دراسته العلمية اسلوباً خاصًّا يظهر في بحوثه الادبية من حيث التحليل والتمحيص . فأما رسالة « ابو شادي الشاعر » فهي دراسة وضعها بالانكليزية اتى فيها بطرف من حياة الشاعر ثم انتقل منها الى ادبه والى العوامل الجديدة التي اثرت في شعره عند انتقاله من وطنه الى انكلترا ثم رد هذا الشعر الى اقسام ثلاثة وتكلم عن كل قسم محللاً ذلك في امانة علمية ودقة نقدية بارعة

***

وأما رسالته عن الزهاوي فهي امتع دراسة ظهرت حتى الآن عن هذا الشاعر تناول فيها الكاتب الكلام عن الادب العربي بين المدرسة القديمة والحديثة والتضارب في الرأي بينهما وخصائص هذا الادب وعدم تجرده عن الذاتية وسكونه وأثر البيئة والطبيعة في ذلك وقصوره عن التصوير وطرْق ساحات مختلفة من الحياة رادًّا ذلك الى الدين واللغة والطبيعة وانتقل من ذلك الى الكلام عما ورثهُ الادب الحديث من خصائص الادب القديم وعن النهضة الحديثة وعواملها بعد عصور الانحطاط التي انقضت من اواخر العصر العباسي الى القرن التاسع عشر ثم تأثر الادب العربي بعد ذلك عند اتصال الحياة الشرقية بالحياة الغربية ثم انتقال الآراء الحديثة الى العراق عن طريق الادب التركي . ثمّ الى الكلام عن حياة الزهاوي والعوامل التي اثرت فيه واتصال ادبه بحياته وعناصر ادبه الاساسية وخصائصه ثم نفسيته وروحه وتغلب الفلسفة والتأمل في شعره ثم الحب والتصوير والوصف. وتعرضه لمبادىء الطبيعيات وفكرة الفضاء عنده ومقارنتها بما يقابلها عند اينشتين الى غير ذلك ثم انتقل الى الكلام عن شعره مع تحليل دقيق ثم بيّن اثر المعري وحامد عبد الحق وهيغو ودانتي في ملحمة الزهاوي « ثورة في الجحيم » . ولعلنا نستطيع في فرصة اخرى تناول هذه الدراسة الحية التي اخرجها المؤلف مقدمة لكتابه الذي يضعه بالالمانية عن هذا الشاعر

الصيرفي

ديوان العواطف

لشاعر النجفي محمد صالح بحر العلوم

ديوان يقارب ما بين دفتيه الاربعين قصيدة عدا — الرباعيات والثلاثيات وبعض المزدوجات. وقد آثر الشاعر نظم قصائده على هذا الغرار الذي جنح اليه دعاة التجديد في تنوع قافية القصيدة . وإذ صح ارتباط القصيدة بغرض تنشد فيه فالديوان إلاّ أقله يعد قصيدة واحدة مختلفة البحور والقافية، اذ لم يتجاوز إنشاد الشاعر ثورته على المظالم، وإهابته الصارخة بمواطنيه أن يتحرروا من الخنوع للمستبدين ويحطموا الاغلال التي ترسف فيها أوطانهم . وما رباعياته الغرامية في الديوان إلاّ كموقف فكه مضحك بين فصول الدرامة المحزنة ! وقد عقد الشاعر اللواء في كل مقطوعاته للفكرة والغرض ، فأهمل لغة الشعر بل وأقحمها في معظم قصائده حتى اقترب في الاسلوب من العامية . ومن ذلك قوله يصف الشعب .

فأذاق الشعب محلول النفاق فهوى يرضخ في تخديره

كلما حرر تحرير العراق شطب الخصم على تحريره

« فأذاق الشعب محلول النفاق » تعبير سرى إلى العامة من لغة الصيدليات ! « وشطب الخصم على تحريره » كذلك لغة عامية إذ الشطب في لغة العرب هو الترميج . وقد كرر الشاعر كلمات محلول وغاز وميكروب وغيرها مما يعطينا فكرة عن وجهته اللفظية ! ففي قصيدة يقول

يخدّر محلول المكايد عزمهم وآفة عزم الشرق هذي المكايد

وفي مطلع قصيدة العقائد :

بعض العقائد وهي غاز قاتل من نشرها تتسمم الاجواء

وقد رأيناه يستخدم الالفاظ العربية في غيرما وضعت استخداماً يثير الغرابة من غير شك كقوله

فربضنا فوق أتلال الخمولْ نبتغي الخير ليفنى شره

ونسي أن ربضة الاسد فيها تحفز ومهابة ، وأن الخمول هبوط وانحلال . ويعوز هذا الشاعر عمق الخيال والحكمة فشعره قوي الصلة بالعواطف ، ولا شك أن العاطفة سطحية التأثر فيها طفولة بريئة !!

وإذا كان هذا الديوان ثمرة عاجلة للشاعر فنحن في انتظار ثماره اليانعة ولكل حياة مستهل ولكل نصر طليعة

عبد الحميد الديب

واحة الغريب

١٠٩ صفحات من القطع المتوسط — طبع مطبعة حجازي بمصر

عبد السلام رستم شاعر صادق العاطفة يصور بشعره ما ينعكس مع مرآة نفسه في غير بهرج أو تزوير ، ولهذا يشعر القارىء في واحته بظل هادىء هو أثر من نفس هذا الشاعر الهادئة الماكفة في سكونها ، والقانعة بطمأنينتها والعازفة عن ضجيج الاعلان وطنطنة الظهور ولعلّ أبياته من قصيدة « الأدب فطرة » تؤيد ذلك :

رُبّ أُنشودة أبيت أقفهـا بما نالت الحوادث مني
فاذا قلت كان حسبي أن أنـطق بالقول صادقاً لا أمني

وهذا الشاعر من أكثر الشعراء الذين تأثروا بابن الرومي في الغوص على المعاني حرصاً على ان تكون ألفاظه لباساً ناعماً لمعانيه ليس فيه من الخشونة ما ينفر أو يضعف قيمة المعنى ، وهو الى جانب ذلك وصّاف ينقل عن الطبيعة لوحاته بألوان تبعث الهدوء والتفكير ، وهو يتخيل لصوره دائماً ألواناً رقيقة وظلالاً خفيفة وفي قصيدته « في سكون الليل » و« الغروب » وهي قصيدة من الشعر المرسل و « الربيع والحب » و« الشتاء » و « الشمس في مطلع الفجر » وهي من أروع قصائده دليل على صدق هذا . ومن أبدع قصائده التي تصور نفسه تمام التصوير قصيدة « النفس الجانية » وفيها يقول

أراجع نفسي في ذنوب أتيتها فأنفر منها بالكراهة والبغضِ
ويؤلمني عتب الضمـير مؤنباً عليها ، ومالي من سبيل الى الغمض
اذا كان للجاني قصاص بجرمهِ فان قصاصي لوم بعضي على بعضي
وشتان ما بين القصـاصين انما قصاص ضمير المرء أنكأ في الممضّ
مصيبة نفسي عند نفسي ، فليتني تبدلت نفساً لا تبالي بما تمضي !

* * *

Ancient Egypteian Dances. By. Irena Lexova
Oriental Institute Praha 1935 مطبعة

الرقص المصري القديم — للمؤلفة التشيكوسلوفاكية — ايرينا ليكسوفا وهي الرسالة التي نالت عليها درجة الدكتوراه من جامعة براغ

اهدت اليّ هذا الكتاب النفيس لقراءته اولاً وللاحتفاظ به ثانياً السيدة الفاضلة مدام Haisova من فضليات نساء تشيكوسلوفاكيا في مصر وأوسعهن ثقافة واكثرهن غراماً بمصر وكل ما يتعلق بها

والكتاب رسالة علمية تقدمت به المؤلفة الى جامعة براغ فأحرزت به شهادة الدكتوراه بعد جهد طويل وتعب متصل . ويمتاز بأنه على الرغم من منحاه العلمي فانه لا يسئم القارىء بل يزيده

شغفاً بمطالعته . فكل ما فيه مفيد لذيذ . وقد تناول كل ما يتعلق بالرقص وآلاته وملابسه وحركاته وانواعه بعبارة انجليزية سامية يرجع الفضل فيها الى مترجم الكتاب من اللغة التشيكوسلوفاكية الى الانجليزية الاستاذ K. Halmar

ومن لطائف هذا الكتاب أن ملوك مصر القدماء أغرموا بالرقص غراماً شديداً . ولقد ارسل الملك « ببي نفركار » من ملوك الاسرة السادسة رسالة الى « هركوف » زعيم الحملة التي ارسلت الى « أمام » يقول فيها : — (انشر قلوعك على عجل على مياه النهر الى قصر الملك. أسرع واحضر معك العملاق الذي جلبتهُ من ارض الارواح . متعتهُ الآلهة بالعمر الطويل ! والصحة والصباحة ! حتى يعود الينا ويرقص بيننا الرقصات المقدسة ، ليدخل السرور على قلب الملك « نفركار » ملك مصر العليا والسفلى . متعتهُ الآلهة بالعمر الطويل !)

وكان المصريون القدماء يرقصون على الاموات ترحماً عليهم وحنيناً اليهم . وذلك النوع من الرقص يتكون من المعزين والمعزيات يرقصنَ على ايقاع منتظم من تصفيق يحدثهُ بعض المشتركين في العزاء . وهناك نوع آخر منهُ يقدم الى روح الميت في مناسبات بعيدة لأُناسه في قبره . ويؤيد هذا القول رسالة ارسلها الملك « خبركار » من الاسرة الثانية عشرة الى « سنوحيت » من رجال بلاطه يقول فيها (. . . . وبعد الوفاة سيتقدم موكب جنازتك الموسيقيون ، وستنظم الرقصات المقدسة على باب قبرك)

وكان رقص الجماعات او Group Dances معروفاً عند المصريين . ولم يكن هذا النوع من الرقص منسجماً بين المشتركين فيه فلكل راقص او راقصة خطوة وحركة مختلفة عن خطوات زميله وحركاته . وكانت هناك رقصة شائعة مكونة من ثماني راقصات في صفين يرقصنَ رقصاً منتظماً على نغم متساوق من فتاتين ينقران بالدف

ولقد ابدعت مؤلفة الكتاب في وصف ملابس الرقص وصفاً يدل على اهتمامها وعنايتها بالموضوع الذي اخذت على نفسها الكتابة فيه . فوصفت رقص العاريات وانصاف العاريات . ووصفت قمص (جميع قميص) الرقص الشفافة اللاصقة بالجسم او المنفرجة الواسعة (وقد شاهدت صوراً منها على جدران بعض مقابر وادي الملكات بالاقصر)

واكثر من نصف هذا الكتاب مخصص لنماذج من الرقص نقلتها المؤلفة عن نقوش وصور محفوظة في اشهر متاحف العالم . وقد اضافت الى هذا العمل الجليل عملاً اجلّ بأن تكلمت عن اصل هذه الصور ومكان حفظها وشرح موجز لها مما يجعل لعملها قيمة تاريخية جليلة

وبعد : فاني قرأت ولازلت اقرأ كتاب Literary History of The Arabs لمؤلفه نيكلسون فاستحي ان يقال عنا إننا ندرس آداب العرب على اساتذة من الغرب (بالغين المعجمة) .

والآن فرغت من قراءة كتاب الرقص المصري القديم لكاتبة غربية فيعاودني الاستحياء .
ويملكني الاعجاب بهؤلاء الباحثين الصابرين — المنصورة — محمد عبد الغني حسن
عضو بعثة سابق

* * *

رواية وثبة العرب — تمثيلية

تأليف خليل ابرهيم النبوت — صفحاتها ٦٥ مزينة بالرسوم —
طبع المطبعة التجارية في بوانس ايرس

لو تقصّى المؤلف النظر في روايته اكثر مما فعل لأوجد فيها حبكة مسرحية تحمل المطالعين أولاً والنظارة ثانياً على النسيان انهم ازاء استعادة قلمية لجانب من تاريخ العرب عامة وسورية خاصة ، فبعض الهنات التي انبثت بين المشاهد — وقد كان من السهل اجتنابها — تفقد التناسق الذي لا غنية عنه في الرواية التمثيلية

استعرض المؤلف — وهو الاديب خليل ابراهيم النبّوت — ما قام به شهداء العرب على زمن جمال باشا في سورية من حوادث جريئة سبقت الثورة التي اشعلها المغفور له الملك حسين واعدّ وقودها نجله الامير فيصل فتقيد — في استعراضهِ — بالتاريخ تقيّداً يشكر عليهِ في عصر كادت تصبح فيه الرواية اداة لتشويه التاريخ

يبدو من خلال فصول الرواية الاربعة السبب في موت نخبة من مفكري الضاد عهدئذ على اعواد المشانق ، ويتجلى واضحاً الدور الذي لعبهُ القائد التركي المذكور آنفاً لاتّهام فيصل بالاشتراك مع الشهداء ، ثم سفر هذا الى البادية وتحريضهِ اهلها على الثورة ، ويوفق المؤلف في ختام روايتهِ بانزال الستار على مبايعة المرحوم فيصل في دمشق ، كما يوفق ايضاً في استهلالها بتبيان المصاعب والعقبات التي كان يستهدف لها الأحرار لعقد اجتماعاتهم بعيداً عن أنظار الحكومة

الى جانب هذه الحسنات نجد مآخذ ، منها ان حضرة الاديب النبوت اراد ان يرصع روايته النثرية بابيات شعرية ففاتهُ حسن انتقائها وفاتهُ حسن انتقاء الاشخاص الذين كان يجب ان يتكلموا في بعض المواقف نظماً . ولو انهُ — مثلاً — اعفى فيصلاً من إنشاد قصيدة في المشهد الرابع من الفصل الاول و« رياضاً » ابن الشيخ عن إنشاد قصيدة اخرى في المشهد الخامس من الفصل الثالث لكان زاد في قوة هذه المشاهد

اما لغة الرواية فمكشوفة المقاتل ، وقد اندست فيها اغلاط جعلت تعابيرها مشوشة في مواضع

ولا ندحة — مع ذلك — عن الثناء على المؤلف لاختياره « موضوعاً » عربياً فان حاجتنا ماسة الى روايات تذكرنا بماضينا ، هذا الماضي الذي كدنا ننساه وهو طافح بالمآثر الغر والامجاد الخالدة — عاصمة الارجنتين — الياس قنصل

الجزء الثالث من المجلد الحادي والتسعين

التي عنيت بنشرها « ادارة المطبعة العصرية » بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

مـ

٣٥ القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠ « « « (طبعة ثالثة)
٧٠ « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥ « المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ « « عربي انكليزي فقط
١٥ « « انكليزي عربي فقط
٧٠ « سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠ « « « انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠ « « « « « وبالعكس
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٠ الف كلمة ألمانية (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠ عشرة ايام في السودان « « «
١٢ مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥ روح السياسة « «
١٠ الآراء والمعتقدات « «
١٠ اصول الحقوق الدستورية « «
٨ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥ حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠ الحركة الاشتراكية (لرمسي مكدونالد)
١٥ ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨ اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠ مختارات « « «
٨ نظرية التطور وأصل الانسان « «
٢٠ اناتول فرانس في مباذله للامير شكيب ارسلان
١٥ الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)
١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
١٠ جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥ المرأة بين الماضي والحاضر
٥ مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥ حصاد الهشيم (للاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني)
١٠ قبض الريح (« « « « «)
٨ نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠ رسائل غرام جديدة (سليم عبد الواحد)
١٠ الغربال في الادب العصري (ميخائيل نعيمة)
٥ حكايات الاطفال ، اول (مصور بالالوان)
٥ « « ثان « «
٥ « « ثالث « «
٥ تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥ جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)
٦٥ مراقي النجاح (الارشمندريت بشير)
٥ مريم المجدلية (موريس ميترلنك)

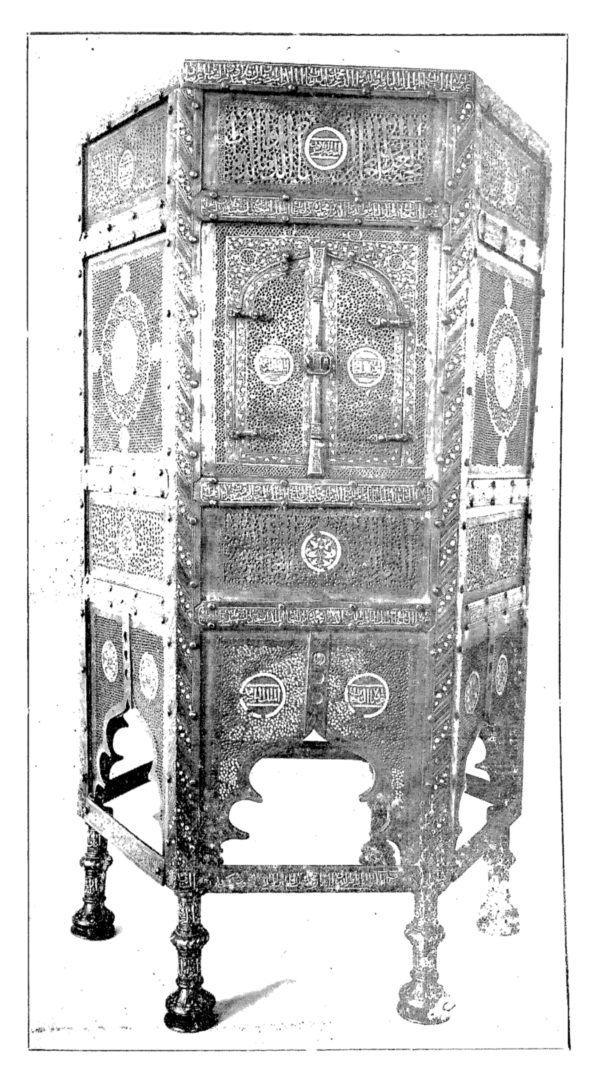
مـ

١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥ خواطر حمار (للاستاذ الجمل)
٥ التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران) « «
١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات «
٢٠ الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠ تاييس « « « «
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠ « فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨ « الانتقام العذب (اسعد خليل داغر)
٥ « فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢ « باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ « غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥ « روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥ « ام روكامبول ، ٥ اجزاء «
٢٠ « بارداليان ، ٣ اجزاء «
٢٠ « الملكة ايزابو ٤ اجزاء «
٢٠ « الاميرة فوستا ، جزآن «
٢٠ « عشاق فنيسيا ، جزآن «
١٦ « الساحر العظيم ٤ اجزاء «
١٦ « كابيتان ، جزآن «
١٦ « الوصية الحمراء ، جزآن «
١٦ « بائعة الخبز «
١٢ « فلمبرج ، جزآن «
١٠ « فارس الملك «
١٠ « ضحايا الانتقام «
٨ « المرأة المفترسة «
٥ « المتنكرة الحسناء «
٥ « مروضة الاسود «
٥ « شهداء الاخلاص «
١٦ « دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ « فرنسوا الاول « «
١٠ « الجنون فنون « «
٨ « حورية « «
٨ « الغلامان الطريدان « (
١٢ يسوع ابن الانسان جبران خليل جبران
٥ النبي (« « «)
٥ آلهة الارض (« « «)

من آيات الفن الاسلامي

مائدة (كرسي) من النحاس مخرم ومنقوش ومكفت بالذهب والفضة. كان في مارستان الملك الناصر قلاوون وهو على شكل منشور ذي ست أضلاع. وسطح هذا الكرسي وجوانبه مزينة بالزخارف الهندسية والنباتية والخطية وفيه صور بط يطير. ومن الكتابات المنقوشة عليه العبارتان الآتيتان: «عز لمولانا السلطان الملك الناصر العالم العامل المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المنصور سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محي العدل في العالمين نصير المظلومين من الظالمين ناصر الملة المحمدية ناصر الدنيا والدين ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي» و . . «عمل الفقير الراجي عفو ربه المعروف بابن المعلم الاستاذ محمد بن سنقر البغدادي السناي وذلك في تاريخ سنة ثمانية وعشرين وسبعمائة في أيام مولانا الملك الناصر عز نصره»

(زكى محمد حسن)



المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الحادي والتسعين

١ نوفمبر سنة ١٩٣٧ — ٢٧ شعبان سنة ١٣٥٦

سر التماسك الكوني

ما القوة التي تربط اجزاء الذرات ؟

قوام الذرات

تحتوي قطرة الماء على مائتي مليون مليون مليون جزيء من الماء . لم يقم أحد بأحصاء هذه الجزيئات ولكن عددها مستخرج من قسمة وزن القطرة على وزن الجزيء. ذلك أن قطرة الماء تزن ٠٠٠٠٠ر ٠٠٠٠٠٠ ر ٠٠٠٠٠٠ر٣٦٠٠ وحدة ذرية وجزيء الماء يزن ١٨ وحدة ذرية . ثم ان الجزيء لا تمكن رؤيته بأقوى المجاهر ولكن للعلماء أساليب طبيعية وكيمياوية لعزله ، وقياسه فلندخل هذا العالم الخفي عن الانظار

أطلق تياراً كهربائيًّا في إناء يحتوي ماء وإذا جزيئات الماء قد أخذت تنحل كل منها ينحل إلى ثلاثة أجزاء جزء أكسجين وجزئين إيدروجين وهذه الاجزاء هي ذرة الاكسجين وذرتا الايدروجين التي يتركب منها جزيء الماء . ثم هناك وسائل أخرى تمكن العلماء من حل هذه الذرات إلى أجزاء أصغر منها هي البروتونات والالكترونات ففي ذرة الايدروجين عدد معين منها (بروتون واحد والكترون واحد) وفي ذرة الاكسجين عدد معين منها هو غير العدد الخاص بذرة الايدروجين

وعنصر الايدروجين يستوقفنا بوجه خاص فهو على ما يظهر أكثر العناصر في الكون وذرته أبسط

الذرات تركيباً . البروتون الثقيل الوزن (بالقياس الى الالكترون) في المركز ، والالكترون خارجه وحوله . البروتون موجب الكهربائية والالكترون سالبها

هذا البروتون في ذرة الايدروجين هو نواتها . ولو أتيح لنا أن نكبر هذه الذرة حتى تصبح نواتها في حدود النظر الانساني لكان المسلك الذي يسلكه الالكترون حول النواة يبعد عنهُ ست أقدام . فذرة الايدروجين معظمها خواء والمسافة بين دقيقتيها كالمسافة بين الارض والشمس على قياس نسبي

ان بروتون ذرة الايدروجين هو ابسط ما يعرف من نوى الذرات . فهو على ما نعلم دقيقة قائمة برأسها وفي وسع العلماء أن يجردوا نوى ذرات الايدروجين من الكتروناتها ثم يطلقونها بقوة عظيمة تسير بسرعة فائقة . ولكن لم يتمكن احد حتى الآن ان يقول ان البروتون مركب ، ولذلك نسلم بانهُ لايجزأ . ثم إنهُ ثقيل الوزن فاذا وضعتهُ في كفة ميزان ووضعت في الاخرى الكترونات لوجب ان تضع ١٨٣٥ الكتروناً لكي تتوازن الكفتان . فالبروتونات تمثل قدراً عظيماً جداً من الطاقة مركزاً في حيز صغير جداً

ويبدو للباحثين انالكهربائية قوام هذهالبروتونات ليست الاَّ كهربائيةموجبة كما انالالكترون كهربائيته سالبة . ومن غريب ما يستوقف النظر ان الدقيقتين وإن تباينتا وزناً تبايناً عظيماً فان شحنة الواحدة تعدل شحنة الاخرى.ولذلك نرى ان البروتون في الذرة لا يقابلهُ الاَّ الكترون واحد مع ان وزن الاول يفوق وزن الثاني ١٨٣٥ ضعفاً . تستطيع ان تطلق على البروتون عشرات الالكترونات ولكن واحداً منها فقط يبقى ملازماً لهُ

الاَّ ان لعنصر الايدروجين نظيراً وزن ذرتهِ ضعفا وزن ذرة الايدروجين العادي . فاذا درسنا ذرة هذا الايدروجين الثقيل—وهو يدعى في اميركا دوتيريوم وفي انكلترا دبلوجين — وجدنا في الذرة الكتروناً واحداً كما في ذرة الايدروجين المألوف . فالفرق في وزن الذرتين يجب ان يكون في النواة . خذ نواة « الدوتيريوم » وحلها فماذا ترى ؟ هذه كتلة مركبة من بروتون واحد ونوترون واحد . اما البروتون فتعرفهُ . واما النوترون فدقيقة متعادلة الكهربائية أي لا هي موجبة الشحنة ولا هي سالبتها وكتلتها او وزنها اكثر قليلاً من وزن البروتون فهي لتعادل شحنتها الكهربائية لا تجذب الالكترونات ولا تدفعها

ثم ان لعنصر الايدروجين نظيراً آخر وزن ذرته يفوق وزن ذرة الايدروجين العادي ثلاثة اضعاف (وهو يدعى تريتيريوم في أميركا وتربلوجين في انكلترا) ومع ذلك فليس لذرتهِ الاَّ الكترون واحد . ولكن ان حللت نواتها وجدتها مؤلفة من بروتون ونوترونين فشحنة الالكترون الكهربائية تعدل شحنة البروتون وكل من النوترونين تتعادل الكهربائية في نفسه

ولكن اذا كان في نواة ذرة ما اكثر من بروتون واحد وجب ان يكون لتلك الذرة عدد من الالكترونات يوازي عدد البروتونات التي في نواتها . فلنأخذ الاكسجين مثالاً على ذلك وهو قسيم الايدروجين في تكوين الماء . فمعظم ذرات الاوكسجين تحتوي الذرة منها على ثمانية بروتونات وقليل منها يحتوي على تسعة بروتونات أو عشرة بروتونات. ولكن قلّب ذرة الاوكسجين كيف شئت وحلها كيف تريد فانك لا تجد فيها الا ثمانية الكترونات

فيظهر كأن هذه القاعدة ، اي قاعدة مقابلة الكترون واحد لكل بروتون حرّ في النواة ، من القواعد الاساسية في تركيب المادة ، لا يطرأ عليها تغيُّر ولا شذوذ ، وهي تصحّ على جميع ذرات العناصر من الايدروجين الى الاورانيوم

التجاذب والتدافع

ثم هناك قاعدة كهربائية اخرى ، لا محيص عنها . ذلك انهُ اذا اخذت جسماً مشحوناً شحنة كهربائية موجبة ، وآخر مشحوناً شحنة كهربائية سالبة ، جذب احدهما الآخر . اما اذا كانت كهربائية الجسمين موجبة فان احدهما يدفع الآخر . ويعود الناموس الذي يجري عليهِ هذا الجذب والدفع الى ما قبل الثورة الفرنسية والى عبقرية عالم فرنسي يدعى كولومب Charles Augustin Coulomb . ومن نتائج مباحثه الدقيقة ، انهُ كلما زاد الاقتراب بين جسمين زادت قوة الجذب او الدفع كمربّع المسافة بينهما . وهذا القانون يعرف في علم الكهربائية بقانون كولومب

أتذكر المثل الذي ضربناه لذرة الايدروجين مكبرة ؟ في مركزها النواة الصغيرة (وهي بروتون واحد) وعلى ست اقدام منها الالكترون ؟ لنفرض اننا قسنا القوة الكهربائية التي تجذب احدهما الى الآخر على تلك المسافة . ثم لنفرض اننا قربنا الالكترون حتى اصبح على بعد ثلاث اقدام من البروتون ، اي نصف المسافة السابقة . فماذا تصبح قوة التجاذب بينهما ؟ اتصبح ضعفي ما كانت ؟ كلاّ بل اربعة اضعافها . واذا قربت الالكترون حتى يصير على قدمين من البروتون اي ثلث المسافة الاولى ، زادت قوة التجاذب بينهما تسعة اضعاف

وهذا يفسّر لنا لماذا تكون سرعة الالكترونات القريبة من النواة اعظم من سرعة الالكترونات البعيدة عنا

ولكنّ هناك شيئاً غريباً . فالصلة بين البروتون الموجب والالكترون السالب تخضع لقانون كولومب . وهذا يصدق على ذرات العناصر المعقدة صدقهُ على ذرة الايدروجين البسيطة . فالكترونات ذرة الاوكسجين الثمانية ، تتحرك في مسارات حول النواة بسرعة توافق بعدها عن النواة المؤلفة من ثمانية بروتونات

ثمانية بروتونات ! ما اعجب هذا ! كيف يمكن ان تجتمع ثماني وحدات موجبة الشحنة الكهربائية في حيز ضيق صغير كحيز النواة من دون ان تتدافع ؟

هذه هي المشكلة . نعم ان نواة ذرة الاكسجين صغيرة الحجم ، لا تزيد زيادة كبيرة عن حجم نواة الايدروجين . ولكن الاعتراض ليس على وجود ثماني وحدات في حيز صغير ، بل على وجودها متلاصقة او تكاد وهي بحسب قانون كولومب يجب ان تتدافع لتشابه شحنتها الكهربائية . ان جميع الأفعال الكهربائية خاضعة لهذه القاعدة ، وقد حسب العالم الانكليزي الكبير ، فردريك صُدي ، انهُ اذا أخذنا غراماً من البروتونات ووضعناه عند أحد قطبي الارض ووضعنا غراماً آخر عند القطب الآخر ، كانت قوة الدفع بين الغرامين ، على هذه المسافة (نحو ٨٠٠٠ ميل) تعدل ضغط ٢٦ طنّاً . فاذا كانت هذه قوة الدفع العظيمة ، بين غرامين من البروتونات على بعد ٨٠٠٠ ميل ، وفقاً لقاعدة كولومب ، فانها يجب ان تكون أعظم جدًّا بين بروتونين متحاذيين حتى يكادا يكونان متلاصقين في حيز نواة ذرّية ، حيث المسافات تحسب بأعشار من مليون مليون جزء من البوصة

فبحسب قانون كولومب ، يجب ان يكون في عداد المستحيلات ، اجتماع اكثر من بروتون واحد ، في نواة أية ذرة ، واذا اتفق واصطدم بروتون ببروتون ، فقوة الدفع بينهما كافية ، لدفع أحدهما عن الآخر حالاً وبسرعة عظيمة

ولكننا ماذا نرى ؟ نرى ذرة الهليوم وفي نواتها بروتونين . فكيف لا يتدافعان ؟ وذرة الليثيوم وفي نواتها ثلاثة بروتونات . وذرة البريليوم وفي نواتها أربعة بروتونات . وذرة البورون وفي نواتها خمسة بروتونات . وذرة الكربون وفي نواتها ستة بروتونات . وذرة الاورانيوم وهي أعظم ذرات العناصر تعقيداً وفي نواتها اثنان وتسعون بروتوناً . والعناصر الاخرى بين الكربون والاورانيوم على هذا المنوال . فكيف لا تتدافع البروتونات التي في نوى هذه الذرات؟

نعم ان في نوى هذه الذرات الدقائق المعروفة بالنوترونات . ولكنها كما قدّمنا متعادلة الكهربائية لا تجذب ولا تدفع . نعم ان ذرة الاورانيوم غير مستقرة التركيب ، وهي تطلق آناً بعد آخر ، مجموعة من بروتوناتها ونوتروناتها ، فتصبح ذرة راديوم . وذرة الراديوم تتحول على هذا المنوال الى ذرة بولونيوم ، وذرة البولونيوم الى رصاص

ولكن ذرة الرصاص ذرة مستقرّة . فكيف يمكن ان تكون مستقرة ؟ ففي نواتها اثنان وثمانون بروتوناً ، وهذه البروتونات يجب ان تتدافع بقوة ، لتشابه شحنتها الكهربائية ، فلماذا لا تفعل ذلك ؟

هذه هي المفارقة ، التي ما زالت مستعصية على الحل منذ عشرين سنة . فقانون كولومب

الذي ينطبق على جو الذرة، وعلى علاقة الالكترونات بالبروتونات ، لا ينطبق على أجزاء النواة ؟ فأية قوة ، وبأي حكم ، أمهلت الطبيعة سيطرتها في ذلك الحيز الصغير ؟

الى الجواب عن هذا السؤال اتجهت سلسلة من التجارب في وشنطن سنة ١٩٣٦ فأسفرت عن وجود قوة ، أعظم قدراً من قوة الدفع التي ينطوي عليها قانون كولومب . وأعظم جذباً ، من قوة الجاذبية التي استخرج نيوتن ناموسها . فكان القوة التي بدت فيها ، لا تقوم لحقيقة طبيعية قائمة من دونها ، لا معدن ولا كربون ولا خلايا حية ولا انسان ولا أرض ولا شمس ولا سديم وبكلمة ، لولاها لما امكن ان نجد في هذا الكون شيئاً أكثر تعقيداً في بنائه من الايدروجين، وذلك لان في ذرة الايدروجين المألوف بروتوناً واحداً

هذه هي الصورة التي يخرج بها العلم من تجارب وشنطن التي اسفرت ، عن رابطة خفية تربط الكون ، وتماسك بين اجزائه من الذرات الى السدم

اكتشاف قوة عظيمة

ان طائفة غير يسيرة من المكتشفات العظيمة تمت اتفاقاً . ولكن اكتشاف هذه « القوة » التي ينطوي فيها سر التماسك الكوني ، جاء نتيجة مباشرة لتجارب دامت عشر سنوات متوالية ، وكان غرضها من البدء حل هذا اللغز العظيم

ففي سنة ١٩٠٤ انشأ معهد كارنيجي بوشنطن دائرة للبحث خاصة بالمغناطيسية الارضية . فأدرك علماء هذه الدائرة ، ان بحثهم لا بد ان يفضي بهم عاجلاً او آجلاً الى علم الطبيعة الذرية. ولكن احداً لم يتصور في ذلك العهد ، ان الذرات قوامها نواة صلدة ثقيلة وحولها الكترونات دوّارة . ومع ذلك فانهم لم يشكّوا في ان اسرار مغناطيسية الارض لا يجب ان تطلب في الارض نفسها وفي جوها فقط ، بل ايضاً في الجزيئات والذرات . اي ان العلم يجب ان يسبر غور المادة نفسها طلباً لاسرار المغناطيسية

وكان الجانب الاول من البحث مقتصراً على تبين الظاهرات المغناطيسية الكبيرة على سطوح القارات والمحيطات ووضع خرائط تبين الفعل المغناطيسي بها . ودام هذا البحث اثنتين وعشرين سنة . فلما كانت سنة ١٩٢٦ ، وضع برنامج للبحث في اجزاء الذرة والقوى السائدة هناك

عند ما شرع علماء وشنطن في وضع هذا البرنامج لبحثهم ، كان علماء الطبيعة في اوربا وكندا والولايات المتحدة الاميركية ، قد كشفوا عن حقائق كثيرة تتعلق باجزاء الذرات . وكان مما كشفوه ، هذه المفارقة الغريبة التي اطلنا في وصفها ، وهي تجاذب البروتونات وتلاصقها في النواة ، مع ان قاعدة كولومب تقضي بتدافعها وتفرقها . ولما كان علماء وشنطن

متجهين خاصة الى فهم اسرار المغناطيسية، وجدوا هذه المفارقة ، في صميم موضوعهم، وكذلك جعلوها جزءًا اساسيًّا من برنامجهم وأنشأوا بناية خاصة لبحث هذا الموضوع وصنعوا لهُ آلات خاصة

وقد اشترك في هذا البحث فريق من علماء الطبيعة المجرّبين على رأسهم المستر ميرل توف Merle A. Tuve وفريق من علماء الطبيعة الرياضيين وعلى رأسهم المستر غريغوري برايت Breit

بنيت الخطة التي جرت المباحث بمقتضاها على الاعتبارات التالية . لقد ثبت بالمشاهدة أولاً — ان البروتونات تجتمع في حيز ضيق جدًّا هو النواة . ثانياً — ان البروتونات خارج النواة تتدافع . وإذن فيجب ان يكون هنالك مسافة محدودة تتحوّل عندها وداخلها القوة التي تدفع البروتونات بعضها عن بعض ، الى قوة تجذبها بعضها الى بعض

واذن فالغرض الاول من هذه التجارب هو معرفة هذه المسافة

أما الاسلوب الذي استعمل في تحقيق هذه المسافة فهو الاسلوب المستعمل في معظم المباحث الذرية sub-atomic اي اسلوب اطلاق القذائف الدقيقة على الذرات ومراقبة نتائج الاصطدام بين الذرات والقذائف

لنفرض ان عندنا إناء ملآناً بغاز الايدروجين النقيّ . وان كثافة الغاز في الاناء قيست وعرفت . ثم يسدّد الى هذا الغاز تيار من البروتونات . فما يحدث ? انت تعلم ان نواة ذرة الايدروجين هي بروتون واحد . فكأنك باطلاقك تياراً من البروتونات على غاز الايدروجين تطلق بروتونات على بروتونات . بعض قذائفك يقترب من بروتونات الغاز، فتفعل قوة التدافع فعلها ، فترتدّ القذائف او تنحرف وتتفرق على كل حال . ولكنك تجد هذا التفرُّق عند التدقيق، منتظماً . فكما انك تستطيع ان تعرف الخط الذي تسير فيه كرة من كرات «البليار» من معرفة الزاوية التي تصيب بها الكرةُ المتحركة الكرةَ الساكنة ، كذلك يستطيع العلماء أن يعرفوا خطوط انحراف قذائف البروتونات قبل اصطدامها بالبروتونات الغازية . وقد عني الباحث الانكليزي موط Mott بدراسة تفرق البروتونات دراسة رياضية فحسب عدد البروتونات التي تنحرف من كل زاوية من زوايا الاصطدام وفقاً لقانون كولومب

فأخذ الدكتور توف وزملاؤه هذه الحقائق، وصنعوا مثالاً سويًّا لتصرف قذائف البروتونات وفقاً لقانون كولومب . فكل انحراف عن هذا المثال السويّ دليل على تخلّف القانون

ومن هنا قرر علماء معهد كارنيجي بوشنطن أن يطلقوا قذائف البروتونات على غاز الايدروجين بقوة معينة . ويلاحظوا مثال تفرقها . ثم يطلقونها بقوة اعظم ، فاعظم . وكلما زادت القوة زاد قرب القذائف المطلقة من بروتونات الغاز وزاد زخمها قدرةً على مقاومة قوة التدافع التي ينصُّ عليها قانون كولومب

كيف كشفت

فشرعوا أولاً في اطلاق قذائفهم بقوة ٦٠٠ الف ڤولط اي ان سرعة القذائف بلغت ٦٧٢٠ ميلاً في الثانية . ولاحظوا بأجهزة خاصة مثال تفرقها ، فاذا هو متفق والحساب النظري الذي استخرجهُ موط . وهذا يعني ان قانون كولومب فعّال لم يعتوره نقص او تخلف . ثم زادوا القوة الى ٧٠٠ الف فولط وسرعة المقذوفات الى ٧٢٠٠ ميل في الثانية واذا مثال التفرق لا يزال سويًّا وهو دليل على ان قانون كولومب لم يهوِ بعد . ثم زادوا القوة الى ٨٠٠ الف فولط والسرعة الى ٧٧٠٠ ميل في الثانية واذا في مثال تفرق البروتونات المقذوفة طلائع تدل على ان تغييراً بدأ يحدث عند اقتراب بروتون من بروتون ، فلما رفعت القوة القاذفة للبروتونات الى ٩٠٠ الف فولط وسرعة المقذوفات الى ٨٢٠٠ ميل في الثانية ، دلتهم أجهزتهم على وقوع شيء جديد

فبدلاً من تفرق البروتونات المقذوفة عند اقترابها من بروتونات الغاز ، بدا لهم ما يدل على ان القذائف تخطت بقوة انقذافها وزخمها ، المسافة التي يتحول عندها التدافع الى تجاذب فكأنها تغلبت على حصون القلعة ودخلتها

وقد جُربت مئات من التجارب من هذا القبيل ، وكانت النتيجة واحدة فيها جميعها — اي ان هؤلاء الباحثين تغلبوا على قوة التدافع المفرغة في قانون كولومب

هنا انتهى الجانب التجريبي من البحث ، وجمعت الحقائق التي شوهدت ودوّنت ، وارسلت الى الدكتور غريغوري برايت ، وهو عالم طبيعي رياضي ، وكان قبلاً زميلاً للباحثين ثم قبل ان يتقلد منصب استاذ في جامعة وسكنصن . عرضت عليهِ هذه الحقائق لكي يحللها ويستخرج منها نتائجها ، وكان عند ما وصلتهُ يحضر دروساً في معهد الدروس العالية بجامعة برنستن ، فاستعان بباحثين آخرين ، اشتهرا بالناحية الرياضية العالية من البحوث الطبيعية ، فخرجوا من بحثهم وتحليلهم الرياضي الى النتائج الآتية :

١ — ان المسافة التي يبطل عندها فعل قانون كولومب (اي المسافة التي يتحول عندها فعل التدافع بين البروتونات الى تجاذب) هي جزء من ١٢ مليون مليون جزء من البوصة ($\frac{1}{12000000000000}$)

٢ — ان التغير الذي يقع في علاقة بروتونين عند ما تبلغ المسافة بينهما هذا الحدُّ يمكن تفسيره بفرض قوة جاذبة تسيطر على الدقيقتين عندما تكون المسافة بينهما $\frac{1}{12000000000000}$ من البوصة أو أقل

٣ — ان مقدار هذه القوة الجاذبة التي تفعل على هذه المسافة او اقل منها بين بروتونين ، اعظم من قوة الجذب النوتوني بين كتلتي البروتونين بنحو 10^{36} مرة

٤ — ليست البروتونات وحدها خاضعة لهذه القوة بل والنترونات كذلك فيما بين بروتون ونترون او بين نترون ونترون آخر . فكأَن التجاذب بين النترونين على هذه المسافة او اقل منها ، لاصلة لهُ الاَّ بكتلتها دون شحنتهما الكهربائية وهي متعادلة كما تعلم

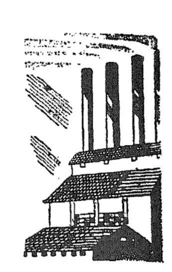
وللدلالة على مبلغ هذه القوة نضرب مثلاً . ان البروتون صغير جداً فكتلتهُ لا تزيد على $\frac{1}{600,000,000,000,000,000,000,000}$ من الغرام . والغرام جزء من ٤٥٤ جزءاً من الرطل (Pound) ومع ذلك فان بروتونين موجودين على هذه المسافة يجذب احدهما الآخر جذباً يساوي ضغطاً يتباين من عشرة أرطال الى خمسين رطلاً . ولو بلغت قوة الجذب النوتونية هذا المبلغ لكان وزن ريشة على سطح الارض بلايين من الاطنان

الطاقة الذرية

اذا اصطدمت بروتونات أو نترونات حرَّة بنواة ذرَّة بقوة كافية تمكنها من تخطي الحد الذي تتحول عنده قوة التدافع الى قوة التجاذب ، اندمج البروتون او النترون الحرّ في النواة التي يصطدم بها على هذا المنوال . ولكنهُ في خلال فعل الاندماج ، يتحول جانب يسير من كتلته الى طاقة . وكذلك تكون النواة أخف قليلاً من مجموع اوزان اجزائها . لان كل جزء منها يكون اخف قليلاً بعد اندماجهِ منهُ قبلهُ . فاذا اوزن بروتون على حدة بلغ وزن ١٫٠٠٨١ ، واذا وزن نترون على حدة بلغ وزنه ١٫٠٠٩١ ومجموع وزنهما ٢٫٠١٧٢ ولكنهما اذا اندمجا فتألفت من اندماجهما نواة ذرة من الايدروجين الثقيل كان وزن النواة ٢٫٠١٤٧ وهو أقل من مجموع وزن الوحدتين بـ ٠٫٠٠٢٥ وهذا الوزن يمثل قدر الكتلة الذي تحول طاقة في عمل الاندماج . ويؤخذ من الحساب الطبيعي الرياضي أنهُ اذا تحوّل هذا القدر من الكتلة الى طاقة كان مقدار الطاقة ٢٫٢٠٠٠٠٠ ڤولط . ويؤيد هذا ان فصل النترون عن البروتون في نواة الايدروجين الثقيل يقتضي قذيفة منطلقة بطاقة ٢٫٢٠٠٠٠٠ ڤولط

هنا سرٌ ما يعرف بالطاقة الذرية التي يرنو العلماء الى السيطرة عليها ، وهم يزعمون انهم اذا سيطروا عليها، تمكنوا من ان يستخرجوا من ماءٍ يملأ كوبة عادية طاقة تكفي لدفع سفينة كبيرة من سواحل أوربا الى سواحل اميركا

الاَّ ان إطلاق هذه الطاقة من نوى الذرات واستعمالها ، لايزال في رأي العلماء — على ما جاء في مقال نفيس في هاربرز للكاتب العلمي الاميركي جورج غراي وعليهِ اعتمدنا في كتابة هذا المقال — هدفاً بعيداً جداً



الحديد وصناعته

في مصر

للدكتور حسن صادق بك

مدير المساحة والمناجم والمحاجر(١)

تاريخه القديم في مصر

الحديد كعنصر مستقل غير متحد بعناصر اخرى قليل الوجود في الطبيعة . وما يوجد منهُ خالصاً اما قطع صغيرة منتشرة في بعض الصخور البركانية واما من النيازك او الشهب التي تهبط الى سطح الارض من السماء . وعلى الضد من ذلك مركبات الحديد ولاسيما اكاسيده فهي كثيرة الانتشار في الصخور المكونة للارض

ولما كان الانسان في عصوره الاولى غير عالم بسر استنباط المعادن واستخلاصها من خاماتها فكان عليهِ ان يعتمد في صناعة آلاتهِ للصيد وللدفاع عن نفسهِ على ما يصادفهُ من مواد صلبة تصلح لصنع هذه الآلات . فكان اول ما لجأ اليهِ بطبيعة الحال الاحجار كالصوان وغيره ومكث دهوراً طويلة لا يعرف سوى الآلات الحجرية

على انهُ وقد ارتقى في سلم المدنية وبدأ يترك حياة الصياد الهائم على وجهه ويأتلف في جماعات زراعية تأوي الى اماكن ثابتة حملتهُ الحاجة الى آلات مختلفة الاشكال والاغراض ، على البحث عن مواد تجتمع فيها الصلابة بقابلية التهذيب فاكتشف النحاس وتعلم استخراجه من خاماته ثم سرعان ما وفق الى العثور على سر صناعة البرونز وهو خليط من النحاس والقصدير فكان توفيقه هذا خطوة واسعة نحو تقدم مختلف الصناعات فارتقى درجات عديدة في سلم المدنية

ومدنية المصريين القدماء هي بحق مدنية برونزية او بقول اصح مدنية نحاسية اذ انفرد المصريون دون غيرهم من الامم بالوقوف على سر سقاية النحاس وتقسيتهِ بطريقة تجعله من الصلابة بحيث يصلح لصنع كافة الادوات والآلات التي تتطلب متانة وصلابة خاصة

---

(١) من المحاضرة العلمية الاقتصادية النفيسة التي القاها في المجمع المصري للثقافة العلمية

اما الحديد فلندرة وجوده خالصاً في الطبيعة لم يتجه الانسان القديم الى استعماله ومع انتشار خاماته فان استنباطه منها لم يكن بالسهولة التي للنحاس علاوة على ان تهذيبه بعدذلك غير مستطاع الا" اذا حول الى فولاذ وطرق وهو في حرارة الاحمرار

كل ذلك مما كان يتطلب من الانسان القديم جهوداً لم يكن له قبل بها فتأخر استعمال الحديد عن النحاس آلافاً من السنين

وقد يتعذر علينا ان نقرر على وجه التحقيق الزمن الذي بدأ فيه الانسان استعمال الحديد ولا العصر الذي وقف فيه على سر استنباطه من خاماته . والشواهد من آثار مصر القديمة غامضة غموضاً كبيراً في هذه الناحية

ومن اقدم ما عثر عليه من قطع الحديد بعض حبيبات من (الخرز) في حفائر جرزة بمديرية الجيزة التي ترجع الى ما قبل تاريخ الاسرات المصرية الاولى وقد اثبت تحليلها الكيماني انها من حديد النيازك لاحتوائها على نسبة مرتفعة من النيكل

يلي ذلك قطع من آلات حديدية وجدت في آثار بعض الاسرات القديمة على أن صحة انتسابها لما وجدت فيها من آثار محل تشكك من اغلب علماء الآثار فنرى ان نضرب صفحاً عنها . وقد وجدت بين الآثار التي كان يحتويها قبر توت عنخ آمون بعض آلات حديدية منها خنجر ومسند مصغر للرأس وعين ضد الحسد مصنوعة في سوار من ذهب واسلحة صغيرة رقيقة ذات ايد خشبية يبدو ان قيمتها كانت دينية اذ لا يعقل انها كانت ذات فائدة عملية تذكر. ولم يحلل حديد هذه الآلات المختلفة فلا يمكن البت في هل صنعت من حديد النيازك او من حديد مستخلص من خامات ارضية والغالب انها كانت مستوردة من الخارج

ومنذ نهاية الاسرة الثامنة عشرة التي كان توت عنخ آمون من اواخر ملوكها زادت الاشياء المصنوعة من الحديد بين آثار المصريين القدماء حتى اذا وصلنا الى الاسرة السادسة والعشرين حوالي سنة ٦٠٠ قبل الميلاد شاع استعمال الحديد شيوع النحاس والبرونز واستمر الحال حتى اذا جاء عام ٢٥٥ قبل الميلاد وجدنا ان الحديد قد أصبح بالكثرة التي سمحت باستعماله في اعمال المحاجر

واذ تعلم أن ملوك الاسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة كانوا قد قاموا بغزوات موفقة الى الشام وغرب آسيا فلا عجب أن يكونوا قد مهدوا الطريق لتسرب الحديد الى مصر من مواطنه في تلك البلاد . وفي ذلك ما يشير الى ان استعمال الحديد قد بدأ في تلك البلاد قبل أن يستعمله المصريون

أما عملية استخلاص الحديد من خاماته فقد اثبت العالم الاثري الاستاذ فلندرز بيتري ان في نوقراتس بشمال الدلتا الغربي كانت هذه الصناعة قائمة حوالي القرن السادس قبل الميلاد ويغلب على الظن ان الخام الذي كان يستعمل لذلك مما استورد من وراء البحار . على انهُ بعد ان

دخلت مصر في حكم الرومان وكانوا يميزون خامات الحديد ويعلمون سر استنباط الحديد منها فالدلائل متوفرة على أنهم كانوا قد استغلوا بعض خامات الحديد بالصحراء الشرقية لصناعة ذلك المعدن . على أنها صناعة أهملت بعد ذلك إلى وقتنا هذا

خامات الحديد في مصر

تكثر خامات الحديد في الصحاري المصرية وعلى حالات مختلفة وسنأتي على ملخص لاهم هذه الخامات

(اولاً) — ﴿في شبه جزيرة سينا﴾ يوجد اوكسيد الحديد مختلطاً باكاسيد المنجنيز في مساحة واسعة تبلغ نحو ٢٠٠ كيلو متر مربع واقعة على مسافة ٢٠ كيلو متراً من شاطئ خليج السويس وعلى مسافة ١٢٠ كيلو متراً جنوبي مدينة السويس. والمنطقة التي يوجد بها هذا الخام هي عبارة عن هضبة تعلو عن سطح البحر بنحو ٦٠٠ متر تقطعها اودية عميقة وعرة المرتقى وصخورها من الحجر الرملي تتخللها طبقة من الحجر الجيري وفي أسفل هذه الطبقة الجيرية الخام الحديدي المنجنيزي

والخام في بعض اجزائه مجموعة من اكاسيد المنجنيز الخالصة وفي البعض الآخر أكاسيد الحديد وفي غالبية المنطقة هو خليط من الاثنين معاً

هذه الخامات تستغل الآن على نطاق واسع في الجزء من المنطقة الواقع حول نقطة ام بجمة باعتبار أنها خام المنجنيز . وفي الواقع فان الشركة القائمة بهذا الاستغلال تقصر إستغلالها على الانواع التي تحتوي نسبة مرتفعة من المنجنيز تاركة وراءها على الاقل في الوقت الحاضر خامات الحديد . وقد وصلت الشركة مناجمها بخط من السلك المعلق على أبراج من الحديد عبر هذه المنطقة الوعرة الى سفح الجبال ومنها بخط سكة حديدية الى ميناء ابي زنيمة حيث المرفأ الذي تصدر منهُ الى الخارج . واذا إقتصر النظر حتى الآن على اعتبار هذه الخامات لمعدن المنجنيز فانها كما قدمنا مصدر محتمل لخام الحديد في المستقبل

فيما عدا هذا فقد أشار الدكتور هيوم المستشار الجيولوجي للحكومة المصرية الى وجود عروق من المرو في بعض الجبال القائمة في جنوب شبه جزيرة سينا تحتوي على خام الحديد وقد حللت بعض نماذج منهُ فظهر ان بها نسبة تختلف من ٩٦ في المائة الى ٥٩ في المائة من أوكسيد الحديد . على انهُ لايمكن إعتبار تلك المنطقة مصدراً لخام الحديد الا بعد ان تبحث بحثاً مستفيضاً للتعرف على مقدار ما تحتويه منهُ ومتوسط ما بها من معدن الحديد نفسه

ثانياً — ﴿الصحراء الغربية﴾ توجد أكاسيد الحديد والمغرة الحمراء والصفراء في أغلب الواحات الواقعة بصحراء لوبيا وقد تكون اغناها جميعاً الواحة البحرية . فهناك رواسب من خام أوكسيد الحديد الاصفر (الليمونيت) والاحمر مختلطة باحجار رملية تدل اوصافها واوضاعها

الجيولوجية على أنها رسبت في قاع بحيرة كانت تمتد فوق تلك المنطقة في أحد العصور الجيولوجية الحديثة . وقد حللت منها بعض النماذج فظهر أن الخام الاصفر يحتوي ٨٤ في المائة من أوكسيد الحديد وهو ما يساوي نحو ٥٨٫٨ ./. من معدن الحديد بينما الاحمر يحتوي ٥٨٫٧ في المائة من أوكسيد الحديد بما يساوي ٤١٫٠٧ في المائة من المعدن نفسه

وقد قدر الدكتور هيوم مجموع ما بالواحة البحرية من هذه الرواسب الحديدية بنحو ٩ ملايين متر مكعب على ان المسألة في حاجة الى بحث أدق للوقوف على حقيقة إمتداد هذه الرواسب ومتوسط نسبة ما بها من حديد . وعلى العموم فان مثل هذه المنطقة لا يمكن اعتبارها — على الاقل في الوقت الحاضر — من المناطق التي لها قيمة اقتصادية كبيرة إذ تعوزها طرق المواصلات الى البلاد المعمورة وإنشاء مثل هذه الطرق مما يكلف نفقات كبيرة قد لا تتناسب مع قيمة هذه الخامات.واذا لم تكن صالحة للاستغلال على اساس صناعة الحديد نفسها فقد يجد القائمون بصناعة الالوان والاصباغ في بعض الاكاسيد الحمراء والصفراء في تلك الواحة مورداً لبعض حاجتهم وقد يكون في مستطاعهم في هذه الحالة تحمُّل تكاليف النقل بالسيارات اذ المقادير قليلة وسعر الاصباغ اعلى كثيراً من سعر الحديد

كذلك توجد في الواحتين الخارجة والداخلة رواسب من أكاسيد الحديد والمغرة ذات الوان ساطعة يقدرها صانعو الاصباغ وقد أقبلوا للحصول عليها اقبالاً كبيراً في السنين الاخيرة

ويفسر وجودها في تلك الواحات على اساس أنها رسبت من المياه الارتوازية التي تتفجر من عيون في مختلف نواحيها . ولما كانت هذه المياه الارتوازية تخترق في صعودها من باطن الارض الى سطحها طبقات من الحجر الرملي الذي يحتوي اكاسيد الحديد فانها تحملها معها وترسبها على السطح نقية نظيفة دقيقة الحبيبات جدًّا . وقد علمت من بعض المشتغلين بهذه الصناعة ان هذه الاكاسيد هي من الجودة بحيث لا يستعملونها بمفردها الاّ نادراً والاغلب ان تضاف الى اصناف اقل جودة منها لتحسين نوعها

(ثالثاً) — ﴿ في الصحراء الشرقية ﴾ الواقعة بين شواطيء البحر الاحمر ووادي النيل . هنا توجد خامات الحديد في نقط عديدة وعلى صور مختلفة بقدر اختلاف التكاوين الجيولوجية في تلك الصحراء الواسعة . وسنقتصر على الاشارة الى بعض هذه النقط التي يوجد بها الحديد بشيء من الايجاز

١ — عند السفح الشرقي لجبل الجلالة البحرية حيث يوجد خام الحديد متخللاً الطبقات الحجرية الرملية في نفس الوضع الجيولوجي الذي توجد فيه خامات الحديد والمنجنيز في المنطقة المقابلة لها من شبه جزيرة سينا

على أن هذه الخامات لم تحظ حتى الآن بأي عناية من البحث إذ ما ظهر منها لا يغري بهذا البحث علاوة على أن التحليل الكيمائي اظهر انها تحتوي ٣٣ في المائة من اوكسيد الحديد أو ما يساوي نحو ٢٣ في المائة من معدن الحديد

٢ — ﴿وادي العرب﴾ على مسافة ٦٠ كيلو متراً من شاطىء خليج السويس توجد عروق من المرو تحتوي معدن أوكسيد الحديد على صورة قشور رقيقة لامعة غنية بمعدن الحديد وقد أظهر التحليل الكيمائي انها تحتوي حوالي ٧٨ في المائة من الاوكسيد وهي لذلك منطقة خليقة بالبحث للوقوف على مقدار صلاحيتها للاستغلال

٣ — ﴿وادي ابو غصون﴾ على مقربة من بئر رنجة على مقربة من شاطىء البحر الاحمر على مسافة ٣٠٠ كيلو متر جنوب مينا القصير. على جانب هذا الوادي توجد بعض الجبال تحتوي مقداراً كبيراً من الخام المعدني اظهر تحليل نموذج منهُ ان بهِ ٨ر٥٥ في المائة من اكسيد الحديد. ونظراً الى قرب هذه المنطقة من شاطىء البحر والارتفاع الكبير في اسعار خام الحديد في الوقت الحاضر فقد تنال هذه المنطقة بعض العناية من البحث في وقت قريب

الحديد في اسوان

وقد تكون هذه المنطقة اهمها جميعاً لاسباب ثلاثة: اولاً — لاتساع مساحتها . ثانياً — لانها تستغل الآن بعض الاستغلال لصناعة الاصباغ . ثالثاً — لاشتداد الاهتمام بتوليد القوى الكهربائية من مساقط الماء بخزان اسوان

ومع ان الدكتور هيوم كان قد أشار عام ١٩٠٩ الى وجود أكاسيد الحديد في الاحجار الرملية قرب أسوان إلاَّ ان فضل اكتشاف هذه المنطقة الكبرى وإقامة البرهان العملي على امكان الاستفادة من خام الحديد بها من صناعة الاصباغ يرجع الى جهود صديقنا المهندس المصري لبيب افندي نسيم . وقد حفظت له الحكومة حق البحث في المنطقة منذ عام ١٩٢١ حماية لصناعة الاصباغ التي كان قد بدأها والتي بلغت شأناً لا يستهان به وان كانت في حاجة كبيرة الى التشجيع والانماء

هذه المنطقة الواسعة تمتد من حافة الصحراء شرق اسوان الى خمسين كيلومتراً في الصحراء الشرقية بعرض متوسطه ٢٠ كيلو متراً من الشمال للجنوب . وقد قامت مصلحة المناجم والمحاجر عام ١٩٣٢ لما قام لبيب افندي نسيم وبعض الممولين الآخرين بفحص هذه المنطقة للتعرف على مقدار ما بها من خام الحديد وتقرير صلاحيته لمختلف الاغراض الصناعية . وسألخص النتائج التي انتهت اليها هذه الابحاث المختلفة فيما يأتي :

(١) تقدر المساحة التي بها الخامات بما يقرب من ٥٠٠ كيلو متر مربع

(٢) المنطقة عبارة عن هضبة يتراوح منسوبها ما بين ١٥٠ متراً و ٣٥٠ متراً فوق منسوب البحر مع ملاحظة ان منسوب وادي النيل عند اسوان حوالي ١٠٠ متر . وهي على العموم منبسطة السطوح فيما عدا الوديان التي تقطعها والتي يبلغ متوسط عمقها حوالي ٢٠ متراً من سطح الهضبة

(٣) يقطع المنطقة من الشرق الى الغرب واديان كبيران هما وادي ابي صبيره في الشمال ووادي ابو عجاج في الجنوب ولهما روافد عديدة تمتد شمالاً وجنوباً مما يجعل من السهل ايجاد طرق للمواصلات بين مختلف اجزائها

(٤) يوجد خام الحديد في عدة طبقات رقيقة يختلف سمكها في مختلف النواحي من بضعة سنتمترات الى متر ومترين تقريباً في بعض الاحيان. وهي طبقات تتخلل طبقات الحجر الرملي الافقية الوضع تقريباً

(٥) وتختلف طبقات الخام من حيث نوعها فبينما بعضها عبارة عن حجر رملي مشبع باوكسيد الحديد فالبعض الآخر وهو الاهم مكون من حبيبات كروية من اوكسيد الحديد الاحمر متماسكة بعضها مع بعض بمسحوق من نفس المعدن. هذه الطبقات المكونة من حبيبات أوكسيد الحديد هي التي تهمنا في هذا البحث لكبر نسبة اوكسيد الحديد بها. أما الطبقات الرملية فان نسبة ما بها من الأوكسيد ضعيفة للحد الذي يخرجها من حسابنا على الأقل في الوقت الحاضر

(٦) أما التحليل الكيمائي لهذه الطبقات المحببة فيختلف اختلافاً كبيراً من مكان لآخر بين ٥٤ في المائة من الاوكسيد وهو ما يوازي ٤٠ في المائة من معدن الحديد نفسه الى ٨٨ في المائة من الاوكسيد وهو ما يوازي ٦٠ في المائة تقريباً من معدن الحديد نفسه. ويمكننا على العموم أن نعتبر الخام في المتوسط على اساس انهُ يحتوي على ٧٥ في المائة من الاوكسيد وهي نسبة تجعله في مستوى الكثير من الخامات الحديدية المستعملة في صناعة الحديد في شمال فرنسا وفي بعض اجزاء الولايات المتحدة . وقد اجريت تحاليل كيمائية كاملة شملت عدداً كبيراً من النماذج

والذي يهمنا في هذه التحاليل (أولاً) ارتفاع نسبة الحديد المعدن نفسه . (ثانياً) انخفاض نسبة السليكون. (ثالثاً) ارتفاع نسبة الفصفور قليلاً . (رابعاً) انعدام الكبريت

وجميعها صفات ملائمة لحد ما ماعدا نسبة الفصفور التي تتعارض مع استعمال الوسائل لاستنباط الحديد نفسه ولو أن هناك وسائل اخرى لايضيرها وجود الفصفور

(٧) أما مقدار الخام فهو من المسائل التي لا يمكن تقريرها نهائيًّا اذ ان البحوث العملية التي اجريت لا يمكن الاعتماد عليها في اعطاء رقم دقيق. وقد قدرها بعضهم تقديراً تقريبيًّا كما يأتي

٨٤ مليون طن من الخام الظاهر المؤكد الوجود

٢٦٠ مليون طن من الخام المحتمل الوجود تبعاً لتقديرات علمية صحيحة

٣٤٤ مليون طن

وهذا عدا ما يرجى وجوده بعد تقدم البحث العملي والاستغلال. ولا أريد ان اقرر قبول هذه الارقام أو رفضها ولكني على كل حال اوافق على أن المقدار كبير جداً وهو بالقدر الذي يحتمل قيام أي عملية استغلالية لمدة طويلة جداً . وإن نجاح أو اخفاق مثل هذه العملية لا يكون سببها جهل مقدار الخام

(٨) ان وجود مقدار كبير من الخام على السطح أو قريباً من السطح يجعل الاستغلال في أول الامر سهلاً وحتى عند الاضطرار الى الحفر في باطن الارض فان انتظام الطبقات ووضعها الافقي ووجود طبقات من الصخور المتماسكة فوق طبقة المعدن كل ذلك مما يجعل عملية التعدين نفسها عملية بسيطة سهلة اذا قيست بما يقابله مهندسو المناجم عادة من الصعوبات من جراء ميول الطبقات او العروق المعدنية . كذلك يساعد جفاف المنطقة وعدم الخشية من وجود ماء داخل المناجم على تسهيل عملية الاستغلال

(٩) أما النقل من المنطقة الى وادي النيل فيقتضي مد خط سكة حديدية او سلك معلق وهي على كل من العمليات العادية في مثل هذه الحالات ومتوسط المسافة من وسط المنطقة الى النيل هو ٢٠ كيلو متراً تقريباً . والآن وقد قدرنا مساحة المنطقة ومقدار ما بها من خام الحديد وأوضحنا نوع هذا الخام وقررنا سهولة استغلاله ونقله فما الذي يمكن ان نستفيده من هذا الخام

وجوه الاستعمال

(اولاً) — ﴿استعماله في صناعة الاصباغ﴾ وقد قام البرهان العملي على صلاحه لهذا الغرض وقد ملأ اسواق القطر المصري ولا يبقى الآن ان يمهد له السبيل من الناحية المالية والفنية لغزو الاسواق الخارجية

(ثانياً) — ﴿تصديره خاماً لطالبي خامات الحديد في الخارج﴾ وقد بحثنا هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً وكانت اذ ذاك اسعار الحديد في الخارج في اوطأ مستوى وصلت اليه في السنين الاخيرة . فوجدنا انهُ بينما الخام المصري يكلف حوالي ٢٢ شلناً من نفقات تعدين ونقل من المناجم الى اسوان ثم من اسوان بالسكة الحديدية او النيل الى الاسكندرية ومنها الى ميناء اوربي في انكلترا مثلاً ، اذ كانت اسعار الخامات المماثلة لا تزيد عن ١٤ شلناً

ولا شك ان الحال قد تغيرت الآن خصوصاً بعد اندفاع جميع الامم نحو زيادة التسلح مما رفع اسعار الحديد بما تزيد عن ٥٠ في المائة من اثمانها وهو ما يؤدي بطبيعة الحال الى رفع اسعار الخامات والتي يزيد في ارتفاعها اقفال مورد من اهم موارد خامات الحديد ألا وهي اسبانيا بسبب حالة الحرب التي تسودها الآن . على ان هذا الارتفاع غير عادي ولا ينبغي البت في مشروع يتطلب نفقات طائلة مع العلم ان نجاحهُ لا يضمن الا ببقاء هذه الحالة غير الطبيعية

(ثالثاً) — ﴿ استغلال الخام في صناعة الحديد والصلب في القطر المصري ﴾ وهذه هي الوسيلة التي اذا تحققت وكان تحقيقها متفقاً مع القواعد الاقتصادية السليمة كان لنا في هذه الخامات مصدراً جديداً من مصادر الثروة الاهلية وكفانا مؤونة استيراد الحديد والفولاذ لصناعاتنا الحالية وأفضى الى قيام صناعات جديدة ودفع عنا غائلة المجاعة في هذه المواد في اوقات الحروب

وربما كان من واجبي ان آتي على موجز عن كيفية تحضير الحديد والفولاذ قبل ان نخوض مسئلة احتمال قيام هذه الصناعة في مصر وتقرير الاسس التي يجب ان تقوم عليها

فاستنباط الحديد من خاماته يقتضي تسخين هذه الخامات لدرجة مرتفعة من الحرارة لاختزال الاوكسيد . وترك المعدن المنصهر فيصب في قوالب تعرف بتماسيح الحديد الظهر (pig-iron) وهو في هذه الحالة يكون مختلطاً بعناصر غريبة كالكربون والسيليس والمنجنيز (والفصفور وغيرها مما تجعله قليل المقاومة سهل القصم غير قابل للطرق وهو ما يستعمل للحديد الظهر المعروف في السباكة . وتحويل هذه المادة الى الصلب او الفولاذ يقتضي اعادة وضعه في افران خاصة للتخلص من الكربون وتكوين الصلب

ولهذه العمليات وسائل تختلف بمقدار اختلاف انواع الخامات ولا محل لذكرها الآن

هذه العمليات تحتاج الى وقود اما الفحم الحجري وإما الفحم الكوك وإما الفحم البلدي (فحم الحطب) وإما الى الغازات البترولية او الطبيعية

ولما كانت بلادنا تعوزها هذه المواد جميعاً فلا الفحم الحجري معروف وليست لنا مصانع تنتج الفحم الكربون وليست لدينا غابات تمكننا من صناعة فحم الحطب كما ان مناطق البترول حيث الغازات قد تكون متوافرة ، بعيدة جداً عن مواطن خام الحديد. فقيامنا على صنع الحديد والفولاذ محلياً على اساس استعمال اي نوع من انواع الوقود معناه استيراد هذا الوقود من الخارج ونقل الخام من اسوان الى نقطة متوسطة كالقاهرة مثلاً مما يجعل كلفة الصناعة بحيث تزيد عما يمكننا ان نستورد به الحديد والفولاذ في الاوقات العادية

وقد قام بدرس هذه المسئلة الخبير الكيماني لوزارة التجارة والصناعة ولم يتردد في ان يقرر ان الاقدام على مثل هذه الصناعة على هذ الاساس مصيره الحبوط المحقق. كما ان الدكتور عباس محبوب الكيميائي بمصلحة السكة الحديد قدر تكاليف انتاج الطن من الحديد الظهر الذي يصنع بالقاهرة بنحو ٣٨٣ قرشاً بينما يستورد عادة بأقل من ذلك. على اني رغم ذلك اخشى ان يظهر التمحيص الدقيق ان الفرق على كل حال لا يشجع على الاقدام على صناعة الحديد في مصر على اساس

استيراد الفحم من الخارج ولا سيما اذا لاحظنا ان ليس بمصر نفسها من الفنيين او العمال من يفهم صناعة الحديد مما يتحتم معهُ استقدام المهندسين والفنيين بل وحتى بعض رؤساء العمال وبعض العمال انفسهم وكل ذلك مما يزيد في نفقات الانتاج على الاقل في بدء الصناعة

﴿ صناعة الحديد والصلب بالكهرباء ﴾ على ان هناك بارقة أمل في الافق ذلك ما نراه من زيادة الاهتمام بمشروع هو في نظرنا من اكبر المشروعات الحيوية الصناعية في هذه البلاد ألا وهو توليد الكهرباء من مساقط الماء في خزان اسوان . والكهرباء قد أصبحت من الوسائل التي تستعمل في صناعة الحديد والفولاذ

على الرغم من ان استعمال الكهرباء في استنباط الحديد من خاماته وصناعة الصلب من تماسيح الحديد لم تبدأ الاّ في السنين الاخيرة الاّ انه خطا خطوات واسعة وصممت لذلك افران كهربائية مختلفة تعالج مختلف اصناف الخامات وقد أصبح الفولاذ الناتج بالطرق الكهربائية يعادل أجود انواع الصلب التي تصنع بالوسائط الاخرى. وقد قام البرهان على انهُ حيث سعر توليد الكهرباء رخيص فان تكاليف انتاج الفولاذ بالكهرباء تكون اقل كثيراً من تكاليف انتاجه على اساس استعمال الوقود وهذا مع الاحتفاظ بجودة الصنف

فاذا علمنا ان الذين يبحثون موضوع توليد الكهرباء من مساقط الماء باسوان يقدرون تكاليف توليدها بما يقل عن ربع مليم للكيلوات فقد اصبحت هذه الصناعة في حيز المعقول . ولا نقول ان ما تم من البحث كافٍ لوضع الاسس النهائية التي تقوم عليها الصناعة بل كل ما نريد ان نقرره ان هذه البحوث الابتدائية تشجع على الاستمرار في بحث المسألة بحثاً جديًّا وتحتم على القائمين بأمر تدبير الكهرباء من خزان اسوان ان يولوا هذه الصناعة عنايتهم الجدية فلا يتركونها من حسابهم . هذا ولا يخفى ان مثل هذه الصناعة اذا اريد انشاؤها على أساس الكهرباء المولدة من خزان اسوان تحتاج الى عناية فنية وخبرة عملية خاصة فيجب تحقيقاً لنجاحها ان توضع في الايدي التي يمكن ان تتعهدها بكفاءة تضمن لها النجاح . هذا ومن حسن التوفيق ان يكون في مصر أغلب المعادن التي تلزم لصناعة الاصناف الخاصة من الصلب

فالمنجنيز والكروم والتنجستن والموليبدينوم والنيكل وجميعها من المعادن التي تخلط بالحديد في صناعة أنواع من الصلب بعضها يمتاز بصلابتهِ والبعض يمتاز بعدم قابليته للصدإِ وهلمَّ جرًّا جميع هذه معادن موجودة بمصر وبعضها في حالة استغلال. فاذا وجد ان صناعة الصلب نفسها صناعة ممكنة في اسوان فان الاستعانة بهذه المعادن قد تكفينا مؤونة استيراد حتى الانواع الخاصة من الصلب . والله ارجو ان يوفق العاملين على احياء الصناعات في مصر احسن التوفيق

رذرفورد

Lord Rutherford

أوّل من حوّل العناصر بعضها الى بعض

من المسلَّم به بين اصحاب الرأي العلمي ان اللورد رذرفورد كان عند وفاته في ٢٠ اكتوبر الماضي امير علماء الانكليز العاملين واكبر عالم طبيعي مجرِّب experimental scientist في هذا العصر . وقد وصفهُ العلاَّمة الدنماركي نيلز بوهر بقوله ان « نشاطهُ فذٌّ ولا ينضب معينهُ » . فوفاتهُ وهو في منتصف العقد السابع خسارة علمية باعتراف اساتيذه واقرانه وتلاميذه

روى الدكتور كارل كمطن مدير معهد ماستشوستس الصناعي ، انهُ عهد اليه في خلال الحرب الكبرى في ان يعرض على خبراء الانكليز والاميركيين جهازاً كان الفرنسيون قد اخترعوهُ لمعرفة مواقع الغواصات . وكان رذرفورد احد خبراء الانكليز . فبعث بكلمة الى الاستاذ بمستد يقول انهُ يعتذر عن تأخره ، بوجوب البقاء في معمله قليلاً لاتمام تجارب كان قد بدأها ، ويظن انهُ استطاع ان يشطر بها نواة ذرة الايدروجين شطرين . وانهُ اذا صحَّ ذلك فهو أهم من الحرب . ولكنهُ ، وهو العالم الحذر طلب ان لا يذاع نبأ هذه التجارب ، لانهُ لم يتثبت بعدُ من تفسير النتائج التي توصل اليها . وقدكان حذرهُ في محله ، لان البحث اثبت ان رذرفورد لم يشطر نواة الايدروجين في تلك التجربة بل قذف البروتونات من ذرات النتروجين والالومنيوم وغيرها من العناصر الخفيفة ، فكان بذلك اول انسان ادرك الطريقة التي تحوّل العناصر بعضها الى بعض

وُلد رذرفورد في زيلندا الجديدة وتلقى العلوم في معاهدها . فلما اتمَّ دراستهُ الجامعية في وطنه ، كانت جامعة كمبردج قد ابتدعت بدعة جديدة . ذلك انها قرّرت ان تقبل في عداد الطلاب الباحثين ، خريجي الجامعات الاخرى ، في انكلترا او خارجها ، فكان اول من انتظم فيها وفقاً لهذا النظام الجديد ، رذرفورد ، وقد اتاها من زيلندا الجديدة ، وتونزند ، وقدجاءها من كلية ترنتي بدبلن عاصمة ارلندا . وصلا الى كمبردج في يوم واحد من أيام اكتوبر ١٨٩٥ ولو ان مجلس الجامعة أراد ان يتخيَّر انبغ الطلاب ، ليدل باختيارهم على فائدة النظام الجديد ، لما استطاع ان يتخير طالبين أنبغ من رذرفورد وتونزند

وما كاد رذرفورد ينتظم في قسم المباحث الطبيعية بجامعة كمبردج حتى جدّد عنايتهُ ببحث كان قد بدأه وهو في زيلندا الجديدة ، يدور على اتقان طريقة جديدة لاكتشاف الاشعة اللاسلكية . كان قد وجد أن ذبذبة التيارات الكهربائية ، تحدث نقصاً في مغناطيسية سلك فولاذي ممغنط ، وان التيارات الكهربائية التي تحدثها أمواج الراديو ، يمكن اكتشافها أو تبينها بأثرها في الاسلاك الفولاذية الممغنطة . وقد تمكنت جامعة كمبردج بهذه الطريقة من احراز قصب السبق في التقاط الاشارات اللاسلكية على أبعد مدًى معروف حينئذٍ وكان ميلين !

كان العلاَّمة جوزف طمسن مدير المعمل قد راقبهُ في المعمل ، فرأى بأية لباقة وبراعة يجرب التجارب العلمية ، فدعاهُ لمساعدته في تجاربهِ بامرار التيارات الكهربائية في الغازات

كانت الاشعة السينية قد اكتشفت على يدي رنتجن في السنة التي انتظم فيها رذرفورد في جامعة كمبردج . فهالهُ ما انطوت عليهِ من العجائب وأدهشهُ فعلها في اظهار عظام الجسم ، وتصويرها صوراً لاجسام تحجبها ألواح من الفولاذ . هذه ظاهرة طبيعية جديدة لا تمتُّ الى طبيعة القرن التاسع عشر بصلة . فأقبل عليها العلماء ، بنشاط عجيب يبحثون خواصها العجيبة

وكان من أشهر ما اتصفت بهِ ، ان اختراقها للهواء يكهرب الهواء ، أي يجعلهُ موصلاً جيداً للكهربائية . وقد لا نغالي ، اذا قلنا ان هذه الخاصة من خواصها ، كانت من أبعد الظاهرات الجديدة المتصلة بها ، اثراً في ارتقاء علم الطبيعة الحديث

كان من المتعذر على العلماء ، او بالحري من أشق الامور عليهم ان يكهربوا الهواء . فلما اكتشفت الاشعة السينية سهل ذلك عليهم . فعمد طمسن حال اكتشافها الى استعمالها في مباحثهِ التي تدور على سير التيارات الكهربائية في الغازات ، وعهد الى رذرفورد في مساعدتهِ . فمهَّد بذلك الطريق الى اكتشاف الالكترون سنة ١٨٩٧

في خلال هذه السنوات الثلاث ، عبَّ رذرفورد قواعد العلم التي وضعها أعلام معمل كافندش ، فتحوَّل من مجرَّد باحث علمي الى باحث خمير الرأي

وكان من آثار الاشعة السينية ، عدا ما تقدم ، انها كانت سبيلاً الى اكتشاف ظاهرة الاشعاع . ذلك انهُ بعد ما أعلن رنتجن اكتشافهُ ، أخذ العلماء يبحثون عن أشعة مماثلة لها في نواحٍ مختلفة من الطبيعة . وكان من الطبيعي ان تفحص الاجسام المفصفرة التي تتألق في الظلام . فاكتشف بكرل سنة ١٨٩٦ ان معدن الاورانيوم يطلق أشعة تؤثر في اللوح الفوتغرافي ، ولو كان الحاجز بين المعدن واللوح كثيفاً يحجب النور ويحول دون تأثر اللوح بهِ

وبعدما قضى رذرفورد اربع سنوات في معمل كافندش عين استاذاً للطبيعة في جامعة ماكجل بكندا وكان عمره حينئذٍ ثماني وعشرين سنة . فاختار أن يوجّه بحثه الى ميدان الاشعاع وكان لهُ من قسم الطبيعة في الجامعة ، ما يمهد لهُ سبيل البحث

كان مكتشفو الاشعاع من علماء فرنسا يميلون الى تفسير الاشعاع تفسيراً كيمياويًّا والى دراسته بالاسلوب الذي كشف بهِ أي بالتصوير الشمسي

فرأى رذرفورد ان ظاهرات الاشعاع المعقدة ، لا يمكن ان يماط اللثام عن خفاياها بأساليب العلماء الفرنسيين . فعزم على ان يبتدع أساليب كهربائية ، ومقاييس كهربائية لدراستها ، وان يعنى بناحيتها « الكمية » لا بناحيتها « النوعية » فقط . وكان له من خبرتهِ السابقة في استعمال الادوات الكهربائية ما يمكنهُ مما يريد . وقد دلت التجارب التي ابتدعها ، والادوات الكهربائية التي استنبطها لاستعمالها في هذه التجارب ان عبقريتهُ كانت ملائمة كل الملاءمة لهذا النوع من الدراسة ولهذه الطريقة من البحث . فكأن الموضوع ، والرجل الصالح لتحقيقه ، ظهرا معاً

كان الاستاذ كوري وزوجهُ قد اكتشفا البولونيوم والراديوم سنة ١٨٩٨ ؛ وكان شمدت قد كشف فعل الاشعاع في عنصر الثوريوم . فدهش العلماء لهذه المكتشفات العجيبة . ولكن طريقة الاشعاع وفهم مقتضياته ، ظلاَّ موضوعين محاطين بستار من الغموض . ولما كانت هذه الظاهرات الطبيعية الجديدة ، معقدة ، ولا عهد للعلماء بما يماثلها من قبل ، تعدَّد القول فيها ، واختلف الرأي . فالعلماء الفرنسيون اسندوا الاشعاع الى ذرات العناصر المشعة ، ولكنهم عجزوا عن ان يبينوا كيف تظهر هذه الخاصة في الذرات . فقال أحدهم ان ذرات العناصر المشعة تستطيع ان تقلص الطاقة من الأثير ، ثم تطلقها كأشعة . وفي سنة ١٩٠٠ اكتشف رذرفورد ان عنصر الثوريوم ، يطلق غازاً . وإن هذا الغاز مشع كذلك . وكان العلماء قد وجدوا حتى مطلع القرن العشرين ان ما يطلق من المواد المشعة محصور في الغالب في كهارب ، وأشعة أخرى لم يعلم حينئذٍ ما هي . فقال رذرفورد ان هذا الغاز المنطلق من الثوريوم ، تابع من الناحية الكيمياوية ، للغازات الجديدة التي اكتشفت في الهواء اي الهليوم والارغون وغيرهما

فكان كشف هذه الحقيقة — اي ان المواد المشعة تُطلق او تقذف اجساماً مادية — الخطوة العظيمة الاولى نحو فهم ظاهرة الاشعاع على حقيقتها . فاذا كانت ذرات العناصر المشعة تطلق اجساماً مادية ، وجب ان تكون هذه الذرات آخذة في الانحلال . لان تقلُّص الطاقة من الاثير في دقائق مادية كالدقائق المنطلقة من المواد المشعة غير محتمل . وبعد ما اثبت رذرفورد هذه الحقيقة ، اخذ في دراسة الغاز وتحليله وابتدع في سبيل ذلك تجارب غاية ما تكون في الدقة والابداع ، والرسائل التي نشرت لهُ في المجلة الفلسفية سنة ١٩٠٢ تدل على ان مواهبهُ العقلية ولاسيما ما يتصل منها بالبحث العلمي ليست من المواهب المألوفة بين الناس

وفي سنة ١٨٩٩ اثبت رذرفورد ان الاشعاعات المنطلقة من اكسيد الاورانيوم تحتوي على ضربين من الاشعاع ، اطلق على احدهما اسم « اشعة الفا » وعلى الثاني اسم « اشعة بيتا » وقال ان اشعة « بيتا » قِوامُها كهارب تستطيع ان تخترق الواحاً كثيفة من المادة وتنحرف

بالجذب المغناطيسي . اما اشعة « الفا » فأقل إختراقاً للاجسام من اشعة « بيتا » وأقل انحرافاً منها بالجذب المغناطيسي . وبعد ذلك اثبت انه يمكن حرف اشعة «الفا» في مجال شديد المغنطة وأنها في الواقع تحتوي على ذرات الهليوم (راجع وصف التجربة البديعة التي اثبت بها انها ذرات هليوم في صفحة ١٥٦ من كتاب اساطين العلم الحديث : الطبعة الاولى) . ثم اكتشف ضرب ثالث من الاشعة ينطلق من المواد المشعة ، وهو شديد الاختراق للاجسام ، يشبهُ الاشعة السينية في ذلك فدُعي « اشعة غما » . غير ان الدليل العلمي على ان اشعة « غما » تشبهُ الاشعة السينية لم ينهض ، الاَّ في سنة ١٩١٤ عند ما طبق رذرفورد طريقة فون لاوْ في تفريق الاشعة باستعمال البلورات او الالواح المحززة diffraction gratin ;

في سنة ١٩٠٢ قبل ان يعرف ان اشعة « الفا » مؤلفة من ذرات الهليوم اقترح رذرفورد وصُدي نظرية لتفسير حقائق الاشعاع المعروفة ونشرا رسالتهما في المجلة الفلسفية . وقد ثبتت هذه النظرية بالبحث لان جميع الحقائق الجديدة التي أكتشفت ايدتها وأمكن إدماجها في نطاقها . قالا : — « لما كان الاشعاع ظاهرة ذرية ويصحبها في الوقت نفسه تغيرات كيماوية ، تبرز فيها ضروب جديدة من المادة ، فلا بد ان تكون هذه التغيرات حادثة داخل الذرة ، ولا بد ان تكون العناصر المشعة تتحول تحولاً ذاتيًّا . وقد اثبتت النتائج التي حصلنا عليها حتى الآن ان سرعة هذا التحوُّل لا تتأثر بأية حال من احوال الذرة (كالضغط والحرارة) فمن الواضح ان التغيُّرات التي تقدَّم ذكرها تختلف عمّا عالجتهُ الكيمياء حتى الآن من وجوه التغيُّر الطارئة على المادة . فنحن إذن امام ظاهرة خارجة عن النطاق المعروف عن القوة الذرية . وإذن يجب أن نحسب الاشعاع Radio-activit مظهراً من مظاهر التغيُّر والتحوُّل الذري sub-atomic

بهذه العبارات البسيطة الفخمة وصف رذرفورد وصدي مكتشفاً من اعظم المكتشفات العلمية الحديثة نعني نشوء المادة وتطورها . ففتح هذا الاكتشاف ميادين واسعة امامهما فتقدما فيها بخطوات راسخة وبصر نافذ ، هما وليدا العظمة العلمية الحقيقية . وقد اتبعا العبارات المتقدمة بالعبارة التالية : — « فالامل المعقود على ان يكون الاشعاع سبيلاً الى معرفة افعال التحول الكيماوي داخل الذرة ليس املاً غير معقول » . وفي سنة ١٩٠٧ عين رذرفورد استاذاً للطبيعة في جامعة منشستر . وفي سنة ١٩٠٨ منح جائزة نوبل الكيماوية وهو لا يزال في السابعة والثلاثين . وقد منح جائزة الكيمياء لا جائزة الطبيعة لان الاشعاع كان لا يزال في نظر القوم ، ظاهرة كيماوية لا ظاهرة طبيعية . وبمنحه هذه الجائزة ، انهت المرحلة الاولى من حياته الحافلة ، وفيها كشف السبيل الى فهم عملية الاشعاع . وذلك وحده كافٍ لتخليد اسمه في تاريخ العلم

اما المرحلة الثانية من حياته فتقع بين سنتي ١٩٠٧ و ١٩١٩ وهي السنوات التي قضاها

استاذاً في جامعة منشستر . في خلال هذه المدة وقف رذرفورد عبقريتهُ على النفوذ من طريق الاشعاع الى معرفة ما يحدث داخل الذرة من التغير الكيمياوي كما أمّل سنة ١٩٠٢ . فكانت آثاره العلمية في هذه المرحلة أفخم وأروع من آثاره في المرحلة السابقة

فبعد ما اخرج رذرفورد وصُدي نظريتهما في التحول الذاتي في الذرة تفسيراً لظاهرة الاشعاع عكف رذرفورد في منشستر على درس اشعة «الفا» و «بيتا» و «غمَّا» دراسة مفصلة . كان قد اكتشف اشعة «الفا» سنة ١٨٩٩ ثم اثبت انها تيارات من ذرَّات الهليوم او بالحري من نوى الهليوم . ثم اثبت ان أشعة « بيتا » هي تيارات من الكهارب، سالبة الشحنة الكهربائية . والفرق بين الضربين من الاشعة كان عظيماً ، لان نواة الهليوم تفوق الكهرب بضعة آلاف ضعف وزناً . وشحنتها الموجبة ، ضعف شحنة الكهرب السالبة . وكان طمسن قد جرى في سنة ١٩٠٤ على طريقة استكشاف داخل الذرة باستعمال أشعة أو تيارات من الدقائق او الامواج . فبيَّن انهُ يمكن تعيين عدد الكهارب في ذرات مختلفة من طريقة تفريق هذه الذرات — في لوح مؤلف منها مثلاً — للدقائق او الامواج الموجَّهة اليها . وقد فاز طمسن علاوة على ذلك بتبيين العلاقة بين عدد الكهارب من ذرة عنصر ما ومقام ذلك العنصر في الجدول الدوري

ولكن العلماء في ذلك الوقت عجزوا عن تصوّر صورة للذرة تفي بجميع الحقائق الجديدة التي اثبتها البحث . فكان لا بدّ من كشف حقائق أخرى حتى يتم تأليف الصورة المرجوّة منها . فرأى رذرفورد، ان استعمال دقائق «الفا» على طريقة طمسن ، قد تسفر عن كشف حقائق جديدة لا يمكن الحصول عليها باستعمال امواج الضوء او الكهارب لخفتها وسهولة انحرافها . ولا يخفى ان كتلة دقيقة «الفا» تفوق كتلة الكهرب ثمانية آلاف ضعف . فاخذ يعدُّ العدة لاستطلاع اسرار الذرّة باطلاق دقائق «الفا» على الذرّات . فوجد أن بعض هذه الدقائق تخترق لوحاً رقيقاً من المادة في خطوط مستقيمة ، وبعضها يخرج من الناحية الثانية وقد انحرف قليلاً . وقليل منها يرتدُّ . وهذه الدقائق المرتدّه عجز عن فهم ارتدادها . وقد روى نيلز بوهر انهُ عند قدومهِ الى منشستر للاشتغال في معمل البحث الطبيعي في جامعتها — وهو المعمل الذي كان يشرف عليهِ رذرفورد — علم من هفسي ان رذرفورد كان قد قال لموزلي ، انهُ لولا ارتداد هذه الدقائق لاستطاع ان يفهم فهماً جيداً تصرُّف دقائق « الفا » عند اطلاقها على ذلك اللوح الرقيق . ومع ان العدد المرتد من هذه الدقائق كان يسيراً جدًّا ، احسَّ رذرفورد انهُ لا يمكن ان يتجاهله

فكتلة الدقائق كبيرة بالقياس الى كتلة الكهارب ، وطاقتها عظيمة . فأيّ شيءٍ يستطيع ان يردّها على اعقابها بطاقة عظيمة ؟ لا بدّ ان يكون هذا الشيء ، جسماً راسخاً كبير الكتلة . يضاف الى ذلك انهُ لاحظ ان الدقائق التي تنفذ اللوح منحرفة ، كان انحرافها أقلّ مما ينتظر وهذا دلَّـهُ على ان المساحة التي يشغلها ذلك الجسم المفروض الذي يردُّ الدقائق على أعقابها ،

يجب ان تكون اصغر مما ينتظر . فنظر رذرفورد في الدقائق المنحرفة وتوزيعها ومدى انحرافها وحسب حجم ذلك الجسم، فوجدهُ أصغر من حجم الكهرب . واذن فهذا الجسم الذي يردُّ الدقائق على اعقابها اصغر حجماً من الكهرب واعظم كتلةً منهُ . وفي سنة ١٩١١ اخرج رذرفورد نظريتهُ القائلة بأن هذا الجسم ، هو نواة الذرّة . فتصوّر الذرة مؤلفة من نواة دقيقة تحتوي على معظم وزن الذرة ، وحولها تدور الكهارب على ابعاد مختلفة ، وان الشحنة الكهربائية على النواة شحنة موجبة ، وان الكهارب وشحناتها الكهربائية سالبة ، تعدل شحنة النواة الموجبة فتصبح الذرة متعادلة او محايدة neutral . واذن فكتلة النواة العظيمة وشحنتها الموجبة، تمكنانها من ردّ دقائق «الفا» ذلك الرد العنيف

ومما يستوقف النظر في نظرية رذرفورد هذه، انهُ اقترحها وهو يعلم انها مناقضة للنواميس الميكانيكية المسلَّم بها ، كما وضعها غليليو ونيوتن . وقد قال ادنغتن ان اقتراح رذرفورد ، صورة للذرة لا تتفق والنواميس الميكانيكية النيوتونية كان اجرأ اقتراح في تاريخ العلم الحديث

هذه الصور الذرية التي اقترحها رذرفورد ، فسرت خواص الذرة الطبيعية واستقرارها ولماذا لا تتأثر بالتفاعل الكيمياوي . فالتفاعل الكيمياوي يقتصر في تأثيره على الكهارب في مناطق الذرة الخارجية ، ولكنهُ لا يؤثر مطلقاً في معقلها الداخلي وهو النواة

وكان بين تلاميذ رذرفورد وأعوانه في منشستر شاب دنماركي يدعى نيلز بوهر . فتناول الصورة الذرية التي اقترحها رذرفورد ، معجباً بما تفسره من الحقائق المعروفة ، آسفاً انها لا تتفق والنواميس الميكانيكية المسلَّم بها . تناولها وغرضهُ ان يبحث عن طريقة يوفق بينها وبين تلك النواميس . وبعد بحث نظري عويص بيَّن بوهر ان الصورة المقترحة تصلح اذا طبقت عليها نواميس «الكونتم» ، لا نواميس نيوتن الميكانيكية . اي ان التغيرات الذرية لا تحدث حدوثاً متصلاً بل تحدث في نبضات صغيرة . فلما وفق بوهر بين ذرة رذرفورد ونواميس «الكونتم»، استطاع الباحثون في الحال ان يفسروا طائفة من الظاهرات الطيفية (السبكتروسكوبية) التي كان تفسيرها متعذراً عليهم . واذ كان زملاء رذرفورد الشبان ماضين في تحقيق صورته الذرية من الناحية النظرية وصلتها بالنواميس المعروفة ، اقدم هو على استعمال دقائق « الفا » ، التي مكنتهُ من اكتشاف نواة الذرة ، استعمالاً طريفاً مكنهُ من تغيير بنائها في بعض العناصر

اطلق هذه الدقائق على ذرات بعض العناصر الخفيفة كالنتروجين والالومنيوم . فلاحظ وجود ذريرات مادية في اماكن خارجة عن نطاق دقائق « الفا » وفعلها . وكان مشغولاً بهذا البحث ، لما دعي الى كمبردج ليشغل كرسي كافندش للطبيعة التجريبية الذي خلا باستقالة استاذه السر جوزف طمسن . فأتم البحث في معمل كافندش بكمبردج اذ أثبت ان هذه

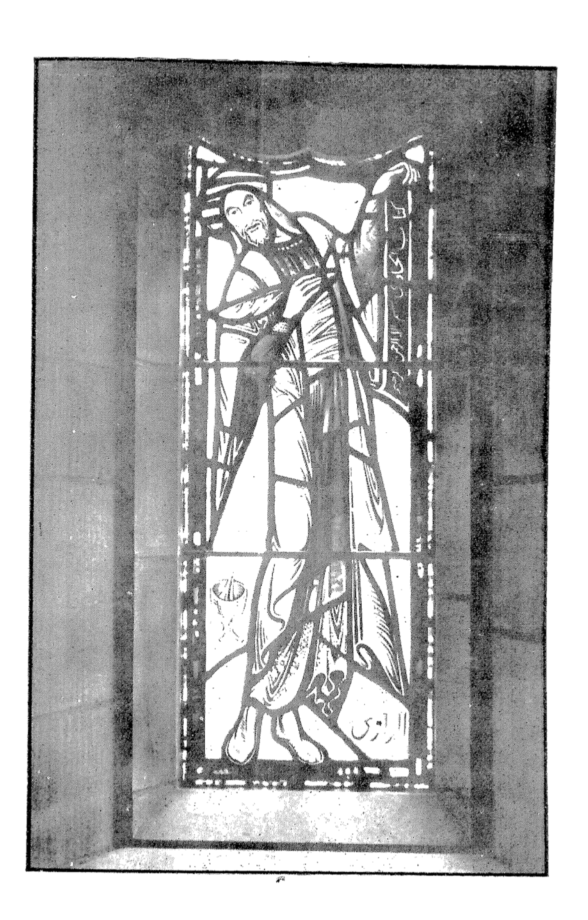
الذريرات ليست الاّ كِسَراً من ذرات النتروجين والالومنيوم بعد تحولها بوقع دقائق « الفا » عليها . وفي سنة ١٩١٩ نشر وصفاً لاشهر تجاربه على الاطلاق وهي تجاربه في تحويل العناصر

كان يومها في الثامنة والاربعين من العمر ووراءهُ مرحلتان من البحث العلمي حافلتان بالعجائب فكان يتعذَّر على الباحث ان يصدق حينئذٍ ان هذا العالم مقبل على مرحلة ثالثة حافلة حفول المرحلتين السابقتين . ولكنهُ في سنة ١٩٢٠ التى الخطبة البيكرية في الجمعية الملكية ، وبعد ما وصف تجاربهُ في تحويل العناصر تحدَّث عمَّا يعرف عن نواة الذرَّة فتنبَّأ بوجود دقيقة جديدة غير الالكترون والبروتون ، ووصف الخواص التي يجب ان تتصف بها . وبعد انقضاء احدى عشرة سنة على تلك الخطبة اكتشف مساعدهُ شدِك تلك الذرّة ودعيت النوترون (المحايد) وثبت ان خواصها هي هي الخواص التي تنبأ بها رذرفورد

وقبل ان يفيق العالم العلمي من دهشة إكتشاف النوترون اذيع نبأ إكتشاف آخر تمَّ في معمل كافندش وذلك ان الباحثين كوكرفت وولطن اتما اول تحويل للعناصر باستعمال الآلات ومن دون الاستعانة بدقائق «الفا» المنطلقة من العناصر المشعَّة. كان رذرفورد قد استعمل دقائق «الفا» في تحويل العناصر سنة ١٩١٩ ولكن كوكرفت وولطن استنبطا بارشاده طريقة تمكنهما من اسراع الذرّات حتى تبلغ طاقة انطلاقها طاقة دقائق «الفا» . وكانت طريقتهما هذه تفضل طريقة رذرفورد الاولى في انهُ كان في وسعهما اطلاق عدد كبير من هذه الذرات السريعة حالة ان رذرفورد كان يعتمد على دقائق «الفا» المنطلقة انطلاقاً طبيعيًّا وقد كان عدد المنطلق منها محدوداً بمقدار المواد المشعة وهي ثمينة ولا بدَّ ان يكون المقدار قليلاً ، لندرتها وغلائها

يضاف الى ذلك ، ان نوى الذرات مؤلفة من اجزاء مرتبطة بعضها ببعض بطاقة عظيمة ففصلها بعضها عن بعض او تحطيم النواة — وهذا ملازم لتحويل الذرة — يطلق جانباً من الطاقة الكامنة في الذرة . وقد يظن ان كوكروفت وولطن حققا بعملها هذا الحلم القديم باطلاق الطاقة الكامنة في الذرة لاستعمالها بدلاً من انواع الطاقة المستعملة الآن في الصناعة . ولكن جهازهما لا يصلح لذلك . نعم ان البروتون الذي يحل ذرة الليثيوم مثلاً يطلق من الذرة طاقة اعظم من الطاقة التي اندفع بها البروتون . ولكن بروتوناً واحداً من ملايين البروتونات يصيب ذرة الليثيوم ويحلُّها . والطاقة اللازمة لاطلاق جميع البروتونات المنطلقة اعظم جدًّا من الطاقة الخارجة من الذرة عند حلِّها . فالمسألة الآن لا تعدو حدود البحث العلمي

فاطلاق الطاقة الذرية واستعمالها لا يزالان في رحم المستقبل . ولكن اذا أتيح للانسانية بعد عقود من السنين او قرون ، ان تمتح من معين الطاقة الذرية ، فلا ريب في ان الاجيال المقبلة تلتفت حينئذٍ الى القرن العشرين، وتقول ان رذرفورد هو الرائد الذي مهد لها الطريق


الرازي

العلوم العربية

في جامعة برنستون

للدكتور ادورد جبرا جرجي



الرازي

دليل ساطع على ان جامعة برنستون تقدر خدمات العرب الجلّى المدنية كما تقدر افضال بني الشرق على ثروة الانسانية الثقافية انها خصصت ناحية من رواق كاتدرائيتها البديعة البنيان لعلم من اعلام الحضارة الاسلامية الخالدين هو ابو بكر محمد بن زكريا الرازي (٨٥٠ — ٩٢٣ م). وتعدّ هذه الكاتدرائية اكبر معبد في جامعة اميركية وقد بلغت نفقاتها مليوني دولار . فاذا دخل الزائر الدهليز المؤدي الى صحن هذا المعبد الفخم استوقفت انظاره صورة قائمة بالوان وخطوط رسّام الى اليمين من ممرّ العمارة الامامي يبدو فيها اسم صاحب الصورة — الرّازي — بحروف عربية صريحة الدلالة فاذا بذلك العالم يكتب احدى صفحات كتابه المشهور — «الحاوي» — ويستهلّهُ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» . ونسبة الرازي تشير الى اصله فهو مولود في الريّ بالقرب من طهران عاصمة ايران الحاضرة . كان هذا العلم في الراجح « اعظم اطباء الاسلام واشدّهم ابتكاراً واخصبهم عقلاً (١) » . قيل انهُ استشير في الموقع الذي يجب ان يُبنى فيهِ البيمارستان الكبير (٢) في بغداد وقد اصبح عميد طبابتهِ من بعد . فأمر ان يعلق في كل ناحية من جانبي بغداد شقة لحم . ثم اعتبر الناحية التي لم يفسد فيها اللحم بسرعة فأشار بان يُبنى البيمارستان فيها (٣) وهو مستنبط « الفتيلة » في الجراحة . نسب اليهِ الفهرست (٤) مئة وثلاثة عشر كتاباً وثماني عشرة

(١) ادورد برون (Edward G. Browne) « الطب العربي » (Arabian Medicine) كامبردج سنة ١٩٢١ ص ٤٤

(٢) أخطأ من ظن ان هذا هو البيمارستان العضدي الذي بناه في نفس البقعة عضد الدولة البويهي

(٣) ابن أبي أصيبعة « عيون الانباء » حرره مولر القاهرة ١٨٨٤ ج ١ ص ٣٠٩ — ١٠

(٤) النديم « كتاب الفهرست » حرره فلوجل ليبتزك ١٨٧٢ ص ٢٩٩ — ٣٠٢

رسالة اثنتا عشرة منها في الكيمياء . ومن مؤلفاته الجديرة بالذكر «كتاب الاسرار» الذي اتصل بعد ان تناقله المحرّرون بالمترجم جرارد الكرموني (Gerard of Cremona) (توفى سنة ١١٨٧) المشهورفنقله الىاللاتينية فأصبحاحدىمصادر المعرفة الكيمياويةالىان سادت عليه مصنفات جابر في القرن الرابع عشر . ولقد اشار روجرباكن (Roger Bacon) الى هذا الكتاب فأطلق عليه اسم « دو سبرتبس آت كُرپريس » (De spiritibus et corporibus) وقد أنشأ الرازي في مطلع عمره وهو لا يزال مقيماً في فارس كتاباً في مجلّدين للمنصور بن اسحاق الساماني صاحب سجستان يعرف بالكتاب المنصوري نسبة الى وليّ نعمته هذا ثم نقل هذا الاثر الى اللاتينية ايضاً فصدر في ميلان نحو السنة الثمانين من القرن الخامس عشر بعنوان « ليبر المنسورس » (Liber Almansoris) وقد ترجم بعضهُ اخيراً الى الفرنسية والالمانية . اما رسائله فمن اظهرها رسالة «الجدري والحصبة »[1] أقدم ما صنف فيهذا الموضوع وقدصدق من قال « انها زينة الادب الطبي عند العرب» ورد فيها اول وصف كلينيكي للجدري. وقد نقلت الى اللاتينية سنة ١٥٦٥ في البندقية والى عدة لغات حديثة فذاع بها صيت الرازي في الخافقين واشتهر في اقطار الغرب اشتهاره في اقطار الاسلام نابغة في الطبّ ومفكراً ومبدعاً . اما احقّ تآليفه بالعناية اي «كتاب الحاوي» فاول من نقله الى اللاتينية الطبيب الصقلي الاسرائيلي الشهير بفرج بن سالم وذلك سنة ١٢٧٩ بامر كارل الاول تحت عنوان « كونتيننس » (Continens) ثم طبع مراراً سنة ١٤٠٦ فما بعد الى ان صدرت طبعتهُ الخامسة سنة ١٥٤٢ في البندقية. والكتاب حسبما يشعر عنوانه موسوعة جامعة للمعارف الطبية بل موجز علوم العرب الطبية وما اخذوه عن اليونان والفرس واهل الهند مع مبتكراتهم الخاصة. وانما طبعت هذه المؤلفات حين كان فن الطباعة في الطفولة فاستحالت وسيلة فعّالة لاعلاء مقام الرازي بين علماء الغرب اللاتيني وها جامعة برنستون اليوم تستمدّ الوحي من رسمه

وينظر زائر المعبد يسرةً فيرى صورة القديس يوحنا الدمشقي احد الكبار الذين توسّطوا بين افكار الشعوب العربية اللسان والنزعات الغربية اليونانية وهو المكنّى بالذهبي اللسان اسوة بسميه الاسبق الانطاكي المعروف بفم الذهب . وليس القديس يوحنا باليوناني . ولو كتب باليونانية بل كان سوريّاً ارامي اللسان وكان يحسن العربية واليونانية معاً : جدهُ منصور ابن سَرْجُون صاحب بيت المال بدمشق خلال الفتح العربي . واطأ اسقف دمشق على تسليم المدينة للمسلمين فأبقى له المسلمون منصبهُ وخلفه فيه إبنهُ والد هذا القدّيس. أما صاحبنا فقد كان

(١) نشرها الدكتور كرنيليوس فانديك بيروت ١٨٦٦ ووسمها برسالة في مرض الجدري والحصبة

في شبابه نديم يزيد بن معاوية ثم نسج على منوال أبيه وجدّه فتسلم زمام المال في الدولة العربية الفتية ولم يزل عليها حتى خلافة هشام (٧٢٤ — ٤٣) فاعتزل السياسة وحوّل وجهه شطر الزهد والتعبد نازلاً دير القدّيس سابا بالقرب من بيت المقدس حيث قبض حوالي ٨٤٨ . وغالب الظنّ أن يوحنا ناقش في مسائل الدين كثيراً وذلك في مجلس الخليفة . وليس الكشف عن تأثيره في تكوين المدرسة القدَرية من صعاب الامور . والواقع أنه آخر لاهوتي عظيم انجبته كنيسة الروم الشرقية. أما في الأدب الكنسي فقد أصبحت الاناشيد التي نظمها (وبعضها لا يزال الانجيليون يترنّمون به الى اليوم) أعلى ما ارتقى اليه شعراء الكنيسة من ابداع وجمال . اذاً فالقدّيس يوحنا مفخرة من مفاخر الكنيسة التي ازدهرت تحت ظلّ الخلافة لما تحلّى به من النضوج كمرنم ولاهوتيّ وخطيب وكاتب جدليّ

المشرقيات في اميركا

لم يبق ريب في أن النزعة العلمية في اميركا اليوم تنذر بدخول العالم في شوط جديد تكون الولايات المتحدة فيه زعيمة الحريّة الفكريّة ورسول التقدّم والانتاج . ويلاحظ أن الاقبال عظيم في هذه البلاد على التعمق في سالف الحضارات واهتمام العلماء بآيات المجد الشرقي يزداد حولاً فحولاً . ولا نغالي اذا نسبنا قسطاً من هذا النشاط العلمي في المشرقيات الى التعزيز الذي فازت به اللغة العربية بواسطة أولياء الامر في جامعة برنستون التي من حقها المباهاة بتاريخ حافل بعظيم المساعي في سبيل احياء التراث الشرقي. وبالدائرة الشرقية فيها اصبحت مركزاً للعلوم الاسلامية العربية يؤمّه الطلاّب على اختلاف الاجناس

والحقّ أن علماء اميركا ومن يستعينون بهم من الاجانب أوّل من وضع علم الأثريات على اساس خدمة الحقيقة المجرّدة . وهم منظمو أعمال الحفر وواضعو اصولها العلمية بل هم الذين نهضوا بعلم الاثريات فأخرجوه من مقامه الثانوي جاعلين ما كان واسطة الى فهم التاريخ ليس الاّ غاية قصوى وفنّاً ذا أصول . ومن أساطينهم اللاّمعين برستد(Breasted) وجورج ريسنر (Reisner) وهلبرخت(Hilprecht)وبانكس (Banks) وسبيزر (Speiser) وكيارا (Chiera) وفرانكفرت (Frankfort)ولايون (Leon) وجاسترو (Jastrow) وبارتن(Barton) ولوكنبل (Luckenbill) والبريت (Albright) . وبين المنصرفين الى هذا العلم طبقة نشطت بعد الحرب نوجّهت همّها أولاً نحو المرانة العملية في المواقع التاريخية فكان واحدها يقضي السنين في آسية الصغرى أو مصر أو سورية وهلمّ جرّاً . ثم عكفت بعدئذ على الدراسة النظرية اذ عاد

افرادها لاتمام تحصيل الاسس العلمية المتوفرة في بطون الكتب والاخذ عن العلماء في مراكز العلم [١]

دار العلوم العربية صيف ١٩٣٥

والعلماء الاميركيون المختصون بتاريخ العصور الوسطى هم بحاجة الى تعلم لغة الضاد لأن العرب كانوا أصحاب العلم وحملة العرفان في القرون المظلمة بواسطتهم تسنى لمدنيّة اليونان والرومان سبيل الاتصال بأمم أوربا. اذن فادراك اسرار لغتهم واستطلاع مكنوناتها حتمٌ على دارسي تلك العصور. كذلك قل في من يبتغي الخوض في تاريخ العبرانيين والاشوريين ومن حذا حذوهم. يهون عليه الامر اذا ما رسخت قدمه في ثقافة العرب وحضارتهم. وليس خيراً من اللغة العربية مفتاحاً لمنغلق الحياة القديمة في الشرق الادنى ولادراك النظم الدينية والاجتماعية في العصور الباكرة. الى ذلك ما للبلدان العربية من الخطورة في العصر الحاضر. أو ليس لموقعها الجغرافي شأن في تسيير السياسة العالمية جعل الدول العظمى تطلق على أحوال هذه البلدان اسم « المسألة الشرقية » ؟ هذه وجوه نقتصر علىها في الاشارة الى ما للعرب من اثر بعيد الغور في كل قطر فكم بالاحرى في اميركا بلاد النور وملاذ الحرية والعرفان ؟ وقد اتضح للجنة الجمعيات العلمية الاميركية ما نلوح به من آراء في مكانة العلوم العربية والاسلامية فعقدت النية على فتح دار لهذه العلوم صيفاً، كيما يتمكن العلماء من الوقوف على معارف الشرق. ورأت بعد طويل الدرس ان خير معهد تعتمد عليه لابراز خطتها هذه انما هو جامعة برنستون. فجاء هذا الاختيار قراراً بتبريز برنستون في هذه الناحية العلمية — هكذا خرجت دار العلوم العربية والاسلامية الى حيز الوجود صيف ١٩٣٥ باشراف لجنة الجمعيات العلمية، ارقى مؤسسة اميركية لتشجيع الابحاث العالية في ثقافات الانسان، ماضيةً وحاضرةً. ولكن دار العلوم لم يفسح المجال فيها الاّ لنخبة من ذوي الكفاءة والجدارة، والسواد الاعظم من طلابها انما كانوا من حاملي رتبة استاذ في العلوم وعدد منهم يحمل رتبة دكتور في الفلسفة منهم الاختصاصيون ومديرو المتاحف وأصحاب التآليف القيمة والعلماء والبحاثون وممثلو الجامعات الكبرى رجالاً ونساءً [٢]

وليس الطلاب الذين ينتسبون الى هذه الدائرة الشرقية من الاميركيين وحدهم بل ان

(١) من هؤلاء الناشطين المستر رتشارد ستار (Starr) أحد طلبة الدائرة الشرقية في جامعة برنستون الذي قضى أعواماً يحفر بأنحاء سيناء وتركيا وجزيرة وان والتركستان الصينية والعراق حيث كشف في اطلال «النوزي» بجوار كركوك عن أقدم خريطة معروفة في التاريخ المدون يرجع عهدها الى سنة ٢٥٠٠ ق . م . انظر كتابه « نوزي » (Nuzi) ج ٢ مطبعة جامعة هارفرد في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٧

(٢) راجع مقالي في جريدة « الهدى » نيويورك ١٨ آب سنة ١٩٣٥

المعهد زعامة معترف بها في شتى الاقطار يقصده العلماء من انحاء الشرق والغرب ، من الصين وبلدان اوربا ، ومن مصر والعراق وسورية وايران وتركية . ومن خريجي هذه الدائرة فئة تشغل مناصب هامة . منهم اختصاصي في علم الأثريات يقيم الآن في ايران حيث يتردد على اطلال مدينة الري . وآخر استاذ في كلية اسيوط بمصر وسواهما عضو في عمدة كلية الآداب بجامعة بيروت الاميركية وهو من اساتذة التاريخ الشرقي فيها وله ابحاث سديدة . وقد منحت عمدة هذه الجامعة احد خريجي الدائرة الشرقية لقب مدرّس بعد ان انتدبتهُ الجمعية الاميركية للابحاث الفلسفية ليترجم « كتاب احياء علوم الدين » الى اللغة الانكليزية وخريج آخر قدم رسالته فنال الدكتوراه منذ سنة وهي مبنية على دراسة التصوف وانعام النظر في مذهب الاشراق استناداً الى المخطوطات وابحاث المستشرقين وهو يُعِدّ الآن الطبعة العربية لكتاب «تاريخ العرب» الذي سيأتي الكلام فيه

اما مدير هذه الحركة العلمية العربية فهو الاستاذ الدكتور فيليب حتي . لولاه ما عرفت الولايات المتحدة هذا الاتجاه الجديد الذي نعرض له ولا وجد الطلاب العرب القادمون الى هذه البلاد مرشداً يمهد لهم سبل الدراسة في الجامعات الاميركية . وهو احد محرري الطبعة الجديدة لقاموس وبستر سنة ١٩٣٤ ، ومدير دار العلوم العربية الاسلامية التي ذكرناها وعضو الجمعيات الاميركية الجغرافية والتاريخية واللغوية والمجمع العلمي العربي بدمشق والجمعية الاميركية الشرقية . نذكر من مؤلفاته ترجمة « فتوح البلدان » للبلاذري ، للانكليزية سنة ١٩١٦ و « اللغات السامية المحكية في سورية وفلسطين » سنة ١٩٢٢ و « السوريون في اميركا » بالانكليزية سنة ١٩٢٩ و « سورية والسوريون » سنة ١٩٢٦ و « اسامة بن منقذ » ترجمة انكليزية سنة ١٩٢٩ وطبعة محررة سنة ١٩٣٠ و « تاريخ العرب » بالانكليزية سنة ١٩٣٧ . عدا مقالات علمية بالانكليزية في دائرة معارف العلوم الاجتماعية ورسائل اخرى كثيرة في امهات المجلات الشرقية والغربية [1] . ويستحق البحث في كتاب « تاريخ العرب » اضعاف اضعاف المتسع المقرر لهذه الرسالة . وأول عهد الكاتب بهذا المؤلف الفريد كان يوم جاء برنستون طالباً . فعند حضوره فصل «حضارة العرب» رأى الاستاذ يطلع تلاميذه على ما وضعه في العرب من سفر شامل — زبدة ابحاثه في السنين الطوال التي قضاها في كولومبيا وجامعة بيروت الاميركية وفي برنستون — نحو الف وخمسمئة صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة فيها الفكرة العلمية بأطلى عبارة مرفقة بالشروح والمراجع الجامعة عربية وانكليزية والمانية وافرنسية

(١) راجع مادة (Hitti) « حتي » في (Who's Who) « هوز هو » (كتاب مشاهير اميركا) لسنة ١٩٣٦ — ٣٧ .

وايطالية واسبانية ويونانية ولاتينية وعبرانية وسواها . فاستولى عليّ العجب لما شاهدته في تلك « المخطوطة » من ضروب الدقة والايجاز والتنسيق العلمي ، فالجملة الواحدة تمثل لك تعب الاسبوع والاسبوعين والحاشية يلتقي عندها تصفح المؤلف لمكتبة علوم فيها آلاف المجلدات واشتقاقات لغوية افنى العالم اشهراً في تعقبها تُظهر — مثلاً — كيف ان الكلمة الانكليزية (Soda) « صودا » ليست اصلاً الاّ « صداع » العربية . اوكيف ان لفظة (Candy) « كاندي » التي يطلقها متكلمو الانكليزية على السكر الذي يعطى للاولاد هي « قَنْدَة » او « قَنْدي » العربية مأخوذةً من « قَند » الفارسية . ونحو ذلك من الكلمات المتعلقة بالحياة في نواحيها العملية والعلمية . وسرد للحوادث بأسلوب رائق رشيق تجد المؤلف فيه ينشد المظاهر الثقافية لا مجرد التدليل بأسماء الابطال وايراد المعارك الحربية وإعطائك الارقام والتواريخ . قال احد نقاد الكتاب في جريدة « هرلد تريبيون » [1] الكبرى: « الاستاذ حتّـي سوريّ الاصل لذلك فهو بحكم الطبع غير ميال الى التقلل من ايضاح أثر الاسلام على الغرب . الاّ ان هذه الرغبة فيه لم تقده (في كتابه) الى المحاباة والانحياز » . فهذا « كتاب فاخر اشبه شيء بنصب تاريخيّ منيف » . وجاء في مقال انتقادي للاستاذ حبيب كاتبة نشرته جريدة « نيويورك تيمس » [2] « ولقد رحّب المستشرقون بكتاب الاستاذ حتّـي واعترفوا به مرجعاً بليغاً يفوق جميع ماصنّف قبلاً في هذا الموضوع . . . فهو سفر جليل يستند اليه من مزاياه الصدق وسداد الرأي والابتعاد عن التعصّب والهوى » . وفي مجلة « فورتينتلي رفييو » [3] البريطانية ان الاستاذ حتّـي اكفأ من يسطر تاريخ ذلك الشعب الخالد — وريث إمجاد بابل وكلدا والحثيين والفينيقيين — وهو بخلاف هذه الشعوب الاخرى التي ورثها — لايزال له شأن في توجيه مجاري العصر الحاضر . ومما يلذ للقارىء معرفته ان الدائرة الشرقية قررت هذا العام بالاشتراك مع دائرة الآثار في الجامعة ومعهد الدراسات العليا في برنستون ان تمنح الطلبة المتأهلين « الدكتوراة في الآثار الاسلامية » وهي رتبة وحيدة من نوعها في جامعات الولايات المتحدة . ومما سهل ذلك وجود الاستاذ هرتسفلد (Herzfeld) الشهير احد اساتذة برلين سابقاً ومتولي حفريات سامرا أستاذاً مستجداً في معهد الدراسات العليا . وكاتب هذه السطور هو احد المشتغلين في هذا المعهد والمساهمين مع الاستاذ هرتسفلد في دروسه التنقيبية . أما دائرة الآثار في الجامعة فهي في طليعة الدوائر من نوعها في الجامعات وهي اليوم تعنى بحفر الآثار في إنطاكية .

(١) الصادرة في نيويورك ١٨ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٧
(٢) ١١ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٨
(٣) لندن حزيران (يونيو) ١٩٣٧

دراسة الغزالي

لا بد للباحث في آثار المفكرين المسلمين من الشعور بما للغزّالي (توفى ١١١١ م) من مكانة وما لكتبه من قيمة . وقد يمكن حصر تأثير الغزّالي في أبواب أربعة نوردها اظهاراً للسبب الذي جعل الدائرة العربية في هذا المعهد تدرجهُ في عداد العلماء اللامعين الذين تجب دراستهم ونقل مؤلفاتهم الى الانكليزية . أولاً هدى الغزالى ابناء زمانه من الابحاث الكلامية ، وهي تدور حول العقائد والشروح ، الى تماسّ ناجز بكلام الله عزّ وجلّ ، كما هداهم الى العناية بالحديث حتى قيل صواباً ان ما جرى في عالم النصرانية وشاهدتهُ أوربا عندما تكسرت وثائق اللاهوتيين جرى في عالم الفكر الاسلامي على يد « حجة الاسلام » . ثانياً أتيح للغزّالي بما ادخله إلى الاسماع والافهام ان يعيد الخوف والتقوى الى النفوس ففي « المنقذ من الضلال » وغيره من المؤلفات افاض في ابراز الحاجة الى الخوف وسيلة لجذب القلوب الى الله . ثالثاً بواسطته قيض للتصوف ان يتغلغل في صميم النفوس . رابعاً قرّب الغزّالي الفلسفة والفقه الى اذهان العامة فالآراء الشائعة قبل يومه انما كانت وقفاً على طبقة خاصة من الناس لها لغة شاذة يعافها القوم حتى أن المشتغلين بها إنما اضطروا نفوسهم على تعلم الفاظها الوعرة واسرارها العويصة . اما الفرد العامي وأن كان يحسن لغته العربية فلم يستطع الى إدراك تلك الافكار سبيلاً لاسيا وهي مستقاة من اليونانية عن طريق النصوص السريانية . اراد الغزالي ان يبيد هذه العقبة الكؤود ولقد تلاحظ رغبتهُ هذه في كتاب « تهافت الفلاسفة » وهو موضوع ليس للعلماء فحسب بل ولطبقات العامة ايضاً ألحّ على القراء فيه بان آراء الفلاسفة وحججهم واخطاءهم يجب ان تدركها الجماهير

ولاشبهة في ان فحوى هذه النواحي التي ينطوي عليها عمل الغزالي وخدمته لجيله وللاجيال اللاحقة انما تتضمنه المادة الاولى والثانية مما عددناه . فعظمته الحقيقية تجمعها هدايته الاسلام الى الحقائق الراسخة وازالة القشور عن عيون العامة مع حثهم على الافصاح عن شعورهم العاطفي الروحاني . وهو لم يكن في كل هذا من عداد المبتكرين الرواد ولا عالماً ابتدع نظرية جديدة بل رجلاً ذا شخصية جبارة دخل الجهاد فسلك طريقاً مطروقة فما لبث حتى قلبها سكة سلطانية رحبة [١]

أما مـذهّبة آثاره التي تعتني هـذه الدائرة بها فهي بلا خلاف كتابهُ المعروف باحياء علوم الدين . « والاحياء » في نظر حاجي خليفة [٢] « أجل كتب المواعظ واعظمها حتى قيل فيه

(١) راجع ماكدونالد (Macdonald) « موسلم ثيولوجي جورسبرودنس اند كنستيتوشنل ثيوري» (Muslim Theology Jurisprudence and Constitutional Theory.) نيويورك ١٩٠٣ ص ٢٣٩ — ٤٠

(٢) « كشف الظنون » حرره فلوغل (Flügel) سنة ١٨٣٥ ج ١ ص ١٨٠

لو ذهبت كتب الاسلام وبقي الاحياء لاغنى عمّا ذهب » . وهو مرتب على أربعة اقسام ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيّات . وقد شبّه صاحب الاحياء بتوما الاقويني (Thomas Aquinas) وهذا الاخير متأثر بمكتوبات الغزّالي التي أثرت ايضاً في آراء باسكال (توفي ١٦٦٢ م) كما أثرت في اصحاب المدرسة الكلامية النصرانية واليهودية . وقد اكتسب « الاحياء » عناية العلماء من عرب واجانب فحوّلوا اليه الانظار حتى دعي مؤلفه « القدّيس اغسطين في العالم الاسلامي » . وليس للاحياء نص محرّر تحريراً علمياً بل هو في طبعة لا تليق بقدره صدرت بمصر سنة ١٣٣٤ هـ ذات أربعة اجزاء . ويرجى الآن اخراج نصّ علمي مبنيّ على معارضة مخطوطات متعددة ترجع الى القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر وهي من ذخائر جامعة برنستون . ويُرْجَى ايضاً نقل هذا الاثر النفيس الى اللغة الانكليزية من بعد إقامة النصّ العربي العلمي وتصدير ذلك بمقدمة تتناول حياة الغزالي ومؤلفاته وتأثيره في نشأة الفكر الغربي [١]

المخطوطات

لاحد امناء الجامعة المستر روبرت غارت (Garrett) ولع باقتناء المخطوطات العربية . ولما كان مقيماً في مدينة بلطيمور على بعد نحو ثلاث ساعات من برنستون بالقطار السريع فقد اودع مجموعته الثمينة خزائن الجامعة وهي اكبر المجموعات العربية في الولايات المتحدة أعدّ لها فهرس كبير الحجم قبل سنتين وهو الآن تحت الطبع [٢] في بيروت . ولا يسعنا الالمام بما تشمله هذه المجموعة من ذخائر سيكون لها خير اثر في توجيه افكار المستشرقين الى سيادة الفكر العربي خلال العصور الوسطى ومساهمة اصحابه في ترويج بضاعة العلم والفلسفة والادب والتاريخ وجميع ما نفذت اليه قرائحهم . الاّ انهُ يجدر بنا الرمز الى ان هذه المجموعة من المخطوطات هي في الحقيقة مؤلفة من مجموعات مختلفة تخيّرها افراد من ارباب العلم ثم آلت الى ملك هذا المثري الاميركي . فيها طائفة كبيرة كانت ملك الطبّاع برل (Brill) بهولاندة ابتاعها باقتراح هوتسما (Houtsma) المستشرق الهولندي من فاضل من المدينة المنوّرة اسمهُ امين بن حسن الحلواني ثم بيعت لاخي المستر غارت الذي كان سفيراً للولايات المتحدة في هولانده وايطاليا . وطائفة اخرى هي في الاصل ملك الحلواني ايضاً اشتراها صاحبنا الاميركي سنة ١٩٠٤ . واتفقت اقامة العلامة انّو لتمان Enno Littmann في برنستون فوضع لها فهرساً طبع في ليبتزك سنة ١٩٠٤ وفي هاتين الطائفتين عدد من المخطوطات التركية والفارسية والسريانية وغيرها . والطائفة الثالثة

(١) يقوم بذلك الدكتور نبيه امين فارس خريج الدائرة الشرقية في برنستون واحد اعضاء عمدتها الآن

(٢) وقف على تحريره العلامة حتي والدكتور فارس والدكتور بطرس عبد الملك

ابتاعها المستر غارت سنة ١٩٢٥ بناء على اقتراح الدكتور حتّي من خزانة المرحوم مراد بك البارودي الذي كان له دراية في انتقاء المخطوطات المفيدة الثمينة . وفي تلك السنة اشترى هذا النبيل مخطوطات اخرى من العلامة ودجري (Widgery) الانكليزي الاستاذ بجامعة كامبردج في بلاد الانكليز

والطائفة الخامسة والاخيرة هي مخطوطات متفوّقة ابتيعت في متفاوت الامكنة والازمنة تضمّن بعض النصوص البديعة النادرة من نسخ القرآن والمقطعات الكوفية

ولكن قيمة المجموعة لا تنحصر في وفرة عددها بل في ما لمحتوياتها من القدر الجليل . ففيها نماذج تمثل جميع البلدان الاسلامية وأنواع الخط العربي والعلوم التي نبغ العرب فيها في عصور اتاجهم . والمؤلفون مختلفون منهم مسلمون من الاندلس وعلماء من البربر ومصريون وشاميون وأعراب من الجزيرة وغير هؤلاء من الاعاجم والترك وأهل ملقا تجمع أكثرهم جامعة الاسلام ولغة القرآن على ان نزراً قليلاً من المخطوطات لكتّاب نصارى ودروز لبنانيين . وحسبك ان بين الآثار النادرة مخطوطات ألفها اولئك الفطاحل الذين تصدروا الفكر الاسلامي ومهروا العلم بآيات عجز عنها علماء عصرهم كابن سينا وابن رشد والفارابي والرازي والغزالي . أما أزمنة تصنيف المخطوطات فيتباين من القرن الثامن الى القرن التاسع عشر . وأمكنة تأليفها منثورة بين الاندلس ومراكش وبرما وبلغار على شواطىء الفولكا في روسيا . وبعضها بخط المؤلفين أنفسهم والبعض الآخر منقطع النظير لم يُسمع لعالم ان نشره أو وصفهُ . ومنها ما هو نادر جداً عظيم الثمن

***

من المحال التصدي للكتب النفيسة كلها في هذه المجموعة لذلك نقتصر على الكلام في بضعة منها . ففي حلبة العلوم هناك ترجمة كتب جالينوس الواسعة في الطب لحنين بن اسحاق النسطوري المتوفى سنة ٨٧٣ . ورسالة طبية أخرى للرازي المذكور في صدر هذا المقال . ودائرة معارف طبية لعلي المجوسي المتوفى سنة ٩٩٤ كان قد وضعها لعضد الدولة فعرفت بالملكي وهي منسوخة على ما نظنّ في القرن السادس عشر . وكتاب في الفلك للفرغاني (الذي بنى مقياساً لفيضان النيل والمتوفى بعد سنة ٨٦١) وهو اثر جليل نقل الى العبرانية واللاتينية في العصور الوسطى ثم انتشر في الغرب فكان أشهر المؤلفات الاسلامية في الفلك . وفي المجموعة ايضاً نسخة من كتاب الشفاء لابن سيناء المتوفى سنة ١٠٣٧ يرجع نسخها الى القرن السادس عشر أيضاً.

ومخطوطة فريدة للآمدي (توفي ١٢٣٣) في المنطق والطبيعيات وما وراء الطبيعة عول فيها المؤلف على مصنفات ارسطو وافلاطون وفيثاغورس ولعل النسخة عملت في حياة المؤلف . ومن كتب الفلسفة ذات القدر نسخة غير كاملة من رسائل اخوان الصفا

***

الكتب المنوى نقلها الى الانكليزية

للغة الانكليزية في هذا العصر مقام شامخ فهي واسطة التفاهم في جانب عظيم من المعمورة يفهمها معظم المثقفين من اهل هذا الزمان . وقد ينفع اللغة العربية نفعاً بيناً احتكاكها بهذه اللغة الحديثة كما ان اصدار بدائع القرائح العربية في ترجمات انكليزية لمن احرى الاعمال بالتشجيع لما يدرُّ من خير معنوي على العاملين في انهاض العربية واظهار المنتجات الشرقية الاسلامية التي اخنى عليها الدهر . هذا وان ذخائر التاريخ والفلسفة والادب اليونانية واللاتينية قد نقل اكثرها الى اللغة الانكليزية فصارت معروفة عند المتأدبين في بريطانيا وتوابعها وفي الولايات المتحدة . لذا كان حقًّا ان ينقل من العربية افضل ما فيها من تحف تراثها القومي تعميماً لفائدته وليكون في متناول العلماء غير القادرين على تعلم لغة الضاد وسواهم ممن يريد الوقوف على اسمى ما حبا به العرب العالم في اوج عزهم . وهذا بعينه ما وجه عناية الدائرة العربية الى تهيئة مشروع واسع النطاق يشترك فيه نخبة من العلماء العرب والمستعربين يرمي الى نشر المؤلفات العربية الخالدة في حلة انكليزية علمية . ومما يساعد على ابراز هذه الفكرة وجود مطبعة عربية « لينوتيب » تابعة لمطبعة الجامعة وهي الوحيدة من نوعها ، على ان المشروع بكامله لا يتم الاّ بعد عشرات السنين وادخار المال الكافي لهُ

ونظرة الى بعض هذه الآثار المنوي ترجمتها كافية لتسويغ هذا المشروع العلمي الجسيم . نذكر منها على سبيل المثال « مفاتيح العلوم » للخوارزمي (زها في أواخر القرن العاشر للميلاد) أقدم موسوعة علمية في الاسلام لمؤلف عالي الكعب فارسي الجنس قد صيغ باسلوب سليم منسجم وهو مصنف ضروري لدراسة تاريخ العلم يظهر المؤثرات اليونانية والسريانية والفارسية والهندية في تقدم الفكر الاسلامي . ومنها « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » المعروف أيضاً باسم الكتاب «الروجاري» نسبة الى روجار الثاني ملك صقلية النورمندي للادريسي (توفي ١١٦٦) وهو اغزر كتب الجغرافية التي فاضت بها العصور الوسطى مادّة فيه خلاصة مؤلّفات بطلميوس والمسعودي . ومن هذه التحف أيضاً « كتاب الفخري » لابن الطقطقي (توفي

بعد ١٣٠٢ م) وهو ابدع ما كتب في تاريخ السياسة الاسلامية يطالع القارىء في تضعيفاته تفاصيل الحياة الاجتماعية على زمن الخلافة مع أمثلة رواها الكاتب عن أمراء المؤمنين وأهل خاصتهم إيضاحاً لخواطره ونظرياته في أصول سياسة الدول

ومنها « سيرة رسول الله » لابن هشام اقدم من ترجم للنبي العربي واوثق . ومنها مقدّمة ابن خلدون اوّل من تبسّط في مباحث علم الاجتماع وفي المقدمة ابكر محاولة لتفسير التاريخ تفسيراً اقتصاديّاً

وابن خلدون محدث نظرية النشوء التاريخي بناها على مظاهر الحوادث كما هي وتتبع سياقها كما جرت او كانت تجري امام عينه . اما القوانين التي تركزت عليها نظريته فكفاها رجاحة انهُ لم يظهر عليها احد من علماء العصر الحاضر . وبعد فلا عجب ان يكون اتباعه في عالم الفكر قادة مؤرخي اوربا ابّان العصور الوسطى . ومنها « العقد الفريد » لابن عبد ربه (توفي ٩٤٠ م) وهو خزانة الشعر والغناء والموسيقى في اللغة العربية ومرآة تصف حياة العرب من سكان شمالي افريقية بما ينطوي عليهِ من ادب واجتماع . والى ذلك ففيهِ حقائق تاريخية ولمحات تعين القارىء على استيعاب الاحوال السياسية والعمرانية في الاندلس . ومن الذخائر المقرّرة للترجمة « طوالع الانوار » للبيضاوي المتوفي سنة ١٢٨٦ م اوسع سفر فقهي شامل في علم الكلام من وضع العالم الكبير صاحب تفسير القرآن . ومنها ايضاً « نفح الطيب » للمقري المتوفي سنة ١٦٣٢ وهو مؤلف يعدّ مرجعاً لتعلم تاريخ الاندلس العربي من الناحية الادبية وفيهِ أيضاً مباحث تتناول قيام الدول الاسلامية وثقافتها في أوربا منذ باكر عصور الفتح حوالي (٧٧١ م) الى سقوط غرناطة (سنة ١٤٩٣ م)

وان نجاح هذا المشروع العلمي الخطير لما يعود بجزيل الفائدة على جميع العلماء الذين لهم عناية بكنوز العرب لذلك والاوساط العلمية تترقبهُ بعين الامل والرجاء وتنيله كل مؤازرة ومناصرة سواء في اميركا وفي سائر ربوع العالم الحديث

***

وخلاصة المقال ان جامعة برنستون بفضل عمدتها ومجموعة مخطوطاتها ومطبعتها والمشاريع العلمية التي تنوي تحقيقها قد أصبحت بلا مبالغة اهم مركز للدراسة العربية في العالم الجديد ومن أهم المراكز في العالم كله

— نيوجرسي : جامعة برنستون : معهد الدراسات العليا



ودليلنا فيه لسان اليونان

للاب انستاس ماري الكرملي

عضو مجمع اللغة العربية الملكي

تصدير

في اثناء معارضتنا الالفاظ العربية بالكلم اليونانية ، عثرنا على تحقيقات غريبة ، ولولا هذه المعارضة ، لما اهتدينا اليها . وكذلك نقول على علم الحيوان ، من طيور وحشرات وسمك . وقد ظفرنا بمثل هذه الضَّوَالّ في مطاوي مقابلتنا حروفنا بحروف اللغة الرومية (الرومانية او اللاتينية) فوقعنا على شيء كُثَارٍ من هذا القبيل

ونحن نذكر هنا بعض الامثلة لهذه التحقيقات لعلها تدفع غيرنا الى مجاراتنا في مثل هذه الخدمة للغة ، فتنجلي ظلمات ولا يبقى فيها ما يغشي الابصار ، ويحير الافكار ، فنقول :

١ — الإِسْفِنط — ٢ — الإِفْسنتين — ٣ العَبْد

الاسفنط ، بكسر الهمزة والفاء ، وتفتح الفاء وفيها لغات عديدة وردت في كتب متون اللغة ، نقلاً عن الشعراء وهي مذكورة في القاموس ولسان العرب منها : الاصفنط بالصاد وباللغتين المذكورتين فويق هذا . والإِصْفِعيد ، بزيادة عين مفتوحة وياء ساكنة . والاصفعند ، بنون في مكان الياء ، والاصفد كالاكبر ، « هو المطيب من عصير العنب ، او ضرب من الاشربة ، او أعلى الخمر . سميت لان الدنان تسفطها اي تشربت اكثرها ، او من السفيط للطيب النفس» اه عن (ق) في (س ف ن ط) . ولم يمرّ بخاطر اللغويين ان الكلمة معربة من اليونانية اي Apsinthion ومعناها الخمرة المطيبة بما سماه المعربون او النقلة بالافسنتين وجرى عليه المعاصرون وقد نشأ في مطاوي التعريب عدة لغات ذكرنا منها ما اشتهر .

ونرى من هذين التعريبين الاسفنط (ولغاتها) والافسنتين ان اهل الجاهلية قربوا اللفظة من الوزن العربي ومن الصيغة المبينة ، اي انهم قدموا السين على الفاء ، بخلاف المولدين فانهم أبقوا

نظام الاحرف على اصله اليوناني ليهتدي اليه من اراد اثبات المعنى الحقيقي للفظ ، لكنهم لم يراعوا الاصل كل المراعاة لان هذا الاصل هو بالثاء المثلثة لا بالمثناة

ولعل السبب ان هناك لغة قديمة تجعل الثاء المثلثة سيناً ، على ما هو جارٍ الآن في سورية وديار مصر فعدلوا عنها الى السبيل الامين القويم [١]

بقي علينا ان نعرف من اين لليونان [٢] كلمتهم الافسنتين . فلقد اتفق فقهاء لغتهم على جهلهم اصلها ، لكننا نرى ان الكلمة منحوتة من حرفين ، من Aps وهي من اصل عربي هو « عَبْـد » بفتح العين وإسكان الباء الموحدة ، وفي الآخر دال . ومعناه النبت الذي يسميه علماء النبات Artemisia Absinthium وهو كثير في ديار نجد المشهورة « بديار الشيح والقيصوم » وما الشيح إلاّ نوع أو ضرب من هذا « العبد » . — والكلمة الثانية « انثوس » Anthos اي زهرة فيكون معنى كلمتهم المنحوتة « زهرة العبد » اي زهرة هذه النبتة المعروفة بالعبد

ومن الغريب انك لا تجد وصفاً دقيقاً في دواوين اللغة ليفهمك حقيقة هذه الزهرة النجدية ، إنما وصفهم وصف خاصية لا غير . فقد جاء في لسان العرب في مادة (ع ب د) : « ابن الاعرابي : العبد : نبات طيب الرائحة . وانشد :

حَرَّقَها العبدُ بعنظوان فاليوم منها يوم أرْونانِ

قال : والعبد ، تكلف به الابل ، لانه ملبنة مسمنة ، وهو حار المزاج ، إذا رعتهُ الابل عطشت فطلبت الماء » اه

وفي الشارح مثل هذا الكلام . أما القاموس فقد إجتزأ : بقوله : « العبد : نبات طيب الرائحة » اه أما بعد هذا فقد عرفت معنى العبد للنبت . وما ذكره اللسان من أوصافه هو عين الحق ولا جدال فيه

أما ان اليونانيين جعلوا في مكان الدال سيناً فقالوا « عبس » فيحتمل ان يكونوا قد سمعوا اللفظة العربية من قبيلة تقلب الدال سيناً في بعض الاحيان . فقد قالوا مثلاً : الارتعاس في الارتعاد ، والامليس في الامليد وهي الفلاة التي ليس فيها نبات . الى غيرها من الالفاظ .

(١) ذكر المزهر ان نقل السين الى الثاء وبالعكس من لثغ العرب (المزهر طبعة بولاق الاولى ١ : ٢٦٥ و٢٦٦ و ٢٦٩) . وراجع ايضاً كتاب البيان والتبيين للجاحظ (الطبعة الاولى ١ : ٨٦) والجمهرة لابن دريد . مادة (س وخ) فقد قال : ساخت رجله في الارض وثاخت . وفي ديوان الادب للفارابي : مرس التمر ومرثه . وفي فقه اللغة للثعالبي : يقال عثا الشيخ وعسا . وفي الصحاح للجوهري : مرس الصبي أصبعه لغة في مرثها أو لثغة . وراجع معاجم اللغة في حثالة وحسالة

(٢) منع بعضهم ان يقال (اليونان) بمعنى (أهل يونان) أو (اليونانيين) ، مع انها وردت مراراً لا تحصى في كلام الاقدمين . وفي أساس البلاغة للزمخشري في يمن : « ويقولون نحن يمن وهم شام » وفي سورة يوسف : « واسأل القرية التي كنا فيها » فذاك من هذا

وعليهِ يكون الاسفنط وما جاء من لغاتهِ المختلفة خاصًّا بما يسمى اليوم في فرنسة Absinthe وهو ضرب من المسكر معطر « بالعـبْـد» وقد حرمت شربهُ الحكومة الفرنسية منذ سنة ١٩١٥ ويبقى اسم الافسنتين إسماً عامًّا شاملاً لجميع ضروب هذا النبت وهي كثيرة . وأما «العبد » فيبقى خاصًّا بهذا الضرب الذي ذكرنا اسمهُ عند العلماء أي Artemisia Absinthium

٤ — العمار

ما العمار ؟ — العمار ، وزان سحاب : «الريحان زين بهِ مجلس الشراب » (عن القاموس) لكننا نعلم أن الريحان يعني كل نبت له رائحة طيبة . فأي الرياحين هو ؟ — قال في اللسان في عمر : « العمار : الآس . وقيل : كل ريحان عمار ... وقيل في قول الاعشى : « ورفعنا العمارا » في قوله :

فلما أتانا بعيد الكرى سجدنا لهُ ورفعنا العمارا

أي رفعنا لهُ اصواتنا بالدعاء . وقلنا : عمرك الله . وقيل : العمار ههنا الريحان يزين بهِ مجلس الشراب ، ويسميهِ الفرس « ميوران » . فاذا دخل عليهم داخل ، رفعوا شيئاً منهُ بأيديهم وحيوه بهِ . قال ابن بري : وصواب انشاده : ووضعنا العمارا . فالذي يرويه « ورفعنا العمارا » هو الريحان أو الدعاء . أي استقبلناهُ بالريحان او الدعاء لهُ . والذي يرويهِ : ووضعنا العمارا ، هو العمامة . وقيل : معناه : عمرك الله وحياك ، وليس بقوي . وقيل : العمار هنا أكاليل الريحان يجعلونها على رؤوسهم كما تفعل العجم . قال ابن سيده : ولا ادري كيف هذا

قلنا : والذي بدا لنا بعد التحقيق : ان العمار ضرب من الريحان وهو باليونانية عمار أيضاً بعد حذف علامة الاعراب عندهم أي Amarakos أو Amarakon وهو ضرب من الريحان يشبه كل الشبه المسمى بالمرزنجوش او المردقوش ، وهتان كلمتان فارسيتان . والعمار بلسان العلم Origanum Amaracus . وقد أقر البصراء باللغة الاغريقية انهم يجهلون اصل هذه الكلمة ، فهي لا تتصل عادة من مواد لسانهم يوجه معناها توجيهاً يسلم بهِ العقل . أما نحن فنظنها عربية النجار من العمار وهو كل شيء يوضع على الرأس من عمامة وقلنسوة وتاج وغيرها . اذ يتخذ منهُ أهل الشرب واهل العرس ما يزينون بهِ رؤوسهم ، ولو بطاقة منهُ بحيث يراها الجميع

وقد شاهدت ذلك بعيني رأسي في سنة ١٨٩٤ في شهر ايلول (سبتمبر) وكنت عائداً الى العراق بعد غيبة ثماني سنوات فرأيت جماعة من الفرس في سفينة تنقلهم الى بوشهر (في خليج فارس) وكانت طاقات العمار تزين رؤوسهم وكلهم يرافقون العروسين الى المدينة المذكورة

٥ — السمسق

في القاموس : « السمسق ، كجعفر وزبرج وقنفذ وجُندَب : الياسمين والمرزنجوش » — وفي اللسان : «السمسق : السمسم . وقيل : المرزنجوش . والسمسق : الياسمين . وقيل : الآس. وقال الليث : سمسق » اه . (كذا . اي بلا ال كأنه علم زهر اجنبي)

فالسمسق اسم واحد ويدل على ازهار عدة ، او على ثلاثة نباتات . فأين الحقيقة ؟ — لننظر ما جاء مثل هذا اللفظ في اليونانية . فاننا نرى فيها Sampsouthon او Sampsuthon ومعناها المرزنجوش والمردقوش لا غير . واللفظ واحد اذا حذفنا من حرفيهم علامة الاعراب . فعلمنا من هذه المعارضة اللغوية ان السمسق لا يعني الآ المردقوش . الآ ان السلف توسعوا في معناه حتى اطلقوه على أنبتة أُخر . وهذا الاطلاق او التوسع يلقي الابهام في معاني الالفاظ. ولهذا يحسن بنا ان يعاد الى المعنى الاصلي لكي لا يضل الباحث في تيه المعاني المتعددة المختلفة

واليونانيون لا يعرفون مأتى هذه الكلمة . فلعلها منحوتة من « شم النشوق » ويراد بالنشوق كل دواء ينشق . والدواء عند السلف كل ما يستشفى بهِ من نبات او سائل او دقيق وذلك لشهرة طيب الرائحة في هذا النبت المعطر

٦ — السنسق

في القاموس : « السنسق (كجعفر) صغار الآس . وكذلك في اللسان . وعندنا انه لغة في السمسق المارة الذكر . وقلب الميم نوناً اكثر من ان يحصى . من ذلك طانهُ الله على الخير وطامهُ بمعنى جبله . والايم والاين : الحية . والمِسع والنِسع (بالكسر) ريح الشمال . وامتقع لونهُ وانتقع . والجحرير والخنجرير : الماء المر الثقيل الى غيرها . (راجع المزهر ١ : ٢٢٢ و٢٢٥ . وهامش خزانة الادب للبغدادي طبعة بولاق الاولى ٤ : ٥٨١) . أما ان اللغويين ذكروا لهُ معنى صغار الآس ، فهو لان ورق السنسق يشبه بعض الشبه ورق صغار الآس . فلا عجب بعد هذا إذا وهم بعضهم في معرفة الحقيقة على ما هي

٧ — السَفسَف

السفسف ، بسينين وفاءين على ما في اللسان وعلى وزن جعفر : « ضرب من النبات » وفي شرح القاموس : « السفسف كجعفر : ضرب من النبت . قال ابن دريد : لغة يمانية ، وهو الذي يسميه أهل نجد : العنقر والعنقز والمرزنجوش » . اه

وعندنا ان السفسف تصحيف آخر للسمسق

٨ — العنقر . والعنقز

مرّ بنا في المادة السابقة ان اهل نجد يسمون المفسف او السمسق اي المرزنجوش العنقر (بالرّاء) او العنقز (بالزاي) . وهو من اليونانية عنقز وزان هدهد . ومعناه العقدة ويراد بهِ ضرباً من المردقوش اسمهُ بلسان علم النبات Origanum Majoranum وبالفرنسية Marjolaine a Coquilles وبالانكليزية Knotted Majoram

٩ — الليق

في القاموس : « الليق ، بالكسر ، شيء اسود يجعل في الكحل » . — وعبارة اللسان : شيء اسود يجعل في دواء الكحل . واحدتهُ ليقة . وقد يكون الليق والليقة من باب الفوق والفوقة . » اه — وكل هذا لا يعرفنا حقيقة هذا الشيء الاسود . ولولا اليونانية لما كنا نهتدي اليهِ ، فهو المسمى « ليق » ايضاً بعد حذف علامة الاعراب اي Lukion وعند الرومان Lycium وهو شوكة الصباغين عند علماء العرب من عارفي النبات . ومن الغريب ان المولدين من السلف لم يعرفوا ماوضعهُ اجدادهم في ايام الجاهلية . ولاجرم ان الاقدمين منا اقتبسوها من اليونان لان هذا النبت مسمى باسم البلاد التي ينبت فيها اي لوقية Lukia وهي من أعمال بلاد الروم وقد اشار اليهِ النباتي الشهير ذيسقوريدس في كتابه في الباب الاول في القطعة الـ ١٣٢، وذكر خاصيتهُ واستعمالهُ في الكحل والطب جالينوس الحكيم في الباب ١٣ في القطعة ٢٠٢ . ومن العجب ان المعربين في عهد بني العباس لم يهتدوا اليهِ

فالليق اسم الشجرة والثمرة معاً ، كما تقول الزيتون فانهُ اسم الشجرة والثمرة معاً . والخاصية التي يشار اليها في الكحل مودعة في الثمرة واسم الليق عند علماء الفرن Rhamnus Tinctoria وبالفرنسية Nerprun des Teinturiers وبالانكليزية Dyer's Buckthorn

واذا بحثت في المعاجم الفرنسية والعربية او الانكليزية والعربية عن هذين اللفظين لما وجدت اثراً للكلمة العربية الصحيحة اي الليق ، بل تجد شوكة الصباغين وهي ترجمة معنوية لا علمية

١٠ — البَلْخ والبُلاخ

في القاموس : « البلخ ، بالفتح : شجر السنديان [1] كالبلاخ كغراب » . وفي اللسان :

---

(١) من غريب أعمال أصحاب المعاجم انهم يشرحون كلة بكلمة وهذه الكلمة الثانية لا أثر لها في موطنها من دواوينهم . هذه الكلمة البلخ او البلاخ جاء شرحهما في القاموس واللسان بقولهما : السنديان وأنت اذا بحثت عن السنديان في معجميهما في (سند) او (سندق) أو (سدن) او اي تركيب شئت ، لا تجد لها شرحاً . فهذه احدى الهفوات التي تؤخذ عليهم . فكان يجب ان ينبه عليها من جاء بعد هؤلاء الاعلام الاقدمين حتى لا يأتيها من ينقل عنهم ، لكن من تنادي ؟

« البلخ : شجر السنديان . ابو العباس : البلاخ : شجر السنديان وهو الشجر الذي يقطع منهُ كدينات[١] القصارين . والله اعلم » اه

وكلا اللغويين لم يزد على هذا القدر الضئيل في التحلية والتعريف

والكلمة تنظر الى اليونانية Baphikè (Kokkos) [٢] وهذا الشجر سماه بعض العوام جيداراً (راجع محيط المحيط للبستاني والمؤلف لم ينبه على عاميتها) واسمهُ العلمي Quercus coccifera وهو الشجر الذي يقع عليهِ القرمز واسمه بالفرنسية Chêne او Chêne au kermès, chêne cocciné او Garouille وبالانكليزية Scarlet oak او Kermes Oak

***

تلكم عشر كلمات من مئات من الحروف التي استقرينا تحقيقها في انواع الموضوعات . وربما عدنا الى نظائرها من سائر المصطلحات تثبتاً من الحقائق ووضع المعاني في مبانيها . والله الهادي الى سواء السبيل

---

(١) لم يضبط المؤلف هذه الكلمة بالشكل الكامل على خلاف عادته : بل لم يذكرها في ديوانه في أي مادة شئت . وكذلك لم يذكرها سائر اللغويين . انما الكدينات جمع ، ومفردها كذينق ، بكاف مضمومة وذال معجمة مفتوحة يليها ياء ساكنة فنون مكسورة وفي الآخر قاف . والكذينق : مدق القصارين الذي يدق عليه الثوب قال الشاعر :

قامة القصعل الضئيل وكف خنصراها كذينقا قصار

والمجد أيضاً لم يذكرها في قاموسه . وذكرها صاحب اللسان في (كذنق) وعنه أخذنا هذا التعريف وبيت الشعر

وذكرها صاحب محيط المحيط في (كدنق) بدال مهملة و (كذنق) بذال معجمة ، وضبطهما في الموطنين ضبطاً مخطوءاً فيه . فقد قيدهما بضم الكاف وكسر الدال المهملة او المعجمة ، فياء ساكنة وفتح النون وفي الآخر قاف . وهو ضبط يوافق ما في معجم فريتغ ويخالف ما جاء في معاجم العرب . والعرب لم يعرفوا الكدينق بالدال المهملة وان كان أصلها الفارسي بالدال المهملة

ونقل هذين الغلطين بعينهما صاحب البستان في كدنق وكذنق فليصلح كل ذلك . وقد قلنا ان أصلها الفارسي بدال مهملة . نعم . لكن في الآخر هاء محضة لا قاف

اذن في قول اللسان : « كدينات » غلطا طبع . الاول رسمها بالدال المهملة ، والثاني حذف القاف . والصواب ان يقال : كذينقات

(٢) من مزايا اللغة العربية أن الباء لا تجاور الفاء وبالعكس فان تجاورتا دل ذلك على العجمة مثال ذلك : البفت وهو ثوب مهلهل من القطن أبيض وهو من الفارسية بافته . وكذلك الفبأة بمعنى المطرة السريعة ساعة ثم تسكن فهي مقلوب pluvia الرومية . والفبأة لم يذكرها الا القاموس وشارحه دون سائر المعاجم

ولما كان هذان الحرفان لا يتجاوران قلبت الفاء لاماً أو ان الفاء نقلت الى الباء ، ثم صيرت لاماً للتمكن من النطق بهما مثل بشق المسافر ولشق ، والوغل والوغب . وجاء مهذباً ومهذلا اي سريعاً . ووقع القوم في دلدال وبلبال : اذا اضطرب أمرهم . والعندليب والعنديل الى غير ذلك

على ان ابدال الفاء لاماً يرى في نفس اللغة العربية فضلا عن اللغة الاعجمية . من ذلك قولهم . تغلل بالغالية وتغلف . وزحل الرجل كزحف والزحليل كالزحليف وهو المكان الضيق الزلق من الصفا وخيل عن القوم وغيف : اذا كم . وفيه ابدالان من حرفين الى نظائر هذه الامثلة

على القمة

نظرت اليها ، وهي شماء تُرهب   كما لاح في أفق السموات كوكب
فأعجبني منها السموق ، وهالني   تطاولها والريح تطغى وتصخب
وطار خيالي فوقها ووراءها   يصوّر من أطيافها ما تغيّب
عجائب لم تخطر على البال مثلها   ودنيا من الاحلام تزهو وتعجب
وقلت : « سعيد من تطاول كفه   ذراها ، وتدري عينه ما تحجّب »

*

دلفت اليها ، والخطا تسبق الخطا   وفي النفس شوق يستحث ويلهب
هو الشوق للمجهول يهمس طيفه   ويهفو رؤاه مغريات وتغرب
هو الشوق للرُّقيا . وفي الحي حافز   اليها فيرقى في الحياة ويغلب
دلفت فلم أنظر الى الخلف مرة   وهل ينظر العجلان ماذا يعقب ؟
وما عاقني جهد ولا وقع عثرة   وأنستنيَ الاشواق أني متعب

*

هنا القمة الشمّاء يا حسنه هنا !   ويا حسن ما يدنو الى النفس مأرب
تأملتها فرحان أخفق نشوة   وأوشك أغذى من سناها وأشرب
وقلت : « هنا يا نفس أشرف بقعة   وأرحب أفق في السموات يُرقب
« وإنك من فوق القلال طليقة   ولم يبق مستور عليك مغيب
فقري هنا يا نفس جد سعيدة   فليس وراء الافق يا نفس مطلب »
وأغمضت عيني سابحاً في خواطري   وبي نشوة تطفو بنفسي وترسب

*

فما راعني الا الزمان يلفني   الى الضفة الاخرى كما لفّ لولب
الى أين ؟ لا تعجل . رويدك . هينةً   فما هكذا تطوى الاماني وتذهب
وما هكذا يُجزى الذي جد جده   الى القمة الشماء والقلب ملهب
وخلف في ناء من السفح زادَه   وما عزّه في ذلك الوعر مركب

*

رويدك يا هذا الزمان فانني   من الهوة الجرداء أخشى وأرهب
وإن لا يكن بدٌّ من السير فانطلق   الى الخلف إني عاذرٌ لك مُعتب
تألفتهُ يوماً ، فان عدتُ لم أعد   الى غربة تجفو عليّ وتنكب

*

ولكنهُ لم يصغ لي في ضراعتي   وما زال يهوي بي ولا يتنكب
الى الهوة الجرداء فالعمر مجدب   الى الهوة الجرداء فالدهر يلعب !

سيد قطب

ديكارت

١٥٩٦ — ١٦٥٠

ليوسف كرم
أحد مدرسي الفلسفة بالجامعة المصرية

٤ — الله والحقيقة

اذا عثرت على فكرة تفوق حقيقتها الموضوعية كل ما فيّ فلا اكون علة هذه الفكرة فأعلم بذلك أني لست وحيداً في العالم . اني اجد بين افكاري فكره الله . اعني فكرة موجود كامل لامتناه . هذه الفكرة واضحة جلية ، فانها تحوي كل ما اتصوّر من كمال . من اين جاءتني ؟ هل اقول اني استنبطتها من نفسي ؟ ولكني موجود ناقص اشك واتردد كما رأينا ، والشك علامة النقص ، اذ من البيّن ان العلم خير من الشك . فكيف استطيع استحداث فكرة الكامل ؟ هل أقول انها جاءت من خارج ؟ ولكنها لا تخطر لي ابداً على غرة مثل افكار المحسوسات ، والعالم الخارجي ناقص مؤلف من اشياء كل منها محدود ، ومهما اجمع اشياء ، او افكاراً ناقصة بعضها الى بعض ، فلن ابلغ الى تأليف فكرة الكامل اللامتناهي . هذا الى ان هذه الفكرة بسيطة لا مجال فيها لتأليف وتركيب ، من حيث انها تمثل موجوداً واحداً حاصلاً على جميع الكمالات واني لا استطيع ان انقص منها او ازيد فيها شيئاً . ولا يمكن ان يقال اني لا اتصوّر الكامل اللامتناهي بفكرة حقة بل بادخال السلب على فكرة النقص والتناهي التي أجدها في نفسي، فليست فكرة الكامل اللامتناهي معدولة تمثل عدماً وسلباً ، ولكنها محصلة تمثل موجوداً هو اكمل موجود . . بل الواجب ان يقال على العكس اني انما اتصور النقص والتناهي بالحد من الكمال واللاتناهي ، ولو لم تسبق لي فكرة موجود كامل لا نقص فيه لما استطعت ان اعتبر نفسي ناقصاً . واذن فليست هذه الفكرة حادثة ولا مصطنعة ، ولا يبقى الا انها فطرية بسيطة أولية

إذا تقرّر ذلك أقول : كل ما أتصوّر بوضوح حصوله لماهيته فهو حاصل لها ، أو كل محمول متضمن في فكرة شيء فهو صادق على هذا الشيء . فمثلاً حين أتصور المثلث أتصور ماهية

ثابتة لم أخترعها وليست متعلقة بفكري ، فلا أستطيع أن أعدّل فيها زيادة أو نقصاناً ، وأنا أتصوّر في ماهية المثلث أن زواياه الثلاث تساوي قائمتين وهذا صحيح عن المثلث . وهكذا في كل ماهيةٍ . أعود إلى فكرة الكامل فاجدها تتضمن الوجود بالضرورة . لان الوجود كمال ، ولو كان الكامل غير موجود لكان ناقصاً مفتقراً لشيء غيره يوجده ، وهذا خلف . فوجود الله لازم في ذات فكرة الله أي من مجرد تعريفهِ . وقد يبدو هذا القول مغالطة ، ولكن ذلك وهم ، سببهُ أننا نميز بين الوجود والماهية في سائر الاشياء فتحملنا العادة على اعتقاد انهُ يمكن فصل الوجود عن ماهية الله . أما إذا تدبرنا الأمر وجدنا ماهية الله تقوم في حصول جميع الكمالات وان فكرة الله هي الفكرة الوحيدة التي تتضمن الوجود محمولاً ذاتيًّا فلا يمكن فصله عن الماهية كما لا يمكن فصل فكرة الوادي عن فكرة الجبل

أنتقل الآن من مفهوم الفكرة الى البحث عن علتها . وقد سبق القول ان لها من الحقيقة الموضوعية أي من الكمالات ما يفوقني الى غير حدٍّ فلا يمكن إلاّ ان تكون صدرت اليّ عن علة كفء لها ، أي عن موجود حاصل بالفعل على الكمال الممثل فيها . ورب قائل يقول : لعلي أعظم مما اظن ولعلي حاصل بالقوة على الكمالات التي أضيفها الى الله . ولعل هذه القوة على إكتساب الكمالات بالتدريج كافية لتوليد تصوّر هذه الكمالات في نفسي . ولكن لا : فمن الجهة الواحدة الله موجود كلهُ بالفعل ، وفكرة موجود كامل بالفعل تفوق قوة إكتساب الكمال بالتدريج . ومن الجهة الثانية ليس يمكن تحقيق اللامتناهي بزيادات متتالية ، إذ أن كل ماهو متناهٍ فهو قابل للزيادة دائماً ، فالظن بان موجوداً متناهياً يستطيع الوصول بالتدريج الى اللامتناهي ظن متناقض . وأخيراً العلة التي بالقوة ليست شيئاً وليست علة ، والحقيقة الموضوعية لفكرة ما تتطلب علة بالفعل . اذن فالله موجود ، وهو نموذج الفكرة وعلتها

واريد ان ابحث عن علة وجودي انا الحاصل على فكرة الله الكامل . لا يمكن ان اكون خالق نفسي . والاّ لكنت منحت نفسي الكمال الممثل لي في هذه الفكرة ، ذلك بأن الارادة تتجه الى الخير دائماً ، وما الكمال الاّ صفة الموجود وحال لهُ . فخلقه ايسر من خلق الوجود ذاته . ولو كنت اوجدت نفسي لكنت اردت لها كمال الوجود ، ولكني ناقص فذلك دليل على اني لست خالق نفسي . ولا يمكن القول اني وجدت دائماً على ما انا الآن ، فان اجزاء الزمان منفصل بعضها عن بعض بحيث لا يتعلق الزمان الحاضر بالزمان الذي سبقهُ ، فالموجود ، لكي يدوم في كل آن ، دوامه مفتقر لنفس الفعل اللازم لخلقه ، فلا استطيع الدوام زمناً ما الاّ اذا كنت أخلق خلقاً جديداً في كل آن ، وليس لديّ مثل هذه القوة لحفظ نفسي في الوجود ، ولو كانت لي لعلمت ذلك علماً يقيناً ، فان قوة ما لا يمكن ان تكون فيّ بما انا موجود مفكر دون ان اعلمها ، واذن فلست خالق نفسي . ولا يمكن ان يقال ان وجودي مستمد من والديّ او من

علة اخرى دون الله كمالاً ، لانهُ مهما تكن تلك العلة فلا بد ان تكون حاصلة مثلي على فكرة الكمال. وحينئذٍ فاما ان تكون اوجدت نفسها وأوجدت نفسها كاملة فتكون الله ، واما ان تكون صدرت عن علة أخرى فتعود المسألة ، ويمتنع التسلسل الى غير نهاية لان المطلوب هنا ليس العلة التي أوجدتني في الماضي ، بل التي تحفظ وجودي في الحاضر ، فلا بد من الوقوف عند علة هي الله

وهكذا كما ادركتُ النفس دون ان أخرج من الفكر فقد أدركت الله إدراكاً مباشراً في علاقتي بفكري ووجودي ، وبلغت الى موجود محقق مع بقائي مستمسكاً بالفكر . ان فكرة الله محدثة فيّ منذ خلقت وهي طابع الله في خليقته

ونحن نتغاضى هنا عما في هذه الادلة من مسائل فرعية تغنينا غرابتها عن الاسهاب في نقدها ، مثل احتمال احداث الموجود ذاته ، وتصور الدوام خلقاً متكرراً لا ندري كيف يبقى معهُ الموجود هو هو . واعتقاد ديكارت ان المفكر يدرك كل ما في نفسه ، مما يرجع الى انكار القوة واللاشعور — نتغاضى عن هذا وعن غيره ونحصر النظر في فكرة الله التي يبني عليها ديكارت ادلته الثلاثة : هل صحيح انها محصلة جلية واضحة ؟ الواقع انها مكتسبة بالاستدلال ، فالاصل فيها ضرورة تفسير الموجود المتغير باسناده الى علة ، وضرورة الوقوف عند علة اولى في سلسلة العلل ، والاّ بقي الموجود المتغير بغير تفسير ، وضرورة ايجاب الوجود لهذه العلة الاولى والاّ لم تكن اولى . فديكارت يتناول هذه الفكرة كما كوّنها الفلاسفة واللاهوتيون المدرسيون ويعتبرها اولية فيبدأ من حيث انتهوا ، ويعتبرها محصلة ، ولو كانت كذلك لاستوى فيها كل الناس ولاظهرتنا على ماهية الله كما هي ، والواقع يرد هاتين النتيجتين ، وديكارت نفسه يقرّ بهذا الواقع فيقول (في التأمل الثالث) : « اجل اني لا افهم اللامتناهي ، واني اجهل اموراً كثيرة فيهِ ، ولكني متى علمت انهُ حاصل على جميع الكمالات التي أتصوّرها ، وفهمت حق الفهم ان تمام الاحاطة باللامتناهي ممتنع على موجود متناه مثلي ، فقد حصلت على فكرة عنهُ جلية جداً ولو انها ناقصة جداً » . نقول ولكن اذا كانت الفكرة ناقصة الى هذا الحد فليست صورة حقة للامتناهي تفيدنا معرفته كما هو ، ولكنها فكرتنا نحن عنهُ ، اي فعل عقل متناهٍ ناقص يتعقل الكامل اللامتناهي كما يستطيع ، فديكارت اذ يقول انها محصلة يخلط بينها وبين موضوعها ، فان هذا الموضوع محصل اما فكرتنا عنهُ فلا ، والاّ لكانت تظهرنا على حقيقة اللامتناهي اظهاراً كلياً كما قلنا ، وهذا غير صحيح . ولكن ديكارت ، وقد قطع كل صلة بين الفكر والوجود ، اضطر لوضع الافكار موضع الموجودات ، واعتبارها اشياء قائمة بانفسها

وما دامت هذه الفكرة دعامة الادلة الثلاثة فقد انهارت هذه الادلة بانهيارها . ذلك بان الوجود المتضمن في فكرة الله محمول من جنس الفكرة ، اي محمول متصور فقط ، وليست الفكرة صورة حقة لموضوعها ، فقد فقدت امتيازها واصبحت واذا بينها وبينهُ مثل ما بين سائر الافكار

وبين موضوعاتها من مسافة ، وتعيّن البحث في هل كان يقابلها موضوع حقاً ام كانت مجرد تصور ، فاذا ثبت لها موضوع فحينئذٍ يقال ان الوجود محمول ذاتي له كما قدمنا . وبعبارة اخرى : اذا ثبت وجود الله فقد ثبت ان الوجود واجب له ، اما الانتقال من الوجود المتصوَّر الى الوجود الواقعي فغلط او مغالطة نبه اليها المناطقة . وهذا الرد على الدليل الاول

اما عن الدليل الثاني ، فما دامت فكرتنا عن الله ناقصة فليست تتطلب علة لامتناهية ، وليس ما يمنع صدورها عن الموجود المتناهي الذي يتصورها . ان تصور الكمال واللاتناهي بعكس ما ظن ديكارت ، نحن نبدأ بالوجود المحدود فننفي الحد ونطلق الوجود من كل قيد

وأما عن الدليل الثالث فلا مسوغ للانتقال من وجودي المتناهي الى الموجود اللامتناهي ، اذ مما يجب ملاحظته ان هذا الانتقال لا يتم عند ديكارت بتطبيق مبدأ العلية على وجودي ، بل بواسطة حصول فكرة اللامتناهي في فكر متناه ، لو كان خالق نفسه لكان خلقها كاملة لامتناهية . ولما كانت فكرتي عن اللامتناهي ليست لامتناهية فقد بطل الاستدلال ، ولم يبق منه الاّ اني قد اكون خالق نفسي ، قد اكون ، وأنا موجود متناهٍ حاصلٍ على افكار متناهية ، خلقت نفسي متناهياً ! الى مثل هذا التناقض يرجع دليل ديكارت متى ابطلنا الواسطة المبني عليها اي كون فكرة اللامتناهي محصلة بسيطة اولية

وعلى هذا التناقض تقوم نظريته في ماهية الله ، فان الله عنده الموجود الذي اوجد ذاته ، الله حرية صرفة ، هو حر قدير الى حد انه يعتبر « بالاضافة الى ذاته بمثابة العلة الفاعلية بالاضافة الى معلولها » . بل ان قدرتهُ تذهب الى حد تصرفه في وجوده بحيث « لو لم يكن اعدام الذات نقصاً لامكن اضافة تلك القوة اليه » ! وتتناول حرية الله كل شيء ، ليس فقط ما نراه ممكناً ، بل ايضاً « الحقائق الدائمة » رياضية وفلسفية ، وماهيات المخلوقات ، فان الله صانع الاشياء جميعاً ، وهذه الحقائق والماهيات أشياء فهو اذن صانعها . أجل ان هذه الماهيات والحقائق تبدو لنا ضرورية ، ولكن الله هو الذي أراد ان تكون كذلك ، وفرضها على عقلنا : لقد كان الله حرًّا ألاّ يجعل الخطوط الممتدة من المركز الى المحيط متساوية وزوايا المثلث الثلاث مساوية لقائمتين مثلما كان حرًّا ألاّ يخلق العالم ! فلما اختار صار اختياره حقاً ، ولما كان الله ثابتاً فلا خوف ان يتغير الحق

استوقفتنا النصوص الواردة بهذا المعنى فهي كثيرة صريحة تدل على شدة تعلق ديكارت بنظريته . واستوقفنا من جهة اخرى ورودها في رسائله الخاصة وردوده على الاعتراضات دون « المقال والتأملات ومبادىء الفلسفة » اي الكتب التي اعلن فيها مذهبهُ كاملاً منظماً . والرسائل التي نصادف فيها هذه النظرية للمرة الاولى ترجع الى سنة ١٦٢٩ اي الى ثماني سنين قبل ظهور « المقال » . فتساءلنا ان كان يعقل انها لم تدخل في تركيب المذهب ، فكان الجواب لاول وهلة ان فرض ذلك مستحيل في عقلٍ كعقل ديكارت منظّم غاية التنظيم . وديكارت نفسه يدلنا على

احدى صلات النظرية بالمذهب : ففي رسالة مؤرخة ١٥ ابريل ١٦٣٠ يقول انهُ سيعالج مسألة خلق الحقائق الدائمة في العلم الطبيعي ، لماذا ؟ أليست المسألة من مسائل ما بعد الطبيعة ؟ سنعود الى هذه النقطة فيما بعد . وحسبنا الآن هذه الاشارة . اما هنا فنريد ان نبين صلات اخرى لم يدل عليها ديكارت ، ولم يشر اليها احد من المؤلفين فيما نعلم

اذا كانت الحقيقة خلقاً حرًّا فلم يعد لها قيمة بالذات ، وانما قيمتها آتية من امر الله ، وقد كان في مقدور الله ان يقرر نقيضها ، واذن فباستطاعتنا ان نشك فيها مهما تبدو ضرورية ، هي ضرورية بالاضافة الينا وحادثة في نفسها وبالاضافة الى الله . فالشك الكلي المؤيد بفرض الروح الخبيث يتناول ماهية الحقيقة وصدق الفكر ، وديكارت لا يشك في صدق الفكر الاّ لانهُ يشك في الحقيقة . فكان محتوماً عليهِ ان يستبعد كل حقيقة حتى يبلغ الى الفكر الصرف ، ليقف نفس موقف الله وهو يقرر الحقيقة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى اذا كانت الحقيقة وضعية فليس يعتبر الوضوح علامة حاسمة لتصديقها ، ولكنهُ شعور ذاتي يميل بنا الى التصديق ، فقبل أن نميل معهُ يتعين علينا ان نتيقّن انهُ غير خادع ، فكما أن الحقيقة حادثة فان مصاحبة الوضوح لها حادثة كذلك ، فالثقة بها تقتضي معرفة واضعها وكونه كاملاً صادقاً ، والاّ امتنع علينا كل سند للحقيقة . فصدق الله ضمان الوضوح ومعنى الاثنين جميعاً ان عقلنا ليس باطلاً في جوهره ، بل ان الهاً صالحاً خلقهُ صالحاً اي كفؤاً لان يدرك ما أراد الله ان يدرك وعلى النحو الذي أراد ، وان بين العقل والحقيقة تناسباً وملاءمة لانهما من صنع الله

هذا تأويل لمنهج ديكارت في الشك واليقين . الشك الديكارتي شك كلي حقيقي ، يتناول صميم الحقيقة وصميم العقل ، ولكن وقف في سبيله ثبات العلم فأراد صاحبه أن يصححهُ ، وان يخرج منهُ الى يقين يكفل قيام العلم

٥ — العالم والانسان

بعد أن يطمئن ديكارت الى وجود الله وصدقه ينتقل الى وجود العالم ويسأل نفسه : هل الاشياء المادية موجودة ؟ فيجيب بالايجاب ويقدم الاسباب . فأولاً هذه الاشياء ممكنة والله يستطيع احداث الممكنات . ثم أن فيّ قوة حاسة وهي قوة انفعالية تتطلب قوة فعلية تثير فيها افكار المحسوسات . هذه القوة الفعلية ليست فيّ فأني جوهر مفكر ، وهذه القوة لا تتضمن الفكر وإذن فهي خارجة عني . على أنها قد تكون إما جسماً حاصلاً بالذات على ما أتصوره في المحسوسات واما أن الله حاصل عليهِ على نحو أسمى : فما هي ؟ أحس في نفسي ميلاً طبيعيًّا الى الاعتقاد باشياء جسمية . وما دام هذا الميل طبيعيًّا فهو صادر عن الله ، والله صادق ، فلا بد أن يكون خلق أشياء مقابلة لافكاري . تعلمني طبيعتي أن لي جسماً ، وان أجساماً اخرى تحيط بي ، وان هذه

الاجسام مختلفة فيما بينها تحدث فيَّ ادراكات مختلفة ولذّات وآلاماً . فلن أكترث بعد الآن لأخطاء الحواس وخيالات الاحلام ، فان مراجعة الحواس بعضها ببعض ، ومراجعتها بالذاكرة والعقل ، تبدّد الخوف من الخطأ في الادراك الحسي . وكذلك اتساق الاحساسات فيما بينها يميز اليقظة ، واضطراب التصورات يميز المنام . هذه قرائن لا يمكن ان أخطىء فيها وقد علمت ان الله ليس خادعاً

الاشياء المادية موجودة إذن . ولكن على أي نحو ؟ هنا يجب ان أراجع أفكاري بكل حذر حتى يقتصر تصديقي على ما أراه واضحاً جليًّا ، فان افكاري انما تصدر عن الله من حيث ما فيها من وضوح وجلاء ، والله انما يحدث من موضوعات الافكار ما يُتصوَّر بوضوح وجلاء ليس غير . وما أتصوره في الاشياء جليًّا واضحاً يرجع الى انها امتداد مجرد مقسم الى أجزاء مختلفة الشكل متحركة ، أما باقي ما يبدو في الاحساس فمصدره فكري : الضوء واللون والصوت والرائحة والطعم والحرارة — كل هذه انفعالات ذاتية ، أفكار غامضة مختلطة اضيفها خطأً لذلك الميل الطبيعي ، واتخذها اساساً لمعرفة ماهية الاجسام وليس في الاجسام شيء يشابهها ، وليس لها من غاية سوى ارشادي الى النافع والضار فأكيف مواقفي في الحياة تبعاً لذلك

هذه المادة الهندسية متحركة حركة متصلة . حركها الله منذ الخلق وشرع للحركة قوانين ، فبقي مقدار الحركة واحداً لا يزيد ولا ينقص وظلت القوانين ثابتة بثبات الله . وكان من فعل الحركة في المادة على مقتضى القوانين ان تكونت السماء والارض والسيارات والمذنبات والشمس والنجوم الثوابت والضوء والماء والهواء والجبال والمعادن والنباتات والحيوانات والاجسام الانسانية .. . تكونت كلها بفاعلية الحركة في الامتداد دون أي شيء من تلك الكيفيات والقوى والصور الجوهرية التي أضافها ارسطو والمدرسيون الى المادة، ودون علة غائية فليس لهذه العلة محل في العلم الطبيعي وأنَّى لنا ان نكشف غايات الله، والله على كل حال لم يتوخَّ غاية وإنما رتب الاشياء بمحض إرادته الحرة . فالاشياء المادية آلات ليس غير . أجل أنها آلات دقيقة الاجزاء كثيرة التعقيد عجيبة الصنع ، ولكنها آلات على كل حال تعمل بالحركة فحسب . والعالم في مجموعه آلة كبرى او علم الميكانيكا يتحقق بالفعل، تلاشى منهُ بهاء الالوان ونغم الاصوات وشذى الروائح، ولئن فاتهُ ذلك الجمال الذي تتوهمهُ فيه الفلسفة الناسجة على منوال ارسطو والذوق العام ، فقد استعاض عنهُ معقولية طالما نشدتها تلك الفلسفة فأعياها البلوغ اليها ، اذ قد اصبحت اشياءه شبيهة بالاشكال الهندسية معقولة كلها دون غموض ولا خفاء ... ولكنها لم تصبح كذلك الاَّ بارادة الفيلسوف ، افرغها مما فيها من قوة وحياة وردها « الواحاً مسندة » وأشكالاً جوفاء

بقي على ديكارت ، وقد استعاد يقينه بالاجسام بما فيها جسمه هو ، ان يخطو خطوة اخيرة ويفحص عن طبيعته . هو مؤلف من نفس وجسم اي من جوهرين متمايزين بل متضادين :



الفيلسوف ديكارت (جريدة المصري)

النفس روح بسيط مفكر ، والجسم امتداد قابل للقسمة . ليس في مفهوم الجسم شيء مما يخص النفس ، وليس في مفهوم النفس شيء مما يخص الجسم ، وقد اشك في وجود جسمي والاجسام جميعاً دون ان يتأثر بذلك الشك وجود فكري ونفسي . بيد ان طبيعتي تعلمني اني لست حالاً في جسمي حلول النوتي في المركب ولكني متحد به اتحاداً جوهريًّا يكون كلاً واحداً ، بحيث لو جرح جسمي فلست اقتصر على ادراك الجرح بالعقل ولكني انبه اليه بالالم . والجوع والعطش والالم انفعالات لا تنال النفس حيث هي كذلك ولكنها ناشئة من اتحاد النفس والجسم واختلاطهما

عجباً ! يستعير ديكارت عبارات ارسطو ، ارسطو المنكر على افلاطون ان تكون النفس في الجسم « كالنوتي في المركب » والمؤكد اتحاد النفس والجسم « اتحاداً جوهريًّا » فكيف يفسر الاتحاد وهو قد ميز النفس والجسم الى حد التضاد ؟ الواقع انهُ يذعن هنا مكرهاً لشهادة الوجدان ، وان مذهبه ثنائي لا يطيق الوحدة بحال . في مواضع كثيرة يتكلم عن النفس والجسم كأن النفس حالّة في الجسم مجرد حلول ، وهو يعين لها فيه مكاناً ممتازاً هو الغدة الصنوبرية «حيث تقوم النفس بوظائفها بنوع اخص منها في سائر الاجزاء ، وتنشر قوتها في الجسم كله » فكلما ارادت شيئاً « حركت الغدة المتحدة بها الحركة المطلوبة لاحداث الفعل المتعلق بتلك الارادة» اما الجسم فيؤثر في النفس بأن يبلغ اليها الحركات الواقعة عليه والحادثة فيه فتترجمها هي الواناً وأصواتاً وروائح وطعوماً ورغبات ولذات وآلاماً . كذلك رتبت الامور لخير الانسان وحفظ كيانه — اي كذلك رتبها الله — فيعود ديكارت الى الله مرة اخرى للخروج من مأزقه كما كان التراجيديون اليونان يقحمون الآلهة في المواقف الحرجة . وتلك هي الكلمة الاخيرة في المشكلة اذ يستحيل تصور اتحاد حقيقي بين جوهرين تامين وتصور تفاعل حقيقي بين جوهرين متضادين

ولديكارت كلمة ابلغ دلالة على هذه الاستحالة . الحّت عليه الاميرة اليصابات ان يتجدها بالتعليل الشافي ، فأفاض في القول دون ان يأتي بشيء جديد ، بل ان هذه الافاضة تنم على حيرة كبيرة وانتهى بالاعتراف بان المسألة لا تحتمل حلاً عقليًّا . قال : « تعلم النفس بالعقل ، ويعلم الجسم بالعقل كذلك ، ولكنهُ يعلم احسن بكثير بالعقل تعاونهُ المخيّلة ، اما اتحاد النفس والجسم فلا يعلم الاّ علماً غامضاً بالعقل والمخيلة ، ويعلم علماً واضحاً بالحواس ، وهو امر محسوس لا يشك فيه عامة الناس ويستطيع الفلاسفة ان يدركوه اذا هم كفوا عن التعقل والتحليل وتركوا انفسهم للحياة وللاحاديث الجارية » . واردف ذلك بقوله : « لا يلوح ان باستطاعة العقل الانساني ان يتصور بجلاء وفي نفس الوقت تمايز النفس والجسم واتحادهما ، اذ ان ذلك يقتضي تصورهما شيئاً واحداً وشيئين ، وهذا تناقض »

وهذا اقرار صريح بالعجز والفشل . لذلك نرى نظرية ديكارت في النفس والجسم خير

نظرياته بياناً لما يميز مذهبه من تركيب صناعي . انها ضعيفة الى حد التناقض باقرار الفيلسوف نفسه وعندها يتحطم المنهج الجديد في يد صاحبه . وان في هذا الاخفاق لعبرة ، فهو يدلنا على عاقبة قلب نظام المعرفة الانسانية ومحاولة اخضاع الوجود لمنهج يفرض عليهِ فرضاً بدل اخضاع الفكر للوجود . ان الوجود اصلب من أن يلين للنظريات ، وهو لا يلبث ان يثأر لنفسه منها ويبين تهافتها . أليس من الغريب ان نسمع ديكارت « العقلي » المعتد بالعقلي الى غير حد يدعونا الى اطراح العقل والاسترسال مع الحياة واحاديث الناس في مسألة هي من الاهمية الفلسفية بأعظم مكان ؟ وهل هناك ثأر أبلغ ؟ واذا ذكرنا ان كبلر وغليليو ثم نيوتن من بعدهما اكتشفوا بالتجربة قوانين مضبوطة ، فكانت تسمح لهم بتوقع الظواهر والانباء بها وتقودهم الى مكتشفات جديدة ، بينما القوانين (غير الصحيحة) التي فرضها ديكارت على الطبيعة لم تكن تفسر الاشياء الا تفسيراً اجماليًّا ولا تسمح بأي توقع وانباء — اذا ذكرنا ذلك كان لنا منهُ مثال آخر على ثأر الطبيعة من المتجبرين عليها وسخريتها منهم

٦ – تفسير المذهب

كيف امكن ان يتورط ديكارت ، ذلك الفيلسوف الكبير والعالم الخطير ، في تلك الآراء الغريبة والحلول العجيبة ، فيشك في كل شيء ويفصل ما بين الفكر والوجود ثم يعتقد أنهُ يبرهن على وجود الله بمجرد فكرة الله ؛ يشك في كل شيء ويتهم العقل ثم يبرهن على وجود الله بالعقل ويتخذ من صدق الله ضماناً للعقل ؛ يرجع الحقائق الضرورية لمحض حرية الله فيصور الله الكامل قوة عميدة تعمل بدون حكمة ولا نظام ؛ يتمثل الطبيعة آلة كبرى ، والحياة حركة آلية ، والحيوان خلواً من الحس والشعور ، وجسم الانسان آلة كذلك حلت فيها نفسه ، فكان منهما لغز رهيب — وغير ذلك مما صادفناه واثار دهشة القراء من غير ريب ؟ كيف أمكن ذلك ؟ نعتقد ان الرياضيات هي التي جنت عليهِ وان العلم الطبيعي الرياضي مفتاح مذهبه كله

تقدّم لنا الرياضيات المثل الاعلى للعلم ، ذلك العلم « اللمي » (نسبة الى لِمَ) البرهاني الذي ينزل من المبادىء الى النتائج متبعاً الترتيب الطبيعي للاشياء . فيبين علة النتائج في مبادئها ، ويجيب عن سؤال « لِمَ الشيء كذا ؟ » فيرضى بهِ العقل تمام الرضى . كان افلاطون يصبو الى تلك الغاية ويحاول تحقيقها ، وكان ارسطو يعتبرها كذلك الغاية القصوى . ولكنهُ فطن الى أنها لا تتحقق الا في بعض النواحي ، وان العلم الطبيعي نوع آخر من العلم هو العلم « الإني » الاستقرائي يأتي في المرتبة الثانية لانهُ يقتصر على القول « بان الشيء كذا » دون بيان العلة في اكثر الاحيان ، ولكنهُ العلم الملائم لطبيعة معرفتنا التي تبدأ بالمحسوس وتتأدى منهُ الى المعقول فهو لذلك أبين بالاضافة الينا وان يكن المعقول أبين في نفسه

لم يوفق ديكارت الى مثل اتزان ارسطو وتواضعه . غالى في طلب المعقولية وأراد ان يكون علمنا كلهُ لميّـا برهانيًّـا أو لا يكون أصلاً ، فاحال العلم الطبيعي علماً رياضيًّا بحتاً وذهب في ذلك الى حد فرض قوانين كان يعلم عدم مطابقتها للواقع ولكن فرضها « لكي يمكن أن تقع الاشياء تحت الفحص الرياضي » . والرياضيات لا تنظر في غير الاعداد والاشكال ، فمتى رددنا العلم الطبيعي الى الرياضي رددنا الاجسام الطبيعية الى اشكال هندسية ، ورددنا افعالها الى حركات آلية تقاس ويعبر عنها باعداد . وانكرنا ما عدا ذلك مما يأتينا عن طريق الحواس واضفناه للنفس ، فيلزم عن ذلك ان الاحساس ذاتي ، وان لا شبه بينهُ وبين علته الخارجية فنشك في الادراك الحسي ولا نجد بدًّا من تحكيم العقل فيه للتمييز بين ماهو موضوعي — ان كان — وماهو ذاتي في الاحساس ولكن اذا امكن الشك في وضوح الحس فمن يضمن لنا وضوح العقل والعقل يخطىء احياناً ؟ نشك اذن في الادراك العقلي ونقول أن الفكر اذ يدرك انما يدرك ذاتهُ لا موضوعاً خارجاً اوحقيقة مستقلة عنهُ ، فيتعين علينا تسويغ العقل اذا اردنا الاحتفاظ بالعلم — وكيف لا نريد والعلم ناجح ؟

يضاف الى ماتقدم ان تصوُّر الاجسام الخارجية آلاتٍ اى اجساماً صناعية خلواً من كل طبيعة او ماهية يحملنا على استبعاد المنطق القديم القائم على أن الموجودات طبائع وماهيات لها خصائص وعوارض نضيفها اليها في احكام ونؤلف الاحكام في أقيسة ، فتقصر المعرفة على الجزئيات من حيث هي كذلك وعلى ما بينها من علاقات ، فلا يبقى هناك تحليل للاشياء الى اجناس وانواع بل الى اجزاء حقيقيـة كأجزاء الآلة هي « طبـائع بسيطة » لا تحد ولا تطلب الحد ، فلا نقول « الانسان حيوان ناطق » بل نقول « الانسان نفس وجسم » ، ومن يجهل ما النفس وما الجسم ؟ وان من يمعن النظر في « قواعد تدبير العقل » ير في ديكارت واحداً من الاسميين ، هؤلاء الفلاسفة التجريبيين الذين ظهروا في القرن الرابع عشر وكانو أول الخارجين على الفلسفة الارسطوطالية ، يعتبر المعاني الـكلية « اسماء » جوفاء ويستعيض عنها بتلك الطبائع البسيطة وعن منطق ارسطو بمناهج الرياضيين . ويلزم من ذلك — كما تنبه اليه التجريبيون القدماء منهم والمحدثون — ان ليس هناك حقائق منطقية ضرورية واحكام مطلقة ، فينشأ لدينا سبب آخر للشك في العقل شكـًا حقيقيًّا لا منهجيًّـا . وديكارت يستبعد بالفعل الحـكم الارسطوطالي (وهو اسناد محمول الى موضوع او وصف شيء بشيء) ويستعيض عنه بمعنى آخر هو ان الحـكم اعتقاد الارادة بوجود خارجي لموضوع فـكـرة ما . فليس في العقل سوى الطبائع البسيطة يضم بعضها الى بعض او يفصل بعضها من بعض ، وليس في العلم سوى « قوانين » . اين نجد اذن الحاكم الاخير على ادراك العقل ، الحاكم الذي لا يخطىء ولا يخدع ؟ وأين نجد الاساس الثابت الذي تقوم عليه القوانين ؟ نجدها جميعاً في الله ، ونجعل مرجع الحقائق والقوانين

محض ارادة الله فنستبقي لها صفة الحدوث والامكان — اي عدم الضرورة بالذات — ثم نستمد لها صفة الضرورة من ثبات الله على ما قرره بحرية . وهذا يبين لنا شدة الحاجة الى الله في هذا المذهب ، فالله يسوغ المعرفة والعلم ، ولا مخرج من الشك بغير الالتجاء الى الله ، ولو بالوقوع في الغلط الذي يسميه المناطقة بالدور الملتوي

٧ — خاتمة

بهذا المذهب احدث ديكارت انقلاباً خطيراً في عالم الفكر . فقد غير نظر العقل لطبيعته . كان القدماء يعتقدون ان العقل يدرك الوجود فاصبح العقل محبوساً في نفسه . اخذ الفلاسفة بهذه التصورية ، فانكروا العالم الخارجي — ولم يكن ديكارت قد آمن به الا بمخالفته المبدأ التصوري ولم يؤمن به الا هزيلاً ضئيلاً على ما رأينا — وانكروا العلية فاعلية وغائية ، وانكروا الجوهر والنفس والله . وفي الحق اذا كنا لا ندرك سوى تصوراتنا وكانت تصوراتنا حجاباً بين العقل والوجود بدل ان تكون مرآة الوجود فلا سبيل الى تجاوزها

وغيّر ديكارت معنى الوضوح والمعقولية فاصبح العقل المحبوس في ذاته القانون الاكبر والاوحد « لا يسلم شيئاً الا ان يعلم انه حق » أي الا ان يعقله هو وركّبهُ بأفكار واضحة جلية هي في الواقع افكار سهلة ، فان استعصى عليه شيء انكره . وقد رأينا ديكارت يذهب من الفكر الى الوجود ويتصوّر الاشياء على مثال افكاره ويمحو منها الحياة لانهُ لم يفهمها فهماً رياضيًّا ، وكان القدماء يوردونها أولاً ثم يحاولون تفسيرها

فديكارت أول من حرر العقل من سلطان الوجود واعلن ان الفكر يكفي نفسه بنفسه ولا يخضع لشيء سواه ، ولا يأبه لحرمة السلف في العلم والفلسفة ، فقلب الوضع الطبيعي الذي يجعل العقل الانساني تابعاً للوجود ومحتاجاً الى التعلم ، واقام « الفردية » على أساس فلسفي وكانت من قبل نزعة مجردة هي أقرب الى التمرد منها الى الحق ، تلك الفردية التي تحمل الشخص على ان يظن نفسه اهلاً للحكم على الاشياء بنفسه ، كأن ليس هناك عقول غير عقله فتورث الفوضى العقلية ، وعلى ان يجعل من نفسه مركزاً تدور حولهُ الاسرة والمجتمع ، فتورث الفوضى الخلقية والاجتماعية

وفصل ديكارت بين الفكر والوجود ففصل بين العلم والفلسفة : فعاد العلم لا يعرف لهُ موضوعاً غير الامتداد والحركة . وحصرت الفلسفة دائرتها في الفكر واصبحت تأليفاً ذاتيًّا ، او نوعاً من الفن ، لا تأخذ عن العلم ولا يأخذ العلم عنها فانقطعت بذلك وحدة المعرفة ، وانقسم الفلاسفة طائفتين : طائفة ترد المادة والحركة الى الفكر ، وطائفة ترد الفكر الى حركة مادية . وما تزال هذه الثنائية قائمة الى اليوم ، وما تزال المشكلات الناجمة عنها قائمة كذلك

التألق يفضح

نواحٍ عملية غريبة من استعمال
الاشعة التي فوق البنفسجي

إذا أطلقت ضوء الشمس أو ضوء المصباح الكهربائي على جسم من الاجسام ، انعكست عنهُ أمواج الضوءِ انعكاساً تامًّا او جزئيًّا فترى الجسم بهذا الضوءِ المنعكس . فاذا كان الجسم أبيض صقيلاً كان الانعكاس تامًّا أو أقرب ما يكون إلى التمام فتراه باهراً . فاذا كان الجسم قاتماً غير صقيل امتص جانباً من أمواج الضوءِ فلا تراهُ واضحاً كل الوضوح

ولكن من الامواج التي يتألف منها ضوء الشمس ، طائفة لا ترى بالعين ، ومن اشهرها طائفة الاشعة المعروفة بالاشعة التي فوق البنفسجي . ومن خواص هذه الاشعة أنها عند ما تطلق على مادة ما تجعلها تتألق بلون معين . وتعرف هذه الظاهرة عند علماءِ الطبيعة بظاهرة « الفلورة » Flourescence

وقد عمد العلماء في العهد الأخير الى تطبيق هذه الظاهرة في الصناعة والتجارة والطب والفن والبحث الجنائي . فتوصلوا الى نتائج تبعث على الدهشة ، وذلك لانها تمكنهم من استشفاف المواد التي يمتحنوها والتي يتداولها الناس ، ومعرفة هل هي نقية أو مشوبة ، بل أنهم تبينوا ما خفي من كتابة سرية في خطابات الاسرى والجواسيس وميزوا الاوراق المالية وطوابع البريد المزيفة من الاصيلة وهكذا

فكل مادة تتألق بلون خاص بها عند ما توجه اليها الاشعة التي فوق البنفسجي. ومع أن هذا اللون ليس مقياساً حاسماً في جميع الحالات إلا ان الاعتماد على هذا التألق «الفلوري» يمكن القائمين بهِ من الوصول إلى رأي صحيح أو قريب من الصحة في اقصر وقت ، فلا يستغرق هذا الضرب من البحث الا ثواني معدودة ، حالة أن التحليل الكيميائي قد يستغرق ساعات ...

يولد الضوء في مصباح خاص يعرف بمصباح القوس الزئبقي ، وتوجّه شعاعته الى مصفاة خاصة من الزجاج فتخترقها ، فتمتص المصفاة جميع امواج الشعاعة إلاَّ أمواج الاشعة التي فوق البنفسجي

ان الحكومات التي سنت قوانين دقيقة لمراقبة ما يبتاعهُ الناسُ من مواد الغذاء ، وجدت في هذا الاسلوب من البحث خير معوان . فقشر البيض الطازج يتألق عند توجيه هذه الأشعة اليهِ بلون وردي . أما قشر البيض القديم فيتألق بلون أزرق أو بنفسجي . ودقيق القمح والجويدار (rye) يتألق بلون أزرق خفيف حالة ان دقيق الشعير والبطاطس لا يتألق قط . فاذا خلط مخبز ما الدقيق الاول بالثاني ليصنع الخبز من هذا الخليط أسفر امتحان الخليط بتوجيه هذه الاشعة اليهِ، عن ان تألقهُ المزراقّ أضعف من تألق دقيق القمح والجويدار النقي ،فيكشف انهُ خليط . واذا اضيف مقدار من دقيق فول الصويا لا يزيد عن واحد الى اربعة في المائة إلى دقيق القمح كان لون الخليط عند التألق غير لون دقيق القمح. وبالطريقة نفسها يمكن تمييز صنف جيد من القمح من صنف لا يبلغ مبلغهُ من الجودة . وتقاس جودة القمح عادة بمقدار ما في الحب من « الجلوتين » . فحبوب القمح الجيد — أي القمح الذي يكثر فيهِ الجلوتين — يتألق مكسرها بلون ازرق خاص ، حالة ان حبوب صنف آخر « جلوتينه » قليل، تتألق بلون اصفر. وكما يميز أصناف الحنطة بعضها من بعض من حيث مقدار « الجلوتين » بهذه الطريقة يميز بعضها من بعض من حيث أعمارها كذلك

وما يصح على القمح والدقيق من هذا القبيل يصح على أصناف الزيت والدهن والزبدة والشحم. واغرب من ذلك ان هذا الاسلوب من البحث والامتحان مكن للباحثين تتبع نضج الجبن باللون الذي يتألق بهِ عند تعريضه لهذه الاشعة وما ينتج عن التعريض من تألق بلون خاص. فالجبن الذي لا يزال في اول مراتب النضج يتألق بلون اصفر ، ثم يتحول رويداً رويداً الى لون ازرق عندما يكتمل النضج

***

هذا مما يتعلق ببعض مواد الطعام. ولكن هناك ناحية اخرى تتجلى فيها فائدة هذا الاسلوب الجديد من اساليب البحث والكشف . نعني ناحية التحقيق الجنائي . فاذا عثر المحقق على شظية زجاج في ثنية من ثنايا ملابس لمتهم ، وكان المتهم ينكر التهمة ويستند الى أنهُ كان في مكان آخر عند وقوع الجريمة ، ثم ظهر ان هذه الشظية تتألق بلون كاللون الذي تتألق بهِ شظايا إناءٍ مكسور في بيت القتيل، فللنيابة من هذا البحث دليل قوي تضيفه الى أدلتها الاخرى . بل قد قد يكون هذا الدليل مفتاحاً يفتح بهِ ما أغلق من خفايا الجريمة . أو قد يعثر المحقق في جيب أحد المشبوهين على عود ثقاب يتألق عند توجيه الاشعة اليهِ بلون معين، هو نفس اللون الذي تتألق بهِ عيدان أشعلت وسقطت في حجرة سرق أثاثها وقتل ساكنها ، فيتخذ المحقق من ذلك منفذاً ينفذ بهِ إلى سر الجناية

وقد رويت روايات عن جرائم متعددة لم يمط اللثام عن سرها الا بهذا الاسلوب

***

ثم إن هذه الاشعة تفضح أساليب السجناء والاسرى الذين يحاولون أن يكتبوا بحبرخفي بين سطور خطاب مكتوب بحبر عادي. وقد كانت الطريقة قبل اكتشاف اسلوب البحث «بالفلورة» أن تغمس الخطابات المشتبه بها في محلولات خاصة او تدهن بمواد كيمياوية معروفة تجلو الخفي. ولكن توجيه الاشعة التي فوق البنفسجي الى خطاب مشتبه به يبدي حالاً المادة التي كتب بها بين السطور. لان كل مادة من المواد المعروفة التي يستعملها السجناء والاسرى والجواسيس للكتابة الخفية تتألق بألوان خاصة وقد وضع بها بيان في المعامل الخاصة بهذا النوع من البحث

والاوراق المالية المزيفة تفضح عند تعريضها لهذا الضوء لاختلاف يتبينهُ الفاحص بين اللون الذي يتألق به ورق الاوراق المالية الاصلية وحبرها وخطوطها المائية، واللون الذي يتألق به ورق الاوراق المزيفة وحبرها وخطوطها المائية

ومن هذا القبيل امتحان الصور القديمة. فتوقيع المصور في الصور التي ثبتت نسبتها اليه، يعرض لهذا الضوء العجيب فيتألق بلون معين. ثم تأخذ الصور المختلف فيها او المشتبه بأنها معزوة اليه، ويعرض التوقيع عليها للاشعة فيعرف الصحيح من الفاسد. كذلك الرخام القديم يتألق بلون يختلف عن لون الرخام الحديث، فلون القديم عند تعريضه للاشعة التي فوق البنفسجي ابيض مبقع فيه ظلال من اللونين الاصفر والازرق، ولكن الحديث المقطع يتألق بلون ارجواني قانٍ

وما يصدق على الرخام يمكن تطبيقه مع التنويع اللازم على حجر المرمر والحجر الجيري والعاج

ولا يخفى ان بعض طوابع البريد القديمة والنادرة تباع وتشترى بمبالغ فادحة من المال. وهذا يغري المزورين والمزيفين بتزييف طوابع جديدة حتى تشبه القديمة في مرآها، وقد يبلغ التزييف من الدقة مبلغاً يعجز معهُ الهاوي البارع عن تبين الفرق بين هذه وتلك. فالبحث بالاسلوب المتقدم الذكر، يشبهُ البحث في الاوراق المالية، وكشف التزييف مستطاع بسرعة عظيمة ولا سيما لان مادة الورق والحبر والصمغ في طوابع البريد يمكن فحصها اتم فحص بهذا الاسلوب

والخلاصة ان تطبيق ظاهرة «الفلورة» على النسق المتقدم قد مهدت للباحثين طريقاً لتمييز القديم من الحديث. والاصلي من الزائف، والنقي من المشوب، في مئات الاشياء التي نتناولها كل يوم

ساعة في هياكل الشعراء — ٢

رشيد ايوب

ليوسف البعيني

رشيد ايوب صاحب ديوان — أغاني الدرويش — وأحدُ اعضاء الرابطة القلمية في الولايات المتحدة ناثرٌ مبدع وشاعرٌ رقيقٌ حساس تسربلُ سطورهُ عاطفةٌ مزبدة باليأس والمرارة والحنين، وتباسل معانيه دمعة ممزوجةٌ بالالم والشوق والتذكار

ما قرأتهُ مرةً إلاّ تيقظت في اعماق قلبي أشباح أيامي وليالي ... تلك الايام والليالي التي كفّنها الدهرُ بوشاحهِ القاتم الحزين لتبقى محتفظة بأحلامي الماضية احتفاظ الضريح برفات دفينه

يسمعك نغماً من أنغامهِ الحنونة فيحملُ روحك الى اماكن حبها وغرامها . . . ويحدّثك عن قصةٍ من قصص حياتهِ فيعيد اليك كلّ ما حجبتهُ الاقدار، وطمرتهُ الشهور والاعوام

يستأثر بميولك ومشاربك كما يريد فتحسّ بضباب قلبهِ قد عانقَ ضباب قلبك وبدموع عينيهِ قد مازجتْ دموع عينيك . . . ويصف لك ما ينهشُ نفسهُ من يأسٍ وأسى فتحبهُ جاثياً ضارعاً، وتعشقهُ باكياً شاكياً!

يسيرُ في الحقل راكضاً وراء فراشة أحلامه فتتبعهُ سائراً راكضاً . . . ويجثو على ضفات بحيرة دموعه فتجثو معهُ هامساً متمتماً

بينا هو في الحديقة وقد أبكر نافضاً عن اوراقها غبارَ الليالي . . . اذا بهِ يهبُ صاعداً على سلالم من ضوءِ القمر ليستنشق النجوم بياناً علويّاً، وشعراً معطراً سامياً

هو شاعر . . . وللشعراء قوة مجهولة تفعل في الارواح ما لا تفعله قوى البشر وأعمالهم!!

***

انّ الشاعر الذي تتآلف إحساساتهُ مع احساساتك، وتلاصق جراح نفسه جراح نفسك فتبكيان وتفرحان معاً . هو شاعر يعرف كيف يغوص في عتمة الحياة مستخرجاً منها اسرارها وخفاياها . ورشيد ايوب تقرأه فتخيم عليك غمامة مجهولة كلها تأمل وتساؤل وأحلام

احب الشتاء لأن له ضباباً كهمي ثقيلاً كثيفْ
وأهوى الربيع فأنفاسه دواءٌ لجسمي العليل الضعيفْ
وأصبو الى الصيف مستأنساً بوحشة ليليَ الطويل المخيفْ
وتشتاق نفسي الخريف وقد تجنّى عليّ زمان الخريف
فيا دهر هل فيك مثلي فتىً يلاقي الرزايا بوجهٍ لطيف ؟

هذه ابيات من ديوانهِ الأول وهي ساحرة مؤثرة اوردتها هنا لتقرأها معي وتشاركني في التأمل بضباب الشتاء الذي يشبههُ الشاعر بهمهِ الثقيل . ولعمري ان ريشة ترسم عبقريتها الخفية كل ما في الطبيعة من خشيش ، وهبوب ، وارتعاش ، لهي ريشة خلابة لها اصباغها وألوانها . وما من مرة استعدت فيها هذه الابيات إلاّ اوحى اليّ رنينها الشجي تشابيه جديدة وصوراً مجهولة تفتح في القلب اكمام الشاعرية

لقد كنت اعتقد ان للشاعر سلطة محدودة على نفسية المطالع ، اما رشيد ايوب فله انامل مختلفة عن انامل الكثيرين من الشعراء ، انامل لطيفة ناعمة تلامس ازاهير الشاعرية فتنعشها وتصبغها باللون الذي يلائمها ويتفق مع حالتها !

أودّع رزقي عند المساء وأجلس في الروض تحت الشجرْ
وأصغي إلى ما يقولُ المشيبُ بذكرِ الشبابِ الذي قد عَبَرْ
أغني لتأتيَ بناتُ الخيالِ ويرقصْنَ حولي بضوءِ القمرْ
فأغنيتي من وداع الخريفِ لأوراقهِ عندَ وقتِ السفرْ
تعاليْ اسمعيها ففيها الفراقُ وفيها اللقاءُ ، وفيها العبرْ

إن الشاعرَ السامي لا يكتفي باعطائك صورةً عمّا يحسُّ ، بل بأن يجعلك تشعرُ بما يشعر، وتتساءل عمّا يتساءل ، وتهتمُّ بما يهمّ . فتماشيهِ على ضفةِ خيالاتهِ وترتفع معهُ إلى أفقهِ الاعلى. أفلستَ تجلسُ مع رشيد أيوب تحتَ ظلال شجرةِ الليل وتغني معهُ لبناتِ الخيال الراقصات في ضوءِ القمر اغنية الماضي الملتفع بحجابِ الذكرى والمستتر بأوراقِ خريف الحياة ؟

وإنْ تكن في الحياة مرارة قاسية فهيَ مرارة الذكرى . هناكَ منْ أظلمَ ليله فبات مسهداً يبكي على مافات . وهناك منْ يحيا وحياتهُ دائماً سلسلة تجرّها اقدامُ اشباحِ الماضي . فيقظتهُ حنين ! وغفلتهُ تذكار ! !

***

في بدء الجيل الماضي ترنّحَ الادب المستجدّ في الغرب للقصيدة الرائعة التي نظمها الشاعرْ المشهور — الاب لامِنّه — وسمّاها يومئذ — نشيد المنفي — وحتى الآن والنقادُ الغربيون

وبينهم الكاتبُ الكبير استيفان زڤيج، يتناولونها بالمديح والاطراء. وهم لا يفعلون ذلك الا لكون القصيدة تعبرُ عن حنين المهاجر، وعن شوقهِ إلى حمى الطفولة المحفوفة بذكريات الماضي. أما قصيدة الشاعر — لا مِنهُ — فهي هذه:

— لقد هامَ على وجههِ في المهاجر.. نَخذْ اللهمّ بناصره.. إنه منفيٌّ مسكين —

لقد مررتُ بين الناسْ، فحدقوا بي وحدّقتُ بهم.. لكنّنا لم نتلاق بعاطفة — فالمنفي مجهول في كل مكان —

كلَّ يوم عند مغيب الشمس كنتُ أرى أعمدة من الدخان تتصاعدُ من أحد الاكواخ القائمة في قلب الوادي الصغير فاقول في نفسي — يالسعادة من لهُ منزلَ حقير يأوي اليهِ عند المساء ويجلس فيهِ بين اهله وذويهِ — أما المنفيُّ فشقيٌّ في كلّ مكان!!

إلى اينَ تذهب تلك الغيوم التي تكشحها العاصفة، أراني أطردُ مثلها في هذا العالم.. ولكن ماذا ينفعني كلُّ ذلك — فالمنفي وحيدٌ في كلّ مكان

إنَّ هذا الجدول ينساب بهدوء السهول، غير أنّ خريره يختلف كثيراً عن ذلك الخرير الذي كنت اسمعهُ في حداثتي. انهُ لا يعيدُ الى نفسي ادنى ذكرى!

جميلةٌ هذه الاشجار.. ولطيفةٌ هذه الازاهير.. ولكن ليست الاشجار اشجارَ بلادي ولا الازاهيرُ ازاهيرَ وطني

يسألني الناسُ ما يبكيك، وعند ما أطلعهم على سبب بكائي لايذرفُ احدٌ منهم دمعةً حرى توجعاً لي، ذلك لانهم لا يفهمون احلامي واشواقي!

رأيتُ شيوخاً يحيط بهم بنوهم كما تحيطُ بالزيتونة فروخُها، ولكنّي لم اسمع احداً من بين هؤلاء الشيوخ يناديني بابنهِ، ولم ارَ بين هؤلاء الفتيان منّ يدعوني اخاه::

وشاهدتُ عذارى كثيرات يبتسمنَ ابتسامة الحبّ لمن قد اخترنهُ من بين الرجال ولكني لم ارَ ثغرَ واحدة يفترُّ لي عن ابتسامة!

وشاهدتُ شباناً يتعانقون فرحين باجتماع شملهم.. ولكن وددتُ لو قبضَ واحدٌ منهم على يدي مصافحاً

اواهُ! انّ المنفيّ شقيٌّ في كل مكان! فلا أصدقاء، ولا زوجات، ولا إخوة، إلاّ في الوطن!!

***

خفّفْ عنك أيها المهاجر المسكين، وامسكْ عنانَ تأوهاتك.. الكل منفيٌّ مثلك.. والكل يشاهد اهله يمرون ويتلاشون!

ليس الوطن في هذا العالم ، وعبثاً يحاول المرء ان يجده . وما موطن الانسان على الارض إلا كمبيت ليلة واحدة !

***

وانا ما اوردت ترجمة هذه القصيدة الا لاقابل بينها وبين هذه الابيات التي ارسلتها روح رشيد ايوب وهي تعبر عن حنين المهاجر الذي يهيم على وجهه في الابعاد القاصية . . . وعندي ان قصيدة الشاعر اللبناني الحساس أرق عاطفة واحسن تصويراً ، وهي في ما يلي

ذكروه بالحمى فارتعشا وهو كالمجنون
مغرمٌ في الحبّ قدماً قد نشا قلبهُ المحزون

لا تلوموهُ فهذا صبٌّ سقيمْ نازحٌ مسكينْ
ليس يحييهِ سوى ذاك النسيمْ في ربى صنّينْ

يرقبُ الافلاك ان جنّ الظلام في حشاهُ نارْ
وهو يحسو الخمرَ مضنىً لا ينامْ يُنشدُ الاشعارْ

لم تزدهُ الكأسُ الاّ عطشا أبداً ظمآنْ
يتغنى عمرَهُ كيفَ مشى بربى لبنانْ

***

ولرشيد ايوب صاحب ديوان — أغاني الدرويش — عدا فنه الانيق وريشته الفخمة ، نفسية ملتفعة بدثار أسود تنشرُ دائماً على اشعاره الرقيقة غبرةَ الحزن والكآبة كأنها شجرة الصفصاف النابتة على ضفاف جدول الدموع ... أو البلبلُ الشريد الذي أضاع أليفهُ الحبيب !!

وهذه النفسيّةُ التي تغمرُ جميع نواحي الشاعر قد أوتيتْ حظاً وفيراً من الفهم والادراك. فرشيد أيوب ناثرٌ مبدع يحملك نثرهُ الشعريُّ المنسول من جعبِ الآلهة على الاعجاب والتفكير . وإن كنت أجد نظيراً للشاعر العبقري المشهور — سولي برودُومْ — في الادب العربي فهو رشيد أيوب . وأنا لو كنت اعتقد بمذهبِ — السبيريتيسمْ — لقلتُ أنّ روحَ الشاعر الغربي تحيا اليوم في الشاعر اللبناني النابغة ... فان في نفسية رشيد ايوب حيرة تشابهُ حيرة — سولي برودومْ — وترتعش مثلها في سطورها وأبياتها

والمقاطع الآتية ما احببتُ ان اختارها من قصيدته الرائعة — الضوء البعيد — وهي منشورة في ديوان (أغاني الدرويش) إلاّ لاعطي القارىء معنىً كاملاً ، وصورةً شفافة الخطوط والالوان لهذا الشاعر الذي يمثل شعرهُ العذب يقظة في الادب العربي

لبستْ شمسي الوشاحا آهِ ما أحلى المغيبْ
نامَ قلبي واستراحا وقضى ذاك الغريبْ
في الأنامْ

فاحفروا قبري بجانبْ خيمتي عندَ الكرومْ
حيثما كنت اراقبْ في دجى الليل النجومْ
لا أنامْ

دقةُ الناقوس عندي كلُّ انغامِ الطربْ
فاضربوهُ عند لحدي يومَ تفريجِ الكُربْ
بالحمامْ

لك يا نفسي حياةٌ بعدما أُلقي العَصَا
فالاماني جائعاتٌ علّليها بالحصى
كي تنامْ

***

ان اول ما يتطلبهُ الفنُّ من الشاعر هو أن يكون صادقَ العاطفة . . . وفي شعر رشيد ايوب عاطفة صادقة تنسابُ شادية مترنمة انسيابَ الجدول بين الأودية والمنخفضات . وعندي ان صاحب — أغاني الدرويش — الذي كتب اشعاره بدم فؤاده وقدّمها الى النفوس الموحشة ، المتألمة ، العطشى الى الحبّ والسعادة ، سيبقى معروفاً بطابعهِ الخاصّ في الشعر العربي ، وسوفَ ترتشفُ القلوبُ والارواح رحيقاً مسكراً من اغانيه — تلك (الاغاني) التي عشتُ فيها سانحة من أروع سوانح الحياة فأفعمتني بالرؤى ، وأشبعتني بالاحلام ! !

البرازيل يوسف البعيني

دير سانت كاترين

بطور سينا

للمستر رابينو

قنصل انكلترا الجنرال في مصر

—٢—

الطريق من القاهرة الى دير سانت كاترين (طور سينا)

المسافة ٣٩٢ كيلو متراً تقريباً (١)

﴿كلمة عامة﴾ . الطريق من القاهرة الى السويس لا صعوبة فيه ولكن الطريق من السويس الى الدير شاق والافضل ان لا يجازف المرء فيه بسيارة واحدة ويستحسن على كل حال ان يستخدم المسافر سيارات خفيفة وعالية وذات عجلات كبيرة . ولا يتحتم الحصول على اي تصريح بالزيارة وانما يلزم ان يكون مع الزائر كتاب توصية طبقاً للائحة زيارة الدير

والبنزين والزيت لا يمكن الحصول عليهما في الطريق وعلى ذلك كان من اللازم ان يتزود المسافر منهما في القاهرة او في السويس بما يكفي لقطع المسافة ذهاباً واياباً . والماء لا يتوافر الا بأبي زنيمة وفاران وبالدير نفسه

القاهرة— يبدأ طريق السويس عند نهاية هليو بوليس بشارع الماظة . وقبل الوصول الى مخازن شركة الترام تجد قنطرة على يمينك فتجتازها ثم تتجه صوب اليسار (الشرق) . وعلى مسافة ٤٫٥٠٠ كيلو متر من هليو بوليس قسم البوليس، التابع لمصلحة الحدود والمكلف حراسة طريق القاهرة—السويس . وهناك نقطة للبوليس كل ٢٥ كيلو متراً ثم تصل الدار البيضاء بعد ٥١ كيلو متراً وفيها محل للتموين . وترى قصر الوالي عباس الاول على بعد كيلو مترين من الطريق العمومي ويوصل اليه طريق ضيق مهده سير الاقدام ، وهناك تجد خرائب اصطبلات الوالي التي كانت بنيت لتربية الجياد العربية الاصيلة

---

(١) قارن Royal Automobile Club of Egypt. Itinéraire de l'Excursion du Caire au Couvent de Sainte Catherine (Sinai)

طبعة ١٩٣٠ وما كتبه الاب مايسترمان Père B. Meistermann ص ٤٩—١١٢

ويستمر طريق السويس صاعداً صعوداً تدريجيًّا الى جبل Iouéibéid ثم يهبط هبوطاً هيناً نحو البحر حتى تصل الى قسم بوليس السويس عند مدخل البلد ويتجه الطريق نحو اليمين للوصول اليها ويستمر حتى يشارف عمارة الاسعاف ثم يتجه الى اليسار ويعبر خطين من خطوط السكك الحديدية ويتخذ المسافر الطريق الذاهب الى «الكوبري» ويعبر ترعة الاسماعيلية على «كبري» متحرك ثم يستمر فيه نحو الغرب حتى يصل الى معدية شركة قنال السويس وهناك تتم الاجراءات الجمركية ثم يعبر القنال بالمعدية مجاناً . أما اذا كان عازماً على العبور بها ليلاً فيلزم اخطار الشركة بذلك قبل الميعاد

وعلى الشاطىء قسم من اقسام بوليس الحدود ومن ثمَّ يتجه المسافر نحو الجنوب في طريق سهل على مقربة من القنال حتى يصل الى مباني مصلحة الكورنتينات وعندئذٍ يجد طريقاً الى يساره (الشرق) وعلى رأسه لوحة تدل عليه

ويبدأ طريق الصحراء متجهاً صوب الجنوب تاركاً يساره الطريق الكبير الذي يخترق سينا إلى الشرق

وإذا اتخذ المسافر طريق الجنوب وصل عيون موسى بعد ٢٠ كيلومتراً . وهناك حدائق كبيرة مسورة بالصبار او باللبن . وفي كل حديقة من النخيل ما بين خمسين ومائة نخلة . وهنا يبدأ كما يقال الطريق الذي سلكه بنو إسرائيل عند ما عبروا البحر الاحمر . والطريق لمسافة خمسين كيلو متراً جيد وإنما تقطعهُ الوديان الجافة التي كانت تجري فيها السيول وهذه الوديان تعطل المسير . وكذلك المسافة التالية وطولها خمسون كيلو متراً اخرى . ثم يأخذ الطريق في الصعود حتى وادي طيبة Ouadi Tayiba فسر حذاء الوادي حتى تصل الى خليج السويس وهنا ينحرف الطريق الى اليسار حتى ابا زنيمة. وها هي أسماء الوديان التي تكون قد قطعتها : إيران Eiran وكوراخية Kourakhiyeh أو (هيزه) والاهاده Ahadéh وصدر Sadr واوردان Ouerdan وعماره Amarah ومريره Mereirah (الماره Le Mara المذكورة في الانجيل) وهارورا Haroûarah وغرنديل Gharandel . وهذا الوادي عريض تحف به الصخور الطباشيرية التي ترتفع عشرين أو ثلاثين متراً ويسمى Elim أو المرحلة الرابعة لبني اسرائيل. والمحطة الثانية التي اشارت اليها التوراة . ويجري في هذا الوادي جدول من الماء جرياناً مستمرًّا وهو ماء صاف يشوبهُ قليل من الملح تحف به اشجار النخيل التي تنمو نموًّا طبيعيًّا كما تحف به اشجار الصنط والاثل . تعبر بعده وديان زينة Zenneh وأوسلت Ouselt وقونوصه Konoûseih واثال Ethal وشبيكة Chébeikeh وطيبة Tayibéh

ويصل المسافر الى ابي زنيمة وهي قرية فيها طائفة من النسّاك المسلمين وفيها مكتبان للبريد والتلغراف وبيوت موظفي شركة طورسينا للتعدين التي تصدر من هذه الميناء الصغيرة محصول مناجمها والماء نادر ويمكن ان تبتاعهُ من شركة التعدين التي تستورده من السويس

وفي الامكان النزول في دار الاستراحة اذا ابرزت تصريح مصلحة الحدود [١] او النزول في مساكن شركة طورسينا للتعدين [٢]

***

ومن ابي زنيمة يسير الطريق وخط السكة الحديد التابع للشركة المذكورة مسافة ثمانية كيلو مترات ويحاذي الشاطىء حتى تصل الى العمود الكيلومتري ١٤٢ فتكون قد وصلت سهل مرخا او صحراء سين المشهورة في التاريخ المقدس فهناك نزل المن من السماء على بني اسرائيل غذاء لهم . ثم ينحرف الطريق الى الشمال مجتازاً وادي سيدرا Sidreh وهو وعر جدًّا ومحفوف بالصخور الجرانيتية على جانبيه مسافة خمسين كيلو متراً ثم وادي مقطب — او وادي النقوش نسبة الى نقوشه النبطية على جوانب الجبل وعلى الكتل الصخرية المطروحة تحت الاقدام . وهناك فضلاً عن ذلك نقوش عربية ويونانية وقبطية . ثم تمر عند العمود الكيلومتري (١٦٣) بصومعة الشيخ سليمان . وفي نهاية الوادي ممر صعب تدخل منهُ الى وادي فاران الذي تقطعهُ وديان اخرى جانبية كثيرة

وتمر بمنبع الحطاطين الذي يعود الى الظهور جنوبي صخرة رافيدين Raphidin التي ضربها موسى بعصاه فانبثق الماء منها ثم تمر بواحة الخسوة Khessouch وفيها تنمو اشجار النخيل التي تظلل اكواخاً من الحجر حقيرة متناثرة حول مسجد صغير . والمناظر الطبيعية على طول الطريق جميلة وخلابة . والوادي محفوف بصخور الجرانيت التي تطل عليها جبال سربال ، ثم يأخذ في الضيق حتى تصل فاران

وهناك حديقة وصومعة تابعتان لدير سانت كاترين والماء طيب . وقد جاء ذكر مدينة فاران في التاريخ في القرن الثاني الميلادي وكانت مركز اسقفية حوالي سنة ٤٠٠ . وبعد ان غزا عمرو مصر طرد المسلمون الرهبان المسيحيين المقيمين بفاران فأصابتها عوامل الفناء ثم انتعشت فترة وجيزة اثناء حكم الصليبيين في القرن الثاني عشر . وكانت المدينة واقعة على جبل مهرات Meharrat وهو تل صخري يبلغ ارتفاعه ثلاثين متراً . وكان يحيط بسفحه سور وكانت المباني

(١) يجب ان يقدم الطلب قبل السفر باسبوع ويجب توضيح تاريخ الوصول الى ابي زنيمه وعدد الايام التي يعتزم المرء تمضيتها هناك (٢) يجب ان يقدم الطلب تلغرافيا ودفع اجرة الرد مقدماً الى مكتب التلغراف

ممتدة على سفوحه حتى القمة وهي اليوم خرائب . وكانت الكنيسة في شمالها وكان برج في شرقها والى الشمال من جبل مهرات Meharrat يقع جبل طاحونة الذي يطل على بحيرة ارتفاعها ٢١٥ متراً

ويقال ان موسى وقف هناك يصلي اثناء الحرب ضد العمالقة Les Amalécites وهناك بقايا ثلاث كنائس . وفي فاران وما يجاورها عدة كهوف كان يعيش فيها النساك ومقابر ذات طراز خاص فالدور الارضي منها مكون من اروقة متوازية مغطاة ببلاطات ومفصولة بعضها عن بعض بحيطان ضخمة . والدور الاول مكون من اروقة متعامدة على الاروقة السفلى . ولا تزال الاجساد في بعض هذه المقابر مكانها وهي موضوعة بعضها بجانب بعض في الاروقة

***

وتخرج من حديقة فاران الى حراج نخيل فتجوس خلالها مسافة اربعة كيلو مترات وتمر بمضيق البويب el-Boneib وهو المدخل الشرقي لوادي فاران ثم تدخل وادي الشيخ ،ويجب ان تلزم يسارك مخافة ان تدخل في وادي سولاف Solaf الذي ينحرف الى اليمين وتطرقه كثيراً سيارات الصيادين غير انه لا يوصل الى الدير . وتظل في سيرك حتى ترى قبر النبي صالح الواقع على ربوة ناحية الجنوب . فاذا ما اجتزته وصار على يسارك فان الطريق يتجه صوب الشمال ثم يبدو لك الدير بعد مسيرة خمسة كيلو مترات

(دير سانت كاترين — ٥٠ كيلو متراً . الحد الكيلو متري ٢٥٢ المجموع ٣٨٨ كيلو متراً . ماء غزير . الزمن بين فاران والدير ثلاث ساعات)

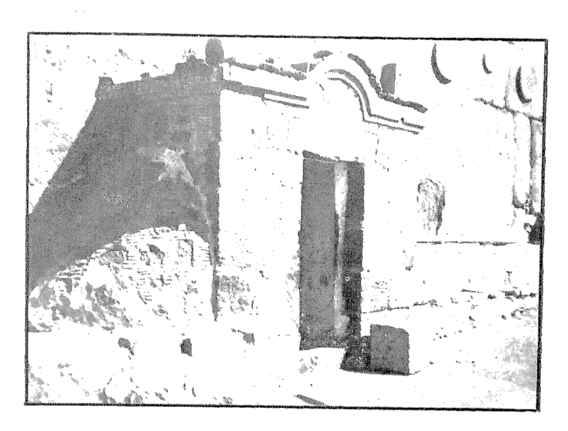
(دير الربوة «دير الرسل الاثني عشر» او قصر الملوك — ٤ كيلو مترات . الحد الكيلومتري ٢٥٦ . المجموع ٣٩٢ كيلو متراً . حديقة ومجرى ماء) والرحلة بين القاهرة ودير سانت كاترين يمكن القيام بها في ١٤ ساعة للذهاب و١٠ ساعات للاياب . والى القارىء تعليمات زيارة الدير :

المادة الاولى — يجب ان يكون مع كل زائر كتاب توصية من سيادة المطران بطورسينا او ممن يمثلون الدير في القاهرة بالظاهر

المادة الثانية — اجرة المبيت بالدير جنيه مصري كل يوم وتشمل الغذاء او ٥٠ قرشاً بدون غذاء

المادة الثالثة — يحصل رسم دخول قدره ٢٥ قرشاً عن الزيارة من الاشخاص الذين لا يبيتون

المادة الرابعة — من رغب في زيارة جبل موسى او جبل سانت كاترين يجب ان يرافقه راهب من الدير يدفع اليه الزائر خمسين قرشاً . واجرة تأجير جمل لصعود جبل موسى عشرون قرشاً ولصعود جبل سانت كاترين ثلاثون قرشاً



مدخل دير طورسينا (تصوير رايينو)



صوامع الرهبان (تصوير رايينو)

— ٣ —

وصف عام للدير — رسوم ومناظر — السور وتخطيط البناء

لم ينشر احد على ما اعلم رسماً للدير سوى بوكوك Pococke سنة ١٧٤٣[١] ولما سألت امين مكتبة الدير هل لديه رسم للدير اجاب بالنفي . ثم تذكر ان بالمكتبة رسماً كان قد طبع على الحجر سنة ١٨١٣ . وقد صوره مسيو تانو[٢] . وان اهمية هذا الرسم عظيمة لانهُ يبين لنا ما كان عليهِ الدير قبل التعديلات والتحسينات التي ادخلت عليهِ في غضون القرنين التاسع عشر والعشرين

اما رسوم الدير السابقة للقرن الثامن عشر والمنشورة في بعض كتب الرحلات المتعلقة بطورسينا فليست بذات قيمة علمية لانها في اغلب الاحايين مبنية على خيال النقاشين . وقد تفضل المسيو مينيه فسمح لي بنشر صورة فتوغرافية للوحة مؤرخة ١٦٩٦ وتبين لنا طورسينا[٣]. ولا ادرى ماذا صارت اليهِ اللوحة الاصلية التي نقلت عنها هذه الصورة

وفي كتاب وصف مصر Description de l'Egypte الذي الفهُ علماء الحملة الفرنسية نشر المسيو كوتيل J. M. J. Coutelle منظراً للدير كان كورنارو Cornaro سنة ١٧٧٨ قد رسمهُ بالزيت على كرسي المطران الذي بالكنيسة[٤] ولكن للاسف لم يرسمه المسيو كوتيل الاَّ رسماً تخطيطيًّا لان الصورة الزيتية الاصلية غاية في الدقة ولها شأن جوهري في بيان التطورات التي حلت بالدير

وبمتحف اللوفر لوحة للدير رسمها دوزاتز A. Douzats سنة ١٨٣٠ ونشرها مسيو كاريه J. M. Carré في كتابه Voyageurs et Ecrivains Français en Egypte[٥] وقد رسم دوزاتز فضلاً عن ذلك رسماً تخطيطيًّا للدير ونشره في كتاب Quinze Jours au Sinai لمؤلفيهِ دوماس ودوزاتز A. Dumas et A. Dauzats[٦] ونشر ليون دي لابورد Léon de Laborde[٧]

---

(١) قارن ما كتبه بوكوك R. Pococke في Description of the East جـ١ طبعة لندن ١٧٤٣ ص ١٥٠ بما كتبه رابينو Rabino في Le Monastère de Sainte Catherine طبعه القاهرة سنة ١٩٣٥ لوحة ١٩

(٢) قارن المرجع السابق برابينو Rabino لوحة ١٦

(٣) قارن المرجع السابق تأليف رابينو Rabino لوحة ١٧ و ١٨

(٤) انظر وصف مصر Description de l'Egypte, Etat Moderne جزء ٢ ص ١٠٣ شكل ٣ منظر دير سنت كاترين مصور في كنيسة طورسينا وقارن ما كتبه مايسترمان في المرجع السابق الذكر ص ١٢٩

(٥) طبع بمطبعة المعهد الفرنسوي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٨٣٩ جـ ١ ص ٢١٢

(٦) وهو في مجلدين وطبع بباريس سنة ١٨٣٩

(٧) كتاب Voyage de l'Arabie Pétrée تأليف Léon de Laborde et Linant وناشره Giard طبعة باريس سنة ١٨٣٠

ثلاثة مناظر لدير سانت كاترين منها منظر عام وآخر مأخوذ من الشمال والمنظر الثالث داخلي . وثمة صورة اخرى في كتاب Pèlerinage à Jerusalem et au Mont Sinai en 1831, 1832 et 1833 de Marie-Joseph de Géramb[١] . وقد نشر روسجر Russeger[٢] في اطلسه منظرين للدير أحدها داخلي والآخر خارجي . وفي كتاب Ordnance Survey of the Peninsula of Sinai[٣] صورة للدير كما كان موجوداً قبل بناء الناقوس ، ثم اخذت صور الدير تكثر في المؤلفات المختلفة من سنة ١٨٧١[٤]

وقد نشر مسيو كويا بارتو Couyat-Barthoux في مجلة l'Illustration[٥] منظراً للدير جميلاً بالالوان كما نجد مناظر للدير وللكنائس التي بالجبل في كتاب My Camel Ride from Suez to Mont Sinai تأليف آرثر ستون Arthur W. Sutton[٦]

وقد بنيت أسوار الدير[٧] تحت حكم يوستنيانوس وتمّ بناؤها سنة ٥٥٧ وهي السنة الثلاثون

---

(١) وهو في ثلاثة مجلدات طبعت في باريس سنة ١٨٣٦

(٢) Reisen in Europa, Asien und Afrika unternommen von Joseph Russeger in den Jahren von 1835 bis 1841, Atlas منظر ٢٦ و ٢٧

(٣) Ordnance Survey of the Peninsula of Sinai by Captain C. W. Wilson and H. S.Palmer, R. E. Ordnance Survey office, Southampton طبع سنة ١٨٦٩ انظر الجزء الاول — صورة لداخل الدير تبين الكنيسة لوحة ٢٤

(٤) قارن ما كتبه بابا ميخالوبولو Papamikhalopoulo وأحمد شفيق باشا وبنزفيك Benesevic ولوكيانوف Loukianoff وغيرهم

(٥) Le Sinai et ses Richesses inconnues. L'Illustration عدد نوفمبر ١٩٣٠ ص ٣٣٧ — ٣٣٨ . منظر الدير ص ٣٣٧

(٦) طبع بلندن سنة ١٩١٣

(٧) قارن ما كتبه بابا ميخالوبولو Const. N. Papamikhalopoulo وصفاً للسور في كتابه باليونانية عن دير طور سينا طبع بأثينا سنة ١٩٣٢ ، الفصل الثامن : سور الدير ص ١١٠ — ١١٧ وقارن ما كتبه مايسترمان Meistermann في المرجع السابق الذكر ص ١٢٢ — ١٢٤ . أما صور السور فقارن مانشره اللواء أحمد شفيق باشا في Notes on a Visit to Sinai Monastery and a motor car tour in Sinai Peninsula, in January 1926 لوحات ٣٤ — ٣٧ وما نشره لوكيانوف في مجلة La Semaine Egyptienne الصادرة في القاهرة في يوم ١٥ ابريل ١٩٣٤ بعنوان Vers le Mont Sinai ص ١٠ والبرنس جان جورج Jean George de Saxe في كتابه Das Katharinen-Kloster am Sinai طبعة ليبزج وبرلين سنة ١٩١٢ لوحة ١٢ شكل ٤٠ وقارن Vue du Monastère تأليف نيقولايدس N. Nicolaidès وما نشره رابينو في المرجع السابق الذكر لوحات ٣ — ٥

من حكمه وأحدثت الزلازل فيها خللاً خصوصاً مساء اليوم الاول من شهر مايو سنة ١٣١٢ فكان دوي مريع اذ تدهورت صخور الجرانيت من قمم الجبال التي تحيط بالدير فحطمت أسواره الشمالية والشرقية كما انهار البرجان وخلوات الرهبان

وكان بناء أسوار يوستنيانوس وفق تكوين الارض الطبيعي فالارض صاعدة في الجنوب الغربي نحو قاعدة الهاوية الوعرة المسماة حوريب . وفي الشمال الشرقي يقطعها واد من وديان السيول وهو في العادة جاف غير انهُ شديد الخطر عند امتلائه بمياه الامطار الغزيرة كما يحدث أحياناً . وكان شكل تلك الاسوار مستطيلاً غير منظم فكان طول الضلع الشمالية الشرقية ٨٧ متراً والضلع الشمالية الغربية ٧٤ متراً والضلع الجنوبية الغربية ٨٤ متراً والضلع الجنوبية الشرقية ٧٠ متراً وكلها تهدمت الا الجزء الاسفل من السور الجنوبي الغربي . ويختلف ارتفاع الاسوار باختلاف المواضع بين اثني عشر وخمسة عشر متراً وسمكها ١ر٦٥ متراً وفيها ممرات في داخلها ويتوسط السور الجنوبي الغربي وهو الوحيد الذي ظل معظمهُ سليماً ، برج مربع قليل البروز ويكتنفهُ في طرفيهِ برجان آخران مثله . والسور مبني بأحجار الجرانيت الضخمة وفيهِ مزاغل تكاد تكون على ارتفاع القامة من الخارج ذلك لان الارض قد علا مستواها على أثر انهيار الكتل الحجرية من الجبال . وقد زيد في ارتفاع السور عدة امتار بمخلوط من الطين وشظايا الجرانيت [1] لان الجبل بجانبه العمودي اكثر اشرافاً على هذا السور من بقية الاسوار . وبالبرج الاوسط حليات على شكل صلبان والصليب الاوسط يكتنفهُ من الجانبين حملان وبين الابراج على مسافات واحدة منقوش على كتل من الجرانيت صلبان [2] والسور الجنوبي الشرقي يكاد يكون سليماً جزؤه الادنى لمسافة مائة متر . وفي البرج الاوسط عشر فتحات [3] لصب الماء المغلي على المهاجمين

أما السور الشمالي الشرقي المسمى ديوار دواره Diwar Douawara أو سور الهاوية فهو اشد الاسوار تخرباً ويسهل تمييز ما تجدد منه فقد بني السور اول مرة سنة ١٣١٢ ثم انهار بعضهُ في نهاية القرن الثامن عشر . وارسل الجنرال كليبر من مصر ٤٦ عاملاً سنة ١٨٠١ لتجديده والى عصره يعزى البرج المستدير في الطرف الشرقي الذي يبرز ٣ر٥٠ متراً عن السور وبرج مربع وبرجان مستديران متصلان يكوّنان برجاً واحداً يسمى برج كليبر وعليهِ كتابة يونانية في ستة اسطر بارزة منقوشة على لوحة من الرخام :

(١) انظر المرجع السابق تأليف مايسترمان Meistermann ص ١٢٢ — ١٢٤

(٢) قارن ما جاء في كتاب رابينو المذكور آنفاً شكل ٢ ولوحة ٦ شكل ٢

(٣) وليست سقاطات (مشربيات معمارية) machicoulis عادية وانما هي فتحات أفقيــة مثقوبة في السور تميل نحو القاعدة لالقاء السائل الى الخارج

« المسيح — القديسة كاترينه . هو الغالب. يغلب . جدد من أساسه في أول مايو ١٨٠١ »
وفي عصر المطران قسطنطيوس Constantios جدد السور لآخر مرة وعلى السور الخارجي الى اليمين من برج كليبر كتابة عربية في خمسة اسطر بالخط النسخي البارز منقوشة على لوحة من الرخام

« قد حضروا الى هذا المكان المقدس المعلمين من طرابلس الشام نقولا وهبه موسى سليمان وهبه وابراهيم جرجس جرجس سنة ١٨٣٩ مسيحية »

وعلى السور من الداخل كتابة عربية في ثلاثة أسطر بالخط النسخي البارز على لوحة من الرخام مقاسها ٣٠ ر . × ٢٣ ر . متراً

« من طرابلس الشام سنة ١٨٤٠ مسيحية الحقير الى الله المعلم يوسف كانون اغفر لهو يارب » وفي هذا الجزء الاخير من السور كتل كثيرة من الجرانيت منقوش عليها صلبان ذات اشكال مختلفة . [1] وقد درس مسيو بابا ميخالوبولو Papamikhalopoulo في كتابه على دير طورسينا ، الحروف الابجدية اليونانية المنقوشة على بعض أحجار السور الخارجي وعلى سور الكنيسة وبعض الابنية التي داخل السور [2]

والجزء الجنوبي من السور الشمالي الغربي يرجع الى عصر يوستنيانوس ولكن الجزء الشمالي حديث وباب الدخول موجود في هذا السور

فاذا ما وصلت الدير فانك واجد على يسارك قبل الباب العمومي بوابة كبيرة مسدودة تمام الانسداد وتسمى باب الرئيس . وكانت لا تفتح رسمياً الا عند تعيين رئيس اساقفة جديد ولكن لما كانت العادة في هذه المناسبة ان يوزع الدير من المال والملابس ما تبلغ قيمته ألف جنيه مصري تقريباً على شيوخ قبيلتي الجبلية والطوارة الذين هم في خدمة الدير منذ قديم الزمان فقد عدل أولو الامر سنة ١٧٢٢ عن فتح هذا الباب بهدم الحائط الذي يسده

وتجد فوق مدخل الفناء الخارجي للدير كتابتين يونانيتين بحروف عادية بارزة الاولى في ستة أسطر والثانية في ثلاثة اسطر

«جدد هذا الدير المقدس كلهُ ، دير سانت كاترين ، المحترم الامجد المطران كيريلوس من القسطنطينية سبتمبر سنة ١٨٦١ »

---

(١) قارن ما جاء في كتاب رابينو Rabino الآنف الذكر وشكل ١
(٢) قارن ما جاء في كتاب بابا ميخالوبولو Papamikhalopuolo ص ١١٥ — ١١٧

بني الباب الحالي في عصر جريجوريوس من زنته Zante أمين المخازن سنة ١٨٦١. ومستوى الفناء الذي يسبق باب الدخول أعلى من مستوى ارض الدير الداخلية . وهذا الفرق ناشيء من النفق الذى بناه الرهبان بالحجر بين الدير والحديقة

***

وهناك باب واطيء يسبقهُ مدخل مسقوف يوصل الى الدير [(١)]. وفوق هذا الباب كتابة يونانية مونة من ثمانية أسطر بارزة منقوشة على لوح من الرخام طوله ٢٣ر٠ متراً وارتفاعهُ ٠٤٣ر٠ متراً ويرى الخبراء ان هذه الكتابة منقولة عن كتابة قديمة يرجع تاريخها الى إنشاء الدير

والى اليمين قليلاً تجد كتابة عربية في ستة أسطر بالقلم النسخي البارز منقوشة على لوحة من الرخام مقاسها ٠٤٣ر٠ × ٠٤٣ر٠ م وهي ترجمة للكتابة اليونانية السالفة الذكر

أنشأ دير طورسينا وكنيسة جبل المناجاة الفقير لله الراجي عفو مولاه الملك المهذب الروي يوستنيانوس تذكاراً له ولزوجته تاوضوره على مرور الزمان حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . وتم بناؤه بعد ثلاثين سنة من ملكه ونصب له رئيساً إسمهُ ضولاس . جرى ذلك سنة ٦٠٢١ لآدم الموافق لتاريخ السيد المسيح سنة ٥٢٧ » [(٢)]

ويقول ما يسترمان Meistremann ان هاتين الكتابتين ليستا أقدم من القرن الثاني عشر او الثالث عشر ويبدو لي أنهما أحدث من ذلك بكثير . وإذا فتح الباب إحتجب مدخل النفق الواصل الى الحديقة فباب الدخول القديم مسدود وعلى الجزء الاسفل من السقاطة (المشربيات المعارية) Machicoulis التي تعلو الباب تجد كتابة يونانية ترجمتها : (هذا هو باب الرب فعلى العادلين أن يمروا فيه ، وهو باب الامبراطور يوستنيان المؤسس السامي)

أما المسالك الدائرية في الاسوار فهي إما مهدمة او متخربة وقد فتحت نوافذ صغيرة لانارة خلوات الرهبان أو غرف المسافرين حينما كانت مستندة وملاصقة للأسوار

والدير مكون من عدة مباني بعضها ذو أدوار كثيرة وبعضها مستند الى الاسوار والبعض الآخر موزع في الداخل حول الكنيسة والجامع [(٣)] توزيعاً لا نظام فيه

---

(١) وصورة باب الدخول هذا منشورة في كتاب بابا ميخالو بولو الآنف الذكر ص ١٢٠ وفي كتاب نعوم شقير بك عن تاريخ سينا (طبع في القاهرة سنة ١٩١٦) ص ٢٠٨

(٢) والملاحظ ان التواريخ في هذه الكتابة ليست مضبوطة فان تاريخ انشاء الدير يكتب عادة ٥٢٩ م وهي توافق سنة ٦٠٣٧ من آدم وسنة ٥٢٧ توافق سنة ٦٠٣٥ . وسنة ٦٠٢١ من آدم توافق سنة ٥١٣ م

(٣) وجود هذا الجامع قد ذكرناه في المقال الذي نشرناه بمقتطف نوفمبر ١٩٣٦ ص ٤٠٥

«هو تيه حقيقي من الحارات والأزقة المعوجة التي تعترضها السلمات . وهي إما مكشوفة واما مسقوفة بقبوات مظلمة . وهذه الابنية متصلة باسطح بعضها فوق بعض ومحلاة بالنباتات المعرشة او الزاحفة

«وهنا وهناك أفنية ضيقة رطبة لامجال فيها الا لشجرة وحيدة او صف من الأواني المكسورة أو صناديق البترول فيها بعض الازهار المتفتحة الزكية والسقوف مسطحة ولكن عند كل تجديد تتغلب طريقة التسقيف بالقرميد المتبعة في مرسيليا وهي متنافرة مع الابنية القديمة التي يجلل القدم هامها ويطبعها بطابع من الشاعرية يعجز الانسان عن وصفه » [1]

***

ودخول الدير من باب مصفح بالحديد يوصل الى باب آخر ومنهُ الى ممر الى اليمين محفور في داخل السور ويوصل الى باب ثالث مصفح بالحديد كذلك . ومن هذا الباب يسلك الداخل حارة توصل الى درج صاعد الى الكنيسة والمكتبة على اليمين والجامع والكنيسة على اليسار فاذا سرت حذاء الكنيسة وصلت الى مدخل وممر مسقوف يوصل الى المطبخ وردهة الطعام . وإذا لم تصعد السلم بل ظللت في طريقك فأنك تصل الى بئر ثم الى موضع العليقة المشتعلة Buisson Ardent فاذا سرت محاذياً سور الكنيسة الشمالي فأنك تجد على يمينك حديقة صغيرة والفرن والطاحونة والمعصرة ثم بئر بنات جترو Jethro والمغسل وتكون حينئذ في مستوى الكنيسة فتصعد بدرج الى احد أفنيتها

وإذا سرت وكان الجامع على يسارك فأنك تمر بالخنزيرة (آلة لرفع الاثقال) والمخازن على يمينك وبهو استقبال اعضاء المجمع المقدس على يسارك ثم غرف هؤلاء الاعضاء على يمينك وعندئذٍ يصعد بسلم من الخشب الى شرفة تؤدي الى غرف المطران والمسافرين فاذا مضيت في طريقك وصلت الى المباني الجديدة المشيدة بالاسمنت المسلح وهي تشغل الجزء الجنوبي الغربي كله ولكن اذا دخلت الدير وانحرفت الى اليمين بدلاً من السير رأساً الى الكنيسة فانك تجد مخازن على يمينك وكنيسة سانت اسطفان على يسارك ثم تصل الى المباني الجديدة بالاسمنت المسلح وهي صف من القاعات الكبيرة يتوسطها سلم فاذا حاذيتها وجدت على يمينك مباني قديمة مهدمة والمكتبة القديمة التي يشغلها اليوم أحد الرهبان حتى تصل الى خلوات الرهبان

[نقله الى العربيا : محمد وهبي افندي احد خريجي معهد الآثار الاسلامية]

---

(١) انظر كتاب ما يسترمان Moisterman السابق الذكر ص ١٢٤

العناصر الحيوية

خمسة عشر عنصراً لا يستغني عنها الانسان

الزرنيخ عنصرٌ سامٌّ . يسمّ معظم الاحياء ، ولكن طائفةمن المكروبات تستعمله غذاءً. بل اغرب من هذا ان طائفة أخرى من المكروبات تحتاج الى عنصر السلينيوم في غذائها . وهو كما يعلم القراء العنصر الذي يتأثر بالضوء فتزيد مقاومته للتيار الكهربائي او تنقص وفقاً لضعف الضوء الواقع عليه او قوته . ثم ان السلينيوم يؤثر تأثيراً سامًّا في النبات والحيوان . فقد ثبت ان مناطق معينة في ولايتي وايومنغ وداكوتا ، تحتوي تربتها على عنصر السلينيوم ، فيبدو اثره في الحيوانات والناس الذين يقطنونها . اذ يصابون بضعف النمو . والشيخوخة الباكرة . بل ان اثرهُ يمتد الى ما وراء المناطق نفسها لان الحنطة التي تزرع هناك ، تنقل تأثيره السام الى حيث تباع وتؤكل

فهنا عنصران — الزرنيخ والسلينيوم — هما غذاء لبعض الاحياء ، وسمّ للبعض الآخر . ومن ألغاز الكيمياء الحيوية ، ان بعض الاجسام الحية تكتفي باستعمال بعض العناصر فتجني فائدةمن استعمالها ، حالة ان بقية العناصر لا قبل لها بها ولا فائدةلها منها بل قد يكون لوجودها في الجسم الحي فعلٌ ضارٌّ او سامّ . حتى العناصر القريبة بعضها من بعض في الخواص الكيمياوية ، لا يمكن ان يحل بعضها محل بعض في الاجسام الحية ، بلا تمييز . فالحديد عنصر حيوي في جسم الانسان . ولكنك لا تستطيع ان تجعل النيكل محله . بل قد تجد عملاً حيويًّا واحداً يقوم به عنصر معيّن في احد الاحياء ، وعنصر آخر في احياء اخرى . فالنحاس في بعض الحيوانات كالكركند او السرطان البحري يفعل فعل الحديد في جسم الانسان . اي انهُ جزء من المادة التي تقوم بعمل التنفس الاساسي ، وهو نقل الاكسجين من عضو التنفس الى خلايا الجسم

ومن غرائب ما يلاحظ ، ان مقادير العناصر في الارض متدرجة وفقاً لحاجة الحياة اليها ؟ فهل هذا مجرد صدفة او هو تابعٌ لنظام علويّ؟ فقوام جسم الانسان يماثل قوام الماء والارض .

وملوحة مياه البحر شبيهة بملوحة دم الجسم ، لذلك تكاد تكون المحلولات التي تحفظ فيها الانساج حيّة في معامل البحث، قريبة في قوامها من مياه البحار. فيصحُّ بشيء من التجوز ان نقول ان مياه المحيطات القديمة تجري في عروقنا

ومن الأسئلة التي تخطر للباحث في هذا الموضوع : لو كان توزيع العناصر في الارض غير ما هو أكان من المستطاع نشوء الحياة عليها ؟ أكان في استطاعة الاحياء ان تنشأ وتترقى ، لو لم يكن هناك فصفور وكبريت ، وكان محلّهما زرنيخ وسلينيوم فقط ؟ ان هذا ضرباً من الاسئلة ، يقرُّ علماء الكيمياء الحيوية بعجزهم عن الاجابة عنها . فالغموض لا يزال يكتنف الصلة بين العناصر وأشكال الحياة المتعددة

الاّ ان البحث بدأ يكشف عن حقائق منوعة كبيرة الشأن تتصل بالعناصر التي تدخل في تركيب الجسم الانساني . ومعظم هذه الحقائق مستخلص من علم التغذية الحديث ، وتطبيق ما يعرف عنهُ في أجسام الحيوانات على جسم الانسان

وبعض نواحي هذه المعارف الجديدة ذو قيمة عملية كبيرة الشأن . فالجحوظ (الغواتر) وهو مرض متوطن في بعض المناطق — كسويسرا مثلاً — تمكن معالجتهُ الآن باضافة مقادير قليلة من عنصر اليود الى ماء الشرب او ملح الطعام . ثم انهُ بفضل هـذا العلم الحديث ، علم التغذية ، استطاعت جماعات من الناس في سنوات الازمة الاقتصادية ، ان تتغلّب على أنواع الامراض المعروفة بأمراض نقص الغذاء . وذلك لعلمهم ما يجب ان يحتوي عليه كل غذاء من العناصر الحيوية

فما هي العناصر الأساسية التي لا بدَّ منها في جسم الانسان ؟ هي خمسة عشر عنصراً على الاقل . فاذا أصيبت الارض بحادث كونيّ ، أزال أحد هذه العناصر من الارض وجوّها ، أفضى ذلك الى هلاك الانسان . ان رجال بعض القبائل الافريقية لا يحجمون عن اعطاء مواشيهم وأحياناً زوجاتهم مقابل الصوديوم الذي في ملح الطعام . ونقص اليود في التربة والماء والهواء يحمل الغدد الدرقية عبئاً ثقيلاً فتتضخم ويحصل مرض الجحوظ (الغواتر)

ولما كان الماء نحو ثلثي الجسم الانساني وزناً ، ولما كان معظم ما يتناولهُ من المواد يحتوي على عنصري الماء — اي الايدروجين والاوكسجين — فمقدارهما في الجسم كبير بحكم الطبع . ويليهما عنصرا الكربون والنتروجين ، لان الجزيئات العضوية الكبيرة التي تقوم بأفعال الحياة الاساسية تتركب منهما ، أو هما أصلان لا غنى عنهما من أصولها . ويساعدهما في تركيب هذه الجزيئات العضوية المعقدة عنصرا الفصفور والكبريت — ومن هذه الجزيئات كما تعلم ، جزيئات البروتين — مثل حُمَيْر (هيموغلوبين) الدم وجُبَيْن (كاسيين) اللبن وزلال (البومين) البيض

ثم ان الجسم لا يستغني عن عنصرين معدنيين هما الكلسيوم والمغنيسيوم ، في تكوين العظام

والاسنان ، ثم انهما بالاشتراك مع الصوديوم والبوتاسيوم لازمان للافعال السوية في الاعصاب والدماغ والعضلات ومنها عضل القلب ، وللاحتفاظ بقلوية الدم وملوحته وقلوية سوائل انساج الجسم وملوحتها ، على مستوى مناسب . والواقع ان هذه العناصر الاربعة ، اجزاء نظام معقد من التوازن الدقيق . فاذا كثر الصوديوم عما يجب ، وقلَّ الكلسيوم عما يجب ، انبسط عضل القلب ووقف عن الخفقان. أما البوتاسيوم فيفعل فعلاً شبيهاً بفعل الصوديوم والمغنيسيوم يفعل فعلاً شبيهاً بفعل الكلسيوم، ولكن لكل من هذه العناصر عمله الخاص به، ولا يمكن ، احلال الصوديوم تماماً محلَّ البوتاسيوم ، ولا المغنيسيوم محلَّ الكلسيوم . فيجب ان تكون جميعها في المقادير اللازمة ، حتى يكون القلب — أو أي عضو او نسيج آخر — سويًّا في قيامه بوظيفته

ثم هناك عنصر الكلور . فهو في ناحية من نواحي فعله ، لا غنى عنهُ لقيام العناصر الاربعة المتقدمة بعملها . ومن أهم وظائفه تعديل شحناتها الكهربائية ، وموازنة تأثيرها . فالكلور يطلق ايونات سالبة الكهربائية . والمعادن الاربعة التي تقدم ذكرها ، اي الصوديوم والمغنيسيوم والبوتاسيوم والكلسيوم ، تطلق ايونات موجبة الكهربائية فتعدِّل هذه فعل تلك . ويضاف الى هذا ان الكلور يدخل في تركيب مركبات حيوية ، فهو يتحد بالايدروجين فيتولد الحامض الايدروكلوريك المستعمل في المعدة لهضم المواد البروتينية

أما الحديد ، فعنصر اساسي في تركيب الحمير (الهيموغلوبين) وهذه المادة هي ما ينقل الاكسجين في كريات الدم الحمر ، من الرئتين الى خلايا الجسم. ثم انهُ يدخل في تركيب بعض الجزيئات التي تقوم بعمل الاكسدة داخل الخلايا . ويظن انهُ يقوم بدور الوسيط (كتاليست)

هنا اذن اثنا عشر عنصراً هي الايدروجين والاكسجين والنتروجين والكربون والفصفور والكبريت والكلسيوم والمغنيسيوم والبوتاسيوم والصوديوم والكلور والحديد، ومنها يتركب ٩٩ في المائة من جسم الانسان وزناً . ولا تمكن المفاضلة بينها ، لانها جميعاً لازمة للقيام بأعمال الحياة الاساسية في جسم الانسان . فجميعها يجب ان تكون فيه ، وبالمقادير المناسبة كذلك

وهناك ثلاثة عناصر اخرى ، لا يحتاج الجسم الاَّ الى مقادير يسيرة جدًّا منها . ولكن وجودها او عدمهُ مع ذلك ، فاصل بين الحياة والموت

فعنصر اليود لا يستغنى عنهُ ، ولا يمكن ان يحلَّ محلَّهُ عنصر آخر، في تركيب مادة الثيروكسين، التي تفرزها الغدة الدرقية . فذراتهُ الداخلة في تركيب جزيء الثيروكسين ، تؤدي نصيبها من العمل في ضبط عمل التمثيل (metabolism) في الجسم، ومدى التفاعلات الكيمياوية الحيوية فيه . فاذا كان ما تفرزهُ الغدة الدرقية من الثيروكسين قليلاً ، ضعف فعل التمثيل في الجسم ، فيميل الى

السمنة المرَضية ، ويبطىء نشاطهُ الذهني الى حدود البلادة . وقد اثبت الطب الحديث ، ان المصابين بمثل هذه الاعراض يصيبون خيراً عظيماً من الحقن بمقادير موافقة من مادة الثيروكسين هذه

اما عنصر المنغنيس ، فكان يظن الى عهد قريب ، ان وجوده في الجسم طارىء ولا شأن لهُ ولكن ثبت اخيراً انهُ لازم لعملية التناسل وانهُ يقوم بعمل الوسيط في بعض التفاعلات الكيمياوية داخل الخلايا ، وقد جرّبت تجارب في الجرذان ظهر منها ان معدل الوفاة عال جداً بين صغار الجرذان المولودة من اناث حذف المنغنيس من غذائها او كان مقداره فيهِ يسيراً جداً

ثم هناك النحاس . وهو عنصر لا تجد منهُ في جسم الانسان الاَّ آثاراً ، ولكنهُ مع ذلك لازم لكي يحسن الجسم استعمال الحديد في تركيب الحُميْر (الهيموغلوبين) . ولعل هذا يفسر فائدة جرعات صغيرة من مركبات النحاس في بعض أنواع فقر الدم (الانيميا)

ولا يعلم الآن هل يسفر البحث عن عناصر اخرى غير العناصر الخمسة عشر التي تقدم وصفها ويثبت ان الجسم يحتاج اليها ، ولكن من المؤكد انهُ اذا أسفر عن ذلك ، فان المقادير التي يحتاج اليها الجسم منها ، صغيرة جداً

على ان ما تقدم لا يعني ان الجسم لم يكشف فيهِ اثرٌ للعناصر الاخرى . وانما يعني ان هذه العناصر الخمسة عشر لا غنى عنها اي انها حيوية

فالعمال المعرضون بطبيعة عملهم للتسمم الناشيء عن الصناعات التي يزاولونها ، تجد في اجسامهم مقادير من الكروم او السلينيوم او التلوريوم او الراديوم او غيرها

ومن العناصر التي توجد دائماً في جسم الانسان عنصر الكوبلت ، ولكن الرأي الآن انهُ طارىء وانهُ بلازم شوائب الجسم . الاَّ ان بعض الباحثين ، تقدم في العهد الاخير ، برأي خلاصتهُ ان الكوبلت لا غنى عن تعاونهِ مع النحاس والحديد في تركيب الحميْر ، وانهُ لا بدَّ منهُ لمنع فقر الدم الذي سببهُ قلة الحمير فيهِ . وقد يكون الكوبلت في الغذاءِ في شكل لا يسهل تمثيلهُ في الجسم او قد يتعذر ذلك على جسم معين لخواصّ فسيولوجية ينفرد بها . وثمة فريق من العلماءِ يرى الآن ان الزنك والزرنيخ لازمان للجسم ، ولكن هذا البحث لا يزال في حاجة الى كثير من التدقيق والتحقيق . ثم هناك عنصر الفلور fluorine فقد كان الرأي قبلاً انهُ حيويٌّ لا يستغنى عنهُ في تركيب ميناءِ الاسنان . ولكن هذا القول لم يستند الى اساس علمي . ثم ثبت في العهد الاخير ، ان اسنان الناس في مناطق مختلفة في الولايات المتحدة الاميركية ، تصاب ببقع دُكنٍ وثبت كذلك ان سبب هذا الداءِ وجود مقدارٍ يسير جداً من الفلور في ماءِ الشرب يبلغ جزءًا في مليون جزء من الماءِ . وهذا مثال على عنصر كان يظن انهُ حيويٌّ قبلاً فظهر انهُ ضارٌّ

ان هذا المثل الذي ضربناه على تأثير الفلور في تبقّع ميناء الاسنان ، دليل على الصعاب التي يعانيها العلماء في هذا الضرب من البحث ، لصغر المقادير التي يتناولونها في بحوثهم. فالحقائق التي يكتشفونها ، مستخرجة من تجارب ، قاعدتها اعداد طعام مؤلف من مواد معينة بمقادير معروفة ، ومراقبة تأثيرها في الحيوانات ، ولا سيما الجرذان . ولكن تحضير طعام نقي من كل شائبة ، لا يحتوي الاَّ على المواد التي تريدها فيه ، ليس بالعمل السهل . ثم ان منع تلوثه بعد تحضيره ، عملٌ شاق ، لان جدران الاوعية قد تكون فيها مواد يتصل أثرها بالطعام . فيشوّش النتائج التي تسفر عنها التجربة . فاذا كان الوعاء من زجاج ، فقد يتصل بالطعام منهُ مقادير يسيرة جدًّا من الصوديوم او البوتاسيوم او الحديد او النحاس او الزنك وفقاً لتركيب الزجاج نفسه ، بل ان الماءَ المكرَّر تمتصُّ ذراتهُ أشياءَ من جدران الاجهزة التي يكرَّر فيها ، ومن الاوعية التي يحفظ فيها . فتلوُّث الطعام النقي المعدّ لهذه التجارب ، ليس بالامر الذي يسهل منعهُ مهما تبلغ اساليب البحث من الاتقان ، وانما يستطاع الاقتراب بهِ من النقاء التام . ثم ان الجرذان التي تجرب التجارب عليها يجب ان تحفظ في اقفاص لا تستطيع ان تقضم منها او فيها اشياءَ تضيف الى اجسامها ما يعطل على الباحث بحثهُ . ويضاف الى هذا ان الحيوانات يجب ان تربَّى اجيالاً متوالية ، حتى تكون خاضعة لجميع قواعد الدقة العلمية اللازمة

اما البحث في النباتات فأسهل منهُ في الحيوانات ، وضيق المقام يضطرنا ان نحيل القارىء الى « مباحث جديدة في غذاء النباتات » (مقتطف ابريل ١٩٣٠ ص ٣٩٤) و« عجائب حياة النبات » (مقتطف نوفمبر ١٩٣٣ ص ٢٩٢)

وهذا البحث في العناصر اللازمة للجسم الحي يزداد تعقيداً عندما نذكر ان للعناصر نظائر ، اي أشباهاً تحتلُّ مكاناً واحداً من جدول العناصر الدوري والذرّي ، ولكنها تختلف من حيث وزن الذرَّة. فالايدروجين العادي وزن ذرتهِ واحد ، والدوتيريوم او الايدروجين الثقيل وزن ذرتهِ ٢ والتريتيريوم وزن ذرتهِ ٣ . وكذلك للاكسجين وغيره من العناصر نظائر . فهل تأثير النظائر في الجسم شبيه بتأثير العنصر العادي المألوف او هو يختلف ؟ هل الماءُ الثقيل ضارٌّ بالانسان ؟ انهُ ضارٌّ ببعض الحيوانات الدنيا . فما تأثيره في جسم الانسان ؟ واي نسبة من الايدروجين الثقيل في الماء العادي تتفق ولوازم الجسم الحيّ ، فلا تسمّهُ ولا تضرُّ بهِ ؟

***

هذه بعض المسائل التي تخطر على البال عند البحث في تركيب الجسم من ناحيتهِ الطبيعية الكيمياوية (ملخصة عن السينتفك أميركان)

عبقر

ساعة مع الشاعر شفيق معلوف

عرض وتحليل

لحبيب الزحلاوي

ما أحوج المرء الى ساعة ينتزع فيها نفسه من الاعمال ، والى من ينتشله من حمأة تتقاتل فيها الجماعات والافراد على الرغيف ، ما أعوزه الى من ينقذ حياته دائمة الاحتراب على المطامع ، دائبة السعي الى إملاء المعدة ، أجل ، ما احوجهُ الى انسان ينبههُ الى عمره المهدور ، وحياته المبذولة الضائعة في أتفه غايات الحياة ، لان النظم التي سنها الملأ للعامة ، والطرائق التي ابتدعها الافراد والجماعات لذواتهم ، انما هي أصفاد وسلاسل حاطوا نفوسهم بها عن جهل وتكالب فاصبحوا كغريق الرمل في حركته قضاء مرتقب والركود في ذاته موت محتوم

لست اعني الموت الطبيعي الذي هو آخر مرحلة في الشقاء ، انما اعني الموت الادبي وهو جهل معاني الجمال وادراك بدائع الفن في مراحل سعادة الحياة

ما أسعدنا اذن بساعة نقضيها بصحبة شاعر يسمعنا همسات الروح الانساني ويرينا صوراً من ملامح الطبيعة ، ويدلنا على ضمائر الجمال ، شاعر ، لا يحقر انتصار القوة المادية على ملايين من المخلوقات تعيش لتأكل وتتناسل . بل يمجد قوته الروحية في ائتلافها الدائم بطائفة لها أرواح وأجساد تنعم بلذاذات الوجود الذي كوّنهُ الله لاناس خلقهم على صورته ومثاله

ان ساعة نقضيها بصحبة شاعر ، بعيد عنا ، قريب من أذهاننا ، تجعلنا متهيئين متنبهين ، بيقظة ملكة الذوق ، لادراك المعاني السامية في الشعر ، تتذوقها ونحللها وننقدها على مهل

تختلف ملكة تذوق الشعر ، في ذاتية القارىء ، عن ملكة التحليل المنطقي ، وان كانتا تتساويان — في بعض الاحيان — في ذاتية الناقد ، الذي يجمع في وقت واحد ، بين الاحساس الروحي الذي لا اقيسة له ولا ضوابط ، وبين الوعي العقلي الذي يحدد الاوزان والضوابط الدقيقة

ندر في الشعراء من يدرك المعاني السامية في شعره كما يدركها القارىء الذواقة والناقد الحصيف انما الشاعر الذي يدرك المعاني التي توحيها اليه تصورات عقله الباطن ، يكون تنبه وعيه مضارعاً

للقوة الدافعة بهِ الى السبحات في مجالات الروح واجواء الخيال ، فاذا كان قادراً على استلماح بدائع الاشعاعات المتكسرة على اقدام الجمال ، بارعاً في رسم تلك الصور تصويراً يدنيها من الخيالات التي رسخت او علقت في ذهنهِ ، مستطيعاً ان يحوطها بإطار جديد من اوزان مستحدثة واوضاع مبتكرة ، انما يكون واحداً من ثلاثة او خمسة شعراء معاصرين يطيب نصف الحياة معهم ويترك النصف الآخر للمرأة وبقية مطالب الجسد . لذلك اجدني حريصاً على انتزاع قارئي من أوصابه ومتاعبه، كما انتزعت نفسي من مخالب الالم ومطالب الجسد لنفوز معاً بساعة نستمع فيها قصة شاعر

* * *

شفيق معلوف ، شاعر من لبنان ضاقت به بلده زحلة عروس مدن الجبل — ولبنان دائم الضيق بابنائهِ — فارتحل الى اميركا ليعيش في مجال العمل الواسع ، وهو ككل اديب لهُ حياته « الداخلية » التي يحيا بها لذاتهِ ولأدبهِ ، وحياتهُ « الخارجية » التي يحيا بها مع الناس لغرض مادي محدود لا دخل لأدبهِ ونفسهِ بهِ . والأديب الذي تقسرهُ مطالب الرزق الى تنحية حياته الداخلية ، انما هي تضطره الى العيش غريباً مع الناس يمثل ادوار إكتساب رزقه تمثيلاً فاشلاً ، كما تقهره على إخبائها ، فتخبو ، فتكمن لتتفاعل مع ذاتها فتبعث بين الفينة والفينة بعض شرارات كأنها تتناثر من فحمة تحترق ، او تنفجر كانفجار البركان

لبث المعلوف زمناً ينثر شرارات من نفسهِ المحترقة فيها غير البصيص لمعان وحرارة ، ولما أعيت نفسهُ البيئة الخرساء ، وتكاثفت عليها اثقال العمل الشاق ، استشعر الغربة تكتنفهُ من كل ناحية ، ولمس الوحشة والنفور من اقرب الناس اليهِ وابعدهم عنهُ ، لما تألبت هذه العوامل وغيرها على نفسهِ ، انفجرت ، وشظايا انفجارات الشعراء انما هي من دمعة او آهة ، من صرخة او ابتسامة، من طفولة او تمرد . الاَّ ان هذا الشـاعر الذي تألبت عليهِ الاعمال المادية وكادت تستغرقهُ الارباح وتغرقهُ ، لم ينفجر انفجار البركان بل تفتق ذهنه عن ريادة شيطانية لا تجول في غير ضمير تاجر اميركي مجازف ، يفتش عن معادن الذهب او منابع البترول ! ! ! ولما تمكنت فكرة الريادة في ذهنه ، جمع عدة الشعراء من دموع وآهات وراح يستوحي شيطانه منجماً يستكشفهُ او منبعاً يستنبطهُ او ناحية في مكان مجهول يبيع فيها صرخات او ابتسامات ! ! فهداه الى وادي عبقر ، مباءة الجن ومبعث الخرافات

أليست مباءة الجن كجبل الطور للانبياء او الشعراء ؟ لقد حجَّ الشاعر الى عبقر ، وطوف بكعبته ومناسكه ، ونظم ملحمة سماها « عبقر » والملحمة استخلاص خيال يقظ ، وذهن فطن ونشاط طبع انساني، من تيارات الخرافات وتوجيه موجاتها صوب طبيعة النفس البشرية لتصطدم بالحقيقة او تدنو منها ، وهي تفسير بارع لطبيعة الخرافات التي اكتسبت حقيقتها من الافكار التي تخيلتها وصوَّرتها بصور الواقع

لست في حاجة الى الاشارة الصحيحة الى ميول الشاعر معلوف الشخصية وطوارىء عواطفه ، ولا الى الالهام النفسي وتنبه خياله ، ولا الى جمال الفن وأثره الحسي فيه ، ولا الى الروي والقافية وموسيقى الالفاظ وتموجاتها ، ولا الى التدليل على انهُ شاعر له ذوق وخالجة وفهم وتجربة ، وانهُ موفور الحظ من الطبيعة ، بسيط في تعريف نفسه ومزاجه ، يرينا الطبيعة كما يراها ويعيش فيها وكيف تلوح لعينيهِ وتقع في روعهِ وتتمثل في خياله، لا ، لا افعل ذلك بل اتركه لذوق القارىء، ولكن لما كان الذوق ذوقين كما يقول الاستاذ عباس محمود العقاد ذوقاً شائعاً يتملى الجمال فتستحسنهُ حين تراهُ معروضاً عليك ، وذوقاً نادراً يبدع الجمال ويضفيهِ على الاشياء ولا يكون قصاراه ان تتملاه حيث تلقاه او تساق اليهِ ، ولما كان ذوق هذا الشاعر خلاقاً ينقل اليك إحساسه بالشيء القديم الموجود بين جميع الناس فاذا بك تحسهُ كانما تحسهُ لاول مرة لما اودع فيهِ من شعوره وما اضفاه عليهِ من طرافة ، ولما كان ذوقه مستمدًّا من جمال الجسم وكانت ميوله وثابة اليهِ بشوق ملحّ، ولما كان شعره طبيعيًّا لا تكلف فيهِ ولا صقل ولا مهارة في صنعة التعبير لانهُ يؤثر الطبيعة البسيطة التي يفهمها على كدّ الصناعة والزخرفة ، لذلك آثرت استصحاب القارىء نستمع قصة رحلة الشاعر الى عبقر ، نشاهد ونتابع مراحلها مرحلة فرحلة

***

صاح هي اليقظة دبّت على جفنيّ فاستلانت الموطئا
وعالجتْ بالنور بابيهمـــا حتى استخارت فيهما ملجأ

وانطوى الليل ، وأطلّ الضحى يرسل دفقات من نور على جفون الشاعر ، دبّت اليقظة في نفسه فأهابت بهِ الى ترك السكرى ، وانتهاب اللذات ، والاستهزاء من الدهر الهازىء بنا . فيجيبها وقد نفض عن مقلتيه « إغفاءة طارت وحلماً نأى »

ما الفرق في نومي وفي يقظتي وكل ما في يقظاتي رؤى

لان الضحى متى صعّد انفاسه على سراجه المشتعل فانما يصعّدها ليطفىء نوره فيغدو حاله في النور والظلمة سواء ، اما الآن وقد استيقظت النفس يقظة العين وقد رأت اشعة الضحى مستلقية على صدور الربى ، يعانقها الزهر وتضمها الغمامة — ليست الغمامة البيضاء التي وعد المسيح رسله ان يعود اليهم عليها — انما هي غمامة بدا من تحتها شيطان الشاعر كانهُ « قذفهُ من الثرى ساحر »

في فمه من سقرٍ جذوةٌ منها يطير الشرر الثائر
ووجهه جمجمة راعني أنيابها والمحجرُ الغائر
كأن محجرها كوّةٌ يُطل منها الزمن الغابر

يقبل نحو قرينه ، يبدي إطاعته لقضاء اوامره فيسأله « أمن حالق برزت ام من شقوق الثرى »

فقال أني جئت من بقعة خافيـة تدعونهـا عبقـرا
تسوسُ فيها الجنّ عرافةٌ ترى بزجر الطير ما لا يُـرى
ساحرة مطلسم مسحها تطوي بهِ الاجيال والاعصرا

تستطيب نفس الشاعر زيارة عبقر ، وتتوق الى رؤية تلك العرافة التي ولاها الشياطين سياستهم وهؤلاء يوحون الى الشعراء آياتهم فيقوم مع قرينه الى « المجهل الوعر »

وانطلق الشيطان في الجوّ بي كأنهُ الـنيزك أو أسرعُ

ثم تهاوى الى موضع تبرقعه الغمائم الزرق ، تسطع جدران منازله بالانوار ، وتنور في أبراجه الضجات ، هوذا البلد المرصود وقد

عزّت على الانس فمن حولها أبالسُ الابراج تستطلع
جهاتها الاربع مرصودة تحرسُها الزعازع الاربع
ما أفلت الانسيّ من زعزع الاّ تلقى صـدره زعزع

طوّف الشيطان الشاعرَ بالابراج الضخام البناء فرأى العفاريت تدرج كالنمل ، وجيوش أقزام الجن تمتطي للزحف أصناف المطيّات من عظايات وديوك ، وأنعم ويرابيع ، مزاريقها أشابات القنفذ وتروسها قحوف السلحفاة ! ثم حلق بهِ وحوّم على عبقر

وحطّ بي فيها فألفيتني أمام شمطاء طواها الـكبرْ
ينبعث الدخان من شعرها ويتلظى في مقلتيها الشررْ
كأنما الله لدى بعثهـا زوّدها بكل ما في سقرْ

« تلف ثعباناً على وسطها » تحفّ بها طوائف الجن متألبين حول مجامر العنبر ، فلما رأت الشاعر انتفضت فأجفل الجن وارفضضنَ ، دمدمت العرافة متبرّمة وقد هالها « ان يقلق الارواح مرأى البشر » فقالت

فيالصوت خلتُ لما دوى أن أديم الارض تحتي اقشعرّ
ويكَ يا انسان ألق عصا سحرك
ذعرت فينا الجان فعذن بالشيطـان
من شرّك

تمضي العرافة القرقارة في التهديد والوعيد ، تود لو تطلق على الزائر الغادر ثعبانها ، ولـكنني

أخشى على الثعبان من غـدرك
في نابه السمّ كان وصار في صدرك

تتحول الى التقريع والاستهتار

جعلت نفسك أعلى في الارض من ربك

وتمعن في الاتهام والتأنيب ، والسخرية من الفلاسفة والشعراء

تحكون يا شعراء آلهة في السماء
انتم لهنَّ ندامى فتنشرون السلاما
ملءَ الثرى والفضاء
فهات حتى نرى مَ خبأتَ من هولك
يا ابن السلام اذا ما دسنا على ذيلك

استاء الشاعر من ثرثرة العرافة وتقريعها اياه فقال لشيطانه

شيطانَ شعري قم بنا عن هذه الارض وغيلانها
فان خلف الافق لي موطناً ابناؤه تعنى بضيفانها
للنفس في اوطانها حرمةٌ ضائعة في غير اوطانها

يعز على الشيطان غضب قرينه الشاعر فيعمد الى استرضائه ، فيدعوه الى الاصغاء لانشودة اميرة الجن وقد برمت قبائلها بها وحرنَ بأمرها لانها

مُسَّت بروح ليس من عبقر غادرها غرقى ببحرانها
لم تُجدِه رقية عرَّافها كلاَّ ولا حكمة كهانها

والجنية هذه تمعن في وثبها كالمروعة ، حلتها شفافة كبشرتها المشمة ، كأن اضلاعها كوّرت من حلقات النور

إن بسطت ذراعها أحجمت ملتاعة تودُّ إرجاعها
ثم أراها وهي مأخوذة تطوي ــ على ما لا ارى ــ باعها
من عالم الاجساد مبلية بنهمة تود اشباعها
لنشوة في نفسها طاردت في ظلمة الادغال أتباعها
تعانق الارواح حتى اذا خابت مضت تحمل أوجاعها

والجنية الفاتنة تغني للشاعر الانسي اغنية الجان

هل أنا الاَّ ذرة من ضياء هل انا الا زفرة الله قد
صعّدها فوق قباب الجلد فلم تزل لاهبة في الفضاء

وتشكو من عالمها الذي لا يُشبع نهماً فيها ، وهي كلما تخيلت روحاً استلقى على معصمها فتهم تقرب اليه فمها فلا تذوق ولا تضم الاَّ العدم بعكس العالم الآخر

متى تلظت شهوة في المهج لم تعدم الاجساد إطفاءها

أما « فنحن بنات الظلال » لسنا « غير خليط من طيوف ضئال كقطيع الغيم اذا بعضنا

تعانق اضمحلَّ في بعضنا » وتمضي المسكينة تنشد شعراً تغصّ الحنجرة في انشاده ، وتتحير الانغام في تصويره ، وتتدفق الحياة من نبراته . وتَلذَع الآلهة بشواظ جمره

من لي بحب نوره ينبلجْ من شررٍ محتدم في المقلْ
من لي بثغر لاهب تنفرجْ ثغرتهُ عن شعلات القبلْ
من لي بذي قلب خفوق أَجْ في صدره ... وإن يكن يختلجْ
لعاصف الموت اختلاج الشعلْ

تَرِن الجنية المسكينة على نفسها ، ويبلى الأمل في قلبها ، فتهرف كالمحموم فتسأل

ما نفع روحٍ خالد عشت فيهِ ما زلت لم أحضن ولم احتضن

وتنادي كالبائع العيَّار في السوق

ياحامل الجسم ألا اعطنيه وخذ إذا شئت خلودي ثمن
روحي لا يبلى فمن يرتضيه أحمل ما في جسمه من شجن
وشاحيَ الناريُّ من يشتريه فانني أبيعهُ بالكفن

كفكف الشاعر دمعة غامت على عينيه حزناً على اميرة الجان ، ومضى مع شيطانه فانطلق به الى كهفي رجلي الحكمة شق وسطيح ، ومن اساطير العرب الجاهليين ان سطيحاً كان مخلوقاً لحماً بلا عظام ، يدرج كما يدرج الثوب ، وان شقّاً كان شطر انسان اي له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وانهُ ولد وسطيح في يوم واحد ، وان كلاًّ منهما كان اشبه بالثاني في الانباء بالغيب ، وان العرب كانوا يعتمدون على هذين العرّافين الحكيمين في تفسير احلامهم ، إلاَّ ان الطريق الى الكاهنين وعرة ، مسلكها رهيب وهر ، آهلة بغيلان وجان

بسحنة فاغــرة شدقها عن أنيبٍ محدّدات السنانْ

ولما انتهيا الى كهفي الكاهنين لقيا الواحد في وسطه « مدينة نارٍ غمدها من دخان »

والكاهن الآخر ذو خلقة لم يحبس الخالق فيها أحد
ما الدهــر إلاَّ عبثٌ عنده وليست الاجيال إلاَّ بَدَدْ

في باب كاهني عبقر وقف الشاعر يستعطي حكمة يعدّها للغد ليرسلها فوق رؤوس الورى

قد اظلم الشاعر والكاهنين، وقد اظلم الحكمة نفسها اذا عمدت الى تلخيص هذا الموقف الرائع في قصة الرحلة ، فالحوار ، والحكمة ، واستعراض الحياة ، وجس ادواء المجتمع ، والسخرية من الحكام والاحكام ، والضحك المرّ من حمق الانسان وغبائه ، وابتسامة الهزؤ من عقله وتصرفاته — اقول اذا حاولت ذلك فكأنما أهدم الدعامة القوية في بناء الملحمة القوية ، وأكون كمن يستشهد على موضوع في كتاب نفيس يكتفي بابراز دفتيه ، وتقليبه في كفيه ، فالخير إذن كل

الخير في تلاوة اناشيد هذا الموقف برمتها في الكتاب . عاج الشاعر عن كهف العرافين ومضى به شيطانه الى غابة الحور حيث طين الاعشاش من فتات المسك

والحور في الاعشاش يملأنها   عواري الاجسام شُعثَ الشعور

فررنَ إذ رأين الشاعر ورحنَ يغمزنه من بعيد، ولكنهنَّ اشباح دفن الهوى فصرنَ ككؤوس وهاجة لاخمر فيها ، إمّا الشاعر اللماح ، عاشق الجمال والحب يقف من جمالهنَّ الباهر لا كموقف السكير من زجاجة فارغة ، بل وقفة شاعر يفتنهُ الجمال فيتساءل

هل النهود البيضُ الصقنها   من نُتَف الغمام فوق الصدور

والنقط الحمراء في وسطها   أهيَ من الفجر بقيات نور

ام بقعٌ منذ عناق الهوى   توَّجٌ فيها جمرات الثغور

يسأل الشاعر شيطانه أخبارهاته الجنيات الفاتنات فيجيب بان ذاك الذي كان نصب ميزانهُ للعدل كان قد ألقى ببنات الهوى الى النار ، فثرنَ على الابالسة ، أغرى هؤلاء بهنَّ ثعابينهم فأغوينَ الثعابين ، تنكّر الابالسة لهنَّ فرحنَ

يلغنَ في الجمر ويغبنهُ غبًّا ويرشقنَ الشياطينا

ضجّ سكان جهنم فعجّوا بباب الله يشكون له فتنة بنات الهوى فكان حكمهُ ، ان

زجَّ بهنَّ الله في عبقر يبلو بهنَّ العبقريينا

اجتذب بنات الهوى الشاعرَ العبقري اليهنَّ ، ورحنَ يبثثنهُ شكاياتهنَّ فقلنَ انهنَّ فراشات الصباح متى استفاق الصبح ومدَّ لنا كأسهُ ، نمتطي اليهِ متون الرياح ، نملأ منهُ كؤوسنا ، نرش بها الازهار العطاش ، وترانا من الضحى الى الاصيل نعوج بالخضرة في الاودية نستلقي على صدور الزهر ، بين الشمس تشرق من هودجها علينا نرى اجنحتنا منشورة للهواء ونحن في حضن الزهرة ترتجف ، ويمضين في حديثهنَّ عن الماضي وتقلبهِ ، واللهو ومجانتهِ في عالم الانسان

ازمنة اللهو انقضى نصفها   وصدرنا وسادة للجباه

فان دنت من الشفاه الشفاه   نهزها هزًّا ونشتفها

كشارب الخمرة يدنيها   منهُ فكم تزيد من لذته

خضخضة الكاسات في قبضته   من قبل ان يمتص ما فيها

الاَّ ان ليل الزمن أطفأ أشعة احداقنا ، وترهلت اجسادنا البضة تحت دوس اقدام عشاقنا ، فمضى جلاسنا عنا ، ونحن

مذ خلع الله علينا المقل   زوَّدنا بنظرة ضائعة

وشهوة ملحة جائعة   وبشرة هفافة للقبل

ما ذنبنا نحن ايها الشاعر وقد القي بنا في وسط العاصفة ، وزج بنا في أتون التجارب ،وكون

أجسادنا للاستسلام الواهي فنحن

ثرنا عليــهِ حينا سامنا عسفاً فلم نصبر على عسفـه
قد حشد اللذات قدّامنا وجيّش العذاب من خلفه
أفتى بان نقوم في ربقنا بجزية العبد الى ربه
هو الذي اذنب في خلقنا وراح يجزينا على ذنبه

جاز الشاعر غاب الحور واستشرف صحراء منثورة فيها الجماجم والرمم كأنها فضلات موائد الموت ، تهب فيها رياح البلى فتلاشي شعلات الحياة فيسأل شيطانه عما المبعثر في الصحراء التي كأنها مغيبة في عباب السبات فيجيب « هذا الذي تلدهُ الامهات »

ذاك رفات الشعراء الذي باتت بهِ عبقر تستأثرُ
ينبثُ في الارض شياطينها لينبشوه حينما يقبرُ
وكلهم متى يعُدْ حاملاً شاعره تضمه عبقر

يطوف الشاعر حول هيا كلها فتكشر او تضحك ساخرة منهُ ، يعي ارواحاً هوت عليها وتغلغلت فيها لتنهض بها من كبوة الموت ، واذ تعجز عن إنهاضها تأخذ عظامها لتجعل منها قيثارات للموسيقيين !
يعود فيسأل الارواح والرمم عن الوجوه التي كانت صباحاً ، والبسمات زاهيات ، والعيون ساهرات

وعن الحب حين انقضى عيده ظلّ يدوي في الدجى عوده
ام ماتت الطير فماتت على مناقر الطير اغاريده ؟

فتصيح بهِ العظام: عشنا مع الناس دهرا نحـلم بالشباب
واليومَ والعمرُ مرّا وضمّنا الـــتراب
نعيش فيهم بذكرى أحلامنا العذاب

فيسأل ماهي احلامكم : أحلامنا نحن فقل للالى شادوا لنا الانصاب إكبارا
احلامنا كنا لطافاً فلا تصيروا الاحلام أحجارا
قل للأُلى يزخرف اللحود إزميل حفارهم
أرواحنا تبني قباب الخلود بغير أحجارهم
وتحدج الوجود بغير أبصارهم

الست ترى ايها القارىء في هذه القصيدة ملحمة بوافر معانيها ؟ اليست مميزات الملحمة انها تبدأ بوضوح يجانبها الوضوح في كل مقاطعها وكامل اجزائها فيربطها بعضها ببعض فيجعلها كتلة واحدة ووحدة منسجمة يتجلى فيها الذوق الفني فتكون كشجرة المشمش في اوائل الربيع ، جمالها في اغصانها العارية ، ثم في الازهار تزيّن بالجمال المكتسي بالفتنة ، جمالاً عارياً فاتناً ، ثم في الاوراق تغطي الثمر الناضج وتكشف البسر لاشعة الشمس ! !

ان الصفات التي جعلت لهذه العلوائية —على حد تعريف الآنسة « مي » شفاها الله للتمييز بين العلوائية والملحمة — ميزة انفردت بها ، هي رغبة النفس في تصوير جمال الفن في مكان مهجور توهم الناس خلوه منهُ ، والمهارة في تأدية المعنى ، بتراكيب بسيطة ، والفاظ بعيدة عن الابهام ، والبراعة في التعبير عن التجربة والابانة عن القصد ، والمقدرة على الانتقال برشاقة وتقدير مسافات المراحل والابعاد ، والتصوير بوضوح ، وجمع المشاهد وربطها ، وبالجملة توسله بالفن للصلة بين روحه وروح القارىء ، وللترفيه عن نزعات نفسه الحائرة ، المتضاربة المتشابكة ، المتشعبة القلقة

لقد اصطفى الشاعر شفيق المعلوف موضوع « عبقر » ليكون مادة لفن هذه الملحمة فقد احسن الاختيار ، وتخيل فأجاد التخيل ، وقد انتشل موضوعه إنتشالاً من ذلك الوادي المزعوم واستطاع ان يخلق له جوًّا خاصًّا ، له سماوات فصول السنة في البلاد السورية تشعر المرء بانضباطها وبتقلباتها في الشتاء والربيع والصيف والخريف ، ولقد نجح في تطويع الالفاظ المناسبة لموضوعه — الاَّ بعضها — الجامعة لخاصة الشدة والتأثير ان بالرمز والتوضيح او بالوسائل البيانية او الايحائية تستثير خيال القارىء ليقوى به على مجاراة الخيالات الحادة وسبحاتها البعيدة والالهامات التي حلَّت في ذهن الشاعر المبتدع . بهذه المزايا استطاع الشاعر المعلوف ان ينفذ الى احساس القارىء فجعله يشاركهُ في فهم معاني الجمال المستترة والبادية ، الظاهرة والخافية واستيعابها وتذوقها

كنت اود لو يتسع المجال لاثبات بعض ما يعن لي في صدد الفاظ وتشابيه شعرت فيها بما يصدم الحس الشعري واصف بعض حالات نفسية تلابس الشاعر حين النظم ، لأن ملحمة كهذه مفروض انها نظمت في اوقات متباعدة وفي حالات نفسية خاصية ، لا تخلو من بعض هنات يدركها الناقد الدقيق الحس ولكن في القصيدة ما يلزمهُ على الاعتراف بمقدرته على تكييف نفسه وتهيئة ذهنه للانسجام من جديد في موضوعه والانسياق مع الالهام الروحي الرابط لجميع اجزائها

قلت في معرض الكلام ان لكل اديب حياته «الداخلية» التي يحيا بها لنفسه ولادبه وهو بها غريب عن الناس ، وقد ادنو من الحقيقة فألمسها اذا قررت ان ثلاثة من شعراء العصر هم الغرباء حتى بين ادباء هذا الجيل ، ولعلَّ ناظم علوائية « شيطان » امعن في غربته من ناظم علوائية « الطلاسم » وان ناظم ملحمة « عبقر » ادنى الى الاستئناس ببعض الطبقات ، وان لابد للمتوقل في درج هؤلاء الشعراء ان يرتفع كثيراً حتى يبلغ « عبقر » وينطوي على نفسه كثيراً حتى يعي «الطلاسم » ويتحرر ويتمرد ويتعب كثيراً حتى يدرك طلائع روح «شيطان » واحسب ان شعور المتأدبين باستغرابهم شعور الشاعر المجدد وسليقته المبدعة انما هو دليل على تأصله في حياته الادبية الغريبة عنهم ، وقدرته على خلق ما لا قبل لهم إلفته والاستئناس به

ما اسعد الشاعر الموهوب ، بل ما أسعدهُ وأشقاهُ ، وما اسعدنا بساعة نقضيها بصحبة عبقري

فالارض ان كانت جحيماً لهُ وكان فيها تهنأُ الارضُ



رحلة جغرافية عمرانية

لوصفي زكريا

— ٥ —

﴿ عالم الحيوان ﴾ وعالم الحيوان يبدي في اليمن كثرةً وروعةً غريبتين . فالجبال تحتوي على افراد قليلة من الصباع والذئاب ، وعلى اسراب كثيرة من القرود . وفيها كثير من الحشرات والهوام المؤذية كالافاعي والعقارب والرتيلاوات السامة والبق . وفي تهامة اسراب كثيرة من الغزلان السارحة . واسم القرد في اليمن (رباح) . على حين ان هذه الكلمة في اللغة تطلق على القرد الضخم[1] . وللقرود في اليمن الوان عديدة . فنها الاسود والاصفر والاحمر . وهي تسرح وتمرح مجتمعة بحيث لا يقل عدد السرب عن العشرات واحياناً عن المئات . وهي تعيش في المناطق ذات المياه ، فتسطو على الزروع والبقول وتتلفها ، ولكل سرب رئيس كبير الجثة يحكم في سربه حكم القائد في جيشه . ولما كان القرود جبناء وشديدي الاحساس يسيرون بحذر وانتباه كالجند المتخذ وسائل الحيطة في ارض معادية ، فانهم يضعون لكل سرب قرداً او قردين في الطليعة والساقة والجناحين الايمن والايسر . فاذا ظهر امام السرب السائر مانع ما في احدى الجهات المذكورة يصيح القرد الموظف في تلك الجهة ليقف السرب كله ويصغي الى مصدر الصوت . فاذا صاح القرد الموظف صيحة ثانية ينطلق السرب بسرعة منهزماً نحو الجهة المقابلة الامينة . وعند الهزيمة يمتطي الصغار ظهور امهاتهم أو يتعلقوا حول بطونهن . والقرود قلما تتعرض للانسان ، ما لم يستفزها فترشقهُ حينئذٍ بالحجارة او بما يماثلها

(١) في معجم الحيوان لامين المعلوف ص ١٧ « ان هذه اللفظة من أصل سامي بمعنى رب او سيد ، لانهم كانوا يعظمون القرد في اليمن كما كان يفعله قدماء المصريين »

اما الطيور الكواسر كالنسر والعقاب والصقر والحدأة والرخمة وغير الكواسر كالغراب والحمام والقمري والعصفور والشحرور والبلبل والهدهد والحجل والقنبرة والشقراق وغيرها فحدث ولا حرج من كثرة انواعها واجناسها واختلاف اشكالها والوانها واصواتها وغرابة طيرانها حول المساكن وفوق الرؤوس بلا وجل ويعزى ذلك الى كراهة صيد الطير لدى اليمانيين ارباب المذهب الزيدي

﴿ الاديان ﴾ الدين العام في اليمن هو الاسلام ومسلموه اما شيعة من اتباع مذهب زيد بن علي بن الحسين بن علي الذين يقولون بوجوب الامامة وتعينها في احد ابناء بيت النبوة الحائز على الشروط الآتية ، ان يكون ذكراً حرًّا مجتهداً علويًّا فاطميًّا عادلاً سخيًّا ورعاً سليم العقل سليم الاطراف صاحب رأي مدبراً مقداماً فارساً . واما سنية من اتباع مذهب محمد بن ادريس الشافعي الذين لا يقولون بحصر الامامة في آل البيت. وجميع سكان جبال اليمن الاعلى زيدية ، كما ان كل سكان جبال اليمن الاسفل والتهائم شافعية . والزيدية يؤلفون ثلث سكان اليمن بينما الشافعية يؤلفون الثلثين . لكن السيطرة في يومنا بيد الزيدية كما كانت ايضاً في اكثر العصور الماضية . وقد تقدم القول عن الفروق الملحوظة بين اتباع المذهبين من نواحي الاخلاق والعادات والحالات السياسية والادارية. وثمة في جبال قضاء حراز قليل من الاسماعيلية اتباع داعي الدعاة (سلطان البهرة) في الهند ويسمونهم مكرميين وفي الهند بهرة . وهم غير الاسماعيلية الذين يؤلهون آغا خان الزعيم الهندي المعروف واليهود يؤلفون عشر سكان اليمن ، وهم منتشرون في اكثر مدن اليمن وقراه ، يقيمون وحدهم في احياء منعزلة ويؤدون جزية ضئيلة لا تتجاوز الريالين لقاء امن واطمئنان لا يرون نظيرها في اي قطر آخر وهم مكلفون إرخاء العارضين ولبس ازياء خاصة ذات لون اسود او ما يماثله وعدم ركب الخيل وتقلد السلاح . وذلك لكي يميزوا عن المسلمين ولا يخل احد باطمئنانهم . وعلى الرغم من مظاهرهم الدال على الخفض والضعة فانهم اهنأ حالاً من المسلمين المنكوبين بالبؤس والخمول. فمعظم الصناعات في اليمن في ايدي اليهود وكذا معظم التجارة وكل الصيرفة . فهم الحاكمون في الحركة الاقتصادية

﴿ الطبقات ﴾ كيفما جال الغريب في بلاد اليمن يشاهد اساليب الحياة وتقاليد المعيشة والاطوار والافكار ما تزال على ما كانت عليه قبل بضعة قرون منها ان اليمانيين ما زالوا ينقسمون كما كانوا في عهود اجدادهم الغابرين الى طبقات عدة هي السادة والفقهاء والقضاة والنقباء والمشائخ والعقال والقبيليين فهؤلاء علية القوم والمنظورين فيه . ويلي هؤلاء العوام وارباب الحرف كالحداد والنجار والجزار والبنّاء والمزين والحامي والنشّاط والدوشان والمقهوي والرعوي وعيال السوق . . . وأمثالهم المعدودون من الحشارة في المجتمع اليماني

﴿ السادة ﴾ لا تطلق كلمة السيد في اليمن إلاَّ على المنتسبين لآل بيت الرسول (صلعم) ولا

يجوز استعمالها لغيرهم . والسادة في اليمن كثيرون ، تجدهم اينما ذهبت ، اسرهم معروفة وانسابهم محفوظة . وهم اسمى طبقات اليمن واوفرها احتراماً واعزازاً . وهم القابضون على عنان العقائد والميول والمسيرون للآراء والنزعات . وإذا صادف اليماني رفيعاً كان ام وضيعاً واحداً من هؤلاء السادة وإن صغر سنه ورق حاله يهوى على ركبتيه ويديه بالتقبيل . واذا ما القى أحد هؤلاء السادة خطبة في مسجد او حادث جمعاً في منزل أو اذاع نشرة في البلاد يدعو لزعامته او نصرته لا بد ان يشرع بالفخر والتمدح ،وانهُ من آل بيت الرسول المخصوصين بالتقديم والتكريم وقرناء الذكر الحكيم الذين ورد في وجوب محبتهم والتعلق باذيالهم كذا وكذا من الآيات والاحاديث ،كما يذكر مثلها في فضائل اليمن واهل اليمن ،واشهرها حديث (الايمان يماني والحكمة يمانية). وكل الامارات والعمالات الرفيعة والمقامات والوظائف الدارة في اليمن هي للسادة بادىء ذي بدء مهما قات معرفتهم وكفاءتهم وكل صدقات الفطر والهدايا والنذور الدينية في الاعياد والمواسم وغيرها من الاوقات تجبى لهم مهما كثر مالهم وسعد حالهم . فتأمل بعد هذه الوجاهة والسيطرة الروحيتين الفائقتين كم يؤثر هؤلاء السادة في انهاض الشعب اليماني البائس الذي ركبوا منكبيه منذ احد عشر قرناً لو تهيئت لهم شروط ذلك الانهاض من علم نافع وشعور قوي او وطني . والقاعدة عند السادة أن يصاهر بعضهم بعضاً . فالسيد لا يرغب في زواج ابنته الا من سيد . ولا يصبو ابن السيد للاقتران الا من « شريفة » وهو لقب بنات السادات وقد يقترن السيد ببنت غير شريفة ويكون ولده منها سيداً ، ولكن الشريفة اذا اقترنت بغير سيد لا يكون ولدها منهُ سيداً

***

(الفقهاء) هم شيوخ الدين المتضلعون والمشتغلون بالفقه وغيره من العلوم الشرعية الاسلامية ويكونون من غير السادة. وللفقهاء ايضاً في نظر الشعب اليماني احترام يقرب لما للسادة وماذكرناه عن اولئك يشمل هؤلاء ايضاً في الجملة. (القضاة)هم كبار الموظفين ورؤساء الدواوين في دوائر الحكومة اليمانية من غير السادة . (النقباء) هم اعقاب حكام بعض البلاد فيما مضى الذين دالت دولتهم فانتقلت املاكهم الى بيت المال ، ولهؤلاء ايضاً قدر معروف (المشائخ) هم عمد القرى والاحياء وذوو الحول والطول فيها . والمشيخة تنتقل بالوراثة من الاباء الى الابناء (العقال) طبقة توازي المشائخ بالقدر والنفوذ . وقد يكون السيد والشيخ عاقلاً .(القبيليون). القبيلي هو المعروف بالقروي او الفلاح في عامة الاقطار العربية . وقد دعي بذلك لان قروي اليمن وفلاحيه ما برحوا محتفظين بانسابهم واجتماعهم على هيئة قبائل وبطون وافخاذ. فهناك همدان وسنحان وعنس وحاشد وبكيل وارحب ونهم وبلحرث وغيرها من القبائل العربية القحطانية المعروفة من قبل الاسلام لا تزال هي والفروع العديدة التي تشعبت منها في العصور المتوسطة والاخيرة وتسمت بأسماء شتى

كذي محمد وذي حسين وبني جبر وبني بهلول وبني الحارث والحدا وغيرها موجودة في اليمن على الحالة والفطرة اللتين تركها اجدادهم . فالقبيليون هم جمهرة الشعب اليماني ودهماؤه وخدام زرعه وضرعه وجنود سادته وحكامه وحملة دواعي بؤسه وشقائه، يرهب جانبهم ويقام لهم وزن لانهم كانوا وما برحوا اتباع الناعقين واعوان الواثبين والخارجين

وقبيلو اليمن ليسوا من الاعراب الرحل سكان بيوت الشعر المعروفين في بقية الاقطار العربية ، حتى ان اليمن يكاد لا يعرف لهؤلاء اثراً لفقدان البراري والصحاري الصالحة لسرح الابل والغنم والحل والترحال بل هم من المتعلقين بمزارعهم ومحارثهم والقاطنين في قرى ودور حجرية في الجبال او في عرائش واكواخ من الشجر والقش في التهائم . والقبائل في تهامة وفي الجبال كانوا وما برحوا تحت نفوذ زعمائهم والغالبين على أمرهم ينقادون لهم انقياداً أعمى وأول عنصر الزعامة في القرى يبدأ بالعقال والمشائخ . فكل من هؤلاء في قريته صاحب الزعامة الزمنية والقابض على زمام الآراء والحقوق . وينقاد هؤلاء الى زعيم كبير يدعونه « شيخ المشائخ » يسيطر على قرى عديدة تختلف قلتها وكثرتها بحسب قوته . ثم ان كلاً من هؤلاء ينقاد الى الرئيس الاكبر الذي بيده أمر القبيلة كلها . اما الزعامة الروحية والسيطرة العليا الزمنية الادارية والمالية والسياسية فهي بيد الائمة الذين لم ينقطع تعاقبهم منذ أواخر القرن الثالث الهجري رغم الدول التي تداولت الحكم في اليمن . والامامة قد لا تبقى في يد سيد واحد بل ينازعه فيها غيره احياناً من الحائزين على الشروط الاربعة عشر . ونفوذ الائمة وسيطرتهم هائل جداً . فالامام بحسب المذهب الزيدي رئيس ديني واميرالمؤمنين وخليفة المسلمين . وقد غالى الائمة في فرض طاعتهم وتقديسهم ورووا احاديث ووضعوا دساتير قاسية جداً . فالصبي اليماني اول ما يتعلمه في الكتاب ان (طاعة الامام من طاعة الله ومعصية الامام من معصية الله) وان (لا يد فوق يد الامام) وان (ليس للرعية إلاَّ ما طابت بهِ نفس الامام)، وغير ذلك من الاقوال الكامة للافواه والقاطعة لنياط القلوب مهما اساءَ الائمة واخطأوا بصفتهم بشر على كل حال

الالقاب — ومن غرائب اليمن ان الالقاب الفخمة التي كانت تستعمل في عصور انحطاط دول الاسلام ما زال لها في اليمن حكم قائم لا يحيدون عنها في تراسلهم وتخاطبهم . فكل سيد او قاضي علاَّمة وكل فقيه فهامة وكل من كان ابناً للامام فهو سيف الاسلام ، وهذا لقب لا ينازع ابناء الامام فيهِ احد . وكل من كان اسمهُ احمد فهو صفي الاسلام وينادونهُ يا الصفي ، ومن كان اسمهُ محمداً فهو عز الاسلام وينادونهُ يا المعزي ومن كان اسمهُ علياً فهو جمال الاسلام وينادونهُ يا الجمالي . . وهكذا يا الفخري ويا الشرفي ... الخ

سير الزمان

يوميات دولية

١ — العامل الاقتصادي في الحربين

٢ — من الباب المفتوح الى قانون الحياد

٣ — جامعة الامم وسلطان القانون

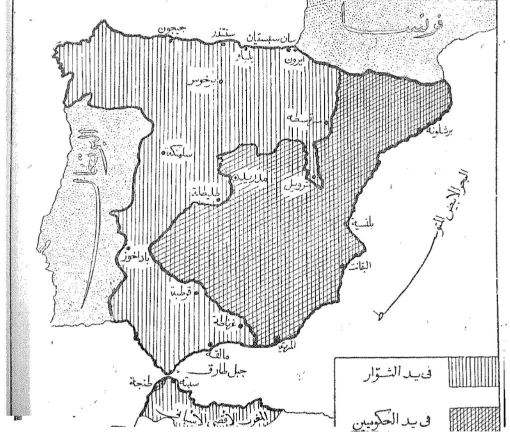
٤ — اقبال وهمي وخطر الانتعاش بالتسلح

٥ — تسلح بريطانيا والسلام

٦ — هروب المبدأ

٧ — الطيران الحربي يتحدى الحضارة

٨ — جامعة الامم ونشوء السلام



مواقع الحرب فى
الشرق الاقصى
وفى أسبانيا

يوميات دولية

١ — العامل الاقتصادي في الحربين

بين الحرب الاهلية في اسبانيا والقتال الناشب في شرق آسيا بين اليابان والصين وجوه من الشبه على بعد الدار واختلاف اللون وتباين الحضارة . ذلك ان العامل الاقتصادي اعظم شأناً في توجيه الحربين من اي عامل آخر . فارتقاء الصناعة في هذا العصر واعتماد الامم على منتجاتها جعل للمواد الخام اكبر شأن في حياة الامم وفي توجيه مقدراتها . فاليابان المشتبكة مع الصين في قتال عنيف مدفوعة الى ذلك قسراً بهذه الحاجة الملحة التي لا قبل لها بالتعامي عنها . لان اليابان وقد اصبحت في مقدمة الامم الصناعية في هذا العصر لا تستغني ، في سبيل اطراد نموها القومي ورفع مستوى معيشة اهلها او الاحتفاظ بمستواهم الحالي ، عن امرين اثنين اولهما موارد المواد الخام وثانيهما اسواق لبيع منتجات مصانعها

اما وبلادها مزدحمة بالسكان وليس لها من مصادر المواد المطلوبة الا اليسير فلا بد لها من ان تطلبها حيث تجدها . ولكنها والعالم الحديث موسوم بسمة النضال الدائم تفضل ان تكون هذه الموارد حيث لا تقطع الحرب صلتها بها . وفي بر آسيا الشرقية ولاسيما ولايات الصين الشمالية الى الجنوب من منشوكو ، خير حل لهذه المعضلة ، في رأيها

فاليابان الصناعية تحتاج الى الحديد والفحم والبترول والقطن والصوف وغيرها وامامها في مغوليا الداخلية في شاهار وسويان مصادر غنية بالحديد وفي شانسي وشنسي وهوبي مصادر غنية بالفحم والبترول وفي سهول الصين الشمالية متسع لزراعة القطن وفي مغوليا الخارجية مراع تصلح لتربية الغنم في سبيل صوفه

ثم ان في الشمال وما يليه من الصين المتوسطة ، اسواقاً واسعة النطاق لبيع منتجاتها وجميع هذه لا يفصلها عن اليابان الا بحر لا يسع دولة من الدول ان تنازعها السيطرة عليه

فاليابان مدفوعة بدافع الحاجة الاقتصادية القاسرة الى التوسع الاقتصادي على البر الآسيوي اما بالتعاون مع الصين وهو ما تفضل واما باكراه الصين عليه وهو ما لجأت اليه

أما فعل العامل الاقتصادي في الحرب الاهلية الاسبانية فيختلف عن فعله في النزاع الصيني

الياباني . ذلك ان الحرب الاهلية الاسبانية نشأت عن بواعث اجتماعية وسياسية خاصة بالبلاد نفسها ولكنها ما كادت تقوم فيها حتى ثبت ان العامل الاقتصادي سيكون ذا شأن كبير في توجيهها

ذلك ان أسبانيا غنية بالمعادن المختلفة من المعادن التي يستهلك منها كل سنة مقادير كبيرة كالفحم والحديد والكبريت والرصاص والنحاس الى المعادن التي لا يستهلك منها الاَّ مقادير يسيرة ولكنها مع ذلك مما لا يستغنى عنهُ في الصناعة الحديثة ولا سيما في صناعة الاسلحة كالزنك والتنغستن والقصدير والزئبق والمنغنيس والموليبديوم وغيرها

ولما كان بين الدول الاوربية الكبيرة دول صناعية تحتاج الى هذه المواد الخام لتقوّم بها اود صناعتها وفي مقدمة هذه الدول ايطاليا والمانيا كان لا بدّ من ان يتصل أثر العامل الاقتصادي في توجيه الحرب الاسبانية بأثر العامل السياسي والايديولوجي

نعم ان الصناعة في أسبانيا لم تبلغ درجة عالية من الرقي والاتقان . ولكن امتلاك المصادر التي تنطوي على هذه المعادن الثمينة أصبح عاملاً حاسماً في سير الاعمال الحربية . ومراجعة أهم الحملات التي تمت في أسبانيا تسفر عن ان الاهداف العسكرية كانت في كثير من الاحيان مناطق غنية بالمناجم . ففي قلب أسبانيا الى الجنوب الغربي والى الشمال من قرطبة مناجم أسبانيا المشهورة بما يستخرج منها من الزئبق . وهذه المناجم ملك للحكومة الاسبانية من عهد بعيد . ولذلك كان هم الجنرال فرانكو ان يستولي عليها وهمُّ الحكومة ان تبذل جهدها في الدفاع عنها وهي لا تزال تابعة لحكومة بلنسية . والحملة الاخيرة التي شنها الجنرال فرانكو على ساحل أسبانيا الشمالي الغربي انما كان الغرض الاول منها الاستيلاء على المنطقة التي تكثر فيها مناجم حديد من أعلى طبقة بين مناجم الحديد في الدنيا . وقد كانت مصانع الانكليز تعتمد على ما تستورده منها أعظم الاعتماد . وهذا على سبيل التمثيل فقط

ولماذا هذا التهالك على تلك المصادر ؟ لا ريب في ان الجنرال فرانكو لا يستطيع ان يستغلّها الآن ولكن امتلاكها يمكنهُ من ان يعزز مقامهُ المالي من ناحية ويسهل لهُ سبيل الحصول على الاسلحة الحديثة التي يحتاج اليها في مواصلة القتال من ناحية أخرى

والعبرة التي يخرج بها الباحث من دراسة العامل الاقتصادي في الحربين وما جرتاه من مشكلات معقدة تقض مضاجع الساسة وتقلق نفوس الامم ، هي ان التعاون الاقتصادي العالمي على أساس من الانصاف — ان كان في النزاع الانساني سواءٌ أكان اقتصاديًّا أم عسكريًّا انصاف ما — وحسن النية لا بدّ منهُ لازالة عوامل الخلاف وبث روح الطمأنينة في نفوس الامم

القاهرة ٧ سبتمبر ١٩٣٧

٢ — من الباب المفتوح الى قانون الحياد

في الانباء التي نقلها الينا البرق من وشنطن أن طائفة من الجمعيات الاميركية الساعية في سبيل السلام تبذل ما في وسعها لحث الحكومة الاميركية على تطبيق قانون الحياد. وإن الرئيس روزفلت صرح في أثناء اجتماعه بالصحافيين ان الحكومة ترقب حالة الشرق الاقصى بعناية وتتبع تحولها يوماً فيوماً. وقد جاء من لندن ان سفر المستر بنجهام السفير الاميركي في لندن فجأة بعد ما اعد امتعته لأجازة يقضيها في اسكتلندا، يعزى الى رغبة الرئيس روزفلت ووزير خارجيته المستر هل في المباحثة معه في احوال الشرق الاقصى وموقف انكلترا منها. وورد من طوكيو ان الحكومة اليابانية معنية أشد العناية بسفر المستر بنجهام وما قد يسفر عنهُ من أمر الاتفاق بين وشنطن ولندن على اتباع خطة مشتركة في حوادث الشرق الاقصى

وهذه الانباء جميعها تدل على ان العناية باستشفاف موقف الولايات المتحدة الاميركية في حوادث الشرق الاقصى عظيمة جدًّا في العواصم الكبيرة التي لها مصالح كبيرة الشأن معلقة في ميزان القتال الدائر هناك. فما موقف وشنطن المحتمل وما هي القواعد التي تقيم الحكومة الاميركية عليها سياستها في شرق آسيا؟

ان قواعد السياسة الاميركية في الشرق الاقصى مطوية في أربع وثائق تاريخية هي أولاً سياسة الباب المفتوح التي اقترحها وزير خارجيتها جون هاي في خريف سنة ١٨٩٩ على اثر ما شاهدهُ من خطر التنازع على الامتيازات الاقتصادية التي تمنحها حكومة الصين لدول مختلفة. وقاعدة هذه السياسة واضحة من معنى الكلمتين اللتين اتخذتا شعاراً لها — الباب المفتوح — اي تساوي الدول في ما يتاح لها من الفرص الاقتصادية والمالية في تلك البلاد فلا تميز إحداها على الاخرى

وقد ظلت هذه السياسة معمولاً بها حتى سنة ١٩٢٢ مع أن اليابان حاولت في اثناء الحرب الكبرى اذ كانت الدول الاوربية واميركا مشغولة بالقتال ان تستأثر بمكانة ممتازة في تلك البقاع. ولكن لما اجتمع مؤتمر وشنطن البحري سنة ١٩٢٢ بدعوة من الرئيس هاردنغ عقدت فيه علاوة على المعاهدة البحرية الخاصة بنسبة البوارج في الاساطيل معاهدة الدول التسع فوقعتها اليابان وانكلترا واميركا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وايطاليا والبرتوغال والصين وقطعت الدول الموقعة عهداً باحترام استقلال الصين ووحدتها والامتناع عن السعي للفوز بامتياز خاص في نطاقها وقطعت الولايات المتحدة في هذه المعاهدة عهداً بألاَّ تهاجم اليابان وذلك لقاء عهد اليابان

باحترام استقلال الصين ووحدتها وقبول انكلترا واليابان الغاء محالفتهما المشهورة

أي أن سياسة الباب المفتوح أودعت طي معاهدة دولية رسمية من بعد ان ظلت نحو ربع قرن تصريحاً بمبدإٍ معين وافقت عليهِ الدول

فمعاهدة الدول التسع هي القاعدة الثانية التي تقوم عليها سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاقصى وقد كفت هذه المعاهدة مدى عشر سنوات تقريباً للمحافظة على السلام في تلك الربوع

ولكن في سنة ١٩٣١ هاجمت اليابان الصين وانتزعت منها منشوريا وأنشأت دولة منشوكو فلاذت الصين بجامعة الامم واستنجدت بموقعي معاهدة الدول التسع وبذلت الولايات المتحدة الاميركية سعياً عظيماً عن طريق وزير خارجيتها المستر ستمسن للاعتراض على هذا العدوان المخالف لمعاهدة دولية . فلما عينت جامعة الامم لجنة لتون لاجراء تحقيق في حوادث منشوريا ووضع تقرير بما اسفر عنهُ التحقيق جاءت النتائج غير ما ترضى عنهُ اليابان فخرجت من الجامعة. لكن الوزير ستمسن لم ينِ خلال ذلك عن السعي فأذاع تسعة احتجاجات مبيناً فيها انتهاك اليابان لمعاهدة الدول التسع وميثاق تحريم الحرب . وأخيراً اصدر في ٧ يناير سنة ١٩٣٢ خطة « عدم الاعتراف » فأخذت بها جامعة الامم وقاعدتها عدم الاعتراف باي تغيير سياسي جغرافي يتم بالاعتداء وما تزال دولة منشوكو غير معترف بها الى الآن

فخطة « عدم الاعتراف » هي القاعدة الثالثة التي تقوم عليها خطة أميركا في الشرق الاقصى

ثم في عهد الرئيس روزفلت وضع قانون الحياد وضعاً سريعاً ليعمل بهِ في النزاع الحبشي الايطالي فلما ظهر قصوره في الحرب الاهلية الاسبانية عدل تعديلاً كبيراً وغرضهُ ان يحول تطبيقه دون انجرار اميركا رغماً عنها الى خوض غمار حرب ناشبة وذلك بتحريم تصدير الاسلحة وطائفة معينة من مواد الحرب الى الفريقين المتنازعين تحريماً مطلقاً وبتحريم تصدير الباقي مما يبتاع في السوق الاميركية الاَّ بعدما يدفع ثمنهُ فوراً وينقل على سفن غير اميركية

فالمسألة الآن هي هذه : ان اليابان في عرف الاميركيين قد انتهكت سياسة الباب المفتوح فعلاً مع تصريحها باحترامها وانتهكت معاهدة الدول التسع فالقتال الدائر بينها وبين الصين حرب رسمية لا ينقصها الاَّ مجرد اعلانها — فهل يطبق الرئيس قانون الحياد اولا يطبقهُ ؟ من الواضح ان تطبيق قانون الحياد لهُ ما يعترض عليهِ من الناحيتين المادية والادبية . اما من الناحية المادية فما يبلى بهِ اصحاب الاموال المثمرة في الصين واصحاب المتاجر التي تتجر مع الصين واليابان من الخسائر . واما من الناحية الادبية فلأن تطبيقه يمنع عن الصين سلاحاً وعتاداً حربيًّا هي في أشد الحاجة اليهِ حالة ان اليابان مستغنية عنهُ بما تملكهُ من مصانع السلاح والذخيرة فكان هذا المنع موافقة ضمنية على الاعتداء . اما المطالبون بتطبيقهِ فيقولون ان الخسارة المادية كان

محسوباً حسابها عند وضع القانون وإن تحمل هذه الخسارة اهون من الانسياق بسببها الى الاشتراك في الحرب وإن الحصر البحري الياباني يمنع على كل حال كلّ ما يصدّر الى الصين

ومن هنا وقوف الحكومة الاميركية موقف المراقب اليقظ ان لم نقل موقف المتردد الحائر[١]

القاهرة ٨ سبتمبر

٣ — جامعة الامم وسلطان القانون

تعقد جامعة الامم دورتها الثامنة عشرة في جو دولي ملبد بالغيوم . ولكنك كيف قلبت النظر في هذه المشكلات الخطيرة التي تواجهها الامم اليوم ترى ان انتهاك حرمة القانون اهمها شأناً وأبعدها خطراً . ولا ريب في ان جامعة الامم التي انشئت لتعزيز سلطان القانون — على قول الرئيس ولسن — لا يسعها ان تتجاهل هذا الاتجاه لانه يصيبها في الصميم

خذ مثلاً على ذلك الحالة في الشرق الاقصى . ليس في التاريخ الحديث « حالة » عقد لضمانها من المواثيق والمعاهدات ما عقد لضمان الحالة في الصين . فسياسة الباب المفتوح ومعاهدة الدول التسع وميثاق تحريم الحرب كل اولئك عهود دولية قطعت ودونت في وثائق رسمية وهدفها الاحتفاظ باستقلال الصين ووحدتها والحيلولة دون تمييز دولة على اخرى فيها . والنتيجة ان اليابان تجاهلتها جميعاً فاقتطعت منشوريا وجيهول سنة ١٩٣١ و١٩٣٣ وها هي الآن في غمار حرب غرضها الاول انتزاع شمال الصين ولا يعلم احد الى اين ينتهي

ومع ذلك كله لم تعلن حرب حتى يعرف للقتال قواعد يجري بمقتضاها وذلك لان الصين لم « تفهم مقاصد اليابان فيجب ان تفهمها » او « ان تؤدَّب حتى تجثو على ركبها »

او خذ الاعتداء على سفير انكلترا في الصين . ليس ثمة من يقول بأن اليابان قصدت الى الاعتداء عليه ولكن الاقوال اليابانية الاولى في هذا الصدد كان مؤداها ان الطيارين اليابانيين ظنوا ان المارشال شان كاي شك في السيارة وان العلم البريطاني كان صغيراً لم يرَ وان القيادة اليابانية لم تتنبأ بانتقال السفير البريطاني على تلك الطريق

منتهى الاستهتار بالعرف والقانون !

لان حادثة الاعتداء وقعت بعيداً عن منطقة الاعمال الحربية وعلى طريق صيني لا قوات عسكرية عليه ولا في جواره ولممثل دولة محايدة وهذا في حالة لا تزال من الوجهة القانونية حالة سلم

---

(١) بعد انقضاء شهر على كتابة هذا الفصل ألقى الرئيس روزفلت خطبته المشهورة منددًا بانتهاك القوانين الدولية والمعاهدات ووجوب مكافحة « وباء الاستهتار بالقانون » فمهد ذلك لعقد مؤتمر بروكسل في ٣٠ اكتوبر الحالي

لان حرباً لم تشهر . حتى ولو شهرت الحرب لـكان لغير المحاربين من الناس حقوق يعترف بها القانون وترعاها الدول المتحاربة وفي مقدمتها صيانة الارواح وحمـاية الاملاك في حدود معينة

او انتقل من الشرق الاقصى الى البحر المتوسط وقف قليلاً عند حوادث الاعتداء على السفن التجارية والحربية .فهي انتهاك لحقوق الملاحة والقانون الدولي والمعاهدات القائمة . فبعد سعي دام ستة عشر عاماً قبلت الدول البحرية المادة ٢٢ من معاهدة لندن البحرية وغرضها مستمد مما عانتهُ الدول أثناء الحرب الـكبرى من أهوال الغواصات وهو انهُ لا يجوز لغواصة ما في أثناء الحرب ان تغرق سفينة تجارية او تعطلها عن السير الا بعد انذارها وتأمين سلامة ركابها وملاحيها ومستنداتها . واذا كان ذلك متفقاً على مراعاتهِ في الحرب فأحرى بهِ ان يراعى أبان السلام ولا سيما مع سفن دول محايدة تقوم بأعمال التجارة المشروعة

هذا الاستهتار بالقوانين الدولية والآداب الدولية ، ظاهرة خطيرة يتصف بها هذا العصر كما اتصفت بها بعض عصور الانحطاط الماضية،وهي منبع طائفة من المشكلات التي تعانيها الامم ومن العبث ان تعالج بعض هذه المشكلات على حدة اذا لم يصد مد هذا التيار. فكيان الدولة الواحدة لاقوام له الاَّ بهيبة القانون واحترامه احتراماً ناشئاً عن الاقتناع بانهُ لازم لمصلحة الفرد والجماعة اكثر من نشوئه عن خوف العقاب

كان الظن ان جامعة الامم أنشئت لتكون اداة لذلك . فاذا نظرت في دستورها وجدتها من الناحية النظرية وافية بالمرام . ولـكن تألبت عليها عوامل متباينة نزعت عنها صفتها العالمية فأبت اميركا الانتظام فيها وخرجت منها اليابان والمانيا وجافتها ايطاليا فأصبحت وكأنها حزب من الدول ازاء حزب آخر. حالة ان مهمتها ان تكون فوق الاحزاب.ونزعت عنها صفة الانصاف وسجية النظر الواقعي في الامور فحال ذلك دون تطبيقها المادة التاسعة عشر من دستورها مثلاً وهي القاضية بالتغير السلمي فنشأت هوة بين المعاهدات كما وضعت الحرب الكبرى من ناحية واحوال الدول التي فرضت عليها من ناحية اخرى فاندفعت هذه الدول وغيرها مستهينة بالقانون في سبيل ما تراه حقاً لها او حاجة ملحة لا غنى لها عنها

وهذا سر اخفاق الجامعة في بعض ما تصدت له فضعفت باخفاقهـا هيبة القانون الدولي لانهـا كانت رمزاً له وعنواناً عليه . ولـكن بدلاً من ان يؤخذ هذا عذراً لاهمالهـا يجب ان يكون باعثاً على تجديدها واصلاحها وتعزيز مكانتها الادبية لانه اذا انهارت حرمة القانون الدولي ارتد العـالم الى الفوضى . وجامعة الامم على ما يلوح هي الاداة الدولية الوحيدة الآن التي قد تصلح لمنع ذلك

القاهرة ١٣ سبتمبر

٤ — اقبال وهمي او خطر الانتعاش بالتسلح

يتحدث العائدون من اوربا بلهجة المعجب المتحمس عن دلائل الاقبال الاقتصادي والنشاط الصناعي في مختلف البلدان حيث قل العمال المتعطلون عن العمل قلة بادية ووسعت المصانع لكي تتمكن من تلبية الطلبات المنهالة عليها علاوة على اشتغالها ليل نهار وانهُ لولا القلق السياسي المستحوذ على النفوس لكانت اوربا على خير ما تتمنى

ولكننا نقرأ ونحن نصغي لهذه الاحاديث ان الحكومة البريطانية رأت تأليف لجنة لكي تراقب التوسع الصناعي بحيث لا يكون توسعاً شاذاً غير اقتصادي اي حتى لا يكون عبئاً اقتصادياً على اصحابه وعلى البلاد عندما تتم الحكومة البريطانية برنامج الدفاع الذي خصصت له ١٥٠٠ مليون جنيه

هنا المحك . ان مظاهر الاقبال التي يتحدث بها العائدون من اوربا ترتد الى عشرات الملايين من الجنيهات التي تنفق على التسلح كل شهر . وانت لا تستطيع ان تصنع مدفعاً رشاشاً ولا طائرة ولا قنبلة يد بمجرد الرغبة فيها او التوق اليها او وضع قرار بوجوبها . بل عليك ان تنشيء مصنعاً وتستأجر عمالاً وتشتري حديداً ونحاساً وفحماً . ولا تلبث حتى تشرع في مكافأة العمال بالاجور . والعمال يذهبون باجورهم الى الجزار فيبتاعون لحماً والى البقال فيبتاعون شاياً وسكراً والى اللبان فيبتاعون لبناً وزبدة والى المخزن العام فيشترون ملابس واحذية لهم ولزوجاتهم واولادهم

فاذا شرعت في صنع السلاح لامة كبيرة وارصدت له من المال مئات الملايين من الجنيهات فلا تلبث ان ترى المصانع وقد اخذت في الاتساع والدخان متصاعداً من مداخنها ولا تلبث حتى ترى المال الذي تنفقهُ في شراء الحديد والفحم والنحاس وغيرها والذي تدفعهُ اجوراً للعمال قد اخذ يسري في شرايين الحياة الاقتصادية . فترى النشاط وترى مظاهر الاقبال والانتعاش ، ويعود صاحبك من انكلترا فيقول « اقبال عجيب » او من ايطاليا فيقول « ان ايطاليا قد نهضت في عهد موسوليني نهضة صناعية عجيبة فليس فيها عمال معطلون عن العمل » او من اليابان فيقول « ان اليابان تتقدم امم العالم في خروجها من وهدة الازمة المالية » او من المانيا فيقول « لقد محا هتلر آية التعطل عن العمل بعد ان بلغ المتعطلون قبيل عهده خمسة ملايين او ستة »

الى هنا وتنتهي المرحلة الاولى

ولكن هذا الاقبال قائم على نشاط من نوع خاص ولغرض خاص غير مثمر في عرف الاقتصاديين وهو التسلح . فتعم آثاره جميع الصناعات لوفرة الربح منهُ فيحفز أصحابها الى توسيع نطاقها ثم لا يلبث هذا الاقبال حتى يطغى على الاعمال الصناعية التي لا بدَّ منها لاكفاء

حاجات الشعب في أثناء السلم فتهمل رويداً رويداً لان همة الامة بأسرها موجهة الى صنع السلاح ومحصورة فيهِ . فاذا كان الحديد لا يكفي لصنع المدافع والمحاريث ولعب الاطفال معاً فلتهمل صناعة المحاريث واللعب الآن لان هناك ما هو أهم منها. واذا كان التنغستن لا يكفي لاستعماله في صنع أسلاك المصابيح الكهربائية والصلب الخاص الصالح للمدافع فلتصنع أسلاك المصابيح من مادة أخرى . ولو كانت أضعف نوراً وأقصر عمراً . واذا كانت الامة لا تملك اعتمادات مالية في الخارج وافية لشراء النحاس والحديد والفحم وكذلك الحنطة والزبدة فلتنفق الاموال على شراء المواد الاولى وليحزم الناس سيورهم على معدهم مكتفين بمقادير منها أقل من المقادير التي ألفوها

ذلك ان الحديد والنحاس والفحم علاوة على الحاجة اليها في صناعة التسلح أصبحت مواد لا يستغنى عنها لان صناعة التسلح أصبحت أساساً طبيعيًّا للحياة الاقتصادية. فاذا فتر نشاطها ونقص انتاجها ووقفت بعض وحداتها عن العمل أصيبت البلاد بقلق اجتماعي لان ذلك يفضي الى تعطل العمال عن العمل والى نقص المال الساري في عروق الحياة التجارية والى أزمة كالازمة التي ما كدنا نخرج منها . وكذلك نرى مفارقة من أغرب مفارقات الحياة وهي ان أمماً متمتعة بالسلام طامحة الى الطمأنينة أصبحت مرغمة على الاعتماد على الاستعداد للحرب في سبيل الاحتفاظ بحياتها الاقتصادية السوية واجتناب شرور الازمة

وغني عن البيان ان هنا مالاً كان يجب ان ينفق في اعمال التوسع الطبيعي والتثمير المنتج ، ولكنهُ ينفق في توسيع مصانع السلاح وهي على الغالب مصانع متخصصة لا يسهل تحويل آلاتها وعمالها الى اعمال أخرى صناعية الاَّ ببطء وبخسارة كبيرة . فاذا حدث ما جعل خفض انتاج السلاح فرضاً واجباً ظهر لاصحاب هذه المصالح والاموال ان تيارات التجارة العالمية قد مرَّت بهم وتحولت الى غيرهم

والنتيجة واحدة أزمة وتعطل عن العمل واضطراب اجتماعي

هذه هي المأساة التي تجد أمم العالم تعانيها . فقد شرعت حكوماتها في التسلح لكي تضمن وسائل الدفاع عن النفس واندفعت فيهِ ولكنها في توجيهها كل جهدها الى هذا الغرض جعلت استمرار الصناعة الحربية لازماً لوقاية شعوبها من الانهيار الاقتصادي . فهي لا تستطيع ان تمضي أبد الدهر تصنع سلاحاً تكدسهُ او تحله محل السلاح القديم المطروح، ولا هي تستطيع الآن ان توقف صنع السلاح بعد ان أسبغ سمات الاقبال والرخاء على الشعب لئلاَّ يفضي الى أزمة ما صدقت انها بدأت تخرج منها . ولعلها في آخر الامر تندفع بفعل هذا المأزق العاصي الى الارتماء في أحضان الحرب ثم في احضان أزمة يرى لها أول ولا يتصور لها آخر

القاهرة الاثنين ٢٠ سبتمبر

٥ — تسلح بريطانيا والسلام

الاستاذ غوليلمو فريرو مؤرخ ايطالي من فريق الاحرار . لذلك لم يطق المقام في ايطاليا الفاشستية او هي لم تطقهُ فرحل عنها . وقد جرى على انشاء مقالات في الشؤون الدولية ينظر اليها بعين المؤرخ وينشرها في صحف انكلترا وفرنسا واميركا احياناً . وآخر مقال لهُ صدر في مجلة السبكتاتور الانكليزية عالج فيه موضوع التسلح البريطاني وتأثيره في مشكلات السياسة العالمية ونحن ناقلون في ما يلي خلاصة هذا الرأي

قال ان برنامج الدفاع البريطاني ينظر اليه في دوائر مختلفة على انه ضمان من ضمانات السلام وانه يوم يتم وتصبح بريطانيا عزيزة الجانب وترى الدول التي تساورها رغبة في الحرب مبلغ القوة البريطانية، تقلع تلك الدول عن هذه الرغبة اقلاع اضطرار ان لم يكن اقلاع اختيار. وقد يكون هذا الرأي صواباً وانما يمكن ان يقال في الوقت نفسه ان برنامج التسلح البريطاني لم يؤثر حتى الآن تأثيراً رادعاً عن الحرب بل تأثيراً حافزاً لها . فهو احد اسباب الحرب الاسبانية الدائرة رحاها من اكثر من سنة وأحد البواعث على الحرب اليابانية الصينية الناشئة من عهد قريب

لماذا اندفعت ايطاليا في النزاع الاسباني ؟ لانهُ انقضى عليها سنة وهي يساورها القلق من تسلح بريطانيا . والحكومة الايطالية ترغب من وراء هذا التأييد للجنرال فرانكو في تعزيز موقفها في غرب البحر المتوسط لتكون مستعدة في حالة نشوب حرب مع بريطانيا متأهبة لها . ولا ريب في انها ظنت ان المشكلة الاسبانية اسهل جدًّا مما هي . وان فوز فرانكو لا يقتضي كل هذا البذل ولا يستغرق كل هذا الوقت ولما يحقق . ثم اصبح من المتعذر عليها ان تنسحب بغير ان تعرض هيبتها للسقوط . وهي الآن مترددة يتنازعها الخوف من بريطانيا والامل في ان لا ترى بريطانيا المشكلة الاسبانية باعثاً كافياً على اتخاذ خطوة حاسمة

ومشكلة اليابان شبيهة بما تقدم . فقد اكد لي قطب كبير في آخر سنة ١٩٣٦ وهو ذو صلة وثيقة بالشرق الاقصى ان حرباً جديدة ستنشب بين الصين واليابان قال : ولا بد ان تغتنم اليابان هذه الفرصة لانفاذ خطتها . انها مقتنعة بان بريطانيا وهي غير متأهبة ستمتنع عن التدخل ولكن اذا مرت سنتان او ثلاث سنوات فقد تلقى منها معارضة او مقاومة فعَّالة

وماذا يعني كل هذا ؟ انهُ يعني ان التسلح سيف ذو حدين . قد تستعمل الاسلحة لضمان

السلام . ولكنها قد تثير الحرب كذلك . فلكي تكون ضماناً للسلام يجب ان تحسن الحكومات المسالمة استعمالها وهو فن صعب . والظاهر ان العالم الغربي اخذ يفقد اصوله . اما ان تقوم حكومة كالحكومة البريطانية وتعلن لاربع انحاء المعمورة انها ستلزم الحذر الآن لانها غير متأهبة ولكن متى تم تأهبها بعد سنتين فعندئذٍ ستظهر للعالم ما تستطيعه ، فكأنهُ نداء الى الدول التي تساورها نزعات الاعتداء ان اسرعي واغتنمي الفرصة السانحة قبل ان يتم برنامج التسلح البريطاني . وهذا هو عين ما فعلتهُ ايطاليا واليابان . ولا استغرب ان تقتفي اثرهما دول اخرى . ولا ريب في ان « سنتين » مدة طويلة ولا يبعد ان تشعر بريطانيا في آخرها انها لم تستكمل أهبتها بعد . ومما شجع اليابان على مغامرتها قانون الحياد الاميركي القائم على رغبة اميركا في ان لا تتدخل ولا ان تجر الى خوض اي نزاع خارجي فكأنهُ اغراء للدول الكبيرة والقوية بالصغيرة والضعيفة

وعند الاستاذ فريرو ان العالم تمتع بفترة طويلة من السلام في القرن التاسع عشر لان كل دولة حاولت ان تسيء استعمال سلاحها كانت تجد في وجهها كتلة من الدول المتحالفة عليها فكان ذلك « سلامة مشتركة » حقيقية نظمتها الدول من دون ان تدعوها بذلك الاسم الطنان وقد نجح تطبيقها مدة قرن من الزمان . ولكن بعد الحرب الكبرى رأت الدول ان تنظم هذه السلامة المشتركة تنظيماً علنيًّا رسميًّا قانونيًّا فأنشأت جامعة الأمم على ساحل بحيرة جنيف وجهزتها بسكرتارية وألقت على كاهلها ، فرض حكم القانون على العالم . ولكن كلما اعتدت دولة قوية على دولة ضعيفة امتنعت الجامعة عن تطبيق قواعد « السلامة المشتركة » الجديدة فتركت الصين وشأنها في ١٩٣١ — ١٩٣٢ وكذلك الحبشة واسبانيا والصين مرة أخرى . فخوف المحالفات الذي ضمن السلام قرناً من الزمان اصبح شبحاً مرعباً في جنيف وليس ثمة ما يقوم مقامه

***

والواقع ان اسياد العالم الغربي اطلقوا العنف من عقاله في اثناء الحرب الكبرى ثم عجزوا عن تقييده ثانية . فالعالم على وشك ان يجتاز فترة مضطربة كالفترة التي انقضت بين ١٧٩٧ و ١٨١٤ فتتوالى الحروب بينها هدن قصيرة ليس فيها شيء من الاستقرار وجميعها ترتد الى خوف شامل . فلولا الحبشة لما كانت الحرب الاهلية في اسبانيا ولما كانت الحرب الجديدة في الصين . هو ذا السلسلة وحلقاتها آخذ بعضها برقاب بعض

والعلاج الذي يقترحهُ الاستاذ فريرو هو الاقلال من التحدث بالسلامة المشتركة والاقبال على ممارستها وهذا يقتضي حتماً تعرضاً للمخاطر ولكن لما كان السلام أثمن ما يقنى فلا بد في سبيله من المغامرة

القاهرة ٢٨ سبتمبر ١٩٣٧

٦ — حروب المبدأ

ختم السنيور موسوليني الخطبة التي القاها في برلين يوم الثلاثاء ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٣٧ بقوله ان اوربا ستكون كلها فاشستية في الغد . وهو تصريح على جانب عظيم من الخطورة ولا سيما اذا قرن باقوال سابقة للزعيم الايطالي وبافعال فرق المتطوعين الايطاليين في الحرب الاهلية الاسبانية

نعم ان السنيور موسوليني لم يقل ان الفاشستية ستفرض على أوربا بقوة السلاح بل انهُ احتاط لذلك بقولهِ ان منطق الحوادث سيجعل أوربا فاشستية وهو على الغالب يريد ان ما أدركتهُ ايطاليا الفاشستية والمانيا الوطنية الاشتراكية من تجديد وبعث في نواحي حياتهما القومية وانبثاث روح الوحدة والقوة في جميع طبقاتهما بالقياس الى مايشاهد من التفرق والانقسام والتخاذل في بعض البلدان الاخرى، سيجعل المبدأ الفاشستي مبدأً جديراً بالاعتناق

ولكن ماحدث في اسبانيا قد يحدث في غيرها كتشكوسلوفاكيا . وعندئذٍ لا يستبعد ان تتطوع فصائل الفاشستيين في أي بلاد يقع فيها النضال صدًّا للشيوعية ! وهذا كلهُ يثير موضوع « حرب المبادىء » ويجعلهُ موضوعاً حيويًّا يجدر بنا ان نقف عنده قليلاً

لاريب في ان بعض الشعوب ترى ان بعض المبادىء لها مقام سام في نفوسها حتى لتجدها مستعدة ان تحارب في سبيلها مهما يكن الخراب الناشيء عن الحرب . نعم ان كثيراً من الحروب شبت نيرانها طمعاً في أرض او سلطان ولكن بعضها شن في سبل أخرى . فقد يحارب الانسان في سبيل الدين أو الاستقلال أو الشيوعية او الفاشستية أو الديمقراطية . والحروب الاهلية هي على الغالب حروب مبدأ . ففي القرن السادس عشر الى منتصف القرن السابع عشر بليت أوربا بسلسلة من الحروب كان المذهب الديني مدارها . فالخلاف بين المذهبين البروتستانتي والكاثوليكي بلغ درجة من القوة ، واشتدّ تمسك كل فريق بعقيدتهِ ومذهبهِ حتى تنكر كل منهما للمقاومة السلبية واستساغ الحرب والقتال

وبعد سقوط نبوليون في مستهل القرن التاسع عشر نشأت حروب تدور حول خلاف على مبدإٍ آخر . بل ان هذه الحروب نفسها كانت نضالاً بين مبدإٍ قديم ومبدإٍ جديد . اما القديم فكان مبدأ شرعية الملك وان ملوك البلدان مُلاَّكها وان جميع الحكومات يجب ان تشترك في مقاومة الثائرين على هذا المبدأ . أما الجديد فكان مبدأ القومية وان الامم يجب ان تختار شكل الحكومات الذي ترتضيه وان حدود الدول يجب ان تتطابق مع حدود الطبيعية وقد اخذ بسمارك في المانيا وكافور في ايطاليا بهذا المبدأ او الجزء الاخير منهُ ثم عممهُ الرئيس ولسن واذاعهُ في عبارتهِ المشهورة عبارة تقرير المصير

وليس الغرض من هذا الفصل البحث في حسنات هذا المبدأ ومساويه . ولا في احتمال نجاحه أو ما يقوم من العقبات دون ذلك النجاح . ولكن المشاهد ان هذا الخلاف بين المبدأين كان الباعث على حروب كثيرة في القرن التاسع عشر

ثم طلع كارل ماركس على العالم بنوع جديد من حروب المبدأ ونعني حرب الطبقات .فبدلاً من ان يستحرَّ القتال بين طوائف من الناس لكل منها مذهب ديني غير مذهب الاخرى ، او بين دول بعضها يرعى مبدأ الملك الشرعي المنزل وبعضها يأخذ بسيادة الشعب، قال ماركس بالحرب بين العمال وأصحاب الاموال. وبدكتاتورية العمال الى ان تستتبَّ الجمعية الاشتراكية المثلى . وقد ظل مذهبه هذا طي الكتب ، إذا إستثنينا فترة قصيرة استولى فيها الكوميون على باريس بعد الحرب السبعينية ، ولكن عندما وقع الانقلاب الروسي سنة ١٩١٧ خرجت حرب الطبقات من ثنايا الكتب الى ميدان العالم واصبحت الثورة العالمية ودكتاتورية العمال مبادىء تثير من الحماسة في صدور الآخذين بها والمقاوميها، حتى ليعزى كثير من قلق العالم وغير قليل من حروبه في العهد الاخير الى الخلاف على هذا المبدأ

***

ثم هناك النظام الفاشستي والفلسفة الاقتصادية الاجتماعية التي يقوم عليها . واصول هذا النظام لا تختلف كثيراً عن اصول النظام الشيوعي الاَّ في مصدر السلطة المسيطرة . وقد قيل في عهد الفاشستية الاول على لسان مبتدعها انها ليست للتصدير . ولكن الحال تغيرت الآن واصبحت في بعض الاحوال تؤيد في البلدان الخارجية بقوة متطوعيها . ومما يزيد الامر تعقيداً ان المصالح القومية في إيطاليا والمانيا اصبحت مرتبطة بالنظام الفاشستي الوطني الاشتراكي، حالة ان المصالح القومية في انكلترا وفرنسا مثلاً مرتبطة بمقاومة المانيا وايطاليا واذن فهي مرتبطة بمباديء الاحزاب الدمقراطية . ولا سيما ماكان منها يميل الى اليسار . وكذلك أصبح الدفاع عن المصالح القومية أو السعي الى تحقيقها في الفريقين مختلطاً بمقاومة الدمقراطية اومقاومة الفاشستية حتى لتجد الاشتراكيين مثلاً وهم قوم يرغبون عن الحرب عادةً ، وقد أصبحوا غلاة في الوطنية وفي الاستعداد للحرب لانهم يعتقدون ان ذلك يمكنهم من مكافحة مبدإٍ لا يستسيغونه ، وحتى كتب مؤرخ أميركي يرأس تحرير اعظم مجلة ربعية دولية (الشؤون الخارجية) رسالة جعل عنوانها « إما نحن وإما هم »

وغني عن البيان ان هذه حالة تنطوي على خطر عظيم على الرغم من التغني بالسلام والرغبة فيه والتعاون عليه

القاهرة ٣٠ سبتمبر ١٩٣٧

٧ — الطيران الحربي يتحدى الحضارة

تتوالى الانباء من الشرق الاقصى ناقلة في ثناياها اخبار الويلات والاهوال التي تحدثها جحافل اليابان الجوية في ضربها لمدن الصين الكبيرة كنكين وكانتون وغيرها ، وتتوالى البرقيات من جنيف وعواصم الدول معربة عما يشعر به رجال السياسة من الامتعاض والاستنكار لقتل السكان الآمنين فيها وهو مخالف للقانون علاوة على خلوه من آثار الشعور الانساني

فهل قولهم « ضمير الانسانية » اصبح قولاً أجوف ؟

لقد أجمع خبراء الطيران الحربي على ان الحرب في الجو ستجعل هدفها العقد العصبية في حياة الامة ، حيث تتركز المصانع وحيث تلتقي خطوط المواصلات وحيث يوزع الضوء والماء ، وحيث يزدحم السكان . فتدمير المصانع والمواصلات ومحطات الكهربائية وخزانات الماء وتقتيل الناس يشل مقاومة الامة فيسعى الشعب الى حمل حكومته على طلب الصلح

وقد تصور بعضهم ان الاساطيل الجوية في الحروب المقبلة ، ستكتفي بمقابلة اساطيل العدو في الجو فتدور المعارك الهائلة التي تخيلها الشاعر الانكليزي تنيسون ووصفها من نحو سبعين سنة في قصيدته المشهورة « لوكسلي هول » . وقال غيرهم ان مهمة الطائرات قد تقتصر على البحث عن مطارات العدو وتدميرها قبل قيام طائراتها منها . ولكن اذا كان الغرض من الحرب شل حركة العدو وكسر شوكة مقاومته فهذا الغرض لا يتحقق الاَّ بتدمير حياة الامة الصناعية او بتدمير قواعدها الرئيسية وبث الذعر والقلق في نفوس السكان الآمنين والاَّ فما زالت المصانع سليمة وما زالت شوكة الشعب قوية فالمقاومة مستمرة الى ما شاءَ الله

ومن الطبيعي ان تكون العقد الصناعية والمدن الكبيرة اهدافاً يسهل الوصول اليها اكثر مما يسهل الوصول الى المطارات ولذلك اجمع الخبراء الحربيون ولاسيما خبراء الطيران الحربي على ان مهمة الاساطيل الجوية في الحرب القادمة لن تكون تدمير بعضها بعضاً بل تدمير المدن المزدحمة بالسكان والمناطق الحافلة بالمصانع اي ان الغرض الاول الذي يتجه اليه المحارب انما هو الضغط على شعب العدو لحمله على اقناع حكومته بوجوب التسليم وعقد الصلح

وقد ادرك رجال السياسة هذه المخاطر فحاولوا ان يحولوا دون وقوعها باتفاقات دولية عقدوها ووقعوها . فقد عينت لجنة من أقطاب القانون في لاهاي بتوصية من مؤتمر وشنطن البحري (١٩٢٢) فنظرت في موضوع الحرب الجوية فقالت ان اطلاق القنابل من الجو لا يكون شرعيًّا الاَّ اذا كان مسدَّداً الى اهداف عسكرية

ومن بضع سنوات ألقى الارل بلدوين وكان رئيس وزراء انكلترا ، خطبة عرض فيها لهذه المخاطر وصوَّرها بصورة تقشعر لها الابدان . فوجِّه اليها نقد شديد وزعم ناقدوه ان انتهاك الوعود المغلظة بالامتناع عن ضرب المدن المكشوفة يضمن خذلان المنتهك . وقد عرض الهر هتلر في مشروعهِ الذي أذاعه بعيد احتلال منطقة الرين في سنة ١٩٣٦ اقتراحاً بمنع اطلاق القنابل من الجو على المواقع المكشوفة ومما يؤسف له ان حوادث السياسة حالت دون النظر في هذا المشروع جملة وتفصيلاً حتى الآن

ومع ما في القوانين من حائل دون ضرب المدن المكشوفة من الجو ، ومع تأكيد الحكومة اليابانية للحكومة البريطانية في ردها على المذكرة الخاصة بجرح السفير البريطاني في الصين بأنها سترسل التعليمات لقواتها لتبذل ما في وسعها لاجتناب تعريض السكان غير المحاربين للخطر ، ومع ما في ضمير الانسانية من استنكار لمثل هذه الاعمال ، لا تزال الجحافل الجوية توالي هجماتها وتقذف بالجحيم من الجو

نعم ان مدينة تنكين فيها بعض أهداف حربية وهو ما تعتذر بهِ اليابان . ولكن الواقع انها مزدحمة الآن كذلك بمئات الالوف من السكان غير المحاربين وان ألوفاً من الناس قتلوا من جراء الحملات الجوية . اما كانتون فليس فيها أهداف حربية وليس لها من ذنب الاَّ انها مدينة كبيرة مزدحمة وضربها يلقي الذعر في السكان ويساعد على تحطيم مشيئة المقاومة

ان المخترعات الحديثة سلاح ذو حدين . فاذا أحسنتَ استعمال المفرقعات شققت بها الترع والانفاق وفتحت المناجم واذا أسأت استعمالها دمرت بها المدن وما فيها من مساكن ومعاهد ومتاحف . والطائرات اذا احسنت استعمالها قربت بها بين البلدان نقلاً للركاب والبريد وبعض البضائع الغالية النفيسة واذا أسأت استعمالها قتلت بقنابلها الابرياء ودمرت صروح العمران

فالحرب الجوية تحدٍّ يوجهه النازعون الى الاعتداء ، الى الحضارة ، الى الانسانية !

ان مصير جرنيكا بأسبانيا وتنكين وكانتون بالصين قد يكون قبل عهد طويل مصير أية مدينة من هذه المدن الزاهرة التي يحج اليها طلبة العلم والفن والراحة والتسلية والعمل . فكيف تواجه الحضارة هذا التحدي وما ينطوي عليهِ من خطر ؟

الجواب سهل حبراً على ورق وهو صون القوانين العهود الدولية بردع من يعتدي عليها ولكن . . . !

القاهرة ١١ كتوبر ١٩٣٧

٨ — جامعة الامم ونشوء السلام

انقضت امس ثلاثة أسابيع منذ بدأت جامعة الامم دورتها الحالية ، قرأنا في خلالها خطباً كثيرة تليت فيها ولكننا لم تر عملاً حاسماً في مشكلة من المشكلات الكبيرة التي عرضت عليها فلا هي فصلت في مسألة الحبشة وايطاليا ، ولا تناولت مشكلتي اسبانيا والشرق الاقصى وفقاً للقواعد المنطوية في دستورها

وليس ثمة من يستغرب عجزها. فالعالم على ما يظهر لم يبلغ بعد دوراً من النشوء الاجتماعي تقبل فيه الدول ان تخضع لسلطة عليا خضوع الافراد في دولة ما للحكومة ممثلة في المحاكم والبوليس

والواقع ان نشوء السلام في الجماعة الواحدة اجتاز منذ فجر التاريخ اربع مراحل كانت أولاها في عهد الهمجية البدائية عندما كان المرء يهاجم ويقتل من دون ما يردعهُ رادع فكانت الحرب مزمنة في ذلك العهد . ثم عند ما تألفت الجماعة في المرحلة الثانية خطت الانسانية خطوة كبيرة نحو السلام . فقد ادركت الجماعة ان سرها منطوٍ في معنى التعاون وانها لم تجتمع الاَّ لكي تعاون في سبيل تحقيق غرض خاص كالزراعة أو الدفاع . واذن فالنزاع الشخصي يجب ان يُحَدَّ من أمره ، وان يزول اذا امكن ، لكي تتمكن تلك الجماعة من الحياة . ولكن الجماعة ظلت مدة طويلة اضعف من ان تستطيع تغليب السلام على النزاع كل التغليب

وفي المرحلة الثالثة انشأت الجماعة ضرباً من العقاب ليحل محل الانتقام الخاص . وفي كثير من القوانين البدائية كان يحق للمحاكَم (بالفتح) ان يختار بين قبول العقاب والانتقام لنفسهِ فكأن الناس في تلك المرحلة سلموا بنظام من التحكيم الاختياري . ثم عقب ذلك المرحلة الرابعة وفيها قضت الحكومة على الحروب الخاصة بين الافراد (حتى المبارزة منعت في أكثر البلدان) واصبحت السيادة العليا للحكومة ممثلة في محاكمها وبوليسها وجيشها . وهذا لا يمنع ان يقوم مجرمون وسفاحون ولكن الحكومة تفوز بهم على الغالب مهما تستفحل شرورهم وتعاقبهم العقاب الواجب

وإذا كانت الامم تتبع هذه المراحل في سيرها نحو السلام العالمي فأينا منها ؟

كنا قبيل الحرب الكبرى قد بلغنا المرحلة الثالثة عندما كان التحكيم ذا شأن غير يسير في النزاعات الدولية فسوّيت عشرات من القضايا الدولية بالتحكيم الخاص او بالتحكيم عن طريق محكمة الهاي الدولية وكان كل منها كافياً لنشوب حرب بين الفريقين المتنازعين

ثم نشبت الحرب فقيل انها حرب للقضاء على الحرب وفي ختامها انشئت جامعة الامم لتكون بمنزلة الحكومة في الدولة تضمن العدل وتصون السلام وقد انقضت ثماني عشرة سنة على

انشائها ، أسدت الجامعة في خلالها خدمات متعددة للعلاقات الدولية ولكنها اخفقت اشد اخفاق في الازمات الكبيرة التي واجهتها والتي تعين عليها ان تعالجها . فقد اخفقت في انقاذ الصين من اعتداء اليابان سنة ١٩٣٢ . والآن في انقاذ الحبشة من الغزو الايطالي سنة ١٩٣٥ وفي ردع المانيا عن احتلال مقاطعة الرين واعادة تسليحها وتحصينها . فأثبتت بذلك انها عاجزة عن تحقيق الغرضين الاساسيين اللذين انشئت لها وهما ضمان العدل وصون السلام والنتيجة ان دول العالم عادت الى التنافس في التسلح والى الاستعداد للحرب

ولماذا اخفقت الجامعة ؟ اولاً لان اميركا لم تنتظم فيها ولان اليابان والمانيا خرجتا منها، ولان ايطاليا مع بقائها عضواً فيها تحدتها وقاطعتها . فالباقي ليس جامعة بل مجموعة من الدول، كأنها المحالفة الفرنسية الروسية القديمة مؤيدة بالاتفاق الفرنسوي البريطاني وحواليهما بعض الدول الصغيرة . وثانياً لان خطتها كانت تقرر على الغالب بأصوات الدول الصغيرة وهي لاتستطيع ان تنهض بتبعة تنفيذ هذه الخطط . وثالثاً لان دولها الكبيرة لم تكن متأهبة للنهوض بالعهود التي قطعتها عند توقيع دستورها . فانكلترا لم تكن مستعدة لخوض غمار حرب بحرية مع اليابان سنة ١٩٣٢ — ولا هي الآن — وفرنسا عرقلت تطبيق العقوبات على ايطاليا في النزاع الحبشي. والنتيجة ان اصبحت السلامة المشتركة اسماً بلا مسمى فكأن العالم رجع القهقرى من المرحلة الثالثة في نشوء السلام الى ما قبلها . فالحالة تكاد تكون فوضى فلا يقام وزن كبير لعهد دولي ولا لمعاهدة ولا لقانون

والقائمون باصلاح الجامعة فريقان بوجه عام — ففريق يقول بتحويلها الى جمعية استشارية وهذا يترك ماينشأ من المشكلات الدولية حيث هو وليس من سبيل الى ضمان العدل الدولي اوصون السلام . وفريق يقول بتشديد مادة العقوبات بحيث تلزم الاعضاء على الاشتراك في ردع اي معتدٍ وهذه خطة لا يمكن تنفيذها ما دامت اميركا واليابان والمانيا وايطاليا خارجها

ومن رأي الاستاذ هيرنشو في مجلة الكونتمبرري الانكليزية ان المخرج الوحيد الآن هو ان تترك الجامعة تلمس السبيل الى تعزيز سلطتها واستعادة هيبتها والقيام بأعمالها العادية وفي الوقت نفسه يبذل السعي لردم الهوة الفاصلة بين الدول الكبرى فتتعاون بمالها من القوة والهيبة على فرض حكم القانون وصون السلام وهذا شبيه بما رمى اليه السنيور موسوليني من سنوات عندما اقترح انشاء عهدة الدول الاربع على ان يكون قوامها انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا . وعند الاستاذ هيرنشو ان انكلترا يجب ان تتولى هذا السعي للتوفيق بين محور روما برلين ومحور باريس موسكو

القاهرة ٥ اكتوبر ١٩٣٧

مملكة المرأة

تعليم البنات في مصر

لمحة سريعة عن تطوره في مائة سنة

المدرسة السنية والمدارس الابتدائية للبنات

مدارس البنات الثانوية

كليتا البنات بالجيزة والاسكندرية

رياض الاطفال

مدارس الفنون الطرزية



تعليم البنات في مصر

لمحة سريعة عن تطوره في مائة سنة [1]

عند ما بدأ محمد علي الكبير إصلاحاته في التعليم كان الرأي العام بطبيعته يجهل مزايا المدارس الحديثة ويرتاب في أغراضها فكانت الحكومة تأخذ أولاد الأهالي الى المدارس قسراً وكان التعليم بكل درجاته مقصوراً بطبيعة الحال على الذكور . أما البنات فلم يكن لهنَّ أي نصيب من التعليم اللهمَّ الاَّ في بعض الأسر المثرية الراقية اذ كانت بناتهنَّ يتلقينَ في منازلهنَّ القراءة والكتابة وحفظ القرآن ومبادىء الحساب على بعض الفقهاء

غير انهُ لما أنشأ محمد علي بمعاونة كاوت بك مدرسة الطب سنة ١٨٢٧ ورأى ان مصلحة العمل في المدرسة والمستشفى تتطلب وجود ممرضات أو قابلات يعنين بالسيدات اقتضى الحال انشاء قسم للقابلات في سنة ١٨٣١ ولشدة نفور الاهالي اذ ذاك من تعليم بناتهم وارسالهنَّ الى المدارس اضطرَّ محمد علي الى ارسال عشر بنات حبشيات لبدء الدراسة بهنَّ في هذا القسم

١ — المدرسة السنية والمدارس الابتدائية للبنات

أما في عهد الخديو اسماعيل فكان الرأي العام المصري قد تطوَّر تطوُّراً عظيماً من الوجهتين الفكرية والاجتماعية بفضل ما شاهده من مظاهر الرقي والتقدم في جميع مرافق البلاد في أوائل عهد الخديو . لذلك لم يكن غريباً ان يوضع أساس تعليم البنات في ذلك العهد . فقد أوعز الخديو الى احدى زوجاته الكريمات في سنة ١٨٧٣ بفتح مدرسة ابتدائية حديثة للبنات على نفقتها . فبادرت الاميرة بتنفيذ المشروع واختارت سراي السيوفية مقرًّا للمدرسة فكانت هذه أول مدرسة شرقية اسلامية فتحت للبنات وهي نواة المدرسة السنية الحالية . ولا تزال صورة الاميرة الكريمة تزين مدخل المدرسة السنية إلى الآن . وعلى الرغم من ان المدرسة كانت داخلية وبالمجان فان الاقبال عليها في أول أمرها كان قليلاً ثم أخذ يزداد حتى اضطرت المدرسة الى قبول تلميذات خارجيات . وظلت هذه المدرسة الوحيدة للبنات إلى ان انتهى عهد اسماعيل وابنه توفيق . وفي سنة ١٨٩٥ في أوائل عهد الخديوي عباس الثاني أنشئت مدرسة عباس الابتدائية للبنات وقد بلغ عدد تلميذات هاتين المدرستين في سنة ١٩١٣ ، ٤٩١ تلميذة

وفي سنة ١٩١٧ انشئت مدرسة محرم بك الابتدائية للبنات بالاسكندرية ومنذ حركة النهضة المصرية سنة ١٩١٩ أخذ عدد المدارس الابتدائية للبنات يزداد في جميع انحاء البلاد حتى بلغ عددها في سنة ١٩٣٥ ، ١٩ مدرسة اميرية بها ٢٥٠٨ تلميذات وفي بدء العام الدراسي ١٩٣٦—

---

(١) من مذكرة أعدتها مراقبة تعليم البنات كما لخصتها مجلة التربية الحديثة

١٩٣٧ أضيف اليها ثمان مدارس كانت تابعة لمجالس المديريات فأصبح عددها ٣١ مدرسة بها ٣٧٧٤ تلميذة . أما عدد المدارس الحرة للبنات فأخذ يزداد تبعاً لحركة النهضة المصرية فبعد أن كان عدد هذه المدارس في سنة ١٩١٣ ، ٣ جميعها بالقاهرة وبها ٤٤٧ تلميذة بلغت ٤٠ مدرسة في سنة ١٩٣١ بها ٤٧١٦ تلميذة وفي سنة ١٩٣٥ بلغت ١١٥ مدرسة بها ١٤٥٤٦ تلميذة

أما مدارس الارساليات الأجنبية للبنات فقد أخذت تنتشر أيضاً في عهد الخديو اسماعيل وتمنحها الحكومة تسهيلات عديدة حتى كانت تمنحها الاراضي التي تقيم عليها مدارسها من غير ثمن . وأول هذه المدارس ظهوراً مدرسة للبنات في الفجالة انشأتها زوجة احد المرسلين الانجليز سنة ١٨٣١ بمعاونة زوجها ثم آلت بعد ذلك للارسالية الاميركية وكان تلميذات هذه المدارس من بنات الاسر المسيحية الأوربية والشرقية ولم تتجه اليها انظار الأسر المصرية إلاّ بعد الاحتلال البريطاني وقد أدت خدمات تذكر في سبيل ترقية الفتاة المصرية

﴿ خطة الدراسة ﴾ — وكانت خطة الدراسة بمدارس البنات في اول الامر مماثلة لخطة الدراسة بمدارس البنين مضافاً اليها بعض الاشغال اليدوية . وفي سنة ١٩١٣ وضعت الوزارة خطة خاصة لمدارس البنات تختلف عن خطة مدارس البنين فجعلت مدة الدراسة بها ٦ سنوات وكانت الخطة تشمل المواد الآتية : الدين والتهذيب — اللغة العربية والخط العربي — اللغة الانجليزية والخط الانجليزي — اللغة الفرنسية — الترجمة — الاشياء ومشاهد الطبيعة — الجغرافيا والتاريخ — التدبير المنزلي — الرسم الصحة — التربية البدنية

وفي سنة ١٩٢٢ رأت الوزارة ان تزيد مدة الدراسة من ٦ سنوات الى ٨ سنوات حتى ترفع بذلك المستوى العلمي للمتخرجات ولاسيما لمن تقتصر منهنّ على الدراسة الابتدائية وجعلت الوزارة في السنتين الاولى والثانية من تلك المدارس قسماً خاصًّا أسمته قسم بستان الاطفال

ولما اتسع نطاق تعليم البنات عدّلت خطة الدراسة بالمدارس الابتدائية للبنات سنة ١٩٢٥ وصارت خمس سنوات وفق مدارس البنين واتفقت مناهج الدراسة بكل من مدارس البنات ومدارس البنين الابتدائية إلاّ في مادتي فلاحة البساتين والاشغال اليدوية فقد استعيض عنهما في مدارس البنات بمادتي اشغال الابرة والتدبير المنزلي

وفي سنة ١٩٢٨ عدّلت خطة الدراسة بالمدارس الابتدائية للبنين وصارت ٤ سنوات بدلاً من ٥ ولكن خطة الدراسة بمدارس البنات بقيت خمس سنوات ثم صارت ٤ سنوات من بدء السنة المكتبية ١٩٣٠ — ١٩٣١ وفق مدارس البنين . ووضعت الوزارة منهاجاً خاصًّا لسنة خامسة بمدارس البنات لتستزيد فيها التلميذات من دراسة مواد التدبير المنزلي وتربية الطفل . ولكن التلميذات لم يقبلنَ على هذه السنة فألغيت وبقيت خطة الدراسة ٤ سنوات كمدارس البنين. وفي سنة ١٩٣٥ عند ما عدّلت خطط الدراسة ومناهجها بالتعليم الثانوي أدخل تعديل طفيف في

خطة الدراسة الابتدائية ووضعت مناهج جديدة ونظم جديدة للدراسة والامتحان بهذه المدارس

وتتفق المناهج في هذه المدارس الآن مع مناهج مدارس البنين عدا مادة الاشغال اليدوية فاستبدل بها في مدارس البنات الاشغال الفنية وأشغال الابرة والتدبير المنزلي . وتدرس الموسيقى اجبارياً بهذه المدارس كذلك تدرس اللغة الفرنسية كلغة اصلية في كثير منها

٢ — مدارس البنات الثانوية

لم يكن للوزارة قبل سنة ١٩٢٠ مدارس ثانوية للبنات . ولكن نظراً الى اتساع نطاق التعليم الابتدائي للفتيات واحتمال رغبة بعض خريجات المدارس الابتدائية في التوسع في الدراسة وفي تلقي الدراسات العالية رأت الوزارة لمعالجة هذه الحالة انشاء مدرسة ثانوية للبنات بالقاهرة بالحلمية فخطا تعليم البنات في مصر بذلك خطوة جديدة . وفتحت أمام التلميذات اللائي اتممن الدراسة بالمدارس الابتدائية طريق الاستزادة من العلوم الحديثة وهيأت لهن السبيل الى ترقية مستواهن الخلقي والعلمي فسدت بذلك ثلمة في صرح التعليم وقضت واجباً كانت تقوم به في القطر المصري بعض مدارس الجاليات الاجنبية منفردة حتى ذلك التاريخ

ووضعت للمدرسة الثانوية المذكورة خطة ومناهج خاصة تتفق مع الغرض الذي أنشئت من اجله وكانت تعلم بها المواد الآتية : الدين — اللغة العربية — اللغة الانجليزية — اللغة الفرنسية — الرياضة والعلوم — التاريخ والجغرافيا — الرياضة البدنية — التدبير المنزلي — الرسم والفنون . وكانت جميع المواد تعلم باللغة العربية عدا العلوم . وأدخلت مادة الموسيقى كمادة اختيارية وبلغ عدد الطلبات في السنة التي أنشئت فيها المدرسة ٢٨ طالبة

ولم يقف أمر التعليم الثانوي للبنات عند هذا الحد فان شدة الرغبة في الاستزادة من التعليم بسبب النهضة الحديثة والرغبة في اعداد التلميذات للدراسات العالية دعت الوزارة في سنة ١٩٢٥ الى انشاء مدرسة ثانوية تسير على نسق مدارس البنين الثانوية فحولت مدرسة الحلمية الى شبرا (وهي المدرسة التي صارت فيما بعد مدرسة الاميرة فوزية الحالية ببولاق) وأخذ الاقبال عليها يزداد بسبب ما صادفته من نجاح . ثم تحولت كل من مدرستي المعلمات السنية وحلوان الى مدرسة ثانوية بحتة . وأنشأت الوزارة علاوة على ذلك مدرستين ثانويتين جديدتين احداهما بالقاهرة سنة ١٩٣١ وهي مدرسة الاميرة فوقية والأخرى بالاسكندرية وهي مدرسة الاميرة فائزة الثانوية وكذلك انشأت اجابة لرغبة أهالي الاقاليم قسماً ثانوياً باسيوط سنة ١٩٣٢ وآخر بطنطا سنة ١٩٣٣ وبذلك اصبح عدد المدارس الثانوية الاميرية للبنات ٧ ومجموع طالباتها الآن ١٣٧٣ . وتبلغ عدد المدارس الثانوية الحرة للبنات التي تشرف عليها الوزارة سنة ١٩٣٦، ١٠ مدارس بها ٧٣٧ تلميذة سبق ان ذكرنا ان هذه المدارس الثانوية كانت تسير وفق خطة مدارس البنين ومناهجها .

أما مادتا التدبير المنزلي واشغال الابرة فكانتا تعطيان بصفة اختيارية خارج الجدول . ولكن رأت الوزارة في سنة ١٩٣٥ عند تعديل خطط الدراسة ومناهجها بالتعليم الثانوي أن تضع خطة جديدة لهذه المدارس تختلف عن خطة مدارس البنين وقد روعي في الخطة والمناهج الجديدة زيادة العناية بتدريس مواد الثقافة النسوية مثل التدبير المنزلي واشغال الابرة والرسم والتربية البدنية والموسيقى والاناشيد وتربية الطفل الخ

وجعلت مرحلة الثقافة العامة خمس سنوات مقابل ٤ في مدارس البنين وذلك مراعاةً لحالة البنات الصحية ولعدم ارهاقهنَّ من جهة ولامكان إدخال مواد الثقافة النسوية في جدول الدراسة من جهة أخرى كما ان الدراسة في السنتين الاخيرتين من هذه المرحلة قسمت الى قسم للطالبات اللائي يرغبنَ في الاستزادة من مواد الثقافة النسوية كي تصير الطالبة ربة بيت صالحة وقسم للطالبات اللائي يرغبنَ متابعة الدراسة العليا . وقد روعي في هذا القسم الثاني الوصول بالطالبات الى مستوى المدارس الثانوية للبنين . وسمح لطالبات القسم الاول تلقي دروس في المواد النسوية وتربية الطفل الخ بدلاً من دروس الرياضة والطبيعة . وتدرس اللغة الفرنسية كلغة أصلية بجانب اللغة الانجليزية في أربع من المدارس الثانوية. هذا وقد طبق النظام الجديد على تلميذات المدارس الثانوية لغاية الفرقة الثانية وسيطبق على السنة الثالثة في هذا العام وهكذا

٣ — كليتا البنات بالجيزة والاسكندرية

رأت الوزارة في سنة ١٩٢٥ ان الحاجة ماسة الى ان تهيء لبنات الطبقة الراقية ثقافة نسوية تلائم حاجة البيئة المصرية وتؤهلهنَّ لحياة المنزل بدون حاجة الى التحضير للامتحانات العامة فأنشئت في تلك السنة كلية البنات بالقاهرة . وفي سنة ١٩٢٨ اضيف الى الكلية قسم ابتدائي لتغذية قسم الكلية بالطالبات . وفي سنة ١٩٣٠ انشيء ايضاً قسم لروضة الاطفال اجابةً لرغبة اهالي الطالبات وكان بالكلية عدا هـذه الاقسام فصول مخصوصة تتلقى فيها الطالبات أي عدد من مواد الدراسة بحسب اختيارهنَّ بأجور معينة

وفي سنة ١٩٣٤ رؤي انشاء كلية للبنات بالاسكندرية على نسق كلية البنات في القاهرة وبدىء بانشاء القسم الابتدائي والاقسام المخصوصة وأصبحت فرق الدراسة الابتدائية تامة وأنشىء في العام الماضي قسم للروضة ألحق بالكلية

ويسير قسم الروضة بكل من الكليتين وفق نظام رياض الاطفال الاخرى . اما القسم الابتدائي فيسير وفق خطة دراسة خاصة تمتاز بدراسة اللغتين الفرنسية والانجليزية معاً ابتداء من السنة الثانية وتعلم بهِ المواد الآتية : الدين — اللغة العربية — اللغة الانجليزية — اللغة الفرنسية — التاريخ والجغرافيا — الحساب والهندسة — العلوم والصحة — الرسم والاشغال

الفنية — التربية البدنية — الموسيقى والاناشيد وأشغال الابرة والتدبير المنزلي

اما قسم الكلية فمدته ٤ سنوات ولهُ ايضاً خطة ومناهج خاصة وتدرس بهِ المواد التي تعلمْ بالمدارس الثانوية مع توجيه عناية خاصة للمواد النسوية كالتدبير المنزلي وأشغال الابرة وتربية الطفل والموسيقي والرسم والتصوير وزخرفة المنزل

وفي سنة ١٩٣٦ تبين للوزارة ان عدداً كبيراً من اولياء امور الطالبات الناجحات في امتحان شهادة الدراسة الثانوية قسم ثانٍ لا يرغبون في إلحاق بناتهم بكليات الجامعة لانهم يفضلون اعدادهنّ للحياة المنزلية . ولما كان مستوى الدراسة بكلية البنات بالجيزة يقرب من مستواها بالمدارس الثانوية لذلك رأت الوزارة انشاء قسم عالٍ مخصوص يلحق بالكلية المذكورة وتقبل فيهِ الطالبات اللاتي يتممنَ الدراسة بالكلية او الحاصلات على شهادة الدراسة قسم ثانٍ او ما يعادلها من شهادات الدراسة الاجنبية ويتلقين فيهِ اربعاً من المواد الآتية على الاقل : — آداب اللغة العربية — آداب اللغة الانجليزية — آداب اللغة الفرنسية — التفصيل وعمل الازياء — التدبير المنزلي — الرسم — الاشغال اليدوية . وجعلت مدة الدراسة سنتين تحصل الطالبة في نهايتها على دبلوم عالٍ فيما تخصصت ونجحت فيهِ من المواد

هذا ومما هو جدير بالذكر ان جميع القائمين بالتدريس بكليتي الجيزة والاسكندرية من السيدات المختصات . وليس بهما مدرسون من الرجال إلاّ استاذ اللغة العربيـة للقسم المخصوص العالي . وتبلغ جملة عدد الطالبات بجميع الاقسام بالكليتين سنة ١٩٣٦—١٩٣٧ — ٢٦٨ طالبة منهن ٢١١ بكلية الجيزة و ٥٧ بكلية الاسكندرية

٤ — رياض الاطفال

كان تعليم أشغال الرياض قبل سنة ١٩١٨ مقتصراً على الفرق المبتدئة بالمدارس الابتدائية للبنات ولكن الوزارة لمست الحاجة بسبب تطوُّر التعليم في مصر الى انشاء رياض خاصة للاطفال لتربيتهم تربية نموذجية في بيئة تحبب اليهم التعليم في أثناء لعبهم فأنشأت في سنة ١٩١٨ روضة للاطفال بالاسكندرية وأخرى بالقاهرة سنة ١٩١٩ وخطت هاتان المدرستان خطوات سريعة في سبيل النجاح فشجع ذلك الوزارة على نشر هذا النوع من التعليم

وكان القبول في الرياض في مبدأ الأمر مقتصراً على البنين ثم قبلت بها الطفلات من سنة ١٩٢٤ ولما زاد الاقبال على هذا النوع من المدارس زيد عدد الرياض المستقلة والتابعة لمدارس البنات الابتدائية حتى بلغ عدد رياض الاطفال المستقلة والملحقة الآن ٣٣ روضة بها ٢٥١٤ طفلا

وتعتبر الدراسة في هذه المدارس من انجح انواع التعليم وهي تسير وفق خطة ومناهج مناسبة عدِّلت أخيراً في سنة ١٩٢٨ وتشمل الخطة المواد الآتية : التهذيب والصحة ، اللغة العربية ، الخط العربي ،

الحساب ، مشاهد الطبيعة ، الرسم اشغال الاطفال ، الاناشيد والالعاب ولا تدرس بها لغات اجنبية
ومدة الدراسة بها ٣ سنوات وتقبل الاطفال من الجنسين بين سن الخامسة والثامنة وتعمل الوزارة بصفة خاصة على توفير اسباب التربية القويمة والراحة واللعب في هذه المدارس والاطفال الذين ينجحون من السنة الثالثة يقبلون بالمدارس الابتدائية بدون امتحان قبول
ويقوم بالتدريس فيها معلمات مختصات من خريجات قسم رياض الاطفال بمدرسة المعلمات الاولية الراقية باشراف ناظرات كثير منهن مختصات في رياض الاطفال من كليات انجلترا

٥ — مدارس الفنون الطرزية

في سنة ١٩٢٥ رأت الوزارة ضرورة انشاء مدرسة لتخريج فتيات قادرات على الاشتغال بالاعمال الحرة في التطريز والتفصيل فأنشأت قسماً للفنون الطرزية وألحقته بمدرسة المعلمات الاولية بشبرا واشترطت في القبول به ان تكون الطالبة حاصلة على شهادة اتمام الدراسة الابتدائية او ناجحة في الامتحان النهائي للمدارس الاولية الراقية للبنات وجعلت مدة الدراسة به ٣ سنوات ومواد الدراسة هي : اشغال الابرة والتفصيل والتطريز وعمل الازياء المبتكرة — الرسم — الدين — الغسل — الكي — طرق التجارة — امساك الدفاتر — الالعاب الرياضية — اللغة الفرنسية (والغرض من تعليم هذه اللغة تمكين الخريجات من الاطلاع على مجلات الازياء والكتالوجات وفهم ما بها) والتعليم كله بالمجان ويقدم الغذاء للتلميذات ظهراً
وفي سنة ١٩٣١ انشيء بهذا القسم مشغل لتتمرن فيه الطالبات عقب تخريجهن على القيام بالاعمال الحرة على ان يدار المشغل لحسابهن تحت اشراف المدرسة وتقبل به التوصيات من الجمهور وبهذه الطريقة تزداد الطالبات مرانة على هذه الاعمال تحت اشراف معلماتهن كما أنهن يكتسبنَ خبرة في معاملة الجمهور ويقتسمنَ الارباح . وفي سنة ١٩٣٥ ضم الى الوزارة مشغل الصناعات النسائية بالاسكندرية وكان تابعاً لديوان الاوقاف الملكية كما ضمت اليها مدرستا الفنون الطرزية ببنها والزقازيق وقد ادخلت فيهما أنظمة مدرسة الفنون الطرزية بشبرا
ورغبةً من الوزارة في زيادة تمرين الطالبات على العمل رأت اضافة سنة رابعة الى الخطة تقضيها الطالبات الناجحات في التمرين والتدريب على التفصيل الراقي تحت أشراف معلمات مختصات كما أنشأت قسماً راقياً للتفصيل والازياء المبتكرة وعمل القبعات . ويبلغ عدد التلميذات بالمدارس الاربع في سنة ١٩٣٧ ، ٧٦٦ تلميذة . وقد فتحت الوزارة في العام الماضي مدرسة اخرى للفنون الطرزية جعل التعليم بها بمصروفات بسيطة قدرها ستة جنيهات سنويًّا والاقبال على هذه المدارس شديد مما يدل على ان الحاجة كانت ماسة الى التوسع في انشاء مثل هذه المدارس التي تهيء الفتاة للتكسب من طريق الاعمال الحرة الشريفة

باب الأخبار العلمية

سفن حربية تسير باللاسلكي

جهاز « البلاتنرفون »[1]

سيَّرت حكومة جمهورية الولايات المتحدة أربع سفن سرية سنجابية اللون، خالية من الملاَّحين، لتجوبَ بحار العالم، مستمدة قوتها من الموجات الكهربائية اللاسلكية التي تُوجه اليها من بواخر اخرى قصية عنها. وتؤلف تلك السفن الاربع من مدرعة واحدة وثلاث مدمرات. وهي فرع جديد في القوة البحرية الاميركية يسمى بالاسطول السري

وهاتيك السفن خالية من الربابنة الذين يصدرون الاوامر، ولا سلالم فيها تؤدي الى قاعاتها «قمراتها»، فاذا دنوت منها لا تسمع غير أزيز القاطرات ودويّ الآلات حينما يتحرك سكان السفينة بغية تغيير مجراها، والاَّ فالسكون مخيم عليها. وترى على ظهر كل سفينة منها كرتين سوداوين معلقتين بسارية جؤجؤها، وأعلاماً حمراً وبيضاً وزرقاً منصوبة عليها تحذيراً للسفن الاخرى لتحيد عن مجراها عندما يختل سيرها. وذلك كلهُ من قبيل الاحتياط ووقاية من الخطر. وتشاهد على بعد شاسع من السفينة المسيرة « أُمَّها » المسيطرة على حركاتها وسكناتها بالجهاز اللاسلكي. فتارةً توعز اليها فتطفىء مصابيحها، وطوراً تطلق صفارتها وهي مختفية عن الابصار بحيث لا ترى الاَّ مدخنتها عن بعد. ويقوم بذلك العمل عامل لاسلكي فنّي فوق ظهر الام المسيطرة عليها.

وقد جربت المدمرة استودرت Stoddert خالية من الملاَّحين في المحيط الهادىء منذ بضع سنين، فأسفرت تجربتها عن النجاح. وهي من مدمرات الاسطول الاميركي، فجعلت هدفاً لقنابل الطائرات الحربية ليتدرَّب الطيارون على قذفها بالقنابل من فوق، واقتضى ذلك تجهيزها بآلات ضابطة تديرها باخرة اخرى بالموجات اللاسلكية فأُتيح تسيير «الاستودرت» خالية من الملاَّحين ولم يستهدف احد منهم للخطر من القنابل التي كانت تنهال عليها من كل حدب وصوب

---

(١) تتمة ثمرات (الراديو في هذا العصر: من قلم عوض جندي) راجع مقتطف اكتوبر الماضي صفحة ٢٩٢

الغرض من هذه السفن

اولاً — تقريب الاهداف المستعملة للرماية الى الحقيقة ما امكن ، بدلاً من الاهداف المألوفة لقذائف المدافع ونعني بها الأرماث التي تربط في مجال مرمى المدافع الضخمة . والبوارج التي تختار لتأليف الاسطول السري ، تكون من الانواع المهملة التي لا تتفق والنماذج البحرية العصرية . وذلك عوضاً عن تجريد تلك البوارج القديمة من سلاحها كالعادة التي كانت متبعة سابقاً . وبناء على ذلك ، غدت البواخر السرية تهيم في البحار حيث تسوقها العواصف ، خالية من الملاحين وذلك بمثابة اهداف متينة ، تروغ من قنابل مدافع المدرّعات وقذائف الطائرات التي تسدّد اليها من كل جانب . لان ضباط البحرية يرون هذه الوسيلة خير ما يمكن عمله لتمثيل ظروف معركة شعواء

ثم انهم يأملون أيضاً اتخاذ الاسطول السري ، وسيلة لمعرفة الحقائق التي ما زالت غامضة عليهم وهي الخاصة بالحركات الحربية التي تقوم بها البوارج بعد تعطيلها وتمزيقها بالقذائف الصائبة

***

ثانياً — وللاسطول السري منفعة أخرى تستهوي البحرية الاميركية ، بيد انها تكتمها أشد الكتمان ، وهي ماذا تكون فائدته في ابان الحرب ؟ وذلك لان هذا الضرب من السفن في وسعهِ المروق بلا وجل في وسط نيران المدافع مروقاً لا يجرؤ عليهِ اي ربان من ربابنة البوارج المجهزة بالجنود مهما يكن شجاعاً . ويتنبأ الثقات البحريون الخبيرون بأن الاسطول السري سيحدث انقلاباً في أساليب الخدع الحربية عند نشوب القتال ، لان السفينة الحربية التي تسير بالموجات اللاسلكية يتسنى ارسالها لنطح سفن الاعداء واغراقها

ويمكن ايضاً شحنها بالمفرقعات الشديدة ودفعها امام الريح بالموجات اللاسلكية بازاء سفن الاعداء كأنها طوربيد قوي . ثم نسفها بضغط مفتاح لاسلكي . وقد يستطيع الاسطول السري اطلاق ستار من الدخان فيخفي بهِ حركات الاسطول الاصلي حينما يقوم بالخدع الحربية . وربما يقدم على اطلاق الغاز السام دون تعريض أي مخلوق لخطره . وقد يعهد اليهِ في تطهير مناطق الالغام البحرية . ويتيسر ارسال سفنه فرادى الى الثغور حيث يتاح اغراقها بالموجات اللاسلكية فتسد مصبات الانهار بأجسامها

وقد ترسل تلك السفن زرافات بمثابة قوة حربية خادعة لتخدع عدوًّا قصيًّا . ويتسنى تسيير الاسطول السري من البر أيضاً ومن غيره من البوارج أو من الطائرات التي تحلق فوقه

عناية بريطانيا والمانيا بالموضوع

وليست الولايات المتحدة هي المهتمة بمشروع الاسطول السري المسيَّر فحسب ، بل بريطانيا العظمى والمانيا ايضاً . فقد عنيت بريطانيا بهذا الاختراع من سنة ١٩٢٤ اذ جهزت البارجة « اغا ممنون » على ذلك الطراز ، فأخذ الضباط البحريون يراقبونها من بعد بينما كانت القذائف تسدد اليها كالسيل من قنابل الطائرات التي من عيار ١١٤ وذلك من ارتفاع يتراوح بين ميل واحد وميلين . ثم أبطلتها البحرية الانكليزية ، وحلت محلها المدرعة « سنتوريون » الخالية من الملاَّحين . وهي تسير بالموجات اللاسلكية التي تصدر من احدى المدمرات — كما تقدَّم القول في مقالنا بالجزء السابق من المقتطف — واليك وصف التجربة التي جربت في المدمرة القديمة استودرت : — جاء ضابط من ضباط الراديو في البارجة Perry بري من بوارج اسطول الولايات المتحدة ، فدخل غرفة قيادتها

وعند ذلك كانت البارجة تسير على بعد ٢٠٠ ياردة خلف استودرت فشرع الضابط يحرك جهازاً على شكل صندوق ذي مفاتيح كمفاتيح الآلة الكاتبة ، فكان كلما حرك أحدها انبعثت منهُ اشارة تحمل في ثناياها موجات لاسلكية تلتقطها الآلات الضابطة في المدمرة استودرت فجعلت تسير أولاً بمعدل ستة اميال بحرية في الساعة ثم بمتوسط ٢٠ ميلاً في الساعة ثم صارت تقطع ٢٦ ميلاً في الساعة وهي أقصى سرعتها . ثم سلط عليها ذلك الضابط الاشارات اللاسلكية الاخرى فأخذت تطفيء مصابيحها الكشافة وتطلق صفارتها . وقد حذت المانيا حذو الاسطولين الاميركي والانكليزي فاستخدمت لتلك الغاية مدرعة اسمها « زاثيرنجر » Zaehringer وكانت تطلق الصواريخ بالموجات اللاسلكية وتخفي نفسها بستارٍ من الدخان فتفلت مما كان ينهال عليها من القذائف

اهتمام اليابان به

واقتدت بحرية اليابان باخواتها السابقات الذكر ، فاستخدمت مدمرتها الصغيرة يوكوزي Ukeezi كمدرعة سرية تستعمل هدفاً للمدافع الكبيرة

غير ان الولايات المتحدة هي المجلية في ذلك المضمار . فقد فاقت الدول جمعاء باختراع اسطولها السريّ الحديث الذي هو ثمرة تجارب اثنتي عشرة سنة كاملة . وذلك انها

منذ سنة ١٩٢٠ جهزت بارجتها القديمة المسماة آيووى بالاجهزة اللاسلكية باشراف المستر جون هايز هاموند الصغير وهو المهندس اللاسلكي الخبير ، فكانت أول مدرعة في بحريات العالم تُسيَّر بالموجات اللاسلكية خالية من البحارة ، فاضطلع الخبير المشار اليهِ بذلك العمل الهندسي الطريف ، دون سابقة يأخذ مأخذها فنجح فيهِ نجاحاً باهراً

سير الادارة عن بعد

وتسيير أي مركب بالموجات اللاسلكية يقتضي استعمال قوته الذاتية ، وانما يدار سكّانه ويُقادُ بالنبضات اللاسلكية . فكانت اول عقدة تعين على المخترع حلها تقليل عدد الملاحين الى أقل عدد يستطيع تشغيل قاطرات ذلك المركب وإدارة سكّانه وضوابطه ادارة صالحة . ثم اختراع اجهزة اناس معدنية Robots لتحل محل أولئك الملاحين القليلي العدد . فجعل واحداً منها لادارة السكان وهو جهاز ذو اذرع معدنية تقوم مقام الاذرع البشرية وغيرها من الآلات الهندسية المتحركة بذاتها لتقوم بادارة أصمة (جمع صمام) البخار — وقوام تلك الاجهزة جميعها التي تؤدي أعمال البشر (البصاصات الكهربائية) وقد وصفناها في مقالاتنا العديدة السابقة

وبما أنهُ من المستحيل ارسال قوة كافية من الموجات اللاسلكية لادارة اي محرك من المحركات ، فان النبضات الكهربائية التي تصدر من المراكب القاصية ، تقوّى فتدير جهازاً مجدداً التيار الكهربائي فيدير محركات المركب نفسهُ . وفي الواقع ان تلك النبضات الكهربائية اللاسلكية منظمة تنظيماً يتفق والغرض المقصود بها سواء أكان ادارة السكّان أم وقف المركب أم اضاءة مصابيحه الكشافة . والذي يقوم بذلك التجديد ، جهاز منتخب على شاكلة الجهاز المستعمل في التليفون الاوتوماتيكي . والوصف المتقدم ينطبق على المركب الذي جهزه المستر هاموند الخبير اللاسلكي السابق الذكر وقد ثبتت صلاحيتهُ ليكون هدفاً للقذائف في التدريب العسكري حينما قامت طائرات الجيش والاسطول بالتجارب على ارتفاع ٤٠٠٠ قدم فأصابت الهدف مرتين من ثمانين طلقة بينما كان المركب يسير الهوينا نحو الشاطىء بسرعة ستة أميال ونصف ميل واسفرت التجارب عن اغراق المركب آيووى بقرب بوغاز بناما وذلك من نيران المدرعة مسيسيبي

جهاز البلاتنرفون

ويستعمل لتسجيل الصوت المزمع اذاعته بالراديو ، جهاز يسمى بلاتنرفون Blattnerphone نسبة الى مخترعه لويس بلاتنر Louis Blattne الذي اخترعهُ سنة ١٩٣١ وهو يختلف عن الجهاز المألوف لتسجيل الصوت في اقراص الجراموفون

وقوامه شريط فولاذي يمدّ بين مغنطيسين كهربائيين فيتمغنط بحسب ذبذبات التيارات الكهربائية التي تمر في ذينك المغنطيسين ، اي ان التيارات اذا كانت متغيرة ، تمغنط الشريط في مواضع مختلفة منهُ طبقاً لذلك ، فسجّل الذبذبات المتغيرة

فالموجات الصوتية التي تتولد من حنجرة من الحلق ، او من خطيب يخطب ، ايًّا كانت ، تستحيل ذبذبات كهربائية بوساطة الميكروفون بالطريقة المألوفة ، فتنطلق تلك الذبذبات الكهربائية الى المغنطيسات الكهربائية التي في الآلة ، ويمرّر بينها شريط فولاذي طويل ، بسرعة ثابتة ، فيتمغنط تمغنطاً مختلف الدرجات على استقامته . ثم اذا ما اردنا اعادة توليد تلك الذبذبات الكهربائية ، ما علينا الاَّ وضع الشريط مرة اخرى بين مغنطيسين يحملان تياراً ثابتاً ، فيتغير ذلك التيار بحسب مغنطة الشريط . وحينئذٍ يمكن تضخيم ذلك التيار المتغير وتحويله الى موجات صوتية بالطريقة المعتادة

ومن غريب الامر ان بدء استعمال هذه القاعدة كان في اوائل انتشار الراديو ، فكانت تستعمل لالتقاط اشارات مورس التلغرافية

وبدلاً من الخطوط الغائرة المختلفة العرض التي ترسم على اقراص الجراموفونات او الخطوط المتغايرة الكثافة والعرض ، كالتي تظهر في فيلم الصوت ، ترى الشريط الفولاذي الذي لا يتغير شكله الخارجي البتة ، مقيداً عليه الصوت بحسب درجات مغنطته

وقد كان استكمال ذلك الجهاز المسجل من البراعة الخارقة غير انه على سهولة قاعدته قد تمَّ بعد جهد جهيد ، وصبر متواصل ، ونفقات باهظة . والصوت الذي يتولد منه يكون اكثر اتقاناً مما يتولد من اقراص الجراموفون . وهو ذو ميزة اخرى وهي سهولة صنع شرط طويلة جدًّا منهُ دون انقطاع

***

ومن المرجح انهُ سيأتي يوم نتمكن فيه من احراز جهاز بلاتنرفون في بيوتنا بدلاً من اجهزة الجراموفونات ، ولا يحول دون ذلك في وقتنا الحاضر الاَّ فداحة اثمان الشرُط الفولاذية الخاصة, تعقد الجهاز. وحينئذ يصبح في وسعنا الاصغاء بغير انقطاع الى مقطوعة موسيقية كاملة من الاوركستر ، بدلاً من قلب الاقراص او تغييرها في الجراموفون ولا يحول دون بلوغنا هذه الامنية الاَّ باهظ نفقاتها التي لا تستطيعها غير الشركات الغنية مثل شركة الاذاعة اللاسلكية البريطانية . وربما تصير الاقراص الورقية وأفلام الصوت ذات يوم من الاشياء المألوفة لدينا

بيد ان جهاز البلاتنرفون ما زال محتاجاً الى تحسينات عديدة فهو لا يسجل الذبذبات الشديدة ولا الانغام العالية تسجيلاً صادقاً ولذلك تتخذ الوسائل الفعّالة ليقوم الجهاز المضخم بتوكيد هاتيك الذبذبات الشديدة بدلاً من جهاز البلاتنرفون نفسه . وما برحت التجارب تجرب في تحسين هذا الجهاز الذي يعدُّ من اثمن الاجهزة التي عند شركة الاذاعة البريطانية . وبهِ يتيسر تسجيل حادث خطير في الحال طبق أصله ثم إعادة اذاعته في المساء نفسهِ أو في السنة التالية . ولما كانت بكرات الشريط الفولاذي لا يحتاج حفظها الى مكان

رحب ، سهل خزنها في مكان ضيق، وهي غالية الثمن ومن المعتاد « تنظيف » الشريط الاَّ اذا اقتضت الحالة ابقاءه لسبب مهم ، لاعادة استعماله بعد اذاعته وذلك بامراره في مغنطيس قوي ذي تيار مستمر لتمحي منهُ التغيرات المغنطيسية جميعها التي حدثت فيهِ اولاً

ما يستعمل له الجهاز

وجهاز البلاتنرفون لا يستعمل لتسجيل الخطب البليغة والحوادث الخطيرة فحسب بل لاختبار المغنين والتمرين على الالقاء فيستطيع مخرج الرواية الاصغاء الى القائها بأجمعها وملاحظة ما يجب تغييره منها . فيتاح المغني أن يغني تجاه الميكروفون ، على سبيل التجربة ، على ان يسمعه المدير وقد يكون هذا وقتئذٍ مشغولاً عنهُ بعمل آخر ، ربما يتفرغ لسماعهِ بعد ساعتين أو ثلاث ساعات . ويتوسل بهذا الجهاز ايضاً الى تذليل الصعوبات الزمنية في الاذاعة . فبرامج الحفلات التي يراد اذاعتها في أوستراليا مثلاً وغيرها من انحاء الامبراطورية البريطانية التي لا بدَّ من اذاعتها في الوقت الذي يحتاج فيهِ معظم المغنين والمغنيات الى النوم في اسرَّتهم ، كثيراً ما تُسجل بجهاز البلاتنرفون في الساعات الملائمة لذلك ثم تذاع حينما تمس الحاجة اليها . وفي هذه الحالة يكتفي بالمهندسين المنوبين في اعمال الاذاعة اللاسلكية لتأدية الاعمال المطلوبة . ولفداحة نفقات البلاتنرفون ، يتعذر استخدامه في مكاتب الاعمال وغيرها من الدوائر لتسجيل ما يدور في الجلسات المهمة التي تنعقد فيها وتدوين المحادثات التليفونية التي تدور فيها ولذلك اخترع جهاز آخر يسمى « تليكورد Telechord » وهذا يقوم بتقييد المحادثة التليفونية ويتسنى وصله باسلاك التليفون بوساطة (كوبس) حيث تضخم الموجات الصوتية تضخيماً كهربائياً فتحرك ابرة قاطعة على اسطوانة شمعية ، تكاد تشبه ابرة الجراموفون التي اخترعت اولاً . وهذه الاسطوانة يمكن استعمالها مرة اخرى حالاً فتردد كل ما قيل اولاً وتظل سجلاً ثابتاً لهُ لا نزاع فيه . وهذه الطريقة تكاد تضارع بلا ريب جهاز الديكتافون Dictaphone « الآلة التي تعبأ فيها الموسيقى » ، كما يسميها العوام ، اسوة بكبس الاطعمة في علب الصفيح حتى يحتاج اربابها الى اكلها

* * *

مجرة ضخمة تجمع خمسين الف مجرة

اكتشف علماء مرصد هارفرد على مقربة من قطب القبة السموية الجنوبي مجموعة ضخمة من المجرات تقسع لخمسين الف مجرة كالمجرة التي نحن منها ويقدر طول هذه المجرة الكبيرة بخمسين مليون سنة ضوئية وعرضها بعشرين مليون سنة ضوئية وتبعد عنا مائة مليون سنة ضوئية والسنة الضوئية هي المسافة التي يجتازها الضوء في السنة سائراً بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية !



كنوز الفاطميين (1)

تأليف الدكتور زكي محمد حسن — امين دار الآثار العربية والمدرس المنتدب في معهد الآثار الاسلامية وعضو المجمع المصري للثقافة العلمية — صفحاته مع فهارسه ٢٩١ صفحة من القطع الكبير تليها ٦٤ لوحة فنية مطبوعة على ورق صقيل

تصدير

للاستاذ جاستون فييت مدير دار الآثار العربية

كتب بالفرنسية ونقله الى العربية محمد وهبي افندي سكرتير دار الآثار العربية ، ومن خريجي معهد الآثار الاسلامية

انهُ لما يشرفني عظيم الشرف أن يهدي المؤلف اليّ هذا الكتاب . وان هذه العاطفة النبيلة منهُ لتذكرني بتعاون متين منذ عشر سنين ، بذلت فيها كل ما بوسعي في سبيل ارشاده ، سواء في القاهرة أم في باريس ، ارشاد الاكبر للاصغر سنًّا ، وكنت كلما رأيت مثابرته ، ويقظته العقلية المستطلعة ، ونشاطه الذي لا يخمد ، زدت لهُ مساعدةً وارشاداً

وقد تعمق الدكتور زكي في التاريخ وسبر أغواره ، وملك ناصية لغات أوروبية عديدة ، وطاف بمعظم متاحف اوروبا دارساً ومنقباً ، فهو اذن قد أعدّ اعداداً متيناً ليكون مؤرخاً ممتازاً للفن الاسلامي ، فضلاً عن أنهُ في عنفوان الشباب ويبشر بمستقبل علمي عظيم سيؤتي اطيب الثمرات

وكتابهُ هذا ابلغ دليل على ما اقول : فقد سلس للمؤلف قياد الموضوع ، ولانت لهُ قناتهُ ، مما يشهد بأنهُ اصبح مؤرخاً فذا للفن ، لهُ طريقة علمية بلغت الغاية دقة ، ولهُ في النقد حاسة قوية نافذة

ومعلوم ان تاريخ الفن مثلهُ كمثل بقية العلوم من حيث جمع الحقائق وتمحيصها وشرحها وترتيبها واستنتاج الافكار العامة منها ، غير انهُ يختلف عنها من حيث ان مؤرخ الفن يجب ان

---

(1) (المقتطف) نشأت فكرة هذا الكتاب النفيس من محاضرة القاها المؤلف في المؤتمر السنوي الثامن الذي عقده المجمع المصري للثقافة العلمية . في مارس سنة ١٩٣٧ ، وقد اضطر ان يوجز الكلام لكي لا تطول المحاضرة عن الوقت المقرر لها . ثم توسع فيها وأخرجها كتاباً هذه شهادة عالم من طبقة الاستاذ جاستون فييت فيه . فللمجمع ولدار الآثار العربية وللمؤلف الشكر على اخراج هذا السفر النفيس في موضوع هو اوثق ما يكون صلة بالثقافة القومية العالية . ولناعود اليه في عدد تال

يكون شغوفاً بمادته ، ولا شكَّ في ان جوانح زكي حسن لتنطوي على هذا الشغف ، الذي يسمو بصاحبهِ فوق الحقائق المادية وان لم يغفلها ، ويثير عنده شعور الاعجاب بتراث العصر الاسلامي الوسيط من تحف فنية يلتذ بها الحس وينعم بها العقل ، ويولد في نفوس القراء حب هذه التحف التي تدل على مدنية عظيمة

وقد افصح موضوع الكتاب وابان عن نفسه ، غير اننا ، وان لم نتنكر ما للفن الاسلامي القديم من بساطة جذابة وما لفن المماليك من هدوء وانسجام ، لا بدَّ لنا من الاعجاب بالتحف النفيسة التي انتجها العصر الفاطمي ، فدلت على ما كان لفن الفاطميين من قوة ابداع ، وشخصية ، واحساس بالحياة شديد ، واثارت في نفوسنا روح الحمية والحماسة .

ولذا فانك إذا قرأت هذا الكتاب ادركت تمام الادراك ان المؤلف لم يكتبهُ الاَّ بدافع من الشغف عظيم فبلغ بهِ اقصى حدود الاتقان

ألف اذن زكي حسن هذا الكتاب مدفوعاً بعامل السرور ، وحده أعني انهُ بذل فيهِ جهده كله . وقد كنت أشاهده منذ شهور وهو يقوم بتأليفه ، وكان يخيل اليَّ أن ما كان يعترضهُ من عقبات ، ما كان إلاَّ ليذكي نار الحماسة في قلبه

***

بل ان العاطفة لتتجلى في اختياره موضوع الكتاب فقد راعى الروح القومية ، اذ يعدُّ هذا الكتاب الخطوة الاولى في سبيل احياءِ ذكرى مرور الف عام على تأسيس القاهرة . ويحق لدار الآثار العربية أن تزهو ، بل ومن واجبها ان تزهو بهذا السبق : أفليست تحوي كنوزاً فاطمية عظيمة القيمة ؟

قد يقال ان دار الآثار العربية تسبق موعد هذه الذكرى ، ولكننا نرى اننا بحاجة الى بحوث متينة تذكرنا بما كان عليهِ الماضي العظيم من فخامة وروعة ، ، فتمهد لان يكون الاحتفال بهذا العيد احتفالاً لائقاً بذلك الماضي المجيد

***

والكتاب قسمان : الاول مقدمة يلخص فيها المؤلف ما دونهُ كتّاب العصر الوسيط عن زخرف الحياة في الدولة الفاطمية . فهل تأثر المؤرخون العرب في هذا الموضوع بميلهم الغريزي الى المبالغة في الاشادة والاطناب ؟ كلاَّ بل كانوا في وصفهم تلك الحياة صادقين ، كما أثبت المؤلف هذه الحقيقة اثباتاً قاطعاً في القسم الثاني من كتابه ، وقد عرض فيهِ التحف الفاطمية كلها

ودار الآثار العربية تعدُّ أغنى المتاحف رغم تسرب عدد كبير من التحف الى اوربا منذ زمان طويل ، بل وقبل انشاء متحفنا في القاهرة . والدار وان لم تحتوِ من التحف العاجية

والبلورية والبرنزية والنحاسية الاّ على عدداً يسيراً ، فان ثروتها من الاخشاب والمنسوجات والخزف لا تعادلها ثروة

ولعلّ هذا الكتاب النفيس المحلى بكثير من اللوحات والرسوم يؤثر في القراء تأثيراً يدفعهم الى تعرُّف دار الآثار فنرى زوارها يزدادون يوماً عن يوم

وما أريد ان أتحدث طويلاً عن المراجع الكثيرة التي تذيل الكتاب فانها قد جعلتهُ جليل النفع عظيم الاثر للمدرسين ، فالكتاب ومراجعه خير مرشد لهم في تدريسهم تاريخ الفن الاسلامي. وليست هذه المراجع مجرد ثبت يملأ العين ، وانما هي نتيجة مجهود وافر ، وقد درسها المؤلف كلها ، كما يتضح للقارىء عند قراءته ما كتبهُ من الحواشي في أسفل الصفحات

وإني اتمنى ان يكون هذا الكتاب شيقاً للقارىء كما كان للمؤلف نفسه ، وان يزيد عند المصريين — وكدت ان اسميهم بني وطني ، اذ صارت مصر لي وطناً ثانياً — شعورهم بماضيهم الباهر وان يقوّي ايمانهم بهِ واعتزازهم ، فالايمان بالماضي اساس وطيد لوطنية قوية متسامحة ، كما اتمنى ان يضاعف الكتاب في نفوس المصريين حب البحث ويرهف فيهم الاحساس بالجمال

جاستون فييت

فتح دارفور

ونبذة من تاريخ سلطانها علي دينار للبكباشي حسن قنديل

يرعى سمو الامير الجليل عمر طوسون كل ما يتصل بتاريخ الجيش المصري وفتوحاته وأعمال أبطاله خلال القرن الماضي . وسموه يريد بعمله العظيم ان يحفظ تاريخ الجيش من العبث والضياع. ولكي يتخذ شبان هذا الجيل من الحديث عنهُ ما يثير حماستهم فيعملوا على استعادة مجد العصور الماضية

واليوم يضيف سموه الى صفحات تاريخ الجيش المصري تلك الرسالة النفيسة « فتح دارفور سنة ١٩١٦ » التي وضعها حضرة البكباشي حسن قنديل أحد رجال الحملة العسكرية الذين اشتركوا فيها . فتناول فيها وصف جميع أدوار الفتح من بداية تحرك القوات التي صدر اليها أمر القيادة بهذه الحملة الى اندحار قوات الامير على دينار في ٢٣ مايو سنة ١٩١٦

وقد أورد المؤلف في رسالتهِ النفيسة حديثاً شائقاً عن امارة دارفور وملوكها وامرائها وقواتهِ المحاربة والأغاني الوطنية الشائعة على ألسنة القبائل . ونأمل ان تكون هذه الصفحة المجيدة من تاريخ الجيش التي حرص البكباشي حسن قنديل على تدوينها مقدمة طيبة لضباط جيشنا الباسل ليكتبوا تاريخ الجيش المصري منذ دول الفراعنة الى اليوم

مصر في كل العصور

The Nile in Egypt-Emil Ludwig, Allen & Unwin 16/—

من المعروف عن الكاتب الالماني المشهور اميل لدويج انهُ سريع التأليف سرعة لم تعهد كثيراً من قبل . فلم تنقض بضعة شهور على صدور كتابه « حياة النيل » حتى اخرج كتاباً آخر « النيل في مصر »

ونصف هذا الكتاب الاخير يبحث في تاريخ مصر الطويل ومكانة الملوك والفلاحين في كل حقبة من حقبه . ولكن بطل (الدرامة) هو النيل نفسه الذي كان السبب المباشر في الهام الكاتب الذي لا يمل مطلقاً التحدث عن عظمته وتأثيره في الحضارة . ألم يوجد النيل علم الفلك والحساب والقانون ؟ ألم يخلق استعمال النقود والبوليس ؟ أليست مصر والمصريين هبة النيل. هؤلاء المصريون الذين نجحوا في دروسهم الملقنة من اساتذة الحياة والطبيعة نجاحاً منقطع النظير «القنوات اشعارهم ، والخزانات قصصهم ، والاهرامات فلاسفتهم »

« ليس للزمن شأن عظيم في وادي النيل . فمنذ عام ٦٠٠ قبل الميلاد فكر نيخو في قنال السويس ، التي لم يتم حفرها الاّ في عصرنا هذا »

ومتحف النيل يضم صوراً فنية رائعة لا يحصرها عد ، من ضمنها صور اسكندر المقدوني وكليوباترا الخافقتين بآثار الحيوية والابداع . لقد «استقبلت مصر اسكندر المقدوني كاله» وهو في مقابل ذلك انشأ المدينة التي خلدت اسمه . وكليوباترا كما سمعنا عنها ، قد عاشت عيشة طبيعية لم تتقيد فيها بتقاليد او قوانين كغيرها من الملوك والملكات ، فهي قد توفيت عن تسع وثلاثين عاماً ، حكمت خلال عشرين منها ولم تمنعها من الاستسلام لحوافز الغرام !

«ان الطبيعة لا تجود بمثل هذه الفرص الاّ مرة كل الف عام . يأتي رجال اعظم امبراطورية الى بلادها (اي بلاد كليوباترا) ليستولوا على القمح فيجدون سحراً وجمالاً » ينسيهم ما هم آتون لاجله

وفي العصر الحديث الذي يبدأ في مصر منذ عهد نابليون، نجد محمد علي باشا مؤسس الاسرة المالكة ، وابنه ابراهيم جندي العائلة ، وحفيده اسماعيل الذي حفر قناة السويس وجدّد معالم الحضارة فيها . وقد تكلم الكاتب بعطف احترام عن اللورد كرومر وباعجاب عن عرابي وسعد زغلول زعماء النهضة المصرية : «عندما مات سعد زغلول سنة ١٩٢٧ كانت جنازته اعظم جنازة عرفت في تاريخ مصر الحديث »

وفي نهاية الكتاب ، تمنى الكاتب نجاح مصر في كفاحها الحديث وقال ان العالم كله يرقب تقدمها بعطف وتشجيع

ضياء الدين

مختارات لشعراء الترك وكتابهم المعاصرين

مترجمة باللغة الفرنسية — اصدرتها ادارة المطبوعات التركية

كتابٌ قيم جليل القدر، مونق الشكل، طبعه بهجة للعين والقلب، أخرجتهُ باللغة الفرنسية للناس ادارة الصحافة العامة بوزارة الداخلية التركية. وهو أول كتاب نشرته هذه الادارة من نوعهِ جمعت بين دفتيهِ أبدع نفثات اقلام الفحول المتقدمين من شعراء الترك وأدبائهم المعاصرين، ممن همُ في الذروة المنيفة والمكانة السامية والصيت الذائع، أعلاهم كعباً وأبرعهم ترجمةً ونقشاً لعواطف أمتهم واحساساتها، وما استخفى في حنايا ضلوعها من جائشات نفوسها

طابع خاص وعمل تحلى بميزة، فانهُ لو كان عمل كاتب من كتَّاب الاتراك او مكتبة من مكتباتها، او ناشر من ناشريها لما تعجبت منهُ، ولكن هي ادارة الصحافة التركية التي أخرجتهُ كتاباً سويًّا ذا نفع عميم. فالعمل عمل رسمي حكومي أريد بهِ المصلحة العامة والخير المشترك والكرامة القومية. دعوة للثقافة والنهضة الادبية التركية تنهض بهِ حكومة لشعبها، فمتى تنهض لمصر مصلحة الصحافة المصرية بوزارة الداخلية بأشباه هذه الجلائل؟ ومتى نبلغ مبلغ هؤلاء الناس ونحن في كفة سواء مثلهم في الكرامة والاستقلال؟

الأدب التركي اليوم نابت من دوحتين، وراجع الى نشأتين: نشأة شرقية وأخرى غربية فهو شرقي بماضيهِ وذكرياتهِ وغابر مخلفاته مما لا يقوم أدب أمة بدونهِ، وغربي بروحه ومعانيهِ ونسقهِ وفنهِ، لهذا ألفيت كتَّاب الترك المتأخرين المعاصرين قد أصبح تفكيرهم ونتاج عقولهم لا يمت بأدنى صلة الى التقاليد الشرقية، وعلى أيديهم أبرمت القطيعة واستحكمت بين هذه وذاك بل أمسوا يحسون احساساً غربيًّا بحتاً ويتأثرون بالاشياء تأثر الاوربي بها حذوك النعل بالنعل. وفي هذا الكتاب الذي بيدنا جلاء ذلك وفي منتخباته مصداق ما نقول

وكتَّاب الترك المتأخرون هم السابقون الاوائل في معالجة فنون من الادب كان الادب التركي من قُراب قرن خلواً منها، أعني القصة، والمسرحية، والرسالة العلمية. ولم تصر القصة فنًّا من الادب التركي الاَّ في أواسط القرن التاسع عشر، وولدت يومئذٍ خديجة هزيلة، وكان شأنها ضعيفاً ومنزلتها زرية، ومثلها روايات المسرح. أما الرسائل والبحوث العلمية الوجيزة فلم تقتبس الاَّ في العهد الاخير. وعلا بها وسما الكاتب الكبير منيح رفقي

وقد نسقت فنون الادب في هذه المختارات بحسب مولدها وأزمان نشأتها. فكان الشعر في المطلع منها والصدر، اذ بهِ خصوصاً حدث ذلك الانتقال من أدب الامس الى ادب اليوم. ولا غرابة في ذلك ولا بدع اذ الشعر أروج هذه الانواع وأذيع هذه الفنون

ومن عجب ان الادب التركي حتى الربع الاول من القرن التاسع عشر لم يخرج كاتباً واحداً

بليغاً ولا ناثراً ينثر سحر الفصاحة في نفثاته . لا ، لم يكن في الادب التركي الى هذا العهد ناثرون فحول، بل كان متقدمو كتّاب الترك الى يوم ذاك يكتبون نظماً وينسجون آراءهم وبحوثهم شعراً وقرضاً . أما كتّاب النثر ، أعني المؤرخين ومؤلفي المذكرات والوقائع والابحاث العلمية والفلسفية والرحلات ، فما كان النثر في نظرهم فنّاً كعدهم الشعر فنّاً . وانما اتخذوه أداة للتعبير خلت من كل قيمة فنية وعريت من حلى الفصاحة وسحر البيان . فكنت ترى الشعر عندهم في أشرف منزلة والنثر في الحضيض الأسفل . فالنثر الحقيقي ، النثر المزدان بقلائد الحسن الذي يذ يقك شهد البلاغة والبراعة فما تلألأت شموسه الاّ من قراب قرن واحد ، ولكنهُ قرن سريّ حافل ، وتاريخ أدب اليوم عند الاتراك يحوي كتّاباً ناثرين للسحر الحلال من أسلات أقلامهم، هم اقطاب أوحدون من الطبقة الاولى . وتبدأ هذه المختارات من عام ١٩٠٨ ، أي منذ ثلاثين حولاً ، غداة ثورة يوليو ، إذ نشأت طائفة من الادباء الترك عرفوا بجماعة فجر المستقبل . وتتألف هذه الجماعة من السلالة الاولى من سلالتي الادباء الذين حوى هذا الكتاب مختار بيانهم ونظيم ونثير أقلامهم . بدأوا بالشعر والقصة عملهم ، وصرموا حبل ما بينهم وبين تقاليد بلادهم صرماً لا رفق فيه، ولا معاودة معهُ ، واقتبسوا أساليب الادب الفرنسي، واستجلبوا الى الادب التركي مذاهب الادب الغربي وكان مجليهم في ذلك وفارسهم احمد حاسم ويحيى كمال

اما السلالة الثانية، السلالة الحديثة فقد سلكت سبيلاً أغرى ونهجت غير نهج من سبقوها هم أبناء الثورة ونتاجها وصناعة يدها . فهم الى عصرهم ممن سبقوهم أدنى وألصق . تعرفهم بسيماهم ، عليهم طابع هذا العصر وما انماز بهِ من متدارك آثاره ومتتابع أفاعيله وسرعة البرق في احداثه . أمثال فاروق نافذ ونظيم حكمت ونسيب فاضل واحمد قدسي . وفي رأس القصصيين الكاتب الروائي الكبير يعقوب قدري، فقد الف اثنتي عشرة رواية تسامي بها الى الذرى وجعلها في مستوى الرواية عند فحول كتاب الغرب . ومثله القصصي الشعبي الذائع الصيت رشاد نوري ، والقصصي البارع رفيق خالد

اما الرسائل فاشهر من نبغ فيها وأتى بالفلق العجيب فالح رفقي واحمد حاسم وروشن اشرف

أما المسرحيات ، فالفضل للاديب التركي احمد وفيق باشا الذي كان أول من ادخلها على الادب التركي في اواسط القرن التاسع عشر، اذ ترجم روايات موليير . وهؤلاء الادباء المتأخرون ادباء جيلنا هذا هم ايضاً الذين اجادوا تأليف الرواية التمثيلية واحلوها الصدر من فنون الادب التركي . والمشهورون اليوم هم وداد نديم ورشاد نوري وجودت قدرت

والشعراء الخناذيذ الذين اقتطف هذا الكتاب ازاهير شعرهم ، احد عشر شاعراً هم احمد حاسم ، ويحيى كمال ، وضيا جو قلب ، وكمال الدين كامي ، وفاروق نافذ ، ونظيم حكمت ، واحمد قدسي ونسيب فاضل ، وبهجت كمال ، ويسار نابي واحمد مهيب احمد ابو الخضر منسي

الاجرام السياسي

تأليف لويس بردال — نقله الى العربية حسن الجداوي — صفحاته ٣٢٦ قطع وسط

علم السياسة أو علم الدولة ، من أوثق العلوم اتصالاً بالحياة ، فهو يتناول الجماعات التي تتألف منها وحدات سياسية مستقلة ، وتنظيم حكوماتها ، وأعمال تلك الحكومة في التشريع ، والحكم ، والسيطرة على الحياة الاقتصادية والثقافية الى حدٍّ كبير ، وتوجيه العلاقات الدولية ، في السبل التي تقتضيها مصلحة الدولة . اي انهُ ينظم علاقة الفرد او الجماعة بالدولة نفسها ، تنظيمهُ لعلاقة الدولة بالدول الاخرى ، ومن أهم القواعد التي يقوم عليها ، الملاءمة بين السلطة والحرية ، فهو لا ينصرف الى العناية بالحكم والحكومة والقانون فقط ، اي بالمنشآت السياسية ، بل من اهم ما يعنى به المذاهب السياسية والآراء الفلسفية التي تقوم المذاهب عليها . فاذا نظرت اليه من الناحية التاريخية رأيتهُ يعالج نشوء الدولة وتطوُّر الحكومات ، وتقلُّب المذاهب ، واذا نظرت اليه من ناحية العصر الحاضر والمستقبل ، رأيتهُ يقابل وينقد ويرسم خطط الاصلاح ، على ضوء ما في الاحوال والآراء الادبية من تحوُّل

الاَّ ان البشر ولا سيما الحكام ، عرضة لتأثير الشهوات ، فينحرفون احياناً عن الطريق الصالح ، وسبيل الخير العام ، الى تغليب المصلحة الخاصة فيكون الاجرام السياسي . وبذلك يصبح « فن الحكم ذلك الفن النبيل العظيم وقد شوههُ وبدل محاسنهُ الكثير من مبادىء خاطئة جعلتهُ فنًّا للكذب والخداع والاضطهاد تحت ستر كاذب من العدالة الموهومة »

والمؤلف وعى تاريخ التطوُّر السياسي في جميع العصور ، فتراهُ يتنقل بينها تنقل عالم راسخ القدم حاضر البديهة واسع العلم ، فاذا مثل على رأي ساقهُ بما حدث في عصر الامبراطورية الرومانية ، تراهُ وقد انتقل الى عصور الملكيات المطلقة يستخرج منها ما يعزز الرأي او يوضحهُ ولا يحط رحالهُ هناك بل يتخطَّى العصور الى العهد الحديث مستخرجاً من الحاضر عبراً وعظات

فانت حين تقرأ هذا الكتاب ، يأخذك سحر التاريخ وقد سبقت اليك نوادرهُ ، واستولى عليك الشعور بحبّ الاصلاح اذ لا بدَّ لك ان تقول مع المؤلف : —

«ولست اجهل ان الشهوات سوف تظل تلعب دورها في شؤون السياسة . ولكن ذلك لا يمنع من ان نأمل أن نرى السياسة يوماً ما أقوم خلقاً وتهذيباً . فلقد نجح العقل الانساني في التخلص من الرق والاستعباد ومن امتيازات الملوك واستبدادهم . فلماذا لا ينجح في أن يجعل السياسة اكثر اعتدالاً وإخلاصاً ، وأقرب إلى العدل والانسانية ؟ »

علم الامراض الباطنة

الجزء الثالث : امراض جهاز التنفس : للدكتور حسني سبح

استاذ الامراض العصبية والباطنة وسريرياتها في المعهد الطبي العربي بدمشق
طبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٥٦ — ١٩٣٧

سبق لي ان نقدت كتاباً او اكثر غير هذا الكتاب من مؤلفات المعهد الطبي العربي بدمشق وهذا كتاب آخر لا يقل عما سبقهُ في جودة التأليف والطبع . ولا يسعني هنا الاَّ الاقتصار على نقد المصطلحات الطبية فلا اجاوزها الى غيرها . والكتاب فيهِ الاصطلاح العربي ومعهُ الاصطلاح الفرنسي وجميع الاصطلاحات التي فيهِ حسنة جدًّا شأن غيرها من مصطلحات المعهد . ويظهر ان المؤلف احد الذين اختارهم الله لتوحيد المصطلحات الطبية في اللغة العربية وانما استميحهُ في مخالفته في بعضها وهي قليلة جدًّا اي الذي اخالفه فيهِ قليل . ومنها ما يأتي :

قال في ص ٩٤٤ « تثبت المواد الدهنية » واظن الصواب المواد الشحمية كما قال في الجزء الاول ص ٨٧١ ولعله تبع هذه المرة ما جاءَ في مجلة المجمع اللغوي ولا يخفى ان المجلة قسمان القسم الرسمي وفيهِ القواعد وقرارات المجمع وهذا لا غبار عليهِ وقسم آخر فيهِ مصطلحات علم الاحياء . وان معظم الناس يأخذون كل شيء في المجلة كانهُ صادر من المجمع والامر ليس كذلك . فعلم الاحياء عرضهُ المجمع على الجمهور لنقده كما جاءَ في المادة ٧ ص ٣٥ وقد نقدته في السنة الماضية في المقتطف ص ٥٤ وص ١٠٤ . وبينت كذلك ان اقوال اللجنة مخالفة لما جاءَ في القرآن الكريم في الدهن والشحم وان الدهن بهذا المعنى من كلام العامة في مصر والشام وان اهل العراق افصح بهذا المعنى وايضاحاً لذلك اقول · ان الدهن في القرآن الكريم على ما فسره لي السيد معروف الرصافي معناه الزيت او دهن الزيتون وان للشحم انواعاً شحم الالية (الليّة) وشحم البدن وهو المعروف عند عامة اهل الشام ومصر بالدهن وشحم الامعاء وهو المعروف عند بعض العامة بالشحم . فاللحم الابيض كله شحم بالعربية اينما كان فراجع ما كتبته في المقتطف

ومن الالفاظ القليلة التي اخالفهُ فيها كلمة افرنجي واظن كلمتي خُلاق وحَلَـق احسن ولاسيما الثانية وهي عامية سودانية وشائعة كثيراً في السودان فاهل السودان عرب صميم وهم يقولون فلان محلَّق أي مصاب بالحلق ويحتمل انها واردة في شعر امرىء القيس ولكنني لا اذكر البيت تماماً . وقد كان امرؤُ القيس مصاباً بهذا الداء بدليل قوله « يعاودني الداء القديم الذي بيا » وعلى كل فنحن في غنى عن كلمة قد يتعض منها بعض الاقوام

وفي ما سوى ذلك فالمصطلحات حسنة جدًّا ولولا الدُهن والشحم لكنت مع المؤلف ومع المعهد الطبي على صلح دائم تام

مصر الجديدة امين المعلوف

نسمات الربيع

ديوان شعر . لصالح الحامد العلوي الحضرمي

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة سنة ١٩٣٦

مؤلف هذا الديوان يستحق منا ومن المقتطف الوقوف طويلاً امام ديوانه . لانهُ يكاد يكون الشاعر الوحيد في جزيرة العرب في عصرنا الحديث الذي استطاع ان يخرج لقراء العربية شعراً يستحق ان يكون موطن قراءة وموضع بحث . وعجيب جدًّا ان يكون هذا شأن شبه جزيرة العرب معنا في هذه الايام وقد عوَّدتنا في الزمن القديم ان تخرج لنا من الشعراء الفحول أمثال امرىءِ القيس والنابغة وزهير وطرفة في الجاهلية . وحسان وابن ابي ربيعة في الاسلام

وشاعر حضرموت شاب كما يلوح من صورته في الكتاب . وكما يبدو من شعره في قوله

غالب همومك ما استطعـ ت فانما الدنيا غلاب

واغنم شبابك في الحيا ة فما الحياة سوى الشباب

وهو لهذا يحث على اغتنام فرصة الشباب قبل ان يفجأ المشيب . ويدعو الى الفرح ونبذ النواح ومن هذا نستطيع ان نتصوره شاعراً مرحاً فرح النفس مبتسماً للحياة

استفق واغنم الصبا قبل ان يفـ جأك الشيب مؤذناً برواحك

قم تملَّ الحياة واملأ غناءً جوَّ روض ملآنة من نواحك

هناك ناحية مهمة تعنينا من هذا الديوان وهي الناحية الشرقية . فالشاعر شرقيٌّ قبل ان يكون عربيًّا . تراه دائماً يضرب على هذا الوتر في معظم قصائده . فاذا رثى لا يبكي لان البكاء شأن الضعيف المغلوب على امره . وانما يثير في السامعين الحماسة ويذكرهم — لو نفعت الذكرى — بمجد آبائهم وماضي اجدادهم . ويلومهم ويسرف في لومهم ويقول :

أفاق الشرق بعد النوم دهراً فقام الصين وانتفض الهنود

وثارت للعـلا أممٌ وهبت تجمّع شملها حتى اليهود

ولا يبالي في البيت الثاني ان يغضب اليهود كأنَّ اجتماع الشمل كثير عليهم . . . . وهو شرقيٌّ ايضاً حين يدعو الى الحذر من مدنية الغرب الكاذبة وزخرفها الباطلة وينتهز لذلك مناسبة في رثائه لابيه فيقول

وحذار لا تغرركمو مدنية للغرب خادعة كلمع الآل

وليس معنى ذلك انهُ جامد قديم وانما هو متوثب الروح جديد النزعة حيث يقول

حتى متى ادعو واندب معشراً ألف الجمود فلا يحول بحال

عبثاً اهيب ولا مجيب كأنني صبٌّ يخاطب ميت الاطلال

ولقد بلغ من توثب روحه وتوقد عزمته انهُ ملّ ثرثرة الثرثارين واخذ يبحث ويفتش عن الرجل الفعّـال لا القوّال فيقول

يا دولة الاعمال هل لك صولة انا سئمنا دولة الاقوال
كثر المقال ولا فعال فهل لنا في قومنا من قائد فعّـال ؟ ؟

ولا نعدو الحق اذا سمينا شاعر الجزيرة بشاعر الاعياد . فهو لا يترك عيداً يمر من غير أن ينظم فيهِ قصيدة . وروحه في «العيديات» هي هي روحه الشرقية العربية فهو يدعو الى الجهاد ويستحث قومه الى العلا . ويفيقهم من سباتهم العميق . ويقرعهم على توانيهم بقوله

فما لشعوب الارض هبت الى العلا خفافاً ولا نزداد الاّ توانيا

ولشاعرنا اسلوب يبشر بمستقبل عظيم فهو سهل كما يرى القارىء مما عرضناه سابقاً . وهو واسع الحفظ مما جعل معاني الشعراء السابقين تتوارد على ذهنه فيصوغها في قالبه اسمعهُ يقول :

تعطلت كل اللغى بيننا واستبدلت عنها لغات العيون

أليس هذا بعينهِ معنى شوقي في بيتهِ المشهور :

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت عينيّ في لغة الهوى عيناك

واسمعهُ مرة اخرى يقول :

بذل النفيس لها وجاد بنفسه هل للعلا فوق النفوس مهور

أليس ذلك مأخوذاً من قول القائل :

يجود بالنفس ان ضنّ البخيل بها والجود بالنفس اقصى غاية الجود

وهو يضحك تجلداً منهُ امام الايام حتى لا تشمت بهِ فيقول :

حاربتني ايام دهري فضحكي حذرٌ من شماتة الايام !

أليس هذا التجلد امام الايام هو بعينه التجلد امام الشامتين الذي يقول فيهِ الشاعر الجاهلي

وتجلدي للشامتين اريهم اني لريب الدهر لا اتضعضع

ولم يسلم شعره من الضعف احياناً . ولا شك انك تحس معي الضعف في هذا البيت يصف فتاة في فستان اصفر

لصق الفستان بها فغدا كخضاب في البدن الازهر

وما سمعنا بخضاب في مثل هذا اللون الفاقع ! . واسمعه يقول :

محالٌ ان يشاد خراب شعب غراب الجهل عشش في ذراه

والخراب لا يشاد وانما الخراب يعمَّر . والبيت يشاد

ويقول مخاطباً القمر

تلوح وتخفى خلال الغصون فهل كنت جاسوس سر البشر

وكلمة « سر » هنا حشو لا فائدة منهُ لان التجسس لا يكون الاَّ على الاسرار . وقد وقع قبل شاعرنا شاعر في مثل هذا الحشو فقال

ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس والوصبُ

والرأس هنا حشو لان الصداع لا يكون الاَّ في الرأس ! !

وبعد : فان مصر ترحب بهذا الشعر الذي طال عهدها وعهد العالم العربي على سماع مثله . ونرجو ان تتيح الفرصة لشعراء الجزيرة الساكتين ان يطلقوا الألسن من عقالها . ويفكوا طبيعة الشعر فيهم من أغلالها . حتى نسمع من شعرهم العَجَبْ . (ويعود لنا من كثيرة الطرب)

المنصورة محمد عبد الغني حسن
مدرس بالمنصورة الثانوية

مجلة جمعية محبي الفن القبطي

المجلد الثالث سنة ١٩٣٧ — مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة

أخرجت جمعية محبي الفن القبطي المجلد الثالث من مجلتها السنوية وهو يحتوي على الابحاث التاريخية والمحاضرات العلمية وغيرها من الدراسات المستفيضة التي القاها اعضاؤها خلال هذا العام ومن المقالات النفيسة لهذا العدد :

دير أبو ليفة السكائن بجبل قتراني بشمالي إقليم الفيوم للاستاذ هنري مونيه — نصب قبطي من سرنة دمشير عثر عليهِ بالقرب من البويط للمستر انجلباك من امناء المتحف المصري — بعض كؤوس بلُّورية من العصر المسيحي للاستاذ جاكوب ميوزر — الفن السوري والفن القبطي وهي نص المحاضرة التي ألقاها الدكتور ايتن دريوتون مدير الآثار المصرية — القديس يوليوس الاقفهسي كاتب سير الشهيد واعماله بمناسبة وجود الايقونة المحفوظة له في كنيسة أبي سيفين بمصر العتيقة للدكتور توجوميلا — النحت والتصوير في الفن القبطي للمستر كوستيجان — كنيسة القديس سابان واستشهاد القديس مرقس في اسكندرية للاب يوليوس فيشر

وقد نشرت الابحاث المذكورة باللغتين الانجليزية او الفرنسية . أما المقالة الوحيدة التي نشرت باللغة العربية فهي محاضرة الدكتور زكي محمد حسن امين دار الآثار العربية في « بعض التأثيرات القبطية في الفنون الاسلامية » . وقد حلل فيها جميع العناصر التي اقتبستها الفنون الاسلامية من سابقتها القبطية وزودها بأدلة واضحة من الآثار والنقوش

وبجانب تلك المجموعة الفخمة من الابحاث التاريخية الفنية النادرة عرض الاستاذ مونيه أهم كتب تاريخ الفن والآثار التي ظهرت في عام ١٩٣٧ . وجمعية محبي الفن القبطي واعضاؤها يستحقون تهنئة جميع المشتغلين بالآثار والفنون في العالم

عبد الرحمن

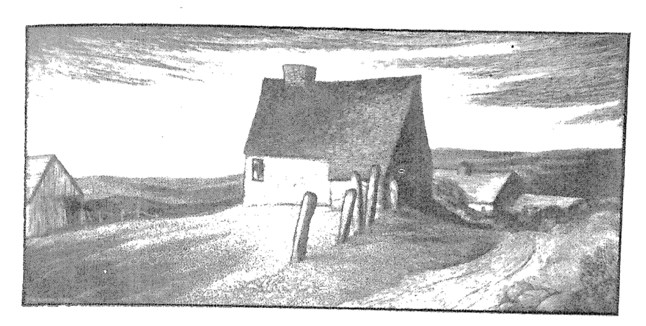
فهرس الجزء الرابع

من المجلد الحادي والتسعين

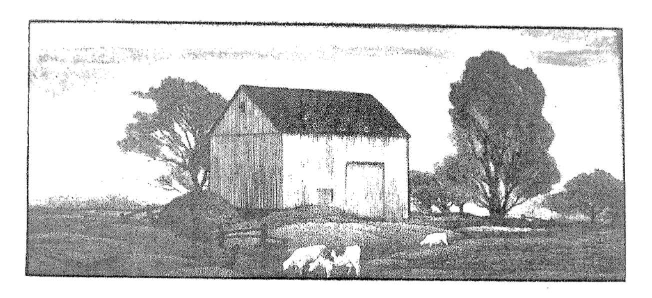
صفحة

فن الحفر في الخشب والنحاس

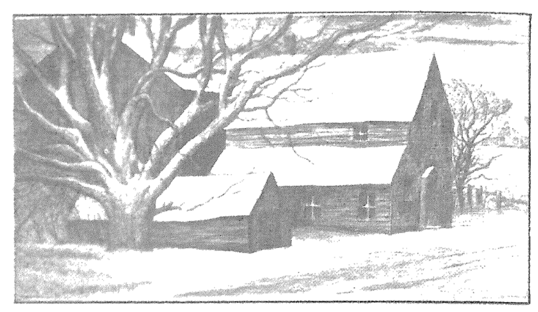
خمس قطع مختارة من آثار
الفنان الاميركي توماس
نايسن Thomas W. Nason



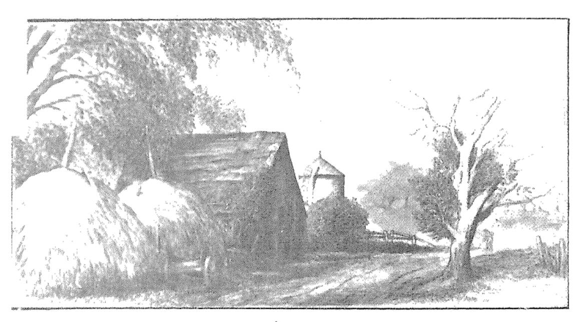
مزرعة
(حفر في الخشب)



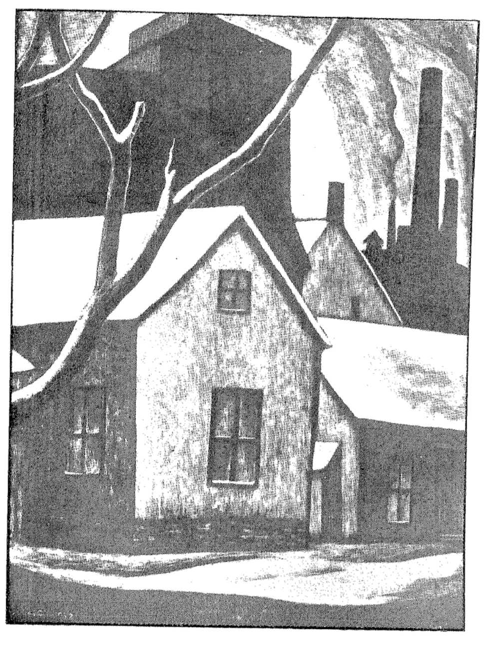
ريح الشرق
(حفر في الخشب)



الثلج المبكر
(حفر في النحاس)



طريق الحقل
(حفر في النحاس)



قرية صناعية
(حفر في الخشب)

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الحادي والتسعين

١ دسمبر سنة ١٩٣٧ — ٢٨ رمضان سنة ١٣٥٦

مدى الحياة

أينفذ العلم الى أسرار التعمير ؟

واذا الشيخ قال أفٍّ فما ملَّ حياة وانما الضعف ملاَّ
آلة العيش صحة وشباب فاذا ولّيا عن المرء ولّى

ألا ليت الشباب يعود يوماً فاخبرهُ بما فعل المشيب

كذلك يتغنى الشعراء ! اما العلماء فيقولون ، بلسان هولدين J. B. S. Haldane الاحيائي الانكليزي انهُ « اذا استطاع الانسان ان يسيطر على عوامل التطوُّر ويوجّهها الى الجهة المطلوبة نشأ بعد اقل من مليون سنة ، انسان ، يعيش الف سنة او اكثر لا يعاني في خلالها دقيقة من المرض، يفكر كنيوتن[١] ويكتب كراسين[٢] ويصوّر كفرا انجليكو[٣] ويؤلف الالحان كباخ[٤] ويتنزه عن البغض كالقديس فرنسيس الاسيزي[٥] ويقابل الموت كالكابتن اوتس[٦] ويعيش كلّ دقيقة بحماسة العاشق او المكتشف »

(١) نيوتن العالم الانكليزي العظيم مكتشف نواميس الحركة والجاذبية (٢) شاعر فرنسي بليغ (٣) مصور ايطالي عظيم (٤) موسيقي الماني (٥) قديس ايطالي (٦) رائد انكليزي كان في بعثة الكابتن سكوت التي بلغت القطب الجنوبي سنة ١٩١١

صورة عجيبة نتوقعها من شاعر لا من عالم مجرّب . ولكن المباحث التي يقوم بها العلماء الآن متحرين اسباب التعمير واسرارهُ قد تكون نواة ناحية يسيرة، من نواحي السيطرة على التطوّر الانساني الذي يقول بهِ هولدين ، ونعني ناحية مدى العمر

الحياة والعوارض

بحث الانسان خلال جميع العصور عن سرّ التعمير . بحث عنهُ في الطعام الذي يأكل، وطوالع النجوم ، وخواص الاعشاب ، واشعة الشمس والقمر . ثمَّ لما نهضت علوم الأحياء من عقالها ونفذ العلماء الى نواحٍ من خفايا الحياة في الخلية ، لقي الانسان في هذه البحوث ما يشجعهُ على الاعتقاد بان مدى الحياة غير محدود بقول صاحب المزامير [١] . ثم دخل البحث المختبرات العلمية فحلَّ الكيمياويون والفسيولوجيون وعلماء الغدد الصم محلَّ الفلاسفة والمنجمين وكيمياويي العصور القديمة

وإذا شبهت الحياة بالشمعة المضيئة ، فكلتاهما معرضة للانطفاء ، بنفاد الطاقة الكامنة فيها ، أو بفعل عارض يطرأ عليها . والعوارض التي يتعرَّض لها جسم الانسان تتباين من الاصطدام بسيَّارة الى الاصطدام بميكروب . فاذا صدمت سيارة مغذة طفلاً وقتلتهُ قلنا ان سبب الوفاة عارضٌ Accident ولكن اذا نجا الطفل من صدمة السيارة ثم أُصيب بالدفتيريا ومات مختنقاً بها قلنا أن سببَ الوفاة الاصابة بالدفتيريا . مع إن الاصطدام بالميكروب لا يختلف نوعاً عن الاصطدام بالسيارة . كلاهما من الاسباب الخارجية التي تطرأ على الجسم ، وقد تطفئ شعلة الحياة فيه .وعليهِ يصحُّ ان نقول ان جميع الامراض المعدية ، سواء أمن ميكروب نشأت أم من ڤيروس [٢] ، تحسب في طبقة الحوادث العارضة التي تصيب الانسان

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد أن الاستاذ ريموند پرل — وهو أحد الاحيائيين الاميركيين — قضى سنوات في جامعة جونز هبكنز وهو يدرس التعمير في الانسان من الناحية الاحصائية ، وذلك باحصاء الاعضاء المصابة في المتوفين ، واسباب اصابتها. وفي احد احصاءاته

---

(١) المزمور التسعون : والآية — ايام سنينا سبعون سنة وان كانت مع القوة فثمانون سنة

(٢) الفيروس : لفظ يطلق على نوع من السموم التي تحدث الامراض ولم يعرف لها قوام بعد

قسم اعضاء الجسم قسمين عامين احدهما يشمل الاعضاء المعرضة للتأثر تأثراً مباشراً بالبيئة الخارجية وثانيهما يشمل الاعضاء التي لا تتصل بالعالم الخارجي عادة كالقلب واوعية الدم . وعلى هذا الاساس بوّب ما يعرف عن نحوستة ملايين وفاة حدثت في اميركا بين سنتي ١٩٢٣ — ١٩٢٧ فوجد ان أمراض الطائفة الاولى من الاعضاء سببت معظم الوفيات في الذين عمرهم يختلف من ٢٠ إلى ٢٤ سنة ، وسببت معظمها كذلك ولكن بدرجة اقل ، في جميع الوفيات الى سن الخامسة والاربعين

اما اصابات اعضاء الطائفة الثانية فكانت سبب معظم الوفيات في الذين كان عمرهم يربي على الستين ولا سيما في الذين بلغوا التسعين او تخطوها . وقد يقول القارىء ان وفيات الذين تجاوزوا التسعين قليلة لا تصلح اساساً للاحصاء ولكن الواقع ان عدد المتوفين من الذي كانوا في التسعين او تجاوزوها — في هذا الجدول — بلغ ٨٥،٠٣٩ وهو اساس احصائي لا بأس به

والرأي الذي خرج بهِ من هذه الاحصاءات ، ان الشبان والشابات الذين بين العشرين والثلاثين من العمر الى سن الخامسة والاربعين ماتوا على الاكثر بما اصاب أعضاءهم المعرّضة للخارج من طوارىء كالاصطدام بعيكروبات او سيارات او ما اليها . اما المتقدمون في السن ، الذين تغلبوا على هذه الطوارىء ، إما لقوة بنيتهم او مناعتهم واما لحسن حظهم ، فقد قضوا اخيراً بالضعف والخور اللذين أصابا اعضاءها الداخلية

فالبحث الحديث في اسرار التعمير ، يتجه الى فهم هذا الضعف الذي يصيب الاعضاء الداخلية فتضحي عاجزة عن المضي ، كما تطفأ الشمعة عند ما ينفد شحمها . هل هذا العجز من مقتضيات الحياة ، لا سبيل الى درئهِ وفقاً لناموس « الحركة الحرارية » الثاني ؟ او هو عارض ، ناشىء عن احوال يمكن اجتنابها وان النسيج الحيّ يستمرُّ حيًّا الى مدى بعيد لولا طرؤ بعض العوامل عليهِ

من الطبيعي ان تكون التجارب التي تجرّب في معاهد العلم ، مقتصرة على الحيوانات كالارانب والجرذان والسمك وذباب الفاكهة وبراغيث الماء وثمار نبات الصنطاوي وغيرها ، وذلك لان التجربة بالانسان في ما يتعلق بشعلة الحياة ، مما يحظره الاجتماع الآن ، ولان التجربة بالحيوانات والنباتات ، أقرب خضوعاً لقواعد البحث العلمي وحدوده من الانسان

التعمير والوراثة

من المسلَّم به من قديم ان في الجسم نزعة وراثية الى التعمير. والاحصاءات الخاصة بالوفيات تؤيده . فبحث تاريخ المعمرين يسفر عن ان والديهم وأجدادهم كانوا كذلك على الغالب وشركات التأمين تقيم لهذا الاعتبار وزناً كبيراً . والتجارب العلمية تدل على ان القدرة على التعمير ، يناولها الآباء الى الابناء بدقة رياضية تكاد تشبه في قاعدتها وراثة الصفات الوراثية المختلفة

وقد اثبت الدكتور پرل هذه الحقيقة بسلسلة من التجارب اجراها على ذباب الفاكهة . بدأ التجربة بزوج مختار من الذباب ، ثم تتبع ذريتهما وذرية ذريتهما اجيالاً متعاقبة في ادوار حياتها المختلفة من الولادة الى الوفاة . فكان كلما خرج جيل جديد من الذباب من دور الدعموص (وهو يقابل الولادة في الانسان) يدوّن التاريخ وينقل الجيل الجديد الى زجاجة جديدة نظيفة تحتوي على غذاء صالح وافرٍ قوامهُ الموز المهروث . اما أحوال الهواء والرطوبة والحرارة فيها فعلى خير ما يتمنى هذا الذباب. ثم كان بعد ذلك يتركها وشأنها ، ولكنهُ يسهر على مراقبتها حتى يعرف متى تموت . فبعضها كان يموت في شرخ الصبا، وبعضها في متوسط العمر وبعضها يعمر . ووجد كذلك ان اليوم في عمرها يقابل السنة في عمر الانسان بوجهٍ عام. فالذبابة التي في اليوم الاربعين من عمرها تقابل الانسان في السنة الاربعين من عمره ، في نضج التركيب . اما الذبابة التي بلغت اليوم التسعين من عمرها ، فهي ذبابة شيخة ضعيفة . وقلّ منها ما يبلغ هذا العمر

بين ألوف الذباب الذي تناولهُ الاستاذ پرل في بحثه ، بعض ذبابات تتصف بصفات خاصة في تركيبها الجسماني ، تعرف عند علماءِ الاحياءِ بالتحوُّلات الفجائية Mutations واحدى هذه الصفات قصر في الاجنحة . ولاحظ علماء الوراثة أن الذبابات المتصفة بهذه الصفة ، أضعف بنية من الذباب السوي ، ومعدّل الوفاة بينها أعلى منهُ بين الذباب السوي . ثم تلا ذلك درس پرل الاحصائي فأثبت ان هذه الذبابات أقصر حياة من الذباب السوي نحو الثلث او اقلّ قليلاً

وكانت الخطوة التالية في هذه التجربة ، ان يؤخذ من الذباب ذكر سويّ ويزاوج بذبابة متصفة بقصر الاجنحة . فكان من ذريتهما ذباب قصير العمر، وذباب طول عمرهِ سويّ ، وكانت النسبة مما يدلّ على ان طول العمر صفة تورث طبقاً لقاعدة الوراثة المندلية (نسبة الى مندل Mendel) . ثم والى هذه التجارب ونوّعها فأثبت ان ترتيب عوامل الوراثة في البيضة ، لا يتحكم في صفاتها المتوارثة فقط بل وفي طول عمرها كذلك

التعمير وبرد الجسم

وكان قد سبق هذه التجارب ضرب آخر من البحث قام بهِ العلاّمة جاك لوب Loeb وجون نورثروب في معهد ركفلر الطبي . ذلك انهما كانا معنيين بمعرفة اثر الحرارة في مدى الحياة . فاخذا كمية بيض حديث من بيض ذباب الفاكهة . وقسماها طوائف وضعا كلّ طائفة في زجاجة سدّاها بقطنٍ . واتخذا كل وسيلة ممكنة لوقاية هذا البيض من العدوى ، بتعقيم البيض والزجاجات والغذاءِ الذي فيها . ووضعت هذه الزجاجات في احوال متماثلة كل التماثل الاَّ في درجة الحرارة التي عرضت لها . فوضعت كل زجاجة منها في مستنبت تختلف حرارتهُ ، عن حرارة الآخر ، ثم جعل الباحثان يراقبانها مدى حياتها . وكانت النتيجة ان الذبابات التي كانت في مستنبت حرارتهُ ٣١ درجة مئوية عاشت ٢١ يوماً والذبابات التي كانت في مستنبت حرارتهُ ٢٠ درجة مئوية عاشت ٥٤ يوماً والذبابات التي كانت في مستنبت حرارتهُ ١٠ درجات مئوية عاشت ١٧٧ يوماً

اي انهُ كلما برد الجوّ الذي تعيش فيهِ الذبابات طال مدى عمرها . ولا يخفى ان الكيمياوي يعتمد على الحرارة في تعجيل التفاعلات الكيمياوية ، فيلوح اذن ، ان ازدياد الحرارة في حياة الذباب يعجّل التفاعلات الكيمياوية في جسمها ويقصر في عمرها

وقد كتب العلامة لوب على اثر هذه التجارب انهُ لو كان في الامكان نقص حرارة الجسم الانساني السوية من ٣٧٫٥ مئوية الى ١٦ درجة مئوية لماثل الانسان متوشالح في مدى حياتهِ . وانهُ لو كان في الامكان حفظ حرارة دم الانسان على درجة ٧٫٥ مئوية لزاد مدى عمرهِ ، على هذا الاساس سبعة وعشرين ضعفاً اي لزاد من ٧٠ سنة في المتوسط الى نحو ١٩٠٠ سنة

من المتعذر ان نتصور الانسان مضحياً بالراحة والنشاط ، مقبلاً على الاستكنان — وهو ما يقتضيهِ برد الجسم والدم — في سبيل اطالة العمر . حتى ولو كان ذلك مقبولاً عنهُ بعض الناس ، لتعذر لان الانسان يختلف عن الحيوانات الباردة الدم ، في انهُ يحتفظ بحرارة جسمه مستقلة عن حرارة بيئته ، اي ان حرارة جسمهِ السوية لا تهبط في بيئةٍ باردة ولا ترتفع في بيئةٍ حارّة . وسواءٌ في البلدان الاستوائية عاش ام في المناطق القطبية فحرارة جسمهِ تبقى نحو ٣٧ درجة مئوية

وقد عني الدكتور الكسيس كاريل بهذا الموضوع ، في محاضرة القاها في اكادمية نيويورك الطبية فقال انهُ في الامكان وضع الحيوانات في حجرة باردة فتبطئ أفعال الجسم الحيوية ، ثم تُرَدّ

هذه الحيوانات الى حياتها السوية ، وكذلك تتوالى فترات التبريد والحياة السوية بحيث يصبح في الامكان ان يمدَّ مدى حياتها . ولكن الدكتور كاريل لم يوضح هل يدخل الانسان في الحيوانات التي اشار اليها أم لا . إلاَّ ان الحرارة ليس الاَّ عاملاً واحداً من عوامل البيئة المتقلبة

مدى الحياة والازدحام

ولكن ماذا يحدث للذباب اذا عاش جماعات مزدحمة في نطاق ضيق ؟ اتجه الدكتور پرل في الرد على هذا السؤال الى التجربة ايضاً . اخذ عدداً من الزجاجات من حجم معين ، فوضع فيها غذاء مناسباً ، ثم زجَّ فيها طوائف من الذباب ، مختلفة العدد. ففي طائفة من هذه الزجاجات، وضع في كل زجاجة ذبابتين . وفي طائفة اخرى وضع في كل زجاجة خمس ذبابات . وكذلك مضى في زيادة عدد الذبابات في الزجاجات الواحدة ، متدرجاً من ذبابتين الى خمسمائة ذبابة . وكان كل هذا الذباب من عمر واحد ومن طراز سويّ . فهل كان مدى حياتها جميعاً في جميع الزجاجات واحداً ؟ كلاَّ

إن الزجاجات التي كانت تحتوي كل منها على مائتي ذبابة ، فقدت نصف ذبابها موتاً بعد سبعة أيام . وأما الزجاجات التي كانت كل زجاجة منها تحتوي على ٣٥ ذبابة فلم تفقد نصفها موتاً إلاَّ بعد خمسة واربعين يوماً . اذن ما هو عامل التمييز هذا ، الذي تؤثر الحرارة والازدحام فيه ؟ هل هو قدر مخزون من الحيوية يولد في الجسم

اخذ الدكتور پرل طائفة من الذباب حديث الولادة ، ووضعها في زجاجات لاغذاء فيها ، اي انهُ علَّق مدى حياتها على حيويتها التي فطرت عليها . فكان متوسط حياتها اربع واربعين ساعة . ثم اعاد التجربة نفسها ، منوعاً في عدد الذبابات التي في الزجاجات المختلفة . فلم يؤثر الازدحام او قلتهُ في مدى حياتها ، لان متوسط مدى حياتها كان اربع واربعين ساعة كذلك . ثم أخذ ذبابات من المتصفة بقصر الاجنحة وضعف البنية وقصر العمر ووضعها في زجاجة لاغذاء فيها ، ثم أخذ ذبابات اخرى من الطراز السويّ اجنحةً وطول عمرٍ ، ووضعها في زجاجة أخرى لاغذاء فيها ، ولكن قوة البنية وطول العمر الموروثين ، في هذه وفي تلك ، لم يؤثرا في مدى الحياة ، لانها ماتت جميعاً في نحو اربع وأربعين ساعة . وهذا الجزء الاخير من التجربة ، يدلُّ ان الحيوية الموروثة ، ليس بالعامل الاساسي الوحيد في مدى العمر ، والاَّ لو كانت الحال كذلك ، لكان مدى عمر الذبابات السوية أطول من مدى عمر الذبابات الاخرى

سرعة التفاعلات الحيوية

وقد عولجت هذه المشكلة ذاتها بتجارب اجريت على بذور ثمار الصنطاوي . فقد أخذت طائفة مختارة من بذور هذا الثمر ، من ثمرة واحدة ووزنت واحدة واحدة حتى تتساوى من حيث مقدار الغذاء المطوي في كل بذرة ثم تركت حتى تمتصّ ما تستطيعهُ من الرطوبة مدَّة ثلاثة ايام . ثم وضعت كل بذرة على طبقة من هلام « الاجار » في انبوب من الزجاج ، ثم أدخلت الانابيب في مستنبت حرارتهُ ٢٠ درجة مئوية واقفل المستنبت حتى لا يتصل بهذه البذور اي طاقة من الضوء المستطير او الواقع عليهِ . ولا يخفى ان هلام الاجار ليس مغذياً وانما استعمل ليكون بمنزلة فراش لين تنشب فيهِ جذور النبات . ثم تبدأ البذور في الانتاش فيمتد منها جذر الى تحت وتفرخ جذعاً يطلع في الهواء ، وتمضي نامية نموًّا سويًّا بضعة ايام فيرتفع جذعها حاملاً فلقتي البذرة ويتفرع جذرها حتى تبلغ اقصى درجة النمو ، ثم تقف عن النمو وتبقى بضعة ايام لا تتغير حالها . في خلاياها دبيب الحياة وافعالها الحيوية سائرة على ما تتوقع ولكنها لا تزداد حجماً ولا فروعاً فكأنها في حالة استكنان

فحالة النبتة في دور النماء ودور الاستكنان ، مستقلة من الوجهة الغذائية ، عن البيئة . فهي كذباب الفاكهة في تجربة التجويع ، تعيش على ما هو منطوٍ في البذرة من الغذاء . ثم تبدأ فلقتا البذرة في الذواء عند ما يبدأ الغذاء المخزون في النفاد ثم يحلُّ يوم يضحي فيهِ ما بقي من هذا الغذاء غير كافٍ لافعال الحياة في دور الاستكنان ، على قلتها وضعفها ، ثم تذوي الجذوع وتشرع النبتة تموت

بعض هذه النباتات يموت قبل غيره ، ولكن العجيب ان البحث اثبت ، ان مدى الحياة كان مرتبطاً فيها جميعاً بدور النماء . فاذا كان دور النماء طويلاً كانت مدة الاستكنان اطول من المتوسط وإذا كان دور النماء قصيراً اسرعت النبتة على طريق الموت. فكأنها مثل بليغ على نتيجة التبذير في ما تغدقهُ الحياة علينا من الهبات

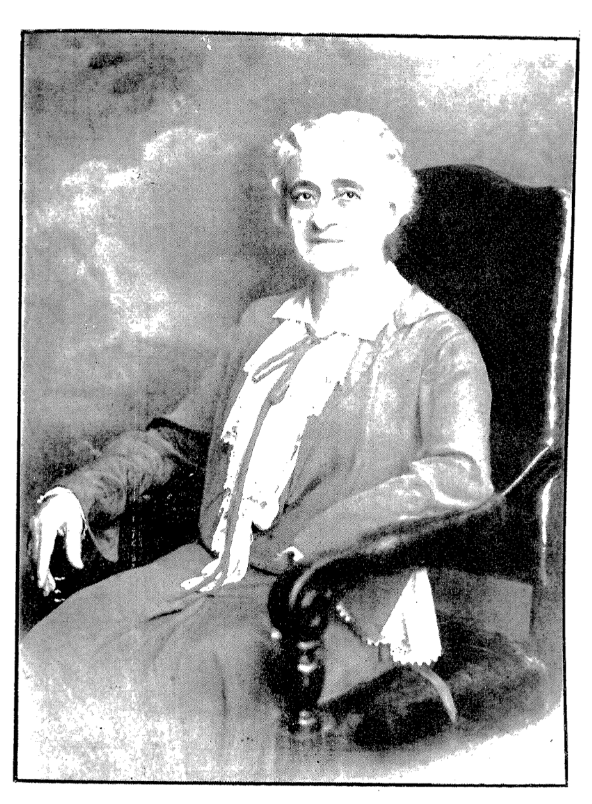
هذه الصلة بين مدى الحياة وطول دور النماء يمكن ان تقاس بطريق آخر ، وهو مقدار ما تطلقه النباتات في الفضاء من ثاني اكسيد الكربون ، لان هذا الغاز دليل على درجة نشاط الحياة . فمن هذه البذور ما عاش ١٤ يوماً وأخرى ١٥ يوماً واخرى ١٦ يوماً . ومن ابدع ما قرأناه

عن هذه التجربة ان القائمين بها استنبطوا أسلوباً دقيقاً كل الدقة لقياس ما تطلقهُ هذه النباتات الصغيرة يوماً يوماً من ثاني اكسيد الكربون . ثم حسب متوسط ما تطلقهُ هذه النباتات كل يوم من هذا الغاز وجعل مقياساً رمز اليهِ بالرقم ١٠٠ ثم قوبل ما تطلقهُ النباتات التي عاشت ١٤ يوماً فاذا هو ١٠٤ وما تطلقهُ النباتات التي عاشت ١٥ يوماً فاذا هو ١٠٢ وما تطلقهُ النباتات التي عاشت ١٦ يوماً فاذا هو ٨١. اي ان النباتات التي لم تكن فيها افعال الحياة نشيطة كل النشاط (بدليل ان ما اطلقتهُ من ثاني اكسيد الكربون كان ٨١ في المائة) كانت اطولها عمراً

تعمير الاناث والذكور

والاناث اطول عمراً في المتوسط من الذكور . والرأي الغالب ان سبب ذلك ان نشاط الذكور اعظم من نشاط الاناث بوجهٍ عام . والتجربة التي افضت الى هذه النتيجة لا تقل براعة ودقة عن التجارب التي تقدم ذكرها . وقد اجراها باحثان من بحّاث جامعة تورنتو بكندا على حشرات تعرف باسم براغيث الماءِ وهي ليست ببراغيث بل هي نوع من الحيوانات العضلية تدعى « دفنيا » . اخذ هذان الباحثان عدد نبضات القلب مقياساً للنشاط الحيوي في الجسم فوجدا ان الذكور تعيش في المتوسط ٣٧٫٨ اليوم ومتوسط نبضات قلبها ٤٫٣ في الثانية حالة ان الاناث تعيش ٤٣٫٣٣ من اليوم في المتوسط ومتوسط نبضات قلبها يبلغ ٣٫٧ في الثانية . فاذا ضربت عدد الايام في عدد النبضات ثبت لك ان الوفاة تدرك الاناث والذكور بعد ان ينبض قلب كلّ منها عدداً متقارباً من النبضات (الذكور: ٤ر٣ × ٣٧ر٨ = ١٦٢ر٥٤ — الاناث: ٣ر٧ × ٤٣ر٣٣ = ١٦٠ر٣٢١) وحاصل الضرب ليس عدد النبضات التي ينبضها القلب مدى ايام الحياة ، لاننا حذفنا من عملية الضرب عدد الثواني في الدقيقة وعدد الدقائق في الساعة وعدد الساعات في اليوم ، ولما كان هذا العامل واحداً في العمليتين ، فحذفهُ لا يغيّـر النتيجة النهائية

الا ان عدد نبضات القلب ليس الدليل الوحيد على نشاط فعل التمثيل (Metabolism) في الجسم . ذلك ان مقدار ما يطلقهُ الجسم من ثاني اوكسيد الكربون مقياس آخر وقد تقدمت الاشارة اليهِ . ومقدار ما يستهلكه من الاوكسجين مقياس ثالث. ومقدار ما يستهلكه من الغذاءِ مقياس رابع — وهذا المقياس الاخير يهمنا بوجهٍ خاص لان لهُ صلة عملية بحياتنا اليومية. ولكن بحثهُ لا يتسع لهُ نطاق هذا المقال . فوعدنا بهِ في عدد تالٍ (مجلة هاربرز)



المغفور لها السيدة الجليلة ياقوت صرّوف

ياقوت صروف

لخليل ثابت بك

وكذلك يشاء القضاء أن يفقر الدنيا ليغني الآخرة بانتقال الارواح الكريمة والنفوس النفيسة والدرر الغالية فلا يبقى منها هنا سوى حديث فضلها وذكرى جميل فعلها مقرونين بلوعة الحزن وغصة الاسى

وكذلك يفرق الموت بين الاحباء فاذا استراح به الراحلون اورث الاحياء الآسفين حنيناً اليه عسى ان تجد النفوس الواجدة الراحة التي سلبها وتظفر النفوس الحائرة بالهناء الذي انتزعهُ بقسوة الداء وشره الجائع وعنفوان المستبد الظالم

وكذلك تذبل زهرات الحياة النضرة كما تذبل أزهار الحدائق وتسقط الثمار البشرية الشهية كما تسقط ثمار الشجر اليانعة

وكذلك يتضاءل نور الوجود في عصر الحياة كما يضعف نور الشمس في عصر النهار الى ان تأذن بالمغيب وتتوارى بالحجاب وراء أفق يخيم عليهِ الظلام . أتشرق شمس الحياة فيما بعد كما تعود شمس العالم الى الشروق

كانت ياقوت صرُّوف كاسمها في حسن منظرها وصفاء ذاتها وبهاء نورها وسموّ خلقها فكانت زينة بيت والديها وتاج دار زوجها وأسرتها حباها الله بذكاء نادر وطبع رقيق وخلق كريم وحنان يسيل رقة وعذوبة في حديثها ويتجلى في فعالها وعطفها على القريب والبعيد ورأفتها بالذين لم يرزقهم الله مثل الذي رزقها . وعزَّز هذه المناقب والخلال فيها أنها نشأت في بيت فضل وطلبت العلم من الصغر على مربيات فاضلات أنسنَ فيها هذه المكارم والمحامد فعكفنَ على تربيتها وتهذيبها فكانت واسطة عقد أترابها وقطب بهجة مدرستها والعزيزة المدللة من معلماتها ومربياتها حتى اقترنت

بقرينها العالم الكبير فانشأت بيتاً ظلَّ في حياتهما مطلع نور ومباءة فضل زهاء خمسين عاماً وكان مقصد أهل العلم والحجى ومحجة أنصار الأدب والثقافة من شرقيين وغربيين والجميع معجبون بما يشهدون وما يسمعون وما يلقون من حسن الاستقبال والضيافة وما يأنسون من سلامة الذوق وجمال المعيشة البيتية المتوجة بتاج الكمال والوفاق

وكانت فقيدتنا والدة رؤوماً لاولادها وأماً حنوناً للذين أتاح لهم حسن حظهم أن يفوزوا بعنايتها واهتمامها ولطالما لجأنا اليها نستنير برأيها ونهتدي بهديها ونفرّج همومنا بنصحها وعطفها وحنانها ولطالما عوّلنا عليها في حل المشكلات وتفريج الازمات وعلاج المعضلات . واذا كان قرينها الفيلسوف الكبير قد استطاع ان يبلغ ما بلغ من نجاح وما ادرك من مقام في دوائر العلم وعالم السياسة فمعظم الفضل في بلوغ مابلغ عائد اليها بما كفلت لهُ من المعيشة البيتية الهنيئة والسعادة المنزلية الكاملة حتى توفر على عمله معتمداً على السيدة الحكيمة المدبرة والزوجة الفاضلة التي قال الحكيم قديماً في وصفها ان ثمنها يفوق اللآلىء

وكان اعجاب علماء الغرب وادبائه من الذين كانوا يؤمون دار آل صرّوف بذكائها وثقافتها وسعة اطلاعها واتقانها للغة الانكليزية اتقاناً جعل كثيرين منهم يعتقد أنها انكليزية الاصل يضارع اعجاب علماء الشرق وادبائه من الذين كانوا يقصدون تلك الدار حيث العلم والنهى والثقافة ومكارم الاخلاق ومظهر الحياة الزوجية الكاملة التي رفرفت عليها السعادة بفعل المرأة الكريمة والعقيلة الفاضلة والأم الحكيمة

قالت لي سيدة شرقية من كرائم العقائل لقد زرت معظم بلدان اوربا والشرق واكلت في اكبر الفنادق وفي بيوت عظماء كثيرين فما جلست الى مائدة طعام اشهى وانظم من مائدة مدام صرّوف . فاذا أضيف الى حسن التنسيق وجمال الترتيب واتقان كل شيء بشاشة الوجه ورقة الحديث وحسن الاستقبال كان من المجموع صورة لا تنسى

وشبهتها سيدة أخرى كانت شديدة الاعجاب بها بربات القصور في الاقاصيص وعصور التاريخ الماضية بما كان يبدو عليها من سيماء الوقار وسموّ النفس مع رقة تجمل حسنها الذي لم يفارقها الى آخر أيام حياتها

وكتب كاتب انكليزي كتاباً من ثلاثين سنة عن مصر بعد زيارة لها خصَّ بيت صرّوف بفصل أعرب فيه عن حسن تقديره واعجابه وهذا الذي كتبهُ بعد ما غادر وادي النيل يؤيده

كثيرون من الذين أتيح لهم لقاء هذه السيدة الكريمة فتجلت لهم مناقبها ومواهبها فاكبروا نعمة الله وتحدثوا بما لقوا وما شهدوا

وقد ظلت فقيدتنا الى أيامها الاخيرة حافظة لجميع قواها شديدة العناية بمظهرها وحسن بزتها فكانت مثال ما تحب السيدة المثقفة ان تكون وكانت تتبع سير أمور العالم بدقة واهتمام بالمطالعة والسفر ومحادثة الذين يزورون بيتها الكريم فكانت من هذه النواحي مجارية للشابات وظلت حافظة لنشاطها وعنايتها بما حولها الى آخر اسبوع من أسابيع حياتها الغالية فلا غرو اذا عظمت الخسارة بموتها ولا عجب اذا تحسر عليها عارفوها واصدقاء أسرتها الكريمة وسائر الذين عرفوا فضلها وقدرها

لقد ماتت ياقوت صرّوف ولكن ذكراها حية باقية بما أسدت من خير وما صنعت من جميل وما تجملت به من مكارم وما بذلت من عون وعطف فصورتها مرسومة في قلوبنا وفضلها منقوش على ألواح صدورنا وسنظل ننعم باحصاء مآثرها ومناقبها وخلالها ونردد صدى مكارمها ومحامدها الى ان يجمع الله شملنا بها وبالذين سبقوها بعد عبور نهر الاحزان واجتياز برزخ الاسى والاشجان الى عالم ليس فيه موت ولا فناء

وأنا الذي كان موضع عطفها ورعايتها والذي غمرته بفضلها خمساً وثلاثين سنة والمدين لها بكثير مما أصاب في هذه الحياة وقد قامت على تربية أعز الناس اليه في طفولتها فكانت لها بمثابة الوالدة وعاملتها معاملة كريماتها — فقدتها اليوم كما فقدت تلك العزيزة الحبيبة وقد تجاورتا الآن في القبر كما تجاورتا في هذه الحياة وكما ارجو ان تتجاورا في الآخرة . فاليوم اقف على القبرين أنوح وابكي واندب من خسرت واحصي ما اضعت ثم انقلب كاسف البال مقروح الكبد موجع القلب ولا معين لي الا البكاء ولا انيس الا الرثاء ورجاء اللقاء في عالم تمسح فيه الدموع وتغسل فيه ادران الاحزان

ايتها الفقيدة العزيزة

لقد عصاني القلم فقصر عن توفيتك حقك من رثاء ووصف لفضائلك ومكارمك . وجمد الذهن فلا يلبي داعي القلب فحسبي ان ابلل ضريحك بسيل الدمع فذلك أشفى للنفس من قطرات المداد تسيل على الورق فلا تروي الغليل ولا تفي بالمرام . ورحمة الله عليك باضعاف ما أنا مدين به لك ولقرينتك وما أكنه لكما في صدري من محبة وحسن ذكرى وعرفان للجميل

رحمة الله عليكما كليكما والى اللقاء — خليل ثابت

التحليل النفسي

ونظرية فرويد

للدكتور ابراهيم ناجي

عبء ثقيل

ان دراسة التحليل النفسي على جانب عظيم من خطر الشأن لاسباب متعددة . فهي اولاً دراسة مبادىء جديدة تكاد تقلب علوم النفس والاحياء والاجتماع رأساً على عقب . وثانياً انها على صلة وثيقة بحياة فرويد مبدعها ، وهو رجل جريء الرأي ، دقيق الاستنتاج ، سديد القصد في البحث عن الحقيقة . ثم ان الكاتب الالماني الكبير ستيفان زفيج أفرد فصولاً في كتابه « الشفاء بالروح » لدراسة موضوع المسائل الجنسية وهو من اكثر الموضوعات العصرية استرعاءً للعناية ، فدافع دفاعاً بليغاً عن التحليل النفسي ثم قابل مقابلة شائقة بين ادب النفس في القرنين التاسع عشر والعشرين

كانت المسائل الجنسية من اقدم الازمان من المسائل التي لا يباح بحثها علناً . فقد كان القرن التاسع عشر قرن مكتشفات ومخترعات عظيمة في العلوم النظرية والتطبيقية . بل كان عصر غرور علمي ، لانهُ اذا كانت الطبيعة على جبروتها قد انحنت امام قوة الذكاء البشري ، فقد كان مما تقتضيه الطبيعة والمنطق ان ينظر الناس باحتقار الى الرغبة الجنسية ، ذلك الوحش الكامن في دم الانسان ! وكذلك حمل الانسان مدفوعاً بالغرور والكبرياء على السؤال : كيف نعالج هذا الوحش الضاري ؟ انقتله ونبيده ؟ فكان الجواب : كلاَّ : ليهمل يمت غمًّا واحتقاراً . وكانت النتيجة ان مؤامرة واسعة النطاق دبّرت لهذا الغرض اشتركت فيها المدارس والصحف والجرائد والعلماء والقسوس والاطباء . حتى شاركو Charcot عالم الاعصاب العظيم الذي عالج حالات الهستيريا

(١) ترجمة محاضرة باللغة الانكليزية القاها الدكتور ابراهيم ناجي في نادي الاطباء بالقاهرة

الشديدة وكان عالماً بان اساسها الكبت الجنسي ، اكتفى بان يهمس بمكتشفاته همساً في آذان نفر يسير من ملازميه

وكذلك اصبح المراهقون يروحون ويجيئون وعلى عواتقهم عبء سرّ ثقيل ، واضحى مرضى الاعصاب منهم يذهبون الى مستشفيات الامراض العقلية ، او ينتحرون او يعمدون الى الاجرام. وكان النصح الوحيد الذي يسدى اليهم ، ان يحسنوا السلوك ، وذلك لان احداً لم يفهمهم على حقيقتهم وهي أنهم ضحايا حاجات ملحّة ، واعباء جديدة ، كدّستها على كواهلهم الحضارة الحديثة والحياة المعقدة التي تلازمها .وقد كانت هذه المؤامرة مدبّرة ضدّ ذلك الوحش الجنسي الضاري. ولكن الوحش لم يمت غمّاً ولا جوعاً ، ولا بدت عليه علامات الضعف . بل على الضدّ من ذلك كان الجوع والموت من نصيب المصابين في اعصابهم

المعضل والرجل

الآن الحياة تنجب ، في كل ازمة او معضلة تواجهها الحضارة ، رجلاً يفهمها اولاً ثم يستجيب لداعيها . وفي اواخر القرن التاسع عشر كان فرويد وصديقهُ بروير طبيبين ناشئين يتلقيان على شاركو بباريس . وعنهُ أخذا درسهما الاول . فالنساء المصابات بالهستيريا ، كنّ اذا نوّمن تنويماً مغناطيسيًّا يسردنَ حوادث ماضيهنّ فظهر ان في ماضي كلٍّ منهنّ ما يتعلّق بالحياة الجنسية دائماً . وكنّ بعد هذا الافشاء ينلنَ البرءَ المطلوب . ومضى بروير في هذا الضرب من العلاج ، الى أن علقت احدى النساء اللواتي يعالجهنّ بحبهِ في أحد الايام حتى ضايقتهُ ، فتخلى عن عمله وترك ما دوّنهُ من مذكرات لصديقهِ فرويد

وكان فرويد قد تعلم من برنهيم ان عامة الناس ، يمكن حملها بشيءٍ من المداورة والتحايل والاقناع على التحدث عن ماضيها ، كأن أحدها يتحدّث وهو منوّم تنويماً مغنطيسيًّا . فعمد الى أسلوب ، من العلاج دعاهُ أولاً « علاج الحديث » ثم غير اسمهُ ، فجعله « التداعي المطلق او الحرّ »وذلك لانهُ كان يعلم ان فريقاً من الناس لايمكن تنويمهُ ، وآخر يتجه بعد الشفاء الظاهر الى منوّمهِ فيقع في هواه او يبغضهُ رغماً عنهُ

ونحن عند ما نراجع نظرية فرويد نجد فيها كثيراً مما لا نسلم بهِ او مما يصدمنا في معتقداتنا وتقاليدنا ، ولكن فيها ايضاً ما هو صحيح لا يسعنا انكاره . وفرويد نفسهُ لا يزعم انهُ مصلح ، بل يقول انهُ عالمٌ يراقب ويدوّن ما يرى ويعتمد على المنطق الصحيح ، ويطلق على الاشياء أسماءَها الحقيقية دون ما مواربة ، ويضع اصبعهُ على أصل السرّ . فهو في نظر علم النفس اول من سدّ الثغرات التي بدت فيهِ قبل ان رممتها الفلسفة . فقد بنى مذهبهُ النفسي على أساس علمي .

وكان أول من أقام شأناً كبيراً للعقل الباطن الذي كان يعرف قبل عهده بالعقل القريب من الوعي Co-conscions او الشبيه به sub-conscions وكان يوصف بأنهُ خزانة تجمعت فيها الذكريات وآثار الاختبارات السابقة . الاَّ ان فرويد أقام الوزن الصحيح لمكانة العقل الباطن، ووضح القوى المتناضلة فيهِ ، وما يتصف بهِ من مقاومة لمعرفة الحقائق الداخلية او الخارجية عنهُ

فالسيكولوجيا التي أنشأها فرويد علم ديناميّ (Dynamic) ، قائم على القوى المتناضلة ، محكومة بالعلة والمعلول . فليس فيهِ ما هو وليد الاتفاق والمصادفة . بل كل امر يتبع خطة معينة ويمكن الارتداد بهِ الى اصله . ومعنى هذه السيكولوجيا الجديدة ، نفي حرية الارادة . فصدم ذلك المصلحين المؤمنين بامكان تغيير السلوك الانساني . الاَّ ان فرويد يذهب ، الى ان النفس فيها مراقبون ، يشرفون على نزعاتها ، فخفف ذلك من وقع الصدمة الاولى على المؤمنين بالقواعد الادبية . ثم توسع في هذا الرأي فوضع نظرية الذات ego والذات العليا super-ego ، وهو موضوع سنعود اليهِ في فقرة اخرى من هذه المحاضرة

العقل الباطن واقسامهُ

اما من الناحية المنطقية ، ففي امكاننا ان نثبت وجود العقل الباطن اثباتاً قاطعاً لكل ريب ، فالمصاعب التي نحلُّها ونتخطاها ونحن اقل ما نكون تفكيراً فيها ، والكلمات والالفاظ التي تفد علينا كأنها هابطة من عوالم الاحلام ، وغيرها وغيرها من شؤون الذاكرة ، تبين جميعاً ان في النفس ناحية غير واعية

اما مكانة الناحية غير الواعية في العقل ، فيمكن اثباتها بنتائج التنويم المغنطيسي ، وبضروب العلاج التي تجري وفقاً لقواعد التحليل النفسي ، وبطبيعة ما تحتوي عليه من الاشياء ، كشؤون الجنس ، والغرائز ، والذكريات ، والاختبارات ، والعادات . فالقسم الباطن من العقل هو القمة البارزة المعرضة للنور ، والجانب السابق للوعي منها ، هو الممر الصغير الذي يفضي اليها ، وأما الجانب الاكبر فهو الجانب الباطن ، وهو في ظلام دامس

ان الجانب الباطن من العقل ، يعرف في الطفل باسم « الهوية » مشتقة من « هو » ثم تتميز اجزاؤه فيظهر فيهِ الجانب الجنسي وهو الذي يدعوه فرويد « الشهوة الجنسية : ليبيدو » ثم تنقسم هذه الشهوة الى الذات التي ترتفع من اغوار النفس الى قمة الوعي ، ولا يلبث ان تتميز الذات نفسها فيظهر فيها ما يعرف بالذات العليا super-ego وهي على اتصال دقيق بالشهوة الجنسية . فالذات العليا ، جانبٌ منها في العقل الباطن . ثم ان الغرائز من اجزاء القسم الباطن في العقل ، وقد عرَّفها فرويد تعريفاً غريباً ولكنهُ يثير الاهتمام لانهُ مخالف لتحديد الداروينيين لها . بل أن تحديده

مناقض لفكرة التطور. فالغرائز في نظره نوعان غرائز الحياة وغرائز الموت. أما غرائز الحياة فترتدُّ الى الخلايا المولدة، وأما غرائز الموت فترتدُّ الى الخلايا البدنية . . . .

وخلاصة ما تقدَّم من البحث، أن العقل الباطن يشتمل على الشهوة الجنسية والذات والذات العليا والغرائز

وثمة نزاع دائم في النفس بين هذه الاقسام وبينها من ناحية والحقيقة الخارجية من ناحية اخرى. فالذات والذات العليا تحافظان على القواعد الادبية. أما النوازع الغريزية والشهوة الجنسية فبدائية لا تجري على منطق وتتطلب دائماً اشباعاً بدائيًّا

الكبت في نظر فرويد

وكذلك تعرّض الافكار دائماً للكبت. والكبت، في نظرية فرويد، اكثر اجزائها تعرضاً للنقد، ولا سيما ما كان منهُ متصلاً بالجنس اي الشهوة الجنسية. وقد سعى اصحاب جميع المذاهب التي نشأت من تعاليم فرويد الى حذف العنصر الجنسي من نظريتهِ. فالشهوة الجنسية في نظرهم ليست نشاطاً جنسيًّا فقط بل هي نشاط الحياة او ما يدعوهُ الفيلسوف برجسون «الدافع الحيوي»

والواقع أن اكثر الاجزاءِ في نظرية فرويد تعرضاً للنقد، ليس الجزء الخاص بالجنس، ولكنهُ الجزء الخاص بتقسيم الشهوة الجنسية الى مناطق شهوانية تتطلب اشباع ما فيها من نهم. وهي ثلاث مناطق في الفم والاست واعضاء الجنس. فالطفل يكفي الميل في المنطقة الاولى بمصّ ما يقع لهُ. والثاني بعدّ يدمِ الى الاجزاء السفلى وهذا الدور يمتدُّ الى السنة الخامسة من حياتهِ. أما المنطقة الثالثة فلا شأن لها في حياة الطفل. وقد عني الاستاذ فلوجل احد مؤيدي فرويد ونظريتهِ بوضع كشف طويل اثبت فيهِ المحاسن والمساوي التي تنتج عن اكفاءِ النزعة الفطرية الخاصة بالمنطقة الثانية او عدم اكفائها أي كبتها

والى كبتها يرجع في تفسير ما يعرف «بمركَّب اوديب». وهو اساسي في نظرية فرويد. واسم هذا المركّب منتزع من اساطير اليونان الوارد فيها ان «اوديب» كان يعشق امه. فبعد السنة الخامسة من حياة الطفل، ثم في دور المراهقة، تستيقظ النزعة الخاصة باكفاء اعضاءِ الجنس، وتقترن بالميل الى ترديد ما كان الطفل يفعله وهو طفل اي قضم اظافره مثلاً. ولكن الشهوة الجنسية متصلة بالذات العليا. فيحاول ان ينشيء شخصية جديدة مستقلة، اي فصل النفس عن اهواء الطفولة. فالمريض العصبي هو من لا يتم فيهِ هذا الانفصال على اوفى وجه، فيعجز عن مواجهة الحقيقة، او تكون الذات فيه او الذات العليا غير ناضجة فتتصف اما بشدة التساهل واما بشدَّة التصلب والجمود. وعندئذٍ يكون مصير النزعة الجنسية فيه الاتجاه الى شيء

خارج النفس يغمره بحبه . فاما ان يمنع هذا الاتجاه ، واما ان يصدّ ، واما ان يحول الى مثل عليا فيتسامى ، واما ان ينعكس الى الداخل . فاذا منع اصيب صاحبه بالهستيريا ، واذا صدَّ فانه يتحول من اختيار الزوج الى حب الام مثلاً وهو مركب اوديب ، اوالى حب النفس على نحو ما كان « نارسيس » يفعل في اساطير اليونان . او يفضي الى الخيالات والاهواء . وهذه تفضي بدورها الى النورستينيا . فاذا انعكس الى الداخل وانطوى في العقل الباطن نشأت الحالات العصبية التي سببها الكبت

وهذا يفضي بنا الى القول بأن « الكبت » من اهم الاركان التي تقوم عليها نظرية فرويد

وقد وضع العلاَّمة فالنتين كتاباً نفيساً في علم النفس الحديث اي الخاص بالعقل الباطن واستهله بفصل جامع في الكبت قال فيه ان الكبت شيءٌ عادي في حياتنا اليومية . اذ ينصرف كلٌّ منا بطبعه عما لا يرضيه او يسره . بل اننا لنتحول قصداً عما لا نريد . وهذا هو الكبت المقصود وفائدته عظيمة لانه ينقذنا من كثير من الالم والمشقة . ولكن اهم من الكبت المقصود ، الكبت غير المقصود وهو نوع الكبت الذي يكثر في سني الطفولة . فنحن اذا تنازعتنا رغبتان متناقضتان ، فقد نكبت احداها عن قصد او عن غير قصدٍ ، فتختفي الى حين . فنظن ان تلك الرغبة قد قدعت وماتت . فاذا كان الكبت تامًّا ، والنزاع عنيفاً ، والجسم معرضاً للتأثر ، فتلك الرغبة لا تموت ولكنها تكمن فقط وهي تقرع الباب باستمرار تبغي الدخول الى نطاق الوعي ولولم يعلم المرء ذلك

والقول « بالنضال » على النحو المتقدم أساس جميع المذاهب الجديدة في علم النفس. فالعلاَّمة ادلر يقيم وزناً كبيراً لهذا الكبت في عهد الطفولة . ولكنهُ لا يسنده الى المسائل الجنسية ، بل الى « ارادة القوة » اونزعة تأييد الذات . والاستاذ يونج Jung يقسم النضال قسمين ، احدهما يتجه الى الخارج والآخر الى الداخل . ففي الحالة الاولى يكون المرء « خارجي النزعة » extrovert متصفاً بصفات الفعَّالين كالقواد ورجال الاعمال . وفي الحالة الثانية ، يكون « داخلي النزعة » introvert متصفاً بصفات الانطواء على النفس والتأمل. وقد عمد في كتابهِ العظيم الى وضع تقسيم لهذين النوعين من الشخصية وما يتفرع عليهما ووصف كل منها . وقد اشرت الى نوعين فقط هما الخارجيّ النزعة والداخليّ النزعة لان جميع اصحاب المذاهب الجديدة في علم النفس مجمعون عليهما . وهذا لا ينفي ان هناك انواعاً بين بين

الاحلام وفهمها

ثم ان ناحية الاحلام من اهم الاركان التي تقوم عليها نظرية فرويد . ولا يسعنا ان نمر بها مرَّ الكرام . أما التعريف الذي وضعهُ فرويد للحلم فهو تعريف غريب . قال : « الحلم عَرَضٌ مرضي يمتاز بظهوره في جميع الاصحاء »

فالحلم في نظره يمثل اشباع رغبةٍ لم يتح لها الاشباع من قبل . وفيهِ معنيان ظاهر وكامن . أما المعنى الظاهر فهو حماية النائم من صدمة الحقيقة . ومهمة المحلل النفسي ان يتوصل الى فهم المعنى الكامن في الحلم . ذلك ان العقل الباطن يتوسل بوسائل متعددة لاخفاء المعنى الصحيح الذي ينطوي عليه الحلم ، ولذلك عني المشتغلون بهذه الناحية من التحليل النفسي بوضع معجم لتفسير الرموز التي تطرأ في الاحلام

ولنضرب على ذلك مثلاً بسيدة تعالج بالتحليل النفسي ، فتروي لمعالجها انها حلمت « ان « مدوزن » البيانو جاء البيت ليضبط أوتارها وانها رأتهُ في الحلم مشغولاً بجمع بزور من داخل البيانو » . فهذا الحلم عند تحليلهِ بطريقة فرويد يبين أولاً ان البيانو ترمز الى الرغبة في التخلص من هم مقلق وثانياً ان البزور تدلّ على « الجنس » . ومعنى الحلم الرغبة في التخلص من هموم جنسية . وعلى هذا النمط يرمز البيت في الحلم الى امرىء والملوك والملكات الى الآباء والامهات والماء الى الولادة والرحلات الى الموت والرقم ٣ الى الاعضاء الجنسية في الذكر وهكذا

ومن شاء المزيد فليراجع مطوَّل فرويد في الاحلام

مرضى الاعصاب

اما وقد تكلمنا على الكبت والاحلام فلا بدّ من ان نعرّف المريض العصبي (Neurotic)

من أشهر وجوه النقد الموجهة الى نظرية فرويد قولهم انها تعالج الشاذ فيردّ فرويد على هذا القول بأنهُ من الخطاء وصف المريض العصبي بأنهُ شاذ . بل هو امرؤٌ ساءت ملاءمتهُ للوسط الذي يعيش فيهِ . فالمرؤ السويُّ هو من تغلَّب على مصاعب الصغار وأهوائهم وخيالاتهم ، ولكن المريض العصبي لا يزال اسيراً لها . ونحن جميعاً معرّضون الى حدٍّ ما ، لطائفة من هذه الرغبات والنوازع التي تساور الاطفال ، ونتيجة النضال رهنٌ بعوامل مختلفة كالبنية والوراثة والخبرة السابقة وتأثير العالم الخارجي . وفرويد يرى ان النضال بين هوية الطفل والذات تحدث ضروباً من الوسواس والقلق . اما النضال بين الذات والذات العليا فيفضي الى مرض الانحطاط الجنوني . وأما الامراض العصبية الحادة الجنون فنتيجة النضال بين الذات والحقيقة

هذه الحالات العصبية ، تشمل من الوجهة الطبية والعلمية اربع طوائف هي اولاً — النورستينيا : وهي نوعان لا يجب ان يخلط احدها بالآخر . احدها ناشىء عن الاعياء الجسماني المكتسب من الافراط في العمل وانهاك القوى والتسمم العفن من بؤرة ما . والثاني سببهُ اعياء ناشىء عن تركيب البنية . والمثل عليهِ امرؤٌ ذو نزعة داخلية ، تعسر عليهِ ملاءمة نفسهِ لما حوله فينطوي عليها ، فيصاب بالنورستينيا من النوع الثاني ، ويزعم انهُ لا قبل لهُ بالحياة ويتعلل بشيء كاذب لاثبات هذا

ثانياً — الهستيريا — والذي يصاب بها امرؤ من اصحاب النزعة الخارجية جمُّ النشاط ولكن تيار نشاطه يصدُّ، فيميل الى الانعزال ويتخذ موقفاً معيناً، فيهوّل بكل ما يحدث لهُ

ثالثاً — الهموم — وهذا النوع على جانب كبير من خطر الشأن والذيوع. وهو ناشئ عن الحضارة، لكثرة ما تعترض بهِ سبيلنا من اعمال نريد ان نقوم بها فنعجز، ومن رغبات نبغي ان نشبعها فيتعذر ذلك علينا. والعنصر الاهم في هذه الحالات العصبية هو الخوف. ومن الامثال التي تضرب على هذه الحالة رجل يتزوج من يحب ولكنهُ يساورهُ خوف انهُ عاجز عن القيام بوظيفة الزوج فيقلقهُ ذلك ويهمهُ. وسرّ هذه الحالة من الوجهة الطبية في الكثرين لان المصاب بها مصاب بزيادة السكر في الدم. اما في الهستيريا فالحالة وثيقة الصلة بمفرزات الغدد الصمّ

رابعاً — الوسواس، وهو الميل الى ترديد شيءٍ واحد والتفكير بهِ دون غيرهِ. وهو على الاكثر ناشيء عن تركيب البنية

العلاج ومراتبه

فهمة المعالج بالتحليل النفسي، هي التنقيب عن هذه المخاوف الكامنة المطوية على الاكثر في العقل الباطن. فاذا اخرجت من مكمنها وعرضت للنور فقدت اثرها السيء. والعلاج النفسي ليس من الاساليب التي تسهل ممارستها. بل هو على جانب كبير من الخطر. وقد انصرف المعالجون عن التنويم المغنطيسي، وعمدوا الى «التداعي الحرّ». «والتداعي الحرّ» يقتضي جلسات متعدّدة، وفي هذا العمل، لشخصية المعالج وخبرتهِ شأن كبير

والعلاج ثلاث مراحل. فالمرحلة الاولى يسرد المصاب فيها سرداً حرًّا ما يعنُّ لهُ، وهو جالس في غرفة معتمة، والمعالج بعيد عنهُ، فيغمض جفنيهِ ويسترسل في سرد خواطره وكذلك احلامه. وما على المعالج الاّ الاصغاء

وفي المرحلة الثانية تنكشف للمصاب أحلام الطفولة وأدوارها وهي اصعب المراحل الثلاث وأشدها خطراً اذ فيها تتحوَّل عناية المصاب الى شخص معالجهِ. فاذا ترك وشأنهُ وهو في هذه الحالة، تعرَّض لخطر عظيم وقد يعمد الى الانتحار

وفي المرحلة الثالثة يقنع المعالج مريضهُ بان هذه الاوهام والخيالات والوساوس من اشباح الماضي ولا صلة لها بالحاضر، وعند ذلك يتحوّل الترديد في ذهنهِ الى مجرّد ذكرى وفي هذا الشفاء

وسواءٌ اسلَّمت بكل ما تنطوي عليهِ نظرية التحليل النفسي ام لم تسلّم، فلا بد من الاعتراف بان جانباً منها على الاقل ذو قيمة حقيقية

تهشيم الذرة

وصنع مواد مشعة
من مواد غير مشعة

منذ اربع سنوات ذهب عالم اميركيّ ناشىء الى بروكسل لحضور مؤتمر علميّ فيها . كان ذلك العالم ارنست اورلندو لورنس E. O. Lawrence وكان العالم الاميركيّ الوحيد الذي دعي الى حضور ذلك المؤتمر والباعث الاول على دعوته انهُ استنبط جهازاً عجيباً يدعى « السيكلوترون » Cyclotron يمكنهُ من اطلاق الدقائق المادية الصغيرة بزخم قوي فيهشم بها نوى الذرّات ، وهو عمل كان حتى ذلك الوقت محصوراً تقريباً في القذائف التي تنطلق انطلاقاً ذاتياً من العناصر المشعّة

وكان في بروكسل امير علماء الطبيعة المجرّبين في بريطانيا اللورد ارنست رذرفورد صاحب المباحث العظيمة في قوام الذرّة . واستاذ الطبيعة التجريبية في جامعة كمبردج ومدير معمل كافندش فيها . وكان في صحبة رذرفورد احد نوابغ الشبان الذين تلقوا العلم عليهِ وبرعوا براعة عظيمة في المباحث الحديثة الخاصة بالذرّة . وكان اسمهُ جون دوجلاس كوكروفت وكان حينئذٍ معنيًّا بتهشيم ذرات الليثيوم باطلاق البروتونات عليها ، بزخم كبير مستمدّ من طاقة كهربائية عالية الضغط

كان كوكروفت قد قرأ عن جهاز لورنس ، فأدرك ما ينطوي عليهِ من فائدة عظيمة وتوفير كبير في ما ينفق على المباحث الطبيعية الذرّية ، وسعى الى اقناع استاذه ورئيسه رذرفورد بشراء جهاز مثلهُ لاستعمالهِ في معمل كافندش . فأخفق في ما سعى اليهِ . فلما اجتمع كوكروفت ولورنس في بروكسل اتفقا على تجديد السعي قبل العلاَّمة رذرفورد لعلَّهما يوفّقان الى اقناعه ، فكان رأيهُ ان الاجهزة العلمية التي تستعمل في كمبردج يجب ان تكون مما استنبطهُ رجالها . فالتفت اليهِ لورنس الشاب وقال : ولكنك يا سيدي تستعمل كلّ يوم المقياس الطيفي Spectrometer ولكنهُ لم يخترع في كمبردج

ومن نحو سنتين اذيع من جامعة كمبردج انها قرّرت ان تصنع جهازاً لتهشيم الذرّة من طراز جهاز لورنس . وكان من المنتظر ان يتم صنع هذا الجهاز في اواخر هذا الشهر ، والراجح ان هذا العدد من المقتطف لا يصدر وتتداوله ايدي قرّائهِ حتى يكون الباحثون هناك قد شرعوا في تجاربهم الاولى بهِ

ولكن اللورد رذرفورد لن يراه بعد تمامهِ . لانهُ توفي من أسابيع على اثر عملية في البطن ، وهو في السادسة والستين من عمره ، فقال في وفاتهِ استاذهُ شيخ الطبيعيين الانكليز

السر جوزف طمسن : « لقد بلغت مآثره من العظمة العلمية مبلغاً يجعل وصفها في بضع كلمات عملاً متعذراً . ان وفاتهُ من أكبر الخسائر التي مني العلم الانكليزي »

كان ارنست رذرفورد من أقطاب الطبيعة الذرّية المتقدمين اما ارنست لورنس فمن أقطابها المحدثين

وفي أواخر شهر اكتوبر دعي لورنس الى مدينة روتشستر بنيويورك ليحضر اجتماع الاكادمية القومية للعلوم ولينال منها جائزة كومستوك ، وهي أعلى ما تمنحهُ من جوائز للمشتغلين بالعلم ، ولا تمنح الاَّ مرة كل خمس سنوات . بل ليذهب بعضهم ان جائزة كومستوك اكبر شرف يسبغ على باحث علمي في أميركا . وقد منح لورنس هذه الجائزة لا لانهُ استنبط جهاز (السيكلوترون) بل لانهُ في مقدمة علماء أميركا في بحث الاشعاع الصناعي ، اي تحويل العناصر غير المشعة الى عناصر مشعة

يبلغ قطر اكبر الذرات جزءًا من مائة مليون جزء من البوصة . وأما معظم الذرات التي يتناولها علماء الطبيعة في مباحثهم فأصغر من ذلك كثيراً . والذرة هي اللفظ الذي اصطلح عليهِ للتعبير عن كلمة « Atom » الاعجمية التي عرفها العرب باسم الجوهر الفرد والتي يريدنا مجمع اللغة العربية الملكي ان نستعمل لها الذريرة، ناسياً على ما يظهر ان الذرة ذائعة في المدارس وجميع كتب التدريس المصرية وفي الصحف كذلك ، وان في علم الطبيعة ظاهرات توصف بكلمة « sub-atomic » اي تحت الذرة وان خير كلمة لها باللغة العربية هي كلمة « ذريرية »

وكلمة « أتوم » الاعجمية وضعها أولاً الفيلسوف اليوناني ديموقريطس وهي تعني الشيء الذي لا يتجزأ . وقد ظلَّت الذرات (الاتومات) أشياء لا تتجزأ منذ تصوَّرها ديموقريطس الى اواخر القرن التاسع عشر ، عند ما اثبت العلامة طمسن ان الذرات تمكن تجزئتها وان من اجزائها الالكترونات (الكهارب اوبالحري الكهيربات وفقاً لاستعمال مجمع اللغة العربية الملكي)

والرأي الآن ان الذرات قوامها مجموعات من دقائق الكهربائية السالبة (الالكترونات) والكهربائية الموجبة (البروتونات) ودقائق متعادلة الكهربائية تعرف باسم (النترونات) اي الدقائق المحايدة . والذرة الوحيدة في الطبيعة التي لا تحتوي على نترون في تركيبها هي ذرّة الايدروجين لأن قوامها كهرب واحد وبروتون واحد . والجانب الاعظم من كتلة الذرّة في نواتها . فالنسبة بين كهرب ذرة الايدروجين ونواتها (وهي بروتون واحد كما قلنا) كنسبة واحد الى ١٨٣٥ . والنواة موجبة الشحنة الكهربائية . فاذا كانت الذرّة مستقرة التركيب كانت الشحنة الموجبة على النواة معادلة ومبطلة لفعل الشحنات السالبة التي على الكهارب . وأخف الذرّات هي ذرَّة الايدروجين وقوامها كما بينا . أما اثقلها فذرة الاورانيوم وقوامها اثنان وتسعون بروتوناً ومائة وستة واربعون نتروناً (ومنها جميعاً تتألف النواة) وحول النواة اثنان وتسعون كهرباً

وماذا يعني « بتهشيم الذرَّة » ؟ انهُ يعني تهشيم نواة الذرّة . والعلماء يبغون تهشيمها ليعلموا ما في داخلها ، على نحو ما يشرّح الاطباء الجسم البشري ليعلموا ما في داخلهِ

وتهشيم الذرّة يقتضي اولاً — قذيفة تطلق على النواة صالحة لتهشيمها . وثانياً — وسيلة صالحة لاطلاق تلك القذيفة بزخم كافٍ للتهشيم . وثالثاً — هدفاً يحتوي على الذرّات التي نبغي تهشيمها كاوح رقيق من البلاتين او سلك من التنغستن أو حفنة من الفصفور ، فيوضع في مسار القذيفة حتى تصطدم بهِ . ورابعاً — اسلوباً يمكّن الباحث من معرفة ما حدث نتيجة لهذا التصادم

والبروتونات من أشهر القذائف المستعملة في هذا البحث استعملها رذرفورد أولاً . وطريقة الحصول عليها ، تجريد ذرّات الايدروجين من كهاربها بتأيينها (ionizing) بوساطة تيّار كهربائي . ثم تمرُّ في جهاز خاص يقذف هذه البروتونات الى الهدف . ولما كانت هذه القذائف عديدة جدًّا فلا بدّ ان يتفق لاحداها ان تصطدم بذرّة من الذرّات التي في الهدف فتهشمها ، وقد تتحد هي بجزءٍ منها او بأكثر من جزءٍ فينشأ من هذا الاتحاد مادة جديدة . او قد تلصق بالنواة من دون ان تهشمها فينشأ من ذلك جسم اكبر وزناً من الذرّة الاصلية ، ويكون هذا الجسم الجديد غير مستقرّ التركيب فلا يلبث حتى تنطلق منهُ دقائق ذرية واشعة « غما » وهذه الحالة الاخيرة هي ما يعرف بالاشعاع الصناعي . لان الاشعاع في الراديوم وغيره من العناصر المشعة ليس الاَّ انطلاق دقائق واشعة من ذرّات العنصر

وخير وسيلة لبحث نتائج التهشيم هي « الغرفة الغائمة » التي استنبطها العلاّمة الانكليزي ولسن C. T. R. Wilson فمنح جائزة نوبل الطبيعية جزاءً لهُ على استنباطها . فتوضع الغرفة الغائمة وراء الهدف الذي تسدّد اليهِ القذائف فتدخلها بعض شظايا الذرات المهشمة . والغرفة تحتوي على بخار مائي ، يتقلص في مسار الشظايا الطائرة ، فتتكون قطيرات من الماء تعلق بهباء الهواء فتظهر كأنها خطوط من الغيم او الضباب الدقيق ، ويمكن تصويرها بالمصورة الضوئية . فاذا درست كثافة هذه الخطوط ومبلغ انحنائها وانحرافها في حقل ممغنط ، استطاع الباحث ان يستخرج حقائق كثيرة عن كتلة الشظايا الطائرة وسرعتها وشحنتها الكهربائية

كانت القذائف التي استعملت في العهد الاول من المباحث الطبيعية الحديثة — وهو العهد الذي استهلهُ رذرفورد بعبقريتهِ العلمية النادرة في سنة ١٩١٩ — قذائف تستمد طاقتها وزخمها من الطبيعة ، اي الدقائق المنطلقة بسرعة عظيمة من المواد المشعة كالراديوم والبولونيوم والثوريوم وغيرها . الاَّ ان علماء الطبيعة مقتنعون على ما يظهر كاقطاب العسكريين بالفائدة العظيمة التي تجنى من استعمال الاجهزة الميكانيكية . ولذلك عمدوا الى استنباط الوسائل والاجهزة التي تمكنهم من تناول دقائق مادية عديدة واطلاقها بزخم قوي مستمد من جهاز ميكانيكي كهربائي . ومن هنا استنباط ارنست لورنس الاميركي لجهاز « السيكلوترون » . وقد عمل لورنس حساباً لما يستطيعهُ جهازه في هذا السبيل ، فاذا بهِ يقول انهُ اذا استعمل طاقة كهربائية ضغطها خمسة ملايين ونصف مليون فولط ، استطاع ان يطلق بهِ قذائف كالقذائف التي تنطلق من

رطلين من الراديوم ، اي انهُ لو جمع كل الراديوم الموجود متفرقاً في انحاء العالم الآن ، لما اطلق من هذه القذائف كمية كالكمية التي يطلقها جهاز لورنس هذا ، لانهُ اقل من رطلين

وقد استنبط قبل جهاز لورنس اجهزة مختلفة لتهشيم الذرة ولكنها تتصف جميعاً بانها اجهزة كبيرة الحجم عالية الابراج لكي تتمكن من خزن مقادير كبيرة من الطاقة الكهربائية واطلاقها . وقد كانت الاجهزة الاولى التي صنعت في انكلترا واميركا تعتمد على سلسلة من المكثفات والمحولات ، ثم استنبط نوع آخر تخزن فيه الكهربائية «الاستاتيكية» في كل منها في قطبين كهربائيين كبيرين كل منهما في شكل بلون ضخم ، حتى اذا بلغ الضغط الكهربائي درجة عالية معينة انطلقت شرارة ضخمة بين القطبين . ولكن ظهر بعد اجراء التجارب بهذا النوع من الاجهزة انهُ من المتعذر صنع انابيب تصلح لمرور الشرارة فيها بين القطبين . وقد صنع جهاز من هذا القبيل في معهد ماستشوستس التكنولوجي قبل اربع سنوات ، تنطلق فيه الشرارة عند بلوغ الضغط الكهربائي سبعة ملايين فولط ، ولكنهُ لم يستعمل لانهُ تعذر حتى الآن صنع انبوب صالح لذلك

الاَّ ان ارنست لورنس تغلَّب على هذه المصاعب في جهازه المعروف باسم « سيكلوترون» اي الجهاز الرحوي . ذلك انهُ يبدأ العمل بقدر من الطاقة الكهربائية واطىء الضغط بالقياس الى الطاقة التي لا بدَّ منها في الاجهزة التي تقدم وصفها . ولكنهُ يجعل هذه الطاقة تفعل في الدقائق التي يريد اطلاقها ، فعلاً متوالياً اي ان الدقائق عند ما تتعرَّض لفعل هذه الطاقة اولاً تكتسب من ضغطها زخماً لنقل ان قدرهُ (س) ثم تدور في الجهاز وتعود بسرعتها (س) فتتعرض ثانية للضغط الكهربائي نفسه فتزيد السرعة الى (٢ س) مثلاً ، وهكذا ثالثة ورابعة ، حتى تبلغ سرعتها المبلغ الذي تستمده مباشرة من ضغط قدره خمسة ملايين او ستة ملايين فولط . وقد تمكن في احدث مثال صنعهُ من هذا الجهاز ، ان يطلق الدوتيرونات (وهي نوى ذرات الايدروجين الثقيل) بقوة سبعة ملايين وثمانمائة الف فولط مع ان الطاقة الكهربائية الاصلية التي تعرَّضت لها هذه الدوتيرونات لم تبلغ الاَّ خمسين الف فولط

خطرت لهُ القاعدة التي يقوم عليها هذا الجهاز في سنة ١٩٢٩ عندما طالع رسالة لباحث الماني غير مشهور وصف فيها ما يحدث للايونات في حقل مغنطيسي . فعمد في السنة التالية الى صنع السيكلوترون الاول بالاشتراك مع زملائه ادلفسن ولفنغستون وسلون فحقق الغرض الذي صنع له من حيث المبدإِ ولكن المغنطيس كان صغيراً . فلما سمع الدكتور لنرد فولر رئيس قسم الهندسة الكهربائية في جامعة كاليفورنيا بهذا الجهاز البارع ، وبرغبة لورنس في الحصول على مغنطيس كهربائي كبير ، استدعاهُ وسألهُ رأيهُ في مغنطيس كهربائي وزنهُ خمسة وثمانون طنًّا . فشُدِهَ لورنس لانهُ لم يكن يتوقع ولا في الحلم عرضاً من هذا القبيل . واتفق ان الدكتور فولر كان

وكيلاً لاحدى شركات التلغراف الاميركية وكانت هذه الشركة قد صنعت اربعة مغنطيسات كهربائية وزن كل منها ٨٥ طنًّا بقصد استعمالها في الاذاعة اللاسلكية العالمية في اثناء الحرب

وكانت النية ان يرسل احدها الى الصين ولكن الصلح عقد قبل ارساله . وظلَّ مطروحاً لا يستعمل. وللحال قفز الدكتور فولر والباحث لورنس الى سيارة وراحا ينهبان الارض نهباً الى « بالو التو » حيث كان هذا المغنطيس فأعدا المعدّات لنقله الى حرم جامعة كاليفورنيا ببركلي

ومن حسن الطالع ان الاستاذ غلبرت لوس الكيمياوي الطبيعي الاميركي ، كان حينئذٍ معنيًّا باستحضار الماء الثقيل بعيد اكتشافه في جامعة كولومبيا على يدي الاستاذ هارولد يوري. وكان لوس سخيًّا في سبيل العلم فسمح للورنس بأن يأخذ جانباً مما يحضره من الماء الثقيل الثمين ، فاستخرج لورنس من هذا الماء ذرات الايدروجين الثقيل ، ثم جرّدها من كهاربها بتيار كهربائي فكان له « دوتيرونات » — وهي نوى ذرات الايدروجين الثقيل وكتلتها ضعفا كتلة البروتون — أطلقها في جهازه فتسنى له كذلك قذائف اعظم زخماً وأسهل تناولاً في تهشيم الذرة. وهو اول من استعملها لهذا الغرض . ومن ثمَّ عكف لورنس على التجربة والبحث . ونتائج تجاربه مدونة في عشرات بل مئات من الدفاتر . لقد وجَّه قذائفهُ الى معظم العناصر المعروفة . هنا في دفاتره تجد وصف كل تجربة جربها ، القذيفة التي استعملها وزخمها ، وظهور الاشعاع الصناعي في العنصر الذي استعمله هدفاً ، ومدى بقاء هذه الظاهرة ، وما قوام الدقائق المنطلقة من العنصر الذي تحول بسحر قذائفه عنصراً مشعًّا مع انهُ لم يكن قبل اطلاقها عليه كذلك

وقد تمكن لورنس في مباحثه هذه من تحويل العناصر ، بل انهُ استطاع ان يصنع بضع ذرات من الذهب فعلاً ، محققاً بذلك الحلم القديم ، ولكنهُ لم يصنع الذهب من مواد رخيصة لان ذلك متعذر ، بل صنعهُ من البلاتين وهو أغلى من الذهب وأندر . وعلى كل حال فان ذرات الذهب التي صنعها لا يعدل ثمنها جزءًا يسيراً من ثمن الطاقة التي أنفقها على صنعها ، مع ان جهاز السيكلوترون لا ينفق من الطاقة الكهربائية كل ساعة الاَّ ما قيمتهُ ثلاثون قرشاً فقط . الاَّ ان لورنس يقول كما قال رذرفورد ان الحقائق التي توصلنا اليها من هذا البحث أثمن من الذهب

ومما هو أبعث على الدهشة ، ان لورنس وصحبهُ في جامعة كاليفورنيا تمكنوا من صنع قليل من راديوم E من عنصر غير مشع ، وراديوم E ليس عنصراً مشعًّا اشعاعاً وقتيًّا بل هو عنصر مشع اشعاعاً طويل المدى اي انهُ عنصر الراديوم الحقيقي. وقد كان من نتيجة هذه المباحث الباهرة ، ان عمدت الجامعات والمعاهد العلمية الى استعمال جهاز لورنس . فثمة الآن احد عشر جهازاً منها في اميركا واحد عشر جهازاً في أوربا وجهاز واحد في كندا وهي اما في دور الاستعمال وأما في دور البناء . وجميع الباحثين الذين يتولون البحث بها تعلموا اساليبها على ارنست لورنس ، العالم الذي لم يتخطَّ بعد السنة السادسة والثلاثين من عمره

ولا بدّ في استعمال هذا الجهاز من تدبير وسائل الوقاية لمستعمليه من الاشعاعات القوية المنطلقة منهُ اذ قد ثبت ان الجرذان التي تعرّض لها تصاب في كرياتها البيض فاذا طال تعرّضها لها قضي عليها . ولذلك بنى لورنس حاجزاً حول الجهاز حوضاً ارتفاعهُ ست أقدام وعرضهُ ثلاث أقدام وملأهُ ماءً ووضع لوحة السيطرة على الجهاز على بعد ٦٠ قدماً منهُ وحظر على كل مشتغل ان يتخطى الحوض صوب الجهاز عندما تكون الاشعاعات صادرة منهُ

الاَّ أن الذي يميت قد يكون مفيداً في العلاج ، وقديماً قال شاعرنا العربي « وداوني بالتي كانت هي الداء » . وهذه الاشعة المنطلقة من السيكلوترون المؤلفة من نوترونات ثقيلة سريعة، أو الاشعة المنطلقة من مواد اضحت مشعة بفعل هذا الجهاز ، لا يبعد ان تفيد في معالجة بعض الادواء اذا احسن استعمالها . بل أن الفوائد الطبية والبيولوجية التي يمكن جنيها من اشعاعات « السيكلوترون » قد استهوت الناس بما كتب عنها ، ولذلك اضيف الى البحث الطبيعي فيها البحث البيولوجي . فأفردت حجرة خاصة تحتوي الآن على اقفاص من الجرذان البيض وقد وسمت ببقع حمر أو خضر أو صفر على فروها ، بعد أن زرعت فيها نوامٍ سرطانية ثم عرضت لاشعة النترونات فثبت أن هذه الاشعة تفوق الاشعة السينية خمسة اضعاف في فتكها بالخلايا السرطانية ، وأنها تؤثر في الخلايا السرطانية اكثر مما تؤثر في الخلايا السليمة

ثم لما تمكن لورنس من صنع صوديوم مشع ، بطريقته المتقدمة ، بدا لبعض الباحثين ان في الامكان صنع ملح الطعام من صوديوم مشع وكلور، وعندئذٍ يمكن ان يسفّ الملح سفًّا ، او يحلّ في الماء ويحقن ، فتنطلق منهُ الاشعاعات وهو دائر في الجسم . وقد جرّبت هذه الطريقة ببعض المرضى في مستشفى جامعة كاليفورنيا ، فلم تسفر عن نتيجة يصحّ السكوت عليها ، ولكن لورنس لا يميل الى اهمال هذا اللون من البحث الا بعد استقصاء دقيق . وللورنس شقيق استاذ للطب في جامعة هارفرد وهو الآن يساعده في الناحية الطبية من البحث

ومن ابواب البحث التي فتحها هذا الاستنباط امكان تتبع الدورة التي يسير فيها الحديد والكلسيوم في الجسم من ساعة يؤخذان اكلاً او حقناً الى ان يتركبا في الانساج وذلك باستعمال حديد وكلسيوم اضحيا مشعين بطريقة لورنس

وأحدث الانباء من كاليفورنيا ان لورنس معنيٌّ الآن بصنع « سيكلوترون » ضخم يبلغ وزن مغنطيسه الكهربائي ٢٢٠ طنًّا فيستطيع ان يقذف بهِ الدوتيرونات بزخم ١٢ مليوناً الى ٣٠ مليوناً من الفولطات ، ودقائق الفا بزخم ٢٤ مليوناً الى ٤٠ مليوناً من الفولطات

ولورنس من اصل نرويجي ولكنهُ وُلد ونشأ في اميركا وقد تلقى العلم في جامعة داكوتا الجنوبية ثم في جامعتي مينسوتا وشيكاغو بعد تخرجه من الاولى ثم عين مساعد استاذٍ في جامعة يايل وفي سنة ١٩٢٨ دعي الى جامعة كاليفورنيا ولا يزال فيها

سيرة الرافعي

لأحمد محمد عيشى

[انما الحياة حياة الابطال . . . أو . . . عبادة الابطال] « كارليل »

« لا أقدم اليك يا صاحبي في هذه الفصول سيرة عظيم من عظماء الشرق العربي فيها ما يتعشقه الفنان من صدق العرض وحبكة القصة وحلاوة التعبير ، أوما يعوزه المؤرخ من دقة التحليل واحكام التعليل فحسب، بل سترى فيها الناقد النزيه البناء الهدام، الذي لا يخشى في الحق لومة لائم ما يتطلبه من استنباط للمقاييس والنظريات والقواعد في حنكة ودراية ثم بصيرة نافذة تقول هذا حلال وهذا حرام، وتبنى على ضوئها المآخذ والاحكام. . وما ينشده من يقظة شاملة وبديهة واعية يستطاع معهما الذب عن الحوض وماء الخلود ، وفي جميع هذه الحالات سأبذل جهد الطاقة — ما استطعت — في رسم صورة صادقة لعملاق من عمالقة الادب العربي — بما له وعليه — لا يخالجك الشك اذا ما تبينتها أنها صورة « السيد مصطفى صادق الرافعي » رحمة الله عليه ...

— ١ —

في سنة ١٢٣٠ هجرية توفي عبد القادر الرافعي الكبير بطرابلس الشام الجد الأكبر للعائلة الرافعية في البلاد السورية والديار المصرية الذي يرجع نسبه الى الفاروق عمر بن الخطاب رضوان الله عليه . . . . . وهو أول من تلقب بهذا اللقب من شيخه الشيخ محمود الكردي الخلوتي — أثناء زيارته له بالقاهرة — دفين قرافة مصر والمعروف مزاره ، وكانت هذه العائلة تلقب قبل ذلك بعائلة البيساري بسوريا ، وخلّف من ورائه تركة مفعمة بالنبل والفضل والمجد ... وكان آخر كلماته التي فاه بها حينما حضرته الوفاة يخاطب أولاده وحفدته « أوصيكم بالتقوى وحسن الخلق ، ومذهب الامام أبي حنيفة النعمان . . ثم مصر والازهر الشريف » . . .

لا يولد الطفل من هذه العائلة حتى يُصب فوق رأسه الزيت الالهي . ويضمخ بالطيب الديني ويغرق الى قمة رأسه في الثقافة الدينية — الثقافة التقليدية — وتفرض عليه الصلوات ويسعى الى الفضائل بالتقليد والمحاكاة ، — وان كانت هي في الواقع تعرض أمام ناظريه كل

يوم ، وبذا فهي التي تسعى اليهِ — فينشأ الطفل في هذا الجو « الكهنوتي » من صغره ، يتلفت ذات اليمين وذات الشمال فلا يرى غير مراسم الدين تتلى صباح مساء وآي الله الحكيم يردَّد على لسان الصغير قبل الكبير ، والأردية « الكهنوتية » تضفى عليهِ وتخاط لهُ وتضفر لهُ الأكاليل الطاهرة يزين بها مفرقيهِ اذا ما دخل الدار في أي وقت — سواء بالغداة او العشيّ — يملأ خياشيمه دخان البخور الديني وتملأ أذنيهِ الأدعية والتراتيل ، في النشأة الاولى تنظم لهُ قلائد التقوى فيحلى بها جيده وتقدم لهُ الكأس المباركة طافحة مليئة بالماء المقدس — في الصبوح وفي الغبوق — فيشربها حتى الثمالة ، فلا غرو وهذا قانونهم ومذهبهم في الحياة ، ان تجمع الفضائل فيمن كان على شاكلتهم — في عرفهم — وان ينادوا على رؤوس الأشهاد . . انهم بلغوا ذروة المجد ومنتهى الكمال ولا ضير عليهم — ما دام قانون النسبية قائماً — أن ينشدوا من أعماقهم

« اذا بلغ الفطام لنا رضيع تخر لهُ الجبابر ساجدينا »

أجل ! فقانون النسبية الذي حدَّد المقاييس والابعاد ، وجعل كل جرم من أجرام الكون يقول حقيقة هذا الشيء بالنسبة لي . . . . بدلاً من ان يقول حقيقة هذا الشيء وكفى . . . . قادر على ان يوزع المجد ايضاً ويقول لقوم هذا خير بالنسبة لكم وللآخرين هذا شر بالنسبة لكم ايضاً . . . .

***

ان هذه العائلة هي التي احتكرت « الكهانة الاسلامية » من بعد عميدها — الرافعي الكبير — واحتكرت ايضاً مذهب الحنفية فلهم قضاء الحنفية في الشام ومصر ، ولهم الثقافة التقليدية التي تقوم عليها قائمة العلوم الاسلامية — في رأيهم — ولهم المواقف المشرفة نحو الاسلام والمسلمين وهم كما يقول الاديب سعيد العريان « ورأس أسرة الرافعي هو المرحوم الشيخ عبد القادر الرافعي الكبير المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ بطرابلس الشام ، ويتصل نسبه بعمر ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنهُ ، في نسب طويل من أهل الفضل والكرامة والفقه في الدين ، ما منهم الاَّ لهُ تاريخ مشهود وجهاد مشكور ومسجد ومزار وأول وافد الى مصر من هذه الاسرة هو المرحوم الشيخ محمد طاهر الرافعي ، قدمها في سنة ١٢٤٣هـ (قريب من سنة ١٨٢٧ م) ليتولى قضاء الحنفية في مصر بأمر من السلطان ، وأحسب ان مقدمه كان أول التاريخ لمذهب الامام أبي حنيفة في القضاء الشرعي بمصر . ولم يعقب الشيخ محمد الطاهر غير فتاة وغلام ، انتهى بموتهما نسبه فليس في مصر أحد من ولده ، ولكنهُ كان كرائد الطريق لهذه الاسرة فتوافد اخوته وأبناء عمومته الى مصر يتولون القضاء ويعلمون مذهب أبي حنيفة حتى آل الامر من بعد ان اجتمع منهم في وقت ما أربعون قاضياً في مختلف المحاكم المصرية ،

وأوشكت وظائف القضاء والفتوى ان تكون مقصورة على آل الرافعي وقد تنبه اللورد كرومر الى هذه الملاحظة فأثبتها في بعض تقاريره الى وزارة الخارجية الانجليزية

«وقد تخرّج في درس الشيخ محمد الطاهر وأخيه الشيخ عبد القادر الرافعي أكثر علماء الحنفية الذين نشروا المذهب في مصر ، ومن تلاميذهما الأدنين المرحومان الشيخ محمد البحراوي الكبير ، والشيخ محمد بخيت مفتي الدولة السابق »

— ٣ —

أما عبد القادر الرافعي الصغير هذا يا صاحبي فأن لهُ صلة قوية بالرافعي — المترجم — وبينهما وشيجة لا تنفصم عراها ووراثة طبيعية لا نكران فيها ، باتت في خلقهما وفي اطوار حياتهما وفي تحصيلهما العلم وقولهما الشعر ثم في موتهما ايضاً

ولكي اعطيك فكرة عن مصطفى الرافعي — المترجم — اسوق لك من حديث ذلك الرجل ذكراً . . . ففي اصيل يوم من ايام الشتاء المقرورة الباردة ، والرياح الهوج تارةً مزمجرة كآساد حبيسة في اقفاص ضيقة واخرى معولة كذئاب طليقة في فضاء غير محدود ، — اوائل القرن التاسع عشر سنة ١٢٦٣ هجرية — ، ذهب شاب في العشرين من عمره مطرور الجبين طلق المحيا صبوح الوجه تلوح على وجهه سمات النبل وأمارات الذكاء ، يفيض عافية وحيوية ، الى أبيه الشيخ وقبّل يده ووقف أمامه في خشوع وابتهال

— يا أبت أريد مصر ، قلب الشرق العربي الخافق ، مصر العلم ، أريد الازهر الشريف

— ألا يكفيك يا عبد القادر طرابلس وعلمها

— العلم لا وطن له

— اذكر صبارة الشتاء وما يصيبك من ألم

— لا لا ان الشباب لا يعرف الألم

— أمك تعارض في ذلك

— لو عرفت امي قيمة العلم لما ثبّطت عزيمتي التي لا يعرف اليأس طريقها

— أتعصى والدتك

— ان لم اعصها اليوم فكيف اطيعها غداً

— وكيف ! ! ألا تعلم ان رضاء الأم من رضاء الله ! !

— في بعض الأحايين لا تقترن طاعة الله بطاعة الأمهات . . . .

— ان امك لا تمنعك من العلم الاّ لتكون بجانبها

— لا لا ! لن اكون بجانبها جاهلاً خاملاً

فضحك الشيخ ملء نواجذه علامة الرضا وقبله في جبينه مثنى وثلاث ورباع ولم يرغب الاذعان لمشيئة فتاه ، وسمعت الام ما دار بينهما فسابقت دموعها المطر المنهمل وجاوب عويلها نواح الرياح

***

برح الفتى قريته حتى بلغ بيروت يحمل زاده وعتاده ونصائح ابيه الذهبية — الذي ودعهُ الى المرفأ ونقد الملاّح اجره ، الملاّح الذي حملها من قريتها الى بيروت — وبات ليلة بالقرب من مرفأ طرابلس بمنزل صديق له استعداداً للحاقه بسفينة الفجر الراحلة للاسكندرية ، ولما قام من نومه تفقد ما معهُ من نقود فلم يجد شيئاً فتملكه الهم والغم وذهب بهِ الحزن مذاهب شتى لاعداد لها ، وقال في نفسه « ماذا اعمل ؟ . أأرجع ثانية من حيث اتيت ؟ كي تفرح امي واحلامها الصغار ؟ . . انني لست طفلاً فلمَ تخافينَ عليّ يا أماه ؟ »

« ماذا يهم اذا كنت اضحيت صفر اليدين خالي الوفاض ، لا أملك غير الأمل . . . رحماك يا رباه ! » وظلّ يومين في نزل المسافرين لا يدري من امره شيئاً ، كان في خلالها قد لوَّح له اليأس بيديه من بعيد فأشاح بوجهه عنهُ ، لكنهُ في اللحظة الاخيرة ، عانق الايمان والامل واستقبل النور نور الفجر الوليد . ذلك انهُ اقبل عليهِ رجل يسعى

— أأنت عبد القادر الرافعي ؟ — أجل !

— ابن حبيبي ، هاك قبلاتي ، تعال معي الى الدار !

فمضى معهُ وبات ليلة أحسن وفادتهُ فيها وفي الصباح احضر له تذكرة سفر من الدرجة الاولى فوق سفينة الاسكندرية ، وقبل ان يودعه ناوله قرطاساً وقفل راجعاً ، ففضّ الشاب القرطاس فوجده مملوءاً بالذهب الوهاج الذي يخطف بريقه الابصار ، وسارت السفينة باسم الله مجراها ومرساها حتى بلغت شاطئ الاسكندرية ، وكانت قد مرت ببلدة موبوءة بالطاعون فحجز جميع من بها مدة لا تقل عن العشرين يوماً ، كان في خلالها يزوره رجل من اغنياء الاسكندرية — اوصاه بهِ ضيف بيروت وصاحب القرطاس — يقدم اليهِ الطعام والشراب كل يوم حتى فك اسرهم وانطلق عبد القادر يعدو نحو قطار القاهرة . . ثم الى الازهر الشريف . . . . ثم درس ونال العالمية . وولى قضاء الحنفية كما هو المفروض وظل يتقلب في وظائف القضاء ويضرب بنزاهته وعدله وحصافته وورعه المثل ، الى ان أحيل الى المعاش

وكان في شبابه يقول الشعر على طريقته هو وعلى طريقة ايامه ، ثم خلا بعد ذلك منصب الافتاء بعد الامام المصلح الكبير الشيخ محمد عبده ، فلم يجدوا من يصلح لمثله غير هذا الشيخ الوقور ، لكنهُ في اليوم الثاني من توليته هذا المنصب الخطير مات فجأة وهو يزور احد الوزراء وقضى الرجل وترك لابن ابن اختهِ — المترجَم — الشعر والنبل والعلم والموت بالسكتة القلبية !

- ٣ -

في يوم — يوافق اول يناير سنة ١٨٨٠ — تألق ضحاه وحمي وطيس شمس ظهيرته ، وطاب اصيله ، وأظلم ليله — وأرعد وابرق — فجأة ، ولد المرحوم مصطفى صادق الرافعي من ابوين كريمين ، فالاب هو الشيخ عبد الرازق الرافعي ، سليل الاسرة الرافعية — تلك الاسرة التي يحق لنا ان نطلق على ابنائها « كهنة الاسلام » — واحد شيوخها الاجلاء ، تولى قضاء الحنفية كأخوته وابناء عمومته — اذ ثقافتهم واحدة — وظل يتدرج فيها حتى ولي منصب « قاضي مديرية الغربية » — أي بمنزلة رئيس « محكمة اليوم » ، وعرف بالتقوى والصلاح ، ونزاهة الحكم وسلامة الطوية واخلاصه للامة العربية وغيرته على الدين

كان إذا رأى ما يخالف الدين غضب وثار كما يثور الحر لكرامته أو اذا ما رأى باطلاً تحداه غير عابئ بما قد يصيبه في سبيل ذلك ، ما دامت وجهته نصرة الحق واحقاق الحق والأخذ بيد المظلومين

أما أمهُ فهي « اسماء » ابنة الطوخي التاجر الشهير ، وفي ذلك يقول الأديب سعيد العريان « وأم الرافعي كأبيه سورية الاصل ، وكان أبوها الشيخ الطوخي تاجراً تسير قوافله بالتجارة بين مصر والشام وأصله من حلب ، وأحسب أن اسرة الطوخي ما تزال معروفة هناك ، على انهُ كان اتخذ مصر وطناً لهُ قبل أن يصل نسبه بأسرة الرافعي . وكانت إقامته في (بهتيم) من قرى مديرية القليوبية وكان لهُ فيها ضيعة وفيها ولد الاستاذ مصطفى صادق الرافعي في يناير من سنة ١٨٨٠م إذ آثرت أمهُ أن تكون ولادتها في بيت ابيه . وكانت أم الرافعي تحبهُ وتؤثره ، وكان يطيعها ويبرّها ، وقد ظل إلى أيامه الأخيرة إذا ذكرها تغرغرت عيناه كأنهُ فقدها بالامس ، وكان دائماً يحب أن يسند اليها الفضل فيما آل اليهِ أمره ، وقد توفيت في أسيوط ودُفنت بها ، ثم نقلت الى مدافن الأسرة بطنطا ، وقد شيعها الرافعي على عنقهِ الى مقرها الاخير »

وبهتيم هذه التي ولد فيها الرافعي كانت يومئذٍ قرية ريفية ساذجة لا تمتد اليها يد الاصلاح ولا يعرف النظام طريقها ، شأن جميع القرى المصرية . كأن النظافة والاصلاح ما خلقا إلاَّ للمدن ورفاهيتها ، دون القرى ومن فيها ، وكأنهم غير خليقين بشيء ضئيل مما انعمت بهِ الحضارة على العالمين . . . أما بهتيم اليوم — لحسن الحظ — فهي قرية نموذجية جميلة جعلتها وزارة الزراعة مهداً للتجارب الفنية المختلفة ، وبعثت فيها حياة اخرى البستها الجدَّة والرونق والبهاء

وكان الرافعي هو الولد الثاني لأبويهِ فأحباه حبًّا جمًّا ، وأظهرا له من المودة وضروب البر والرحمة ماطبعهُ على غرارها ، وما طبع في نفسهِ الحب الجم لأبنائهِ وحفدتهِ ، ذلك الحب الذي يفوق العبادة ، والذي يؤلف بين قلوب الآباء والابناء ولا يجعل للعدو ولا للشيطان ثغرة ينفذ

من خلالها بينهم ، وهذا هو السر الذي جعل من الرافعي الشيخ ذي العائلة الكبيرة عيناً — تسح دائماً — باكية أمهُ الذي اقتطفها الموت وهو ما يزال في ريعان الشباب ، وهو السر الذي نراه في دموع ابناء الرافعي تلك الدموع التي لا ترقأ ولا ينقطع سيلها اذا ما خلا مجلسه أو ذكرت أعماله الصالحات الطيبات

ولكن الرافعي نشأ لا يسمع غير القرآن . أو ما يقرب من القرآن . فانطبع في نفسه ذلك البيان المشرق وارتسمت على مخيلتهِ صور العربية الاولى — لفخامتها وجلجلة اجراسها — العربية الفصحى ، العربية التي استطاع بها أن يكتب « اعجاز القرآن » « وتحت راية القرآن » ويدافع دفاع المستميت عن العربية وعن لغة القرآن . ولما بلغ السادسة من عمره بعث بهِ أبوه الى الكتّاب فتعلّم مبادىء القراءة والكتابة وأخذ في حفظ القرآن ، وما جاءت سنتهُ العاشرة حتى استظهره عن ظهر قلب حفظاً وتجويداً ، وكان في سني طفولتهِ لا يعرف الكذب اطلاقاً ولا يظهر امام ابيه الاّ بما ينبىء عن طاعتهِ وصدقه فسماه «الصادق» وبذلك سمي مصطفى الصادق

***

ان للبيئة والوراثة أثراً بيناً في تكوين اخلاق الطفل وفي توجيهه ، وفي غرائزه ، فالطفل هو ذلك النهم الذي يطبع — لاول وهلة — على مخيلتهِ الصور التي تلعب ادوارها امامه ، ثم يحيلها الى دعائم تقوم عليها قوائمه من بعد ، شأن العالم أو الاديب الثقف اللقف ، الذي يخطف المعارف خطفاً ، ثم يحيلها في معملهِ إلى صور مختلفة الاشكال متباينة الالوان ، ويجعل من اللمحة الخاطفة ، او الجرعة الصغيرة هيكلاً ضخماً فخماً ، قويَّ البناء متين التركيب ، تجري في عروقهِ دماء الحياة

فقد كان الرافعي الطفل — يوم أن كان في الكتّاب يدرس القرآن مع لداته — هو ذلك الحاكم العادل — في عرفهِ هو يومئذٍ — المسرف في حكمه ، الغاضب للحق الآخذ بناصية الظلم ، الشديد في حكمه الى درجة الاغراق او الاسراف ، الذي يخرج الشيء عن طوره ويجعلهُ يتعدى دائرته التي خلقت له وخلق لها . ذلك انهُ كان لا يعرف بينهم إلاَّ « بابن القاضي » فاذا ما شجر خلاف بين طفلين فلا يحتكمان إلاَّ اليهِ

— يابن القاضي ! هذا الولد ضربني بكفهِ مرة واحدة

— بدون سبب ؟

— أجل !

— فليضرب بالعصى الغليظة ، مثنى وثلاث ورباع !

ثم يقبل عليهِ آخر

— يا مصطفى ! لقد سرق مني هذا الولد ، القلم والمحبرة

— لنُقطِّعنَّ يده !

ثم يجيء ثالث

— يابن القاضي . هذا اللعين سب ديني

— دين الاسلام ؟

— نعم !

— لنحرقنهُ ولننسفنهُ في اليم نسفاً !

وما كان يحول بين تنفيذ هذه العقوبات الصارمة المغرقة المسرفة غير تدخل العريف «يامصطفى خلِّ عنك هذا فأني أولى بتأديب الاولاد منك » ... وهكذا دواليك . . . مما يرسم لك صورة حية من اخلاق الطفل ومن تأثير البيئة في نفسهِ وطبعه بطابعها الخاص ، فقد اخذ ابوه مرة بتلابيب رجل مسلم يدخن لفافته ظهر يوم من ايام رمضان في الشارع العام ليقيم عليهِ الحد الشرعي

وهكذا نشأ الرافعي — على غرار أبيه — يغضب للحق غضبة مضرية ، وينتصر له اينما كان وحيثما كان . . وكان يصيب تارةً ويخفق اخرى . . وكان اخفاقه نتيجة اعترافهِ دائماً، الامر الذي اصاب معهُ التوفيق في « اعجاز القرآن » و « تحت راية القرآن » والدفاع عن لغة القرآن والاخذ بيد المستضعفين من ابناء لغة القرآن بأناشيده الحماسية التي كان فيها نسيج وحده ، تلك الاناشيد التي ارسلها من صميم فؤاده في عاطفة مؤججة ، وقالب عربي مبين ، فكانت اناشيد القوم — العرب — اذا ما حزبهم امر او وقف العدو لهم بالمرصاد

اما اخفاقه ففي كثير من « على السفود » ثم في كثير من نقداته المرة ولذعاته الحارة التي كان يصيب شواظها الرؤوس والاجسام والتي كان يرسلها حمراء هيجاء يصيب بها من يشاء من خصومهِ مما ستراه في موضعه تفصيلاً وتحليلاً ان شاء الله

***

لم يتجاوز العاشرة الاَّ بقليل حتى بدأ في تأملاته ورحلاته ، تأملاته في عجائب الكون وحسن تنسيقه وروعة جماله ، ورحلاته الى اقصى حقول « دمنهور » حيث كان ابوه مازال قاضياً بهِ — ليجتلي سحر حقوله السندسية المنبسطة وزرعه الاخضر الجميل . . . . فالجداول ضاحكة رقراقة ، والاشجار حالمة والطيور باسمة والنسمات بليلة والآصال جميلة ، والاثمار اليانعة والرياض الممرعة والحدائق المبدعة والنخل باسقات لها طلع نضيد

يخرج من دار ابيه في صباح يوم الجمعة من كل اسبوع هو واخوته وأخواته للتنزه في المدينة ، فيفلت منهم وييمم وجهه شطر الحقول البعيدة فيظل هائماً بها — طوال اليوم — كالانبياء القدامى متأملاً خاشعاً مطأطيء الرأس امام ذلك الجمال اللانهائي والذي لا يدري من امره شيئاً

هذه هي السماء الصافية الاديم ، وتلك اشجار التوت الكبيرة الوارفة الظلال ، وهذا الغدير ينساب من تحتها في رفق ولين انسياب نسمات الاصيل في اجوائها الخالصة ، صافياً صفاء النفس الطاهرة ، مشرقاً اشراق ومضات الروح المتحرر من القيود ، وهذه هي العصافير تشقشق فرحة مرحة طائرة هنا وهناك ، كأنها هي الاخرى شاعرة سكرى تبحث عن جمال الله في الآفاق

كل ذلك ملك على الفتى مشاعره ، وجعله يعبد جمال الريف ذلك الجمال الخالص من كل شائبة ، يعبده بعيداً عن زيف المدنية وباطلها بعيداً عن اخوته ورفاقه الذين يصيدون العصافير ويقتلونها بنبالهم في الوقت الذي يكتفي هو فيه بصيد الاسماك من البركة ذات الماء الشبم ، التي تشبه السماء في صفائها وزرقتها او من النهير الصغير او الجدول النمير ، لا يبتغي من وراء ذلك غير اشباع روحه ومتاع نفسه . قائلاً لرفاقه « ايها السفاكون كيف تقتلون العصافير . . ايها الاغبياء . . ان الجمال ليس لهُ ان يقتل على هذه الصورة البشعة المنكرة . حقًّا انكم لجاهلون ! » ويكون جوابهم « ايها المجنون اليك عنا ، اليك عنا » !

لم يكن هم الفتى يومئذٍ ، غير الدرس والحفظ والتجويد ، . .—ولو انهُ انتظم في السنة الاولى من المدرسة الابتدائية الاميرية—الدرس درس النحو والصرف ومبادىء الفقه . والحفظ ، حفظ كتاب الله وتجويده ، وترديد آياتهِ وتفهم معانيها . . . وكان يعاني في ذلك مشقة كبيرة وألماً ، الامر الذي من أجله ضعف سمعه وصدره كما سيأتي تفصيل ذلك في موضعهِ ، وهنا ينتهي الشطر الاول من حياتهِ ، وهو في نظرنا أهم شطر منها ، وكان لنا من طفولتهِ وحوادثها الشيء الكثير لو ان المرحوم الرافعي عني بتدوين حوادثها ، او كتب عن طفولتهِ بنفسهِ ، أو ذكر لنا أهم الحوادث التي اعترضت هذه الطفولة الساهمة الواجمة دائماً والتي ما كانت تعرف الضحك او اللعب ، بل التي عليها الحمل وهي ما زالت تحبو — وكلفت عناء الدرس في مقتبل العمر ، وقبل ان تنعم بمباهج الحياة . . . .

أجل ! كان لنا في طفولتهِ مخرج نخرج منهُ بتعليل بعض ما أبهم علينا من غامض خلالهِ وأثر الطفولة وخلالها في نفسهِ — الى يوم موتهِ — . . ولكن للأسف ليس امامنا ما نعتمد عليهِ في هذا المقام الاَّ النزر اليسير . . وجل اعتمادي — في بعض الحوادث — يا صاحبي على القياس والمنطق والتعليل والتحليل—اذ الصور تدفع بعضها بعضاً—وللمترجم الحق في استخراج صوره التي يريدها — في مثل هذه الحالة — من الحوادث التي أمامه ومثله كمثل الباحث عن قليل من الذهب بين ركام من الرماد

— ٤ —

بعد ذلك نقل الشيخ عبد الرازق الرافعي قاضياً بمحكمة المنصورة الشرعية وانتقلت معهُ اسرته ومنها الفتى « مصطفى » ، الذي لم يبلغ الثالثة عشر ربيعاً بعد ، فالتحق الفتى بالمدرسة

الابتدائية الاميرية، وكانت اللغة الفرنسية هي اللغة الاجنبية التي تقرر الوزارة تدريسها ، فأكبَّ الفتى على دروسه ولازمهُ النجاح طوال سني الدراسة وحصل على الشهادة الابتدائية بتفوق

ومما هو جدير بالذكر ان « الرافعي » — الفتى — قد بز أقرانه في اللغة العربية وعلوم النحو والصرف الى درجة ادهشت زملاؤه ومدرسيه ، ثم اضعفتهُ في اللغة الفرنسية الى حد كبير ، مما لازمهُ طوال حياته ، ومما جعله ينسى الفرنسية تماماً ويكاد ينساها لعدم انتفاعه بها انتفاع الاديب المثقف الذي يستمد زاده من روافد الادب العربي عامة والادب العالمي خاصة ، ذلك الزاد الدسم الذي لا يمكن الحصول عليه الاَّ باحدى اللغات الغربية التي هي مفتاح هذا الادب الواسع — العريض — الثراء . . . ولو ان عندنا ترجمة شاملة للعلوم والآداب الرفيعة ، لانتفع الادب العربي — والاديب العربي — بذخائر الادب الغربي ، ووقفنا على مناحيه المتباينة ومذاهبه المختلفة وسهل التلاقح بين الادبين وأثمر الادب عندنا ثمره المرجو واستطاع في يوم قريب ان يقف بجانبه موقف الند للند لا موقف القزم الحقير ، امام العملاق الجهير . أما تفوقه في العربية والنحو والصرف فيرجع الى استظهاره القرآن ، ثم الى دروس ابيه الذي ما كان يفتأ يدرسهُ ليل نهار علوم البلاغة والنحو والصرف حتى بلغ مبلغه فيها وقطع شوطه ذلك الشوط البعيد

اما سلوكه في المدرسة الابتدائية مع اساتذته فسلوك الطالب المستقيم الحافظ للحقوق والواجبات ... اما مع زملائه من الطلبة فموقف المتعالي الشامخ بأنفه كبرياء وصلفاً الذي كان كثيراً ما يعيرهم «ما هذه العجمة التي في السنتكم، وما هذا العي الذي يلازمكم وما هذا الهذر الذي به تنطقون » ؟ ! . . . . . وكان هذا ديدنهُ — رحمة الله عليه — الى آخر نسمة من حياته المليئة بمواقف الرجولة والكفاح والجهاد

— ٥ —

لما حصل الفتى على الشهادة الابتدائية اصابهُ مرض التيفود فلازم فراشه شهوراً وما برىء منهُ إلاَّ بعد ان برىء منهُ سمعه — او كاد — فراح يطالب علاجاً عند الاطباء فلم يجد — رغم طول السعي — من دواءٍ يستمع الى آلامه الممضة ويدرأ عنهُ عاهتهُ النازلة بساحته وتريد أن تحتل من اذنيه وطناً ومقاماً . وفي ذلك يقول الاديب العريان « واخذت الاصوات تتضاءل في مسمعيه عاماً بعد عام كأنها صادرة من مكان بعيد ، أو كأن متحدثاً يتحدث وهو منطلق يعدو . حتى فقدت احدى اذنيه السمع ، ثم تبعتها الاخرى ، فما أتم الثلاثين حتى صار اصم لا يسمع شيئاً مما حواليه ، وانقطع عن دنيا الناس وامتد الداء الى صدره فعقد عقدة في حبال الصوت كادت تذهب بقدرته على الكلام ولكن القدر اشفق عليه ان يفقد السمع والكلام في وقت معاً ، فوقف الداء عند ذلك ، ولكن ظلت في حلقه حبسة تجعل في صوته

رنيناً اشبه بصراخ الطفل ، فيه عذوبة الضحكة المحبوسة استحيت ان تكون قهقهة . . ، ، :

غير اني أرى ان اصابته بالصمم لم تأت مرةً واحدة — عقب التيفود مباشرةً — بل تدرجت شيئاً فشيئاً حتى بلغ الثلاثين لانهُ لم ينقطع عن التعرُّض لضربات برد الليل يوماً طوال هذه العقود . . . والداء اذاً سبق هذا التاريخ . ذلك انهُ حدثني الدكتور نبوي الرافعي — شقيق الرافعي — « ان المرحوم مصطفى كان يقوم كل ليلة من نومهِ مذعوراً — وهو في سن العاشرة — كما سمعت من ابوي ، ليحفظ الواجب اليومي عليهِ من القرآن ويستظهر بعض النصوص الادبية » . . .

ولانهُ كان يكره الحر الشديد ، ولا تتحمل اعصابه الثائرة لوافحه كان يذهب الى الدهليز مباشرةً دون غطاء على صدره واذنه ، اتقاء للسعات البرد ، اذ كان من حدب امه عليهِ ان تثقل عليهِ الغطاء حينما ينام خيفة عليهِ من البرد ـ فكان اذا شعر بالحرارة تدب في جسمهِ قام مذعوراً وخرج يقابل البرد ، وفي ذلك ما يعرضه لضربات البرد القاتلة ، تلك الضربات التي بعثت الداء الى اذنيه ـ في بطء ـ وساعدت الداء ان لم تكن هي السبب في الداء ، وجعلت التيفود يصيبهما في الموضع القتال ولا يتركهما الاَّ في النزع الاخير

ربَّ سائلٍ يقول « اذا كانت يد البرد قد امتدت الى الاذن فلمَ لم تمتد الى الصدر ايضاً وتوهنهُ وتبعث فيهِ السأم والكلال . ولماذا شفي من صدره دون اذنهِ ؟ »

فجواب ذلك : لقد تلاشى هذا الضعف ، ضعف صدره ، بمزاولة الالعاب الرياضية وأُصبح هذا الجسم الضاوي النحيل ، على ممر الايام . قويًّا مفتول العضد ينبيء عن حيوية دفاقة وعافية متجددة ذات ماء نمير . اما اذنه فمن يداويها ... لقد كان الطب في مصر من ثلاثين عاماً ـ خاصة طب الاذن والحنجرة — غير موجود بمعناه الحقيقي ، وكان من السهل مداواة هذا المرض باديء بدءٍ لو ان الله قيض للرافعي المسكين ما يذهب عنه هاته السقام ....

وقد شاءت المقادير ان يكون القرآن واللغة العربية ، وهما اول شيءٍ تمكن منهما الرافعي وأحبهما كل الحب ، هما السبب المباشر في اصابة الرافعي بالصمم ، والصمم بدوره هو الذي مهد للرافعي طريق المجد ، طريق الخلود . فلولا الصمم ما انقطع الفتى المدل التياه — وهو في سن العشرين — عن امله ودنياه كي يقطع — في مرحلة صغيرة — هذه المراحل البعيدة التي من الصعب على حدث ناشيء مثله ان يقطعها ، ولما قنع بوظيفة صغيرة لا يملك من ورائها حولاً ولا طولاً وفي وسع اسرته ان تدفع بهِ الى كبرى الوظائف دون مشقة او عناء

***

ما هذا النقص الذي تلافاه الرافعي في حياته وأنقذ صدره دون اذنه ؟!

اجل :.. كان الرافعي يسكن مع اسرته في طنطا ، في اول عهده بالوظيفة ، وذات يوم وهو عائد الى طنطا ، بينما كان يتسامر مع بعض زملائه الكتبة امام محطة طلخا اذ ابصر برجل غليظ القلب يوسع غلاماً مسكيناً ضرباً مبرحاً فرقّ له قلبهُ وانقض على الرجل بعصاته ولم يتركه حتى ترك الغلام ، ولولا ان جاء القطار وحيل بينهما لاشتبك الرافعي مع اسرة الرجل ، شيخ البلد ، صاحب السلطة والسلطان والهيل والهيلمان . وركب الرافعي القطار والرجل يتوعده ويتهدده ، والرافعي يلوح له بعصاته حتى غاب القطار عن الانظار ، وغداة غدٍ احتل الرجل محطة طلخا هو واسرته في انتظار ذلك الافندي « المهزول » الذي بلغت بهِ الجرأة ان يضرب عائلهم الوقور ولولا وساطة اهل المروءة وزملاء الرافعي ما كنا نعلم ما يصيبه من نتائج هذه المعركة التي كان فيها الغلبة للخصوم

ومن ذلك اليوم والرافعي يسعى في ملافاة نقصه وضعفه بمزاولة الالعاب الرياضية تلك الالعاب التي حرص عليها من ذلك اليوم حتى يوم موته ، والتي بلا صنوفها كلها من عدوٍ وقفزٍ وملاكمة وحمل ما يزيد عن المائة كيلو جرام من الاثقال ! . وكان في هذا كله السابق المعلى !

***

لما حصل على الشهادة الابتدائية سعى لهُ ابوه حتى عين كاتباً بمحكمة طلخا الشرعية وكان ذلك في ابريل سنة ١٨٩٩ بمرتب شهري قدرهُ اربعة جنيهات ، لكن هذا الشاب الغريض ، وذلك الفتى الغرانق الذي قارب السابعة عشر المزهو بشبابه وعلمه وحياة اسرته رأى ان في هذا التعيين استصغاراً لشأنه واذلالاً لكبريائه

— يا ابتِ كيف اعين كاتباً بسيطاً واخي الكامل يعين مأموراً للمركز ، يأمر وينهي ويحكم حسبما يشاء ؟ !

فدنا الشيخ عبد الرازق من اذن ولده المختال في بردته خيلاء وعجباً وصاح :

— اسمع يا مصطفى . . انسيت ان في اذنيك وقراً ؟ وانك انت الذي اخترت هذا لتفرغ لدرس القرآن والشريعة الغراء وتتوسع في علوم البلاغة والعربية ، وتتفقه في الدين والمذهب ، وتسعى بما اوتيت من فصاحة لاستكمال ما نقص منك كي تكون لساناً زلقاً ذرباً يدفع ملمة ويدرأ عادية ويقهر عدوّاً

— ولكن يا . . — ولكن يا مصطفى انت الذي اخترت وتفلسفت ، وخلقت يا بنيّ لتجاهد في سبيل الله ، وما الحياة الدنيا الاّ لعبٌ ولهوٌ وما الحياة الدنيا الاّ متاع الغرور »

— فاقتنع الشاب بمقالة ابيهِ وسمع ووعى . . . . ونقش في ذاكرته الامينة « خلقت لتجاهد في سبيل الله » . . وصادف هذا البث ، وهذا الايعاز وهذا الاشعار بالعظمة وهذا

الايحاء بالمجد في نفس الفتى مكاناً خالياً . . . « وصادف هواها قلباً خالياً فتمكنا » ! ! . . .

ومن يومها وهو يريد ان يحقق ظن ابيه فيه ، وقد ظن انهُ اخذ على الدهر ميثاقاً ان يتحدث بعاطفة صادقة ملتهبة ، — ولو كان في ذلك حتفه — اذا ما اراد ان يرد فرية دخيلة على الدين او يفحم عدوًّا للعربية والاسلام ، ذلك ان هذا العدو هو العدو المبين !! . . .

— ٦ —

لماذا اراد الرافعي ان يُعيَّن في طنطا ؟

الجواب ستعرفهُ من تلقاء نفسك ياصاحبي بعد قليل . . . . اذا ما التمست له العذر وتبينت شغف الرافعي بالمنصورة اثناء الدراسة ، ذلك الشغف الجدير بكل نفس شاعرة تتعشق الجمال في احسن صوره واروع مناحيه . . .

فجمال نيلها الاخاذ ، وسحر جسرها العجيب ، وروعة الظباء في غدوها ورواحها وفتنة الحسان في خطراتها ولفتاتها ، وجمال عرائس الشط القائمات كمد من المرمر يسبينَ العقول ويأسرنَ القلوب والالباب ، المرسلات شعورهنّ كأنهنّ جنيات البحر وقفنَ يجتلينَ سحره بغية الارتماء بين احضانه ورشفن رحيقه الكوثري السلسبيل ! !

أرأيت الى النيل في الفجر وقد غلفته الانداء المعطرة بغلائل من سحب ترجيها افانين السحر تارةً وأخرى تخضلها امواه الجمال . . وقد استحال البحر الى معبد ــ اشبه بمعبد ابولون ــ عبق دخان مجامره اجواء الافق الغربي والساحل الشرقي وطابت الصلاة عن كثب منهُ على صوت المزامير ، مزامير البلابل الشادية ــ لاخدان الحقيقة وابناء الخيال على السواء ! ! !

أرأيت الى الفجر وقد خضب الشفق الغروب بدمهِ الاحمر القاني صفحته فأضحت كأنها لوّثت بدم الشهداء . . . او خرجت بدمع المحبين ! !

أرأيت البحر في الامسية الرخية وقد انعكست على صفحتهِ اللألاءة انوار المدينة الغرقى في احلامها فاستحالت الى عمد من فضة قامت تحمل مناسك ومحاريب يصلى فيها لآلهة الحب وارباب الجمال الشعراء والملاحون والعشاق المعاميد ! !

أرأيت الى مغاني الحب ؟؟

وحدائقه الغلب ؟؟

وكل آسرة للقلب ؟؟

وكل آخذة باللب ؟؟

ما احيلاك . ..

يا ليالي الصب ! ! !

« لها بقية »

احمد محمد عيش

الحب الصوفي

نجوى الله والشاعر

يا كئيباً بجزيه !
اترك حبك فلا يزال للحب زمن
هلمّ اليّ فانني ارتقبك
وعد الى الينبوع الذي لا نهاية لفيضه .

آه ان موتي في العالم هو بقائي الى الابد
نفساً يغمرها لمعانك الإلهي
وبفراري اليك — من العدم الذي اهواه —
ارتوي من الحب على صدرك بلا انتهاء .

في حضن البحر قطرة ماء تئن ،
يجيبها البحر : اذا كان هنالك لا يزال تباعد بيننا ،
فذا قلبك الذي فرضهُ » .
موتي وادخلي في مادتي تصبحي الهاً !

انني عندليب رياض الاسرار
أئن وابكي واتلاشى على قدمي الاله
انني العندليب الراحل من الارض
مستهاماً — الى الابد — بورود السماء .

[المقتطف : نشرنا في مقتطف اكتوبر النشيد الاول من هذه القصيدة العامرة وموضوعه « حب المرأة » وهوذا النشيد الثاني وعنوانه « نجوى الله والشاعر » ويليه النشيد الثالث في جزء يناير القادم وعنوانه « الشك » وجميعها نقلها خليل هنداوي]

عش عيشة العبادة والذهول والحب .
أحب وتمنَّ وتألم ، ودع قلبك يتفتح كل يوم اوسع افقاً
لحب اكبر وأعمق غوراً . . .
تناول فرحه من الشمس حتى تستطيع ان تهبهُ للكل !

في اجواز البحار ، وفي اعماق السماء ، وفي كل مكان
أرى نمو حياتك التي لا تنتهي .
خاضعة للوزن والعدد ونظام الايقاع .
واراني — في سبيل تقليدك — اعمل على توقيع صوتي .

الكواكب المشتعلة بذهول ابدي تدور ،
تدور بلا نهاية عابدة ربها
وانت ايها الدرويش ! در كذلك فان نفس الحرارة تستولي عليك
وهي التي تعطي لترنح ما في السماء الملتهبة .

جميع الكواكب مجنونة هائمة في حبك
والبحر ينخفض ويعلن مجدك .
والقمة الشاهقة الصاعدة نحو قبتك تعبدك في الليلة السوداء .
والقمر — من حبه الشاحب — يتنهد معي .

ان السماء هي عصفور لازوردي يصفق جناحاه .
على الطريق الذي تهديه اليه يدك يا الهي !
فلاية غاية يحلق ؟ واين يهوي غداً ؟

روحك هو الشعاع الذي يثقب الظلمة الحالكة
فيعير مجده — لحظة — للذرات الحقيرة
ولكن يا الهي ! استعد لمعانك من العدم
فما عسى يبقى من حقيقته ؟

ان نفسي هي اللانهاية التي تطرب وتتألم
وانا الحياة الملتهبة والموت المظلم .
انا هوّة يتيقظ فيها كل شيء ويغفى
وبالدوار يصاب كل من يرى هوتي .

فكرتك — وهي تنير يوماً هذا الوجود
تجعل ذرات الهباء فيها تسطع لحظة .
وهذا الوجود - يا الهي - الذي هو عاصفة الاخيلة والاشباح
ان هو الاّ حلم او لعبة تصورها اشعاري .

اري الفضاء لا يتناهى فوق هذه القمة الشاهقة
ولكني اكبر هذا العالم حيناً وحيناً احقره .
هذا العالم الذي لا يراه الاله الاّ عدماً محضاً . . .
او كتلة من الهواء حقيرة يكنفها البحر.

انهُ كسحابة ذهبية في حواشي المساء .
وانهُ يتراءى في اعماق فكرتك كالبحر المشتعل في الغروب الرقيق
وان حلمي المنقول عنك هو مرآتك .

انني أنا الموجة التي لا تتناهى ،
وأنا الزمان الذي ليس لهُ حدود .
حلمي هو الذي أزهر الآباد المظلمة . . .
أنا الموت ، وأنا الحب ، وأنا الهوّة المحبوبة ،
التي يقيس الفناء منها الوجود ويتدفق رويداً رويداً .

هل يدرك السحاب أية قوة تزجيه ؟
تقذف بهِ يوماً ريح عاصف ويوماً ريح رخاء
وتقوده قوّة تارةً أنت تباركها وتارةً أنت تلعنها .
هل تعرفني حقّاً ؟
أنا هذه النسمة التي لا تتناهى . . . .

مرض اليبس

في شجر الموالح [1]

Mal Secco

للدكتور محمد منير بهجت

نشرت « جريدة ذي اجبشيان جازت » في اول مارس سنة ١٩٣٧ برقية من روما بعنوان « ظهور مرض جديد خطر على ثمار الموالح بايطاليا » جاء فيه « ان تجارة الموالح هناك مهددة بالكساد وان مساحة تربي على ثلاثين ميلاً مربعاً من بساتين الموالح المثمرة اقتلعت اشجارها في منطقة باليرمو من جزيرة صقلية لاصابتها بهذا المرض الجديد الخطر »

ولما كانت مصر لا تزال تستورد مقادير كبيرة من ثمار الموالح التي يستورد منها جانب كبير من ايطاليا والرقابة في الجمارك المصرية على الوارد من تلك الثمار ما زالت مقتصرة على مرض اللفحة البكتريولوجية والتقرح تنفيذاً للقرار الصادر في ٣٠ اغسطس سنة ١٩٣٢ فقد اهتم قسم رقابة المزروعات بهذا المرض الجديد واصدر تعلياته اللازمة لجميع مكاتب الحجر الزراعي في الجمارك موجهاً النظر مشدداً بوجوب مضاعفة الرقابة على جميع الموالح الواردة من ايطاليا وحجز ما يشتبه في اصابته بهذا المرض الجديد ، وطلب الى الوزارة في الوقت نفسه الاتصال بملحقها الزراعي بروما لموافاة القسم بكل ما هو جديد في هذا الموضوع

وفي ١٢ ابريل من السنة نفسها ورد من الملحق الزراعي المصري بروما ما يفيد عدم ظهور مرض جديد في الموالح الايطالية وان المرض المشار اليه يعتبر جديداً في منطقة باليرمو فقط حيث هال زواع الموالح فيها ظهوره على اشجار الليمون وتفشيه في كثير منها . ولذلك اهتمت وزارة الزراعة الايطالية به وعهدت الى البروفيسور بيترى في السفر الى هذه المنطقة وفحص الحالة وقد جاء في تقريره ان هذا المرض ليس بجديد وانما هو مرض اليُبْس Mal del Secco

(١) مقال مقتطف من مذكرة فنية وضعها الدكتور محمد منير بهجت وكيل الحجر الزراعي الجمركي بوزارة الزراعة ، بأذن منه

الذي سبق له فضل اكتشافه في سنة ١٩٢٩ على اشجار الموالح بجزيرة صقلية واطلق اسم Deuterophoma trachiephila Petri على الفطر الذي يسببهُ ومما اتضح لهُ عند فحص منطقة باليرمو ان المرض لا بد ان يكون قد ابتدأ في الظهور على اشجار الليمون فيها قبل سبع سنوات على الاقل غير ان تفشيه كان بطيئاً فلم يلتفت له الزراع . اما وقد انتشر اخيراً انتشاراً مريعاً في منطقة باليرمو فقد اعتبروه مرضاً جديداً . ولما كان من المهم المام رجال الحجر الزراعي بالجمارك المصرية بكل ما يتعلق بهذا المرض من جهة نشأته واعراضه وتوزيعه الجغرافي وعوله وطرق مقاومته فقد عهد الي محمد بك كامل مدير قسم وقاية المزروعات ان اكتب عن هذا المرض الجديد بدقة لتتهيأ الفرصة لكل من يهمهُ الامر للوقوف على كنهه والاحاطة بأطواره المختلفة لتسهل بذلك مراقبته حتى لا يتسرب الى داخلية القطر

﴿ نبذة تاريخية ﴾ في سنة ١٨٩٤ ظهر هذا المرض لاول مرة في جزيرة كيوس

وفي سنة ١٩٠٠ ظهر في جزيرة فاروس من الجزر اليونانية

وفي سنة ١٩١٦ ظهر في الساحل الشرقي من جزيرة صقلية بالقرب من مسينا

وفي سنة ١٩٢٣ وصفهُ العالم الايطالي ل . سفاستانو L. Savastano اجمالاً وقال انهُ ضرب من اللفحة البكتريولوجية مع كثرة الفوارق بين اعراض المرضين

وفي سنة ١٩٢٥ وصفهُ العالم اليوناني اناكوستوبولس Anaquostopoulos وصفاً موجزاً غير انهُ اخطأ ايضاً في زعمه انهُ ناشيء عن الفطر المسبب لمرض « الانثراكنوز »

وفي سنة ١٩٢٦ قام العالم الايطالي بتري Petri بابحاث مستفيضة عن هذا المرض وقد اخطأ ايضاً ونسبهُ الى الفطر المسبب لمرض الانثراكنوز

وفي سنة ١٩٢٩ وصفهُ العالم اليوناني ايوتانتس Ayoutantis ونسبهُ الى بعض الفطر الذي يسبب تصلب الانسجة الخشبية في اشجار الموالح

وفي سنة ١٩٢٩ عاد العالم الايطالي بتري الى البحث فيه بدقة وامكنه عزل الفطر الحقيقي المسبب لهذا المرض واطلق عليهِ اسم ديتيروفوما تراكيفيلا بتري Deuterophoma tracheiphila Petri وبذلك نسبه الى نفسه اذ كان لهُ فضل السبق الى كشفهِ في اشجار الليمون في جزيرة صقلية

وفي سنة ١٩٣٠ قام كل من استاذي الدكتور فوست Dr. Fawcett الخبير العالمي في امراض الموالح بجامعة كاليفورنيا وزميلي الايطالي الدكتور ج . سفاستانو G. Savastano بتجارب عديدة على هذا المرض في محطة الابحاث الزراعية قرب مدينة اشيريالي Acireale من جزيرة صقلية واطلقا عليهِ اسم « مال سكو : Mal Secco »

وفي سنة ١٩٣٠ لم اعثر عليهِ هنا مع الدكتور فوست عند زيارتهِ مصر في رحلة علمية

وفي سنة ١٩٣٠ عثر عليهِ كل من الدكتور فوست والدكتور ريخارت Dr. Reichart في مزارع الليمون بفلسطين

وفي سنة ١٩٣٣ وجده الدكتور ناتراس Dr. Natrass في مزارع الموالح بجزيرة قبرص

وفي سنة ١٩٣٧ وجده العالم بتري مكتشف الفطر المسبب لهُ في منطقة باليرمو من شمال جزيرة صقلية

﴿ أعراض المرض ﴾ تبدأ الشجرة بذبول فجائي ينتهي بجفاف الاوراق فلا تلبث اطراف الاغصان حتى تموت سريعاً — ومما يستوقف النظر ان هذه الاعراض تظهر عادةً في ناحية معينة من الشجرة — وقد تبقى الاوراق الجافة عالقة بالفروع او تسقط تبعاً لسير المرض — وفي اشجار الليمون — وهي هي اكثر عرضة للاصابة بهِ من غيرها قد تصاب السوق الاصلية ذاتها باليبس فتموت الاشجار المصابة في عام اوعامين . وتحسن الاشارة هنا إلى أن الاعراض المرضية المذكورة — وان أفادت كثيراً في تشخيص المرض — الاَّ انهُ لا يصح الاقتصار عليها بأية حال . لان التجارب دلت على أن كثيراًما تصاب جذور أشجار الموالح السليمة بحروق ناجمة عن سوائل كيمياوية أو غازات سامة فتظهر عليها أعراض مرضية كالاعراض الآنفة الذكر — واذن لا بدَّ لنا من البحث عن اعراض أخرى حاسمة كظهور اللون القرنفلي الاحمر في الانسجة الخشبية عند قطع غصن قطعاً مائلاً لم يظهر عليهِ الذبول بعد ولم تجف أنسجته اللحاقية

وعلى الرغم من هذه الظاهرة الاخيرة فان العالم بيتانكورت A. Bitancourt يقول ان ظهور اللون القرنفلي الاحمر قد ينشأ ايضاً في الانسجة الخشبية عند اصابة اشجار الموالح السليمة بالصواعق الجوية فتيبس ثم تموت ويرى اللون القرنفلي الاحمر فيها كما هو الحال في مرض اليبس تماماً . اذن لم يبق أمامنا لاتمام التشخيص الحقيقي للمرض الاَّ عزل الفطر المسبب لهُ والتثبُّت من حقيقتهِ قبل البت في الامر . واكثر المواضع سهولة لاجراء مثل هذا العزل هي أوعية الاوراق التي يتكامل ذبولها وكذلك الثمار التي لم يتم نضجها . ومن أهم الاعراض المرضية التي شاهدها كل من فوست وسفستاتو سنة ١٩٣٠ بجزيرة صقلية ان الذبول والجفاف واليبس تبدأ من قمة النبات وتسير الى جذره في الاشجار الصغيرة وعلى الضدَّ من ذلك في الاشجار الكبيرة المعمرة . والظاهر ان الجذور في الاشجار الكبيرة تضعف فتصير اكثر عرضة للاصابة من الاغصان القوية وأوراقها الصغيرة

﴿ كيف تحدث الاصابة ﴾ يتضح مما تقدَّم ان العالم الايطالي بتري قد وفق بعد جهود متواصلة مدَّة ثلاثة عشر عاماً تقريباً (من سنة ١٩١٦ الى ١٩٢٩) الى العثور على الفطر الحقيقي المسبب لمرض اليبس . ولم يكتفِ بتري بهذا النجاح . بل ما زال مواصلاً أبحاثه الى وقتنا الحاضر لمعرفة ما غمض عن هذا الفطر من جهة معيشتهِ داخل عائلته وخارجها والمنافذ التي يتطرق بواسطتها

اليه وما يحدثه من تغيرات تنتهي في الغالب الى موت النبات . ويجدر بنا هنا سرد بعض هذه التجارب التي تزيدنا علماً بهذا المرض ونتائجه مع العلم بأن الاستاذ المذكور بعد عثوره على الجرثومة المسببة للمرض اتبع طريقة الدكتور كوخ في تشخيصهِ حتى لم يدع مجالاً للشك في ان الجرثومة التي بين يديهِ هي الجرثومة الحقيقية التي تسبب مرض اليبس

فأولاً — عند زيارة الاستاذ فوست للاستاذ بتري في ايطاليا سنة ١٩٣٠ أجريا معاً بعض التجارب على طوائف من أشجار الليمون . ومن ضمن هذه التجارب حقن الشجرة بميكروب المرض في مواضع مختلفة . ففي طائفة من تلك الاشجار كان الحقن في الاوراق . وفي ثانية كان في الاغصان . وفي ثالثة كان في السوق الاصلية . وفي رابعة كان في الجذور فتبيّن ان الحقن في الاوراق والاغصان العليا للاشجار كاد يكون عديم الاثر بينما كانت أعراض المرض نموذجية وبدت سريعاً في الطائفة التي حقنت جذورها. وبعد مضي أربعة شهور كانت الاعراض الظاهرة قد عمت جميع أجزاء كل شجرة . وأمكن تتبع اللون الاحمر القرنفلي في الانسجة الخشبية للنبات الى ارتفاع عشر اقدام من مواضع الحقن في الجذور . كما أمكن عزل جرثومة الفطر المسبب للمرض بسهولة في أماكن عديدة من أشجار الطائفة الرابعة وهي التي حقنت جذورها

فيتضح مما سبق ان الاعراض المرضية الناتجة عن تلقيح الاشجار بميكروب المرض تخف وطأتها كلما كان الحقن بعيداً عن الجذور وسرعة تصاعده هي اضعاف سرعة هبوطه نحو الجذور اذا ما حقنت الاوراق

وثانياً — لم يعثر في جميع التجارب السابقة على الجراثيم « البكنيدية » في الثمار

وثالثاً — دلت تجاوب بتري في سنة ١٩٣١ على ان جراثيم هذا المرض تتخذ عادةً من فوهات ثغور الضلع الوسطى من السطح العلوي للاوراق منفذاً تتطرّق منهُ الى اوعية النبات السليمة ولا تلبث طويلاً حتى تأخذ الاعراض الاولى للمرض في الظهور

ورابعاً — تبدأ العدوى عادةً بتساقط « البكنيديات » على السطح العلوي للاوراق فاذا اتفق وجود غشاوة من الماء على هذا السطح . امتصت البكنيديات جزءا منهُ وانتفخت وانفجرت قاذفة بجراثيم المرض التي لا تلبث حتى تستقر في فوهات ثغور الضلع الوسطى . وفيها تبدأ في الانبات والنمو متطرقة الى داخل الانسجة وهكذا تبدأ العدوى

وخامساً — كان من ضروريات حدوث العدوى بعد وصول جراثيم المرض إلى فوهات الثغور ان يظل الجو مشبعاً بالرطوبة المرتفعة مدّة لا تقل عن اربعين ساعة باطراد في درجة من الحرارة تختلف من ١٥ الى ١٦ درجة مئوية

﴿ الفطر المسبب للمرض ﴾ قرر العالم بتري سنة ١٩٢٩ ان هـذا المرض نتيجة لعدوى

بجرثومة جديدة عثر عليها وأطلق عليها اسم « ديتروفوما ترا كيفيلا بتري : Deuterophoma tracheiphila Petri » اي نسبها الى نفسه

ومن خواص هذا الفطر انهُ يفتك بالحزم الوعائية . وقد شوهد ان الفطر المسمى « كوليتوتريكم جليوسبوريودس » Colletotrichum gloeosporioides المسبب لمرض ذبول الاطراف او الانثراكنوز يعثر عليه دائماً على السطح المصاب بمرض اليبس من الاغصان او الفروع — وكثيراً ما ادى هذا الاصطحاب بين هذين الفطرين الى اللبس باسناد مرض اليبس الجديد الى جرثومة الانثراكنوز — كما حصل ذلك للعالم اليوناني انا كواستوبولوس في سنة ١٩٢٥ وللعالم بتري نفسه في سنة ١٩٢٨ . وقد قام كل من الدكتور فوست والدكتور ج . سفستانو باجراء تجارب عديدة في سنة ١٩٣٠ اثبتا بها صحة نسبة مرض اليبس الى الفطر « ديوتيروفوما تراكفيليا بتري » سواء أوجد فطر « الكوليتوتريكم جليوسبوريودس » ام لم يوجد

* * *

﴿ عوائل هذا المرض ﴾ لا يتطفل هذا الفطر الا على الموالح غير ان اشجار النارنج وهي التي تتخذ عادة في مصر وصقلية وباقي انحاء المعمورة اصولاً للتطعيم — هي في الواقع اكثر اشجار الموالح عرضة للاصابة بمرض اليبس Mal Secco ويليها في ذلك اشجار الليمون فهي عرضة للاصابة الشديدة

اما اشجار الاترج « الترنج » والليمون الحلو والترايفولياتا فتصاب احياناً اصابة خفيفة . ثم ان انواع البرتقان واليوسفي في جزيرة صقلية تعتبر منيعة جداً على هذا المرض ولا بدَّ من الاشارة هنا الى ان تجارب سفستانو دلت على ان انواع الليمون المسمى انتردوناتو لا تقل مناعة عن البرتقان واليوسفي . وقد قرر العالم بتري Petri ان درجات الاصابة في مختلف انواع الموالح ليست راجعة الى كبر فوهات ثغور اوراقها وانما يحتمل اسناد ذلك الى محتويات الانسجة نفسها . حيث بين بتري في سنة ١٩٣٠ ان الفطر ينتعش وينمو سريعاً في عصير اغصان الليمون وعلى الضد من ذلك في عصير اغصان البرتقان . وهذه النتيجة تتفق وما هو معروف لدينا عن كثرة اصابة الليمون ومناعة البرتقان على هذا المرض . ومما هو جدير بالمشاهدة في محطة تجارب اشيريالي Acireale اشجار من الليمون سليمة من مرض اليبس مطعمة على اصول من البرتقان في حين انه يشاهد حولها اشجار اخرى من الليمون طعمت على اصول من النارنج اصابتها شديدة ، ولكن اذا عرف ان الاصابة تحدث عادة عن طريق جروح الجذور وان البرتقان منيع على هذا المرض والنارنج شديد الاصابة به ، سهل علينا معرفة سبب سلامة الليمون المطعم على البرتقان واصابة اشجار الليمون المطعمة على اصول من النارنج

﴿ طرق المقاومة ﴾ لم تكتشف حتى الآن وسائل ناجعة لمعالجة اشجار الموالح التي تصاب اصابة شديدة بهذا المرض . وجهد العلماء ينحصر الآن في طرق الوقاية فقط اذ مما تقدم يتضح بانهُ في الوقت الذي تظهر فيهِ الاصابة (ذبول الاطراف العليا من الشجرة) يكون الفطر قد تغلغل في الاوعية الخشبية من الاغصان ومن ضمنها التي تبدو سليمة في الظاهر لكونها مخضرة

واكثر الحالات التباساً عندما تحدث الاصابة في الجذور — عند ما تكون الاوعية الخشبية من الساق الاصلية مكتظة بالفطر وذلك قبل مشاهدة اي ذبول في الاغصان والاوراق العليا من قمة الشجرة — وهذه الحالة تؤدي حتماً الى موت الشجرة المصابة على هذا النحو خلال عامين او ثلاثة

اذاً لا بدَّ لنا من الالتجاء الى المناعة الطبيعية التي في اشجار البرتقان واليوسفي . وذلك بانهُ عند موت بعض اشجار الليمون بهذا المرض تغرس مكانها اخرى من نوعها سبق تطعيمها على اصول من البرتقان مثلاً وبذلك تنجو من الاصابة . ويجب الامتناع عن غرس الاشجار الجديدة في الحفر القديمة التي ماتت اشجارها وانما تختار اخرى جديدة سبق تهويتها وتسميدها وتعريضها للشمس حتى تكون صالحة لنمو الاشجار الصغيرة الى ان تكبر . ومما هو جديرٌ بالانتفاع بهِ استعمال اشجار الليمون المطعم بطريقة المساندوتش على اصول من النارنج . وهي التي تكون فيها طبقة من خشب اليوسفي او البرتقان حائلة بين ساق شجرة الليمون والجذر الاصلي فتقف حجر عثرة في طريق صعود جراثيم مرض اليبس اذا ما تمكنت من الوصول الى جذور النارنج . ولما كان الليمون المعروف بالانتردوناتو اكثر الانواع مناعة فيحسن الانتفاع بهِ وزراعته في المناطق الموبوءة بمرض اليبس او المعرضة للاصابة بهِ

الخلاصة

١ — وفق العالم الايطالي بتري الى اكتشاف جرثومة هذا المرض في سنة ١٩٢٩

٢ — يتطفل هذا الفطر على اشجار الموالح فقط — واكثرها عرضة لهُ النارنج فالليمون فالترنج فالليمون الحلو . اما البرتقان واليوسفي فيعتبران منيعين عليهِ

٣ — يندر جدًّا حدوث أية عدوى بواسطة الثمار لانها لا تصاب بطبيعتها على خلاف الاشجار

٤ — هذا المرض غير موجود في مصر حتى الآن ولكن نظراً الى فتكهِ باشجار الموالح في البلدان القريبة من مصر كفلسطين واليونان وايطاليا — لا بدَّ لرجال الحجر الزراعي الجمركي من توجيه كل عنايتهم الى فحص شجيرات الموالح الواردة من تلك البلدان . وليلاحظ ان اهم اعراض المرض المذكور هي ضعف الشجيرات ووجود « بكنيديات » المرض واحمرار الحزم الوعائية من خشب الشجيرات المصابة

الى الذات القدسية الطاهرة التي توحي اليّ أناشيدي

ابتهالات ...!

لمحمد فهمي

ايها الكوكب المكلّل بالطُّهر ألا رحمةً لمن في إسارك ؟
او تواسي القلب الذي بك اضحى ثائر الخفق مُشعلاً من اوارك ؟
العبادات حول قُدسك تُتلى والتعاويذ من رُقى أبرارك
صاعدات الى عُلاك بهمسٍ وخشوعٍ قد ضُمِّخت بوقارك
حائمات من حول عرشك صبحاً ومساءً وفي ضياء نهارك
فأرى بسمة الرضاء تبدّت بالثنايا ، أيا لسحر افترارك !
انهُ الخلد قد بدا لعِياني انه البرق سارياً في مسارك . . .

* * *

ما ابتسامُ الحياة غير شعاعٍ يبهر اللُّب . من سنا انوارك
ما نعيمُ الوجود غير امانٍ ينشد القلبُ لحنها بجوارك
ما شفاء الفؤاد غير حديثٍ نبعُه العذب فاض من أنهارك
يُنعِشُ القلبَ وردُه وشذاه يُسكر الروح ، ياالسحراقتدارك !!

* * *

أنت لي أينما أكونُ خيالٌ هامسٌ في خواطري بشعارك
نِعم ذاك الشعار طهراً ونُبلاً وجلالاً مقدّساً من منارك
انهُ النُّبل في أرقّ المعاني انهُ الطُّهر ما لهُ من مُشارك
انهُ الحبُّ والعفافُ وعهدٌ يا لقُدْس العُهودِ من أسرارك !!

* * *

ما أراني أعيشُ الاّ لأحيا أقبسُ الوحي من شذى أزهارك
ما أراني أعيش الاّ كفجرٍ حالم الجفن فوق عفّ إزارك
ما أراني أعيش الاّ لأشدو بالقصيد البديع من أشعارك
أنت شعرٌ من الخلود تجلى يغمر الكون بالسّنا ويبارك ..!!
أنت شمسٌ تضيء كون حياتي وأنا النجم هائماً في مدارك . .

الأَرَضَة او النمل الابيض

طبائعها الغريبة

وتنظيم قراها الدقيق

ليس النمل الابيض نملاً ، بل يختلف عن النمل في كثير من اهم وجوه حياته . فالنمل الابيض او الأَرَضة حشرة نباتية لا تأكل ولا تهضم الاّ الخشب (السلولوس) حالة ان النمل حشرة لاحمة وهي أشد اعداء الأرضة . هذه الحشرات التي تعيش في الاقاليم الحارّة ، على جانب عظيم من الذكاء والنظام ، ويرى الفيلسوف والشاعر البلجيكي ماترلنك — وهو الذي قضى سنين في دراسة حياتها — ان اصلها يرتد الى نحو مليون سنة قبل ظهور الانسان على الارض

في خلال هذه الدهور الطويلة نشأت في طوائف الأَرَضة ، طبقات متميزة لكل منها عمل خاص تقوم به ، ولكن اذا حدث ما قضى على احدى هذه الطبقات تعذَّرت الحياة على بقية الطائفة . ذلك ان نظامها وتوزيع الاعمال بينها بلغ مرتبة بعيدة من الدقة ، فلا تقوى الجماعة على الحياة اذا اختلَّ توازنهُ . ولعلَّ أبعث مظاهر حياتها على الدهشة ، ان جميع افراد الطبقات المختلفة تتولد من بيض واحد تبيضهُ الملكة . وهي لا تكاد تبيض بيضها حتى يقبل العَمَلة عليه ، ينقلونهُ الى مخادع مختلفة في القرية ، حيث يفقس ويتحوّل ، بالغذاءِ المختلف ، الى افراد الطبقات التي تتألف منها قرية الأَرَض . والقول بان الغذاءَ المختلف يؤثر في البيض المتماثل فيتولد منهُ افراد الطبقات المتباينة ، لا يجب ان يؤخذ على علاّته . وانما ليس عند متتبعي حياة هذه الحشرات قول خيراً منهُ الآن في تعليل تولُّد الطبقات المختلفة من بيض واحد تبيضهُ الملكة

في كل قرية من قرى الأَرَضة ست طبقات مختلفة . الملك والملكة ثم طبقتان من الحوريات المجنَّحة ذكوراً واناثاً . وهي متصفة جميعها بقدرتها على التناسل ، لان الحوريات تنطلق في ربيع كلّ سنة من القرية فتنشئ في اماكن اخرى ، قرى جديدة ، وتصبح هي ملكاتها وملوكها

ثم يلي هذه الطبقات الاربع ، طبقة العَمَلة وهي كثيرة العدد وطبقة الجنود وهي قليلة العدد . وافراد هاتين الطبقتين لا قدرة لها على التناسل ، ولا على البصر ، ولكن حواس اللمس والشم والسمع فيها ، مرهفة الارهاف كلّهُ ، وفي مكنتها ان تعلم في الحال بوقوع اي هجوم على القرية ،

واين موضعهُ ، وذلك بهزّات خفيفة تشعر بها بارجلها على الغالب . فاذا حسبنا الحوريات ، وهي ملكات المستقبل وملوكه ، من طبقتي الملك والملكة ، كانت الطبقات التي تتألف منها قرية الارضة ، أربع طبقات هي الملوك والملكات والعملة والجنود

العملة أصغر سكان القرية حجماً وأكثرها عدداً ، وقد لا يقل عددها في كل قرية عن بضعة آلاف ورؤساء العملة اكبر حجماً مما يقابلها في طوائف الحشرات الأُخرى التي من مرتبة الارَضة حجماً ، وهذا في عرف بعض الباحثين دليل على تفوقها ذكاء . ورأسها هو العضو الوحيد فيها الذي تغطيهِ طبقة من المادة القرنية (كيتين) حالة ان بقية الجسم عارية طرية . اما مشافرها فقوية جدًّا ولولا قوتها لما استطاعت ان تأكل الخشب اليابس الذي تغتذي بهِ . فاذا أصيب بيتٌ بالارضة ، استطعت ان تسمع في سكون الليل صوت مشافرها اذ تكون مئات او أُلوف منها تقرض الخشب . وحركة العملة بطيئة متواصلة ، فهي تختلف عن حركة الحشرات الاخرى، السريعة المتقطعة . ولما كان من شأن الجنود ان تقود العملة الى عملها وتسهر على قيامها بهِ ، فتراها وهي منطلقة اليهِ كأنها تيار عرضهُ ثلاث حشرات او اربع منها

في مقدمة أعمال العملة قرض الخشب اليابس وهضمهُ وتغذية سائر الطبقات بهِ ، وذلك باجترارهِ وزقها بهِ ، لان افراد الطبقات الاخرى عاجزة عن الاغتذاء . ومن المشاهد الغريبة التي يصفها العلماء المتوفرون على دراسة هذه الحشرات ، مشهد الجندي منها يستوقف احد العملة بأحد لوامسهِ ، فيخرج ذلك العامل من الصف السائر فيهِ ، فيقف امام الجندي واضعاً فمهُ على فم الجندي ليزقهُ بالغذاء المطلوب . فالعامل عماد القرية من هذه الناحية ، لانهُ يغذيها

ثم ان العملة تبني القرية فوق سطح الارض ، وتحفر الانفاق والاسراب التي تهويها وتنشىء المخادع مختلفة المقاييس ، وذلك باشراف الجنود وارشادهم

فاذا أصيبت القرية بعطب ما ذهب بعض الجنود حالاً الى مكانهِ ، فيقفون هنيهة وكأن تحريك لوامسهم يدلُّ على انهم قدَّروا العطب وما يحتاج اليهِ من العمل لترميمهِ ، ثم يرتدُّ بعضهم لاستقدام العملة ، حالة ان الباقي يقف حارساً الى ان يبدأ العمل . ولا تلبث حتى ترى العملة وقد أقبل تيارها ، كلٌّ عاملٍ حاملٌ دقيقة من التراب ، حفرها من الارض بمشفاريهِ ، فيضعها في المكان اللازم ، فوق ما سبقها او حذاءه تماماً . وتمضي العملة في عملها طول الليل وشطراً من الصباح ، الى ان يشتدَّ حرُّ الشمس على اجسادها العارية ، فتقف عن العمل . وكذلك تسد الثغرة . وهي تبدأ العمل عادة قبيل المساء وتمضي فيهِ طوال الليل ثم تقف عنهُ بعيد شروق الشمس واذا كان لا بدَّ لها من العمل عند اشتداد الحر ، وفي مكان مكشوف لهُ صنعت ازجاً وسارت فيهِ . والازج يكون مسلكين احدهما للذاهبين وثانيهما للآيبين وليس بالنادر ان يمتدَّ من



تلال النمل الابيض من رسم فردريك سمث

عن (فصول في التاريخ الطبيعي)

الارض الى فرع شجرة عثر فيها العملة على خشب يابس . ثم ان فريقاً من العملة يصحب الملكة دائماً ، يغذيها وينقل بيضها من حيث تبيضه الى المخادع الخاصة ، ويعنى باليرقات ويغذيها . وفي كل قرية من قرى الأرَضة لا بدَّ من الماء ، ولاسيما لترطيب الاماكن التي ينمو فيها الفطر ، وهو من اهم مواد الغذاء . وفي سبيل الحصول على الماء لايبعد ان يحفر العملة انفاقاً بعيدة الغور في الارض ، وقلما تخطىء ، ثم تراها وقد اخذت تنزل النفق ثم تؤوب وقد اكتنزت الماء في اجسامها فتفرغهُ حيث يجب

فالعامل في قرية الارضة يغذي الجماعة ، ويبني القرية ، ويرمم ما يهدم منها ، وينقل الماء الى مزارع الفطر ، ويحرس الملكة ويعنى بها وببيضها وبيرقاتها . فعمله لا يكاد ينتهي

والجندي من النمل الابيض يفوق العامل ثلاثة اضعاف حجماً ، ورأسهُ مغطى بطبقة قرنية صلبة ، وهو يكاد يكون نصف حجم الجسم كلهِ ، أما بقية جسمهِ فعارية طرية . وعدد الجنود في القرية ليس كبيراً . ولكنهُ لا قدرة له على التناسل ولا على البصر . وفي مقدمة الاعمال التي تقع على عاتقهِ السيطرة على العملة وتوجيهها ، ويظن أن كبر رأسهِ يدلُّ على ذكائهِ وعلى ان التنظيم في قرية النمل الابيض من شأنهِ . أما مشفراه فقويان جدًّا واذا اطبقا على شيء لم يفلتاه حتى ينفصل رأس الجندي عن جسمهِ

أما الملكة فقبيحة الشكل صغيرة الرأس ، يبلغ طول جسمها اربع بوصات ومدارهُ بوصتين وهو مليءٌ بعدد لا يحصى من البيض . فاذا وقع النظر على ملكة بالغة ، في حجرتها الخاصة وهي عاجزة عن الحركة ، يصعب على الباحث ان يصدق انها بدأت حياتها حورية مشيقة خفيفة الحركة ذات اجنحة شفافة تمكنها من الطيران . ولكنها كانت في الواقع كذلك واصبحت الآن آلة للبيض لاغير. ومما وجدهُ الباحثون ان الملكة تستطيع ان تبيض بيضة كلَّ ثانية أو ٨٦ الف بيضة كل يوم (٢٤ ساعة) او ثلاثين مليون بيضة كلَّ سنة . ومدى حياتها العاملة على العموم اربع سنوات، ولكن عندما تضعف قدرتها على البيض يمتنع حراسها عن تغذيتها فتموت جوعاً فيلتهمونها ويقيمون ملكة مكانها من الحوريات الاناث

وللحوريات ذكوراً واناثاً اجنحة تمكنهما من الطيران مبتعدة عن القرية التي ولدت فيها وبذلك تخفف ضغط السكان في القرية ، وتنشىء قرى جديدة اذا وقعت في مكان مؤات . وقد روى الفريد اميرسن استاذ علم الحيوان في جامعة شيكاغو في مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية ، انهُ اذا سقطت الحورية الانثى في مكان مؤاتٍ كقطعة من الخشب اليابس تكسر اجنحتها الاربعة الشفافة عند مفاصل معينة ثم ترفع جسمها فتبعث في الهواءِ رائحة خاصة فتجذب اليها ذكراً فاذا رأتهُ مقبلاً بحثت عن ثقب واسع تستقر فيهِ او مكان مخفيٍّ تحت قدَّة من الخشب ثم يغطي الملك والملكة

الحجرة التي ينشأ َنها بما يخفيها عن انظار الاعداء . فاذا سار كلّ شيء على ما يرام ، فلا تمضي بضعة أسابيع حتى يصبحا والديْن لطائفة يسيرة من الحوريات البيض، فيغذيانها بطعامٍ يزقانها بهِ في الفم حتى تكبر وتشتد فيقع على عاتقها جلب الغذاء لها ولوالديها . الاّ ان الدكتور سبنسر يقول في مجلة الكوتسمبرري ، انهُ عند ما تنطلق الحوريات من القرية ، يكسر الذكر اجنحتهُ ويتعلق باهداب انثى فتحمله الى ان يحطَّا في مكان ما ، فاذا كان مؤاتياً أسسا فيهِ قرية جديدة

يبلغ طول الحورية الانثى بوصة ، والذكر دونها طولاً وثخانة . ولكل من الذكر والانثى أربعة أجنحة رقيقة شفافة تمكنها من الطيران مئات من الامتار عن قريتها الاصلية . ولكل منها كذلك عينان ضعيفتان تمكنانها من اجتناب الاصطدام بعضها ببعض وبالاشجار والشجيرات في اثناء طيرانها القصير المدى وكذلك من معرفة القرية التي خرجت منها فلا تعود اليها

هذه الهجرة تبدأ في الربيع بعد ان تكون أمطار الشتاء قد بلَّلت الارض ، وقلما تطير الحوريات في النهار ، بل تنتظر حتى يبرد حرُّ الهجير ، ويضعف وهج الشمس ، فتنطلق من قريتها عند المساء الى المستقبل المجهول . وسكان افريقيا المتوسطة ، يحسبون الأَرَض المجنح غذاء لذيذاً كالجراد وقد ابتدعوا لصيدها وجمعها وسائل بارعة

وبيوتهُ اكوام عالية مخروطية كالصخور لا باب لها من الخارج . اذا كانت جديدة لم يكن ترابها شديد التماسك فيسهل حفره بالعصا ولكنها اذا قدمت صارت صلبة كاللبن المجفف في الشمس . وسمك جدارها الظاهر نصف قدم الى قدم وهي مقسومة من الداخل الى مخادع كثيرة جدرانها رقيقة جدًّا كالورق . والعملة تبنيها من الاتربة وقطع الخشب مما تأكله وتفرزه او تحيله بلعابها وبعضها مما تجمعهُ مما حولها اذ قد يكون فيها قطع صغيرة من الصوان مما لا يحتمل ان يكون النمل قد اكله ومهما كان اصل مواد البناء . فالنمل يلصقها بعضها ببعض ببرزاته ومفرزاته والغالب انه يمضغ ورق النبات وقطع الخشب حتى يصنع منها مادة لزجة تتماسك بها اجزاء التراب

والغالب ان يكون البيت مخروطاً مقبباً علوه مضاعف عرضهِ وقد يكون طويلاً دقيقاً كجذع النخلة وقد رأى العالم بيتسي بيوتاً علو البيت منها ستة أمتار ومحيطهُ ثمانية أمتار ولكن البيوت التي تبلغ هذا الحد من الكبر قليلة نادرة والغالب ان يكون علو البيت مترين أو ثلاثة. وقد ثبت لهُ ان كبر البيت دليل على عمرهِ وأقدم البيوت التي رآها لا تزيد عمرها على خمسين سنة. ولكل بيت أسراب ومخادع تحت الارض لها جدران من التراب وسناً مادة سمراء نباتية مضغها النمل وجبل بها التراب او الصقهُ بها

ويكثر النمل الابيض في الحراج والغابات وهو ينخر الاشجار اليابسة ولكنهُ لا ينخر الاشجار النامية وقد يبني بيتهُ بين اغصان الشجرة والمواد التي يبنيه بها حينئذٍ تكون خشبية كلها لا تراب فيها الاّ اذا كانت قريبة من الارض فتكون مواد البناء حينئذٍ مزيجاً من الخشب والتراب

آراء حرة

هنري لامانس

للدكتور زكي محمد حسن
أمين دار الآثار العربية

— ١ —

وُلد لامانس Lammens سنة ١٨٦٢ في مدينة غاند من أعمال بلجيكا ، وتركها في الخامسة عشرة من عمره ، واتخذ لبنان وطناً ثانياً لهُ ، ودرس في الكلية اليسوعية ببيروت ، ثم اشتغل بالتدريس فيها منذ سنة ١٨٨٦ ، وتخصص في تاريخ الشرق الأدنى وجغرافيته وحضارة أهله من مسيحيين ومسلمين . وما لبث ان أتقن اللغة العربية وقرأ المؤلفات الكثيرة في شعرها ونثرها وفقهها ، فكان ذلك نواة نبوغه في الدراسات الشرقية ، ذلك النبوغ الذي مهد لهُ طوافه للدرس والتحصيل في البلدان الغربية والشرقية ، ولا سيا في النمسا وايطاليا وانجلترا ومصر . والذي كانت فاتحته تعيين لامانس سنة ١٩٠٧ أستاذاً في معهد الدراسات الشرقية ، وكان قد أنشيء في الكلية اليسوعية ببيروت

ثم اتصل الاب لامانس بأعلام المستشرقين . وتعاقبت مؤلفاته المستقلة ومقالاته في مختلف المجلات العلمية ولا سيا في نشرات الكلية الفرنسية ببيروت Mélanges de la Faculté orientale de Beyrouth وفي المجلة الاسيوية Journal asiatique وفي مجلة ابحاث علوم الدين Recherches de science religieuse وفي مجلة الدراسات الشرقية Revista degli studi orientali وفي مجلة المجمع المصري Bulletin de l'Institut d'Egypte وفي دائرة المعارف الاسلامية

وظلَّ لامانس علماً من أعلام المستشرقين المشتغلين بدراسة التاريخ الاسلامي حتى وافتهُ المنية ببيروت في مايو سنة ١٩٣٧ ، بعد ان أقعدهُ الفالج عن العمل في السنين الاخيرة من حياته

ومع ان هذا الراهب المؤرخ اخذ كثيراً من آرائهِ عن شيوخ المستشرقين مثل جلدزيهر

ونلدكه وكيتاني وولهوزن ، فانهُ انتحى في البحث ناحية ميزتهُ عنهم ، وبالغ في التعصب على الاسلام حتى أفسد ذلك علمه في بعض النواحي ، وجعل المؤرخين وعلى رأسهم المستشرقون ، يشكون في امانته العلمية ، ويتهمونهُ بركوب متن الشطط

ولا يتسع المقام هنا لان نفي لامانس حقه من التحليل والدراسة فحسبنا ان نلقي نظرة على دائرة ابحاثه لنستطيع ان نتبين قيمتها العلمية

***

ولعلَّ من الانصاف لانفسنا وللاب لامانس وللحقيقة التاريخية ان نميز في آثاره العلمية بين ما دار منها حول اصول الاسلام واركانهِ وشخصية النبي عليهِ السلام ، وبين ما عالج المؤلف فيهِ جغرافية بلاد العرب وتاريخها ونظمها الاجتماعية قبل الاسلام ، وبين ما وقفهُ على دراسة الدولة الاموية وأبطالها من ملوك وأمراء وشعراء وأدباء

ونحن اذا أدركنا كنه العاطفة التي كانت تتجلى في كل نوع من هذه الكتابات ، امكننا في شيء من السهولة ان نكشف النقاب عن المؤرخ الراحل . ولكننا قبل ان نعرض لهذه المؤلفات نحرص على ان نؤكد ان لامانس قرأ كثيراً — بل كثيراً جدًّا — في التاريخ الاسلامي ولا نقرر الاَّ الحقيقة حين نقول انهُ كان واسع الاطلاع قوي الحجة ، لهُ ذاكرة عجيبة ومثابرة على العمل قلَّ ان اجتمعتا لغيره من العلماء ، فضلاً عن انهُ ملك ناصية اللغة العربية ، ونفذ الى أعماق علومها المختلفة . ومع ذلك كله فان يصعب علينا ان نثبت ان لامانس كان في ناحيتين من النواحي الثلاث التي انقطع للكتابة فيها محامياً قديراً ، لبني امية تارةً ، ولاعداء الاسلام تارةً أخرى ، وانهُ كان خصماً عنيداً للمسلمين عامة وللعلويين والعباسيين خاصة وانهُ كان يسلب العرب الفضائل والصفات الخلقية الجميلة التي أجمع المستشرقون على نسبتها اليهم ، وانهُ كان في خصومتهِ هذه يعمد في بعض الاحيان الى السفسطة والمغالطة ، مما سنسوق عليهِ بعض الامثلة في السطور التالية

— ٢ —

اما مؤلفات لامانس عن بلاد العرب وجغرافيتها قبل الاسلام ، وعن جغرافية الشام وتاريخها المسيحي ، فمراجع ثمينة في موضوعها ، ودراسات علمية صحيحة ، لا يمكن ان يستغني عنها باحث في هذا الميدان . ولا غرو فقد قرأ لامانس كل ما كتب عن طبيعة بلاد العرب ، وعن عادات سكانها واحوال معيشتهم في الجاهلية ، وقام بالرحلات الطويلة في سورية وفلسطين حتى اصبح حجة في تخطيط هذه الاصقاع واخبار سكانها القدماء . وحسبنا ان نقرأ كتبه عن البادية

والحيرة[١] وعن مهد الاسلام [٢] وعن المعابد في غربي بلاد العرب قبل الهجرة[٣] وعن الطائف[٤] وعن مكة [٥] قبيل الهجرة ، نقول حسبنا ان نقرأ هذه الكتب ، لنتبين قيمتها العلمية الكبيرة ، ولنعرف أنها تدل على ان هذا الراهب الجليل كان عالماً قديراً الاَّ عند ما كان يكتب عن الاسلام وابطاله

— ٣ —

أجل كان لامانس في مؤلفاته عن الاسلام داعية ، ولم يكن عالماً . وفي الحق انهُ لو انصف نفسه لترك الكتابة في هذا الموضوع الى باحث ليست له صفته الكهنوتية ، التي تكفي لتجريحه والتي كانت تدفعهُ الى تحقير الاسلام والى نسبة كل خير في هذا الدين الى المسيحيين والى اليهود في شبه الجزيرة

ويحضرني في هذه الساعة ما كتبهُ الدكتور طه حسين بك عن منهج البحث في كتابه عن الادب الجاهلي (ص ٦٧) . قال استاذنا العميد :

«اريد ان اصطنع في الادب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثهُ (ديكارت) للبحث عن حقائق الاشياء في اول هذا العصر الحديث . والناس جميعاً يعلمون ان القاعدة الاساسية لهذا المنهج هي ان يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمهُ من قبل وان يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوًّا تامًّا . . . . فلنصطنع هذا المنهج حين نريد ان نتناول أدبنا العربي القديم وتاريخه بالبحث والاستقصاء . ولنستقبل هذا الادب وتاريخه وقد برأنا انفسنا من كل ما قيل فيهما من قبل وخلصنا من كل هذه الاغلال الكثيرة الثقيلة التي تأخذ ايدينا وارجلنا ورؤوسنا ، فتحول بيننا وبين الحركة الجسمية الحرة ، وتحول بيننا وبين الحركة العقلية الحرة ايضاً . نعم يجب حين نستقبل البحث عن الادب العربي وتاريخه ان ننسى عواطفنا القومية وكل مشخصاتها ،

(١) La Badia et la Hira sous les Omayades — في الجلد الرابع من نشرة الكلية الشرقية في جامعة سان جوزيف بيروت

(٢) Le Berceau de l'Islam; l'Arabie occidentale à la veille de l'hégire — روما سنة ١٩١٤

(٣) Les Sanctuaires pré-islamites dans l'Arabie occidentale — في الجلد الحادي عشر من نشرة الكلية الشرقية في جامعة سان جوزيف بيروت

(٤) La Cité arabe de Taif à la veille de l'Hégire — في الجلد الثامن من نشرة الكلية الشرقية في جامعة سان جوزيف ببيروت

(٥) La Mecque à la veille de l'Hégire — في الجلد التاسع من نشرة الكلية الشرقية في جامعة سان جوزيف ببيروت

وان ننسى عواطفنا الدينية وكل ما يتصل بها ، وان ننسى ما يضاد هذه العواطف القومية والدينية ، يجب الاّ تتقيد بشيء ، ولا ندعن لشيء ، الاّ مناهج البحث العلمي الصحيح . ذلك أنا اذا لم ننس هذه العواطف . وما يتصل بها ، فسنضطر الى المحاباة وارضاء العواطف »

وكيف لا تريد أن يحضرني هذا الكلام ، الذي تلقيته في الجامعة منذ نيف وعشر سنين ؟ ومتى تريدني أن اذكره ، إذا لم افعل الآن في الحديث عن لامانس ، الذي لم ينس عواطفه فيما كتب عن النبي والاسلام ؟

كتب لامانس عن الاسلام (٦) وعن اخلاص محمد في اعلانهِ الدعوة (٧) ، وكتب عن عمر محمد (٨) ، وكتب عن فاطمة وبنات محمد (٩) . وقيل انهُ كتب عن حياة محمد مؤلفاً لم توافق دوائر الفاتيكان على نشره ،خشية ان يؤدي ما فيهِ من طعن وتهجم الى احتجاج الامم الاسلامية وظهور المؤلفات في الرد على ما فيهِ

والاب لامانس في جميع هذه المؤلفات يتهم رواة السيرة بانهم مخترعون ، ولكنهُ لا يحجم عن الاعتماد على رواية من رواياتهم اذا استطاع أن يلمح فيها مطعناً على الاسلام

وهو حين يرى رواية أو حديثاً فيهِ مصلحة الشيعة ، اتهمهم بوضعه،وحين يرى رواية تعلي من شأن السنيين ، الصقها بكتّابهم، حتى انك لتراه يضرب كل فريق بالآخر ليقنعك باضطراب كل هذه العناصر التي قامت عليها السيرة ،وليخرج عليك هنا وهناك بآرائهِ المغرضة

وهو بعد هذا ان وجد في الاسلام موضعاً للفضل ذهب ينسبهُ الى مصدر غير اسلامي ، او يفسره تفسيراً ماديًّا ، يذهب بموطن الخير فيهِ : فلامانس لا يستطيع ان ينكر ان الاسلام حرّم قتل الذرية ووأد البنات ، ولكنهُ يستطيع ان يطلع عليك بقوله ان النبي دُفع الى هذا التحريم بحنينهِ الى الذرية ، بعد ان صار لطياً في طفولتهِ . وكذلك يستكثر لامانس ان يكون للنبي ما نسبتهُ اليهِ السيرة من ابناء وبنات ، فيقول إن كتّاب السيرة فعلوا ذلك رغبة في اعلاء شأن النبي . وهو اذا قرأ ان النبي لم يرغم بناتهُ على ترك ازواجهنّ الذين تأخروا في اعلان اسلامهم ، فسرهُ بان النبي كان يتشرف بهؤلاء الاصهار ، ويعمل على الانتساب اليهم ، ويحرص على ودهم . وهو ان تكلم عن السيدة عائشة لم يجد في مفردات اللغة الفرنسية الغنية الاّ كلمة favorite ليصف

---

(٦) انظر L'Islam, croyances et institution بيروت ١٩٢٦

(٧) Mahomet fut-il sincère? في مجلة Recherches de science religieuse ج ٢ سنة ١٩١١

(٨) — L'âge de Mahomet et la chronologie de la Sira في مجلة Journal Asiatique سنة ١٩١١

(٩) — Fatima et les filles de Mahomet, notes critiques pour l'étude de la Sira باريس ١٩١١

بها زوجة النبي ، واقرب ترجمة لها بالعربية «محظية» . وهو يحرص على استغلال بعض الاضطراب في النصوص العربية التاريخية ليثبت ان الصحابة كانوا لا يقبلون عن طيبة خاطر ان يصاهروا النبي ، ولكنه يذكر في موضع آخر ان رقية ابنة النبي كانت جميلة ، وان عثمان بن عفان انما اعتنق الاسلام ليتزوجها ، وينسى لامانس انه يذكر في موضع ثالث ان النبي كان يحرص على مصاهرة ذوي الحسب والنسب من المشركين ، وهكذا الى آخر الامثلة التي قلّ ان تخلو منها صحيفة من مؤلفاته عن الاسلام او السيرة .

وقد قرأت مرة في كتاب القضاة للكندي[١٠] : «حدثنا محمد بن يوسف قال : حدثني ابن قديد عن عبيد الله عن ابيه عن خاله القاسم بن الحسن : ان سليم بن عتر كان يصلي بالليل فيختم القرآن ، ثم يأتي اهله ، ثم يعود فيختم ، ثم يأتي اهله ، ثم يعود فيختم القرآن ، ثم يأتي اهله . فلما مات قالت امرأته : رحمك الله ! فقد كنت ترضي ربك وتسر اهلك »

وقرأت في تاريخ ابن عبد الحكم : « وكان سليم بن عتر كما حدثنا سعيد بن عفير احد العباد المجتهدين وكان يقوم في ليله . فيبتدىء القرآن حتى يختمه ، ثم يأتي اهله ، فيقضي منهم حاجته ، وربما فعل ذلك في الليلة مرات فلما مات قالت امرأته : رحمك الله ! والله لقد كنت ترضي ربك وتسر اهلك »

قرأت هذا وضحكت من امر تلك الزوجة التي كانت تنسب لبعلها هذه المعجزات وقدّرت انهُ لو ظل يقرأ القرآن الليل كله لما استطاع ان يختمهُ اكثر من مرتين

وقرأ لامانس هذه الرواية كما قرأتها ، واستنبط منها في هدوء واطمئنان ، ان المثل الاعلى للمسلم هو ذلك القاضي الذي كان يغتسل اربع مرات ويختم القرآن اربع مرات في الليلة !! وسجل ذلك في صحيفة ٣٣ من كتابهِ عن فاطمة وبنات محمد

***

ومهما يكن من شيءٍ فقد كانت للاب لامانس طرق غريبة في التهكم على النصوص العربية . وكان يرهق النصوص فيحملها اكثر مما تحمل ، ويستنبط منها اكثر مما تفيد ، بل كان يغض الطرف عنها ان كانت تثبت خطأ آرائه . ونحن نستطيع ان نسرد الامثلة الطويلة على صحة اقوالنا هذه ولكن المجال هنا لا يتسع لمثل ذلك

وليس المسلمون والشرقيون اول من لاحظ على لامانس تعصبهُ هذا فقد سبقنا اليهِ المنصفون من المستشرقين أمثال بيكر Becker ودسو Dussaud وجودفروا ديومبين Gaudefroy Demombynes وماسيه Massé . وحسبك ما قاله فييت في نعي لامانس بجلسة ١٠ مايو سنة ١٩٣٧

(١٠) القضاء والولاة للكندي (طبعة جست) ص ٣٠٧ — ٣٠٨ .

لاعضاء المجمع العلمي المصري . (انظر عدد هذا العام من مجلة المجمع المذكور) . قال الاستاذ فييت عن « كتاب فاطمة وبنات محمد » من مؤلفات لامانس :

"Mais il est plus délicat d'admettre sans réserves "Fatima et les Filles de Mahomet". On y trouve une tendance assez systematiquement hostile, tendance qui a été relevée en son temps par tous les Orientalistes"

واليك ترجمة هذه العبارة :

« ولكن من الصعب ان نقبل كتاب « فاطمة وبنات محمد » في ثقة وبدون تحفظ . فان التعصب والاتجاه العدائي يسودانه الى حدٍّ كبير ، وقد لاحظ المستشرقون هذا التعصب في حينه »

وقد عرض زميلنا الدكتور بشر فارس لكتاب من مؤلفات لامانس فعلّق عليهِ في كتابهِ عن العرض عند العرب قبل الاسلام "L'Honneur chez les Arabes avant l'Islam PXXI—XXII, بعبارات لا تخرج عن هذا المعنى ، فضلاً عن انهُ ساق بعض الامثلة على أخطاء لامانس في الاستنباط والقياس

— ٤ —

أما الجزء الثالث من مؤلفات لامانس فأبحاثه عن الامويين . وهي كثيرة أهمها عن خلافة معاوية الاول [١١] وعن خلافة ابنه يزيد الاول [١٢] وعن معاوية الثاني آخر بني سفيان [١٣] وعن مروان ابن الحكم [١٤] وعن زياد بن أبيه [١٥] وعن الاخطل شاعر الامويين [١٦]

(١١) ذهب لامانس الى ان أبا بكر وعمر وأبا عبيدة استولوا على أزمة الحكم بعد وفاة النبي وذلك تنفيذاً لخطة سابقة بيتهم . وقد كتب في ذلك بحثاً عن هذه « الحكومة الثلاثية) عنوانه Le triumvirat Abou Bakr, Omar et Abou Obaidı ظهر في المجلد الرابع من نشرة الكلية الشرقية في جامعة سان جوزيف ببيروت . اما ابحاثه عن معاوية بن ابي سفيان فقد طبعت في المجلد الاول والثاني والثالث من النشرة المذكورة وظهرت على حدة سنة ١٩٠٨

(١٢) — Le califat de Yazid 1er طبعت في المجلد الرابع والخامس والسادس والسابع من النشرة السالفة الذكر وظهرت على حدة سنة ١٩٢١

(١٣) — Moawia II ou le dernier des Sofianides ظهرت في المجلد السابع من النشرة السالفة الذكر

(١٤) L'avènement des Marwanides et le califat de Marwan 1er نشرت في المجلد الثاني عشر من النشرة السالفة الذكر وظهرت على حدة سنة ١٩٢٧

(١٥) Ziad ibn Abihi, vice-roi de l'Iraq, lieutenant de Moawia I روما سنة ١٩١٢. وكتب لامانس فضلا عن هذه الدراسات المتفرقة كتاباً كبيراً عن الامويين هو Etudes sur le siècle des Omayades وقد ظهر في بيروت سنة ١٩٣٠

(١٦) — Le chantre des Omiades : notes biographique et littéraires sur le poète arabe chretien Akhtal باريس سنة ١٨٩٥

وربما استطعنا ان نلحق بتلك المؤلفات كتاباً في تاريخ سورية [١٧]. واذا تذكرنا ان كتب التاريخ العربية وضعت في العصر العباسي ، وان مؤلفيها كانوا يتقربون الى الاسرة الحاكمة بالطعن في بني أمية ، وان الامويين لم ينصفهم المؤرخون العرب ، وان دولتهم كانت عليها مسحة لادينية قرّبتها الى اكثر المستشرقين ، اقول اذا تذكرنا ذلك كلهُ ولم ننسَ ان السيادة في العصر الاموي كانت للشام على غيرها من المقاطعات العربية : لم نستغرب تعصب لامانس للامويين ووقفهُ جانباً كبيراً من جهوده العلمية لدرس تاريخهم السياسي ، وبيان فضلهم وازدهار القيصرية الاسلامية في عصرهم. وفي الحق ان عمل لامانس في هذا الميدان ليس الاّ حفظاً للتوازن . فهو لبني امية محام قدير ، يدافع عنهم ، كما دافع المؤرخون العرب عن العباسيين. وعلى القارىء او الباحث أن يكون قاضياً يسمع حجة الطرفين ، قبل ان يكوّن له في القضية رأياً

على ان لامانس كان له في هذا الميدان غناء وكفاية عظيمان ، فقد عرف كيف يتخير الحوادث ، ويتصيد النصوص والروايات ، ليظهر مواطن النبل والحزم والسياسة من بني امية ، وليرفع خسيستهم ، ويدفع التهم عنهم . ولقد اجاد لامانس في تصوير معاوية صورة السياسي الداهية ذي المبادىء المكيافلية ، التي استطاع بها ان ينتصر على اعدائهِ ، وان يؤسس لأسرتهِ دولة وراثية متخطياً في ذلك كبار الصحابة ومخالفاً تقاليد العرب الجاهلية في انتخاب شيوخ القبائل

***

وهكذا نرى ان الاب لامانس غفر الله له كان من اشد المتعصبين على الاسلام . وهو بعد ذلك من المعجبين ببني امية ، لأن دولتهم كانت لادينية ، ولانهم أقاموا ملكهم في الشام ، وتأثروا بالمدنية القديمة التي قامت في ربوعه . وكان المستشرقون انفسهم يعرفون في لامانس هذا العيب الكبير ويأخذونهُ عليهِ ، ولكنهُ كان وافر الاطلاع . وحسب المرء نفعاً ومرانة في التاريخ الاسلامي ان يقرأ لامانس ، وان يهضم ما يروقهُ من ابحاثه ، وان يبحث ويتعب ليستطيع الرد على الجزء الباقي ، وان يراجع النصوص التي كان لامانس يبني عليها كثيراً من احكامهِ ، ليرى كيف كان يجحف في تفسير بعضها ، وكيف كان يهمل ما لا يتفق ورأيه ، وكيف انهُ كان يغض الطرف أحياناً فيستنبط من الشواذ قواعد ومن الحالات الفردية احكاماً عامة [١٨]

(١٧) انظر La Syrie, précis historique

(١٨) انظر كتاب « في مصر الاسلامية » — هدية المقتطف سنة ١٩٣٧ — ص ١٦٢

ثلاجة الجبل الابيض

بشامونيكس — فرنسا

القمة البيضاء لاحت . . . فاصعدي لنرى الحياة بمائها المتجمد . .
هذا البياض من الثلوج كثيفةً يوحي الى قلبي بمعنى أسود
البرد يخترق العظام . . . فقرِّبي يدك المليئة بالحرارة من يدي
علِّي أحسُّ على الجليد بقَبْسةٍ من قلبك المتوهج المتوقد . . .

*

الشمس تبدو في الثلوج كأنها زَبد على بحر عظيم مُزبد
لاحت من الأفق البعيد كأنها أملٌ يلوح لراقب مترصد
بعثت الى الوادي الحياة . وأيقظت زمُر النيام بهِ ، وجمعَ الهجَّد
يتسابقون الى الصعود كأنهم كانوا على بَلجَ الصباح بموعد . . .

*

الجدول الجاري يعجُّ بمائهِ في هدأة الصبح الجميل الاسعد !
تتكسر الامواج فوق صخوره وتروح بالزبد الكثيف وتغتدي
متهدر . لجب المواقع . صاخب متدفق كالسيل فوق الجلمد
الماء في القمم المنيفة جامد والجدول الصخاب لم يتجمد . . . .

*

وتسابقَ الروادُ يدفع بعضهم بعضاً الى الجبل الاشم المُصْعِد
يتوكأونَ على العصيّ كأنهم قصمتهم الاحداث ! يا للمشهد ! !
كلٌّ يشق على الثلوج طريقه ويعيد ما بدأ الزميل ويبتدي . . .
يا ويحهم من عصبة مفتونة قد حار هاديها وضل المهتدي . . .

*

« ايلين » جاوزنا المصاعب فاصبري ونكاد نهدأ عن قليل . . فاصمدي
المقصد العالي سنبلغه اذا رُضْنا النفوسَ على بلوغ المقصد
لا تضعفي . فالضعف ليس بنافع لا تيأسي فاليأس ليس بمُسعد
القمة البيضاء لاحت ! فافرحي ! انا بلغناها بجهد مجهد
فطريقها الصخريُّ غير معبَّد وسبيلها الثلجي غير ممهد

*

إنا امتطينا صهوة الجبل الذي قد هدَّ بالأعياء كلَّ مُصعِّد
السيدُ الجبار (١) ذلَّل متنهُ إيمانُ سيدة وقوَّةُ سيد . . . .

(١) هو الجبل

البصاصة الكهربائية

بقلم الاستاذ لو

العالم الانكليزي وغيره من الخبراء

نقلها عوض جندي

وصفت البصاصة الكهربائية في عدة اجزاء من المقتطف وكذلك فعل قلم تحريره. وشاهدت في المعرض الزراعي الصناعي الحديث ، الذي أقيم في الجزيرة بظاهر القاهرة في اوائل سنة ١٩٣٦ الماضية نموذجاً من هذا الجهاز ، البديع معروضاً في مدخل حظيرة معروضات شركة موصيري وكوريل وشركائهم ، تجار الآلات الزراعية وغيرها بالقاهرة ، حيث كان الغرض من الجهاز السابق الذكر ، قرع جرس كهربائي تنبيهاً للزائرين والعارضين عند دنو أحدهم من ذلك الجهاز واعتراضه للشعاعة التي كانت تصوّب اليه من مصباح كهربائي مواجه له . فثلجت نفسي باجتلاء البصاصة الكهربائية التي طالما اطنبت في ذكر منافعها

ثم تبين لي اخيراً من محادثة احد الثقات من المهندسين الكهربائيين الانكليز في القاهرة ، حديثاً مستفيضاً شهده رئيس تحرير المقتطف ، ان منافع البصاصة الكهربائية ستتحقق في بلادنا عن قريب متى توافرت اجهزتها في المتاجر وأقبلت الحكومة والشركات الكبيرة على استخدامها والانتفاع بها

ولم يسعني عند رؤية البصاصة الكهربائية في المعرض الزراعي الصناعي الا وصفها لمشاهديها وارشادهم الى مزاياها ، فكانوا يدهشون كل الدهش

وقد حداني على استئناف الكتابة في هذا الموضوع ، مقال نفيس عليه ، قرأته في مؤلف حديث نشره في هذه السنة الاستاذ (لو) العالم الانكليزي الخبير بالمخترعات الكهربائية وهو الذي نقلت عنه البحث الخاص « بثمرات الراديو في هذا العصر » وذلك في الجزءين السابقين من المقتطف . والبصاصة الكهربائية هي التي يسميها بعض المهندسين المصريين « بالخلية الضوئية » ترجمة للاسم الانكليزي السائر Photo-electric cell واطلق عليها بعضهم « العين الكهربائية او الكهرنورية » تجوّزاً ترجمة لاسم انكليزي آخر Photo-electric eye . والبصّاصة بطارية

كهربائية حساسة بالضوء ، وهي التي فتحت للصحفيين المصريين عند زيارتهم لانكلترا ، باب متحف ڤيكتوريا والبرت في سوث كنسنجتون South Kensington في لندن بعد ظهر يوم ٢٣ سبتمبر الماضي . واليك ترجمة مقالة الاستاذ لو مضافاً اليها تفصيلات اخرى من احدث المصادر : —

كل من يزور متحف كنسنجتون يرى عند مدخله ممرًّا صغيراً مغشَّى بالزجاج ، منتهياً بباب موصد ومتى يقطع الزائر ذلك الممرّ ويدنو من بابهِ ، يفتح امامه بوسيلة خفية . ولا يلبث المرء أن يمرّ بهِ حتى يغلق بتلك الطريقة الغامضة عينها

وقِوام فتح باب ذلك المعرض واغلاقه، شعاعة من الضياء تعترض ممرَّهُ موازية لصدر القادم وأيّانَ يقطع المارُّ تلك الشعاعة ، ينفتح الباب . وسرُّ ذلك الجهاز النافع جدًّا ، العين الكهربائية او البصاصة الكهربائية . وهي الاداة التي صيّرت الطاقة الكهربائية خادمة امينة جديدة تخدم الانسان خدمات غريبة تعد بالمئات

وعمل البصاصة في حد ذاتهِ هيّن ، مع أن تركيبها معقَّد . ومن خصائصها انها تظل ساكنة حتى يصوب الضوء الى سطحها العامل ، فتنطلق من عقالها . وتكون دائرتها الكهربائية في أثناء جمودها مفتوحة ، فاذا ما سلط عليها النور أغلقت ، فتستطيع الكهربائية حينئذٍ أداءَ ما عهد اليها فيهِ من الاعمال الكثيرة التي سنصفها فيما يلي

والبصاصة الكهربائية صمام لاسلكي ذو شكل خاص . فيهِ قطبان كهربائيان ، موجب وسالب . وطرفاها بارزان من الصمام . وباطن ذلك الصمام مفرغ من الهواء . وقد يكون محتوياً على بعضٍ من غاز الارغون . وسرُّ الصمام كامنٌ في قطبهِ السالب ، وهو مؤلف من طبقة مفضضة في باطن زجاجة الصمام ، يعلوها بعض البوتاسيوم أو السلينيوم أو نحوهما من المعادن . ومتى سقط الضوء على البصاصة الكهربائية ، تفرقت دقائق البوتاسيوم ، فتنطلق منها كهيربات « ذريرات كهربائية » أو الكترونات وذلك على شكل مجرى يسري من القطب السالب إلى القطب الموجب ، وهو حلقة إما من البلاتين وأما من النيكل ، فيتم الاتصال الكهربائي بين ذينك القطبين فتغلق الدائرة الكهربائية. وتؤدي البصاصة الكهربائية عملها حالما يقع عليها الضوء فتضطلع بمهام شتى . مثال ذلك اضاءة المصابيح عند غروب الشمس فتغنينا عن العامل المكلف اشعالها . ومن الميسور أن تقوم البصاصة الكهربائية بهذه الخدمة عند اتصالها بدائرة النور الكهربائي . وذلك بالاجهزة المقوية والمجددة للتيارات الكهربائية فلا يسري التيار في المصابيح إلاَّ اذا قطعت الدائرة الكهربائية التي في البصاصة الكهربائية ، وذلك حينما يأخذ الضوء في التعتيم مساء حتى يصير غير كافٍ ليسيِّر مجرى الكهيربات من قطب البصاصة الكهربائية السالب الى قطبها الموجب . وبهذه الوسيلة تقطع الدائرة الكهربائية فيضاء النور بذاتهِ . وكان هذا العمل

من بوادر الاعمال التي استخدمت فيها البطاريات الحساسة بالنور قبل اختراع البصاصة الكهربائية التي نعرفها في هذا العهد

فكانت بطارية السلينيوم « الكبريت الاحمر » وهي بمثابة ميكرفون يقوي الضياء ، مستعملة لاضاءة مصباح كهربائي على ذلك النمط في جنوب لندن حيث كانت تقوم باضاءته ليس في ساعة محددة فحسب ، بل حالما يضعف ضوء النهار الى درجة معينة وكذلك في وقت مبكر من المساء المكفهر ، عنه في المساء النير ، وأيضاً حين يَضعُبُ النهار في الظهيرة فتشعل بطارية السلينيوم المصباح توًّا . أما شدة احساس البصاصة الكهربائية بضوء النهار فيمكن الانتفاع بهِ في وجوه أخرى كثيرة

ومنها ان المصورين بالضوء (الفوتوغرافيا) ينبغي لهم معرفة مبلغ قوة نور النهار ليتمكنوا من تقدير الوقت اللازم لتعريض اللوح الحساس لذلك النور . ولما كانت العين البشرية بمثابة قاضٍ اضعف من أن يتاح له ذلك الحكم بذاتهِ ، اذ العين تتكيف وفقاً للنور وتتأثر باللون على حين أن البصاصة الكهربائية لا تتكيف بتقلبات النور ولا يبدو عليها التأثر مباشرة بألوان الاشياء المحيطة بها ، فيمكن وصلها بقزحية آلة التصوير (اي الفتحة التي تصوب منها العدسية) فتفتح البصاصة قزحية المصوّرة وتغلقها من تلقاء نفسها طبقاً للنور الذي يقع عليها . وفي هذه الحالة تظل السرعة التي تضبط بها آلة التصوير ثابتة . وانما يتغير مركزها ليلائم تعريض اللوح للنور ملاءمة تامة

ولهذا الجهاز نفع عظيم للآلات المستعملة لتصوير السينما التي تشتغل بسرعة محددة. والمصور الفوتوغرافي الذي يلتقط الصور بآلة مجهزة بتلك الوسيلة لا يكابد المتاعب عند تعريض اللوح الفوتوغرافي للضوء اذ يعرف ان البصاصة الكهربائية التي تشتغل بجهاز مغنطيسي ذي سقطة ، تدوّر القزحية وتضبط فتحة الآلة المصورة في اي وقت

أما وقد وصفنا منافع البصاصة الكهربائية في قياس مقدار النور فجديرٌ بنا ان نبين منافعها ايضاً في استكشاف الظلال . ولا ريب في ان الظلال قد اضحت ذات شأن كبير ولاسيما في القبض على اللصوص ، بل يصح لنا القول إن اللص أُصبح يذعر من ظله ، لانهُ اشد خطراً عليهِ من بصمة ابهامهِ . فاذا اعترض ظلهُ شعاعةً مصوبة الى بصاصة كهربائية ، قطع دائرتها الكهربائية فتقرع جرساً منبهاً من اي نوع . وقد تكون شعاعة النور مما لا يسترعي النظر لان النور الخفي يصلح كذلك لتشغيل انواع مختلفة من البصاصات الكهربائية . فيتسنى تسديد شعاعة من أشعة النور التي تحت الحمراء — وهي من الاشعة التي لا تراها العيون البشرية — الى بصاصة كهربائية تثبت في خزانة من الخزائن الحديدية « الخاصة بالنقود والنفائس والوثائق » او في غرفة من

غرف المنزل ، فاذا جاء امروء وقطع تلك الشعاعة دون ان يراها ، فوقع ظلُّه الخفي عليها ، انطلق جرس التنبيه من عقاله في الحال . وقد استعملت هذه الاجهزة المنذرة بالخطر في كثير من المحال التي تودع فيها الاشياء الثمينة صيانةً لها من عبث العابثين ، فركب احدها لحراسة جوهرة نفيسة جدًّا في احد معارض مدينة لندن حيث اودعت الجوهرة في علبتها بمكان غير مسيَّج بسياج حديدي . فاذا ما سولت لزائر نفسه تقريب يده من تلك العلبة قرعت البصاصة الكهربائية من فورها جرساً عالي الصوت جدًّا فيرتبك الزائر ويفتضح امره حالاً .

وقد توسل المهندسون بالبصاصة الكهربائية ، الى وقاية الناس من الاخطار التي يستهدفون لها عند مرورهم من الانفاق المشهورة وذلك بظل المركبات الذي يقع على النور ، المعترض المدخل ، المصوب الى عين كهربائية موضوعة في الارتفاع المحدد لحمولة المركبات المسموح بها للمرور في نفق هولند في نيويورك ، ونفق مرزي في انكلترا . فاذا جاءت مركبة محملة حملاً يفوق الارتفاع المحدد ، وحاولت الدخول ، قطعت الشعاعة ، فقرعت جرساً ينبه سائقها الى الخطر الذي يتهدده . وبهذه الطريقة يمكن الاستغناء بأشعة الضوء التي من هذا القبيل عن اعلانات التحذير التي تعلق عند مداخل الانفاق المنخفضة محتوية على جملة « احترس على رأسك » فيُتقى كثير من الصدمات الاليمة

وتستعمل شعاعة الضوء في أغراض عديدة وقاية للناس من الاخطار . ومنها المصانع التي تكثر فيها الحوادث التي تنجم عن نسيان العمال او اهمالهم رفع أيديهم عاجلاً من تحت المكابس ، او النأي عن المُدى المركبة في الآلات لقطع المصنوعات . فيسهل في تلك الحالة تركيب شعاعة تعترض الآلة لتنذر العمال بالخطر حينما تُقطع الشعاعة بأيديهم الخاطئة . وفي حالة المكابس الثقيلة ، يتيسر تركيب جهاز يوقفها عن العمل حالاً عند ما تقطع شعاعة الضياء كفُّ أحد العمال او ساعدهُ . وفي مصانع الفولاذ مثلاً حيث تتعدد حوادث احتراق عمالها بالسبائك المصهورة التي تقذف من المسابك قذفاً حثيثاً في فنائها حينما تصادف عاملاً غافلاً فتحرقه حروقاً شديدة اذا لم تقتله قتلاً . ولذلك تركب بعض البصاصات الكهربائية في طريق السبائك عند قذفها فتحذر العمال من الوقوف في سبيلها

ولا يقتضي ان يكون الظل المعترض الشعاعة كثيفاً جدًّا اذ يمكن جعل البصاصة الكهربائية حساسة جدًّا بحيث يكفي قليل من الدخان للقيام بالانذار الواجب حينئذٍ . وقد كان ذلك أساس اختراع جهاز حديث يسدد شعاعة تعترض منافذ التهوية في البواخر بحيث اذا شبت النار بغتةً في جوف الباخرة « العنبر الذي تخزن فيه البضائع المزمع نقلها » فسار دخانها في أنابيب التهوية قُرع جرس التنبيه . واذا شبّ حريق في أي مكان من الباخرة واستمرّ بضع ساعات دون ان

يفطن له امرؤ فاندلعت ألسنته في غير موضع فيها ، قام ذلك الجهاز اليقظ آناء الليل وأطراف النهار بالتنبيه الواجب فتخمد النار قبل ان يستشري ضررها . وذلك بالدخان الذي يعترض الشعاعة المسددة الى البصاصة الكهربائية

وتقوم البصاصة الكهربائية ايضاً بفحص البيرة ، وذلك بأن تتزن البصاصة الكهربائية مع قليل من الضوء اذ تسدد شعاعة الى انبوب زجاجي تتحرك فيه البيرة ، وما دامت البيرة رائقة ، يستمر العمل سائراً على ما يرام . فاذا كان فيها عكر قلَّ مقدار الضوء المخترق الانبوب فيقرع جرس التنبيه فيسارع الرقباء من فورهم الى استكشاف علة العكر في تركيب البيرة ليتلافوها . وقد عرضت حديثاً في مستشفى بمدينة نيويورك بصاصة كهربائية من طراز جديد صالح لخدمة المرضى في المشافي . وقوام عملها تحريك المريض لرأسه حركة خفيفة وهو راقد في فراشه فيتاح له استفراد ورق الكتاب ، وتقليب صفحاته التي يبغي مطالعتها . وبتلك الحركة عينها يتمكن المريض من ادارة المذياع في غرفته واضاءة المصباح الكهربائي واطفائه ، وقرع الجرس الكهربائي استدعاء الممرضة . فيستطيع المرضى العاجزون عن تحريك ايديهم ، التمتع بأشياء شتى دون الاستعانة بالممرضة في اية حالة من الاحوال المذكورة آنفاً . فاذا ما حرَّك المريض رأسه ، فوقع ظله على البصاصة الكهربائية ، دارت الاجهزة التي تؤدي له تلك الخدمات . ذلك ان جميع التوصيلات الكهربائية التي تدير الاجهزة المختلفة مركبة على اسطوانة واحدة تشرع في الدوران حينما يقع ظل رأس المريض على البصاصة الكهربائية فتدير الاجهزة ، وفي اثناء دورانها تظهر الكلمات الآتية : — كتاب راديو ، مصباح — جرس . متعاقبة على ميناء مُضاءٍ مثبت في لوحة . ومتى ظهرت تجاهه الكلمة الدالة على الخدمة التي يحتاج اليها ، جذب رأسه فيقوم مجدد اوتوماتيكي للتيار بتحريك الجهاز المرغوب وهو بمثابة أعمدة من الاسلاك تقلب صفحات الكتاب وغيره

وقد استخدمت البصاصة الكهربائية لنقد الجواهر النفيسة من المزيفة . وشرع المهندسون الكهربائيون في تجربتها ايضاً في اتمام اختراع السينما الملونة المجسمة . وتستعمل ايضاً في توقيت المسابقات . ويتنبأ الخبراء بأنها سوف تحل في البيوت محل مفاتيح المصابيح الكهربائية فتقوم مقامها عند دخولنا الغرف فتوقد لنا المصابيح من تلقاء ذاتها . وتستعمل ايضاً في حظائر السيارات فتفتح لنا ابوابها وذلك عند قدومنا راكبين إياها وذلك مسايرة للوميض الذي يصل الى البصاصة الكهربائية من الفوانيس الامامية المركبة في السيارة . وحسبك ان تصوب شعاعة من النور حيث تعترض باباً محتوياً على مغنطيسات كهربائية فيفتح ذلك الباب متى دنوت منهُ . وهذه الخدمة تؤديها الشعاعة في المتاحف والمطاعم وغيرها كما تقدم القول

جوائز نوبل

وتوزيعها بحسب الامم

اسماء البلاد	الطبيعة	الكيمياء	الفسيولوجيا والطب	الادب	السلام	١٩٠١ – ١٩١٨	١٩١٩ – ١٩٣٦
المانيا	١٠	١٤	٦	٥	٢	٢٠	١٧
انكلترا	٧	٤ ١/٢	٣ ١/٢	٣	٣ ١/٢	٩	١٢ ١/٢
فرنسا	٤	٤	٣ ١/٢	٤ ١/٢	٣ ١/٢	١١ ١/٢	٨
الولايات المتحدة	٣	٣	٤	٢	٥ ١/٢	٥	١٢ ١/٢
السويد	٢	٢ ١/٢	١	٣	٢	٥ ١/٢	٥
سويسرا	١	١	١	١	٢ ١/٢	٤ ١/٢	٢
هولندة	٣	١	١ ١/٢	٠٠	١/٢	٤ ١/٢	١ ١/٢
الدنمارك	١	٠٠	٣	١	١/٢	٢ ١/٢	٣
النمسا	١/٢	٠١	٢ ١/٢	٠٠	١ ١/٢	٢ ١/٢	٣
البلجيك	٠٠	٠٠	١	١	٢ ١/٢	٣ ١/٢	١
النرويج	٠٠	٠٠	٠٠	٣	١ ١/٢	١	٣ ١/٢
ايطاليا	٠٠ ١/٢	٠٠	١/٢	٣	١/٢	٢ ١/٢	٢
الهند	٠١	٠٠	٠٠	١	٠٠	١	١
بولنده	٠٠	٠٠	٠٠	٢	٠٠	١	١
روسيا	٠٠	٠٠	١	١	٠٠	١	١
اسبانيا	٠٠	٠٠	١/٢	١ ١/٢	٠٠	١	١
كندا	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	٠٠	١
ارلندة	٠٠	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	١
الارجنتين	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	٠٠	١
معاهدة دولية	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	١	٠٠
المجموع	٣٣	٣١	٣٠	٣٣	٢٨	٧٧	٧٨

الفينيقيون

منشأهم وتاريخهم

لوديع ابي فاضل

من هم الفينيقيون ومن اين جاؤوا ? هذا سؤال طالما تخبَّط بالاجابة عنهُ الباحثون لما احاط به من الغموض ولما تقلب على البلاد من الحوادث الجسام التي طمست كثيراً من آثارها واضاعت معالمها. ومن نكد الدنيا ان تكون سوريا مطمح الطامعين وطريق الفاتحين وقبلة الدنيا والدين فكان موقعها الذي تحسد عليهِ اكبر نكبة منيت بها فاصبحت موطىء اقدام الغزاة والطريق الموصل بين اكبر مدنيتين قديمتين اعني بهما مدنية ما بين النهرين ومدنية مصر وميدان النزاع بين شعوب آسيا ومصر اولاً ثم بين اوربا والشرق بعد ذلك

وتاريخ سوريا القديم محوط بالغموض لتضارب اقوال الثقات وتباين آرائهم ومبالغة الكتّاب الاقدمين في وصف انتصارات ملوكهم والانتقاص من شأن خصومهم . والقليل الذي لدينا مما سطره المؤرخون الاولون كهيرودتس واسترابون او نقله تيودور الصقلي عن فيلو الجبيلي المعروف عند الافرنج بفيلو بيبلوس لا يروي غليلاً ولا يتخذ حجة لدى الباحثين

وأهم الموارد التي يعتمد عليها المؤرخ الحديث هي الآثار الناطقة التي اكتشفت حديثاً في المدن السورية والفينيقية منها خاصة وما اكتشف في مصر وبابل واشور مما له علاقة بذلك

زعم هيرودتس ان الفينيقيين جاؤوا من البحر الاريتري وهو عند اليونان المتأخرين البحر الاحمر . اما قصد هيرودتس بذلك الاوقيانوس الهندي وخليج فارس ضمنه لانهُ لم يكن يفرق بين هذا وذاك ومما يثبت انهُ لم يقصد البحر الاحمر انهُ استعمل الخليج العربي لهذا البحر حينما تكلم عنهُ

والحقيقة هي ان الفينيقيين ساميون جاؤوا الى سوريا من جزر الخليج الفارسي لان آباءهم الاولين كانوا يعتقدون انهم جاؤوا من الشرق من بلاد بحرية وهذا الذي جعلهم يتخذون لهم جزراً بحرية يقطنون فيها او كما قال هيرودتس ان هذا الشعب حالما استوطن بلاده الجديدة

اخذ يعمل بحمل متاجر مصر واشور عبر البحار والى اقصى البلدان

والغريب في امر الفينيقيين هو انهم حينما قدموا الى سوريا احتلوا ثلاث جزر اصبحت فيما بعد مدناً عامرة وهي صيدا التي كانت فيما مضى جزيرة صخرية قائمة في عرض البحار وعلى محاذاة الشاطىء فاتصلت بالبر مع كرور الايام . وارواد لا تزال جزيرة صغيرة للآن . وصور كانت جزيرة قائمة في عرض البحر حتى ردم الاسكندر المكدوني الماء الفاصل بينها وبين البر وتملكها عنوةً بعد ان استعصت عليه مدة سبعة أشهر

وفعل الفينيقيون بمدنهم الصغيرة ماكان يفعله اخوانهم الساميون فحصنوا هذه المدن وأقاموا حولها المتاريس وامتنعوا بالبحر عن العدو القادم اليهم من البر

والفينيقيون اخوان لاهل الجزر العربية وسواحل العربية على الخليج الفارسي كأهل الكويت والبحرين وعمان الذين عرفوا منذ القديم بالغوص على اللؤلؤ وحمل تجارة الشرق الى الغرب وتجارة الغرب إلى الشرق وكانوا حلقة الاتصال بين الهند والشرق الادنى فبقي هذا الفريق الشرقي في الخليج العجمي واستأثر بالتجارة الشرقية ورحل اخوانهم الفينيقيون إلى الغرب واحتلوا شواطىء سوريا واستأثروا بتجارة البحر المتوسط مدة طويلة من الزمن وساعدهم هواء الاقليم الجديد فكانوا أصح بنية وأمضى عزماً من اخوانهم في الشرق

فالفينيقيون إذاً هم اخوان العرب والكلدانيين والاشوريين والاراميين والعموريين والادوميين والموابيين والاسرائيليين والانباط وغيرهم من الامم السامية التي قطنت ما بين النهرين وسوريا وبلاد العرب. وكان المصريون يطلقون كلمة «شاسو» على الاسرائيليين والادوميين سكان القسم الجنوبي الشرقي من سوريا والعموريين على سكان سوريا المجوّفة حتى مدينتهم قادش ويعم هذا الاسم الاراميين أحياناً ويميزون بين الاثنين في بعض الاحيان . ويقولون عن الكنعانيين أو بالاكثر سكان الشواطىء الفلسطينية حتى الكرمل «خارو»

أما الفلسطينيون سكان شواطىء فلسطين بعد القرن الثاني عشر قبل الميلاد فليسوا من الكنعانيين بل هم شعب غريب غزا البلاد في نحو القرن الثاني عشر قبل المسيح ويقال انهم جاؤوا من كريت وانضم اليهم بعض أعداء الفينيقيين من سكان الشواطىء الايجية . فاذاً هم ليسوا بساميين وهذا يتفق مع أنباء التوراة فانك لا تجد ذكر للفلسطينيين قبل ايام القضاة واسمهم في المكاتبات المصرية القديمة «فلاسطي» أو «بلاسطي» ثم تغلب اسمهم على فلسطين كلها

ولقد كان حب الاستقلال أكبر العلل في ضياع استقلال الشعوب السامية وكانوا يلجأون الى نظام المدن فكل جماعة قوية تؤلف قوّة مستقلة وتشيد مدينة منيعة في نقطة معينة تحيطها بسور حصين وكان أهل كل مدينة يقيمون لهم هيكلاً للعبادة وهذه التفرقة أضعفت

وحدتهم حتى وقف احمس في معركة مجدُّو التاريخية وخاطب جنوده قائلاً « انكم ان انتصرتم اليوم على أعدائكم قضيتم على الف مدينة والف ملك » مشيراً الى الحلف الذي تمّ قبيل تلك المعركة بين ملوك البلاد وزعمائها تحت زعامة ملك قادش لصدّ زحف المصريين. ولكن أنى لتلك القوات المفككة ان تقف في وجه الفاتح العظيم وجيشه المنظم المتحد تحت قيادة واحدة . فما حمي وطيس القتال حتى أخذت تلك الجموع المتألبة دون نظام تام في التراجع وتفرقت شذر مذر ووقع ملك قادش أسيراً وتمّ الفوز للمصريين

اما الحثيون الذين اخضعوا شمالي سوريا ودانت لهم البلاد فهم ليسوا من الساميين وان كانوا قد اختلطوا بأهل البلاد وغلبت عليهم مدنيتها ويستدل من أخبارهم انهم انتشروا في شمالي سوريا حتى البحر الايجي ويقال ان الدردناويين الذين جاء ذكرهم في الياذة هوميروس هم منهم

وكانت أرضهم الى الشمال الغربي من النهرين وهناك رسخت مملكتهم وأخذوا يتقدمون شرقاً وغرباً حتى عاد الاشوريون في ابان دولتهم الثانية فقاتلوهم وأجلوهم عن البلاد تباعاً ومزقوا شملهم ولم تقم لهم من بعد ذلك قائمة

ويؤخذ من أنباء مصر القديمة ومما ورد في التوراة ان الفينيقيين كانوا يلقبون أولاً بالصيدونيين لان صيدا هي اول مدينة أقاموها وكانت جزيرة صغيرة منفصلة عن البحر ثم اتصلت بالبر تباعاً . وبقي اسم الصيدونيين متغلباً على الصوريين ايضاً فكانوا يقولون عن اثبعل ملك صور اثبعل ملك الصيدونيين وبقيت هذه الغلبة لصيدا حتى اشتهر اسم صور وامتدت سطوتها الى ما وراء البحار ثم لما اتصل الصيدونيين باليونان أطلق عليهم هؤلاء اسم فينيقيين اي ناقلي التجارة وعرفوا بهذا الاسم عند الاوروبيين الى يومنا هذا

ويزعم الفينيقيون ان مدنهم القديمة قامت قبل المسيح بنحو ٣٠٠٠٠ سنة ولكن هيرودوتس يذهب الى ان صور بنيت قبل عهده بنحو ٢٣٠٠ سنة اي في نحو سنة ٢٧٥٦ قبل المسيح ويقول مناندر الافسوسي ان الصيدونيين أنشأوا صور قبل خراب تروادة بسنة اي نحو سنة ١١٩٨ ق . ب . ولكن ذكر صور ورد في مكاتبات تل العمارنة (الامارة) فيما بين ١٤٠٠ — ١٥٠٠ ق . م . ولفظها ضور وقيل عنها « ان الماء يحمل اليها من البر المحاذي لها وان السمك فيها مثل الرمل » . وجاء في هذه المراسلات ان ربها باد ملك جبيل وابيمالك ملك صور انضما الى المصريين كما ان صيدا وارواد انضمتا الى الحثيين

ومع ان سهل صيدا أوسع عماراً من سهل ارواد وسهل صور الاّ ان ارواد اشتهرت بمناعتها وشدة مقاومتها للفاتحين الذين هاجموا سوريا في العهد القديم من الشمال ثم جاء دور صور بعدها فكانت تصمد للفاتحين وتثبت أمامهم طويلاً الاّ ان الفينيقيين لم يكونوا اهل حرب

وبلاء بل كانوا اهل تجارة وعطاء ولما اتسعت تجارتهم وبلغت أقصى المعمور كانت قوتهم دون حاجتهم فاستعانوا بالمسترزقة من الجنود الغرباء وهذا ما فتَّ في عضدهم وقضى على سطوتهم وسلطانهم فأضاعوا المركز الممتاز الذي كان لهم وحلت الامم المتغلبة مكانهم

وكان الجبيليون يعتقدون ان مدينتهم هي اقدم مدن العالم وان آل اله جبيل كان اول من غادر البلاد فغزا مصر وبلاد اليونانيين وصقلية وليبيا ومدَّن سكانها ووضع أسس البلاد العظيمة في كل مكان ويفهم من هذا ان جبيل أقدم من دمشق لان المدينتين ارأميتان فلا يدعي الجبيليون مثل ذلك عبثاً والجبيليون هم الذين بنوا بيروت ومعناها بالفينيقية السرو كما يجوز ان تكون مأخوذة من كلمة بير ومعناها في الفينيقية بير كالعربية

وبعد آلٍ جاءت عشتاروت الهة صيدا فسارت في انحاء المعمور تشاهد البلدان المختلفة وتلاها ملكارث اله صور فأتمَّ عمل الآلهة باكتشاف الامصار التي لم يعرفها أسلافهُ واخضاعها

ويظهر ان حوض البحر المتوسط كان تحت رحمة السفن الفينيقية التي كانت تشق عبابه وتحمل التجارة للامم المتوطنة على شواطئه او تنقل حاصلاتهم وتجارتهم الى كل مكان حتى قام اليونان فالرومان فغيرهم لمزاحمتهم في هذا الميدان — وهكذا انتشرت قصة كنيراس ملك بيبلوس (جبيل) والد ادونيس (تموز) في قبرص . اما في كريت فيروون القصة بطريقة تختلف عن هذه فيقولون ان اوربا بنت ملك صيدا حملها زفس رب الآلهة عند اليونان القدماء وهو متخف بزي ثور ثم سار قدموس ملك صيدا يبحث عنها فزار قبرص ورودس وجزر الارخبيل ثم جاء بلاد اليونان وهنالك بنى طيبة المدينة اليونانية القديمة الواقعة الى الشمال من أثينا في وسط غابات البريا

ولم يكتف الفينيقيون ابَّان عزهم بانشاء العلاقات التجارية بل بنوا لهم مدناً خاصة على شواطئ البحر المتوسط في كل جهة ومكان حتى على الشاطئ الغربي من آسيا الصغرى فكانت لهم مرافئ بنوها لانفسهم وجعلوها مستودعات لبضائعهم وتجارتهم منها : الكبيرة . والماسورة . ومجدلة . وسديمة . وغيرها ومن اسمائها يفهم الانسان انها فينيقية . واحتل الجبيليون ميلوس في البحر الايجي والصيدونيون الياروس وفيرا وكان الصوريون يشترون أو يجمعون الاصداف الحلزونية المعروفة بالاسم العلمي Murex trunculus لاستخراج الاصبغة الارجوانية منها وطريقتهم في ذلك انهم يكسرون الصدفة بمطرقة كبيرة فيخرج الحيوان الحلزوني منها فيسحقون رأسه ويستخرجون منهُ مادة صفراء يعالجونها بماء البحر في اناء خاص وبعد خضخضة وتحريك يستمران مدة ثلاثة أيام حتى يغلى المزيج في أوانٍ رصاصية على نار خفيفة ثم يصفون المزيج بقطعة قماش حتى لا يعلق بهِ شيء من الفضلات وهكذا يعدون ذلك الصباغ الذي اشتهرت بهِ صور قديماً لصبغ الاقمشة باللون الارجواني الجميل

﴿سفن الفينيقيين﴾ يذهب الاستاذ برستد الى ان مصر كانت اول بلاد جازت سفنها عبر البحار وهو يرجح ان الفينيقيين اتبعوا الطراز المصري فقلدوا سفن الدولة الرابعة التي بلغت من العز شأواً بعيداً والمؤرخون فريقان فريق متعصب لمصر ينسب اليها الكثير من فضل الامم المجاذبة ومفاخرها وفريق متعصب للكلدان يرى فضل السبق لبابل ام المدنية في عرفهم

ومن يتتبع تاريخ الفينيقيين منذ نشأتهم يجد انهم اخذوا عن المصريين الكثير من عاداتهم وعقائدهم الدينية فألبسوا بعض آلهتهم شيئاً من الزي المصري وزانوا الصولجان الفينيقي برؤوس الحيوانات او شكل الصليب او قرص الشمس او الجعران المجنح حتى انهم في جبيل جللوا رأس بعلة جبيل بقرون البقر ، محاولين تشبيهها بهاتور . وفي ارواد جعلوا بعل تلك المدينة واقفاً على اسد يتجول في العلا ورغماً عن ان صورة ذلك البعل لا تزال ظاهرة بشكلها الذي يتمشى مع الاساطير الكلدانية الاّ ان ملابسه اعتراها التبديل فألبس البرود المخططة ووضع في عنقه عقد وفي ذراعيه اساور لم يكن يضعها الفينيقيون قبل ذلك ووضعوا على رأسه التاج الابيض يعلوه الجناحان المصريان

وهكذا المذابح فانها اتخذت تدريجيًّا الشكل المصري حتى المدافن طرأ عليها بعض التغيير فترى في ارواد قبراً عظيماً اعلاه هرمي الشكل مع ان ارواد ابعد المدن الفينيقية عن مصر . والذي يشاهد قبر حيرام ملك صور يجد شبهاً كبيراً بينهُ وبين قبور طيبة . اما الصوريون فكانوا اشبه بجرمان اليوم او باليابانيين فكانوا امهر الصناع يقلدون سلع العالم القديم ويصنعون منها الكثير ويبيعونهُ بأرخص الاسعار . ومع ان الفقراء في فينيقيا لم يتأثروا كثيراً بمخالطة المصريين ولا استعملوا المصنوعات المصرية لغلاء ثمنها الاَّ ان الامراء والاعيان كانوا يستعملون الكثير من المصنوعات المصرية الاصلية او المقلدة التي اجاد الفينيقيون صنعها حتى انها كانت تضاهي المصنوعات الاصلية بل تفوقها دقة صنع

﴿الالف باء﴾ من الامور التي اختلف فيها العلماء اختراع الابجدية فان اليونان يذكرون في اساطيرهم انهم اخذوا الالف باء عن الفينيقيين وتابعهم في ذلك جمهرة الباحثين المدققين رغم محاولة فريق المتحمسين لمصر غمط فضل الفينيقيين كما فعل شمبوليون العالم الأثري الشهير الذي اكتشف حجر رشيد وحل بواسطتهِ رموز الخط الهيروغليفي وشايعهُ في ذلك دي روجيه فيما كتبهُ تحت عنوان «مذكرات عن الاصل المصري للابجدية الفينيقية» ورسم اشكال الحروف الفينيقية وما يماثلها من اليونانية ثم قابل ذلك بالحرف المصري الهراطي وذكر ان المصريين لم يكونوا يفرقون بين الجيم والكاف فاستعملوا نفس الحرف للجيم والكاف في مجدو وكركميش

ولتشعب آراء العلماء في هذا الموضوع وتباين مذاهبهم يتعذر على الباحث استخراج نتيجة

صريحة بيد انّ من يتتبع آراء جمهرة العلماء وأساطير الاولين يخرج بهذه النتيجة البينة وهي ان الفينيقيين كانوا اول من وضع الابجدية بشكلها النهائي ومنهم اخذ اليونان حروف الالف باء ثم نقلها الرومان . فأوربا اذاً مديونة للفينيقيين بحروف الهجاء ولغة العلم والعرفان كما هي مديونة لاخوانهم العرب بالارقام العددية

ولغة الفينيقيين هي اخت العبرانية تدخل تحت نطاق اللغة السامية الشمالية ولكن الشعبين افترقا منذ القديم وطرأ على كل من اللغتين تغيير وتبديل كثير . اما السريان (الاراميون) فانهم يتكلمون نفس اللغة الفينيقية وهي لغة بابل وأشور السامية . ولم يبق من يتكلمها في سوريا الاَّ نفر قليل في بعض قرى دمشق ويستعملها السريان والطائفة المارونية في الطقوس الدينية فقط

﴿ تاريخ فينيقيا بالاختصار ﴾ لم ينشىء الفينيقيون دولة متحدة مع الداخلية بل اكتفوا بمدنهم الثلاث صور وصيدا وأرواد وبنوا لهم مدينة طرابلس لتكون منتدى يجتمعون فيهِ لتقرير الامور العامة وكانت سفنهم تحمي مدنهم في البحر ولبنان يرد عنهم عاديات الخصوم في البر

أنشأ الفينيقيون صيدا أولاً ثم أرواد فصور ثم طرابلس وانشأوا الكثير من المدن الساحلية الصغيرة لمتاجرهم واستمر الفينيقيون في تقدم مستمر على عهد الدول السامية الاولى حتى قام الحثيون فكانت سوريا ميداناً للقتال وانقسم الفينيقيون قسمين قسماً يؤيد مصر وهم أهل صور واخوانهم الاراميون اهل جبيل وقسماً يؤيد الحثيين وهم صيدا وارواد لقرب هذه لارض الحثيين وتعرض صيدا لهجمات الحثيين البرية وكانت الحرب سجالاً بين هاتين القوتين فوقفت حركة الاخذ والعطاء وضعفت قوة البلاد من جراء هذه الحروب . ثم تلا ذلك المحالفة بين رعمسيس الثاني والحثيين فهدأت الحالة وأخذت البلاد في الانتعاش وفي هذا العهد بنى حيرام ملك صور الهيكل لسليمان وقدم لهُ خشب الارز الذي تعود الفينيقيون ان يحملوه لمصر لبناء هياكلها العظيمة وقصورها الباذخة

ثم توالت على سوريا المحن فجاءَ الفلسطينيون واجتاحوا البلاد ودمروا معاقلها وخربوا مدنها وأهلكوا السكان واحتلوا جنوبي سوريا من يافا الى غزة

ثم غزا تغلث فلاسر الاول ملك اشور البلاد واحتل ارواد في نحو سنة ١١٠٠ ق.م . وفي سنة ٨٧٦ هاجمها اشور ناصربال الثالث فسلمت مدنها لهُ ودفعت الجزية . وعاد فغزاها تغلث فلاسر الثالث في سنة ٧٤١ . ومما ورد في اخبار فتوحات هذا الملك ان حيروم ملك صور كان من ضمن الملوك الذين دفعوا لهُ الجزية . ومن انباء هذا العهد ان ملك صور اصبح ملك صيدا ايضاً وانهُ أنشأ لهُ مستعمرة في قبرص . وجاء بعد ذلك اسرحدون فأخضع صيدا ونزع من صور جميع المدن الخاضعة لها . وجاء في أنباء هذا الملك ان ملك صيدا ثار عليهِ فقصد صيدا وفتحها

عنوةً وهدمها وفتك بأهلها فتكاً ذريعاً حتى امحى اسم مملكة صيدا من الوجود على عهد كورش الفارسي الذي فتح فينيقيا بعد ذلك . وهكذا توالت المحن على فينيقيا فلم تكن تنجو من غزوة حتى تقع بأشر منها . ولما جاء نبوخذ نصر ملك بابل حاصر صور مدة ثلاثة عشر سنة ثم سلمت بشروط موافقة للفريقين

وبعد ذلك قامت مملكة الاسكندر تحارب الفرس وانتصر على داريوس في سهل ايسوس الى الشمال من سوريا . ثم ضرب صور ضربة قاضية بعد حصار سبعة اشهر ولم يستطع الاسكندر فتح صور حتى بنى سدًّا بينها وبين البر المحاذي لها وساعدته سفن صيدا والمدن الفينيقية وسفن الاغريق التي كانت تحاول أخذ الثأر من الفينيقيين لما أنزلوا بالاغريق من الويلات في حرب الفرس واليونان اذ عاونت عمارة الفينيقيين الفرس ونقلت جيوشهم وسلاحهم وميرتهم وذخيرتهم عبر البحر الى بلاد اليونان . ولكن روح صور وفينيقيا لم تقهر فبقي من بقي في البلاد ورحل الكثيرون منهم الى المستعمرات النائية في شمالي افريقيا واسبانيا . وهنالك قامت قرطاجنة ونازعت رومية سيادتها ردحاً من الزمن الاَّ ان التنافس بين فريقي الفينيقيين المتسلطين على قرطاجنة أضاع من الفينيقيين مجدهم ومملكتهم الغربية . فبينما كان هانيبال بطل قرطاجنة يفوز في معركة تلو معركة في ايطاليا . وقد قهر رومية في كل موقعة نشبت بينهُ وبين الرومان مع تفوق عددهم كان مناظروه في قرطاجنة يتحينون الفرص لاسقاطه فلم يرسلوا له النجدات ولا الذخيرة التي يحتاجها ففشل في هجومهِ بعد ان اجتاح البلاد واحتل نصف ايطاليا وكسر كل جيش قابلهُ من جيوشها وزحف من اسبانيا منتصراً أين سار وقطع الالب بجيشهِ الظافر كما فعل نابليون بعد ذلك بألفي سنة متبعاً خطوات ذلك الفاتح العظيم .

وكان في اخفاق قرطاجنة في حربها مع رومية القضاء المبرم على الفينيقيين في الغرب فانهُ بعد ان هادنت روما قرطاجنة مدة عادت فضربتها الضربة القاضية وتشتت الفينيقيون في شمالي افريقيا وبقيت لغتهم تستعمل في تلك البلاد حتى القرن الخامس بعد المسيح حين لم يبق احد يتكلم بها

وهكذا قضي على الفينيقيين في بلادهم ومستعمراتهم فخضعوا في بلادهم لليونان ثم للرومان فالعرب فالمماليك فالعثمانيين ، الى ان كانت الحرب العظمى فاستقلت البلاد تحت ظل الانتداب الفرنسي وانضمت صيدا وصور وطرابلس الى لبنان الذي ضمَّ فينيقيا القديمة ما عدا عكا الى الكرمل جنوباً وارواد وطرسوس وسمرا شمالاً

ولكننا نرجو ان يقرب الوقت الذي تنضم به الامم السامية تحت حلف عام يوحّد المصالح والغايات وينفي التعصب والمطامع الشخصية التي كانت اكبر عقبة في سبيل الاتحاد منذ فجر التاريخ الى الآن

اساليب علمية

جديدة
في مكافحة الآفات الزراعية

يقول علماء الحشرات في الحكومة الاميركية ان ما تخسره الولايات المتحدة الاميركية من حاصلاتها الزراعية بسبب الآفات المختلفة يبلغ بليوني دولار كل سنة . ولذلك تعنى وزارة الزراعة وعلماء الجامعات والباحثون في المختبرات الفنية الزراعية فيها باستنباط أساليب جديدة لمكافحة هذه الآفات وقد عمدوا في ما عمدوا اليه الى استعمال الضوء والصوت والكهربائية جنباً الى جنب مع المركبات الكيمياوية المستعملة للذر والرش

فقد جرب أحدهم مصباحاً كهربائياً متوهجاً قوي الضوء فعلقه على ارتفاع بضع بوصات فوق اناء وضع فيه ماء وعلى سطح الماء طبقة من الكيروسين وجعل الاناء وسط مزرعة مساحتها ستون فدانا فتهافتت الحشرات على الضوء الباهر وسقطت في الاناء فكان مجموع ما هلك منها بهذه الطريقة يملأ اربعة جالونات

ويزعم الرجل الذي جرب هذه الطريقة انها وقت ما زرعه في مزرعته من الفاصوليا والطماطم والذرة واغنته عن رشها بالمركبات الكيمياوية ثم ظهر من فحص الذرة ان حبوب نبات الذرة الذي وقي بهذه الطريقة خالية من الدود وقد بلغت النفقات مبلغ قرشين في الفدان الواحد في الليلة ولكن ما انقذ من الحشرات بلغت قيمته ٦٠ جنيهاً وفي حالة اخرى بلغت قيمة ما أنقذ من المزروعات بهذه الطريقة ٤٠٠ جنيه

ومما يؤخذ على هذه الطريقة ان بعض الحشرات الضارة لا يستهويها الضوء فلا يقي المزروعات من ضررها حالة ان بعض الحشرات المفيدة يجذبها الضوء ويهلكها

ومن الاساليب الغريبة التي استعملت لتحقيق هذا الغرض مروحة كهربائية كبيرة تحدث عند دورانها تياراً من الهواء يجذب نحوها كل مادخل منطقة هذا التيار وكان خفيفاً يسهل جذبه كالحشرات. ووضع وراء المروحة كيس كبير يسقط فيه كل ما تجتذبه المروحة اليها بفعل تيارها ووضع فوق المروحة مصباح كهربائي تتهافت الحشرات على ضوئه فيجذبها التيار ويودعها الكيس . وقد جمع بهذه الطريقة نحو مليون رطل من الحشرات الدقيقة التي من قبيل « الهاموش »

النغم الرقيق

رواية تمثيلية في فصل واحد

لآلس جرستنبرج

OVERTONES

by

Alice Gerstenberg

نقلتها

منيرفا عبيد

أشخاص الرواية

هريت — سيدة مهذبة

هيتي — السيدة نفسها بحسب الفطرة (ويدل كلامها على ما يجول بخاطر هريت التي تمتنع عن الافصاح عنه مراعاة للياقة والادب)

مرجريت — سيدة مهذبة

ماجي — السيدة نفسها حسب الفطرة (ويدل كلامها على ما يجول بخاطر مرجريت التي تمتنع كهريت عن الافصاح عنه)

الوقت — الحاضر

المنظر — غرفة استقبال بيت هريت وهي منسقة على الطراز الحديث . لها باب بالجهة اليمنى يفتح على الردهة . وفي وسط الغرفة مائدة صغيرة للشاي على كل من جانبيها مقعد عالي الظهر

تلبس هريت فستاناً لونهُ أخضر فاتح يرمز الى الغيرة وتلبس شخصيتها الاخرى أي هيتي فستاناً من ذات النوع والشكل الاَّ ان لونهُ الاخضر أغمق من الاول

اما مرجريت فتلبس فستاناً من «الشيفون» البنفسجي وتلبس شخصيتها الثانية — ماجي — فستاناً من ذات النوع والشكل ايضاً الاَّ ان لونه أغمق قليلاً من لون فستان مرجريت . وتختلف عنها بتغطية وجهها بنقاب خفيف من الشيفون البنفسجي . اما الشيفون فيرمز الى ان السيدة المهذبة قد تندمج مع شخصيتها الفطرية . الاَّ ان هاتين الشخصيتين لا تندمجان تماماً بل تحاولان دائماً مواجهة النزاع الفكري المستديم بينهما . فهريت لا ترى هيتي البتة ولا تخاطبها بل تحادث نفسها بصوت مسموع وهي تتأمل في الفضاء . اما هيتي فترى هريت تمعن النظر فيها وتحاول الاكثار من الكلام حتى تتغلب عليها . وكذلك هو الحال بين مرجريت وماجي . والسيدتان الراقيتان تتكلمان بصوت متكلف هادىء طويل النبرات بينما تتكلم الشخصية الفطرية لكل منهما بصوت طبيعي متقطع

النغم الرقيق

رواية تمثيلية في فصل واحد

ترفع الستارة على مشهد بسيط. هريت بجانب مائدة الشاي وهي ترتب ادواتها

هيتي : هريت (لا يسمع رد) هريت ! ياشخصيتي الثانية (لا رد) ياشخصيتي المدربة

هريت : (تصغى بامعان) نعم ؟

(هنا تنتصب هيتي ببطء من خلف مقعد هريت)

هيتي : اريد الكلام اليك

هريت : حسن

هيتي : (وهي تنظر الى هريت باعجاب) هريت ما أجملك اليوم !

هريت : اتظنين اني مقبولة يا هيتي

هيتي : اني راضية

هريت : لقد حاولت اظهار احسن ما بي

هيتي : ان انفعالاتي أشد من انفعالاتك ولذا لا يمكنني ان احتفظ بالنقاب الذي تحتفظين به . انني امثل الحقيقة والفطرة أما انت فمظهري في العالم

هريت : انني ما تريدين العالم ان يتصورك

هيتي : انك الجزء الذي درب مني

هريت : بل اني نفسك المهذبة

هيتي : اني كنهر جارف أما انت فكالثلج الذي يغطي مياه النهر

هريت : اني نغمك الرقيق

هيتي : ولكن كلتانا امرأة واحدة وهي زوج تشارلس جودريتش

هريت : اني اخالفك في هذه النقطة يا هيتي لأني أنا فقط زوجه

هيتي : (غاضبة) هريت كيف تقولين هذا ؟

هريت : بالتأكيد لأني انا الشخص الذي يتملقهُ . فانا اتولى الحديث معهُ والاَّ لو تركتك تحدثينهُ لاخبرته انك تمقتينهُ

هيتي : (وهي تبتعد) من المؤكد انني لا أحبه

هريت : اتركي كل الاكاذيب لي فهو لا يظن ان اساليبي اللطيفة الهادئة تخبىء بغضك . ونظراً لما تكلفني تلك الاساليب من التدابير يحق لي ان اعتبره زوجي انا

هيتي : لو كنت تحبينه . . .

هريت : انا ! اني مجردة من كل الشعور فلا احب احداً

هيتي : اذاً لماذا تمانعين في تسميته زوجي؟

هريت : اني اعارض ادعاءك ملكية رجل لاسبيل للتسلط عليه الا بمهارتي وحيلتي

هيتي : قد تكونين من المهارة بحيث تتمكنين من خداعه ياهريت ولكني أنا التي اتألم فلا يمكنني ان أنسى انه زوجي كما لا يمكنني ان أنسى انه كان بوسعي أن اتزوج من جون كولدول

هريت : أليس من الحماقة ان تذكري جون فقط لمقابلتك زوجه من طريق الصدفة ؟

هيتي : هذا هو الموضوع الذي اريد محادثتك فيه . فقد تصل زوجه في اية لحظة الآن وأريد أن انصحك بما يجب أن تحدثيها

هريت : بالله عليك قولي لي الآن كل ما تريدين ولا تقاطعيني في اثناء وجودها لان لك عادة مزعجة جدًّا وهي توجيه الكلام اليَّ بينما اكون مع آخرين وحينئذٍ اعاني جهداً كبيراً للاحتفاظ بهدوئي وتجاهلي الاصغاء اليك

هيتي : أبهريها بأن . . .

هريت : يا عزيزتي هيتي انى لست معتادة ان أبهر احداً

هيتي : اني ابغضها

هريت : ولكن لا يمكنني ان اظهر لها ذلك .

هيتي : اني ابغضها لانها تزوجت جون

هريت : تزوجته فقط بعد رفضك اياه .

هيتي : (تلتفت نحو هريت) ايقع اللوم علي أنا لرفضه ؟

هريت : انكِ على حق فالذنب ذنبي .

هيتي : نعم . الذنب ذنبك لانك قلت لي انه فقير ولن يتمكن من النجاح في التصوير . ولكن تأمليه الآن وقد ذاع صيته في اوربا ورجع شهيراً بعد ان قضى ثماني سنوات في باريس

هريت : ولكن المجازفة كانت خطرة في حين ان مال تشارلس ومقامه كانا مضمونين

هيتي : ثم تزوج جون من مرجريت في السنة نفسها

هريت : رغماً عنهُ

هيتي : وقد كانت كلفة غليظة الشكل

هريت : (ببعض الحزن) ولكن اوروبا صقلتها حتى ظهرت بمظهر باهر من يومين

هيتى : ابعثي فيها الغيرة اليوم

هريت : أأكون مترفعة ام مؤدبة ام لاذعة ام . . .

هيتى : قبل كل شيء يجب أن تعرفيها اننا أغنياء

هريت : طبعاً استطيع القيام بهذا العمل خير قيام الآن

هيتى : ولكن يجب ان تبالغي هذه المرة

هريت : لا تخافي

هيتى : قولي لها اني أحب زوجي

هريت : بل زوجي أنا

هيتى : اتنوين العراك معي ؟

هريت : (وهي تبتعد) كلاً . لا اريد العراك معك فان هذا امرٌ متعب جداً لانهُ لا يمكنني الابتعاد عنك اذا حاولت ذلك

هيتى : (وهي تخبط الارض وتتبع هريت) لقد كنت حمقاء في حملك اياي على رفض جون . لن اغفر لك أبداً . . . أبداً . .

هريت : (تقف وترفع يدها) لا تثيريني لئلاً لا اكون في حالة مناسبة لمقابلتها الآن

هيتى : (منفعلة) لاخنقنك لسلبك اياي جون

هريت : (تتراجع) لا ترتبكي

هيتى : انك لا تعلمين مقدار عذابي

هريت : (وقد ابتدأت تشعر ان انفعالات هيتي تموج في داخلها فتحاول قهرها) ليس من شأني ان يتألم قلبي

هيتى : انك عديمة الشعور فكل حياتك خداع في خداع . أما أنا . . .

هريت : (بانفعال) اهدئي لأني لا أريد أن اظهر لها اني كنت في نزاع مع نفسي الباطنة

هيتي : والآن بعد كل هذه الآلام أتقولين ان الزواج من تشارلس كلفك اكثر مما كلفك ؟ كلا . ان الالم يحز قلبي . اني انا التي دفعت الثمن . نعم انا دفعته فتشارلس ليس زوجك

هريت : (وهي تحاول التغلب على انفعالها) انهُ زوجي

هيتى : (تتبع هريت) كلا . ليس زوجك

هريت : (تضعف) بل زوجي .

هيتي : (تهاجم هريت) كلا ليس زوجك وسأقتلك

هريت : (تخور قواها وترتمي على مقعد) لا تقتليني . انك اقوى مني اما انا . . .

هيتى : قولي انه زوجي

هريت : انه زوجنا

هيتى : (تسمع جرس التلفون) ها هي — تسرع هيتى نحو التلفون ولكن سرعان ما تستعيد هريت سلطتها وتسرع نحوها

هريت : (متسيطرة) انتظري . فاني لا اسمح بأن تسمع عاملة التلفون شخصيتي الحقيقية لانهُ غير لائق ان تعرفها (ثم تمسك سماعة التلفون) اذهبي واستقبلي المسز كولدول

هيتى ما أشد ثورتي. ان قلبي على لساني

هريت : (وهي تتطلع في المرآة) يا لاضطراب اعصابي .

هيتى : لا تظهري لها انك عصبية المزاج

هريت : عجلي . ضعي النقاب على وجهك لئلاَّ تراك ساطعة بداخلي . (تأخذ هريت نقاباً من «الشيفون» من ظهر المقعد وتضعه على وجه هيتي. اما لون النقاب فمثل لون فستان هيتي الاَّ انه أفتح قليلاً فبذا يخفف من شدة لون فستانها حتى يتناسب مع فستان هريت . واذ تتحرك هيتي يتحرك النقاب فيكشف عن لون فستانها الغامق)

هيتى : قولي لها ان تشارلس غني وخلاب وباهي بأصدقائنا حتى تشعر بحاجتها الينا

هريت : سأدعها تطلب من جون ان يرسمنا .

هيتى : هذه فكرتي بالضبط لانه اذا رسمنا جون . . .

هريت : ويمكننا ان نلبس ثوباً فاخراً لهذا الغرض ....

هيتى ونوقعه في حبنا مرة اخرى . . .

هريت : (مفكرة) نعم

(هنا تزيح مرجريت الستارة الخلفية الى الجانبين وتدخل مادة يدها للمصافحة. وتتبعها شخصيتها الثانية ماجي)

هريت : مرحباً مرجريت . ما اعظم سروري برؤيتك

هيتى : (لماجي) هذا كذب

مرجريت (بصوت متكلف دائماً) ان مقابلتك تسحر

ماجي : (بصوت منفعل دائماً) لو تجاسرت لمضغتك

هريت : (لمرجريت) الم تكن مقابلتك من مصادفات الحظ السعيد

مرجريت : (متجهة الى الناحية اليسرى للمائدة) لقد فكرت فيك كثيراً يا هريت فمن دواعي غبطتي ان ارجع واجدك بنيويورك

هريت : (متجهة الى الناحية اليمنى للمائدة) ان المستر جودريتش له مصالح كثيرة هنا

ماجي : (لمرجريت) تملقيها

مرجريت : اني اعلم ان المستر جودريتش نجح نجاحاً كبيراً

هيتي . (لهريت) اخبريها اننا أغنياء

هريت : (لمرجريت) تفضلي اجلسي

مرجريت : (وهي تمسك بكرسي) ما اجمل غرفتك

هريت : اتعجبك حقًّا ؟ ولكني اخشى ان تشارلس دفع فيها ثمناً باهظاً

ماجي : (لهيتي) لا أصدق ذلك

مرجريت : (لهريت وهي تجلس) لا شك في ذلك

هريت : (وهي تجلس) يبدو عليك انك بأتم صحة يا مرجريت

هيتي . انك لا تبدين كذلك لان هناك هالات قائمة تحت عينيك

ماجي . (لهيتي) لم آكل منذ الافطار فلذا جعت

مرجريت : (لهريت) وانت تبدين بأتم صحة ايضاً

ماجي : (لهيتي) تظهر على شفتيك خطوط بارزة . أأنت سعيدة ؟

هيتي . (لهريت) لا تعرّفيها بتعسي

هريت : (لمرجريت) ولمَ لا ابدو بصحة وقد اكتملت لي جميع اسباب السعادة والرفاهية

ماجي : اني اشك في ذلك

هيتي : (تهمس في اذن هريت) اخبريها اننا نملك سيارة

مرجريت : (لهريت) وحياتي انا ايضاً مستكملة .

ماجي : ان الحزن يحز قلبي لان زوجي لا يجد وسيلة للمعيشة وسيقتل نفسه اذا لم يوصه احد بعمل صورة

مرجريت : (وهي تضحك) يجب ان تزورينا في «الاستوديو» فجون يباشر عمل بعض الصور الفاخرة حتى ان الوقت يضيق به عن اتمام كل ما عنده من الطلبات

هيتي : (لهريت) اخبريها اننا نملك سيارة

هريت : (لمرجريت) اتحبين ليموناً في الشاي ؟

ماجي : خذي قشدة لانها اكثر تغذية من الليمون

مرجريت : (تنظر الى ادوات الشاي بدون اكتراث) كلاَّ بل قشدة من فضلك . ما أعظم راحتي في هذا المكان

ماجي : (وهي تبحلق في ادوات الشاي) كعك فقط ! بوسعي ان ألتهمه كله

هريت : (لمرجريت) كم قطعة من السكر تريدين ؟
ماجي : (لمرجريت) لاحظي ان السكر معقد
مرجريت : (لهريت) ثلاث قطع من فضلك . لقد تعودت شرب قهوة كثيرة السكر في تركيا ومنذ ذلك الحين ....
هيتي : لا أصدق انك ذهبت الى تركيا ابداً
ماجي : لم أذهب اليها ولكن هذا ليس شأنك
هريت : (وهي تصب الشاي) ازرت تركيا ؟ ألا فاخبريني شيئاً عنها
ماجي : (لمرجريت) غيري الموضوع
مرجريت : (لهريت) يجب عليك ان تزوريها بنفسك لانك ستسرين كثيراً بمشاهدة الملابس الشرقية لما لك من ذوق سليم في الملبس
ماجي : أليست عازمة على تقديم الكعك ؟
مرجريت : (لهريت) وقد رسم جون كثيراً من الصور هناك
هيتي : (لهريت) لم لا تضعي حداً لتفاخرها وتخبريها اننا نملك سيارة
هريت : (تقدم الكعك) تفضلي كعكا
ماجي : (تقف خلف مرجريت وهي تظللها كما تظلل هيتي هريت ثم تمد ماجي مخالبها الى الطبق وهي تصرخ من الفرح
ماجي . أخيراً (الا ان مخالبها لا تلمس الطبق)
مرجريت . اشكرك (تأخذ كعكة وتضعها في طبقها بكل رقة وادب ثم تكسرها ببطء وخفة)
هيتي : (لهريت) السيارة
ماجي : (لمرجريت) تابعي موضوع الملابس حتى تصلي الى القول بأنها تكون نموذجاً حسناً لجون
مرجريت . (تتجاهل ماجي) ما ألذ هذا الكعك !
هيتي : (تكلم هريت بانفعال) لقد حانت الفرصة لذكر السيارة
هريت . (تكلم مرجريت بدون اكتراث) نعم انهُ صنف جيد من الكعك ولذا يكثر الاقبال عليه في محل هاربر حتى اني اضطررت اليوم ان انتظر بالسيارة ربع ساعة الى ان احضره السائق
ماجي : (لمرجريت) دعيها تطلب عمل صورة لها
مرجريت . (لهريت) ما دمت قد انتظرت عند محل هاربر فلا بد انك لاحظت الفساتين الجديدة بمحل هندرسون . ألا تبدو معروضاته جذابة هذه الايام ؟

هريت . نعم حتى السائق ابدى هذه الملاحظة

ماجي : اني أعلم انك تملكين سيارة . ولقد سمعتك أول مرة

مرجريت . اني انظر الى الفساتين هذه الايام نظرة فنية كما يفعل جون فمثلاً فستانك صالح جداً للتصوير

هيتي : لا تجعليها تلاحظ شوقك الى عمل صورة

هريت . (بدون اكتراث) انهُ نموذج بسيط فقط

ماجي : لا تبدي شوقك للحصول على طلب الصورة

مرجريت . (بدون اكتراث ايضاً) قد لا يكون الثوب نفسه بل طريقة لبسك اياه هي التي تجذب النظر . فبعض الناس يمكنهم لبس اي ثوب برشاقة

هيتي : نعم اني رشيقة جداً

هريت . (لمرجريت) انك تطرينني كثيراً يا عزيزتي

مرجريت : بل بالعكس يا هريت . انني كثيرة الاعجاب بك ولا ازال اذكر مبلغ جمالك في صغرك . وفي الحق اني كنت اغار منك كلما زاد اهتمام جون بك

هيتي . انها تحاول اغاظتي لانني فقدته

هريت : لقد كانت تلك ايام طفولة مرت في بلدة قروية

ماجي . (لمرجريت) انها تحاول ان تشعرك ان جون قروي

مرجريت : نعم واغلب العظماء قرويون . وقد يؤاتي الحظ السعيد جون فيضاف الى قائمتهم

هيتي . اني أعلم ذلك ولذا احترق غيرة منك

هريت . لا ريب في انهُ مدين بنصيب كبير من فوزه اليك يا مرجريت والى خبرتك في الاقتصاد ومقدرتك على تحمل الصعوبات فلا شك ان السنين الاولى التي قضيتماها في باريس كانت سنين جهاد

ماجي . انها تهزأ بفقرك

مرجريت . نعم قابلنا صعوبات كثيرة في الحياة . ان الحياة لم تقابلني بالمباهج التي تقابل بها الفتاة التي تتزوج لاجل الثروة

هيتي . (لهريت) انكري انك تزوجت تشارلس من أجل ثروته

(تتجاهل هريت نصيحة هيتي فلا تجيب)

مرجريت — الاّ اننا — انا وجون — كنا متفقين في المزاج حتى اننا لم نكترث للمتاعب والمشاق

هيتي : (متألمة) ألا تزالان على حبكما ؟ أهذا حقيقي ؟

هريت : (بظرف) اتنعمتا بكل اللذة الناتجة من الجوع في سبيل الفن ؟

ماجي : (لمرجريت) أنها تعيرك فردي تعبيرها

مرجريت . نعم ولكن خلال مدة قصيرة لان البرنس رير سرعان ما اكتشف عبقرية جون وقدمهُ الى اغنياء باريس الذين غمروه بطلباتهم

هيتي : (لماجي) أتقولين الحق أم تكذبين ؟

هريت : اذا كانت امامه تلك الفرص الباهرة في باريس فلا بد ان فرصاً اعظم جذبتهُ الى الولايات المتحدة

ماجي : (لهيتي) نعم. ولكنها غير ما تظنين

مرجريت: نعم فان جون بهر السائحين الاميركيين بفرنسا ولذا اصروا على طلبهم أن يرجع الى بلاده

هريت : ومن طلب منهُ تصويره هنا ؟

ماجي : (بخوف) اي الاسماء اجسر ان اخترع ؟

مرجريت . (بهدوء) في الوقت الحاضر يقوم بتصوير الآنسة دوروثي انسورث. قد لا تعرفينها الآ أنها ابنة صاحب منجم غني اكتشف الذهب في اوريفون

هريت : يخيل اليَّ اننا لا نعرف الكثيرين من سكان الولايات الغربية

مرجريت : لابد انك وجدت الحياة الاجتماعية في نيويورك من بواعث الغبطة والبهجة بعد حياتنا الهادئة في بلدتنا

هيتي: (لماجي) لا داعي لان تذكريني بأن حياتنا الاولى كانت متماثلة

هريت : لا شك في ذلك ولاسيما لان اسرة تشارلس جعلت كل شيء بهيجاً ولا سيما لانها متصلة بأنبل الاسر

ماجي : (لمرجريت) تملقيها

مرجريت : لقد سمعت انك اكتسبت حب المجتمع كله حتى وصفك احدهم بانك ماهرة جدًّا

هريت : (بسرور) من قال لك ذلك ؟

ماجي : لا أحد

مرجريت : (بانشراح) كلام الهامسين يجب ان يشكَّ فيه... كلاَّ أقصد يجب ان يكتم . ولقد سمعت أيضاً انك اكتسبت شهرة كناقدة للفن

هريت : اني لا أدعي هذه المقدرة

مرجريت : أتهمك نفس الاشياء التي تهم المستر جودريتش

هيتى : كلا

هريت : نعم في الحقيقة اننا انا وتشارلس لا نختلف

ماجي : أشك في ذلك

هريت : تفضلي كعكة اخرى

ماجي : (كأن وصلتها نجدة) نعم نعم (ثم تمد مخالبها الا انها لا تلمس الطبق)

مرجريت : (تتناول كعكة بخفة) حقـًا لا يجب عليَّ ان آخذ كعكة اخرى بعد غذائي الثقيل بمطعم الريتس. هذا الى اننا مدعوان للعشاء عند آل بدفورد بمنزلهم الجديد . ولـكن لا يمكنني ان ارفض كعكك لانه لذيذ جدًّا

ماجي : الحقيقة اني أموت جوعاً

هريت : (لمرجريت) اتسمحين لي بأن اقدم لك شاياً ؟

ماجي . نعم

مرجريت : اشكرك . لا اريد . كم حبتك الحياة بنعمها من غنى وجاه وزواج سعيد ومنح اخرى كثيرة سارة كالجمال والفن . فيا لسعادتك !

هيتى . (متألمة) لا تدعيني سعيدة . لم اجد السعادة من وقت ما قطعت صلتي بجون . فما اشقاني هذه السنين بدونه . وهل يكون المستقبل أيضاً بدونه ؟ كلا . سأسترجعه وأبعده عنك . نعم ابعده عنك

هريت : (لا تلتفت الى ماجي وهي تشير لمرجريت الى القشدة فتحملها على اخذ شيء منها) اني اظن في بعض الاوقات انه ليس من العدل ان تجتمع لشخص واحد مثلي كل اسباب السعادة فحبنا انا وتشارلس اليوم مثله يوم زواجنا فهو اعز رجل اليَّ في العالم

ماجي . (بانفعال) وجون اعز مخلوق الي فاني احبه حباً يسهل لي الموت فداء له وبرهاني على ذلك اني احتمل آلام الجوع والعوز ولا أمل لي الا ان يصير هو عظيماً كما أنه يحبني بل يعبدني

مرجريت : (لهريت ببطء) يسرني أن اقابل مستر جودريتش فاحضريه الى الاستوديو وجون مستعد ان يريه بعض الصور ولو ان الصور التي عنده قليلة لان اغلب ما عمله قد اشتراه أصحابه . ان سعر صوره قد ارتفع الى اربعة آلاف ريالاً

هيتى : (لهريت) لا تدفعي هذا الثمن الباهظ

هريت : (لمرجريت) هذا الثمن الـكبير ؟

مرجريت : الحقيقة انه ليس باهظاً متى علمت أن جون قد صار في مقدمة مصوري هذا العصر. ولا بد ان ثمن صوره سيضاعف بل سيصل الى ثلاثة امثاله قريباً

ماجي . هذا اختلاق لان اليأس يضعفه الآن
هريت : وهل يقضي طول يومه في التصوير
ماجي : كلا انه يرسم بعض الاعلانات ليضمن عيشه
مرجريت : متى عزمتما على تشريفنا عرّفانا تليفونيًّا
ماجي: نعم لكي يخبيء الاعلانات
مرجريت : لئلاَّ تحضرا بينما يكون مشغولاً مع احد زبائنه وهو لا يرضى ان ازعجهُ اثناء عمله
هيتي : احمليها على اقتراح عمل صورة لك
هريت : (لمرجريت) لقد اقترح عليَّ لي جرانج ان يرسمني مقابل الف ريالَ
مرجريت : طبعاً لان اسم لي جرانج لا يساوي اكثر من ذلك
هريت : الاَّ انني سمعت اطناباً في عمله
ماجي : حقاً ان تصويره فاخر
مرجريت : كلاَّ ان العامة فقط يمتدحون عمله اما رجال الفن فلا
هيتي : (بانزعاج) أحقيقة انه يتحتم علي دفع ثمن باهظ كما تقول ؟
هريت : ولقد قال لي جرانج انني اصلح كنموذج لصورة رائعة
ماجي : (لمرجريت) اتركيها هي تتصيد الفرصة
مرجريت : طبعاً لي جرانج على حق ولمَ لا تدعيه يرسمك ما دمت تثقين بهِ
هيتي : لا يبدو عليها انها متشوقة الى أن تدع جون يعمل الصورة
هريت . ولكن اذا كان لي جرانج لا يحوز اعجاب رجال الفن فمن اضاعة الوقت ان اجلس امامه ليصورني
مرجريت : نعم انك على حق في هذا
ماجي : (تكلم هيتي وراء المائدة بانفعال) اصدري الامر بعمل الصورة لان اليأس قد بلغ بجون حتى انه لا يقوى على احتمال هذه الحالة ، اعينينا ، اعينينا ، أعينينا ، خلصينا
هيتي : (لهريت) لا تبدي كثيرة الشوق لهذا العمل
هريت . ولكن ما دام يطلب الفاً فقط فالامر جدير بالاعتبار
مرجريت . اذا كنت حقيقة ترغبين في عمل صورة لك فلمَ لا تدفعين اكثر من ذلك بقليل لتحصلي على صورة نفيسة . وقد يمكننا اقناع جون بان يرسمك بثمن ارخص نظراً لصداقتكما القديمة
هيتي : (بسرور) يالله
هريت : (تكلم مرجريت بهدوء) انه طبعاً من لطفكِ انك تعرضين هذا

العرض . ولكن لا اعلم ....

ماجي : (بخوف) بالله أجيبي بالقبول

مرجريت : (بهدوء لهريت)طبعاً لا اعلم اذا كان جون يوافق ام لا لانهُ غريب في معاملته فهو يحدد ثمن عمله ويعتقد ان المساومة في السعر تحط من مقامه

هيتي : (لماجي) لا داعي لمحاولتك ان تشعرينا بحطة مركزنا

مرجريت : ولكني سأنوه له بكياسة انهُ نظراً لكثرة اصدقائك من ذوي النفوذ فيسرك ان . . . . ان . . .

ماجي : (لهيتي) اكملي مالا اريد ان اقوله

هيتي . (لهريت) ساعديها على اتمام عبارتها

هريت : نعم لا بد من تقديمه الى اصحابي بعد عرض صورتي ولاشك اني ...

هيتي : (لهريت) اظهري كانك تريدين مساعدتها

هريت : لا شك انهُ يمكنني تقديم زوجك الى اصحابي وهذا طبعاً يساعده

ماجي : (بارتياح) لقد خلصنا

مرجريت . سيسرني ان اكلم جون عن جمالك . هذا اذا وجدت مزاجه صافياً. جلستك الآن مناسبة جداً لاخذ الصورة

ماجي : (لمرجريت) يمكننا القيام الآن

هيتي : (لهريت) لا تدعيها تفكر أنها تخدمنا بعملها هذا

هريت : سيسرني ان اضيف اسمي الى اسماء معضدي زوجك

ماجي : (لمرجريت بانفعال) اجري الى البيت وبلغي جون هذه الاخبار السارة

مرجريت : (لهريت ببطء) لم يدر بخلدي عند ما حضرت لآنس بزيارتك ان كلامنا سيتطور الى اتفاق تجاري. كما انهُ لم يخطر ببالي ياهريت انك تفكرين في عمل صورة لك بواسطة لي جرانج . اني حقًّا اتيت في الوقت المناسب لانقذك

ماجي : (لمرجريت) اجري الى البيت واخبري جون ، اسرعي ، اسرعي

هيتي : (لهريت) لقد احسنت التصرف في امر طلب الصورة حتى انها لا تفكر انك كنت عازمة على طلبك قبلا

هريت : والآن اذا لم تعجبني صورتي فسوف ألومك أنتِ ياعزيزتي مرجريت لاني معتمدة على تقدرك لموهبة جون

ماجي : (لمرجريت) انها لاتفطن الى سبب حضورك فهيا اجري الى البيت واخبري جون

هريت : لقد امتزت دائماً بعقلك الذكي يا مرجريت

مرجريت : انك أنتِ المتملقة الآن

ماجي : (لمرجريت) لا داعي لا نتظارك الآن اسرعي الى البيت

هريت : اني لا أتملقك حين أقول الحق

مرجريت : (تبتسم) يجب عليَّ ان أرحل والاَّ سحرتني تماماً

هيتي : (تنظر الى الساعة) نعم ارحلي لاني اريد ان البس استعداداً للعشاء

هريت : (لمرجريت) لا تستعجلي

ماجي : (لهيتي) اني أمقتك

مرجريت : كلاَّ لا يمكنني التأخير ولكنني أؤمل ان اقابلك بالاستوديو . فمقابلتك تبعث فيَّ نشاطاً

هيتي : (لماجي) اني أبغضك

هريت : (لمرجريت) انهُ لمن دواعي السرور ان يجد المرء شخصاً يوافقه تماماً في المزاج

ماجي : (لهيتي) لقد جئت سعياً وراء ذهبك

مرجريت : (لهريت) ما أعظم سروري أن أجدد معرفتي بك

هيتي : (لماجي) سأعذبك انت وزوجك

هريت : بلغي تحياتي لجون

ماجي : (لهيتي) لقد نسي كل ما يتعلق بك

مرجريت : (تقف) سيسرهُ ان يتقبلها

هيتي : (لماجي) لقد فرغ صبري في انتظار الوقت الذي اكلمه فيه مرة اخرى

هريت : أأنتظر اذاً الى ان تبلغيني الجواب ؟

مرجريت : (وهي تقدم يدها للسلام) سأكلم جون في الموضوع في أقرب فرصة ثم أخبرك حتى يمكنك الحضور . (تمسك هريت بيد مرجريت وهي تظهر لها الود . أما هيتي وماجي فترفعان النقاب وتكيلان احداها للاخرى قارص الكلام

هيتي : اني احبه ، اني احبه

ماجي : انه يموت جوعا ، وأنا أموت جوعاً

هيتي : سآخذه منك

ماجي : اني اريد مالك ونفوذك

هيتي وماجي معاً : سأسلبك ، سأسلبك

(يسمع صوت كسر أدوات وتطفأ الانوار ثم تنار مرة أخرى ببطء وتظهر مرجريت وهريت فقط

مرجريت : (بهدوء) لقد قضيت وقتاً طيباً في زيارتك

هريت : (مسلمة) لقد سرتني مقابلتك

مرجريت : (برقة) السرور سروري . مع السلامة

هريت : (بلطف وهي تقبل مرجريت مع السلامة ياعزيزتي)

(ينزل الستار)

سير الزمان

نجم اليابان الطالع

في الشرق الاقصى

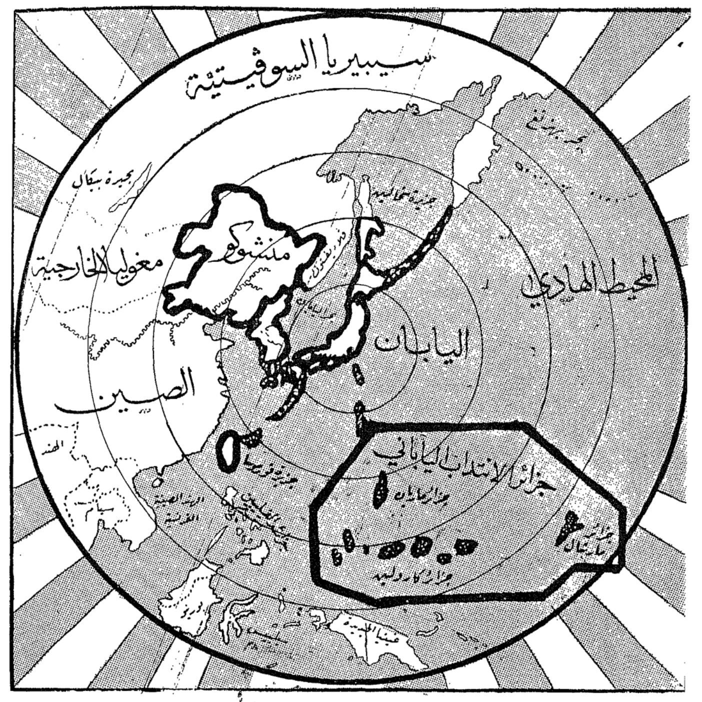
---

١ — طريق منغوليا

٢ — الاتجاه جنوباً

٣ — التغلغل السلمي





خريطة تبين دوائر التوسع الياباني في الشرق
الاقصى بحسب مذكرة « تاناكا » المشهورة

نجم اليابان الطالع

في الشرق الاقصى (١)

من ثمانين سنة فتحت ابواب اليابان للعالم بواسطة سفن القائد البحري الاميركي بري Perry
كانت مملكة اليابان قد قضت قرنين من الزمان قبل ذلك وهي منعزلة عن العالم، بل كان محظوراً في عهد « الشوغن » على اليابانيين السفر الى الخارج او الاتجار مع الاجانب ومن يفعل يجزَ بالموت . وادهى من ذلك ان بناء السفن اذا استثنينا زوارق الصيد كان عملاً يعاقب عليه

فلما اتصل اليابانيون بالغرب ، وبالافكار الغربية ، اقبلوا عليها واخذوا بها . فلم يكد ينقضي جيلان على وصول الكومودور بري الى سواحل امبراطورية الشمس الطالعة ، حتى كانت اليابان قد انشأت قوة عسكرية وبحرية تحاذر صولتها، وشرعت تتوسع. ولكن الدول الغربية كانت حينئذٍ قد رسخت اقدامها في الصين ، فلما رأت تغلغل روسيا في شرق اسيا وضغطها على شمال الصين ، رحّبت بقيام اليابان وبتعزّز قوتها لتكون لهم بمنزلة الثقل الذي يحفظ الميزان . وكان ابريطانيا وهي خصم روسيا القديم ، اكبر الشأن في تشجيع اليابان وتأييدها فعقدت معها في سنة ١٩٠٢ معاهدة لم تلبث حتى تحوّلت الى محالفة حربية. فلما نشبت الحرب الروسية اليابانية في سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ تمكنت اليابان بمساعدة فريق من الدول الغربية من قهر امبراطورية القياصرة

وكذلك خطت اليابان خطوتها الاولى على طريق التوسع الامبراطوري . كانت في العقد الثامن من القرن الماضي ، قد ضمّت اليها بعض جزائر في المحيط الهادي ، وفي سنة ١٨٩٥ غزت جزيرة فورموسا المناوحة للساحل الصيني وفي سنة ١٩٠٥ استولت على نصف سخالين الجنوبي من روسيا وفازت بامتيازات كبيرة الشأن في منشوريا وفي سنة ١٩١٠ ضمّت كوريا اليها وهي شبه الجزيرة المتدلية من جنوب منشوريا على الساحل الصيني

وفي خلال ذلك ، اخذ سكان اليابان في الازدياد . فقد ظلّ عددهم ستة وعشرين مليوناً من سنة ١٧٢٠ الى سنة ١٨٤٠ فبلغوا ٣٣ مليوناً سنة ١٨٧٢ واربعين مليوناً سنة ١٨٩٩ وخمسين مليوناً سنة ١٩٠٩ وهم الآن نحو خمسة وستون مليوناً ويزيدون نحو مليون كلّ سنة

كانت اليابان حتى السنة التي فتحت فيها ابوابها للاتجار مع الغرب ، تعيش في عزلة ولا تمارس من ضروب الزراعة والصناعة الاّ ما يكفيها ، ومع ان بعض الصناعات الفنية فيها كانت

---

(١) مقال مبني على الفصل العاشر من كتاب « ساعة الفصل » تأليف رتشرد فروينд

قد بلغت مرتبة عالية من الدقة والاتقان ، كصناعة السيوف والرماح والصيني والمينا ، لم يكن نتاج تلك الصناعات يوزَّع الاَّ في نطاق ضيق . فلما سقطت دكتاتورية «الشوغن» وأعيدت امبراطورية الميجي في سنة ١٨٦٨ اتسع المجال لما يتصف بهِ الشعب الياباني من القدرة والبراعة في الصناعة . وما اهلَّ القرن العشرون حتى كانت اليابان قد قطعت شوطاً على طريق الرقي الصناعي الحديث

فلما نشبت الحرب الكبرى وطال امدها ، أتيح للصناعة اليابانية فرص لم يحلم بها اصحابها . فقد كانت الدول الغربية في أشد الحاجة إلى كل ما تصنعهُ اليابان او تستطيع ان تصنعهُ . ثم ان انشغال تلك الدول بالحرب ، ترك السوق الصينية مفتحة الابواب للتجار والصناع اليابانيين . فنشأت في البلاد اليابانية مراكز صناعية ، اجتذبت إلى المدن ملايين من الفلاحين الذين لا يملكون ارضاً . ثم ما لبثت الصناعة نفسها حتى غزت الريف ، فشقَّت الطرق ، ومدَّت الاسلاك تنقل الطاقة الكهربائية الى اصغر القرى ، واتسع نطاق الصناعة اتساعاً عظيماً ، وإذا اليابان في مدة وجيزة قد اصبحت أمة صناعية . تعتمد على التجارة الخارجية في إقامة اود شعبها

وقد جنت اليابان من الحرب الكبرى، علاوة على تقدمها الصناعي، امتلاكها للجزائر الالمانية في جنوب المحيط الهادي وهي جزائر لها مكانة حربية لأنها تعترض سبيل الولايات المتحدة الاميركية الى جزائر الفيلبين وسواحل الصين علاوة على كونها قاعدة للتوسع الجنوبي . ونقول «امتلاكاً» قصداً لان انتداب عصبة الامم لها على تلك الجزائر ليس في عرف اليابانيين الاَّ ستاراً رسميًّا يخفي وراءهُ تلك الحقيقة . ثم أنها انفردت بالسيطرة الاقتصادية تقريباً على منشوريا

فلما عقد مؤتمر وشنطن البحري سنة ١٩٢١ — ١٩٢٢ طالبت اليابان لاول مرّة في تاريخها الحديث بأن يعترف بها دولة بحرية في الطبقة الاولى بين الدول البحرية ، وفازت بما طلبت عند ما اقرَّ المؤتمر النسبة المشهورة ٥ : ٥ : ٣ لقوة البوارج في اساطيل بريطانيا واميركا واليابان ، لأن هذه النسبة ، كانت كافية لتجعل لها السيطرة البحرية في بحار الشرق الاقصى ، بالقياس الى ما تستطيع الدول الغربية تعبئتهُ فيها من السفن الحربية . وعقدت في المؤتمر نفسهِ معاهدة الدول التسع ، التي ضمنت بها الدول التي وقعتها سلامة الصين ووحدتها الجغرافية والسياسية وسياسة الباب المفتوح في الصلات الاقتصادية بها

في السنوات العشر التي تلت توقيع هذه المعاهدة ، كانت العلاقات بين اليابان والدول الاجنبية متسمة بسمة القلق ، لانهُ وضح ان اليابان ترمي الى بسط سيطرتها على الصين . وكانت الصين في خلال هذه السنوات منكوبة بحروب اهلية وثورات متواصلة ، فأتاح ذلك لليابان فرصة التدخل في شؤون جارتها الكبيرة

ورأى اليابانيون سبيل النصر السهل ممهَّداً ، ومشكلاتهم الداخلية تزداد تفاقماً فكان ذلك

باعثاً لهم على الاستسلام لنوازع التبسط الامبراطوري . وكانت السيطرة على الجيش في أيدي فريق من الضباط المتطرفين في الوطنية وعلى رأسهم الجنرال اراكى ، فجعل يتدخل في خطط الحكومة الداخلية والخارجية حتى اصبحت كلمتهُ فيها الكلمة العليا . وكانت المنشآت الدمقراطية حديثة العهد في البلاد ، فلم تقوَ على الثبات في وجه قوّة الجيش . وكذلك كان الجيش الفينة بعد الفينة ، يسير باليابان في طريق المغامرة على الساحل الآسيوي

فلما عقد مؤتمر لندن البحري سنة ١٩٣٠ طالبت اليابان بأن تمنح حق بناء أسطول تكون قوتهُ ٧٠ في المائة من قوّة أسطول انكلترا او أسطول الولايات المتحدة الاميركية . وبعد بحث طويل أقنع وفدها بقبول النسبة التي عينتها معاهدة وشنطن البحرية ، فلقي هذا التسليم مقاومة عنيفة في اليابان . وكان من نتائجها اغتيال رئيسين من رؤساءِ الوزارة اليابانية ، أحدهما هاموجاشي والثاني اينوكاي ، اغتالها ضباط من متطرفي الوطنيين في الجيش

فكان هذا الاغتيال ايذاناً بانهيار الحياة البرلمانية في معناها الصحيح في اليابان ، وبقيام سيطرة الجيش . وفي سنة ١٩٣١ بدأت القوة التي تعهدتها الدول الغربية بالتشجيع والتأييد تنقلب على صانعيها

ان « حادثة مكدن » التي وقعت سنة ١٩٣١ وكانت مستهلّ الغزو الياباني للصين ، من الحوادث التي تغير مجرى التاريخ . ففتح منشوريا ، الذي كان نتيجتها المباشرة ، لم يكن الاّ مرحلة واحدة من خطة يابانية مدبرة غرضها اخضاع الصين واخراج الدول الغربية من المحيط الهادىء او بالحري من نصفهِ الآسيوي . وفي السنوات الخمس التي تلت حادثة مكدن ، أنشأ الجيش — حاملاً الحكومة اليابانية المترددة على مجاراتهِ — دولة منشوكو ثم غزا ولاية جيهول وأجزاء من منغوليا وحمل جانباً من شمال الصين على التسليم بسيطرة اليابان . وكان العمل الحربي يقوم بهِ الجيش ، يقرن بالضغط السياسي على حكومة ننكين ، وهذه لم يسعها ، وقد تخلت عنها عصبة الامم في منشوريا ، الاّ ان تخفف من وقع الصدمة ، بالمناورات والمداورات الدبلوماسية

ثم في شهر ابريل من سنة ١٩٣٤ طلعت اليابان على العالم بالتصريح الذي وصف بأنه قاعدة مونرو اليابانية . اي ان اليابان تأخذ على عاتقها دون غيرها من الدول المحافظة على السلام في شرق اسيا ، ولا تسلّم بأي تدخل اجنبي في شؤون الصين . وحوالي الوقت نفسه شرعت تطالب بالمساواة البحرية التامة بانكلترا والولايات المتحدة الاميركية ، وهو طلب افضى الى خروجها من مؤتمر لندن البحري (١٩٣٦) فاستردت بعد ذلك حريتها في ان تبني الاسطول الذي تراه لازماً لها بلا قيد ولا حدّ

وبدا لمتتبعي سير اليابان ، في خلال السنوات التي تلت غزو منشوريا ، ان خطة اليابان موجهة في المقام الاول الى الغرب والشمال من منشوريا اي الى اتحاد الجمهوريات السوفيتية .

في الفتح المنشوري كانت روسيا قد سلمت لليابان بما فعلت ، مع ان استيلاء اليابان على منشوريا يجرد روسيا من منفذ الى البحر كبير القيمة ، ويعرض ولاياتها البحرية في شرق سيبيريا للخطر . وكان الظن حينئذ ، ان اليابان وقد رأت هذا اللين من روسيا ستعمد الى خطتها الناجحة ثانيةً . ولكن عند ما انتهت اليابان من ترسيخ قدمها في منشوريا وتنظيمها ، كانت روسيا قد عزّزت قواتها الحربية والبحرية في الشرق الاقصى ، بحيث اصبح من المحتم على اليابان ، ان تعمل حساباً لحرب كبيرة مع روسيا ، اذا اصرت على التوسع في تلك الناحية

عند ذلك اتجهت اليابان الى الجنوب

وعند التدقيق في اقوال اقطاب اليابان ، يتبين الباحث ثلاثة اتجاهات تقوم عليها خطة اليابان في شرق اسيا هي اولاً —الاتجاه الى قلب القارة الاسيوية عن طريق مغوليا . وثانياً —الاتجاه الى البلدان والجزائر في الجنوب . وثالثاً —التغلغل السلمي عن طريق السياسة والاقتصاد

١ — طريق مغوليا

القاعدة الاولى في خطة الجيش الياباني ايصاد ابواب الصين في قلب اسيا ، وذلك ببسط سيطرة اليابان على مغوليا الى سنكيانغ او حتى الى بلاد التبت ، فيقيم بذلك حاجزاً بين الصين واتحاد الجمهوريات السوفيتية . وارباب الخطط العسكرية في اليابان مقتنعون كلّ الاقتناع بانهم اذا أحدقوا بالصين ، خضعت لهم

وعلى كل حال فان السيطرة العسكرية على شمال الصين — وهي الولايات التي احتلتها القوات اليابانية في الغزوة الاخيرة — تقتضي من اليابان احتلالها مغوليا او اخضاعها لها . ففي مذكرة تاناكا المشهورة العبارة التالية : لا بدّ من افتتاح منشوريا ومغوليا توطئة لفتح الصين . ومع ان السلطات اليابانية زعمت ان هذه المذكرة مزوّرة ، يقول الجنرال اراكي صراحة في كتابه عن « مشكلات اليابان » ان توطيد السلطة اليابانية في منشوريا ومغوليا شرط لازم لتحقيق خطة اليابان . بل ويتنبأ بان الزحف على مغوليا لا بدّ ان يلقى من العقبات اكثر مما لقيهُ الزحف الياباني في منشوريا . ومع ذلك فعنده « انهُ مهما تكن العقبات التي تعترض سير الفكرة الامبراطورية فلا بدّ من تذليلها » . وكان الظنّ ان روسيا تسلّم بتغلغل اليابان في مغوليا كما سلّمت بانتزاعها منشوريا ، فلما كشرت روسيا عن انيابها ، عمد اليابانيون الى مغوليا الداخلية

ولا يخفى ان التنافس الروسي الياباني في مغوليا يرتد الى اوائل هذا القرن . وقد كانت مغوليا حينئذ ، كما هي الآن جزءاً من الصين اسماً ، مع ان امراء المغول لم يعترفوا بسيادة الصين . فلما عقدت المعاهدة الروسية الصينية سنة ١٨٨١ اعترف بما لروسيا من المصلحة والنفوذ في مغوليا ، وفي سنة ١٩٠١ عقدت روسيا مع مغوليا الخارجية معاهدة مستقلة ، ذلك ان مغوليا الخارجية كانت قد اصابت نصيباً غير يسير من الاستقلال عن الصين حالة ان مغوليا الداخلية غدت خاضعة خضوعاً

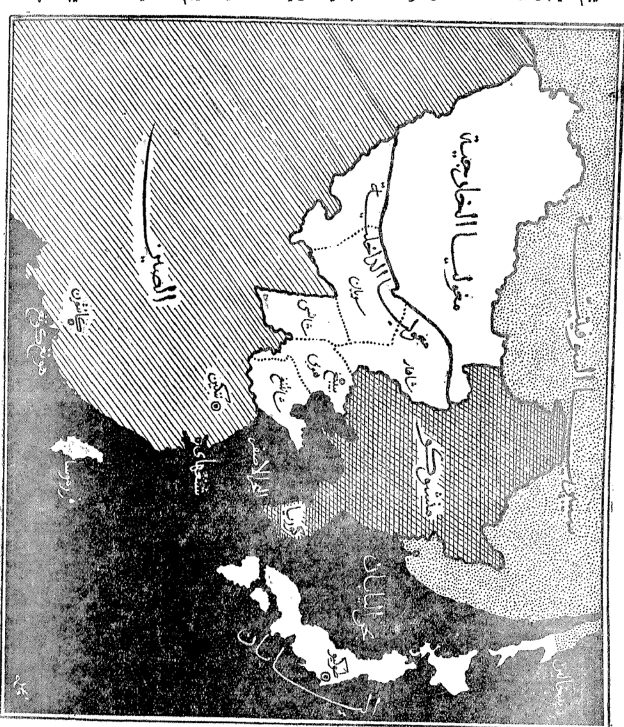
مباشراً للادارة الصينية. فلما انقضت الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤—١٩٠٥) شرعت اليابان تبدي اهتمامها بمغوليا فعقدت معاهدة مع روسيا في سنة ١٩١٠ قطعت فيها كل منهما عهداً باحترام مصالح الاخرى في الارض المغولية . ولم تحدّد « الارض المغولية » قصداً لان منشوريا فيها مغولٌ اسوة بمغوليا الخارجية والداخلية . ثم سعت الدولتان الى تعيين الحدود سنة ١٩١٢ ولكن التحديد الذي اقترح حينئذ لم يقم لهُ وزن صحيح في ما بعد . وبعثت اليابان خطة التغلغل في مغوليا في سنة ١٩١٧ عندما قدمت الى الصين مطالبها المشهورة وعددها واحد وعشرون مطلباً . ولكن الدول ارغمتها حينئذٍ على سحب هذه المطالب . الاَّ انها سارت الى أهدافها بأساليب أخرى منها اثارة امراء مغوليا الداخلية وحثهم على القيام بحركة غرضها انشاء حكومة مغولية مستقلة استقلالاً ذاتيًّا عن الصين تشمل كلَّ مغوليا . ففوّتت روسيا عليها حركتها هذه في مغوليا الخارجية التي تدخلت فيها بالقوة وبعد سلسلة من الحوادث والفتن المحلية انشئت في مغوليا الخارجية جمهورية تعرف باسم جمهورية الشعب بمغوليا وهي خاضعة فعلاً للنفوذ السوفيتي

والحالة الآن من الناحية القانونية ، ان روسيا السوفيتية تعترف بسيادة الصين على مغوليا الخارجية، مع ان حكومة مغوليا الخارجية لا تعترف بها . وبين حكومة مغوليا الخارجية وروسيا السوفيتية محالفة عسكرية ، عقدت سنة ١٩٢١ ولا تزال قائمة الى الآن ، وقد أبلغ ذلك رسميًّا الى السفير الياباني في موسكو في اول ابريل سنة ١٩٣٦ . إلاّ ان هذه المحالفة كانت غير مدوّنة، خلال خمسة عشر عاماً بعد عقدها ، ولكن لما حدثت اخيراً سلسلة من الحوادث على الحدود الروسية في قلب آسيا استدلت بها روسيا على ان اليابان ماضية في اتجاهها الى مغوليا ، وضع بروتوكول حدّدت فيهِ نصوص المحالفة ووقع في « أولان باتور » عاصمة مغوليا الخارجية في ١٢ مارس سنة ١٩٣٦ وقبيل عقدها بأيام أعلن ستالين (في أول مارس ١٩٣٦) انهُ « إذا تجرأت اليابان على مهاجمة جمهورية الشعب بمغوليا والاعتداء على استقلالها فاننا نبذل لها المعونة كما فعلنا سنة ١٩٢١ »

فدلَّ هذا القول ، ولا سيما عند اقترانهِ ببروتوكول المعاهدة العسكرية، على ان روسيا لا تحجم عن خوض حرب اذا هاجمت اليابان مغوليا الخارجية . والباعث الاول على وقوف روسيا هذا الموقف، انهُ اذا كانت اليابان مسيطرة على مغوليا الخارجية ، ونشبت حرب بين روسيا واليابان، كان في وسع اليابان حينئذٍ ان تضرب جيوش روسيا في شرق سيبيريا ، من مؤخرتها ، ومهاجمة المراكز الصناعية ومستودعات الطعام التي حول بحيرة بيكال . ذلك ان الاستحكامات الروسية على الحدود القائمة بين سيبيريا ومنشوكو، منيعة جدًّا وقد يتعذر اختراقها . فاذا نشبت حرب بين روسيا واليابان ، حالت هذه الحصون دون فوز حاسم يحرزه أحد الفريقين

فعند ذلك ترى القيادة اليابانية ان مغوليا الخارجية خير سبيل الى ضربة الجيش الروسي .

فيهم اليابان والحالة هذه أن توطد مقامها في مغوليا الخارجية ويهمّ روسيا ان تقصيها عنها



فلما كشّرت روسيا لليابان عن أنيابها ، وأبلغ السفير الياباني في موسكو نبأ المحالفة العسكرية بعد ما ألقى ستالين تلك الخطبة التي روينا مغزاها ، انثنت اليابان عن حركة الاحداق بالصين عن طريق مغوليا الخارجية ، الى محاولة احتلال مغوليا الداخلية وهي جزء من الصين ، وقد حققت في غزوتها الاخيرة معظم هذا الهدف باحتلالها شمال الصين وجانباً من مغوليا الداخلية وحث امرائها على إنشاء دولة مستقلة استقلالاً ذاتيًّا عن الصين

٢ — الاتجاه جنوباً

وتقابل خطة الجيش القائمة على الاحداق بالصين من الغرب، خطة الاسطول القائمة على التوسع جنوباً. وهي متفقة كل الاتفاق مع خطة الاحداق بالصين من الغرب والشرق والجنوب . ولعل العبارة التالية تدل على الجانب الاول من هذه الخطة وهي منتزعة من مقال للفتننت كوماندر تاميموتو رئيس قسم الحسابات في الاسطول الياباني، نشر في جريدة « طوكيو كيزاي » اكتوبر سنة ١٩٣٥ قال :

« إن الذين يتبرمون بقلة مصادر اليابان الطبيعية قصار النظر . ويجب عليهم أن يفهموا أن في شرق آسيا وجزائر البحار الجنوبية مصادر غنية جداً وجميعها في متناول اليابان الاقتصادي . فاذا نظرنا الى الموضوع من هذه الناحية تبيّنا ان اليابان أغنى في مصادر الثروة الطبيعية من بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية . ولكن تحويل الثروة الكامنة الى ثروة حقيقية يقتضي ان يكون لنا أسطول كافٍ لسيادة البحار »

وكتب ماشيدا وزير التجارة والصناعة اليابانية مقالاً جاء فيه « ان توثيق صلة التعاون الاقتصادي بمنشوكو والصين يتيح لليابان المواد الخام اللازمة لصناعاتها . ولكن علاوة على ذلك يجب ان نسير الى الامام في جنوب المحيط الهادىء . فجزائر هذا المحيط على أكبر جانب من خطر الشأن من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية . ولا يتاح للصناعة اليابانية ان تستغني عن استيراد المواد الخام من الغرب الا بعد ان يمتد هذا التعاون (مع منشوكو والصين) الى جزائر البحار الجنوبية

وعلى ذكر ماشيدا نقول انهُ زعيم حزب « منسيتو » المعروف بحزب الاحرار !

كذلك خطب الاميرال تاكاماشي فقال « كان تقدم اليابان الاقتصادي محصوراً حتى الآن في منشوكو . فيجب ان نقف هناك عند هذا الحدّ ونتجه الى الجنوب متخذين من جزيرة فورموسا او جزائر الانتداب قاعدة لاعمالنا . عندئذٍ يجب توسيع نطاق عمل الاسطول حتى يشمل غينيا الجديدة وبورنيو وارخبيل سليبيس . لقد أنشىء أسطولنا لاجل الدفاع حالة ان أسطول اميركا أنشىء لحماية تجارتها الآخذة في الاتساع . أما وقد اخفقت المفاوضات البحرية في مؤتمر لندن فعلى الاسطول الياباني ان يأخذ الأهبة اللازمة لحماية تجارة اليابان . . »

وقد وطأت الحكومة للتوسع في الجنوب بتعيين حاكم حربي من ضباط الاسطول العظام لجزيرة فورموسا ووضعت خطة واسعة النطاق لتعمير فورموسا وجزائر الانتداب . وقد نظمت الهجرة الى هذه الجزائر على اساس واسع وانشئت المرافىء وشقت الطرق فيها واسست المصانع وحسنت وسائل المواصلات والمخاطبات مع اليابان . وقد ثبت لجميع متتبعي الحالة في الشرق الاقصى ، ان نشاط اليابانيين الاقتصادي في جزائر الفيلبين وسيام وجزائر الهند الشرقية الهولندية

قد زاد زيادة كبيرة في السنتين الاخيرتين ، واشتركت البيوتات التجارية مع الوكالات الرسمية والشبيهة بالرسمية في هذا النشاط ، والقاعدة العامة المتبعة في جميع هذه الاحوال ان تسير التجارة اولاً ثم يسير المهاجرون فالضغط السياسي في الاثر ،وهي القاعدة التي جرى عليها الاستعمار دائماً

ثم ان المشتغلين بهذه الشؤون في اليابان ، يعنون الآن بتدبير حملة من الدعاية لتثير في نفوس اليابانيين شعور التأييد لمساعي اليابان في جنوب المحيط الهادىء وان لها رسالة انسانية هناك لا بدّ لها من تحقيقها . وليس بالنادر ان ترى في الصحف اليابانية اقوالاً من قبيل القول التالي وهو للمستر يادا رئيس الجمعية اليابانية السيامية . قال : — ان الحالة الدولية في تغيُّر مستمر . ولا يعلم الى متى تتمكن هولندة من الاحتفاظ بممتلكاتها في جزائر الهند الشرقية ومجموع مساحتها يفوق مساحة هولندة نفسها ستين ضعفاً ، وهي تستغلها لمصلحتها الخاصة . ثم لا يعلم احد الى متى تبقى الهند بريطانية . فاذا نظرنا في هذه الاعتبارات ظهر لنا انهُ لا بدّ لليابان من ان تتجه جنوباً . ولا يسعنا ان نتأخر . وفي اتجاهنا جنوباً نلتقي بسيام . وهي بلاد تعدل مساحتها مساحة المانيا وفرنسا معاً ، وفي استطاعتها ان تنتج مقادير عظيمة من المواد الخام وهي مشبعة بروح الودّ نحو اليابان .

وليس بخافٍ ان سيام منذ وقع فيها الانقلاب سنة ١٩٣٢ اخذت تتجهُ الى اليابان في ما تتطلبهُ من مشورة وما تحتاج اليهِ من مصنوعات اكثر مما كانت قبله . وفي السنتين الاخيرتين ، جرت اليابان وسيام على تبادل ثقافي قوامهُ الطلبة والاساتذة وغيرهم . فالضباط السياميون الذين كانوا يرسلون قبلاً الى المانيا لتلقي العلوم العسكرية فيها ، يذهبون الآن الى اليابان

كذلك تحولت سيام عن دول اوربا الى اليابان في شراء ما تحتاج اليه من سكك الحديد وسفن حربية وغيرها

ولسيام موقع عظيم الشأن من الناحية الحربية في جنوب اسيا الشرقي . فهي الآن ملتقى طرق الخطوط الجوية الشرقية . فاذا رسخت اليابان قدمها فيها ، تمكنت من تجنب قاعدة سنغافورة البحرية ، في نفوذها الى المحيط الهندي . نعم أن مشروع انشاء اليابانيين لترعة (كرا) في ارض سيام تصل بين خليج سيام وبحر بنغال لم يتعدَّ دور البحث ، ولكن ازدياد مصالح اليابان في هذه البلاد يوسع نطاق مصالحها في جنوب المحيط الهادىء . ومن وراء الجزائر الانكليزية والهولندية في هذه المنطقة يلوح شبح استراليا وزيلندة الجديدة

الا أن الاتجاه الياباني الى الجنوب لهُ غرض آخر وهو الاحداق بالصين من ناحية البحر . والى هذا الغرض يتجه نشاط اليابانيين في الولايات الصينية الثلاث التي على ساحل الصين الجنوبي ، وهي فوكين وكوانتونغ ثم كوانغسي الى الغرب من كوانتونغ على حدود الهند الصينية الفرنسية

ويزعم بعض الكتّاب ، أن الثورات المتوالية في هذه الولايات ، على سلطة الحكومة المركزية في تكين انما يرجع إلى مساعي اليابانيين فيها او على الأقل الى امداد الثوّار بالسلاح الياباني. وإذا كانت هذه الحركة لم تصب حتى الآن نجاحاً يذكر في هذه الولايات ، لان حكومة نكين أخمدت كلّ ثورة نشبت هناك، فان اليابانيين من أبرع الامم في تحقيق اغراضهم بوسائل واساليب منوّعة

وليس ثمة من ينكر أن السيطرة البحرية على سواحل الصين للاسطول الياباني ، وقد اثبتت الحرب القائمة الآن أنها تستطيع ضرب الحصر البحري على هذه السواحل. ثم إن احتلال شنغاي والثغور الى جنوبها يمكنها من التغلغل في الداخل ، الى المدائن الصينية القائمة على ضفات الانهر ، وهي العقد العصبية في حياة البلاد الاقتصادية

***

ان اتجاه اليابان جنوباً لا بدّ ان يفضي بها الى الاصطدام بمصالح الولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية البريطانية في المحيط الهادي . فقد كان هناك تفاهم ضمنيّ بين اليابان وانكلترا على اقتسام الصين ، فيكون شمالها منطقة نفوذ يابانية ويكون جنوبها منطقة نفوذ بريطانية. وكان الرأي انهُ لا يحتمل ان تعرّض اليابان نفسها للعزلة الدبلوماسية ، باصطدامها بمصالح روسيا وبريطانيا واميركا في آن واحد . ولكن الرأي تحوّل الآن . فقوة روسيا في سيبيريا ومغوليا الخارجية حالت دون تغلغل اليابان في قلب آسيا كما كانت تبغي . ثم ان منشوريا خيبت آمال اليابان من الناحية الاقتصادية . فصار لا بد لها من ان تجد منافذ اخرى لسكانها وبضائعها . وقد قضي على ما بقي من التفاهم الضمني المشار اليه بين اليابان وبريطانيا ، عند ما أبت اليابان التسليم بالمقترحات التي وضعها الخبير المالي البريطاني ، السر فردريك ليث روس سنة ١٩٣٥ للتعاون بين اليابان وبريطانيا في الصين

اما في ما يتعلق بالولايات المتحدة الاميركية ، فعنايتها بالشرق الاقصى قائمة على صلتها بجزائر الفيلبين أولاً وعلى تجارتها في الصين ثانيةً

فالولايات المتحدة الاميركية لم تصبح في عداد الدول التي لها مصالح في الشرق الاقصى الا في أواخر القرن الماضي عند ما احتلت جزائر هواي (١٨٩٨) ثم تلا ذلك حلولها في جزائر الفيلبين (١٨٩٩) . وكان الرأي في أميركا اولاً ان الاستيلاء على الفيلبين سيكون توطئة للتوسع الاقتصادي الاميركي في بحار الشرق الاقصى . ثم تبين الاميركيون ان حماية الفيلبين تقتضي منهم تضحيات كبيرة . ثم استولت اليابان، بالانتداب على الجزائر الالمانية في المحيط الهادىء . ونظرة واحدة الى الخريطة تثبت لك ان هذه الجزائر تعترض خط المواصلات بين ساحل اميركا الغربي والفيلبين. وكان من أثر نشاط اليابان الاقتصادي في هذه الجزائر ان اشتدت نزعة

العداء في العلاقات الاميركية اليابانية . فاذا كانت أميركا عازمة على الاحتفاظ بالفيلبين — ولو اعترفت باستقلالها — فالحرب بينها وبين اليابان لا محيص عنها

ولكن جميع الدلائل تدلّ على ان اميركا آخذة في الانسحاب من الشرق الاقصى . والراجح انها ستقصر جهدها على تحصين سواحلها الغربية ، وهي منيعة كل المنعة . وعندئذٍ تطلق يد اليابان في القسم الجنوبي من المحيط الهادىء . ولعلّ هذا يفسر موقف حكومة وشنطن في مؤتمر بروكسل واقتصار مساعيها على التوسط دون اي عمل آخر

***

بقي ان نقول ان الاتجاه الياباني جنوباً يهم رجال الاسطول الياباني ، لان هؤلاء لا يسعهم ان يتركوا مقام السيطرة على الخطط القومية لرجال الجيش وحدهم . ففي السنوات الخمس التي تلت احتلال منشوريا كانت الكلمة العليا لقوّاد الجيش على الرغم من ان رئيسين من رؤساء الوزارات كانوا من أمراء الاسطول . ونعني الاميرال سايتو والاميرال اوكادا . واذا ظلّ الاتجاه الى توسع اليابان على البر الاسيوي ، فالكلمة العليا في توجيه الخطط القومية ، لا بدّ ان تبقى لاقطاب الجيش . فلما ثبت ان منشوكو خيبت الآمال من الوجهة الاقتصادية ، وان التوسع في ما وراءها قد يفضي الى الاصطدام بروسيا ، شك بعضهم في حكمة الخطط التي اختطها الجيش . فسنحت الفرصة لرجال الاسطول للمطالبة بالتوسع جنوباً . فلما عقد المؤتمر البحري سنة ١٩٣٦ في لندن ، حث رجال الاسطول الحكومة اليابانية على المطالبة بالمساواة البحرية التامة ، بأميركا وبريطانيا . وكذلك حوّلت عناية الشعب من مشكلات التوسع على البر الاسيوي الى مجد الاسطول الذي ابى رجالهُ التسليم بمقام ثانوي بين الامم البحرية ، فانسحبوا من المؤتمر . ثم طالبوا بزيادة ميزانية الاسطول ، وجعلوا يدخلون في روع الشعب ان مستقبل اليابان في الجنوب ، او على صفحة الماء

الاّ ان الحرب الاخيرة اعادت السلطة لرجال الجيش ولا يعلم متى تنتهي هذه المرحلة

٣ — التغلغل السلمي

والقاعدة الثالثة التي تجري عليها اليابان في تحقيق حلم التوسع الامبراطوري هي قاعدة التغلغل السلمي عن طريق الضغط السياسي حيناً والمال والتجارة حيناً آخر

يلوح لقرّاء الصحف والبرقيات في خلال السنتين الماضيتين أن اليابان كانت تتكلم بصوتين . احدهما صوت القوة متجلياً في مطالب اقطاب الجيش والاسطول وتصريحاتهم وأعمالهم ، والآخر صوت الاعتدال بارزاً في خطط الحكومة ولا سيَّما وزارة الخارجية وآراء رجال المال والاعمال . ولا ريب في أن هناك نوعاً من التضارب بين متطرفي الجيش واقطاب السياسة من المدنيين .

ولا ريب في أنهُ لو كان الامر مطلقاً بيد الحكومة المدنية، لما غزا الجيش الياباني منشوريا وجهول وشمال الصين

ولكن يجب ألاَّ ننسى أن في اليابان حكومتين . احداها قوامها فريق من الوزراء مسؤول أمام المجلس النيابي والأخرى قوامها فريق آخر مؤلف من وزير الحربية ووزير البحرية ووزير السلاح الجوّي وهؤلاء متصلون مباشرة بالامبراطور ومسؤولون امامهُ دون غيره

وقد كان لهؤلاء الوزراء الكلمة العليا في تدبير الخطط الحربية وتنفيذها ، ولم يكن في وسع أي سياسي أن يؤلف وزارة اذا كان برنامجها لا يرضي اقطاب الجيش والاسطول . لأن العرف جرى بأن يكون وزير الحربية جنرالاً ووزير البحرية اميرالاً ، فاذا قبل جنرال أو اميرال الاشتراك في الوزارة وكان احدهما او كلاهما ممن لا يرضى عنهُ أقطاب الجيش ، تعذّر التعاون بين الحكومة والجيش ، وكذلك يستطيع اقطاب القوات الحربية أن يكونوا العامل الحاسم في تأليف كلّ وزارة ، أو اسقاطها ولو كانت الاكثرية تؤيدها في المجلس

وهذا يفسر القول بأن اليابان تتكلم بصوتين

***

الاَّ انهُ لا يخفى ان القوة حيناً والمداورة الدبلوماسية حيناً آخر لازمتان للتوسع الياباني . ففي ميدان العلاقات الدولية ، تستطيع الدولة ان تتغلب على خصومها اما بقهرهم وأما بالفوز بعطفهم وموافقتهم . وقد جرت اليابان على هذه الخطة مرة بعد اخرى ، وفقاً للاحوال القائمة

فقد حاول المسيو هيروتا — وزير الخارجية الآن — عند ما كان رئيساً للوزارة قبلاً ووزيراً للخارجية قبل ذلك ان يبذل المساعي للفوز بعطف الصينيين وفهمهم والتعاون وإياهم

وعلى الرغم من ان مساعيهُ وتصريحاته في هذا الصدد كانت متسمة بسمة التعالي والتشامخ وان الجيش كان يقوم ببعض الاعمال المثيرة في شمال الصين ، تمكن المسيو هيروتا من خضد شوكة المقاطعة الصينية للبضائع اليابانية ، خضداً يذكر . ولما عزمت حكومة الصين على وضع نظام جديد للتعريفة الجمركية ، عمد المسيو هيروتا الى خليط من الضغط الدبلوماسي والسعي الودّي فاقنعها بتأجيله وتعديله حتى يصبح موافقاً لليابان ، وكذلك فاز بالاعتراف ببعض ما لليابان من الديون والتعاون معها في نواحٍ شتى

وليس الغرض مما تقدّم ان اليابان كانت تستطيع ان تفوز بكل ما فازت بهِ لو اعتمدت على الاساليب الدبلوماسية دون غيرها ، بغير ان تلجأ الى القتال ، ولكن الغرض ان نقول انهُ لو اعتمدت اليابان — قبل الغزوة الاخيرة — على القوة وحدها في تحقيق اغراضها لكانت نفقتها اعظم

جداً مما كانت . حتى اذا شاءت بعد الغزوة الاخيرة ، ان تحتفظ بسيطرتها على البقاع الشاسعة التي احتلَّتها بأقامة دولة مستقلة استقلالاً ذاتيًّا ، كان لا بد لها من الاعتماد على الوسائل الدبلوماسية في استمالة فريق من الصينيين انفسهم لتأييدها والتعاون وإياها

***

وأما القاعدة الثانية للتغلغل السلمي الياباني في الصين فهي الاعتماد على المال والتجارة . وقد سبق احتلال منشوريا ربعُ قرن من العمل في مدّ سكك الحديد وشق الطرق وانشاءِ المرافىء وتشييد المصانع والسيطرة على العقد العصبية في حياة البلاد التجارية والمالية . ثم عمدوا الى مثل هذا في شمال الصين . ومن المسلم بهِ عند الملمين بشئون الشرق الاقصى ان اليابان تعدُّ عدَّتها لتحول الصين الى منطقة تعتمد عليها في استخراج ما يمكن استخراجه منها من المواد الخام وهي كثيرة ، وفي بيع ما يمكن بيعهُ فيها من المصنوعات اليابانية وهي كما لا يخفى سوق عظيمة

فالزعيم صن يات سن نافخ الروح القومية الجديدة في الصين ، ومنشيء الجمهورية الصينية ، كان يعتقد ان تحويل الصين الى دولة صناعية شرط لازم لتجديد حياة الصين القومية وابلاغها مكانة العزة والقوة التي ينشدها لها . ولكن اليابانيين يرون غير هذا . فهم يرمون الى تعزيز الزراعة وتربية المواشي وانتاج القطن وفتح المناجم في الصين ، لانهم يدركون انهُ اذا تحولت الصين دولة صناعية ، صارت منافسة لهم ، وغدت مصانعهم لا تجد في السوق الصينية العظيمة منفذاً لمنتجاتها . وقد وضعوا خطة لتحقيق هذا الغرض قوامها شق الطرق ومد سكك الحديد وتأسيس محطات التجارب الزراعية ، وذلك على أساس ما رجع بهِ فريق كبير من خبراءِ اليابان الذين جاسوا خلال الصين مستطلعين منقبين . والراجح انهُ اذا جاء دور التنظيم والتنسيق بين الخطة المتبعة في الصين ، وحياة اليابان الصناعية ، لم تباشره الحكومة اليابانية نفسها بل تعهد فيهِ الى شركة سكة حديد منشوريا الجنوبية ، وشركات كبيرة أخرى ، أحرزت في هذا الصدد اختباراً واسع النطاق في منشوريا

لقد سبق ان قلنا آمال اليابانيين في قيمة منشوكو الاقتصادية قد خابت ، وهذا حمل أقطابها على القول بأنهُ لا بدّ من السيطرة الاقتصادية على شمال الصين . ولا يعني هذا ان يضم شمال الصين الى منشوكو في دولة واحدة ، مع ان الامر ليس ممتنعاً لذاته ، ولكن الراجح ان تنشأ دولة مستقلة استقلالاً ذاتيًّا في شمال الصين ، ثم يتولى الخبراء ورجال المال والاعمال التنظيم الاقتصادي ، بحيث يكون قوام الوحدة الكبرى اليابان ومنشوكو وشمال الصين وقد اتسقت اجزاؤها وانظمت نواحي الحياة الاقتصادية فيها من المناجم والمزارع الى المصانع الى السوق



عقل الطفل
في تطوره
الاطفال
ضعاف العقول
لفتح الله محمد المرصفي بك
الطفل المتاخر
كتاب نفيس في الصحة والتربية

الاطفال ضعاف العقول

الناحية المهجورة من نواحي الاصلاح والتهذيب — حاجتنا الى المباحث العلمية العملية
معاهد ضعاف العقول وما ينبغي ان تكون عليه

لفتح الله محمد المرصفي

مفتش التعليم بمصلحة السجون المصرية وعضو رابطة الاصلاح الاجتماعي

عني الاستاذ الدكتور . ا د . كلاباريد الخبير الفني الذي ندبتهُ وزارة المعارف العمومية في الماضي القريب ، ببحث وتقدير حالة التعليم في جميع مراحله في المملكة المصرية كما عنيت الوزارة بنشر تقريرهِ المشتمل على نتيجة ابحاثه واختباراته القيمة مقرراً فيهِ ما فطر عليهِ الشاب المصري من الذكاء مع موازنته بذكاء امثاله في الامم الغربية وانهُ يوازي ذكاء نظيره في مختلف البلدان الاوربية بصفة عامة . الاَّ انهُ من ناحية اخرى اشار الى التباين العظيم في الفرقة الواحدة بين جميع التلاميذ مع ما هم عليهِ من السن ومستوى الذكاء . كما اكد انهُ يستحيل تجانس فرقة واحدة تجانساً مطلقاً . الاَّ ان التباين بين تلاميذ المدارس المصرية تخطى الحدود المألوفة . . وقد عزا ذلك الى عوامل اهمها نقص طرق اختبار التلاميذ حين توزيعهم على فرق الدراسة . وثانيهما عدم وجود فرق خاصة للاطفال المتأخرين والشواذ الذين يتابعون دروسهم مع الاطفال العاديين جنباً الى جنب على انهُ قرر ان المصلحة تقضي بأن تنشأ في الاوساط التابعة للمدن اوالمدارس العامرة بالتلاميذ فرق للضعفاء الذين تقل سنهم العقلية عن مستوى السن العادية المناسبة للفرقة وأشار إلى ان من امثال هؤلاء عدداً غير قليل في شدة الحاجة الى العناية الخاصة . ومن المؤكد ان تقدمهم ومتابعتهم لاخوانهم خير من القضاء عليهم إلى أن قال — « واذا ضوعف الشذوذ بفساد في الاخلاق كنزعته إلى السرقة والاجرام فمن المحتوم حجز المصابين بهذه الآفات في بيوت خاصة باصلاح الاخلاق « معاهد الاصلاح »

وهذا ما رغبنا في بحثه وتوجيه الانظار الى الناحية المهجورة من نواحي الاصلاح والتهذيب في مصر لطول خبرتنا وممارستنا العمل مدة لا تقل عن ثماني عشرة سنة في خدمة الاحداث الهمل وصغار المجرمين في مدارس إصلاح الاحداث التي تجمع أطفالاً شواذ من جميع نواحي الدولة مع اختلاف في القوى العقلية وانحطاط في المستوى الخلقي وتباين في الجريمة وضعف في الصحة

على ان اقصى ما يفعله القائمون منا في بحث حالة الاحداث الهمل وصغار المجرمين ان يقرأوا شيئاً عن نتائج ما قام به الباحثون ووضعوا من أجله المؤلفات القيمة في مختلف البلدان الاجنبية ولاسيا في اميركا « الولايات المتحدة الاميركية » وانجلترا التي تعنى جد العناية بالاصلاح فجعلت في طليعة طرائق اصلاحها انشاء المباحث العلمية العملية وأعدت لها العدة وواصلت ابحاثها على أساس الغرض الذي من اجله اتجهت الفكرة

***

وليس من المستطاع ان نقرر شيئاً نرغب في اصلاحه قبل بحثه بحثاً مؤسساً على الاصول الفنية من وجوهه المختلفة من حيث فحص العوامل والبواعث النفسية والعقلية والصحية التي دعت بالحدث الى الاندفاع في الجريمة حتى يمكن والحالة هذه تقرير العلاج فلقد قيل « ان الحكم على الشيء فرع عن تصوره » فلا بدّ من أن يوجد بمصر طبقة من الباحثين المصريين الاخصائيين في مختلف الابحاث النفسية تكون مهمتهم إجراء الابحاث والتجارب وجمع المشاهدات وعمل الاحصائيات وفحص الأطفال فحصاً دقيقاً يمكن به تقرير العلاج . عندئذٍ يمكن أن تسن نظم الاصلاح ومقاومة الجريمة سواء أكانت بوسائل الوقاية أم بمعاهد الاصلاح التي يجب أن تكون على أسس مُثَبَّتة من نتائج هذه الأبحاث

أما ما نعمله الآن فهذا في نظري بل في نظر الذين يتصدون لإصلاح الأمن العام والحالة الخلقية ليس إلاَّ تقليداً ومحاكاة

إذا ما تقرر ذلك وجب على الهيئات العاملة والجماعات المفكرة أن تنشط إلى العمل بهمم دائبة على إنشاءِ أمثال هذه المباحث حتى يمكننا أن نقول اننا نأخذ بأسباب طرائق العلاج من الوجهة الفنية العملية الصحيحة

وهنا يجب أن نشير الى أقرب الحوادث عهداً عن جنايات صبية قد يمر القارىء بها مرّ الكرام « الاَّ انها بادرة تطور سيىء في نفسية النشء » أو « صورة من الوحشية » أو « ظاهرة إجرامية » عندما اشارت اليها الصحف اليومية في تعليقها على هذه الحوادث الواقعية . فمنها : « أن قد ائتمر غلامان على ثالث وصبا عليه البترول ثم احرقاه وجعلا يتلذذان بصرخاته المتوالية في النار المتأججة — كما حدث أن غلاماً دس « حمض الفنيك » في الصهريج الذي يشرب منهُ تلاميذ مدرسته . . . وفي مدينة المنصورة تسكن أسرة كريمة في دار يصعد اليها بسلم من الخشب: وقد حدث ثلاث حرائق في هذه العمارة الجميلة في أيام متتالية وقد ادركها السكان والخدم ورجال المطافىء ومنعوا أخطارها واسفر التحقيق عن ادانة خادمة في الرابعة عشرة من عمرها حامت حولها الظنون القوية فاعترفت بفعلتها الشنعاء كما اعترفت بسابق جناياتها وأنها فعلت ذلك إعجاباً

بمشاهدة رجال المطافىء لا بسين خوذاتهم اللامعة ونشاطهم واقدامهم اللذين ملكا عقلها فأغرياها باحداث هذه الحرائق لمشاهدتهم أمامها

كما اعتقل البوليس مساء ٩ يوليو سنة ١٩٢٨ ثلاثة صبية لا يزيد عمر أكبرهم على عشر سنوات وقد ضبطوا وهم يضعون خرقة مبللة بالغاز ومشتعلة تحت محل كهربائي في شارع توفيق بالقاهرة ولما قبض عليهم البوليس وأجرى التحقيق معهم بوساطة النيابة اعترفوا بجريمتهم »

وإن المقام ليضيق بنا اذا ما حاولنا أن نأتي على كثير من حوادث امثال هؤلاء الاطفال وفدح جرائمهم . وعندي أن هؤلاء ليسوا إلاَّ في مصاف ضعاف العقول الذين يجمل بنا أن نبادر الى علاجهم عقليًّا وإلاَّ كان خطرهم أشد تأثيراً وأسوأ مغبة : ولعلنا نتخذ من أغاليطنا دروساً للاصلاح القومي المنشود وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

فاذا كنا بالأمس في دور من الشك أدى بنا إلى البحث فانهُ يجدر بنا أن ننتهي اليوم الى معرفة الحقيقة وإذا نحن وفقنا إلى فحص الحالات العقلية والنفسية والجسمية لأمثال احداثنا الهمل وصغار المجرمين فانهُ يتبين لنا صدق قرارنا عن كثيرين من الاحداث في حالات غير طبعية . وانا في قرارنا هذا الجادون فان ما عليهِ أطفالنا المشار اليهم من المؤثرات والاوصاف لا تخرج عن دائرة ما قرره علماء النفس والباحثون . فمن ذلك ان يكون الطفل بحالة عصبية ولو أنهُ لم يكن بالمعنى المقصود منها أو أن يكون كثير النسيان نزَّاعاً إلى العصيان جنوحاً إلى عدم الطاعة فاذا ما كانت حالتهُ شديدة عمد إلى الخداع والتمرد والعربدة فيكون بذلك شقيًّا مستمرًّا يركن الى السرقات كاذباً مارقاً وتزداد هذه الحالة الشريرة وضوحاً وجلاء كلما تقدم الى سن البلوغ فيجنح الى اقتراف الآثام

والقائمون بهذه الابحاث يعتقدون بوجوب تقرير الاسباب الباعثة للطفل المجرم على الاجرام في هذا الاعتقاد واليقين وَضْع العدل في نصابه من ناحية الحدث وفي ذلك حفظ لكيان الهيئة

فأطفالنا ضعاف العقول ليسوا الاَّ بالاطفال العاديين مع ما هم عليهِ من الظواهر والمؤثرات على انهم في غير المستوى العقلي العادي بدرجات تختلف باختلاف تقدير ذكاء كل طفل منهم

ولا يفوتني أن أشير الى تلك الظواهر التي لاحظناها ودلتنا عليها الخبرة بين هؤلاء الاحداث وكانت ولا تزال نتائج لازمة لتلك الامراض المزمنة التي أصابتهم قبل انتظامهم في مدارس اصلاح الاحداث والتي عنيت ولا تزال تعنى بعلاجها بكل الوسائل الفنية الممكنة فمن هذه الظواهر : —

١ — عدم الانتباه الى الدرس رغم ما نسلك من أساليب في التعليم

ا — الميل الى النوم

ب — والاشتغال بغير الدرس

٢ — ضعف الذاكرة الى حد ان أمثال هؤلاء لا يعون ما يلقى عليهم في نفس الدرس رغم التكرار

٣ — الركون الى الكذب

٤ — الجبن الى حد الاستسلام حتى الى حدث صغير

٥ — البطء المتناهي في الاجابة

وفي يقيني انهُ اذا ما كانت قيادة هؤلاء الاحداث الى النظام والعمل بقوة عاقلة مشبعة بروح الشفقة والحنان في معهد خاص لاستطعنا ان نعد منهم مواطنين عاملين الى حدٍ ما ولاستطاع الواحد منهم أن يعمل في الهيئة تحت الاشراف المباشر على ما هو عليهِ من الانحطاط الفكري. والحق يقال ان « الدكتورة ماري منتسوري » لها فضل السبق فيما ذهبت اليهِ من طرائق علاج أمثال هؤلاء الاحداث فلقد نقضت عمليًّا نظرية « الطفل » التي على أساسها تقوم مدارس الاطفال والتي لم تكن الاّ نظرية خيالية « كافررت » على انها أقامت نظريتها على دعائم مراقبة كل طفل وبحثه منفرداً فكان لهذه النظرية المثل الاعلى في علاج الاطفال وتربيتهم لا سيما ضعاف العقول منهم

ولقد اتضح جليًّا كما استقرَّ عليهِ رأي الباحثين ان تعليم هؤلاء الاطفال « ضعاف العقول » ليس من المهم في شيء لمستقبلهم الصحي والخلقي والنفسي خيرٌ من الاهتمام بتثقيفهم وتعليمهم « فان أهمية التربية عقلية كانت او نفسية مقدمة على أهمية غيرها والواجب ان يتبعها التعليم لا أن تتبعهُ » (انظر التقرير العام للاستاذ الدكتور كلاباريد ص ٧)

***

على أننا اذا ما قابلنا نتيجة امتحان ضعاف العقول في المطالعة مثلاً بنتيجة أضعف الاطفال من العاديين في الفرق الاخرى اتضح لنا جليًّا انهُ حتى المتقدمين من الفرق الراقية من بين أحداثنا المشار اليهم لا يكونون متفوقين على من يكونون ضعفاء في « المطالعة » في الفرق الاولى من المدارس العادية

وان ما علينا من الواجبات نحو أمثال هؤلاء وما يدعونا اليهِ البحث وتقرير ما ينبغي ان يكون عليهِ النظام المدرسي الجيد يجب ان نقدر ما يلزم لكل من هؤلاء ضعاف العقول وما هو في حاجة ماسة اليهِ

ولا وسيلة لهذا أنجع من ان نبادر الى علاجهم علاجاً عقليًّا في معهد أقرب ما يكون شبهاً بمستشفى الامراض العقلية لا في معهد تأديبي

ما ينبغي ان يكون عليه معاهد ضعاف العقول

وانهُ ليخالج صدري وجوب العمل على انشاء امثال هذه المعاهد بمصر لما لها من جليل الآثار وعظيم النتائج التي تجلت في مختلف البلدان الراقية التي عنيت بشأن أمثال هؤلاء الاحداث ضعاف العقول

الغرض الرئيسي — الموظفون

ان من أوليات أغراض انشاء مثل هذه المعاهد ان تكون أداة علاج عقلي باعث للحياة العملية الشريفة في نفوس الاطفال عاملاً على تعويدهم ضبط النفس بكل الوسائل المستطاعة

وتحقيقاً لهذه الغاية يتعين ان يكون في مقدمة الاصلاح بهذا المعهد العمل على علاج الاطفال عقليًا بوساطة اخصائي في الامراض العقلية يعاونهُ طبيب خبير في علم النفس يعاضدها عن عن كثب مدير المعهد الذي يجب أن يكون حائزاً للمؤهلات الفنية ذا تجارب واسعة وشخصية بارزة يقدر المسؤولية حق قدرها كفيلاً بتنفيذ ما تشير اليه طرق العلاج وان يتصدى للتعليم فيه مدرسون حائزون للمؤهلات الفنية العلمية وعلى جانب عظيم من الخبرة والحزم وسموّ الاخلاق ليكونوا قدوة حسنة ومثلاً عالياً

مناهج التعليم والاشغال اليدوية

١ — نرى ان يكون الاهتمام بالاشغال العملية قسطاً وفيراً من التكوين من حيث : — المحادثة — اللعب — العمل — الخط — الرسم — الصوت «الغناء»

٢ — كما للاعمال العقلية بمقدار ما تتسع لهُ مداركهم وفقاً لرأي الاخصائيين ممن يتولون علاجهم من حيث القراءة والكتابة والحساب

٣ — الاشغال اليدوية — يجب ان تكون منوعة الاغراض الى حد ان تشبع رغبات الاطفال مع ما يتفق وحالتهم العقلية من حيث السهولة والتشويق . على اننا نشير اذا ما صادف هذا قبولاً بان يأخذ بالاعمال الآتية

١ — للذكور : فلاحة البساتين — الزراعة — صنع الاحذية — الخياطة — النجارة — النسيج — صنع السجاد (الطنافس) — صناعة الجلود — عمل الفراجين — عمل السلال — الكراسي القش

٢ — الاعمال الآتية أنسب للبنات وأليق بهنّ — الكي — الغسيل — فلاحة البساتين —

النسيج — صنع السجاد (الطنافس) — اشغال الابرة — صنع الدنتلة — الرفي — الجلود — عمل السلال — عمل الفراجين

الزمن الدراسي ومتوسط عدد التلاميذ بالفرقة

من المقرر ان زمن انتباه الطفل قصير محدود ولما كنا نعالج طائفة من الاطفال ضعاف العقول نرى ألاَّ يزيد الزمن الدراسي في اليوم على خمس ساعات على ان تكون مدة السنة الدراسية لا تعدو عشرة اشهر حتى يكون هناك متسع من الوقت للرياضة البدنية والعلاج العقلي . والالعاب كما لعاب على اختلافها تكسبهم الفائدة العقلية التي تعمل المعاهد على تحقيقها

هذا مع اننا نشير الى ان يكون بكل فرقة عدد من الاطفال يتراوح ما بين عشرة وخمسة عشر

التأديب بالمعهد

ان ماضي خبرتنا بأمثال هؤلاء يشجعنا كثيراً على ان نقرر ان استعمال العقوبات البدنية مما يكون سبباً قوياً في اضطراب اعصاب امثال هؤلاء الاحداث بل يزيدهم هياجاً وتمرداً ونرى ان خير الوسائل لذلك ان يكون النظام التأديبي مؤسساً على العلاج العقلي والنفسي وتقويم الاخلاق

وحريٌّ بنا ان نعرض الى ما قرره الاستاذ الدكتور « هنري جودار » H. Goddar الذي ظلَّ سنوات عديدة رئيساً للبحث العلمي العملي للاحداث المجرمين في ولاية « اوهيو » Ohio بالولايات المتحدة الاميركية في مؤلفه « الجريمة عند الاحداث » ص ٣ ما ترجمته « وها نحن اولاء كدنا نصل الى ذلك اليوم الذي يثبت فيه ان للامراض على اختلافها جسمية او عقلية أثرها البين في ارتكاب الجرائم ضد الجماهير الهادئة الآمنة ولو وفقنا الى فحص الحالات العقلية والجسمية لجميع الناس لتبين لنا ان الذين في حالات غير طبعية هم ادنى الى اقتراف الجرائم من سواهم وتلك حقيقة لا تحتمل الشك والريبة »

ولقد برهنت المباحث العلمية العملية على ان عقلية هؤلاء الاحداث غير طبعية في تكوينها وربما كان بهم مسٌّ من الجنون وإن هذا يتجلى لكل من كان ذا خبرة واسعة وملاحظات دقيقة عن حالات امثال هؤلاء الاطفال ضعاف العقول الذين يقترفون أبلغ الجرائم بدون قصد او سابق تفكير

ولعلي اكون قد ألمعت في مقالي هذا الى ما ينبغي نحو احداثنا الهمل وصغار المجرمين ضعاف العقول وما يجب ان نسلكه من طرق الاصلاح والوقاية توصلاً للغاية السامية والمرمى النبيل في خدمة الانسانية وصوناً للهيئة الاجتماعية مما عساه ان يلحقها من الآثام والخسارة الجسيمة مما يكون في الامكان تلافيها

الطفل المتأخر (١)

في « مؤتمر الطفل » الذي عقدته رابطة الاصلاح الاجتماعي في القاهرة في السنة الماضية برئاسة رئيسها حضرة صاحب المعالي احمد نجيب الهلالي بك وزير المعارف الآن الق معاليه خطبة الافتتاح فقال فيها: «وها انتم اولاء ترون حالة الاطفال في بلادنا. فسواد الامة يجهلون تمام الجهل كيفية تدبير الطفل وطرق تمريضه وتغذيته وتنميته وتقويته ووقايته عوامل العلل والضعف والاطفال الذين يسلمون من الموت يحيون حياة ناقصة من حيث الجسم والحيوية ومن حيث العقل والروح. وكل أمة تهمل شأن الاطفال الى هذا الحد تنتحر انتحارا قوميا وتكون عرضة للضعف والاقواء »

وهذا كلام موجز بليغ في مكانة الطفل السليم في المجتمع ومن حسن الحظ ان اتيح لمصر عقد هذا المؤتمر للدلالة على نواحي المشكلة التي يجب ان تعالج باقلام المختصين بها ومن حسن الطالع ايضا ان معالي الداعي الى هذا المؤتمر ورئيسه اصبح اليوم وفي يده مقاليد التربية جميعا وليس عندنا شك في أن معاليه سيبذل ما في وسعه ووسع الوزارة التي يتولاها لوضع قواعد الاصلاح اللازم والسعي الى تحقيقها. ومن محاسن الاتفاق انه في اليوم الذي تولى معالي الاستاذ احمد نجيب الهلالي بك وزارة المعارف تلقينا من انكلترا كتابا في «الطفل المتأخر» (١) واسباب تأخره واساليب اصلاحه وعلاجه بقلم الدكتور سيريل برت استاذ علم النفس في جامعة لندن فاتجه فكرنا الى مؤتمر الطفل عندنا في السنة الماضية لان جميع الذين خطبوا فيه عالجوا بعض النواحي التي يتوسع فيها هذا الكتاب ويبسطها بسطا وافيا

لمؤلف هذا الكتاب كتاب سابق عالج فيه الطفل الآثم delinquent أي الطفل الذي فيه شذوذ وضعف خلقي. أما كتابه هذا فقد عالج فيه الطفل المتأخر من الناحية العقلية. وهو يحتوي على أهم النتائج التي توصل اليها من حيث طريقة البحث واسباب التأخر واساليب الاصلاح والعلاج واضاف اليها كذلك احصاءات واسعة النطاق جمعها هو والمشتغلون معه خلال تنقيبهم في منطقة لندن عن ظاهرة التأخر العقلي بين اطفالها. وما على القارىء الا مطالعة فهرس الكتاب حتى يعرف مبلغ الجهد الذي بذل في وضعه ثم اذا قلب فصوله وأنعم النظر في اجزائها ثبت له ان الاسلوب الذي جرى عليه المؤلف علمي محض مرتب احسن ترتيب علاوة على كونه يشمل اهم ما وصل اليه الباحثون في هذا الموضوع مضافا اليها نتائج الباحث نفسه. وقد خصص المؤلف الفصل الاول من كتابه للتفريق بين الطفل الذي نشأ تأخره العقلي عن شذوذ في جسمه اوذهنه او انفعاله ثم بين الشذوذ الفطري والمكتسب وان النقص في الذكاء والتأخر في الدراسة يعودان الى اسباب جسمية فالى اخرى عقلية او انفعالية وقد يكون ذلك نتيجة للوراثة او للبيئة او لكلتيهما. ثم هناك عوامل ثانوية كاحوال المدرسة التي يتلقى الطفل دروسه فيها

The Backward Child, by Cyril Burt, University of London Press 20/- (١)

وقد عقد المؤلف للاسباب الجسمية ستة فصول فيها لباب الكتاب فعالج اولا ما يصاب به الطفل منها في اثناء نموه كالنقص في نموه نمواً كافياً طولاً اووزناً او تكلساً في العظام ثم عالج الضعف في الصحة العامة كنقص الغذاء والكساح والتقوس في العمود الفقري والشذوذ في تركيب الحلق وما يصاب به من الامراض وما الى ذلك مما يتعلق بالاسنان وبالصداع والغدد

ثم انتقل الى علاج الضعف في احوال او اعضاء خاصة مما قد يعرقل العمل المدرسي كالضعف في العينين والاذنين فما يتعلق بجهاز الحركة في الجسم كقوة العضلات واخضاعها للعقل ودقة الحركة وسرعتها. وفي هذا الباب من البحث افرد فصلا خاصا للطفل الاعسر هو آية من آيات البحث الدقيق نظراً وعملا . وكذلك الفصل الذي يتعلق بالنطق وما يصاب به الطفل من تعسر النطق السليم ونواحي هذا العسر والوانه وأسبابها وطرائق معالجتها

وبعد الاسباب الجسمية التي تؤخر نمو الطفل العقلي بحث النواحي العقلية نفسها فحدد الذكاء وأساليب قياسه والناحية الوراثية فيه وآثاره في التربية وفي الاجتماع وماقد ينطوي عليه الطفل البليد احيانا من عبقرية كامنة بطيئة الظهور . ثم عالج نواحي خاصة لها مكانتها وتأثيرها في ذكاء الطفل كادراكه الحسي وقدرته على الملاحظة وتحليل الاصوات التي تطرق سمعه والانتباه والذاكرة والشعور والتفكير . ويلي ذلك فصل في مكانة الناحية الانفعالية في قدرة الطفل العقلية وما تصاب به من نقص كالقلق الانفعالي وسرعة التأثر والتهيج وشدة الاحساس والنزعة الى الانكبات والاحوال العصبية الشاذة

في كل فصل من هذه الفصول بل في كل فقرة منها يستمد المؤلف الحقائق من بحوث جمهرة العلماء الذين عالجوا هذا الموضوع ومن بحثه الخاص بين الاطفال المتأخرين في منطقة لندن. فالكلام علمي دقيق سواء أمن ناحية التحليل النظري اخذته ام من ناحية التطبيق العملي حتى يصح ان نقول ان هذا الكتاب «دائرة معارف» جامعة لكل ما يتعلق بالطفل المتأخر العقل من ناحية تشخيص الحالة الشاذة ومن ناحية اصلاحها وعلاجها معاً ، فهو مما لا تستغني عنه الام المهذبة ولا المشتغلون بتربية الاطفال

هذا ولا يسعنا ان نختم هذا الفصل الموجز في هذا المؤلف النفيس قبل ان نشير الى عناية معهد التربية عندنا بهذه الناحية من حياة الطفل المصري في عيادته السيكولوجية ومهمتها البحث في الطفل من جميع وجوهه ومعرفة نواحي شذوذه وهل هي راجعة الى العقل او الحس او الخلق ويبحث القائمون بهذه العيادة في بيئة الطفل اذ قد يكون لحياته المنزلية تأثير فيها فتسعى العيادة الى علاج المنزل نفسه. وهذا عمل عظيم الشأن ولكنه لا يزال ضيق النطاق بحكم الطبع ولا ريب عندنا في ان معالي وزير المعارف الجليل سيوجه جانبا من عنايته الى هذه الناحية من نواحي التربية عندنا فتطبق القواعد المسلم بها في تربية الشواذ من الاطفال لكي يتاح لهم ان يتلقوا نوع التعليم الذي يؤاتيهم. ولا غرو فقد قال معاليه في افتتاح مؤتمر الطفل في السنة الماضية « وتربية الاطفال في حاجة الى تعاون العلم والطب والاخلاق والقانون وهيهات ان يتيسر للسواد الاعظم تدبير الاطفال من غير معونة الحكومة وجماعات الاصلاح من طريق التشريع والبذل والعناية »



صلة فيتامين (D) بمركبات عضوية عجيبة

العلماء يقولون انهُ تسعة انواع

اذا شبهنا علم الكيمياء بوجه عام بحرج كانت التربة التي تعيش فيها اشجاره والجو الذي يحيط به مايعرف بالكيمياء غير العضوية. وكانت الاشجار نفسها ما يعرف بالكيمياء العضوية . ففي هذه الحالة تمثل اغصان كل شجرة مركبات عضوية مختلفة تشترك في تركيبها الاساسي وهذا التركيب الاساسي ممثل في جذع الشجرة نفسها

تدعى احدى هذه الاشجار «ديوليفين» Diolefin وغصونها هي المادة الملونة الحمراء في الطماطم والصفراء في الجزر والبنفسجية في بعض الازهار. ومنها ايضاً المواد العطرية في الليلج (عيسى) والليمون وابرة الراعي وكذلك فيتامين A

وهناك شجرة اخرى في هذا الحرج تدعى « فينانثرين » Phenanthrene ولهذه الشجرة ستة غصون رئيسية منها الراتنج وانوار الشق و« الصابونين » و«الستيرول» . فلنقصر نظرنا الآن على الغصن المعروف بغصن «الستيرول »

فقد تقدم البحث في المواد التي يجمعها هذا الاسم تقدماً كبيراً في السنوات الخمس الاخيرة لان احد فروع هذا الغصن هو المادة المشهورة باسم فيتامين D الواقي والشافي من الكساح

اهم المواد التي يجمعها لفظ ستيرول ثلاث هي الارجستيرول الذي في النباتات الدنيا . والفيتوستيرول الخاص بالنباتات العليا . والكولستيرول الخاص بالحيوانات . وليس ثمة نبات او حيوان لا يحتوي على احد « الستيرولات » بل ليصح القول بان « الستيرول » قد يكون لا ندحة عنهُ للحياة . فقد لاحظ بعض الباحثين ان مقدار « الستيرول » في الخلايا يقل بتقدم السن . ولذلك يذهب بعضهم الى ان هذه الحقيقة سبيل الى فهم سر الموت وعلى كل حال لا ريب في ان هذه المواد ضرورية في تغذية الخلايا . اما الدهن الذي في جلد الانسان ف ١٩ في المئة منهُ كولستيرول وهو (اي الكولستيرول) كثير في مادة الدماغ والاعصاب . ثم انهُ في دماغ الجنين اقل منهُ في دماغ البالغ

علم الناس بالاختبار ان زيت السمك مقوٍ للصحة . ولكنهم لم يعلموا حتى عهد قريب ان سره هو وجود فيتامين D فيهِ . ثم كشف احد الباحثين سنة ١٩٢٤ ان مواد الغذاء الخالية من فيتامين D يمكن توليده فيها بتعريضها للاشعة التي فوق البنفسجي فتصبح فعالة كزيت السمك في منع الكساح والشفاء منهُ . ثم ثبت بالتجربة ان مادة الستيرول في هذه الاغذية هي التي تتحول فيتاميناً بتعريضها للاشعة

وحوالي الوقت الذي عرفت فيهِ هذه الحقيقة لوحظ انهُ اذا عرضت الخميرة للاشعة التي فوق البنفسجي تولد فيها مقدار كبير من

الفيتامين D . وبعد الحل والامتحان ثبت ان المادة التي تتحول فيتامينا هي مادة الارجستيرول. اي الستيرول الخاص بالنباتات الدنيا

فشرع بعضهم في تربية الخميرة كما يزرع القمح لكي تستعمل في توليد فيتامين D بتعريضها للاشعة ولها الآن في المعامل التي تربى فيها دفاتر تدوَّن فيها فصائلها المؤصلة التي ثبت بالاختبار انها أصلح ما يكون لهذا الغرض

وقد فاز العلماء من عهد قريب بلورة فيتامين D وهذه البلورات شديدة الفعل شدة لا تكاد تصدق فاذا اخذت ما يملأ خمس ملعقة شاي منها كان فيتامينها (وهي فيتامين نقي) كافياً لشفاء اربعة ملايين من الجرذان او بضعة آلاف من الاطفال من الكساح. بل ان اضافة جزء من بليون جزء منها الى غذاء جرذ يؤثر تأثيراً ظاهراً في مقاومته الكساح

ان فيتامين (D) لازم لفراخ الدجاج لزومه للاطفال فاذا خلا غذاء الفراخ منه اصيبت بداء « ضعف الارجل » ولكن بعض الباحثين دهش من بضع سنوات عند ما وجد ان فيتامين D (المولد من ارجوستيرول نباتي معرَّض للاشعة لا يفيدها) قدر ما يفيدها فيتامين D من اصل حيواني كفيتامين زيت السمك بل لزم ان يوضع من الاول في غذاء الفراخ مقدار يزيد خمسين ضعفاً على المقدار المستعمل من الثاني للحصول على التأثير نفسه. وكذلك تبين للباحثين ان هناك أنواعاً من فيتامين D تختلف باختلاف مادة الستيرول التي تتولد منها وعندهم ما يبعث على الظن بأن هذه الانواع تسعة

ومن غريب ما يروى في هذا الصدد ان الخراطين (ديدان الارض) تكثر فيها مادة يمكن تحويلها الى فيتامين. وكذلك الديدان التي توجد في الدقيق العتيق او الحبوب المدودة

طعم خفي لاسماك الاغوار

تألفت بعثة أميركية برعاية المتحف الاميركي للتاريخ الطبيعي غرضها صيد الاسماك العجيبة التي تعيش في أغوار البحار بجذبها الى شبكة الصياد بطعم خفي هو الاشعة التي فوق البنفسجي

وقد صنعت هذه البعثة كرة خاصة تشبه كرة الاعماق « باتيسفير » التي غار بها الدكتور وليم بيب الى نحو ميلين تحت سطح البحر وهي كرة من الصلب لها منفذان ثبتت فيهما قطعتان من زجاج الكوارتز الكثيف وفي داخلها جهاز لتوليد الاشعة التي فوق البنفسجي قوتها عشرة آلاف فولط وامام المنفذين شبكة خاصة لالتقاط الاسماك التي يجذبها هذا الضوء فتحوم حوله

وقد دلَّ البحث في رحلات علمية سابقة على ان الضوء يجذب أسماك الاغوار البحرية اليه والمنتظر بعد صيد هذه الاسماك حفظها ودراستها من الناحية البيولوجية

والظن الغالب ان هذه الدراسة تسفر عن فهم بعض طبائعها الغريبة. فمن هذه الاسماك مثلاً ما لهُ جهاز مضيء فوق رأسه وضوؤه في البحر يشبه ضوء الاشعة التي فوق البنفسجي. ولعلَّ نشوء هذا المصباح هو وسيلة الطبيعة الى اجتذاب صغار الاسماك الى السمك المضيء لكي يتغذى بها

جائزة نوبل الطبية لمكتشف فيتامين P

نقلت الينا الانباء البرقية ان جائزة نوبل الطبية لسنة ١٩٣٧ منحت للاستاذ البرت سنت جورجي الهنغاري جزاءً له — فيما نرجح — على اكتشاف فيتامين P المشهور باسم (سترين) نسبة الى ثمار الموالح التي يكثر فيها

وقد سبق لنا ان وصفنا هذا الفيتامين عند اكتشافه فنعيد ما قلناه فيه في جزء يناير من هذه السنة صفحة ١١١ : —

اذا خلا الطعام من فيتامين C أصيب آكل ذلك الطعام بمرض يدعى الاسكربوط. وكانت السفن من قديم الزمان تنقل في مخازنها زجاجات تحتوي على عصير الليمون لان أياماً واسابيع كانت تنقضي قبلما ينزل البحارة الى مرفأ يأخذون منهُ طعاماً يحتوي على هذا الفيتامين فيعوضهم العصير مما يحتاجون اليه وهم لا يدرون تماماً ما هو

والظاهر ان ثمار جميع الموالح تحتوي على هذا الفيتامين . ولكن الفلفل الاحمر المشهور في المجر باسم «باريكا» أغنى النباتات به . ولذلك عمد الاستاذ سنت جورجي احد اساتذة جامعة سفيجد بالمجر الى البحث فاستخرج منهُ فيتاميناً نقيًّا صافياً

من اعراض الاسكربوط نزف الدم في اللثة والبشرة. وفي بعض الاحوال لا يقف النزف ولو استعمل حامض خاص بذلك او لو استعمل فيتامين C نفسهُ. ولكن استعمال عصير الليمون او عصير « الباريكا » لا يخيب في منع النزف . فقرر الاستاذ سنت جورجي انهُ لا بد من وجود شيء آخر في الليمون والباريكا غير فيتامين C وعلى ذلك بدأ بحثهُ بمعاونة اربعة من الباحثين فأفضى الى اكتشاف فيتامين جديد وسمي بحرف P الفرنجي

استخرج الاستاذ سنت جورجي من مقدار من الليمون زنته ٢٠٠ كيلو غرام ماوزنه غرامان من المركب الجديد ولكنهُ خال من أي أثر من فيتامين C ودعاه باسم سترين

وميل البشرة الى النزف مما يمكن قياسه وبالتجربة ثبت ان فيتامين C لا يؤثر في جدران الاوعية الشعرية من حيث ميلها للنزف ولكن الفيتامين الجديد (اي P او سترين) يزيد مقاومتها ولذلك لا ينحصر استعماله في الاسكربوط بل في حالة تصاب فيها البشرة ببقع حمر ناشئة عن ضعف الاوعية الشعرية التي يجري فيها الدم حيث تظهر هذه البقع . فيحقن صاحبها بحقن يختلف مقدارها من ٢٠ مليغراماً الى ٤٠ مليغراماً من السترين فتزول البقع

هذا ما جاء في المقتطف في اول هذه السنة . ومنه يتضح — على مدى ما نعلم — ان الاستاذ سنت جورجي لم يكتشف فيتامين C كما جاء في بعض الصحف لان شرف عزل هذا الفيتامين يعود الى الباحثين « كنغ » وصديقه « وه » بجامعة بتسبرج الاميركية وذلك سنة

١٩٣٢ مع ان باحثين كثيرين كانوا قد اكتشفوا فعل عامل غذائي خفي يمنع الاسكربوط قبلها

وقد ظهر بعد اكتشاف الاستاذ سنت جورجي لفيتامين P (السترين) ان فائدته في النزف الوراثي (الهيموفيليا) كبيرة جدًّا ولا يخفى ان المصاب بهذا المرض ينزف حتى يموت اذا اصيب بجرح داخلي او خارجي

وليس (السترين) العلاج الوحيد الآن للهيموفيليا لان طبيباً انكليزياً اكتشف في السنة الماضية على ما روت التيمس والمورننج بوست نقلاً عن اللانست طريقة لوقف النزف الهيموفيلي بحقن مادة تستخلص من زلال البيض المخلوط ببرومور البوتاسيوم ثم يوضع الخليط في مستنبت خاص على درجة ٣٧ مئوية مدة ثلاثة ايام . وقد جربت هذه المادة تجارب متنوعة اثبتت فائدتها

هل قلب الارض حديد

وحرارته ٣٠٠٠ درجة مئوية ؟

أجمل الدكتور ليسون ادمز القائم بأعمال ادارة المعمل الجيوفيزكي بمعهد كارنيجي الاميركي في وشنطن احدث الآراء في قوام كرة الارض في خطبة علمية حديثة لهُ

قال الدكتور ادمز ان الادلة التي جمعها العلماء من دراسة أمواج الزلازل ومختلف الحقائق التي كشفها علماء طبقات الارض تشير الى ان قوام الارض ثلاث مناطق . ففي القلب كرة ضخمة قطرها نحو أربعة آلاف ميل وعلى السطح قشرة ثخانتها من ٢٥ ميلاً الى ٣٠ ميلاً وما بين الاثنتين طبقة متوسطة ثخانتها الفا ميل

ويؤخذ من دراسة الادلة العلمية القديمة والحديثة ان الكرة المركزية شديدة الكثافة ويعلل ذلك : أولاً بما أصاب مادتها من ضغط المادة التي في القشرة وتقلص كتلة الارض بحيث أصبحت مادة الكرة المركزية محشوكة شديدة الحشك . وثانياً بوجود مادة ثقيلة الوزن فيها يرجح انها فلز الحديد

والباعث على الاعتقاد بأن هذا الفلز هو الحديد ان الحديد رابع العناصر كثرة في صخور القشرة الارضية . وانهُ كثير في الشمس على ما يؤخذ من الدراسات الطيفية وانهُ كثير كذلك في النيازك والرجم

والقول ان قلب الارض يغلب فيه الحديد ليس بالقول الجديد فقد اقترح الجولوجي الاميركي دانا هذا الرأي سنة ١٨٧٣ وكان الظن قبل دانا ان الارض كرة من الجرانيت ولكن هذا الرأي اهمل الآن

اما درجة الحرارة في الكرة المركزية فقد قال فيها : اننا نعلم انها عالية جدًّا ولكننا لم نتوصل بعد الى تقديرها تقديراً يبعث على الرضا . ولكن اذا بنينا الرأي على اعتبارات خاصة بأصل الارض صح القول ان حرارة مركز الارض من رتبة ثلاثة آلاف درجة مئوية

استطلاع أحوال الجو

بلونات مجهزة بأجهزة عجيبة

صنع العلماء المعنيون بدراسة أحوال الجو وما يطرأ عليه من تقلب في الحرارة والضغط بلونات صغيرة تطلق في الفضاء وحدها وجهزوها بأجهزة علمية دقيقة وأعدوها لكي ترسل من تلقاء نفسها — والبلونات محلقة في الجو — رسائل لاسلكية تنطوي على أنباء الاحوال الجوية في المناطق التي تخترقها البلونات

واستعمال بلونات من هذا القبيل ليس بالامر الجديد ولكن الاجهزة العلمية التي كانت توضع فيها لتدوين احوال الجو كانت تدون ذلك فقط ثم اذا سقط البلون الى الارض ولمت الاجهزة اطلع العلماء على ما دون فيها وبها . ولم يكن من النادر أن تسقط البلونات في البحار او القفار فلا يعثر عليها اصحابها

ولما كانت الحقائق التي يمكن الحصول عليها بهذه الطريقة مما يحتاج اليه علماء الظواهر الجوية لوضع قواعد للتنبؤ بأحوال الجو كان لا بدَّ من استنباط طريقة تمكنهم من الفوز بهذه المعلومات ، والبلونات لا تزال محلقة في الجو . فاستنبطت لذلك الاجهزة الاتوماتيكية ومنها مثلاً مقياس للحرارة يتحرك طرفه على ورق منساب على اسطوانة دائرة . ويتصل بمقياس الحرارة مقياس للارتفاع وكلاهما متصل بطريقة ميكانيكية بجهاز مذيع لاسلكي . ففي اثناء الطيران يتصل انبعاث اشارات لاسلكية من البلون المحلق وهي تدل على الارتفاع والحرارة فيلتقطها الجهاز الخاص على سطح الارض . وهذه البلونات ترتفع احياناً الى علوّ ١٨ ميلاً او ١٩ ميلاً وبهذا الاسلوب البديع يستطيع اصحابها ان يعرفوا رويداً رويداً اذ يكون البلون محلقاً درجة الحرارة على ارتفاعات تفوق أعلى ما حلق اليه الانسان بالبلون او الطائرة بنحو ثمانية أميال او تسعة

*

من حكم فولتير او من سخرياته

. . . وأرسل رسول الى ممفيس ليأتي بالطبيب المصري العظيم هرميس فجاء ووراءه حاشية كبيرة وزار زاديج (وهو اسم الرجل الذي اجرى فولتير هذه الحوادث من حوله وظاهر من الكلام انهُ كان مصاباً في عينه اليسرى) فقال انهُ لا بدَّ فاقد تلك العين . بل انهُ عيَّن اليوم والساعة التي يقع فيها ذلك الحادث المميت . ثم قال لو ان العين المصابة كانت العين اليمنى لاستطعت ان أشفيها بسهولة ولكن جراح اليسرى لا يمكن شفاؤها

فحزنت بابل قاطبة وندبت سوء مصير زاديج وأعجبت أعظم الاعجاب بعلم هرميس وتبحره

وبعد يومين انفتح الخراج من تلقاء نفسه وشفي زاديج مما ألمَّ بهِ فكتب هرميس كتاباً ليبرهن على ان العين المصابة ما كان يجب ان تشفى ولكن زاديج لم يقرأ الكتاب ..!

القصدير والصناعة الحديثة

القصدير (Tin) من المعادن المحتقرة عند العامة لان الفكر يتجه عادة عند ذكره الى صفائح الحديد المطلية بهِ واللحام وتبييض الآنية النحاسية ولكنهُ عند التدقيق من المعادن الاساسية في صناعات السيارات والطائرات وصناعة الادوات الكهربائية وصناعة حفظ الاطعمة في العلب

ففي كل سيارة ما لا يقل عن سبعة أرطال من القصدير داخلة في تركيب الكريات الصغيرة حول محاور العجلات وفي لحام أجزاء المحرك بعضها ببعض

ثم إن جميع اجهزة التبريد الكهربائية واجهزة التنظيف « بالشفط » الكهربائية وغيرها من الادوات الكهربائية البيتية تحتوي عليهِ ولا تستغنى عنه

ثم انهُ يصلح لطلي انابيب الرصاص والآنية النحاسية والعلب التي يحفظ فيها الطعام. وسر استعماله في هذه الاغراض الصناعية أنهُ لامع لا يكمد ولا يولد مركبات سامة ويسهل صهره وطلي السطوح المعدنية به

ولا يخفى أن قدماء الفينيقيين وصلوا الى سواحل كورنول بجنوب انكلترا في طلب القصدير . فهو معدن قديم عرفت الصناعة الحديثة قيمته العظيمة فاصبح في هذا العصر من المواد التي تتنافس الدول في الحصول عليها

اين يوجد وما مقدار ما يعدن منهُ كل سنة ؟

البلدان التي اشتهرت بالقصدير هي ولايات مالايا وجمهورية بوليفية وجزائر الهند الشرقية الهولندية ومملكة سيام ومستعمرة نيجيريا . فتسعون في المائة من المقدار الذي يستخرج كل سنة من القصدير يستخرج من مناجم هذه البلدان

كان مقدار ما يستخرج منهُ في السنة من خمسين سنة اربعين الف طن فزاد هذا المقدار الى ١٣٠ الف طن قبل الحرب الكبرى حتى في سنة ١٩٢٠ عند ما بلغ سعر الطن منه ٤٢٠ جنيهاً بلغ المستخرج منهُ ١٢٠ الف طن

ثم اضطربت سوقه وتقلبت اسعاره فبلغ ما استخرج منهُ سنة ١٩٢٠ مئتي الف طن ثم في سنة ١٩٣١ بعد مفاوضات دامت اربع سنوات اتفقت البلدان التي يعدن فيها القصدير على تحديد ما يستخرج منهُ

*

مناجم الذهب في آسيا الوسطى

عثر الباحثون الروس على مناجم ذهب في آسيا الوسطى يقال أن الذهب كان يستخرج منها في العصر البرونزي وانهُ لا يزال في الامكان استخراج الذهب منها

أفلام تعليم الكيمياء

يصنع الآن في اميركا عشرة افلام لتعليم الكيمياء

هل يؤثر الحزن في قوة البصر ؟ (١)

في ١٢ ابريل ١٩٣٥ راجعتني امرأة تسمى (خ) حرم الشيخ (ع) ابن الشيخ (ع) من قرية سنكسي التابعة لرشيد آغا من منطقة بشدر بقضاء شار بازار (السليمانية) . تبلغ من العمر ٣٠ سنة تقريباً . فقدت بصرها قبل ستة اشهر من مراجعتها اياي على اثر فقدها ولدها الوحيد وحزنها الشديد عليه واستمرار بكائها

ولدى الفحص وجدتها في حالة تهيج عصبي شديد ، مصحوب برعشة دائمة في الاطراف وفي الاجفان ، بينما كانت بأتم صحة قبيل وفاة ولدها ومن ثم قد فقدت الشهية وكانت تبكي وتلطم رأسها على الدوام وانقطعت عن الطعام حتى فقدت بصرها فجأة واصبحت في حالة تهيج وحزن شديدين واصابها علاوة على ذلك الارق والصداع . وقد فقدت المصابة في ستة اشهر كثيراً من وزنها . لم اجد في الفحص وتحليل البول تغيرات مرضية مهمة ولم أجد اي تغير تشريحي او حالة غير طبيعية داخل العين سوى ضعف عام وتهيج عصبي مصحوب بالرعشة وزيادة في التنبه وفقدان البصر التام

التشخيص : لم اتردد عند التشخيص في انها قد اضاعت بصرها نتيجة الاضطراب الروحي والتهيج العصبي العام الحاصل من جراء الحزن الشديد

التداوي : اعطيتها مسهلاً شديداً ووصفت لها وصفة مركبة من يود وبروموز مضافاً اليها مقدار كافٍ من مواد مضادة للتشنجات العصبية ومؤكداً لها بالايحاء انها سوف تشفى قريباً وتعود اليها صحتها وبصرها ولقد أخذت الادوية واستعملتها ثلاثة ايام وعادت اليّ في عيادتي وكانت بحالة هادئة وقد زال عنها الصداع والرعشة والارق . وكل هذه التحسنات لم تكن تهمها ولا تهم زوجها وذويها لان افكارهم كانت متجهة لحل هذا المشكل ألا وهو : هل في الامكان اعادة بصرها ؟! فقلت لها ولذويها انني وفقت الى علاج سيعيد اليها البصر وفي الحقيقة اخذت انبوباً من استريكنين وحقنت نصفه بصدغها الايمن فسرى في ارتعاش شديد في جفنيها وفي جميع جسمها وصرخت قائلة انها احست بلمحة من شعاع النور تشبه البرق قد سطعت امام عينيها فهدأتها قليلاً وباشرت حالاً حقن بقية محلول الاستريكنين في الصدغ الايسر وكانت النتيجة عجيبة ومهيجة معاً حيث اصيبت بارتعاش وصراخ شديدين وقد نفضت جسمها من بين ايدينا هاتفة بأنها قد ابصرت النور — وفتحت عينيها فهنأتهم بهذه النتيجة الباهرة . ولقد عالجتها بعدئذ ١٥ يوماً أخرى فعاد اليها النور والصحة من جديد ناسية جميع همومها وآلامها النفسانية شاكرة الباري عز وجل على هذه النعمة العظمى التي ظفرت بها بعد ان كانت يائسة من الحياة ورجعت الى أهلها مع زوجها مسرورة وسعيدة

(١) حادثة نادرة رواها الطبيب العراقي الدكتور عيسى نوري الله ويردي

عقار طبي جديد

بين الفائدة والضرر

يذكر قراء المقتطف اننا رددنا في خلال السنة الماضية اسم عقار طبي جديد لهُ فعل عجيب في شفاء بعض الامراض ولا سيما ما كان منها ناشئاً عن طوائف معينة من الميكروبات وهذا العقار يعرف بأسماء مختلفة منها « سلفانيلاميد » وهو جزء من اسمه الكيمياوي الطويل . ومنها « البرونتوزيل » اذا أخذ حقناً و « البرونتيلين » اذا أخذ اقراصاً وهما اسمان مسجلان للشركة الالمانية التي تصنعهما وغيرها اسماء كثيرة مسجلة

وقد كان الباعث على اشتهار هذا المركب في أثناء السنة الماضية ان نجل الرئيس روزفلت أصيب في شهر دسمبر الماضي بالتهاب في حلقه كاد يودي بحياتهِ فعولج بهذا العقار الالماني الاصل فشفي منهُ فكثر اهتمام الناس بهِ واشتد طلبهم لهُ وظهرت ادوية مسجلة أساسها هذا المركب الكيمياوي

ولم تقل عناية الاطباء الباحثين بهِ عن الناس عامة وصناع العقاقير الطبية ، فأثبت الطبيبان ديز وكولستون من اطباء مدرسة الطب بجامعة جونز هبكنز الاميركية انهُ ناجع في علاج السيلان وبين الدكتور هلمولتز من اطباء معهد مايو بشيكاغو انهُ يفيد في علاج الحمى القرمزية والتهاب المسالك البولية المعروف باسم « بيليتس » وظهر من بحوث الدكتورين كولبروك وكني بمستشفى الملكة شارلوت بلندن انهُ يصلح لعلاج التهاب الدماغ السحائي والحمرة وحمى النفاس

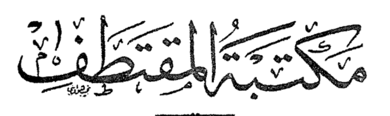
الاَّ ان بعض صناع العقاقير الطبية اشتغل على ما يظهر باخراج عقاقير مسجلة تحوي هذا المركب لكي يجنوا الربح من شدة اقبال الناس عليهِ من دون ان يمتحنوها الامتحان الوافي فحدثت في مدينة تولسا بولاية اوكلاهوما تسع وفيات نشأت على الغالب في رأي الجمعية الطبية الاميركية من المادة التي تحمل هذا العقار لا من العقار نفسه ومما يؤيد هذا الرأي تجارب جربتها الجمعية الطبية بالحيوانات وان احد المتوفين تناول هذا العقار اقراصاً مدى خمسة عشر يوماً فلم يصب بأذى ثم تحول الى مستحضر مسجل آخر يحتوي عليهِ فمات

ونحن ننقل هذا النبأ الفاجع كما نقلنا انباء « السلفانيلاميد » السارة قبلاً ، لكي يكون القراء على حذر

*

انباء زلزلة تصل قبل موجاتها

في العشرين من شهر اغسطس الماضي حدثت زلزلة في مانيلا عاصمة جزائر الفيلبين فوصلت انباؤها البرقية الى اميركا قبل ان تظهر آثار موجاتها الزلزالية في اجهزة التسجيل الخاصة بالزلزال في المراصد الاميركية



أقطاب الرياضيات

من زينون اليوناني الى بوانكاري الفرنسوي

Men of Mathematics by E. T. Bell—Gollancz of London 12—6

من بضع سنوات أصدر السر جيمز جينز كتابه « الكون الخفي » مبسطاً فيهِ مسائل الفلك الحديث . فلما انتهت السنة التي ظهر فيها وحاول احد النقاد ان يلخص ما تمَّ فيها في عالم المطبوعات قال « ان أهم ما امتازت بهِ السنة الماضية بلوغ الكتب العلمية مرتبة الروايات في اقبال الناس عليها » أو ما هو بهذا المعنى . وكان المقصود بالذات في هذه العبارة كتاب جينز المذكور الذي قال فيهِ « ان خالق الكون أخذ يبدو لنا في وشاح رياضي عظيم »

والواقع ان الاقبال على الكتب العلمية المبسطة كان ميزة بارزة في عالم المطبوعات الاوربية والاميركية في العقد الاخير. ومن حسنات العصر أن جماعة من العلماء من طبقة جينز وادنغتن ولودج وملكن وغيرهم اقبلوا على ردم الهوة القائمة بين العلماء المتوفرين وجماعة المثقفين عامة بأقلام رشيقة وقدرة نادرة على تقريب المعاني العلمية العويصة باستعارات وتشبيهات وأمثال تجلو الغامض وتدني البعيد

وليس ثمة شك عند متتبعي العلم الحديث في ان الرياضة أساس العلم وان الارقام لغته ولكن ما يعانيهِ الطالب في المدرسة في سبيل التحصيل الرياضي ينشيء هوة بينهُ وبين هذه اللغة الدولية التي تتخطى الحدود السياسية والحدود التاريخية في آنٍ واحد . فكل ما يساعده على الشغف بها وفهم قواعدها يدنيهِ من فهم أصول العلم الحديث ويخلق فيهِ ذلك الشوق الى تتبع مراحله

ولسنا نعرف سبيلاً اقوم الى ادراك هذا الغرض من معالجة اقطاب العلوم من ناحية ما تتجلى فيهِ عبقريتهم في اثناء بحثهم عن الحقيقة وما يعانونه من شقاء وألم وجحود وكيف يتغلبون على جهل البيئة والميل الى المحافظة على القديم والتنكر للجديد وما يتصف بهِ خلقهم على الغالب، من السجايا الروحية العالية كالصبر والصدق والاخوة. لذلك كانت الكتب التي تشتمل على فصول في سير العلماء وتراجمهم من أمتع ما يطالعه القارىء ومن خير الاساليب التي يعمد اليها المعلم في تمهيد طريق الشغف بالعلم لطلابهِ

ومع اننا اطلعنا في العشر السنوات الماضية على طائفة من الكتب التي وعت الى تراجم معظم علماء الفلك والطبيعة والكيمياء والاحياء لم يتح لنا قبل الشهر الماضي ان نطالع كتاباً حوى سير

اقطاب الرياضيين في جميع العصور . ذلك الكتاب هو « اقطاب الرياضيين » واسمهُ الانكليزي مدون في عنوان هذا الفصل . ومن حسناته البارزة ان كاتبهُ عالم رياضي من الطبقة الاولى واستاذ للرياضة في معهد كاليفورنيا التكنولوجي وكان قبلاً رئيساً للجمعية الرياضية باميركا ووكيلاً لمجمع تقدم العلوم الاميركي

وفي وسعنا ان نقول بعد مطالعة فصوله كما قال الاستاذ كيزر رئيس قسم الرياضة بجامعة كولومبيا ان معلماً للرياضة لا يستغني عنه . واما قارئهُ فلا يجب ان يكون رياضيًّا لكي ينعم بما فيهِ . فهو وثيقة للعبقرية الانسانية وليس ثمة ريب في انه وسيلة من وسائل التثقيف العام

الكتاب واسع النطاق تمتد فصوله من زينون اليوناني في القرن الخامس قبل المسيح الى بوانكاري الفرنسوي في القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين وبين هذين العالمين سير اثنين وثلاثين عالماً من اكبر علماء الرياضيات في التاريخ والمجموع اربع وثلاثون سيرة غنية بآيات العبقرية والابداع الفكري . ثلاثة من اليونان واثنا عشر من الفرنسيين وثمانية من الالمان وخمسة من الانكليز وستة من السويسريين والروس وغيرهم

على ان هؤلاء الاقطاب كانوا علاوة على ما اتصفوا بهِ من آيات العبقرية الرياضية ، رجالاً يحسون ، فيحبون ويكرهون وتتنازعهم تيارات عهودهم السياسية والاجتماعية . فآبيل النرويجي مات جوعاً وجالوى الفرنسي قتل في مبارزة وبوانكارى كان يكفيه ان يقرأ كتاباً مرة واحدة قراءة سريعة حتى يغدو ذلك الكتاب جزءا من ملكه العقلي وكان في استطاعتهِ دائماً أن يشير اليهِ معيناً الصفحة والسطر . وكرونيكر الالماني اشتغل بالاعمال المالية حتى بلغ الثلاثين فأصاب نجاحاً عظيماً ثم وقف حياته على الرياضيات فبلغ فيها شأواً بعيداً

ليس غرض المؤلف ان يكتب تاريخاً للرياضيات ويزعم في مقدمتهِ ان ما يتعلمه الطالب في المدارس الثانوية من قواعدها كاف لفهم ما تنطوي عليهِ هذه السير من مآثر اصحابها العلمية ولاسيا لان هذه المآثر مبسوطة بسطاً يقبله العالم ويستسيغه عامة القراء. ثم انهُ مقرون بحياة الرجل وحالة عصره واشهر ما يروى عنه مزجى اليك في اسلوب يستهويك

فتحنا الكتاب اتفاقاً ونحن نكتب هذه السطور فانفتح عند الصفحة ٣٦٧ وهي خاتمة الفصل عن آبيل النرويجي الذي مات جوعاً والذي كتبت اليهِ خطيبتهِ يومين بعد وفاتهُ (وهي لا تعلم بها) إن المساعي المبذولة في سبيله قد نجحت وانهُ سيعين استاذاً للرياضة في جامعة برلين !

ثم فتحناهُ ثانية فانفتح عند الصفحة ٢٥٠ فاذا هي بدء الفصل عن (جوس) الالماني وعنوانه « امير الرياضيين » وفي مستهلّه إن ارخميدس ونيوتن وجوس في طبقة على حدة بين كبار الرياضيين وليس من شأننا نحن ان نفاضل بينهم وقد أثار كل منهم موجة عظيمة في الرياضة النظرية

والتطبيقية . فكان ارخميدس يقدم مباحثهُ الرياضية النظرية على التطبيقية . وبدا لنيوتن انهُ وجد المسوغ لمكتشفاته الرياضية العالية في المنافع التطبيقية التي استعملها . اما جوس فكان يقول ان لافرق عنده بين الاشتغال بالناحية النظرية او الناحية العملية ولكنهُ مع ذلك توج الحساب العالي — وقدكان في ايامهِ اقل فروع الرياضة تطبيقاً — ملكاً عليها جميعاً

بهذا الاسلوب البارع الناشيء عن الاطلاع الواسع والتأمل العميق والرشاقة في استعمال القلم يسوق الاستاذ « بل » سير هؤلاء العلماء . ونحن لسنا في حاجة الى تعديد ما ترجم في هذا النطاق الضيق لنبين مكانتهم في ترقية المعارف الانسانية . ولو شئنا ان نبين مكانة الرياضة في تاريخ الفكر لترجمنا عشرات من الاقوال المسندة الى كبار العلماء والفلاسفة افتتح بها الاستاذ « بل » كتابه . ومن محاسن الاتفاق ان لمصر نصيباً في هذا الكتاب وان كان اجنبيًّا عنها . فبين العلماء الفرنسيين الذين افرد لهم المؤلف احد فصوله عالمان هما : مونج وفوريه بعنوان « صديقا الامبراطور » وهو يقصد نبوليون بونابرت لانهما كانا في الحملة الفرنسية التي جاءت مصر في أواخر القرن الثامن عشر واعضاء لجنة العلوم والفنون والمعهد المصري الذي انشاء فيها . خلّف أولهما الهندسة التحليلية وبدأ ثانيهما تلك الناحية الجديدة في علم الطبيعة المعروفة بالطبيعة الرياضية عند ما قام بمباحثهِ الخالدة في انتقال الحرارة

ومما يؤسف لهُ ان ليس فيهِ فصلٌ لاحد رياضي الاسلام الذي كان لهم يد عظيمة في نقل التراث القديم الى اوربا بعد الاضافة اليهِ اضافات جمة

هذه لمحة من كتاب أخاذ مفيد لا نرى عذراً لاحد مدرسي الرياضة في الاستغناء عنهُ لانهُ يمكن المدرس من ان ينفخ في هذا العلم روحاحية تجعل الطلاب شغوفين بهِ وغني عن البيان ان الشغف سبيل الاجادة والاتقان

محاورات أفلاطون

نقلها عن لانجليزية زكي نجيب محمود ، ونشرتها لجنةالتأليف والترجمة والنشر في ٣٠٢ صفحة من القطع الوسط

يوالي الاستاذ زكي نجيب محمود اتحاف العربية بالآثار الطيبة في فروع الفلسفة فقد اخرج للناس بالاشتراك مع الاستاذ احمد امين منذ سنوات « قصة الفلسفة اليونانية » واخرجا اخيراً « قصة الفلسفة الحديثة » كما اخرج بمفرده هذه المحاورات الاربع التي نقلها بنيامين جوِيت الى الانجليزية لان افلاطون صوّر فيها استاذه سقراط كما كان في حياته سائلاً مجاوباً محاوراً في سخرية لاذعة

ففي « اوطيفرون » — الحوار الاول — نرى سقراط المعلم يثير في تلاميذه حب البحث

في معاني الاحكام التي يرسلونها ارسالاً عن ايمان ساذج غرير في مسائل الاخلاق. وفي «الدفاع» — الحوار الثاني — نرى سقراط يبسط لقضاته طبيعة الرسالة التي كلفته الآلهة أداءها مهما لقي في سبيلها من الاذى من ذوي السلطة والنفوذ. وفي «أقريطون» — الحوار الثالث — يمثل لنا افلاطون حياة استاذه في السجن وقد جلس الى جانبه صديقه اقريطون يستحثه على الهرب قبل أن ينفذ فيه الحكم بالموت فيأبى على نفسه ذلك وقد أراد افلاطون بهذا ان ينفي عن استاذه تهمة الخروج على قوانين الدولة وان انتظاره للحكم ورفضه الهروب على ما فيه حياته انما هو اذعان لقانون الدولة ورغبةً منهُ في الحرص على ان لا يحنث في عهده حين تعاقد مع الدولة على الاَّ يقرف في حياته ما من شأنه ان يضعف سلطانها... وفي «فيدون» — وهو الحوار الاخير — يدور البحث بين سقراط وتلاميذه حول خلود الروح وهو اروع هذه المحاورات وفيها مظاهر لتدرج الفلسفة السقراطية حتى بلوغها مرتبة المثالية الافلاطونية في تمامها وكمالها

اخبار ابي تمام

تأليف ابي بكر محمد بن يحيي الصولي — نشره وحققه وعلق عليه خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الاسلام الهندي — وتولت طبعه لجنة التأليف والترجمة والنشر في ٣٤٠ صفحة من قطع المقتطف

ابو تمام امير من امراء العصر العباسي خرج لاهل عصره بجديد لم يألفوه فخرجوا عليه وساعد في ذلك وجود البحتري فناصره الناس وفضلوا رقته ورشاقة ديباجته على تعاظل ابي تمام وتعمقه وطالت الخصومة وكسب الادب منها ما كسب من كتب النقد ، وكان مما كسبه كتاب الصولي الذي اراد به الانتصار لابي تمام على كتاب الآمدي «الموازنة بين ابي تمام والبحتري» الذي ناصر فيه مؤلفه البحتري . وقد قدم الصولي كتابه برسالة طويلة الى ابي الليث مزاحم بن فاتك يشرح له فيها الدواعي التي دعتهُ الى تأليفه ويقول فيها : «وترى بعد ذلك قوماً يعيبونه ، ويطعنون في كثير من شعره ، ويسندون ذلك الى بعض العلماء ويقولونهُ بالتقليد والادعاء ، اذ لم يصح فيه دليلٌ ، ولا اجابهم اليه حجة ، ورأيت مع ذلك الصنفين جميعاً ، وما يتضمن أحدٌ منهم القيام بشعره ، والتبيين لمراده ، بل لا يجسر على إنشاد قصيدة واحدة لهُ ، إذ كانت تهجم — لا بدّ — به على خبر لم يرْوِه ، ومثلٍ لم يسمعهُ ، ومعنى لم يعرف مثله . فعرّفتُك أن السبب كما ذكرتُ ، وتضمنتُ لك شرحَ ما وصفتُ ، حتى لا يعارضك شك فيه ، ولا يخامرك ريب منهُ . فرأيتُ من سرورك بذلك ، وارتياحك اليه ، وصبابتك به، ما حداني على استقصائه لك والتعجيل به عليك ، وإهدائه في رسالة اليك ، تتبعها اخباره كاملة في جميع فنونه : في تفضيله ، وذِكْرِ مَنْ عرفه فقدّمهُ وقرّظهُ ، والاحتجاج على مَنْ جهله فأخّره وعابهُ ، ومع مَنْ كان يمدحهُ ويراسله وينتجعهُ طارئاً اليه ، واذكر جميع ما قيل فيه

وان كان قصدي تبيين فضله والرد على من جهل الحق فيه فأضعف لذلك سرورك ، وزاد له نشاطك . . . »

ولقد قدر لهذا الكتاب بعد ان ظل مطويًّا كل هذه الحقب — ان يتولى ناشروه امر اخراجه للناس فأحسنوا الاخراج والنشر على الطريقة التي يخرج بها المستشرقون الكتب من ضبط ومقابلة على مختلف النسخ وذكر ذلك مع رقم الصفحات في كل مرجع مالوا اليه وشرح غريب ما ورد فيه مع الدقة في التصحيح ، وفي الحقيقة انها عناية يجدر بالناشرين مراعاتها فيما يخرجون للناس من تحف الادب العربي

تبسيط اللاسلكي

تأليف محمد عاطف البرقوقي — مفتش العلوم الطبيعية بوزارة المعارف

طبع بمطبعة المعارف بمصر — صفحاته ٢٦٢ قطع المقتطف

لسنا في حاجة الى تعريف الاستاذ محمد عاطف البرقوقي الى قراء المقتطف . فقد سبق ان طالعوا له فصولاً في العلوم الطبيعية تدلُّ على التعمق في العلم وتتبع ارتقائه الحديث وقدرة على تصوير المعاني العويصة في استعارات وتشبيهات تقرّبها الى الذهن . ولا غرو فقد طلب العلم الطبيعي الحديث على اساطينه في انكلترا وتخرج من جامعة برستول حائزاً درجة الشرف . وبعدما تقلَّب في تدريس العلوم الرياضية في مدارس الحكومة المصرية عين مفتشاً لها اعترافاً بكفاءته وخبرته

وهذا الكتاب الذي بين ايدينا الآن من بواكير تواليفه العلمية .وقد قرن فيه العلم بالعمل فأخرج بذلك سفراً لا يستغني عنهُ مثقف او مثقفة ممن يقتنون اجهزة الالتقاط اللاسلكية ولا يكتفون بالاصغاء الى ما يذاع ، بل يحثهم العقل والتوق الى تفهم اسرار هذا الجهاز الذي يلتقط من الفضاء أغاني واناشيد واحاديث وعظات ، كأن فيه عصا الساحر، تخلق الاشياء من العدم . وليس الساحر إلاَّ العلم الحديث في مجموعه ، وعلم الامواج وتوليدها وإطلاقها في الفضاء والتقاطها منهُ بوجهٍ خاص

كيف تولد هذه الامواج ؟ وكيف تطلق في الفضاء مطبوعة بطابع المنشدين والمحدثين والوعّاظ ، وكيف يلتقطها الجهاز اللاقط امواجاً ويحوّلها كلاماً مفهوماً وأغاني مطربة ؟ ومن اصحاب العقول الذين تدرجوا في فهم هذه الاسرار واستنبطوا الوسائل لتطبيقها ؟ وما القواعد التي يجب ان تراعيها عند شرائك جهازاً لاقطاً ، وكيف تصلح بعض ما يصيبهُ من خلل من دون ان تستدعي الكهربائي المختص ؟

جميع هذه المسائل وعشرات غيرها ، يبسطها الاستاذ البرقوقي اوفى بسط ، شارحاً الحقائق

الطبيعية والكهربائية والارشادات العملية بلغة علمية سهلة معتمداً على عشرات بل مئات من الرسوم في تقريب الصور من ذهن القارىء . ولا نقول ان الكتاب يقرأ كما تقرأ رواية بوليسية ، ولكن تقدم العلوم والفنون اللاسلكية ينطوي على ما يثير في النفس معاني العجب والاعجاب ، على وجهٍ يغري بالفهم ، وقد اصبح لهذا الضرب من السحر الجديد اوثق صلة بالاجتماع البشري وثقافتهِ وسياستهِ ، بحيث لا يستغني مثقف او مثقفة عن تدبر اصولهِ وأساليبهِ

وقد تدرّج المؤلف في تبسيط اللاسلكي تدرّجاً علمياً في أبوابهِ المتتابعة من طبيعة الكهرباء والصوت والامواج اللاسلكية ، الى تاريخ اكتشافها ، الى وصف محطة الاذاعة واجهزتها ، الى الاجهزة اللاقطة او اجهزة الاستقبال وتركيبها وأنواعها ووظائفها، جامعاً بين العلمي والعملي في كلٍّ منها . حتى إذا شاء القارىء ان يركب جهازاً بلوريًّا بنفسهِ أو جهازاً ذا صمّام أو أن يختار جهازاً لشرائهِ وجد في الصفحة ٩٦ والصفحة ١٥٦ والصفحة ٢١٥ كلَّ ما يهمهُ في هذا الصدد

وغنيٌّ عن البيان ان الكتاب وقد طبع بمطبعة المعارف خرج متقناً كلَّ الاتقان

اناشيد دينية

خطوة موفقة في عالم الادب والفن والشعر والموسيقى والدين يخطوها الشاعر محمود ابو الوفا

قدم الى ابناء العروبة والاسلام المجموعة الاولى « من اناشيد دينية » رفعها الى سدة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الاول ، راجياً في تحليتها باسم جلالته ان تنال عند الله ثوابها المأمول من حسن القبول

وتشتمل هذه المجموعة على عشرة اناشيد مفتتحة بالنشيد الديني للملك الصالح «فاروق الاول» ويليه اناشيد الله ، الصلاة ، الصيام ، الزكاة ، ليلة القدر ، الحج ، الهجرة ، مولد النبي ، الاسراء ، العروبة

وعنيت مطبعة مصر بطبع المجموعة على ورق صقيل مغلف بغلاف فني ، محلى بصورة الكعبة الشريفة . والشاعر ابو الوفا معروف بشعره الرشيق . وقد تجلت الرقة والذوق في اناشيده الدينية المبتكرة . ولكل نشيد ضرب خاص من بحر خاص ووزن خاص وقافية خاصة . وقد راعى في الاناشيد كلها تجريدها من الالفاظ التي يعسر على العامة بل والخاصة فهمها . فاذا حفظوها وكرروها ، فانما يرطنونها بدون ان يدركوا معناها ومغزاها . والامثلة لدينا اكثر من ان تعد في الاناشيد الوطنية التي لم يفلح منها شيء . ويحفظها ابناء المدارس بالكرباج . وينشدونها وهم بعيدون عن اغراض ناظميها بعد الارض عن السماء

اسمع ما يقولهُ ابو الوفا في نشيد الملك الصالح : —

تعـــيش يا فاروق تحمي حمى الاسلام
تعيد روح السلام في عهد خير الانام
تعيد عهد الكرام من صحبهِ الاعلام
تعيـــد مجد الدين في أمة المسلمين
تعيش تعيش تعيش

وما يقوله في نشيد الصلاة :

حينما يشدو المؤذن قائلاً : الله أكبر
عندها الرحمن يأذن والجلال الحق يظهر
تفتح الجنات تهبط الرحمات تخشع الافلاك
من صدى الله أكبر

أعجب الاستاذ الاكبر شيخ الازهر المعمور بأناشيد ابي الوفا . فابتاع منها الف نسخة من جيبه الخاص لتوزيعها على صغار الطلبة في المعاهد الدينية والاولية

وشجعت شركة الراديو أبا الوفا . فعهدت الى أحد ملحنيها تلحين اربعة اناشيد ، يغنيها الآن فريق من التلاميذ وتذيعها الشركة في بعض الليالي فيسمعها الملايين من العرب المسلمين في مصر والبلاد العربية التي يصل اليها صدى الراديو المصري

وقد لا تمضي أيام حتى يتم تلحين الاناشيد كلها وتطبع ملحنة بالنوتة

ويقيني ان النجاح والاقبال مضمونان لابي الوفا وستكون هذه الضمانة خير مشجع له على النظم . وتقديم الاناشيد للملحنين لتلحينها وعزفها في الراديو والحفلات المدرسية والاجتماعات الادبية والجلسات البيتية

في مدينة باريس احدى وعشرون جمعية للموسيقى الدينية

وفي فرنسا سبع مجلات للتورجيا ، تخصص صفحات لموسيقى الكنيسة مقيدة بالنوتة

ولهذه الموسيقى ملحنوها من اكبر الموسيقيين وبينهم شوبان وموزار وبيتهوفن وعازفوها الاخصائيون المشهورون في العالم

وأبواب الكنائس الشرقية والغربية في القاهرة مفتحة الابواب لكل من أراد تذوق حلاوة الالحان الدينية

اهنىء الاخ أبا الوفا،وارجو ان يكون لعمله الفني نصيبه في خدمة الدين عن طريق الموسيقى

« صحافي عجوز »

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الحادي والتسعين

